

الْبِدَائِيَّةُ وَالنِّهَايَةُ

لِلْحَافِظِ عِمَادِ الدِّينِ أَبِي الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلَ
ابْنِ عَمْرِو بْنِ كَثِيرٍ الْقُرَشِيِّ الدَّمَشْقِيِّ
٧٠١ - ٧٧٤ هـ

تَحْقِيقُ

الدُّكْتُورُ عَبْدُ بَنِي عَبْدِ الْحَكِيمِ التُّرْكِيُّ

بِالتَّعَاوُنِ مَعَ

مَرْكَزُ الْبَحْثِ وَالدراسَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ

بِدَارِ هَجَرَ

الْجُزْءُ الثَّانِي عَشَرَ

هَجَرَ

لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ وَالْعِلَاقِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة

٣٢٥٢٥٧٩ - فاكس ٣٢٥١٧٥٦

المطبعة : ٢، ٦ ش عبد الفتاح الطويل

أرض اللواء - ٣٢٥٢٩٦٣

ص . ب ٦٣ إمبابة

الْبَدَائِيَّةُ وَالنِّهَايَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة ست وستين

وفيها^(١) وثب المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب بالكوفة؛ ليأخذ بثأر الحسين بن علي - فيما يزعم - وأخرج منها عاملها عبد الله بن مطيع؛ وكان سبب ذلك أنه لما رجع أصحاب سليمان بن صرد مغلوبين^(٢) إلى الكوفة، وجدوا المختار بن أبي عبيد الكذاب مسجوناً، فكتب إليهم يُعزيهم^(٣) ويعدّهم ويُنيهم، وما يعدّهم الشيطان^(٤) إلا غروراً، وقال لهم فيما كتب إليهم خيفة^(٥): أبشروا فإنني لو قد خرجت إليكم^(٦) جرّدت فيما بين المشرق والمغرب من أعدائكم السيف، فجعلتهم بإذن الله زكّاماً، وقتلتهم فداً^(٧) وتوأمّاً، فرحب الله بمن قارب منكم^(٨) واهتدى، ولا يُبعد الله إلا من أتى وعصى. فلما وصلهم الكتاب

(١) تاريخ الطبري ٧/٦، والكامل ٢١١/٤، والمنظّم ٥١/٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٥٠.

(٢) في الأصل، ٣١، ٢١، ص: «فعلولين».

(٣) في ص: «يغرمهم». ويعدّه في م، ٣١، ٢١: «في سليمان بن صرد ويقول: أنا عوضه وأنا أقتل قتلة الحسين. فكتب إليه رفاعه بن شداد وهو الذي رجع بمن بقي من جيش التوابين: نحن على ما تحب فشرع المختار». وانظر ما تقدم في ٧٠١/١١، ٧٠٢.

(٤) في الأصل، ص: «الكذاب».

(٥) تاريخ الطبري ٧/٦.

(٦) في م: «إليهم».

(٧) في ٣١: «أقداً»، وفي ٢١، م: «أفراداً».

(٨) في م: «منهم».

قرعوه سرًا وردُّوا إليه : إنا كما نُحِبُّ ، فمتى أَحَبَّبتَ أخرجناكَ مِنْ مَحْبِسِكَ ^(١) .
فكره أن يُخْرِجوه مِنْ مكانه على وجه القهرِ لثوابِ الكوفة ، فتلطَّفَ فكتبَ إلى
زوج أخته صفية - وكانت امرأةً صالحةً - وهو عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ الخطاب ،
يسأله أن يَشْفَعَ في خروجه مِنْ مَحْبِسِهِ عندَ نائبي الكوفة ؛ عبدُ اللَّهِ بنُ يزيد ^(٢) ،
وإبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ طلحة ، فكتبَ ابنُ عمرَ إليهما يَشْفَعُ عندهما فيه ^(٣) فلم
يُمكنهما رده ، وكان فيما كتبَ إليهما ابنُ عمرَ : قد عَلِمْتُما ما بيني وبينكما مِنْ
الوُدِّ ، وما بيني وبينَ المختارِ مِنَ القرابةِ والصُّهرِ ، وأنا أَقسِمُ عليكما لما خَلَيْتُما
سبيلَهُ ، والسلام ^(٤) . فاستدعيا به فضمنه جماعةٌ مِنْ أصحابِهِ ، واستخلفه عبدُ اللَّهِ
ابنُ يزيدَ إن هو بَغَى للمسلمينَ غائلةً فعليه أَلْفُ بدنةٍ يَنْحَرُها تُجاةَ الكعبةِ ، وكلُّ
مملوكٍ له - مِنْ عبدٍ وأمةٍ - حرٌّ ، فالتزمَ لهما بذلك ، ولزمَ منزله ، وجعلَ يقولُ :
قاتلَهما اللَّهُ ، أمَّا حَلِيفِي ^(٥) بِاللَّهِ ، فإنِّي لا أَحْلِفُ على يمينٍ فأرى غيرها خيرًا منها
إلا كَفَرْتُ عن يميني ، وأتيتُ الذي هو خيرٌ ، وأمَّا إهدائي أَلْفَ بدنةٍ فيسيرٌ ، وأمَّا
عَتَقِي مَماليكي فودِدْتُ أَنَّهُ قد اسْتَمَّ لِي هذا الأمرُ ولا أَمْلِكُ مملوكًا واحدًا .

واجتمعَتِ الشيعةُ عليه ، وكثُرَ أصحابُه وبايعوه في السرِّ . وكان الذي يأخذُ
البيعةَ له ويُحَرِّضُ الناسَ عليه خمسةٌ ؛ وهم السائبُ بنُ مالكٍ الأشعرى ، ويزيدُ
ابنُ أنسٍ ، وأحمرُ بنُ شَمِيطٍ ، ورفاعةُ بنُ [٢٩/٧] شَدَّادٍ ، ^(٦) وعبدُ اللَّهِ بنُ
شَدَّادٍ ^(٧) الجُشَمِيُّ . ولم يَزَلْ أمرُهُ يَقْوَى وَيَشْتَدُّ وَيَسْتَفْجِلُ ويرتفعُ ، حتى عزَلَ

(١) في الأصل : « مجلسك » . وفي م : « محبسك » .

(٢) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « الخطمي » .

(٣ - ٣) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٤) في م : « حلفاني » .

(٥ - ٥) سقط من : ص . وانظر تاريخ الطبري ٩/٦ .

عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ عن الكوفةِ عبدُ اللَّهِ بنُ يزيدَ ، وإبراهيمَ بنَ محمدِ بنِ طلحةَ ،
وبعثَ عبدُ اللَّهِ بنَ مُطِيعٍ نائبًا عليها ، وبعثَ الحارثَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ أبي ربيعةَ نائبًا
على البصرة .

فلما دخلَ عبدُ اللَّهِ بنُ مُطِيعٍ الخزومى إلى الكوفةِ ، فى رمضانَ سنةَ خمسٍ
وستينَ ، خطبَ الناسَ ، وقال فى خطبته^(١) : إنَّ أميرَ المؤمنينَ عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ
أمرنى أن أسيرَ فيكم^(٢) بسيرةِ عمرَ بنِ الخطابِ ، وعثمانَ بنِ عفانَ . فقام إليه
السائبُ^(٣) بنُ مالكٍ الأشعرى^(٤) فقال^(٥) : لا نَرْضَى إِلَّا بسيرةِ عليّ بنِ أبي طالبٍ
التي سار بها فى بلادنا ، ولا نريدُ سيرةَ عثمانَ - وتكلّم فيه - ولا سيرةَ عمرَ ،
وإن كان لا يريدُ للناسِ إِلَّا خيرًا . وصدّقه على ما قال بعضُ أمراءِ الشيعةِ ،
فسكّت الأُميرُ وقال : إننى سأسيرُ فيكم بما تُحِبُّونَ مِن ذلك .

وجاء صاحبُ الشُرطةِ ، وهو إياسُ بنُ مُضَارِبِ العِجلى^(٦) إلى ابنِ مُطِيعٍ فقال
له^(٧) : إنَّ هذا الذى ردّ عليك مِن رُءوسِ أصحابِ المختارِ ، ولستُ آمنُ^(٨) المختارَ ،
فابعثْ إليه فاردّده إلى السّجنِ ؛ فإنَّ عيونى قد أخبرونى أنَّ أمره قد استجمَعَ له ،
وكأنّك به وقد وثبَ بالضريرِ . فبعثَ إليه عبدُ اللَّهِ بنُ مُطِيعٍ زائدةَ بنَ قدامةَ ، وأميرًا
آخرَ معه ، فدخلا على المختارِ فقالا له : أجبِ الأُميرَ . فدعا بشيابه وأمر بإسراج

(١) تاريخ الطبرى ١٠/٦ ، ١١ ، والكامل ٢١٢/٤ ، ٢١٣ .

(٢) فى م ، ص : « فى فيكم » .

(٣) فى الأصل : « ثابت » .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « الشيعى » . وفى ٣١ ، ٢١ : « السبيعى » . والمثبت من تاريخ الطبرى ١١/٦ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) فى م : « البجلي » . وانظر تاريخ الطبرى ١٠/٦ .

(٧) الطبرى ١١/٦ .

(٨) بعده فى م : « من » .

دَائِيَّة ، وَتَهِيئاً لِلذَّهَابِ مَعَهُمَا ، فَقَرَأَ زَائِدَةُ بْنُ قُدَامَةَ : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] . فَالْقَى الْمُخْتَارُ نَفْسَهُ وَأَمَرَ بِقَطِيفَةٍ أَنْ تُثَلَّقَى عَلَيْهِ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ مَرِيضٌ ، وَقَالَ : أَخْبِرَا الْأَمِيرَ بِحَالِي ، فَرَجَعَا إِلَى ابْنِ مُطِيعٍ فَاعْتَذَرَا عَنْهُ ، فَصَدَّقَهُمَا وَلَهَا عَنْهُ .

فَلَمَّا كَانَ الْحَزْمُ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ عَزَمَ الْمُخْتَارُ عَلَى الْخُرُوجِ لَطَلِبِ ثَارٍ ^(١) الْحُسَيْنِ ، فِيمَا يَزْعُمُ . فَلَمَّا صَمَّم ^(٢) عَلَى ذَلِكَ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ ^(٣) الشَّيْعَةُ وَثَبُّطَوْهُ عَنِ الْخُرُوجِ الْآنَ إِلَى وَقَيْتٍ آخَرَ ، ثُمَّ أَنْفَذُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ إِلَى مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَمْرِ الْمُخْتَارِ وَمَا دَعَاهُمْ ^(٤) إِلَيْهِ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا بِهِ كَانَ مُلَخَّصُ مَا قَالَ لَهُمْ ^(٥) : إِنَّا لَا نَكَرُهُ أَنْ يَنْصُرَنَا اللَّهُ بِمَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ . وَقَدْ كَانَ الْمُخْتَارُ بَلَغَهُ مَخْرَجُهُمْ إِلَى مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ ، ^(٦) فَكَرِهَ ذَلِكَ ، وَخَشِيَ أَنْ يُكَذِّبَهُ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِإِذْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ ^(٦) ، وَهَمَّ بِالْخُرُوجِ قَبْلَ رَجُوعِ أَوْلَاكَ ، وَجَعَلَ يَسْجَعُ لَهُمْ سَجْعًا مِنْ سَجْعِ الْكُفَّانِ بِذَلِكَ ، ثُمَّ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا سَجَعَ بِهِ . فَلَمَّا رَجَعُوا أَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَوِيَ عَزْمُ ^(٧) الشَّيْعَةِ عَلَى الْخُرُوجِ [٣٠/٧] مَعَ الْمُخْتَارِ ابْنِ أَبِي عُبَيْدٍ .

وَقَدْ رَوَى أَبُو مِخْنَفٍ ^(٨) أَنَّ أَمْرَاءَ الشَّيْعَةِ قَالُوا لِلْمُخْتَارِ : اْعْلَمْ أَنَّ جَمِيعَ أَمْرَاءِ

(١) فِي ٣١ ، ٢١ ، م : « الْأَخْذُ بِثَارٍ » .

(٢) فِي ص : « حَثَمَ » .

(٣) فِي الْأَصْل ، ص : « إِلَيْهِ » .

(٤) فِي ٣١ ، ٢١ ، م : « دَعَا » .

(٥) انظر : تاريخ الطبري ١٢/٦ - ١٥ ، وَالْكَامِل ٢١٤/٤ ، ٢١٥ .

(٦) ٦ - ٢١ سَقَطَ مِنْ : الْأَصْل ، ٣١ ، ٢١ .

(٧) فِي ٣١ ، ٢١ ، م : « أَمَرَ » .

(٨) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ ١٥/٦ مِنْ طَرِيقِ أَبِي مِخْنَفٍ بَنَحْوِهِ ، وَانْظُرِ الْكَامِل ٢١٥/٤ ، ٢١٦ .

الكَوْفَةِ مع عبدِ اللَّهِ بنِ مُطِيعٍ وَهم أَلْبٌ^(١) عَلَيْنَا ، وَلأنَّه إِنْ بايَعَكَ إِبْرَاهِيمُ بنُ الْأَشْثَرِ
التَّخَعَّى وَحدَه أَغْنَانَا عن جميعِ مَنْ سِوَاهُ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُخْتَارُ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ
يَدْعُونَهُ إِلَى الدُّخُولِ مَعَهُمْ فِي الْأَخْذِ بِثَأْرِ الْحُسَيْنِ ، وَذَكَرُوهُ سَابِقَةً أَيْمَهُ معِ عَلِيٍّ ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : قَدْ أَجَبْتُكُمْ إِلَى مَا سَأَلْتُمْ ، عَلَى أَنْ أَكُونَ أَنَا وَلِيُّ أَمْرِكُمْ .
فَقَالُوا : إِنَّ هَذَا لَا يُمَكِّنُ ؛ لِأَنَّ الْمُهْدِيَّ قَدْ بَعَثَ الْمُخْتَارَ إِلَيْنَا وَزِيْرًا لَهُ وَدَاعِيًا إِلَيْهِ .
فَسَكَتَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ بنُ الْأَشْثَرِ ، فَرَجَعُوا إِلَى الْمُخْتَارِ فَأَخْبَرُوهُ ، فَمَكَثَ ثَلَاثًا ثُمَّ
خَرَجَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ رَعُوسِ أَصْحَابِهِ إِلَيْهِ ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنِ الْأَشْثَرِ فَقَامَ لَهُ وَاحْتَرَمَهُ
وَأَكْرَمَهُ وَجَلَسَ إِلَيْهِ ، فَدَعَاهُ الْمُخْتَارُ إِلَى الدُّخُولِ مَعَهُمْ ، وَأَخْرَجَ لَهُ كِتَابًا عَلَى لِسَانِ
ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ يَدْعُوهُ إِلَى الدُّخُولِ مَعَ أَصْحَابِهِ مِنَ الشَّيْعَةِ ، فِيمَا قَامُوا فِيهِ مِنْ نُصْرَةٍ
أَلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَالْأَخْذِ^(٢) بِثَأْرِ الْحُسَيْنِ^(٣) . فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بنُ الْأَشْثَرِ : إِنَّهُ قَدْ
جَاءَتْنِي كُتُبُ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ بِغَيْرِ هَذَا النِّظَامِ . فَقَالَ الْمُخْتَارُ : إِنَّ هَذَا زَمَانٌ
وَذَاكَ زَمَانٌ . فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بنُ الْأَشْثَرِ : فَمَنْ يَشْهَدُ أَنَّ هَذَا كِتَابُهُ . فَتَقَدَّمَ جَمَاعَةٌ
مِنْ أَصْحَابِ الْمُخْتَارِ فَشَهِدُوا بِذَلِكَ . فَقَامَ ابْنُ الْأَشْثَرِ مِنْ مَجْلِسِهِ وَأَجْلَسَ الْمُخْتَارُ
فِيهِ وَبَايَعَهُ ، وَدَعَا لَهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَشَرَابٍ مِنْ عَسَلٍ .

قال الشعبي^(٣) -^(٤) « وَكَانَ حَاضِرًا ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ هُوَ وَأَبُوهُ » : فَلَمَّا انصَرَفَ
الْمُخْتَارُ ، قَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ بنُ الْأَشْثَرِ : يَا شَعْبِي ، وَمَاذَا تَرَى فِيمَا شَهِدَ بِهِ هَؤُلَاءِ ؟
فَقُلْتُ : إِنَّهُمْ قَرَاءٌ وَأَمْرَاءٌ وَوُجُوهُ النَّاسِ ، وَلَا أَرَاهُمْ يَشْهَدُونَ إِلَّا بِمَا يَعْلَمُونَ . قَالَ :

(١) الألب ، والإلب : القوم يجتمعون على عداوة إنسان .

(٢ - ٢) في ٣١ ، ٢١ ، م : « بِثَأْرِهِمْ » .

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه ١٧/٦ من طريق الشعبي بنحوه .

(٤ - ٤) في م : « وَكُنْتُ حَاضِرًا أَنَا وَأَبِي أَمْرَ إِبْرَاهِيمَ بنِ الْأَشْثَرِ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ » .

وكنتمه ما فى نفسى من اتهايمهم ، ولكنى كنتُ أُحِبُّ أن يخرجوا للأخذِ بثأرِ
الحُسَيْنِ ، وكنْتُ على رأيِ القومِ .

ثم جعل إبراهيم^(١) يختلِفُ إلى المختارِ فى منزله هو ومن أطاعه من قومه ، ثم
اتَّفَقَ رأى الشيعة على أن يكونَ خروجُهم ليلةَ الخميسِ لأربعِ عشرةَ ليلةً خلت
"من ربيعِ الأولِ"^(٢) من هذه السنة ؛ سنةِ سِتٍّ وستينَ .

وقد بلغ ابنُ مُطِيعِ أمرِ القومِ وما اشتوروا عليه ، فبعثَ الشرطَ فى كلِّ جانبٍ
من جوانبِ الكوفةِ ، وألزمَ كلَّ أميرٍ بحفظِ ناحيته من أن يخرجَ منها أحدٌ ، فلَمَّا
كان ليلةَ الثلاثاءِ خرجَ إبراهيمُ بنُ الأشترِ قاصداً إلى دارِ المختارِ فى مائةِ رجلٍ من
قومه ، وعليهم الدروعُ تحتَ الأقبيةِ [٣٠ / ٧] فلقىهِ إياسُ بنُ مضاربٍ فقال له^(٣) :
أين تريدُ يا ابنَ الأشترِ فى هذه الساعةِ ؟ إنَّ أمركَ لمُريبٌ ، فواللهِ لا أدْعُكَ حتى
أحضركَ إلى الأميرِ فيرى فيكَ رأيَه . فتناولَ إبراهيمُ بنُ الأشترِ رُمحاً من يدِ رجلٍ
فطعنه به فى ثُغرةِ نَحْرِهِ ، فسقطَ ، وأمرَ رجلاً فاحتزَّ رأسَه ، وذهبَ به إلى المختارِ
فألقاه بينَ يديه ، فقال له المختارُ : بَشْرَكَ اللهُ بخيرٍ ، فهذا طائرٌ صالحٌ . ثم طلبَ
إبراهيمُ من المختارِ أن يخرجَ فى هذه الليلةِ ، فأمرَ المختارُ بالنارِ أن تُرْفَعَ ، وأن يُنادى
بشعارِ أصحابِه : يا منصورُ أميتُ ، يا ثاراتِ الحُسَيْنِ . ثم نهَضَ المختارُ فجعلَ يلبسُ
درعَه وسلاحَه وهو يقولُ^(٤) :

(١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢ - ٢) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م . وانظر تاريخ الطبرى ١٨ / ٦ .

(٣) تاريخ الطبرى ١٩ / ٦ ، ٢٠ .

(٤) تاريخ الطبرى ٢٠ / ٦ .

قَدْ عَلِمْتُ يَيْضَاءُ حَسَنَاءُ الطَّلَلْ

وَاضِحَةُ الْحَدَّيْنِ عَجَزَاءُ الْكَفَلْ

أَنْى غَدَاةَ الرُّوْعِ مِقْدَامَ بَطَلْ

وخرج بين يديه إبراهيم بن الأستر، فجعل يتقصّد الأمراء الموكّلين بنواحي البلد؛ فيطردهم عن أماكنهم واحدًا واحدًا، ويُنادى بشعار المختار. وبعث المختار أبا عثمان النهديّ فنادى بشعار المختار: يا ثاراتِ الحسين. فاجتمع الناس إليه من هلهنا وهلهنا، وجاء سُبْتُ^(١) بن ربِعيّ فاقتتل هو والمختار عند داره وحصره حتى جاء إبراهيم بن الأستر فطرده عنه.

فرجع سُبْتُ إلى ابنِ مُطيع، وأشار عليه بأن يجمع الأمراء إليه، وأن ينهض بنفسه؛ فإنَّ أمر المختار قد قوَّى واستفحل، وجاءت الشيعة من كلِّ فجٍّ عميقٍ إلى المختار، فاجتمع إليه في أثناء الليل قريب من أربعة آلاف، فأصبح وقد عبى جيشه وصلى بهم الصبح، فقرأ فيها: ﴿وَاللَّزِزَتِ غَرْقًا﴾^(٢) و﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾^(٣) في الثانية. قال بعض من سَمِعَهُ^(٤): فما سمِعْتُ إمامًا أفصح لهجة منه. وقد جهّز ابنُ مُطيع جيشًا؛ ثلاثة آلاف عليهم سُبْتُ بن ربِعيّ، وأربعة آلاف أخرى مع راشد بن إياس بن مُضارب، فوجّه المختار إبراهيم بن الأستر في ستمائة فارس وستمائة راجل إلى راشد بن إياس، وبعث نُعَيْم بن هُبَيْرَة في ثلاثمائة فارس وستمائة راجل إلى سُبْتُ بن ربِعيّ. فأما إبراهيم بن الأستر فإنه هزم قرنه راشد

(١) في الأصل، ٢١: «شبت». وكذا فيما يأتي من مواضع. وانظر تاريخ الطبري ٦/ ٢٠، وتهذيب الكمال ١٢/ ٣٥١.

(٢) أي: سورة النازعات.

(٣) أي: سورة عبس.

(٤) تاريخ الطبري ٦/ ٢٣.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ص.

ابن إياس ، وقتله وأرسل إلى المختار يُبشّره ، وأما نعيم بن هُبيرة فإنه لقي شُبث بن رُبَيعٍ فهزّمه شُبث بن رُبَيعٍ وقتله ، وجاء فأحاط بالمختار بن أبي عبيد وحصره ، وأقبل إبراهيم بن الأَشتر^(١) نحو المختار بن أبي عبيد^(٢) ، فاعترض له حسان بن فائد العبسي^(٣) في نحو من ألفي فارس من جهة ابن مُطيع ، فاقتتلوا ساعة ، فهزّمه إبراهيم ، ثم أقبل نحو المختار ، فوجد شُبث بن رُبَيعٍ قد حصر [٣١/٧] المختار وجيشه ، فما زال حتى طردهم عنه^(٤) وكثروا راجعين . وخلّص إبراهيم إلى المختار ، وارتحلوا من مكائهم ذلك إلى غيره في ظاهر الكوفة ، فقال له إبراهيم بن الأَشتر : اعمد بنا إلى قصر الإمارة ؛ فليس دونه أحد^(٥) يرُدُّ عنه . فوضّعوا ما معهم من الأثقال ، وأجلسوا هنالك ضِعْفَةَ المشايخ والرجال .

واستخلف المختار^(٦) على من هنالك أبا عثمان التَّهْدِيّ ، وبعث بين يديه إبراهيم بن الأَشتر ، وعبأ المختار جيشه كما كان ، وسار نحو القصر ، فبعث ابن مُطيع عمرو بن الحجاج في ألفي رجل ، فبعث إليه المختار يزيد بن أنس ، وسار هو وابن الأَشتر أمامه حتى دخل الكوفة من باب الكُنَاسَةِ^(٧) ، وأرسل ابن مُطيع شِمَرَ ابن ذى الجوشن -^(٨) الذي قتل الحسين^(٩) - في ألفين آخرين ، فبعث إليه المختار سعيد^(١٠) بن مُنْقِذِ الهَمْدَانِيّ^(١١) ، وسار المختار حتى انتهى إلى سِكَّةِ شُبث ، وإذا

(١ - ١) في ٣١، ٢١، م : «نحوه» .

(٢) في ٣١، ٢١، م : «بن العباس» . انظر تاريخ الطبري ٢٧/٦ .

(٣) سقط من : م ، ص .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥) سقط من : م .

(٦) في ٣١ : «الكناسة» . والكناسة : محلة بالكوفة . معجم البلدان ٣٠٧/٤ .

(٧ - ٧) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٨) في النسخ : «سعد» . والمثبت من تاريخ الطبري ٢٩/٦ .

(٩) في الأصل ، ٣١، م ، ص : «الهمداني» . وانظر تاريخ الطبري ٢٩/٦ .

نُؤْفَلُ بْنُ مُسَاحِقِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَخْرَمَةَ فِي خَمْسَةِ آلَافٍ ، وَخَرَجَ ابْنُ مُطِيعٍ مِنَ الْقَصْرِ فِي النَّاسِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهِ شَبْتُ بْنُ رَبِيعٍ ، فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ إِلَى الْجَيْشِ الَّذِي مَعَ نُؤْفَلِ بْنِ مُسَاحِقٍ . فَهَزَمَهُمْ ، وَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّةِ ابْنِ مُسَاحِقٍ ^(١) فَمَتَّ إِلَيْهِ بِالْقِرَابَةِ ، فَأَطْلَقَهُ ، فَكَانَ لَا يَنْسَاهَا بَعْدُ لِابْنِ الْأَشْتَرِ .

ثُمَّ تَقَدَّمَ الْمُخْتَارُ بِجَيْشِهِ إِلَى الْكُنَاسَةِ وَحَصَرُوا ابْنَ مُطِيعٍ بِقَصْرِهِ ثَلَاثًا ، وَمَعَهُ أَشْرَافُ النَّاسِ سِوَى عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ ، فَإِنَّهُ لَزِمَ دَارَهُ ، فَلَمَّا ضَاقَ الْحَالُ عَلَى ابْنِ مُطِيعٍ وَأَصْحَابِهِ اسْتَشَارَهُمْ فَأَشَارَ عَلَيْهِ شَبْتُ بْنُ رَبِيعٍ أَنْ يَأْخُذَ لَهُ وَلَهُمْ مِنَ الْمُخْتَارِ أَمَانًا ، فَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ هَذَا وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَطَاغٌ بِالْحِجَازِ وَبِالْبَصْرَةِ . فَقَالَ لَهُ : فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَذْهَبَ بِنَفْسِكَ مَخْتَفِيًا حَتَّى تَلْحَقَ بِصَاحِبِكَ فَتُخْبِرَهُ بِمَا كَانَ مِنَ الْأَمْرِ ، وَبِمَا كَانَ مَتًا فِي نَصْرِهِ وَإِقَامَةِ دَوْلَتِهِ . فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ خَرَجَ ابْنُ مُطِيعٍ مَخْتَفِيًا حَتَّى دَخَلَ دَارَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ أَخَذَ الْأَمْرَاءُ لَهُمْ أَمَانًا مِنْ أَمِيرِهِمْ ابْنِ الْأَشْتَرِ فَأَمَّنَهُمْ ، فَخَرَجُوا مِنَ الْقَصْرِ وَجَاءُوا إِلَى الْمُخْتَارِ فَبَايَعُوهُ . وَجَاءَ الْمُخْتَارُ فَدَخَلَ الْقَصْرَ فَبَاتَ فِيهِ ، وَأَصْبَحَ أَشْرَافُ النَّاسِ فِي الْمَسْجِدِ وَعَلَى بَابِ الْقَصْرِ ، فَخَرَجَ الْمُخْتَارُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ فَخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَةً بَلِيغَةً ، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ وَقَالَ ^(٢) : فَوَالَّذِي جَعَلَ السَّمَاءَ سَقْفًا مَكْفُوفًا وَالْأَرْضَ فِجَاجًا سُبُلًا ، مَا بَايَعْتُمْ بَعْدَ بَيْعَةِ عَلِيِّ أَهْدَى مِنْهَا . ثُمَّ نَزَلَ فَدَخَلَ وَدَخَلَ النَّاسُ يُبَايِعُونَهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، وَالطَّلَبِ بِثَأْرِ ^(٣) الْحُسَيْنِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ ، وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْمُخْتَارِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ ابْنَ مُطِيعٍ فِي دَارِ [٣١ / ٧] أَبِي مُوسَى ،

(١) بعده في ٣١، ٢١، م : « فكان بينهم قتال شديد قتل فيه رفاعه بن شداد أمير جيش التوابين الذين قدم بهم عبد الله بن سعد بن قيس وجماعة غيرهم ، ثم انتصر عليهم ابن الأشتر » .

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٣٢ .

(٣ - ٣) سقط من : ٣١، ٢١، م :

فَأَرَاهُ أَنَّهُ لَا يَسْمَعُ قَوْلَهُ، ^(١) «حَتَّى كَثُرَ» ذَلِكَ ثَلَاثًا ^(٢) «كُلَّ ذَلِكَ يُرِيهِ أَنَّهُ لَا يَسْمَعُ قَوْلَهُ» ^(٣). فَسَكَتَ الرَّجُلُ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ بَعَثَ الْمُخْتَارُ إِلَى ابْنِ مُطِيعٍ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ فَقَدْ أُخْبِرْتُ ^(٤) بِمَكَانِكَ - وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا قَبْلَ ذَلِكَ - فَذَهَبَ ابْنُ مُطِيعٍ إِلَى الْبَصْرَةِ وَكَرِهَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ مَغْلُوبٌ ^(٥). وَشَرَعَ الْمُخْتَارُ يَتَحَبَّبُ إِلَى النَّاسِ بِحُسْنِ السَّيْرِ. وَوَجَدَ فِي بَيْتِ الْمَالِ تِسْعَةَ أَلْفِ أَلْفٍ، فَأَعْطَى الْجَيْشَ الَّذِينَ حَضَرُوا مَعَهُ الْقِتَالَ نَفَقَاتٍ كَثِيرَةً. وَاسْتَعْمَلَ عَلَى شُرَاطِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَامِلٍ الشَّاكِرِيُّ ^(٦)، وَقَرَّبَ أَشْرَافَ النَّاسِ فَكَانُوا مُجْلَسَاءَهُ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمَوَالِي الَّذِينَ قَامُوا بِنَصْرِهِ، وَقَالُوا لِأَبْنَى عَمْرَةَ كَيْسَانَ مَوْلَى عُزَيْنَةَ ^(٧)، وَكَانَ عَلَى حَرَسِهِ: قَدَمٌ وَاللَّهُ أَبُو إِسْحَاقَ الْعَرَبِ وَتَرَكَنَا. فَأَنْهَى ذَلِكَ أَبُو عَمْرَةَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: بَلْ هُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ. ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّا مِنْ أَلْمَجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]. فَقَالَ لَهُمْ أَبُو عَمْرَةَ: أَبْشِرُوا فَإِنَّهُ سَيَقْتُلُهُمْ ^(٨) وَيَقْرُبُكُمْ. فَأَعْجَبَهُمْ ذَلِكَ وَسَكَتُوا.

ثُمَّ إِنَّ الْمُخْتَارَ بَعَثَ الْأَمْرَاءَ إِلَى النُّوَاحِي وَالْبُلْدَانِ ^(٩) وَالْأَقَالِيمِ ^(١٠) وَالرَّسَاتِيقِ، مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ، وَعَقَدَ الْأُلُويَّةَ وَالرَّايَاتِ. وَقَرَّرَ الْإِمَارَةَ وَالْوَلَايَاتِ، وَجَعَلَ يَجْلِسُ لِلنَّاسِ غُدُوءَ وَعَشِيَّةَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ اسْتَقْضَى شُرَيْحًا

(١ - ١) فِي م: «فَكَرَّرَ».

(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ: ٣١، ٢١، م.

(٣) فِي م: «أَخَذَتْ».

(٤) فِي الْأَصْلِ، ٣١، ٢١، ص: «مَغْلُول».

(٥) فِي النُّسخِ: «الْيَشْكُرِي». وَالثَّبِتُ مِنْ تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ٦/٣٣، وَالْكَامِلُ ٤/٢٧٧.

(٦) فِي م: «غَزِينَةُ». وَانْظُرْ تَارِيخَ الطَّبَرِيِّ ٦/٣٣.

(٧) فِي ٣١، ٢١، م: «سَيَدْنِيكُم».

(٨ - ٨) سَقَطَ مِنْ: ٣١، ٢١، م.

فتكلّم في شُريح طائفةٍ مِنَ الشيعةِ ، وقالوا : إِنَّه شَهِدَ عَلَى ^(١) حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ ، وإنّه لم يُبلِّغْ عن هَانئِ بْنِ عُزْوةَ ما ^(٢) أُرسله به ، وقد كان عليُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عزّله عن القضاء . فلمّا بَلَغَ شُريحًا ذلك تمارَضَ ولَزِمَ بيته ، فجعلَ المختارُ مكانه عبدَ اللَّهِ بْنَ عُثْبَةَ بْنَ مسعودٍ ، ثم عزّله وجعلَ مكانه عبدَ اللَّهِ بْنَ مالِكِ الطَّائِي قاضيًا .

فصل

ثم شرعَ المختارُ يَسْتَبِيعُ قَتْلَةَ الحسينِ مِن شَريفٍ ووضيعٍ فيقتله ، وكان سببَ ذلك أَنَّ عبيدَ اللَّهِ بْنَ زيادٍ كان قد جَهَّزَه مَزْوانُ بْنُ الحَكَمِ مِن دمشقَ ليدخُلَ الكوفةَ ، فَإِنْ هو ظَفِرَ بها فليُبيحها ثلاثةَ أَيامٍ ، ^(٣) وجَعَلَ له ما غَلَبَ عليه مِنَ البلادِ ^(٤) ، فسار ابنُ زيادٍ قاصدًا الكوفةَ فلقى جيشَ التَّوَّالِينِ ^(٥) بعَيْنِ الوَرْدَةِ - كما ذَكَرْنَا - ثم سارَ ^(٦) حتى انتهَى إلى الجزيرةِ فوجدَ بها قيسَ عَيْلانَ ^(٧) ، وهو مِن أنصارِ ابنِ الزبيرِ ، وقد كان مَزْوانُ أصابَ منهم قتلَى كثيرةَ يومَ مَرَجِ رَاهِطٍ ، وهم أَلْبَ عليه ، وعلى ابنه عبدُ الملكِ مِن بعده ، فتعَوَّقَ عن المسيرِ سنةً وهو محاصرٌ ^(٨) قيسَ عَيْلانَ ^(٩) بالجزيرةِ ، ثم وَصَلَ إلى الموصلِ ، فانحازَ نائِبُها عنه إلى تُكْرِيتَ ، وكتبَ

(١) سقط من : م .

(٢) في م : « كما » .

(٣ - ٤) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٣٨ / ٦ .

(٤ - ٥) في ٣١ ، ٢١ ، م : « فكان من أمرهم ما تقدم ثم سار من عين وردة » .

(٥) في الأصل ، ص : « بن عيلان » . وفي ٣١ ، ٢١ ، م : « غيلان » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٣٨ / ٦ ، والكمال ٢٢٨ / ٤ .

(٦) في م : « في حرب » .

(٧) في النسخ : « غيلان » .

إلى المختارِ يَعْلَمُهُ بذلك ، فَنَدَبَ المختارُ يزيدَ بنَ [٣٢/٧] أنسٍ في ثلاثة آلاف اختارها ، وقال له : إنني سأُمدُّك بالرجالِ بعدَ الرجالِ . فقال له : لا تُمدِّني إلَّا بالدعاءِ . وخرَجَ معه المختارُ إلى ظاهرِ الكوفةِ فودَّعه ودعا له ، وقال له : ليكنْ خبرُكَ في كلِّ يومٍ عندي ، وإذا لقيتَ عدوكَ فناجزهم^(١) ، ولا تؤخِّرْ فرصةً .

ولمَّا بَلَغَ خبرُ مخرجِهِم مِنَ الكوفةِ عبيدَ اللَّهِ بنَ زيادٍ جهَّزَ بينَ يديه سَرِيَّتَيْنِ ؛ إحداهما مع ربيعةَ بنِ مُخارقٍ ثلاثة آلاف ، والأخرى مع عبدِ اللَّهِ بنِ حَمَلَةَ ثلاثة آلاف ، وقال : أيُّكم سَبَقَ فهو الأميرُ ، وإن سَبَقْتُمَا معًا فالأميرُ^(٢) على الناسِ^(٣) أسْتُكُما . فسَبَقَ ربيعةُ بنُ مُخارقٍ إلى يزيدَ بنِ أنسٍ فالتقيا في طَرَفِ أرضِ المُوَصِّلِ ممَّا يلي الكوفةَ ، فتوافقا هنالك ، ويزيدُ بنُ أنسٍ مريضٌ مُدْنَفٌ ، وهو مع ذلك يُحَرِّضُ قومه على الجهادِ ويدورُ على الأرباعِ وهو محمولٌ مضنًى^(٤) راکبٌ على حميرٍ ، وهو يقولُ لقومه : يا شُرْطَةُ اللَّهِ ، اصبروا تُؤَجِّروا ، وقَاتِلُوا عدوَّكم تَظْفَرُوا ، ثم نَزَلَ فَوَضِعَ له سريزُه بينَ الصَّفَيْنِ ، وقال لقومه : قَاتِلُوا عن أميرِكم إن شِئْتُمْ أو فِرُّوا عنه^(٥) . وقال للناسِ : إن هَلَكْتُ فالأميرُ على الناسِ عبدُ اللَّهِ بنُ ضَمْرَةَ العُدْرِيُّ^(٦) رأسُ^(٧) الميمنة ، فإن هَلَكَ^(٨) فَيَسْعُرُ بنُ أبي سَعْرٍ^(٩) رأسُ الميسرة . وكان وَرَقَاءُ بنُ عازِبٍ^(١٠) الأسدِيُّ على الخيلِ ، وهو وهؤلاء ، الثلاثةُ أمراءُ

(١) في م : « فناجزك فناجزه » .

(٢ - ٣) في ٣١ ، ٢١ ، م : « عليكم » .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل . وانظر تاريخ الطبري ٤١ / ٦ .

(٤) في ٣١ ، ٢١ ، م : « الفزاري » . وانظر تاريخ الطبري ٤١ / ٦ .

(٥) في ٣١ ، ٢١ ، م : « وهو رأس » .

(٦ - ٦) في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « فمسعر بن أبي مسعر » . وانظر تاريخ الطبري ٤١ / ٦ .

(٧) في الأصل ، ص : « عامر » . وفي ٣١ ، ٢١ ، م : « خالد » . والمثبت من تاريخ الطبري ٤١ / ٦ .

الأربعاء، وكان ذلك في يوم عرفة من سنة ست وستين عند إضاءة الصبح، فاقْتَتَلُوا هم والشاميون قتالاً شديداً، واضطربت كل من الميمتتين والميسرتين، ثم حمل وِزْقَاءُ على الخيل فهزَمَها، وفرَّ الشاميون وقُتِلَ أميرهم ربيعة بن مخارق، واحتارَ جيشُ المختار ما في عسكرهم^(١)، ورجع فُزَارُهُم فَلَقُوا الأميرَ الآخرَ عبدَ اللَّهِ بنَ حَمَلَةَ، فقال: ما خبركم؟ فأخبروه، فرجع بهم معه وسار بهم نحو يزيد ابن أنس، فانتَهَى إليهم عِشَاءً، فبات الناس مُتَحَاجِزِينَ، فلَمَّا أَصْبَحُوا تَوَاقَفُوا على تَبَعَتِهِمْ، وذلك يومَ الأضحى من سنة ست وستين، فاقْتَتَلُوا قتالاً شديداً، فهزَمَ جيشُ المختارِ جيشَ الشاميين أيضاً، وقتلوا أميرهم عبدَ اللَّهِ بنَ حَمَلَةَ، واحتوَزُوا على ما في معسكرهم، وأسروا منهم ثلاثمائة أسير، فجاءوا بهم إلى يزيد بن أنس وهو على آخر رمق، فأمر بضرب أعناقهم.

ومات يزيد بن أنس من يومه ذلك، وصلى عليه خليفته ورقاء بن عامر ودفنه، وسقط في أيدي أصحابه وجعلوا يتسلَّلون راجعين إلى الكوفة، فقال لهم ورقاء: يا قوم ماذا تَرَوْنَ؟ إنَّه قد بَلَغَنِي أَنَّ ابنَ زيادٍ قد أَقْبَلَ في ثمانين ألفاً من الشام، ولا أَرَى لكم بهم طاقةً، وقد هَلَكَ [٣٢/٧] أميرنا وتفرَّق عنا طائفة من الجيش من أصحابنا، فلو انصرفنا راجعين إلى بلادنا ونُظْهِرُ أَنَّا إِنَّمَا انصرفنا حَزَنًا مِنَّا على أميرنا، لكان خيراً لنا من أن نَلْقَاهُمْ فيهِزِمُونَا ونرجع مغلوبين. فاتفق رأي الأمراء على ذلك، فرجعوا إلى الكوفة.

فلَمَّا بَلَغَ خبرُهم أهلَ الكوفة^(٢) وأنَّهم قد كَثُرُوا راجعين، وبلغهم^(٣) أَنَّ يزيد بن أنس قد هَلَكَ، أَرْجَفَ أهلُ الكوفةِ بالمختارِ وقالوا: قُتِلَ يزيد بن أنس في المعركة

(١) في ٣١، ٢١، م: «معسكر الشاميين».

(٢ - ٣) سقط من: ٣١، ٢١، م.

وانهزم جيشه، وعمّا قليل يقدّم عليكم عبيدُ الله بنُ زيادٍ فيستأصلُكم ويشتفّ
خَضَراءكم. ثم تمالّوا على الخروج على المختار^(١) وقالوا: هو كذابٌ، واتفقوا
على حربه^(٢) وقتاله وإخراجه من بين أظهرهم، وقالوا: هو كذابٌ قد قدّم موالينا
على أشرافنا، وزعم أن محمّد ابنَ الحنفية قد أمره بالأخذ بثأر الحسين، وهو لم
يأمره بشيء، وإنما هو مُتَقَوِّلٌ عليه. وانتظروا بخروجهم عليه أن يخرج من الكوفة
إبراهيم بنُ الأشتر فإنه قد عيّنه المختار أن يخرج في سبعة آلاف للقائه ابنَ زياد^(٣)،
فلما خرج إبراهيم بنُ الأشتر اجتمع أشرافُ الناس من كان في جيش قتلة الحسين
وغيرهم في دارِ شَبَث بنِ ربعي، وأجمعوا أمرهم على قتال المختار، ثم وثبوا
فركبَتْ كُلُّ قبيلةٍ مع أميرها في ناحية من نواحي الكوفة، وقصدوا قصر الإمارة،
وبعث المختار عمرو بنَ توبة^(٤) يريدًا إلى إبراهيم بنِ الأشتر ليرجع إليه سريعًا،
وبعث المختار إلى أولئك يقول لهم: ماذا تنعمون؟ فإنّي أجيئكم إلى جميع ما
تطلبون. وإنما يريد أن يثبّطهم عن مناهضته حتى يقدّم إبراهيم بنُ الأشتر، وقال:
إن كنتم لا تُصدّقوني في أمر محمد ابنِ الحنفية فابعثوا من جهتيكم وأبعث من
جهتي من يسأله عن ذلك. ولم يزل يطاولهم حتى قديم إبراهيم بنُ الأشتر بعد
ثلاث، فانقسم هو والناس فرقتين، فتكفل المختار بأهل اليمن، وتكفل إبراهيم بنُ

(١ - ١) زيادة من: م.

(٢) بعده في الأصل: «وقال له سر حتى تلقى جيش ابن أنس فردهم معك وسر بهم حتى تلقى عدوك
عبيد الله بن زياد فناجزه فخرج بن الأشتر بمجموعه فلما بلغ ساباط جاءه كتاب المختار يأمره بالرجوع
فرجع وكان المختار قد حصن قصر الإمارة واستعد للقتال وخرج أولئك الذين اتفقوا على قتاله فمكروا
بجبانة السبيع وهم شُبث بن ربعي وشمر بن ذى جوشن ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن
قيس وكعب الخثعمي وزحر بن قيس الجعفي وإسحاق بن محمد بن الأشعث وبشر بن جرير وحجار بن
أبجر وعمرو بن الحجاج الزبيدي وغيرهم».

(٣) في الأصل، ص: «توبة»، وفي ص: «بويه». وانظر تاريخ الطبري ٤٦/٦.

الأشتر بمُضَرَّ^(١) وعليهم شَبَثُ بَنِ رَبِيعٍ ، وكان ذلك بإشارة [٣٣/٧] المختار ، حتى لا يتولَّى ابنُ الأشتر النَّخَعِيَّ قتالَ^(٢) قومه من أهلِ اليمنِ فيحْنُو عليهم ، وكان المختارُ شديدًا عليهم .

ثم اقتتل الناسُ فى نواحي الكوفة قتالًا عظيمًا ، وكثرت القتلى بينهم من الفريقين ، وجرت فصولٌ وأحوالٌ حربيةٌ يطولُ استقصاؤها ، وقُتِلَ جماعةٌ من الأشرافِ ؛ منهم عبدُ الرحمنِ بنُ سعيدِ بنِ قيسِ الكندى^(٣) ، وسبعُمائةٍ وثمانون رجلًا من قومه ، وقُتِلَ من مُضَرَّ بضعةَ عَشَرَ رجلًا ، ويُعرفُ هذا اليومُ بجَبَاتِيةِ الشَّيْبِ . وكان ذلك يومَ الأربعاءِ لستَ بَقيِن من ذى الحِجَّةِ سنةً ستَّ وستينَ ، ثم كانتِ النَّصْرَةُ للمختارِ عليهم ، وأسَر منهم خمسمائةً أسير ، فَعَرَضُوا على المختارِ فقال : انظروا مَنْ كان منهم شَهِيدٌ مَقْتَلُ الحُسَيْنِ فاقتلوه . فقتلَ منهم مائتان وأربعون رجلًا ، وقتل أصحابه منهم مَنْ كان يُؤْذِيهم ويُسِيءُ إليهم بغيرِ أمرِ المختارِ ، ثم أطلقَ الباقين ، وهَرَبَ عمرو بنُ الحجاجِ الزُّبَيْدِيُّ ، وكان مِّن شَهِيدِ قتلِ الحُسَيْنِ فلا يُدرى أين ذهبَ من الأرضِ .

ذكرُ مَقْتَلِ شَمْرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ ،

أميرِ السَّرِيَّةِ التى قَتَلَتْ حُسَيْنًا

وهَرَبَ أشرافُ الكوفةِ إلى البصرةِ إلى مصعبِ بنِ الزبيرِ . وكان مِّن هَرَبِ

(١) فى ٣١ ، ٢١ ، ص : « بمصر » . وانظر تاريخ الطبرى ٤٧/٦ .

(٢) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٣) فى تاريخ الطبرى ٥٦/٦ : « الهمدانى » .

لقصده شَمِيرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ - قَبَّحَهُ اللَّهُ - فَبَعَثَ الْمُخْتَارُ^(١) فِي أَثَرِهِ غُلَامًا لَهُ يُقَالُ لَهُ: زَرْبِيُّ^(٢). فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ شَمِيرٌ لِأَصْحَابِهِ: تَقَدَّمُوا وَذَرُونِي وَرَاءَكُمْ بِصَفَةِ أَنْكُمْ قَدْ هَرَبْتُمْ^(٣) وَتَرَكْتُمُونِي حَتَّى يَطْمَعَ فِيَّ هَذَا الْعِلْجُ. فَسَاقُوا وَتَأَخَّرَ شَمِيرٌ، فَأَدْرَكَهُ زَرْبِيُّ فَعَطَفَ عَلَيْهِ شَمِيرٌ، فَدَقَّ ظَهْرَهُ فَقَتَلَهُ، وَسَارَ شَمِيرٌ وَتَرَكَه، وَكَتَبَ كِتَابًا إِلَى مُصْعَبِ بْنِ الزَّيْبِرِ وَهُوَ بِالْبَصْرَةِ يُنْذِرُهُ بِقُدُومِهِ عَلَيْهِ، وَوَفَادَتِهِ إِلَيْهِ، وَكَانَ كُلُّ مَنْ فَرَّ مِنْ هَذِهِ الْوَقْعَةِ يَهْرُبُ إِلَى مُصْعَبِ بِالْبَصْرَةِ، وَبَعَثَ شَمِيرٌ الْكِتَابَ مَعَ عِلْجٍ مِنْ عُلُوجِ قَرْيَةٍ قَدْ نَزَلَ عِنْدَهَا يُقَالُ لَهَا: الْكَلْتَانِيَّةُ^(٤). عِنْدَ نَهْرٍ إِلَى جَانِبِ تَلٍّ هُنَاكَ، فَذَهَبَ ذَلِكَ الْعِلْجُ فَلَقِيَهُ عِلْجٌ آخَرُ فَقَالَ لَهُ: إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ؟ قَالَ: إِلَى مُصْعَبٍ. قَالَ: مَن؟ قَالَ: مِنْ شَمِيرٍ. فَقَالَ: اذْهَبْ مَعِيَ إِلَى سَيِّدِي. وَإِذَا سَيِّدُهُ أَبُو عَمْرَةَ أَمِيرُ حَرَسِ الْمُخْتَارِ، وَهُوَ قَدْ رَكِبَ فِي طَلَبِ شَمِيرٍ، فَدَلَّهُ الْعِلْجُ عَلَى مَكَانِهِ فَقَصَدَهُ أَبُو عَمْرَةَ. وَقَدْ أَشَارَ أَصْحَابُ شَمِيرٍ عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَوَّلَ مِنْ مَكَانِهِ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُمْ: هَذَا كُلُّهُ فَرَقٌ مِنَ الْكَذَابِ، وَاللَّهُ لَا أَرْتَحِلُ مِنْ هَاهُنَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ حَتَّى أَتَمْلَأَ قُلُوبَهُمْ رُغْبًا، فَلَمَّا [٣٣/٥ ظ] كَانَ اللَّيْلُ كَانَسَهُمْ أَبُو عَمْرَةَ فِي الْخَيْلِ، فَأَعْجَلَهُمْ أَنْ يَزْكَبُوا أَوْ يَلْبَسُوا أَسْلِحَتَهُمْ، وَثَارَ إِلَيْهِمْ شَمِيرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ فِطَاعَتَهُمْ بِرُمُوحِهِ وَهُوَ عُزَيَّانٌ، ثُمَّ دَخَلَ خِيَمَتَهُ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا سِيفًا، وَهُوَ يَقُولُ^(٥):

(١) انظر الخبر في تاريخ الطبري ٥٢/٦ وما بعدها، والكمال ٢٣٦/٤.

(٢) في الأصل، ٣١، م: «زرب»، وفي ٢١: «زربن»، وفي ص: «دزيب»، وكذا فيما يأتي من مواضع. والمثبت من تاريخ الطبري ٥٢/٦. وانظر الكمال ٢٣٦/٤.

(٣) في الأصل: «ذهبتم».

(٤) في م، ص: «الكلبانية». والكلتانية: ما بين السوس والصيمرة. انظر معجم البلدان ٢٩٩/٤.

(٥) الأبيات في تاريخ الطبري ٥٤/٦، والكمال ٢٣٧/٤.

نَبَّهْتُمْ لَيْتَ عَرِينٍ بِاسِلًا جَهْمًا مُحِيَّاهُ يَدُقُّ الكَاهِلَا
 لَمْ يُزَ يَوْمًا عَنْ عَدُوٍّ نَاكِلا إِلَّا كَذَا^(١) مَقَاتِلًا أَوْ قَاتِلَا
 * يُيَرِّحُهُمْ^(٢) ضَرْبًا وَيُزَوِّي الْعَامِلَا^(٣) *

ثم ما زال يُناضِلُ عن نفسه حتى قُتِلَ ، فَلَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُهُ ، وَهُمْ مُنْهَزِمُونَ ،
 صَوْتَ التَّكْبِيرِ وَقَوْلَ أَصْحَابِ الْخُتَارِ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، قُتِلَ الْحَيِّثُ . عَرَفُوا أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ ،
 فَبَحَّه اللَّهُ .

قال أبو مخنف ، عن يونس بن أبي إسحاق قال^(٤) : ولما خرج المختار من
 جَبَانَةِ السَّبِيحِ ، وَأَقْبَلَ إِلَى الْقَصْرِ - يَعْنِي^(٥) مُنْصَرَفَهُ مِنَ الْقِتَالِ - ناداه سُراقَةُ بْنُ
 مِرْدَاسٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ ، وَكَانَ فِي الْأَسْرَى :

اْمْنُنْ عَلَيَّ الْيَوْمَ يَا خَيْرَ مَعَدُّ وَخَيْرَ مَنْ حَلَّ بِشَجَرِ^(٦) وَالْجَنْدِ^(٧)
 * وَخَيْرَ مَنْ لَبَّى وَصَامَ^(٨) وَسَجَدَ *

قال : فَبَعَثَهُ إِلَى السَّجَنِ ، فَأَعْتَقَلَهُ لَيْلَةً ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ مِنَ الْغَدِ ، فَأَقْبَلَ إِلَى الْخُتَارِ ،
 وَهُوَ يَقُولُ :

-
- (١) في ٣١ ، م : « أنحر » ، وفي ٢١ : « فكن » .
 (٢) في النسخ : « يزعجهم » . والمثبت من مصادر التخریج .
 (٣) في ٣١ ، ٢١ : « الكاهلا » .
 (٤) أخرجه الطبري في تاريخه ٥٤/٦ من طريق أبي مخنف به .
 (٥) في الأصل : « بعد » .
 (٦) في الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، ص : « بسبح » . والشجر : ساحل اليمن . تاج العروس (ش ح ر) .
 (٧) في الأصل ، ٣١ ، ٢١ : « بالجنند » . وفي ص : « فالجند » . والجنند : مدينة باليمن بين عدن وتعز . تاج
 العروس (ج ن د) .
 (٨ - ٨) في تاريخ الطبري : « حيا ولي » .

أَلَا أُخِيرُ^(١) أبا إِسْحَاقَ أَنَا نَزَوْنَا نَزْوَةً كَانَتْ عَلَيْنَا
خَرَجْنَا لَا نَرَى الضُّعْفَاءَ شَيْئًا وَكَانَ خُرُوجُنَا بَطْرًا وَحِينًا^(٢)
نَرَاهُمْ فِي مَصَافِهِمْ^(٣) قَلِيلًا وَهُمْ مِثْلُ الدُّبَا^(٤) حِينَ اتَّقَيْنَا
بَرَزْنَا إِذْ رَأَيْنَاهُمْ فَلَمَّا رَأَيْنَا مِنْهُمْ ضَرْبًا وَطَحْنَا^(٥)
نُصِرْتُ عَلَى عَدُوِّكَ كُلِّ يَوْمٍ بِكُلِّ كَتِيبَةٍ تَنْغَى حُسَيْنًا
كَنَصِرِ مُحَمَّدٍ فِي يَوْمٍ بِدِيرِ وَيَوْمَ الشُّعْبِ إِذْ لَاقَى حُنَيْنًا
فَأُسْجِخْ إِذْ مَلَكَتْ فَلَوْ مَلَكَتْنَا لَجُونَا فِي الْحُكُومَةِ وَاعْتَدَيْنَا
تَقَبَّلْ تَوْبَةً مِنِّي فَإِنِّي سَأَشْكُرُ إِذْ جَعَلْتَ النِّقْدَ^(٦) دَيْنًا

وجعل شراقة بن مزداس يخلف أنه رأى الملائكة تقاتل^(٨) على الخيول البلقي^(٩)
بين السماء والأرض، وأنه لم يأسره إلا واحد من أولئك الملائكة، فأمره المختار أن
يضعد المنبر فيخبر الناس بذلك. فصعد المنبر فأخبر الناس بذلك، فلما نزل خلا
به المختار، فقال له^(١٠): [٣٤/٧] إني قد عرفت أنك لم تر الملائكة، وإنما أريدت

(١) في تاريخ الطبرى ٥٤/٦: «أبلغ».

(٢) في م: «شينا». والحين: الهلاك.

(٣) المصاف: بفتح الميم وتشديد الفاء: جمع مصف؛ وهو موضع الحرب الذى يكون فيه الصفوف. وتخفف الفاء هنا لضرورة الشعر. ويجوز أن تقرأ على الأفراد «فى مصفهم» وحينئذ لا ضرورة.

(٤) فى ٣١: «الثرا»، وفى ٢١، م: «الربا»، وفى ص: «الدياجير». والدبى: أصغر الجراد والنمل. القاموس المحيط (د ب ي).

(٥) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «طلحنا»، وفى تاريخ الطبرى: «طلحفا».

(٦) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «انتھينا».

(٧) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «العقد»، وفى م: «العفو». والمثبت من تاريخ الطبرى ٥٤/٦، والكامل ٢٣٨/٤.

(٨) سقط من: م، ص.

(٩) البلقي، واحدها أبلق: وهو الفرس فيه سواد وبياض.

(١٠) بعده فى الأصل، ص: «فيما بينه وبينه». انظر تاريخ الطبرى ٥٥/٦.

بقولك هذا أني لا أقتلك ، ^(١) «ولست أقتلك فاذهب» حيث شئت ؛ لا ^(٢) تُفسد
على أصحابي . فذهب سراقه إلى البصرة إلى مُضْعَبِ بْنِ الزبير ، وجعل يقول :

ألا أبلغ ^(٣) أبا إسحاق أني رأيت البلق دُهمًا مُضْمِتَاتِ

كفرتُ بوحيكم وجعلتُ نذرًا عليّ قتالكم حتى المماتِ

رأت عيناي ما لم تُبصره ^(٤) كلانا عالم بالشرهات

إذا قالوا أقول لهم كذبتم وإن خرجوا لبست لهم أداتي

قالوا ^(٥) : ثم خطب المختار أصحابه ، فحرضهم في خطبته تلك على تتبع ^(٦)

من قتل الحسين من أهل الكوفة المقيمين بها ، فقال ^(٧) : ^(٨) «ما ديننا ترك قوم» قتلوا

حسينًا يمشون في الدنيا أحياء آمين ، بئس ناصر آل محمد ، إني إذا كذّاب كما

سميتموني أنتم ، فإني بالله أستعين عليهم ، فالحمد لله الذي جعلني سيفًا

أضربهم ^(٩) ، ورُمحًا أطعنهم ^(٩) ، وطالب وثرهم ^(١٠) ، والقائم بحقهم ، وإنه كان

حقًا على الله أن يقتل من قتلهم ، وأن يذل من جهل حقهم ، فسموهم ثم

اتبعوهم حتى تقتلوهم ، فإنه لا يسوغ لى الطعام والشراب حتى أظهر الأرض

(١ - ١) في ص : «ولكن اذهب» .

(٢) في ٣١ ، ٢١ ، م : «للا» .

(٣) في ٣١ ، ٢١ ، م : «أخبر» .

(٤) يرويه النحويون : أرى عيني ما لم ترأياه . انظر الخصائص ١٥٣/٣ ، وديوانه سراقه ص ٧٨ .

(٥) انظر تاريخ الطبرى ٥٧/٦ ، والكامل ٢٣٩/٤ .

(٦) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٧) في م : «فقالوا» .

(٨ - ٨) في م ، ص : «ما ذنبنا ترك أقواما» .

(٩) بعده في الأصل ، ص : «به» .

(١٠) الوثر : الجناية التى يجنبها الرجل على غيره من قتل وغيره .

منهم ، وأنْفَى مَنْ فِي الْمِصْرِ مِنْهُمْ . ثُمَّ جَعَلَ يَنْتَبِعُ مَنْ^(١) فِي الْكَوْفَةِ مِنْهُمْ^(٢) وَكَانُوا يَأْتُونَ بِهِمْ^(٣) حَتَّى يُوقِفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَأْمُرُ بِقَتْلِهِمْ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الْقِتْلَاتِ مِمَّا يُنَاسِبُ مَا فَعَلُوا ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ حَرَّقَهُ بِالنَّارِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَطَّعَ أَطْرَافَهُ وَتَرَكَهُ حَتَّى مَاتَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُزَمَّى بِالنَّبَالِ حَتَّى يَمُوتَ ، فَأَتَوْهُ بِمَالِكِ بْنِ بَشِيرٍ^(٤) ، فَقَالَ لَهُ الْمُخْتَارُ : أَنْتَ الَّذِي نَزَعْتَ بُرْنُسَ الْحُسَيْنِ عَنْهُ ؟ فَقَالَ : خَرَجْنَا وَنَحْنُ كَارِهُونَ ، فَأَمْنُنْ عَلَيْنَا . فَقَالَ : أَقْطَعُوا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ . فَفَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ ، ثُمَّ تَرَكَوه يَضْطَرِبُ حَتَّى مَاتَ ، وَقَتَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَسِيدِ الْجَهَنِّيِّ وَغَيْرَهُ سَرًّا قِتْلَةً .

مَقْتَلُ خَوْلَى بْنِ يَزِيدَ الْأَصْبَحِيِّ الَّذِي اخْتَرَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بَعَثَ^(٥) إِلَيْهِ الْمُخْتَارُ أَبَا عَمْرَةَ صَاحِبَ حَرْبِهِ ، فَكَتَبَ بَيْتَهُ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِمْ امْرَأَتُهُ ، فَسَأَلُوها عَنْهُ ، فَقَالَتْ : لَا أَذْرِي أَيْنَ هُوَ . وَأَشَارَتْ بِيَدِهَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ مُخْتَفٍ فِيهِ ، وَكَانَتْ تُبَغِضُهُ مِنْ لَيْلَةِ قَدَمِ رَأْسِ الْحُسَيْنِ مَعَهُ إِلَيْهَا ، وَكَانَتْ تَلُومُهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَاسْمُهَا الْعَيُوفُ^(٦) بِنْتُ مَالِكِ بْنِ نَهَارٍ بْنِ عَقْرِبِ الْحَضْرَمِيِّ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَوَجَدُوهُ قَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ قَوْصَرَةً^(٧) ، فَحَمَلُوهُ إِلَى الْمُخْتَارِ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِ ، وَأَنْ يُحَرِّقَ بَعْدَ ذَلِكَ .

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ ، ص : « ذَكَرَ لَهُ مِنْهُمْ وَهُوَ بِالْكَوْفَةِ فَيُؤْتُونَ » .

(٢) سَقَطَ مِنْ : م .

(٣) فِي ٢١ : « شِير » ، وَفِي م : « بَشِير » ، وَفِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ٥٧ / ٦ : « النَسِير » . انْظُرِ الْكَامِلَ ٢٣٩ / ٤ .

(٤) تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ٥٩ / ٦ ، ٦٠ .

(٥) فِي ٣١ ، م : « الْعَبُوق » .

(٦) الْقَوْصَرَةُ : وَعَاءٌ لِلتَّمْرِ مِنْ قَصَبٍ . الْوَسِيطُ (ق ص ر) .

وَبَعَثَ الْمُخْتَارُ إِلَى حَكِيمِ بْنِ فُضَيْلِ السَّنْبُكِيِّ - وَكَانَ قَدْ سَلَبَ الْعَبَّاسَ بَنَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ قُتِلَ الْحُسَيْنُ - فَأُخِذَ ، فَذَهَبَ أَهْلُهُ إِلَى عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ، فَركِبَ لِيُشَفَّعَ فِيهِ عِنْدَ الْمُخْتَارِ ، فَخَشِيَ [٣٤/٧] أَوْلَاكَ «الَّذِينَ أَخَذُوهُ» أَنْ يَسْبِقَهُمْ عَدِيٌّ إِلَى الْمُخْتَارِ فَيُشَفِّعَهُ فِيهِ ، فَقَتَلُوا حَكِيمًا قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْمُخْتَارِ ، فَدَخَلَ عَدِيٌّ ، فَشَفَّعَ فِيهِ فَشَفِّعَهُ فِيهِ ، فَلَمَّا رَجَعُوا وَقَدْ قَتَلُوهُ شَتَمَهُمْ عَدِيٌّ ، وَقَامَ مُتَغَضِّبًا عَلَيْهِمْ ، وَقَدْ تَقَلَّدَ مِئَّةَ الْمُخْتَارِ . وَبَعَثَ الْمُخْتَارُ إِلَى «زَيْدِ بْنِ رُقَادٍ»^(٢) ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُسْلِمٍ بْنَ عَقِيلٍ ، فَلَمَّا أَحَاطَ الطَّلُبُ بِدَارِهِ خَرَجَ فَقَاتَلَهُمْ فَرَمَوْهُ بِالنَّبِيلِ وَالْحِجَارَةِ حَتَّى سَقَطَ ، ثُمَّ حَرَّقُوهُ وَبِهِ رَمَقُ الْحَيَاةِ ، وَطَلَبَ الْمُخْتَارُ سَيْنَانَ بْنَ أَنَسٍ ، الَّذِي كَانَ يَدَّعِي أَنَّهُ قَتَلَ الْحُسَيْنَ ، فَوَجَدُوهُ قَدْ هَرَبَ إِلَى الْبَصْرَةِ ،^(٣) فَأَمَرَ بِدَارِهِ فَهُدِمَتْ . فَهَكَذَا صَنَعَ بِكُلِّ مَنْ هَرَبَ مِنْ هَوَّلَاءَ إِلَى الْبَصْرَةِ^(٤) أَوْ الْجَزِيرَةِ ، فَهُدِمَتْ دَارُهُ . وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ مِمَّنْ هَرَبَ إِلَى مُضْعَبٍ ، فَأَمَرَ الْمُخْتَارُ بِهِدْمَ دَارِهِ ، وَأَنْ يُتَنَى بِهَا دَارُ حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ الَّتِي كَانَ زِيَادٌ هَدَمَهَا .

مَقْتُلُ عُمَرَ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ

أَمِيرُ الْجَيْشِ الَّذِينَ قَتَلُوا الْحُسَيْنَ

^(٥) قَالَ الْوَاقِدِيُّ^(٥) : كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، جَالِسًا ذَاتَ يَوْمٍ ؛

(١ - ١) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ ، ص .

(٢ - ٢) فِي م : « زَيْدُ بْنُ رُقَادٍ » .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ : م .

(٤ - ٤) سَقَطَ مِنْ : ص .

(٥) لَمْ نَجِدْهُ عَنِ الْوَاقِدِيِّ ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ بِنَحْوِهِ ، عَنْ أَبِي الْمُنْذَرِ ، ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِهِ «مَجَابِرُ الدَّعْوَةِ» ٧٣ ، وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِهِ ١٣/٢٢٠ - ٢٢١ (مَخْطُوطٌ) ، وَالْمَزِيُّ فِي تَهْذِيبِ الْكَمَالِ ٢١/٣٥٨ .

^(١) إذ جاء غلام له ، ودّمه يسيل على عقيبته ، فقال له سعد : من فعل بك هذا ؟ فقال : ابنك عمر . فقال سعد : اللهم اقتله وأسل دمه . وكان سعد مستجاب الدعوة ، فلما ظهر ^(٢) المختار على الكوفة استجار عمر بن سعيد بعبد الله بن جعدة ابن هبيرة ، وكان صديقاً للمختار من قرابته من علي ، فأتى المختار فأخذ منه لعمر ابن سعيد أماناً ؛ مضمونه أنه آمن على نفسه وأهله وماله ما أطاع ولزم رَحْلَه ومضَرَه ، ما لم يُحدث حدثاً ، وأراد المختار ما لم يأت الخلاء فيبول أو يغوط . ولما بلغ عمر بن سعيد أن المختار يريد قتله خرج من منزله ليلاً يريد السفر نحو مضعب أو غبيد الله بن زياد ، فتمنى للمختار بعض مواليه ذلك . فقال المختار : وأنى حدث أعظم من هذا ؟ وقيل : إن مولاة قال له ذلك ، وقال له : تخرج من منزلك ورَحْلِكَ ؟ ارجع . فرجع . ولما أصبح بعث إلى المختار يقول له : هل أنت مُقيم على أمانك ؟ وقيل : إنه أتى المختار يتعرف منه ذلك ، فقال له المختار : اجلس . وقيل : إنه أرسل عبد الله بن جعدة إلى المختار يقول له : هل أنت مُقيم على أمانك له ؟ فقال له المختار : اجلس . فلما جلس قال المختار لصاحب حرسه : اذهب فأتني برأسه . فذهب إليه فقتله ، وأتاه برأسه ^(٣) .

^(٣) وفي رواية ^(٤) أن المختار قال ^(٥) ليلة : لأقتلن غداً رجلاً عظيماً القدمين ، غائر العينين ، مشرف الحاجبين ، يسر بقتله المؤمنون والملائكة المقربون . وكان الهيثم ابن الأسود حاضراً ، فوقع في نفسه أنه أراد عمر بن سعيد ، فبعث إليه ابنه

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) في م : « خرج » .

(٣ - ٣) في ص : « قال المختار » .

(٤) تاريخ الطبري ٦/ ٦٠ ، والكامل ٤/ ٢٤١ .

الغريان^(١) ، فأثَّره ، فقال : كيف يكونُ هذا بعدما أعطاني من العهودِ والمواثيقِ ؟ وكان المختارُ حينَ قَدِمَ الكوفةَ أحسنَ [٣٥/٧] السَّيرةِ إلى أهلِها أولاً ، وكتبَ لعمرَ بنِ سعدٍ كتابَ أمانٍ إلَّا أن يُحدِّثَ حَدَثًا . قال أبو مُخَنَّفٍ^(٢) : وكان أبو جعفرٍ الباقرُ يقولُ : إنَّما أرادَ المختارُ إلَّا أن يَدْخُلَ الكَنيفَ فيُحدِّثَ فيه . ثم إنَّ عمرَ ابنَ سعدٍ قَلِقَ أيضًا ، ثم جعلَ يَنْتَقِلُ من مَحَلَّةٍ إلى مَحَلَّةٍ ، ثم صارَ أمرُهُ أنه رَجَعَ إلى دارِهِ ، وقد بَلَغَ المختارُ انتقالَهُ من مَوْضِعٍ إلى مَوْضِعٍ فقال : كَلَّا واللَّهِ إن في عُنُقِهِ سِلْسِلَةٌ تُرَدُّهُ لو جَهِدَ^(٣) أن يَنْطَلِقَ ما اسْتَطَاع . ثُمَّ أَصْبَحَ فَبَعَثَ إليه أبا عَمْرَةَ فَدَخَلَ عليه ، فقال : أَجِبِ الأَمِيرَ . فَقَامَ عُمَرُ^(٤) ، فَعَثَرَ في جُجِيَّتِهِ ، فَضْرَبَهُ أبو عَمْرَةَ بالسيفِ حتَّى قَتَلَهُ ، وجاءَ برأسيهِ في أسفلِ قَبَائِهِ حتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ المختارِ ، فقال المختارُ لابنِهِ حفصِ بنِ عمرٍ - وكان جالسًا عندَ المختارِ^(٥) : أَتَعْرِفُ هذا الرَّأْسَ ؟ فاستَرْجَعَ وقال : نعم ولا خَيْرَ في العيشِ بعَدِهِ . فقال : صَدَقْتَ ، ثم أَمَرَ به^(٦) فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ ، ووُضِعَ رأسُهُ مع رأسِ أبيهِ ، ثم قال المختارُ : هذا بالحسينِ ، وهذا بعلِي بنِ الحسينِ الأكبرِ ، ولا سَوَاءَ ، واللَّهِ لو قَتَلْتُ به ثَلَاثَةَ أَزْوَاجِ قُرَيْشٍ ما وَفَّوْا أُمَّلَةً مِن أنامِلِهِ . ثم بَعَثَ المختارُ برَأْسَيْهِمَا إلى مُحَمَّدِ ابنِ الحَنَفِيَّةِ ، وكتبَ إليه كتابًا في ذلك^(٧) :

(١) في م : « الغرثان » .

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه ٦١/٦ به .

(٣) في م ، ص : « لوجهه » .

(٤ - ٤) في ٣١ ، ٢١ م : « إن يطير لأدركه دم الحسين فأخذ برجله ثم أرسل إليه أبا عمرة فأراد الفرار منه » .

(٥) بعده في م : « فقال » .

(٦) سقط من : ٣١ ، م .

(٧) تاريخ الطبري ٦٢/٦ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، للمهدي محمد بن عليّ من المختار بن أبي عبيد ،
 سلام عليك أيها المهدي ، فإنّي أحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أمّا بعد : فإن
 الله بعثني نعمة على أعدائكم ، فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد ، فالحمد لله
 الذي قتل قاتلكم ، ونصر مؤازركم ، وقد بعثت إليك برأس عمر بن سعد وابنه ،
 وقد قتلنا من شرك في دم الحسين وأهل بيته كلّ من قدّرنا عليه ، ولن يُعجز الله
 من بقي ، ولست بمُتخجّم عنهم حتى لا يتلغنى أنّ على أديم الأرض منهم
 إرميًا^(١) [٣٥٠ / ٧ ظ] فاكثب إليّ أيها المهدي برأيك أتبعه وأكنّ عليه ، والسلام
 عليك أيها المهدي ورحمة الله وبركاته .

ولم يذكر ابن جرير أن محمد ابن الحنفية ردّ جوابه ، مع أن ابن جرير قد
 تقصّى هذا الفصل وأطال شرحه ، ويظهر من غبون كلامه^(٢) ونظامه^(٣) قوة وجده
 به وغرامه ، ولهذا توسّع في إيراده بروايات أبي مخنف لوط بن يحيى ، وهو مُتهم
 فيما يزويه ، ولا سيما في باب التشيع ، وهذا المقام للشيعه فيه غرام وأى غرام ؛ إذ
 فيه الأخذ بثأر الحسين^(٤) وأهله من قتلهم ، والانتقام منهم^(٥) . ولا شك أن قتل
 قتلته كان مُتحتّمًا ، والمبادرة إليه كان معتمًا ، ولكن إنّما قدره الله على يد المختار
 الكذاب الذي صار بدعواه إتيان الوحي إليه كافرًا ، وقد قال رسول الله ﷺ :
 « إنّ الله ليؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر »^(٦) . وقال تعالى في كتابه الذي هو
 أفضل ما يكتبه الكاتبون : ﴿ وَكَذَلِكَ نُولِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

(١) في الأصل : « أدبما » ، وفي ٣١ ، ٢١ ، م : « أحد » ، وفي ص : « آدميا » . والمثبت من مصدر التخريج .

وارميًا : يعني أحدًا . وانظر لسان العرب (أ ر م) .

(٢ - ٢) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٣ - ٣) في الأصل ، م : « والانتقام » .

(٤) تقدم في ٢٧٥ / ٦ .

[الأنعام : ١٢٩] . وقال بعض الشعراء :

وما من يدٍ إلا يدُ الله فوقها ولا ظالمٍ إلا سيئلى بظالمٍ
وسياتى فى تَرْجَمَةِ المختارِ ما يدلُّ على كَذِبِهِ وأَفْتِرَائِهِ ، وأدْعَائِهِ نُصْرَةَ أَهْلِ
الْبَيْتِ ، وهو فى نفسِ الأمرِ مُتَسَتِّرٌ بِذَلِكَ لِيَجْمَعَ عَلَيْهِ رَعَاةَا مِنَ الشَّيْعَةِ الَّذِينَ
بِالْكُوفَةِ ؛ لِيَقِيمَ لَهُمْ دَوْلَةً وَيَصُولَ بِهِمْ وَيَجُولَ عَلَى مُخَالَفِيهِ صَوْلَةً .

ثم إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَلَّطَ عَلَيْهِ مَنْ انْتَقَمَ مِنْهُ ، وهذا هو الكَذَّابُ الذِّى قَالَ فِيهِ
الرَّسُولُ ﷺ فى حَدِيثِ أَشْمَاءَ بِنْتِ الصَّدِيقِ : « إِنَّهُ سَيَكُونُ فى ثَقِيفٍ كَذَّابٌ
وَمُبِيرٌ » ^(١) . فهذا هو الكَذَّابُ ، وهو يُظْهِرُ التَّشْيِيعَ ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَهُوَ الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْشَفَ
الثَّقَفِيُّ ، وَقَدْ وُلِّيَ الْكُوفَةَ مِنْ جِهَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، كَمَا سَيَأْتِى . وَكَانَ
الْحَجَّاجُ عَكْسَ هَذَا ؛ كَانَ نَاصِبِيًّا ^(٢) جَلْدًا ظَالِمًا غَاشِمًا ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ فى طَبَقَةِ
هَذَا ، يُتَّهَمُ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ وَدَعْوَى الثُّبُوءِ ، وَأَنَّهُ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ الْعَلِيِّ الْعَلَامِ .
قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ ^(٣) : وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَعَثَ الْمُخْتَارُ الْمُثَنَّى بْنُ مُخَرَّبَةَ ^(٤) الْعَبْدِيُّ إِلَى
الْبَصْرَةِ يَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْ أَهْلِهَا ، فَدَخَلَهَا وَابْتَنَى بِهَا مَسْجِدًا يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ
فِيهِ قَوْمُهُ ، فَجَعَلَ يَدْعُو إِلَى الْمُخْتَارِ ، ثُمَّ أَتَى مَدِينَةَ الرِّزْقِ ^(٥) ، فَعَسَكَرَ عِنْدَهَا ، فَبَعَثَ
إِلَيْهِ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ^(٦) رَبِيعَةَ الْقُبَاغِ - وَهُوَ أَمِيرُ الْبَصْرَةِ قَبْلَ أَنْ يُغْزَلَ

(١) تقدم فى ٢٥١/٩ .

(٢) الناصبية وأهل التَّصَبُّبِ : المتدينون بيقظة على ؛ لأنهم نصَّبوا له الخلاف ، وهم طائفة من الخوارج .

تاج العروس (ن ص ب) .

(٣) تاريخ الطبرى ٦٦/٦ .

(٤) فى النسخ : « مخزومة » ، والمثبت من تاريخ الطبرى ٦٦/٦ ، والكامل ١٦١/٤ ، وانظر أنساب
الأشراف « دار الفكر » ٤١٥/٦ ، والإكمال ٢١١/٧ .

(٥) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، م : « الورق » ، وفى ص : « المورق » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

والرزق : هى إحدى مسالحي العجم بالبصرة قبل أن يختطها المسلمون . معجم البلدان ٥٧٥/٢ .

(٦) سقط من : م . وانظر نزعة الألباب ٨٤/٢ .

بمُضْعَبٍ - جيشًا مع عَبَّادِ بْنِ الْحُصَيْنِ [٣٦/٧] أميرِ الشُّرُطَةِ ، وقيسِ بْنِ الْهَيْثَمِ .
فقاتلوه وأخذوا منه المدينةَ ، وانهزم أصحابه ، وكان قد قام بنصرتهم بنو
عبدِ القيسِ ، فبعث إليهم الجيشَ ، فبعثوا إليه ، فأرسل الأحنفَ بنَ قيسٍ وعمرو بنَ
عبدِ الرحمنِ المخزوميَّ ليُصْلِحَا بينَ الناسِ ، وساعدهما مالكُ بنُ مِشْمَعٍ ، فأنحجز
الناسُ بعضهم عن بعضٍ ، ورجع إلى المختارِ في نَقَرٍ يسيرٍ من أصحابِه مَغْلُوبًا مَغْلُوبًا
مَسْلُوبًا ، وأخبر المختارَ بما وَقَعَ مِنَ الصُّلْحِ على يَدَيِ الأحنفِ وغيرِه من أولئك
الأمرءِ ، وطمع المختارُ فيهم ، وكاتبهم في أن يَدْخُلُوا معه فيما هو فيه من الأمرِ .

وكان كتابه إلى الأحنفِ بنِ قيسٍ : من المختارِ إلى الأحنفِ بنِ قيسٍ ومن
قَبْلَه ، فسلِّمُ^(١) أنتم ، أمَّا بعدُ فَوَيْلُ أُمِّ^(٢) ربيعةَ من مُضَرٍّ ، وإن الأحنفَ يُورِدُ قومَه
سَقَرًا ، حيث لا يَسْتَطِيعُ لهم الصُّدْرُ ، وإني لا أُمْلِكُ لكم ما قد خُطَّ في القَدَرِ ،
وقد بَلَغَنِي أنكم^(٣) تَسْمُونِي كَذَابًا^(٤) ، وقد كُذِّبَ الأنبياءُ من قَبْلِي ولستُ بخيرِ
منهم .

وقال ابنُ جريرٍ^(٥) : حَدَّثَنِي أَبُو السَّائِبِ سَلَمُ بْنُ جُنَادَةَ ، ثنا الحسنُ بنُ
حَمَّادٍ ، عن جِبَّانٍ^(٦) بنِ عَلِيٍّ ، عن مُجَالِيدٍ ، عن الشعبيِّ قال : دَخَلْتُ البَصْرَةَ ،
فَقَعَدْتُ إلى حَلْقَةٍ ، فيها الأحنفُ بنُ قيسٍ ، فقال بعضُ القومِ : مَنْ أَنْتَ ؟ فقلتُ :
رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ . فقال : أَنْتُمْ مَوَالِي لَنَا . قلتُ : وكيف ؟ قال : قد^(٧)

(١) في ٣١ ، ٢١ ، ٢ : « من الأمرء أفسلم » .

(٢) في النسخ : « لبنى » ، والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٣ - ٢) في ٣١ ، ٢١ ، ٢ : « سميتوني الكذاب » .

(٤) تاريخ الطبرى ٦٩/٦ .

(٥) في النسخ : « حماد » . والمثبت من تاريخ الطبرى ، وانظر تهذيب الكمال ٣٣٩/٥ .

(٦) سقط من : م .

أَنْقَذْنَاكُمْ مِنْ أَيْدِي عِبِيدِكُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْمُخْتَارِ . قُلْتُ : تَذَرِي مَا قَالَ شَيْخٌ مِنْ هَؤُلَاءِ فِينَا وَفِيكُمْ ؟ فَقَالَ الْأَخْنَفُ : وَمَا قَالَ ؟ قُلْتُ : قَالَ :

أَفْخَرْتُمْ أَنْ قَتَلْتُمْ أَغْبَدًا وَهَزَمْتُمْ مَرَّةً آلَ عَزَلٍ^(١)
فَإِذَا فَاخَرْتُمُونَا فَاذْكُرُوا مَا فَعَلْنَا بِكُمْ يَوْمَ الْجَمَلِ
بَيْنَ شَيْخٍ خَاضِبٍ عُثُونَهُ^(٢) وَفَتَى أَيْضَ^(٣) وَضَّاحٍ^(٤) رِفْلٍ^(٥)
جَاءَنَا^(٦) يَهْدِجُ فِي سَابِغَةٍ فَذَبَحْنَاهُ ضُحَى ذَبْحِ الْحَمَلِ^(٧)
وَعَفَوْنَا فَتَسِيْتُمْ عَفْوَنَا وَكَفَرْتُمْ نِعْمَةَ اللَّهِ الْأَجَلِ
وَقَتَلْتُمْ^(٨) بِحُسَيْنٍ مِنْهُمْ^(٩) بَدَلًا مِنْ قَوْمِكُمْ شَرًّا بَدَلِ

قال : فَغَضِبَ الْأَخْنَفُ ، وَقَالَ : يَا غَلَامُ ، هَاتِ الصَّحِيفَةَ . فَأَتَنِي بِصَحِيفَةٍ فِيهَا : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنَ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ إِلَى الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ ، أَمَّا بَعْدُ فَوَيْلُ أُمَّ^(١) رَبِيعَةَ مِنْ مُضَرٍّ ، فَإِنَّ الْأَخْنَفَ يُورِدُ قَوْمَهُ سَقَرًا ، حَيْثُ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الصَّدْرِ ، [٣٦ / ٧ ظ] وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونِي ، فَإِنْ كُذِّبْتُ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي ، وَلَسْتُ بِخَيْرٍ مِنْهُمْ . ثُمَّ قَالَ الْأَخْنَفُ : هَذَا مِنَّا أَوْ مِنْكُمْ .

(١) فِي النِّسْخِ : «عَدَلُ» . وَالْمُثَبَّتُ مِنْ تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ .

(٢) فِي م : «عُثُونَهُ» .

(٣) فِي م : «الْبَيْضَاءُ» .

(٤) فِي م : «وَضَّاحًا» .

(٥) فِي الْأَصْلِ ، ٣١ ، ٢١ ، ص : «وَقُلْ» ، وَفِي م : «دَقْلُ» . وَالْمُثَبَّتُ مِنْ تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ .

(٦) فِي م : «جَاءَ» .

(٧) فِي النِّسْخِ : «الْجَمَلُ» . وَالْمُثَبَّتُ مِنْ تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ .

(٨ - ٨) فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ : «خَشِيبِينَ بِهِمْ» .

(٩) فِي م : «لَبَنَى» .

فصل

ولما عليم المختار أن ابن الزبير لا ينام عنهم ، وأن جيش الشام من قتل عبد الملك ابن مروان يقصدونه مع عبيد الله بن زياد في جمع كثير لا يُرام ، شرع يُصانع ابن الزبير ، يريدُ خِداعه والمكر به ^(١) ، فكتب إليه : إني كُنتُ بايعتك على السمع والطاعة والنصح لك ، فلما رأيتك قد أعرضت عني تباعدتُ عنك ، فإن كنتُ على ما أعهدُ منك فأنا على السمع والطاعة لك . والمختار يُخفي هذا كل الإخفاء عن الشيعة ، فإذا ذكر له أحدُ شيئا من ذلك أظهر لهم أنه أبعدُ الناس من ذلك . فلما وصل كتابه إلى ابن الزبير أراد أن يعلمَ أصادقُ هو أم كاذبُ ؟ فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام الخزومي ، فقال له : تجهّز إلى الكوفة فقد وليتُكها . فقال : وكيف وبها المختار ؟ فقال : إنه يزعمُ أنه سامعٌ لنا مُطيعٌ . وأعطاه قريئا من أربعين ألفا يتجهّزُ بها ، فسار فلما كان ببعض الطريق لقيه زائدة بن قدامة من جهة المختار في خمسمائة فارس مُلبسة ، ومعه سبعون ألفا من المال ، وقد تقدّم إليه المختار فقال له : أعطه المال ، فإن هو انصرف وإلا فأره الرجال فقاتله حتى ينصرف . فلما رأى عمر بن عبد الرحمن الجَدُّ قبضَ المالَ وسار إلى البصرة فاجتمع هو وابنُ مُطيعٍ بها عند أميرها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وذلك قبلُ وثوبِ المُثنى بن مُخرَّبَة - كما تقدّم - وقبلُ وصولِ مُصعب بن الزبير إليها . وبعثَ عبدُ الملك بن مزوان ابنَ عمِّه عبدَ الملك بن الحارث بن الحَكَم في جيش إلى وادي القرى ؛ ليأخذوا المدينة من نوابِ ابن الزبير . وكتب المختار إلى

(١) انظر تاريخ الطبري ٧١ / ٦ ، والكامل ٢٤٦ / ٤ .

ابن الزبير^(١) : إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ أُمِدَّكَ بِمَدَدٍ . وَلَئِنَّمَا يُرِيدُ الْخِتَارُ خَدِيعَتَهُ وَمُكَايَدَتَهُ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ ابْنُ الزَّبِيرِ : إِنْ كُنْتُ عَلَى طَاعَتِي فَلَسْتُ أَكْرَهُ ذَلِكَ ، فَا بَعَثَ بِجُنْدٍ إِلَى وَادِي الْقُرَى ؛ لِيَكُونُوا مَدَدًا لَنَا عَلَى قِتَالِ الشَّامِيِّينَ . فَجَهَّزَ الْخِتَارُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ شُرَحْبِيلُ بْنُ وَزَيْسٍ الْهَمْدَانِيُّ ، لَيْسَ فِيهِمْ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا سَبْعُمَائَةٌ ، وَقَالَ لَهُ : سِرْ حَتَّى تَدْخُلَ الْمَدِينَةَ ، فَإِذَا دَخَلْتَهَا فَارْكُضْ إِلَيَّ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي . وَلَئِنَّمَا يُرِيدُ أَخْذَ الْمَدِينَةِ مِنْ ابْنِ الزَّبِيرِ ، ثُمَّ يَرْكُبُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَكَّةَ لِيَحَاصِرَ ابْنَ الزَّبِيرِ بِهَا . وَخَشِيَ ابْنُ الزَّبِيرِ [٣٧/٧] أَنْ يَكُونَ الْخِتَارُ بَعَثَ ذَلِكَ الْجَيْشَ مَكْرًا ، فَبَعَثَ الْعَبَّاسُ بْنُ سَهْلٍ بْنُ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ فِي الْفَتَيْنِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِالْأَعْرَابِ ، وَقَالَ لَهُمْ : إِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ فِي طَاعَتِي وَإِلَّا فَكَايِدُوهُمْ حَتَّى تُهْلِكَهُمْ^(٢) .

فَأَقْبَلَ الْعَبَّاسُ بْنُ سَهْلٍ حَتَّى لَقِيَ ابْنَ وَزَيْسٍ بِالرَّقِيمِ ، وَقَدْ تَعَبَى^(٣) ابْنُ وَزَيْسٍ فِي جَيْشِهِ ، فَاجْتَمَعَ عَلَى مَاءٍ هُنَالِكَ ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ : أَلَسْتُ فِي طَاعَةِ ابْنِ الزَّبِيرِ ؟ فَقَالَ : بَلَى . قَالَ : فَإِنَّهُ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ نَذْهَبَ إِلَى وَادِي الْقُرَى فَنَقَاتِلَ مَنْ بِهِ مِنَ الشَّامِيِّينَ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ وَزَيْسٍ : فَإِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ بِطَاعَتِكَ ، وَلَئِنَّمَا أُؤْمِرْتُ^(٤) أَنْ أَدْخُلَ الْمَدِينَةَ ، ثُمَّ أَكْتُبَ إِلَى صَاحِبِي فَيَأْمُرَنِي^(٥) بِأَمْرِهِ . فَفَهِمَ عَبَّاسٌ مَغْزَاهُ ، وَلَمْ يُظْهِرْ لَهُ أَنَّهُ فِطِنَ لَذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ : رَأَيْكَ أَفْضَلُ ، فَاعْمَلْ مَا بَدَا لَكَ . ثُمَّ نَهَضَ الْعَبَّاسُ مِنْ عِنْدِهِ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الْجُزُرَ وَالْغَنَمَ وَالْذَّقِيقَ ، وَقَدْ كَانَ عِنْدَهُمْ حَاجَةٌ أَكِيدَةً^(٦) إِلَى

(١) انظر هذه المكاتبات في تاريخ الطبري ٧١/٦ ، ٧٢ . والكامل ٢٤٦/٤ ، ٢٤٧ .

(٢) في ٢١ ، م : « يهلكهم الله » .

(٣) في م : « بقي » ، وفي ص : « تعد » .

(٤) في م : « أؤمرني » .

(٥) في م : « فإنه يأمرني » .

(٦) في م : « شديدة » .

ذلك ، وجوعٌ كثيرٌ ، فجعلوا يذبحون ويطبخون ويختزنون ويأكلون على ذلك الماء ، فلما كان الليل بيّتهم عباس بن سهل فقتل أميرهم وطائفة منهم نحوًا من سبعين ، وأسر منهم خلقًا كثيرًا ، فقتل أكثرهم ، ورجع القليل منهم^(١) إلى المختار ، و^(٢) إلى بلادهم خائبين .

قال أبو مخنف^(٣) : فحدثني أبو^(٤) يوسف أن عباس بن سهل انتهى إليهم وهو يقول :

أنا ابن سهل فارس غير وكل
أزوع مقدام إذا الكبش نكل
وأعتل رأس الطرماح البطل
بالسيف يوم الزوع حتى يُنخزل^(٥)

فلما بلغ خبرهم المختار قام في أصحابه خطيبًا فقال : إن الفجار الأشرار قتلوا الأبرار الأخيار ، ألا إنه كان أمرًا مأتيا ، وقضاء مقضيًا . ثم كتب إلى محمد ابن الحنفية مع صالح بن مسعود الخثعمي كتابًا يذكر فيه أنه بعث إلى المدينة جيشًا لنصرته فغدر بهم جيش ابن الزبير ، فإن رأيت أن أبعث جيشًا آخر إلى المدينة وتبعث من قبلك رسلًا إليهم فافعل . فكتب إليه ابن الحنفية : أما بعد فإن أحب الأمور كلها إلى ما أطيع الله فيه ، فأطع الله فيما أعلنت وأسررت ، واعلم أنني لو أردت القتال لوجدت الناس إلى سراعا ، والأعوان لي كثيرة ، ولكني أعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين . وقال لصالح بن مسعود : قل للمختار فليتي الله وليكفف عن الدماء . فلما انتهى إليه كتاب محمد ابن الحنفية

(١ - ١) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه ٧٤/٦ من طريق أبي مخنف به .

(٣) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٤) في النسخ : « يتجدل » . والمثبت من تاريخ الطبري .

قال : إني قد أُمِرتُ بجمع البرِّ واليُسْرِ ، وبطرحِ الكفرِ والغدرِ .

وذكر [٣٧/٧] ابن جرير^(١) ، من طريق المدائني وأبي مخنف أن عبد الله بن الزبير عمّد إلى ابن الحنفية وسبعة عشر رجلاً من أشراف أهل الكوفة فحبسهم حتى يُبايعوه ، فكرهوا أن يُبايعوا إلّا من اجتمع عليه الأُمّة ، فتهدّدهم وتوعّدهم واعتقلهم بزمزم ، فكتبوا إلى المختار بن أبي عبيد يستصرخونه ويستنصرونه ، ويقولون له : إن ابن الزبير قد توعّدنا بالقتل والحريق ، فلا نخذلونا كما خذلتم الحسين وأهل بيته . فجمع المختار الشيعة وقرأ عليهم الكتاب وقال : هذا كتاب المهدي وصريخ أهل البيت ،^(٢) قد أصبحوا محصورين ينتظرون القتل والحريق^(٣) ، وقال : لستُ أبا إسحاق^(٤) إن لم أنصُرهم^(٥) نصرًا مؤزّراً ، وإن لم أُسرّب^(٦) إليهم الخيل كالسيل يتلوه السيل ، حتى يحلّ بابن الكاهليّة الويل . ثم وجه أبا عبد الله الجدليّ في سبعين راكباً من أهل القوة ، وظبيان بن عُمار^(٧) التميمي^(٨) في أربعمائة ، وأبا المعتمر في مائة ، وهانئ بن قيس في مائة ، وعُمير بن طارق في أربعين ،^(٩) ويونس^(١٠) بن عمران في أربعين^(١١) ، وكتب إلى محمد ابن الحنفية مع

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٧٥ .

(٢ - ٣) في ٣١ ، ٢١ ، م : « يستصرخكم ويستنصركم فقام في الناس بذلك » ، وفي ص : « فقام في الناس بذلك » .

(٣) في ٣١ ، ٢١ ، م : « أنا بأبي » .

(٤) في م : « أنصركم » .

(٥) في ٣١ ، ٢١ ، م : « أرسل » .

(٦) في الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، ص : « عمران » ، وفي م : « عمر » . والمثبت من تاريخ الطبري والكمال ٤/ ٢٥٠ . وانظر التاريخ الكبير ٤/ ٣٦٨ ، والجرح والتعديل ٤/ ٥٠٢ .

(٧) في الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، م : « التيمي » .

(٨ - ٩) سقط من : م .

(٩) في النسخ : « فارس » . والمثبت من تاريخ الطبري والكمال .

الطُّفِيلِ بْنِ عَامِرٍ بِتَوْجِيهِ الْجُنُودِ إِلَيْهِ ، فَنَزَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيُّ بِذَاتِ عِرْقٍ حَتَّى تَلَاحَقَ بِهِ نَحْوُ مِائَةِ وَخَمْسِينَ فَارِسًا ، ثُمَّ سَارَ بِهِمْ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ نَهَارًا جَهَارًا ، وَهُمْ يَقُولُونَ : يَا ثَارَاتِ الْحُسَيْنِ . وَقَدْ أَعَدَّ ابْنُ الزَّيْبِرِ الْحَطَبَ ^(١) لِابْنِ الْحَنْفِيَّةِ وَأَصْحَابِهِ ^(٢) لِيَحْرِقَهُمْ بِهِ إِنْ لَمْ يَبَايَعُوا ، وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْأَجَلِ يَوْمَانِ ، فَعَمِدُوا - يَعْنِي أَصْحَابُ الْمُخْتَارِ - إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ فَأَطْلَقُوهُ مِنْ سَجْنِ ابْنِ الزَّيْبِرِ ، وَقَالُوا : إِنْ أَذْنَتْ لَنَا قَاتِلُنَا ابْنَ الزَّيْبِرِ . فَقَالَ : إِنِّي لَا أَرَى الْقِتَالَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . فَقَالَ لَهُمْ ابْنُ الزَّيْبِرِ : لَيْسَ يَبْرَحُ وَتَبْرَحُونَ حَتَّى يُبَايَعَ وَتُبَايَعُوا مَعَهُ . فَامْتَنَعُوا عَلَيْهِ ثُمَّ لَحِقَهُمْ بَقِيَّةُ أَصْحَابِهِمْ ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ وَهُمْ دَاخِلُونَ الْحَرَمَ : يَا ثَارَاتِ الْحُسَيْنِ . فَلَمَّا رَأَى ابْنُ الزَّيْبِرِ ذَلِكَ مِنْهُمْ خَافَهُمْ وَكَفَّ عَنْهُمْ ، ثُمَّ أَخَذُوا مُحَمَّدَ ابْنَ الْحَنْفِيَّةِ ، وَأَخَذُوا مِنَ الْحَجِيجِ مَالًا كَثِيرًا فَسَارَ بِهِمْ حَتَّى دَخَلَ شُعْبَ عَلِيٍّ ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُ أَرْبَعَةُ آلَافٍ رَجُلٍ ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ ذَلِكَ الْمَالَ .

هَكَذَا أَوْرَدَ ذَلِكَ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَفِي صَحِيحَتِهَا نَظَرٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ ^(٣) : وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ وَكَانَ نَائِبَهُ بِالْمَدِينَةِ أَخَاهُ مُصْعَبُ بْنُ الزَّيْبِرِ ، وَنَائِبُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ ، وَقَدْ اسْتَحْوِذَ الْمُخْتَارُ عَلَى الْكُوفَةِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ ^(٤) عَلَى بِلَادِ خُرَاسَانَ . [٣٨/٧] وَذَكَرَ حُرُوبًا جَرَتْ فِيهَا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ ^(٥) يَطُولُ ذِكْرُهَا .

(١ - ١) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٢) تاريخ الطبري ٨٠/٦ - ٨١ .

(٣) بعده في الأصل : «عبد الملك بن مروان على الشام وأخوه محمد بن مروان على الجزيرة وأرمينية وأخوه عبد العزيز على مصر» .

(٤) في ٣١ ، ٢١ ، ص : «حازم» .

(٥) انظر تاريخ الطبري ٧٧/٦ - ٨٠ .

فصل

قال ابن جرير^(١) : وفي هذه السنة شَخَصَ^(٢) إبراهيم بن الأَشرِ إلى عبيد الله ابن زياد ، وذلك لثمانِ بَقيين مِن ذى الحِجَّة . وقال أبو مِخْنَفٍ عن مشايخه^(٣) : ما هو إِلَّا أن فرَغَ المِختارُ مِن جَبَانَةِ السَّبِيحِ وأهلِ الكُنَاسَةِ ، فما نَزَلَ^(٤) إبراهيم بن الأَشرِ إِلَّا يومين حتى أَشْخَصَه إلى الوجهِ الذى كان وجَّهه له لِقَتالِ أهلِ الشَّامِ ؛ فخرَجَ يومَ السَّبْتِ لثمانِ بَقيين مِن ذى الحِجَّة سنة سِتٍّ وستين ، وخرَجَ معه المِختارُ يودُّعُه فى وجوه أصحابه ، وخرَجَ معهم خاصَّةُ المِختارِ ، ومعهم كرسىُّ المِختارِ على بغلٍ أَشْهَبَ لِيَسْتَنصِرُوا به على الأعداءِ ، وهم حاقِّون به يَدْعُونَ وَيَسْتَصْرِخُونَ وَيَسْتَنصِرُونَ وَيَتَضَرَّعُونَ ، فرَجَعَ المِختارُ بعدَ أن وصَّاه بثلاثٍ ؛ قال : يا ابنَ الأَشرِ ، اتقِ اللهَ فى سرِّكَ وعِلانِيَتِكَ ، وأسْرِعِ السَّيْرَ ، وعاجِلْ عدوكَ بالقتالِ . واستمرَّ أصحابُ الكرسىِّ سائرَين مع ابنِ الأَشرِ ، فجعلَ ابنُ الأَشرِ يقولُ : اللهم لا تَوَاخِذْنَا بما فَعَلَ السفهاءُ مِنَّا ، سُنَّةُ بنى إِسرائيلَ ، والذى نفسى بيده ، إِذ عَكَفُوا على عِجلِهِم . فلمَّا جاوزَ القنطرةَ إبراهيمُ وأصحابُه انصَرَفَ^(٥) أصحابُ الكرسىِّ .

قال ابن جرير^(٦) : وكان سببُ اتِّخاِذِ هذا الكرسىِّ ما حَدَّثَنِي به عبدُ الله بنُ

(١) تاريخ الطبرى ٨١ / ٦ .

(٢) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « سار » .

(٣) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٨١ / ٦ من طريق أبى مخنف به بنحوه .

(٤) فى النسخ : « ترك » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٥) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « رجع » .

(٦) تاريخ الطبرى ٨٢ / ٦ .

أحمد بن شُبْرُه^(١)، حَدَّثَنِي أَبِي، ثنا سليمان، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المبارك، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة، حَدَّثَنِي مَعْبُدُ^(٢) بنُ خالد، حَدَّثَنِي طَفِيلُ بنُ جَعْدَةَ ابنِ هُبيرة قال: أَعَدَمْتُ مَرَّةً مِنَ الْوَرِقِ فَإِنِّي لَكَذَلِكَ إِذْ مَرَرْتُ بِيَابِ^(٣) جَارِ لِي لَهُ كُرْسِيٌّ قَدْ رَكِبَهُ وَسَخَّ شَدِيدٌ، فَخَطَرَ عَلَى بَالِي أَنْ لَوْ قُلْتُ فِي هَذَا، فَرَجَعْتُ فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ أَنْ أُرْسِلَ إِلَيَّ بِالْكُرْسِيِّ. فَأَرْسَلَ بِهِ، فَأَتَيْتُ الْمُخْتَارَ فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي كُنْتُ أَكْثَمُكَ شَيْئًا وَقَدْ بَدَأَ لِي أَنْ أَذْكُرَهُ لَكَ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: قُلْتُ: كُرْسِيٌّ كَانَ جَعْدَةُ بنُ هُبيرةَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ^(٤) يَرَى أَنَّ فِيهِ أَثَرَةً مِنْ عِلْمٍ^(٥). قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! فَأُخِّرْتُ^(٦) هَذَا إِلَى الْيَوْمِ؟^(٧) أَبَعَثْتُ إِلَيْهِ^(٧). قَالَ: فَجِئْتُ بِهِ وَقَدْ غُسِّلَ فَخَرَجَ غُودًا نُضَارًا وَقَدْ تَشَرَّبَ الزَّيْتَ، فَأَمَرَ لِي بِائَتْنِ عَشْرَ أَلْفًا، ثُمَّ نَوْدَى فِي النَّاسِ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً. قَالَ: فَخَطَبَ الْمُخْتَارُ النَّاسَ فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ أَمْرٌ إِلَّا وَهُوَ كَائِنٌ فِي هَذِهِ الْأَمَةِ مِثْلُهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ التَّابُوتُ^(٨) يُنْصَرُونَ بِهِ^(٨)، وَإِنَّ هَذَا مِثْلُهُ. ثُمَّ أَمَرَ فَكُشِفَ عَنْهُ أَثَوَابُهُ، وَقَامَتِ السَّبِيئَةُ^(٩) فَرَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ وَكَبَّرُوا ثَلَاثًا، فَقَامَ سَبْتُ بنُ رِبْعِيٍّ فَأَنكَرَ عَلَى النَّاسِ وَكَادَ أَنْ يُكْفِّرَ مَنْ يَصْنَعُ [٣٨/٧ ظ] بهذا التَّابُوتِ هَذَا التَّعْظِيمَ، وَأَشَارَ بِأَنْ يُكْسَرَ

(١) في ٣١: «شُبْرُه»، وفي ٢١: «سَيُوبِه»، وفي م: «شَيُوبِه». وانظر الإكمال ٢٢/٥.

(٢) في م: «معد».

(٣) بعده في م، ص: «رجل هو».

(٤) بعده في ٣١، ٢١، م: «كان».

(٥) بعده في ٢١: «ويذكر أن علي بن أبي طالب كان يجلس عليه».

(٦) في ٣١، ٢١، م: «فلم أخرت».

(٧ - ٧) في ٣١، ٢١، م: «أبعثه إلي». والمثبت كما في الطبري ٨٢/٦.

(٨ - ٨) زيادة من: ٣١، ٢١، م.

(٩) في الأصل، ٣١: «الشباشية»، وفي م: «السبائية»، وفي ص: «السائية». والسبئية: أتباع عبد الله بن سبأ الذي غلّا في علي، رضى الله عنه، وزعم أنه كان نبيًا، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله، ودعا إلى ذلك قومًا من غواة الكوفة. الفرق بين الفرق، صفحة ٢٣٣.

وَيُخْرِجُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَيُؤَمِّي بِهِ فِي الْحُشِّ . فَشَكَرَهَا النَّاسُ لَشَبَثِ بْنِ رَبْعِيٍّ ، فَلَمَّا قِيلَ : هَذَا عِبِيدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ قَدْ أَقْبَلَ . وَبَعَثَ الْخِتَارُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ ، بَعَثَ مَعَهُ بِالْكَرْسِيِّ يُحْمَلُ عَلَى بَغْلٍ أَشْهَبَ قَدْ غُشِّيَ بِأَثْوَابِ الْحَرِيرِ ، عَنْ يَمِينِهِ سَبْعَةٌ وَعَنْ يَسَارِهِ سَبْعَةٌ ، فَلَمَّا تَوَاجَهُوا مَعَ الشَّامِيِّينَ - كَمَا سَيَأْتِي - وَغَلَبُوا الشَّامِيِّينَ وَقَتَلُوا ابْنَ زِيَادٍ ، أَزْدَادَ تَعْظِيمِهِمْ لِهَذَا الْكَرْسِيِّ حَتَّى بَلَغُوا بِهِ الْكَفَرَ ، قَالَ الطُّفَيْلُ بْنُ جَعْدَةَ : فَقُلْتُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . وَنِدِمْتُ عَلَى مَا صَنَعْتُ . وَتَكَلَّمُ النَّاسُ فِي هَذَا الْكَرْسِيِّ ، وَكَثُرَ عَيْبُ النَّاسِ لَهُ ، فَغُيِّبَ حَتَّى لَا يُرَى بَعْدَ ذَلِكَ .

وَذَكَرَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ ^(١) أَنَّ الْخِتَارَ طَلَبَ مِنْ آلِ جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ الْكَرْسِيَّ الَّذِي كَانَ عَلَيَّ يَجْلِسُ عَلَيْهِ ، فَقَالُوا : مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ مِمَّا يَقُولُ الْأَمِيرُ . فَأُلْحَ عَلَيْهِمْ حَتَّى عَلِمُوا أَنَّهُمْ لَوْ جَاءُوا بِأَيِّ كُرْسِيٍّ كَانَ لَقَبِلَهُ مِنْهُمْ ، فَحَمَلُوا إِلَيْهِ كُرْسِيًّا مِنْ بَعْضِ الدُّوَرِ ، فَقَالُوا : هَذَا هُوَ . فَخَرَجَتْ شِبَامٌ ^(٢) وَشَاكِرٌ وَسَائِرُ رَعُوسِ الْخِتَارِ بِهِ وَقَدْ عَصَبُوهُ بِالْحَرِيرِ وَالذِّيَابِجِ .

وَحَكَى أَبُو مُخْتَفٍ ^(٣) أَنَّ أَوَّلَ مَنْ سَدَنَ هَذَا الْكَرْسِيَّ مُوسَى بْنُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، ثُمَّ إِنَّهُ غُيِّبَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، فَدَفَعَهُ ^(٤) إِلَى حَوْشِبِ الْبَرْسُمِيِّ ، فَكَانَ صَاحِبَهُ حَتَّى هَلَكَ الْخِتَارُ ، قَبَّحَهُ اللَّهُ .

وَيُرْوَى أَنَّ الْخِتَارَ كَانَ يُظْهِرُ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ بِمَا يَعْظُمُ أَصْحَابُهُ هَذَا الْكَرْسِيَّ ^(٥) .

(١) تاريخ الطبري ٨٤/٦ ، ٨٥ .

(٢) في ٣١ ، ٢١ : « سبأ » ، وفي م : « شيام » .

(٣) تاريخ الطبري ٨٤/٦ ، ٨٥ ولكن من قول أبي الأشعر لا أبي مختف .

(٤) في م : « فرغه » .

(٥) تاريخ الطبري ٨٥/٦ .

وقد قال فى هذا الكرسيّ أعشى همدان^(١) :

شَهِدْتُ عَلَيْكُمْ أَنْكُمْ سَبَّيْتُمْ^(٢) وَإِنِّي بِكُمْ يَا شُرَاطَةَ الشُّرُكِ عَارِفُ
وَأَقْسِمُ مَا كَرْسِيَّكُمْ بِسَكِينَةٍ وَإِنْ كَانَ قَدْ لُقِّتْ عَلَيْهِ اللَّفَائِفُ
وَأَنْ لَيْسَ كَالْتَابُوتِ فِينَا وَإِنْ سَعَتْ شِبَابُ حَوَالِيهِ وَنَهَدُ وَخَارِفُ
وَإِنِّي أَمْرُؤُ أَحَبُّ آلِ مُحَمَّدٍ وَتَابَعْتُ وَحْيًا ضُمَّنْتُهُ الْمَصَاحِفُ
وَتَابَعْتُ عَبْدَ اللَّهِ لَمَّا تَتَابَعْتُ عَلَيْهِ قُرَيْشُ شُمُطُهَا وَالْغَطَارِفُ
وَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ اللَّيْثِيُّ^(٣) :

أَبْلِغْ أَبَا إِسْحَاقَ إِنْ جِئْتَهُ أَنِّي بِكَرْسِيَّكُمْ كَافِرُ
تَنْزُوا شِبَابُ حَوْلِ أَعْوَادِهِ وَتَحْمِلُ الْوَحْيَ لَهُ شَاكِرُ
مُحَمَّرَةٌ أَعْيُنُهُمْ حَوْلَهُ كَأَنَّهُنَّ الْحِمَّصُ الْحَادِرُ
[٣٩/٧] قُلْتُ : وهذا وأمثاله مما يدلُّ على قلةِ عقلِ المختارِ وأتباعه ، وضعفه
وقلةِ علمه وكثرة جهله ، ورداءة فهمه ، وترويعه الباطلَ على أتباعه ، وتشبيهه
الباطلَ بالحقِّ ليُضِلَّ به الطُّغَمَاءَ ، ويَجْمَعَ عليه جُفْهَالُ الْعَوَامِّ .

^(٥) قال الواقدي^(٤) : وفى هذه السنة وَقَعَ فى مَصْرَ طَاعُونَ هَلَكَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ
أَهْلِهَا . وفيها ضَرَبَ الدنانيرَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ بِمَصْرَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَهَا
بِهَا .

(١) تاريخ الطبرى ٨٣/٦ ، ٨٤ .

(٢) فى ٢١ ، م ، ص : « سبائية » .

(٣) المصدر السابق ٨٤/٦ .

(٥) من هنا إلى ما قبل سنة سبع وستين سقط من : ص .

(٤) انظر تاريخ خليفة ٣٣٢/١ ، وتاريخ الإسلام ٥٣/٥ . ولم ينسب إلى أحد .

قال صاحبُ مرآة الزمان : وفيها ابتداءُ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوَانَ بيناءِ^(١) القبةِ على صخرة بيت المقدس ، وعمارة الجامع الأقصى ، وكمَلتُ عمارته في سنة ثلاث وسبعين ، وكان السببُ في ذلك أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ كان قد استولى على مكة ، وكان يخطبُ في أيامِ منى وعرفة ، ومُقامِ الناسِ بمكة ، وينالُ من عبدِ الملكِ ويذكُرُ مساوئَ بنى مَرْوَانَ ، ويقولُ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لعنَ الحَكَمَ وما نسلَ ، وأنه طريدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ولعيته . وكان يدعو إلى نفسه ، وكان فصيحًا ، فمال معظمُ أهلِ الشامِ إليه ، وبلغَ ذلك عبدَ الملكِ فَمَنَعَ الناسَ مِنَ الحَجِّ فَضَجُّوا ، فَبَنَى لَهُمُ^(٢) القبةَ على الصخرة والجامعِ الأقصى ؛ لِيَشْغَلَهُمْ بِذَلِكَ عَنِ الحَجِّ وَيَسْتَعِطِفَ قُلُوبَهُمْ ، وكانوا يَقِفُونَ عِندَ الصخرةِ وَيَطُوفُونَ حَوْلَهَا كَمَا يَطُوفُونَ حَوْلَ الكعبةِ ، وَيَنْحَرُونَ يَوْمَ العِيدِ وَيَحْلِقُونَ رُءُوسَهُمْ . فَفَتَحَ بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ^(٣) بَابَ تَشْنِيعِ^(٤) ابْنِ الزبيرِ عَلَيْهِ ، فَكَانَ يُشْنَعُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ وَيَقُولُ : ضَاهَى بِهَا فَعَلَ الْأَكَاسِرَةُ فِي إِيوَانِ كَسْرَى ، وَالْخَضِرَاءُ كَمَا فَعَلَ مَعَاوِيَةُ ، وَنَقَلَ الطَّوَّافَ مِنْ بَيْتِ اللَّهِ إِلَى قِبْلَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَنَحْوَ ذَلِكَ .

ولمَّا أَرَادَ عبدُ الملكِ^(٥) بِنَاءَهَا سَارَ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى^(٦) بَيْتِ المقدسِ وَمَعَهُ^(٧) الْأَمْوَالُ وَالْعَمَالُ ، وَوَكَّلَ بِالْعَمَلِ رَجَاءَ بْنَ حَيَّوَةَ ، وَيَزِيدَ بْنَ سَلَامٍ مَوْلَاهُ ، وَجَمَعَ الصُّنَّاعَ^(٨) وَالْمُهَنْدِسِينَ فَأَمَرَهُمْ فَصَوَّرُوا لَهُ الْقِبَّةَ فِي صَحْنِ الْمَسْجِدِ فَأَعْجَبَهُ ، وَبَنَى لِلْمَالِ بَيْتًا شَرْقِيَّ الْقِبَّةِ ، وَشَحَنَهُ بِالْمَالِ^(٩) ، وَأَمَرَ رَجَاءَ بْنَ حَيَّوَةَ ، وَيَزِيدَ أَنْ يُفْرِغَا

(١) فِي الْأَصْلِ : « فِي عِمَارَةٍ » .

(٢) سَقَطَ مِنْ : م .

(٣ - ٣) فِي م : « بَأْنُ شَنْعٍ » .

(٤ - ٤) فِي ٣١ ، ٢١ ، م : « عِمَارَةٌ » .

(٥) فِي ٣١ ، ٢١ ، م : « وَجْهٌ إِلَيْهِ » .

(٦ - ٦) فِي ٣١ ، ٢١ ، م : « مِنْ أَطْرَافِ الْبِلَادِ وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى بَيْتِ المقدسِ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِالْأَمْوَالِ الْجَزِيلَةِ الْكَثِيرَةِ » .

المال^(١) إفراغًا ولا يتوقفا فيه ، فبثوا النفقات وأكثروا ، فبنوا القبة^(٢) التي هي اليوم قائمة ، وبنوا من ناحية القبة سبع قباب ، والقبة التي باقية اليوم على المحراب هي أوسطها ، ولما تم بناء القبة عمل لها^(٣) جلالين ؛ أحدهما من^(٤) لبؤد أحمر^(٥) للشتاء ، والآخر من أدم للصيف ،^(٦) وحف [٣٩/٧] الصخرة بدرابزين من الساج المطعم باليشم^(٧) ، وخلف الدرابزين ستور من الدياج مرخاة بين العمد ، وكانت السدنة كل خميس واثنين يذوبون المسك^(٨) والعنبر والماورد والزعفران ، ويعملون منه غالبية^(٩) ويخمرونها من الليل ، ثم يدخل الخدم الحمام من الليل

(١) في م : « الأموال » .

(٢ - ٣) في ٣١ ، ٢١ ، م : « فجاءت من أحسن البناء وفرشاها بالرخام الملون وعملا للقبة » .

(٣ - ٣) في م : « اليود الأحمر » .

(٤ - ٤) في ٣١ ، ٢١ ، م : « وحفا القبة بأنواع الستور ، وأقاما لها سدنة وخداما بأنواع الطيب والمسك » .

(٥) اليشم : نوع من الأحجار الكريمة الشبيهة بالعقيق . المعجم الذهبى ٦٢٠ .

(٦) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « ويبخرون القبة والمسجد من الليل ، وجعل فيها من قناديل الذهب والفضة والسلاسل الذهب والفضة شيئا كثيرا ، وجعل فيها العود القماري المغلف بالمسك وفرشها والمسجد بأنواع البسط الملونة ، وكانوا إذا أطلقوا البخور يشم من مسافة بعيدة ، وكان إذا رجع الرجل من بيت المقدس إلى بلاده توجد منه رائحة المسك والطيب والبخور بعد أيام ، ويُعرف أنه قد أقبل من بيت المقدس ، وأنه دخل الصخرة ، وكان فيه من السدنة والقوم القاطنين بأمره خلق كثير ، ولم يكن يومئذ على وجه الأرض بناء أحسن ولا أبهى من قبة صخرة بيت المقدس ، بحيث إن الناس التهؤا بها عن الكعبة والحج ، بحيث كانوا لا يلتفتون في مواسم الحج وغيره إلى غير المسير إلى بيت المقدس ، واقتن الناس بذلك افتتانًا عظيمًا ، وأتوه من كل مكان ، وقد عملوا فيه من الإشارات والعلامات المكذوبة شيئا كثيرا مما فى الآخرة ؛ فصوروا فيه صورة الصراط وباب الجنة ، وقدم رسول الله ﷺ ، وواذى جهنم ، وكذلك فى أبوابه ومواضع منه ، فاعتز الناس بذلك ، وإلى زماننا ، وبالجملة أن صخرة بيت المقدس لما فرغ من بنائها لم يكن لها نظير على وجه الأرض بهجة ومنظرًا ، وقد كان فيها من الفصوص والجواهر والفسيفساء وغير ذلك شىء كثير ، وأنواع باهرة . ولما فرغ رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام من عمارتها على أكمل الوجوه فضل من المال الذى أنفقه على ذلك ستمائة ألف مثقال ، وقيل : ثلاثمائة ألف مثقال . فكتبنا إلى عبد الملك يُخبرانه بذلك ، فكتب إليهما : قد وهبته منكما . فكتبنا إليه : إنا لو استطعنا لردنا فى عمارة هذا المسجد من خلى نسائنا . فكتب إليهما : إذ أيتما أن تقبله فأفرغاه على القبة والأبواب . فما كان أحد يستطيع أن يتأمل القبة مما عليها من الذهب =

فيغتسلون ويتطيّبون ، ويلبسون ثياب الوشي ، ويشدّون أوساطهم بالمناطق المحلاة بالذهب ، ويخلّقون الصخرة ثم يصفّون البخور في مجامر الذهب والفضة ، وفيها العود القمارئ المغلّئ بالمسك ويرجي السدنة الستور فتخرج تلك الرائحة فتملأ المدينة كلّها ، ثم ينادى مناد : ألا إنّ الصخرة قد فُتحت فمن أراد الزيارة فليأت ، فيقبل الناس مبادرين ، فيصلّون ويخرجون ، فمن وُجدت منه رائحة البخور قال الناس : هذا كان اليوم في الصخرة .

وأبواب الصخرة أربعة ؛ على كلّ باب عشرة من الحجابة ، الباب الشمالي يُسمّى باب الجنة ، والشرقي باب إسرائيل ، والغربي باب جبريل ، والقبلي باب الأقصى . وكانوا يشعلونها بدهن البان ، ولا يدخلها أحد غير أيام الزيارة سوى الخدم ، وكان للحرم عشرون باباً ، وكان فيه ألف عمود من الرخام ، وفي الشقوف ستون ألف خشبة من الساج المنقوش ، ومن القناديل خمسة آلاف قنديل ، وكان فيه أربعمئة سلسلة ، كلّ سلسلة ألف رطل شامي ، طول السلاسل ثلاثون ألف ذراع ، وكان يُوقد في الصخرة كلّ ليلة مائة شمعة ، وكذا في الأقصى ، وكان يُوقد في القناديل كلّ ليلة من الزيت المفتول قنطاراً ، وكان في الحرم خمسون قبة ، ومن ألواح الرصاص سبعون ألف لوح ، وكان في الحرم ثلاثمئة خادم ابتاعوا من بيت المال من الخمس ، كلّما مات واحد قام ولده بعده مقامه ، ويقبضون أرزاقهم من بيت المال شهراً بشهر ، وكان في الحرم مائة

= القديم والحديث . فلما كان في خلافة أبي جعفر المنصور قديم بيت المقدس سنة أربعين ومائة ، فوجد المسجد خراباً ، فأمر أن يُقلع ذلك الذهب والصفائح التي على القبة والأبواب ، وأن يعمروا بها ما تشئت في المسجد ، ففعلوا ذلك . وكان المسجد طويلاً فأمر أن يُؤخذ من طوله ويُؤاد في عرضه ، ولما كمل البناء كتب على القبة مما يلي الباب القبلي : أمر بينائه بعد تشييده أمير المؤمنين عبد الملك سنة اثنتين وسبعين من الهجرة النبوية ، وكان طول المسجد من القبلة إلى الشمال سبعمائة وخمسة وستين ذراعاً ، وعرضه أربعمئة وستين ذراعاً ، وكان فتح القدس سنة ستة عشر .

صَهْرِيحٍ ، وكانت صفائحُ القُبَّةِ ، وسقفُ الأَقْصَى من صفائحِ الذَّهَبِ عَرْضَ الرِّصَاصِ ، وكذلك أبوابُ القُبَّةِ صفائحُها ، وذلك أنه لما كَمَلَ البناءُ فَضَّلَ من المالِ ثلاثُمائةَ ألفِ دينارٍ ، وقِيلَ : سَتُمائةُ ألفٍ . وَكَتَبَ رَجَاءُ بْنُ حَيَوَةَ وَيَزِيدُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُعَرِّفَانِهِ بِذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمَا : قَدْ جَعَلْتُهُ لَكُمَا عِوَضًا عَنْ تَعْيِكُمَا . فَكَتَبَا إِلَيْهِ : إِنَّمَا قُمْنَا بِهَذَا الْبَيْتِ لِلَّهِ تَعَالَى ، فَلَا نَقْبَلُ عَلَى ذَلِكَ عَرْضَ الدُّنْيَا وَلَوْ دُفِنَا أَنْ نَزِيدَ فِيهِ مِنْ حُلِيِّ نِسَائِنَا . فَكَتَبَ إِلَيْهِمَا : [٧/٤٠] إِذَا أُبَيِّتُمْ ذَلِكَ فَأَقْرِغَاهُ عَلَى الْقُبَّةِ وَالْأَبْوَابِ . فَمَا كَانَ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَأَمَّلَ الْقُبَّةَ مِمَّا عَلَيْهَا مِنَ الذَّهَبِ . فَلَمَّا كَانَ فِي خِلَافَةِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ قَدِيمَ الْقَدَسِ سَنَةً أَرْبَعِينَ وَمِائَةً فَوَجَدَ الْأَقْصَى وَقِبَابَهُ تَشْكُو إِلَيْهِ الْخَرَابَ ، فَأَمَرَ بِقَلْعِ الصَّفَائِحِ الَّتِي عَلَى الْقُبَّةِ وَالْأَبْوَابِ ، وَأَنْ يُعَمَّرَ بِهَا مَا تَشَعَّتْ فِي الْحَرَمِ . فَفَعَلُوا ذَلِكَ . وَكَانَ الْمَسْجِدُ طَوِيلًا ، فَأَمَرَ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ طَوْلِهِ وَيُزَادَ فِي عَرْضِهِ ، وَلَمَّا كَمَلَ الْبِنَاءُ كَتَبُوا عَلَى الْقُبَّةِ مِمَّا يَلِي الْبَابَ الْقِبْلِيُّ مِنْ جِهَةِ الْأَقْصَى بِالنَّصِّ بَعْدَ الْبِسْمَلَةِ : بَنَى هَذِهِ الْقُبَّةَ عَبْدُ اللَّهِ عَبْدُ الْمَلِكِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ . وَكَانَ طَوْلُ الْمَسْجِدِ مِنَ الْقِبْلَةِ إِلَى الشَّمَالِ سَبْعِمِائَةً وَخَمْسَةً وَسِتِينَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهُ أَرْبَعِمِائَةً وَسِتِينَ ذِرَاعًا . وَكَانَ فَتَحَ الْقَدَسِ سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ^(٥) .

(٥) إِلَى هُنَا نِهَآيَةُ السَّقْطِ فِي : ص .

ثم دخلت سنة سبع وستين

ففيها كان مقتل عبيد الله بن زياد على يدى إبراهيم بن الأشتر النخعي؛ وذلك أن إبراهيم بن الأشتر خرج من الكوفة يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة في السنة الماضية، ثم استهلّت هذه السنة وهو سائر لقصد ابن زياد في أرض الموصل، فكان اجتماعهما بمكان يقال له: الخازر^(١). بينه وبين الموصل خمسة فراسخ^(٢)، فبات ابن الأشتر تلك الليلة ساهراً لا يغتمض بنوم، فلما كان قريب الصبح نهض فعلاً جيشه وكتب كتابه، وصلى بأصحابه الفجر في أول وقت، ثم ركب فناهض جيش ابن زياد، وزحف بجيشه رويداً وهو ماش في الرجالة حتى أشرف من فوق تل على جيش ابن زياد، فإذا هم لم يتحرك منهم أحد، فلما رأوهم نهضوا إلى خيلهم وسلاحهم مدهوشين، فركب ابن الأشتر فرسه وجعل يقف على رايات القبائل فيحرّضهم على [٧/٤٠ ط] قتال ابن زياد ويقول: هذا قاتل ابن بنت رسول الله ﷺ، قد جاءكم الله به وأمكنكم الله منه اليوم، فعليكم به؛ فإنه قد فعل في ابن بنت رسول الله ﷺ ما لم يفعله فرعون في بنى إسرائيل! هذا ابن زياد قاتل الحسين الذي حال بينه وبين الفرات^(٣) أن يشرب منه هو وأولاده ونساؤه، ومنعه أن ينصرف إلى بلده، أو يأتي يزيد بن

(١) في الأصل: «الجاور»، وفي ٣١، ص: «الخازر»، وفي ٢١: «الجازر».

وخازر نهر بين إربل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل. معجم البلدان ٣٨٨/٢.

(٢) بعده في الأصل: «وكان ابن الأشتر في ثمانية آلاف وابن زياد في أربعين ألفاً من أهل الشام وكان ابن الأشتر لا يسير إلا على نفسه فلما قاربوا أرسل عمير بن الحباب السلمي أنى معك وأتى إلى ابن الأشتر ليلاً فبايعه وأخبره أنه على مسيرة ابن زياد ووعد أنه ينهزم بالناس وقال له لا تطاول القوم فإنهم أضعافكم ولكن ناجزهم فإنهم قد ملئوا منكم رعباً فقال ابن الأشتر الآن علمت أنك ناصح ثم انصرف».

(٣) في ٣١، ٢١: «الماء الفرات». وفي م: «ماء الفرات».

معاوية حتى قتله !^(١) ويحكم ، أشفوا صدوركم منه ، وازووا رماحكم وسيوفكم من دمه ، هذا الذى فعل فى آلِ نبيكم ما فعل ، قد جاءكم الله به . ثم أكثر من هذا القول وأمثاله^(٢) ، ثم نزل تحت رايته .

وأقبل ابن زياد^(٣) فى جيش كثيف قد جعل على ميمنته حصين بن نمير ، وعلى الميسرة عمير بن الحباب السلمى - وكان قد اجتمع بابن الأشر ووعده أنه معه وأنه سينهزم بالناس غداً - وعلى خيل ابن زياد شريحيل بن ذى^(٤) الكلاع ، وابن زياد فى الرجالة يمشى معهم ، فما كان إلا أن توافف الفريقان حتى حمل حصين بن نمير بالميمنة على ميسرة أهل الكوفة^(٥) فهزمها ، وقُتل أميرها على بن مالك الجشمى ، فأخذ رايته من بعده ولده قرة^(٦) بن على فقتل أيضاً ، واستمرت^(٧) الميسرة ذاهبةً ، فجعل ابن^(٨) الأشر يُناديهم : إلى يا شرطة الله ، أنا ابن الأشر . وقد كشف عن رأسه ليعرفوه ، فالتاثوا به وانعطفوا عليه ، واجتمعوا إليه ، ثم حملت ميمنة أهل الكوفة على ميسرة أهل الشام . وقيل : بل انهزمت ميسرة أهل الشام وانحازت إلى ابن الأشر . ثم حمل ابن الأشر بمن معه وجعل يقول لصاحب رايته : ادخل برايتك فيهم . وقاتل ابن الأشر يومئذ قتالاً عظيماً ، وكان لا يضرب بسيفه رجلاً إلا صرعه ، وكثرت القتلى بينهم ، وقيل : إن

(١ - ١) فى الأصل : « فوالله ما عمل فرعون فعاله وقد جاءكم الله به وإنى لأرجو أن يشفى صدوركم ويسفك دمه على يديكم » .

(٢) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « فى خيله ورجله » .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « العراق » .

(٥) فى النسخ : « محمد » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٨٩/٦ ، والكامل ٢٦٣/٤ . وانظر تاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٥٦ .

(٦) فى الأصل : « انغمرت » ، وفى ٣١ : « انتشرت » ، وفى ٢١ : « انتشرت » .

(٧) سقط من : الأصل ، ٢١ ، م .

ميسرة أهل الشام ثبتوا وقَاتَلُوا قتالاً شديداً بالرماح ثم بالسيوف . ثم أَرْدَفَ الحَمَلَةَ ابنُ الأَشرِ ، فانهمَزَ جيشُ الشامِ بينَ يَدَيهِ ، فجعلَ يَقتُلُهُم كما تُقتَلُ الحُمُلاتُ ، وأَتَبَعَهُم بِنَفْسِهِ وَمَن مَّعَهُ مِنَ الشَّجَعَانِ ، وثبتَ عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ في موقِفِهِ حتى اجتازَ به ابنُ الأَشرِ فقتَلَهُ وهو لا يَعرِفُهُ ، لكن قال لأَصحابِهِ : التَمِسُوا في القَتَلَى رجلاً ضَربَتْهُ بالسيفِ فنَفَعَنِي مِنْهُ رِيحُ المَسكِ ، شَرَقَتْ يَدَاهُ وَغَرَبَتْ رِجْلَاهُ ، وهو واقِفٌ عِندَ رَايَةٍ مُنْفَرِدَةٍ عَلى شَاطِئِ نَهرِ حَازِرٍ^(١) . فَالتَمَسُوهُ إِذَا هُوَ عَبيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ ، وَإِذَا هُوَ قد ضَربَهُ ابنُ الأَشرِ فَقَطَعَهُ نِصْفَيْنِ ، [٤١/٧] فَاحْتَرَزُوا رَأْسَهُ وَبَعَثُوهُ إِلَى المِخْتَارِ إِلَى الكُوفَةِ مَعَ البِشَارَةِ بِالنَصْرِ وَالظَفَرِ بِأَهْلِ الشَّامِ . وَقُتِلَ مِنْ رَعُوسِ أَهْلِ الشَّامِ أَيْضاً حَصِينُ بنُ نَمِيرٍ وَشَرَحْبِيلُ بنُ ذِي الكَلَّاعِ^(٢) ، وَأَتَبَعَ الكُوفِيُّونَ أَهْلَ الشَّامِ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَغَرِقَ مِنْهُمْ أَكْثَرُ مَنْ قُتِلَ ، وَاحْتَارَ مَا كَانَ فِي مَعْسَكِهِمْ مِنَ الأَمْوَالِ وَالخِيُولِ .

وقد كان المِخْتَارُ بَشَّرَ أَصحابَهُ بِالنَصْرِ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ الخَبْرُ ، فَمَا نَدَرِي أَكَانَ ذَلِكَ تَفَاؤُلاً مِنْهُ أَوْ اتِّفَاقاً وَقَعَ لَهُ ، أَوْ كِهَانَةً - وَأَمَّا عَلَى مَا كَانَ يَزْعُمُ أَصحابُهُ مِنْ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ فَلَا ، فَإِنَّ مَنْ اعْتَقَدَ ذَلِكَ كَفَرَ ، وَمَنْ أَقَرَّهُمْ عَلَى ذَلِكَ كَفَرَ - لَكِنْ قَالَ : إِنَّ الوَقْعَةَ كَانَتْ بِنَصِيبَيْنِ . فَأَخْطَأَ مَكَانَهَا ، فَإِنَّهَا إِنَّمَا كَانَتْ بِأَرْضِ المَوْصِلِ ، وَهَذَا مِمَّا انْتَقَدَهُ عَامِرُ الشَّعْبِيِّ عَلَى أَصحابِ المِخْتَارِ حِينَ جَاءَهُ الخَبْرُ بِالْفَتْحِ^(٣) ، وَقَدْ خَرَجَ المِخْتَارُ^(٤) مِنَ الكُوفَةِ لِيَتَلَقَّى البِشَارَةَ ، فَأَتَى المَدَائِنَ فَصَعِدَ

(١) فِي الأَصْلِ ، ص : « حَازِر » ، وَفِي ٣١ ، ٢١ : « جَار » .

(٢) بَعْدَهُ فِي الأَصْلِ : « فَأَرْسَلَهَا المِخْتَارُ إِلَى ابْنِ الزَّيْرِ فَنَصَبَتْ بِمَكَّة » .

(٣) سَقَطَ مِنْ : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٤) سَقَطَ مِنْ : الأَصْلِ ، ص . وَانْظُرْ تَارِيخَ الطَّبَرِيِّ ٩١/٦ .

منبرها، فبينما هو يخطبُ إذ جاءته البشارة وهو هنالك . قال الشعبي^(١) : فقال لى بعض أصحابه : أما سمعته بالأمس يخبرنا بهذا ؟ فقلتُ له : ^(٢) «إنه زعم أن الواقعة كانت» بنصيبين من أرض الجزيرة ، وإنما قال البشير : إنهم كانوا بالخازر^(٣) من أرض الموصل . فقال : والله لا تؤمن يا شعبي حتى ترى العذاب الأليم .

ثم رجع المختار إلى الكوفة ، وفى غيبته هذه تمكن جماعة ممن كان قاتله يوم جبانة السبيع والكناسة من الخروج إلى البصرة ؛ ليجتمعوا بمصعب بن الزبير ، وكان منهم شُبْتُ بن ربيع . وأما ابن الأستر فإنه بعث بالبشارة ورأس^(٤) عبيد الله إلى المختار ، واستقل هو فى تلك البلاد فبعث أخاه لأمه عبد الرحمن بن عبد الله على نياية نصيبين^(٥) ، وبعث عمالاً إلى الموصل ، وأخذ سينجار^(٦) ودارا^(٧) وما والاها^(٧) من الجزيرة .

وقال أبو أحمد الحاكم^(٨) : كان مقتل عبيد الله بن زياد يوم عاشوراء^(٩) سنة ست وستين . والصواب سنة سبع وستين^(٩) .

(١) تاريخ الطبرى ٩٢/٦ .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : «أما سمعته يقول : إنهم قتلوا الشاميين» .

(٣) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ : «بالخازر» . وفى ص : «بالخازر» .

(٤ - ٤) فى ٣١ ، ٢١ ، م : «ابن زياد وبعث رجلا على نياية نصيبين واستمر مقيما فى تلك البلاد» .

(٥) مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام .

(٦) بلدة فى لطف جبل بين نصيبين وماردين .

(٧) فى م : «ولاها» .

(٨) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢١٣/٤٤ .

(٩ - ٩) فى الأصل : «سنة ست وستين» . وفى ٣١ ، ٢١ : «سنة سبع وستين» . وفى حاشية الأصل

فوق كلمة (ست) : (كذا والصواب سنة سبع وسبعين) .

وقد قال سراقَةُ بنُ مُرداسٍ البارقِي يمدحُ ^(١) ابنُ الأَشرِ على قتلِهِ ابنَ زيادٍ ^(٢) :

أَتَاكُمْ غُلَامٌ مِنْ عَرَانِينَ مَذْجِجٍ جَرِيٌّ عَلَى الْأَعْدَاءِ غَيْرُ نَكُولٍ
فَيَا ابْنَ زِيَادٍ بُؤْ بِأَعْظَمِ مَالِكٍ ^(٣) وَذُقْ حَدَّ مَاضِي الشُّفَرَتَيْنِ صَقِيلٍ
[٤١/٧ ظ] ضَرْبُكَ بِالْعُضْبِ الْحُسَامِ بِخَدِّهِ ^(٤) إِذَا مَا أَبَانَا ^(٥) "قَاتِلًا بِقَتِيلٍ" ^(٦)
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا شُرْطَةَ اللَّهِ إِنَّهُمْ شَفَوْا مِنْ عُيَيْدِ اللَّهِ أُمْسٍ غَلِيلِي

وهذه ترجمة ابن زياد

هو عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادِ بنِ عبيدٍ ، المعروف بابنِ زيادِ بنِ أبي سفيانَ ، ويُقالُ له : زيادُ بنُ أبيه ، وابنُ سُمَيَّةَ ^(٧) . أميرُ العراقِ بعدَ أبيه زيادَ . وقال ابنُ معينٍ ^(٨) : ويُقالُ له : عبيدُ اللَّهِ ابنُ مَرْجَانَةَ - وهى أمُّه . وقال غيره ^(٩) : وكانت مجوسيةً . وكنيته ^(١٠) أبو حفصٍ ، وقد سكنَ دمشقَ بعدَ يزيدَ بنِ معاويةَ ، وكانت له دارٌ عندَ

(١) بعده فى الأصل : « مروان » .

(٢) الأبيات فى تاريخ الطبرى ٩٢/٦ . وديوان سراقَة ص ٨١ ، ٨٢ .

(٣) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « هالك » . وفى الديوان : مَأْبَأً .

(٤) فى تاريخ الطبرى : « بجِدَّة » .

(٥) فى النسخ : « أتانا » . والمثبت من تاريخ الطبرى والديوان . والبواء : القصاص .

(٦ - ٦) فى م : « قتيلا بقتيل » . وفى ص : « قتيلا يقتل » .

(٧) ترجمته فى : التاريخ الكبير ٣٨١/٥ ، وتاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢١١/٤٤ ،

وسير أعلام النبلاء ٣/٥٤٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ١٧٥ .

(٨) تاريخ يحيى بن معين ٣٨٢/٢ بنحوه .

(٩) ذكر ابن عساكر بسنده عن المزيانى أن أمه مرجانة سبية من أصبهان . ونقل الخطايب أنها كانت بنت

بعض ملوك فارس . انظر تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢١٤/٤٤ ، ٢١٩ ، وتاريخ

الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) ص ١٧٨ .

(١٠ - ١٠) فى ص : « عبيد الله أبو جعفر » .

الديماس^(١) تُعَرَّفُ بعَدَه بدارِ ابنِ عجلانَ ، وكان مولدُه سنةَ تسعٍ وثلاثين فيما حكاها ابنُ عساكرَ عن أبي العباسِ أحمدَ بنِ يونسَ الضبيّ^(٢) .

قال ابنُ عساكرَ^(٣) : وروى الحديثَ عن معاويةَ وسعيدِ بنِ أبي وقاصٍ ومُغْقِلِ ابنِ يسارٍ . وحدثَ عنه^(٤) الحسنُ البصريُّ وأبو المليحِ بنُ أسامةَ . وقال أبو نعيمٍ الفضلُ بنُ دُكَيْنٍ^(٥) : ذكروا أنَّ عبيدَ اللَّهِ بنَ زيادٍ حينَ قَتَلَ الحسينَ كان عمرُه ثمانيتا وعشرين سنةً . قلتُ : فعلى هذا يكونُ مولدُه سنةَ ثلاثٍ وثلاثين . واللَّهُ أعلمُ .

وقد روى ابنُ عساكرَ^(٦) أنَّ معاويةَ كَتَبَ إلى زيادٍ أنْ أوفِدَ إليَّ ابْنَكَ . فلمَّا قَدِمَ عليه لم يسألهُ معاويةُ عن شيءٍ إِلَّا نَفَذَ منه ، حتى سألهُ عن الشُّعْرِ فلم يعرفْ منه شيئًا ، فقال : ما منعك من تعلُّمِ الشُّعْرِ ؟ فقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَجْمَعَ فِي صَدْرِي مَعَ كَلَامِ اللَّهِ^(٧) كَلَامَ الشَّيْطَانِ . فقال^(٨) : اغْرُبْ^(٩) ، فواللَّهِ ما منعني مِنَ الْفِرَارِ يَوْمَ صَفَيْنَ إِلَّا قَوْلُ ابْنِ الْإِطْنَابَةِ حَيْثُ يَقُولُ^(١٠) :

(١) زقاق الديماس النافذ إلى سوق الأساكفة العُثُق . تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢١١/٤٤ .

(٢) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢١٢/٤٤ .

(٣) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢١٢/٤٤ ، بدون ذكر (مقل بن يسار) . لكنه ذكر بأسانيده سماع عبيد الله بن زياد معقلا . انظر ٢٣٠/٤٤ ، ٢٣١ .

(٤) انظر تاريخ دمشق ٢١٣/٤٤ (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) .

(٥) في ٣١ : « ذكِين » . والخبر بنحوه في تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢١٢/٤٤ .

(٦) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢١٤/٤ ، ٢١٥ بنحوه .

(٧) في ٣١ ، ٢١ ، م : « الرحمن » .

(٨) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « معاوية » .

(٩) في ٢١ : « اغربت » . وفي ص : « اعزب » .

(١٠) الأبيات تقدمت في ١٠/٥٢٣ ، ٥٢٤ .

أَبَتْ لِي عِفَّتِي وَأَتَى بِلَائِي وَأَخَذِي الْحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرَّيِّحِ
وَأَعْطَانِي عَلَى الْإِعْدَامِ مَالِي وَإِقْدَامِي عَلَى الْبَطْلِ الْمُشِيحِ
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأْتُ وَجَاسْتُ مَكَانَكَ تُعْذِرِي^(١) أَوْ تَسْتَرِيحِي
لَأَذْفَعَ عَنْ مَائِرِ صَالِحَاتِ وَأُحْمِي^(٢) بَعْدُ عَنْ أَنْفِ صَحِيحِ
ثم كَتَبَ إِلَى أَبِيهِ : أَنْ رَوَّهَ مِنَ الشَّعْرِ ، فَرَوَّاهُ حَتَّى كَانَ لَا يَشْقُطُ عَنْهُ مِنْهُ شَيْءٌ^(٣) .

وَمِنْ شَعْرِهِ بَعْدَ ذَلِكَ^(٤) :

سَيَعْلَمُ مَرْوَانُ ابْنُ نَسُوءٍ أَنَّنِي إِذَا التَّقَتِ الْخَيْلَانِ أَطْعَمْتُهَا شُرًّا^(٥)
وَأَنِّي إِذَا حَلَّ الضِّيُوفُ وَلَمْ أَجِدْ سَوَى فَرْسِي أَوْسَعْتُهُ لَهُمْ نَحْرًا
وَقَدْ سَأَلَ مَعَاوِيَةُ يَوْمًا أَهْلَ الْبَصْرَةِ عَنْ ابْنِ زِيَادٍ فَقَالُوا^(٦) : إِنَّهُ لَظَرِيفٌ وَلَكِنَّهُ
يَلْحَنُ . فَقَالَ : أَوَلَيْسَ اللَّحْنُ أَظْرَفَ لَهُ ؟ قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ وَغَيْرُهُ^(٧) : إِنَّمَا أَرَادُوا أَنَّهُ
يَلْحَنُ فِي كَلَامِهِ ، أَيْ يُلَغِزُ . وَهُوَ الْحَنُّ بِحَجَّتِهِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

مَنْطِقٌ رَائِعٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

(١) فِي ٢١ ، م : « تَحْمَدِي » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « أُجْمِي » .

(٣) بَعْدَهُ فِي ٣١ ، ٢١ ، م : « بَعْدَ ذَلِكَ » .

(٤) الْبَيْتَانِ فِي تَارِيخِ دِمَشْقِ (ط . مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِدِمَشْقِ) ٢١٤ / ٤٤ .

(٥) فِي ٣١ : « شُرًّا » . وَالطَّعْنُ الشُّرُّ : مَا طَعَنْتَ يَمِينَكَ وَشِمَالَكَ . تَاجُ الْعُرُوسِ (ش ز ر)

(٦) الْخَبَرُ مَطْوَلًا فِي تَارِيخِ دِمَشْقِ (ط . مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِدِمَشْقِ) ٢١٦ / ٤٤ .

(٧) غَرِيبُ الْحَدِيثِ لِابْنِ قَتِيْبَةَ ٤١٧ / ٢ - ٤١٩ بَنَحُوهُ . وَانْظُرْ تَارِيخَ دِمَشْقِ (ط . مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِدِمَشْقِ) ٢١٦ / ٤٤ .

وقيل: إنَّهم إنما^(١) أرادوا أنه يلحن^(٢) فى قوله لحنا وهو ضد الإعراب. وقيل: أرادوا اللحن الذى هو ضد الصواب. وهو الأشبه والله أعلم^(٣). فاستحسن معاوية منه السهولة فى الكلام وأنه لم يكن ممن يتغنَّى^(٤) فى كلامه ويفخِّمُه، ويتشدَّقُ فيه، وقيل: أرادوا أنه كانت فيه لُكنة من كلام العجم؛ فإنَّ أمه مَرْجَانة كانت سُرِّيَّة^(٥)، وكانت بنت بعض ملوك الأعاجم؛ يَزْدَجِرْدُ أو غيره. قالوا: وكان فى كلامه شيء من كلام العجم؛ قال يوماً لبعض الخوارج: أَهْزُورِي أنت؟ يعنى: أَخْزُورِي أنت؟ وقال يوماً: مَنْ كَاتَلْنَا كَاتَلْنَاه. أى: مَنْ قَاتَلْنَا قَاتَلْنَاه. وقول معاوية: ذاك أظرفُ له. أى أجودُ له حيثُ نزع إلى أخواله، وقد كانوا يوصفون بحسن السياسة وجودة الرعاية ومحاسن الشيم.

ثم لما مات زياد سنة ثلاث وخمسين وُلَّى معاوية على البصرة سَمُرَةَ بن جُنْدُب سنة ونصفاً، ثم عزله وولَّى عليها عبد الله بن عمرو بن عِيْلَانَ بن سلمة ستة أشهر، ثم عزله وولَّى [٧/٤٢و] عليها ابن زياد سنة خمس وخمسين. فلما تولَّى يزيد الخلافة جَمَعَ له بين البصرة والكوفة، فبنى فى إمارة يزيد البيضاء^(٦)، وجعل باب القصر الأبيض الذى كان لكسرى عليها، وبنى الحمراء وهى على سكة المُرَبَّد، فكان يشبُّ فى الحمراء ويصيفُ فى البيضاء.

قالوا^(٧): وجاء رجل إلى ابن زياد فقال: أصلح الله الأمير، إنَّ امرأتى ماتت،

(١) سقط من: م.

(٢) - ٢) فى الأصل، ص: «فى كلامه اللحن الذى هو ضد الإعراب».

(٣) فى م، ص: «يتعمق».

(٤) فى م، ص: «سيرويه». والشوئة: الأمة التى بوأتها بيتاً منسوبة إلى السر بالكسر للجماع من تغيير النسب. القاموس المحيط (س ر ر).

(٥) البيضاء: دار عتقها عبيد الله بن زياد بن أبيه بالبصرة. معجم البلدان ٧٩٢/١.

(٦) انظر تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢٢٤/٤٤.

وإني أريد أن أتزوج أمها^(١). فقال له : كم عطاؤك في الديوان ؟ فقال : سبعمائة .
فقال : يا غلام حطه من عطائه أربعمائة . ثم قال له : كيفيك من فقْهك هذا
ثلاثمائة !

قالوا : وتخاصمت أم الفُجيع^(٢) وزوجها إليه وقد أحببت المرأة أن تفارق
زوجها ، فقال أبو الفُجيع^(٣) : أصلح الله الأمير ، إن خير شطري الرجل آخره ، وإن
شر شطري المرأة آخرها . فقال له : وكيف ذاك ؟ فقال : إن الرجل إذا أسنَّ اشتدَّ
عقله ، واستحكم رأيه ، وذهب جهله ، وإن [٤٢/٧ ط] المرأة إذا أسنَّت ساء
خلقها^(٤) ، وعقم رحمها ، واحتدَّ لسانها . فقال : صدقت ، خذ بيدها وانصرف .

وقال يحيى بن معين^(٥) : أمر ابن زياد لصفوان بن مُحَرِّزٍ بألفي درهم
فسرقت ، فقال : عسى أن يكون خيرا . فقال أهله : كيف يكون هذا خيرا ؟ فبلغ
ذلك ابن زياد ، فأمر له بالفين آخرين ، ثم وجد الألفين^(٦) فصارت أربعة آلاف فكان
خيرا .

وقيل لهند بنت أسماء بن خارجة - وكانت قد تزوجت^(٧) بعدة أزواج^(٨) من
نواب العراق : من أعز أزواجك عندك وأكرمهم عليك ؟ فقالت^(٩) : ما أكرم
النساء^(١٠) إكرام بشر^(١١) بن مروان ، ولا هاب النساء هيبة الحجاج بن يوسف ،

(١) بعد هذا في تاريخ دمشق : « وليس عندي تمام صداقها فأعني » .

(٢) في م : « الفجيج » . انظر تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢٢٣ / ٤٤ .

(٣) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « وقل عقلها » .

(٤) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢٢٤ / ٤٤ .

(٥) أي اللذين شرفا .

(٦ - ٦) في ٢١ ، م : « بعده أزواجا » . وفي ص : « بعده بأزواج » .

(٧) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « أحد » .

(٨) في م : « بشير » .

وَوَدِدْتُ أَنْ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ ، فَأَرَى عبيدَ اللَّهِ بْنِ زيَادٍ وَأَسْتَفِي مِنْ حَدِيثِهِ وَالنَّظَرِ إِلَيْهِ . وَكَانَ 'أَبَا عُذْرَهَا' . وَقَدْ تَزَوَّجَتْ بِالْآخَرِينَ أَيْضًا .

وَقَالَ عَثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، عَنْ جَرِيرٍ ، عَنْ مَغِيرَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ ^(١) : أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي الْمَكْتُوبَةِ ابْنُ زِيَادٍ . قُلْتُ : يَعْنِي - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - فِي الْكُوفَةِ ، فَإِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ لَا يَكْتُبُهُمَا فِي مَصْحَفِهِ ، وَكَانَ فَقَهَاءُ الْكُوفَةِ عَنْ كِبَرَاءِ ^(٢) أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ يَأْخُذُونَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَدْ كَانَ فِي ابْنِ زِيَادٍ جَرَأَةٌ وَإِقْدَامٌ ^(٣) وَمِبَادَرَةٌ إِلَى مَا لَا يَجُوزُ ، وَمَا لَا حَاجَةَ لَهُ بِهِ ^(٤) . ثَبِتَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَمُسْلِمٌ ، كِلَاهُمَا عَنْ شَيْبَانَ بْنِ قُرُوحٍ ، عَنْ جَرِيرٍ ، عَنْ الْحَسَنِ ^(٥) ، أَنَّ عَائِذَ ^(٦) بْنَ عَمْرِو دَخَلَ عَلَى عبيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَقَالَ : أَيُّ بُنَى ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْخُطَمَةُ ، فَإِنَّكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ » . فَقَالَ لَهُ : اجْلِسْ ، فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُخَالَةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَ : وَهَلْ كَانَتْ فِيهِمْ نُخَالَةٌ ؟ إِنَّمَا كَانَتْ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ وَفِي غَيْرِهِمْ . وَقَدْ رَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ ، عَنْ الْحَسَنِ ^(٧) ، أَنَّ عبيدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ دَخَلَ عَلَى مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ يَعُودُهُ فَقَالَ : إِنِّي مُحَدِّثُكَ بِحَدِيثِ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛

(١ - ١) فِي م : « أَتَى عَذَارَتَهَا » . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ تَزَوَّجَهَا بِكَرًا .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ (ط . مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِدِمَشْقَ) ٢٢٥ / ٤٤ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « كَثِيرٌ مِنْ » .

(٤ - ٤) فِي الْأَصْلِ : « عَلَى سَفَكِ الدَّمَاءِ قَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا صَبْرًا وَكَانَ سَفِيهَا شَدِيدًا وَكَانَ فِيهِ مِبَادَرَةٌ إِلَى مَا لَا حَاجَةَ لَهُ بِهِ » . وَفِي ص : « وَمِبَادَرَةٌ إِلَى مَا لَا حَاجَةَ لَهُ بِهِ » .

(٥) مُسْلِمٌ (٢٣ / ١٨٣٠) . وَابْنُ عَسَاكَرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٣١ / ٤٤ ، ٢٣٢ مِنْ طَرِيقِ أَبِي يَعْلَى .

(٦) سَقَطَ مِنْ : م ، ص .

(٧) أَخْرَجَهُ بَنَحْوَهُ الْبُخَارِيُّ (٧١٥٠ ، ٧١٥١) ، وَمُسْلِمٌ (٢٢٧ / ١٤٢ ، ١٤٢ / ٢١) بَابُ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ

الْعَادِلِ مِنْ كِتَابِ الْإِمَارَةِ ، وَانْظُرْ تَارِيخَ دِمَشْقَ (ط . مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِدِمَشْقَ) ٢٣٠ / ٤٤ .

أَنَّهُ قَالَ : « مَا مِنْ رَجُلٍ اسْتَرَعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً ، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » . فذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ مَغْفِلٌ صَلَّى عَلَيْهِ عبيدُ اللَّهِ بْنُ [٧/٤٣و] زِيَادٍ وَلَمْ يَشْهَدْ دَفْنَهُ ، وَاعْتَذَرَ بِمَا لَيْسَ يُجْدِي شَيْئًا وَرَكِبَ إِلَى قَصْرِهِ .

وَمِنْ جَرَائِزِهِ إِقْدَامُهُ عَلَى الْأَمْرِ بِإِحْضَارِ الْحُسَيْنِ إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ وَإِنْ قُتِلَ دُونَ ذَلِكَ . وَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُجِيبَهُ إِلَى سُؤَالِهِ الَّذِي سَأَلَهُ فِيمَا طَلَبَ مِنْ ذَهَابِهِ إِلَى يَزِيدَ ، أَوْ إِلَى مَكَّةَ ، أَوْ إِلَى أَحَدِ الثُّغُورِ ، فَلَمَّا أَشَارَ عَلَيْهِ شَمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ بِأَنَّ الْحَزْمَ أَنْ يُحْضَرَ عِنْدَكَ وَأَنْتَ تَسِيرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى حَيْثُ شِئْتَ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ أَوْ غَيْرِهَا ، فَوَافَقَ شَمْرًا عَلَى ^(١) مَا أَشَارَ بِهِ مِنْ إِحْضَارِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَتَى الْحُسَيْنُ أَنْ يُحْضَرَ عِنْدَهُ لِيَقْضَى فِيهِ بِمَا يَرَاهُ ابْنُ مَرْجَانَةَ ، وَقَدْ تَعَسَّ وَخَابَ وَخَسِرَ ، فَلَيْسَ لَابِنِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُحْضَرَ بَيْنَ يَدَيْ ابْنِ مَرْجَانَةَ الْخَبِيثِ .

وَقَدْ قَالَ ^(٢) مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ : أَنَا الْفَضْلُ بْنُ ذُكَيْنٍ وَمَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَا : ^(٣) حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ حَرْبٍ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ^(٤) بْنِ كُرْدُوسٍ ، عَنْ حَاجِبِ عبيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ : دَخَلْتُ مَعَهُ الْقَصْرَ حِينَ قُتِلَ الْحُسَيْنُ ، قَالَ : فَاضْطَرَمْتُ فِي وَجْهِهِ نَارًا - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - فَقَالَ بِكُفِّهِ هَكَذَا عَلَى وَجْهِهِ ، وَقَالَ : لَا تَحْدِثَنَّ بِهَذَا ^(٥) أَحَدًا .

وَقَالَ شَرِيكٌ ، عَنْ مَغِيرَةَ قَالَ ^(٥) : قَالَتْ مَرْجَانَةُ لَابْنِهَا عبيدِ اللَّهِ : يَا خَبِيثُ ، قَتَلْتَ ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، لَا تَرَى الْجَنَّةَ أَبَدًا .

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ ، ص : « ذَلِكَ وَبَعَثَهُ بِهِ فَقَتَلَ الْحُسَيْنَ كَمَا قَدِمْنَا فَقَالَ » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٣٢/٤٤ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ بِهِ .

(٣ - ٣) فِي ص : « ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ عَنْ حَرْبٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ » .

(٤) فِي الْأَصْلِ ، ٣١ ، ٢١ ، م : « بِهَا » .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٣٢/٤٤ .

وقد قدّمنا^(١) أن يزيد بن معاوية لما مات بايع الناس في المصرين لعبيد الله حتى يجتمع الناس على إمام، ثم خرجوا عليه فأخرجوه من بين أظهرهم، فسار إلى الشام فاجتمع بمروان، وحسن له أن يتولّى الخلافة ويدعو إلى نفسه، ففعل ذلك، فكان من أمره ما تقدّم مع الضحاك بن قيس. ثم سيّره مروان في جيش إلى العراق، فالتقى بعين الوردية مع سليمان بن صرد ومن كان معه من الجيش الذين يُسمّون جيش التّوايين فكسّرهم، واستمرّ قاصداً الكوفة في ذلك الجيش، فتعوّق في الطريق بسبب من كان يمانعه^(٢) في أرض الجزيرة من الأعداء ممن بايع لابن الزبير. ثم اتفق خروج ابن الأشرّ إليه في سبعة آلاف، وكان مع ابن زياد أضعاف ذلك، ولكن ظفر به ابن الأشرّ، فقتله شرّ قتلة، على شاطئ نهر الخازر^(٣) قريباً من الموصل بخميس مراحل.

[٤٣/٧ ظ] قال أبو أحمد الحاكم^(٤): وكان ذلك يوم عاشوراء. قلت: وهو اليوم الذي قُتل فيه الحسين.

ثم بعث ابن الأشرّ برأسه إلى المختار ومعه رأس حصين بن نمير وشرحبيل بن ذى الكلاع وجماعة من رؤساء أصحابهم، فشرّ بذلك المختار.

وقال يعقوب بن سفيان^(٥): حدّثنى يوسف بن موسى، حدّثنا^(٦) جرير، عن

(١) تقدم في ١١/٦٧٠، ٦٧١.

(٢) - ٢) في ٣١، ٢١، م: «من أهل».

(٣) في الأصل، ٣١، ٢١: «الجازر».

(٤) تاريخ دمشق ٤٤/٢١٣.

(٥) المعرفة والتاريخ ٣/٤٢٨.

(٦) في م: «بن». وهو جرير بن عبد الحميد بن قُزط الضبيّ، روى عن يزيد بن أبي زياد، وروى عنه

يوسف بن موسى. انظر تهذيب الكمال ٤/٥٤٢، ٥٤٣، ٣٢/١٣٧.

يزيد بن أبي زياد قال : لما جيء برأس ابنِ مَرْجَانَةَ وأصحابه ، طُرِحَتْ بَيْنَ يَدَيِ المختارِ ، فجاءَتْ حَيَّةٌ دَقِيقَةٌ^(١) تَخَلَّلَتِ الرُّعُوسَ حَتَّى دَخَلَتْ فِي فَمِ ابْنِ مَرْجَانَةَ وَخَرَجَتْ مِنْ مَنْخَرِهِ ، وَدَخَلَتْ فِي مَنْخَرِهِ وَخَرَجَتْ مِنْ فِيهِ ، وَجَعَلَتْ تَدْخُلُ وَتَخْرُجُ مِنْ رَأْسِهِ مِنْ بَيْنِ الرُّعُوسِ . وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ^(٢) مِنْ وَجْهِ آخَرَ بِلَفْظٍ آخَرَ ؛ فَقَالَ : حَدَّثَنَا وَاصِلُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ،^(٣) حَدَّثَنَا أَبُو^(٤) معاويةَ عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عَمِيرٍ ، قَالَ : لَمَّا جِئَ بِرَأْسِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ نُصِّدَتْ^(٥) فِي الْمَسْجِدِ فِي الرَّحْبَةِ ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِمْ^(٥) وَهُمْ يَقُولُونَ : قَدْ جَاءَتْ ، قَدْ جَاءَتْ . فَإِذَا حَيَّةٌ قَدْ جَاءَتْ تَخَلَّلُ الرُّعُوسَ حَتَّى دَخَلَتْ فِي مَنْخَرِي عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، فَمَكَّثَتْ هُنَيْهَةً ثُمَّ خَرَجَتْ فَذَهَبَتْ حَتَّى تَغِيَّبَتْ ، ثُمَّ قَالُوا : قَدْ جَاءَتْ ، قَدْ جَاءَتْ . فَفَعَلْتُ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا . قَالَ التِّرْمِذِيُّ : وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وقال أبو سليمان بن زبير^(٦) : وَفِي سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِينَ قَالُوا : فِيهَا قُتِلَ عُبَيْدُ اللَّهِ ابْنُ زِيَادٍ وَالْحُصَيْنُ بْنُ ثُمَيْرٍ ، وَلَمَّا قَتَلَهُمَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ ، وَبَعَثَ بَرَاءُ وَسِيْهُمَا^(٧) إِلَى الْمُخْتَارِ فَبَعَثَ بِهِمَا إِلَى ابْنِ الزَّبِيرِ ، فَتُصِّبَتْ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ . وَهَكَذَا حَكَى ابْنُ عَسَاكِرَ ، عَنْ أَبِي أَحْمَدَ الْحَاكِمِ وَغَيْرِهِ^(٨) ، أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِينَ - زَادَ أَبُو أَحْمَدَ : فِي يَوْمٍ عَاشُورَاءَ - وَسَكَتَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ ذَلِكَ ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّ

(١) فِي ٣١ ، ٢١ : « دَقِيقَةٌ ثَم » . وَفِي م : « رَقِيقَةٌ ثَم » .

(٢) التِّرْمِذِيُّ (٣٧٨٠) .

(٣ - ٣) فِي م : « بَنِ أَبِي » . وَانْظُرْ تَهْذِيبَ الْكَمَالِ ٨٣ / ١٢ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « نَصَبَتْ » . وَفِي م : « فَنَصَبَتْ » . وَفِي ص : « فَصَبَتْ » .

(٥) فِي م : « إِلَيْهَا » . وَالثَّبُوتُ كَمَا فِي التِّرْمِذِيِّ .

(٦) فِي الْأَصْلِ ، ٣١ ، م ، ص : « زَيْدٌ » وَفِي ٢١ : « يَزِيدٌ » . وَالثَّبُوتُ مِنْ تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٤٧ / ٤٤ .

(٧) فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ : « بَرَاءُ وَسِيْهُمَا » .

(٨) تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٤٧ / ٤٤ .

ذلك كان في سنة سبع وستين ، كما ذكره ابن جرير وغيره^(١) . ولكنَّ بعثَ
الرُّؤوسَ إلى ابنِ الزبيرِ في هذه السنة متعذِّرًا ؛ لأنَّ العداوةَ كانت قد قَوِيَتْ
وتَحَقَّقَتْ بينَ المختارِ وابنِ الزبيرِ في هذه السنة^(٢) كما ذكرنا^(٣) ، وعمَّا قليلٍ^(٤) أَمَرَ
ابنُ الزبيرِ أخاه مصعبًا أن يسيِّرَ^(٥) مِنَ البصرةِ إلى الكوفةِ لحصارِ المختارِ وقتاله . واللَّهُ
أَعْلَمُ .

مقتل المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب^(٦)

على يدَي مصعب بن الزبير وأهل البصرة^(٧)

كان عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ قد عَزَلَ في هذه السنة عن نيابةِ البصرةِ الحارث بنُ
"عبيدِ اللَّهِ"^(٨) بنِ أبي ربيعةَ المخزوميِّ المعروفَ بالقُبَاعِ ، وولَّاهَا لأخيه مصعبَ بنِ
الزبيرِ ؛ ليكونَ رِدْءًا وقِزْنًا وكُفُوًا للمختارِ ، فلمَّا قَدِمَ مصعبُ البصرةَ دَخَلَهَا مُتَلَتِّمًا
[٤٤/٧] فيمَّمِ المنبرَ ، فلمَّا صَعِدَهُ قالَ الناسُ : أميرٌ أميرٌ . فلمَّا كَشَفَ اللُّثَامَ عَرَفَهُ
الناسُ فَأَقْبَلُوا إليه ، وجاءَ القُبَاعُ فجلَسَ تحتهِ بدرجةٍ ، فلمَّا اجْتَمَعَ الناسُ قامَ
مصعبُ خطيبًا ، فاستَفْتَحَ « القصصَ » حتى بَلَغَ ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ
وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا ﴾ [القصص : ٤] . وأشارَ بيده نحوَ الشامِ أو الكوفةِ ، ثم قالَ :

(١) تاريخ الطبري ٩٠ / ٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ١٧٩ .

(٢ - ٢) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٣ - ٣) في الأصل : « سير مصعب » . وفي ص : « تفسير مصعب » .

(٤) انظر تاريخ الطبري ٩٣ / ٦ ، والكامل ٢٦٧ / ٤ ، والمنظوم ٦٤ / ٦ .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦ - ٦) في ٢١ : « عبيد اللَّهِ » . وانظر سير أعلام النبلاء ٤ / ١٨١ .

﴿وَرِيدٌ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصر: ٥]. وأشار إلى الحجاز، وقال^(١): يا أهل البصرة، إنكم تُلَقَّبون أمراءكم، وقد سَمَّيتُ نفسي الحِزَارَ. فاجتمع عليه الناس وفرحوا به. ولما انهزم أهل الكوفة حين خرجوا على المختار فقهرهم وقتل منهم من قتل، كان لا ينهزم أحد من أهلها إلا قصد البصرة، ثم لما^(٢) خرج المختار^(٣) لتلقى ابن الأشر حين بلغه أنه قتل ابن زياد^(٤)، اغتنم من بقي بالكوفة من أعداء المختار غيبتة، فذهبوا إلى البصرة فرارًا من المختار؛ لقلَّة دينه وكفره ودَعَاؤه أَنَّهُ يأتيه الوحى، وأَنَّهُ قدَّم الموالى على الأشراف. واتَّفَقَ أَنَّ ابن الأشر حين قتل ابن زياد اشتغل^(٥) بتلك النواحي، فأحزرت بلادًا وأقاليم ورساتيق^(٦) لنفسه، واستهان بالمختار، فطمع مصعب فيه وبعث محمد بن الأشعث بن قيس على البريد إلى المهلب بن أبي صفرة، وهو نائبهم على خراسان، فقدم فى تجميل عظيم ومالٍ ورجالٍ وعددٍ وعددٍ وجيشٍ كثيف، ففرح به أهل البصرة وتقوى به مصعب، فركب فى أهل البصرة ومن اتبعهم من أهل الكوفة فركبوا^(٧) فى البحر والبر^(٨) قاصدين الكوفة.

^(٧) وقدَّم مصعب بين يديه عباد بن الحصين، وجعل على ميمته عمر بن عبيد الله بن معمر، وعلى الميسرة المهلب بن أبي صفرة، ورُتَّب الأمراء^(٩)

(١) تاريخ الطبرى ٩٣/٦.

(٢) سقط من: م.

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م: «للتقى بالذى جاء بالرءوس والبشارة».

(٤) فى الأصل: «واشتغل». وفى م: «واستقل».

(٥) جمع (رُشَاق)، وهو السواد والقرى. تاج العروس (ر س ت ق) و (ر ز د ق).

(٦ - ٦) فى الأصل، ص: فى البر وساروا.

(٧ - ٧) فى الأصل، ص: «فسمع المختار بأمرهم».

^(١) على راياتها وقبايلها ؛ كمالك بن مسمع ، والأحنف بن قيس ، وزيايد بن عمر ، وقيس بن الهيثم وغيرهم . وخرج المختار بعسكره فنزل المذار ^(٢) ، وقد جعل على مقدمته أبا كامل الشاكري ^(٣) ، وعلى يمينه عبد الله بن كامل ، وعلى يسارته عبد الله بن وهب الجشمي ، وعلى الخيل وزير بن عبد الله السلولي ، وعلى الموالى أبا عمرة صاحب شرطته ^(٤) . ثم خطب الناس وحثهم على الخروج ، وبعث بين يديه الجيوش ، وركب هو وخلق من أصحابه وهو يشيرون بالنصر . فلما انتهى مصعب إلى قريب ^(٥) الكوفة لقيتهم الكتائب المختارية ، فحملت عليهم الفرسان الزبيرية ، فما لبثت المختارية إلا يسيراً حتى هربوا على حمية ، وقد قتل منهم جماعة من الأمراء ، وخلق من القراء ، وطائفة كثيرة من الشيعة الأغبياء ^(٥) ، ثم انتهت الهزيمة إلى المختار .

وقال الواقدي ^(٦) : لما انتهت مقدمة المختار إليه ، جاء مصعب فقطع الدجلة إلى الكوفة وقد حصن المختار القصر واستعمل عليه عبد الله بن شداد ، وخرج المختار بمن بقي معه فنزل حروراء ، فلما قرب جيش مصعب منه جهّز إلى كل قبيلة كُردوساً ، فبعث إلى بكر بن وائل سعيد بن مقيذ ، وإلى عبد القيس مالك

(١ - ١) في الأصل ، ص : « فسمع المختار بأمرهم » .

(٢) في النسخ : « المذار » . والمثبت من الطبرى ٩٦/٦ ، والكامل ٢٦٨/٤ .

والمذار في ميسان بين واسط والبصرة وهي قصبة ميسان بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام . (معجم البلدان ٤٦٨/٤) .

(٣) نص السمعي في الأنساب على ضم الكاف ، وقال : هكذا رأيت ضم الكاف من كتاب «المرح والتعديل» لابن أبي حاتم مقيداً مضبوطاً . ٢٥٨/٧ . وقال ابن الأثير : الصحيح كسر الكاف من «شاعر» ومن ضمه فقد أخطأ . الباب ٦/٢ . وانظر لب الباب ٤٥/٢ .

(٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥) بعده في الأصل ، ص : « وثلة من أصحاب المختار ذى القول الفراء » .

(٦) أورده الطبرى في تاريخه ١١٤/٦ ، ١١٥ . وانظر الكامل ٢٧٧/٤ .

ابن المنذر^(١) ، وإلى العالية عبد الله بن جعدة ، وإلى الأزدي مسافر بن سعيد ، وإلى بنى تميم سليم بن يزيد الكندي ، وإلى محمد بن الأشعث السائب بن مالك ، ووقف المختار في بقية أصحابه ، فاقْتَتَلُوا قتلاً شديداً إلى الليل ؛ فقتل أعيان أصحاب المختار ، وقتل تلك الليلة محمد بن الأشعث ،^(٢) وعبيد الله^(٣) بن علي بن أبي طالب .

وتفرق عن المختار باقى أصحابه ، ف قيل له : القصر القصر . فقال^(٤) : والله ما خرجت منه وأنا أريد أن أعود إليه ، ولكن هذا حكم الله . ثم سار إلى القصر فدخله ، وجاءه مصعب ففرق القبائل في نواحي الكوفة ، واقتسموا الحال ، وخلصوا إلى القصر . وقد منعوا المختار المادة والماء ، وكان المختار يخرج فيقاتلهم ثم يعود إلى القصر . ولما اشتد عليه الحصار قال لأصحابه^(٥) : إن الحصار لا يزيدنا إلا ضعفاً ، فانزلوا بنا حتى نقاتل حتى الليل حتى نموت كراماً . فوهنوا ، فقال : أمّا أنا^(٥) ، فوالله لا أعطي يدي . ثم اغتسل وتطيّب وتحنّط وخرج ، فقاتل هو ومن معه حتى قتلوا .

وقيل : بل أشار عليه جماعة من أساورته بأن يدخل القصر دار إمارته ، فدخله وهو ملوم مذموم ، [٤٤٤ / ٧ ظ] وعن قريب ينقذ فيه القدر المحتوم ، فحاصره مصعب فيه وجميع أصحابه ، حتى أصابهم من جهد العطش ما الله به عليم ،

(١) في م : « منذر » .

(٢ - ٣) في النسخ : « وعمير » . والمثبت من الطبري ١٠٤ / ٦ ، والكامل ٢٧٢ / ٤ . وانظر نسب قريش ٤٤ ، ٤٣ .

(٣) تاريخ الطبري ١٠١ / ٦ .

(٤) تاريخ الطبري ١٠٦ / ٦ ، ١٠٧ .

(٥) سقط من : م .

وضيقت عليهم المسالك والمقاصد، وانسدَّت عليهم أبواب الحيل، وليس فيهم رجل رشيد ولا حليم، ثم جعل المختار يُجِيل فكرته ويكرِّر رَوِيَّتَهُ في الأمر الذي قد حلَّ به ^(١)، واستشار مَنْ عنده ^(٢) من الموالى والعبيد ^(٣)، ولسانُ القدير والشرع يُناديه ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]. ثم قوى عزمه قوة الشجاعة المركبة فيه على أن أخرجه من بين أظهر ^(٤) مَنْ كان يُحالفه ويؤاليه، ورأى أن يموت على فرسه، حتى يكون عليها انقضاء آخر نفسيه، فنزل حميّة وغضبًا، وشجاعةً وكَلْبًا، وهو مع ذلك لا يجد مناصًا ولا مفراً ولا مهرّبًا، وليس معه من أصحابه سوى تسعة عشر. ولعلَّه إن كان قد استمرَّ على ما عاش عليه أن لا يفارقه التسعة عشر الموكِّلون بسقر. ^(٥) ولما خرج من القصر قال لأصحاب مصعب: أتؤمنوني؟ قالوا: لا، إلا على حكم الأمير. فقال: إلاَّ لحكم نفسي أبدًا. ثم قاتل قتالًا شديدًا، وتقدَّم ^(٦) إليه رجلان شقيقان أخوان؛ وهما طرفه وطراف ^(٧) ابنا عبد الله بن دجاجة من بنى حنيفة، فقتلاه بمكان الزياتين من الكوفة، واحتزَّ رأسه وأتيا به إلى مصعب بن الزبير، وقد دخل قصر الإمارة ^(٨)، فوضع بين يديه، كما وضع رأس ابن زياد بين ^(٩) يدي المختار، ^(١٠) وكما وضع ^(١١)

(١) بعده في ص: «والأمر للجلل الذي قد اتصل سببه السيئ بسببه».

(٢ - ٣) في الأصل: «من جهة الموالى والعبيد». وفي ٣١، ٢١: «في هذا السبب السيئ الذي قد اتصل سببه بسببه من الموالى والعبيد».

(٣) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٤ - ٥) في ٣١، ٢١، م: ولما خرج من القصر سأل أن يخلي سبيله فيذهب في أرض الله فقالوا له إلا على حكم الأمير والمقصود أنه لما خرج من القصر تقدم. وفي ص: «والمقصود أنه تقدم».

(٥) في الأصل: «طراف». وانظر الطبري ١٠٨/٦.

(٦) بعده في الأصل، ص: «من الكوفة».

(٧) في م: «بنى».

(٨ - ٩) في الأصل، ص: «قبل ذلك قريبا».

^(١) رأس الحسين بين يدي ابن زياد - وكما سيُوضَّعُ رأسُ مصعبٍ بين يدي عبد الملك بن مروان - فلما وُضِعَ رأسُ المختارِ بين يدي مصعبٍ أمرَ لهما بثلاثين ألفاً^(٢).

وقد قُتِلَ مصعبٌ جماعةً من المختارية في المعركة وأسِرَ منهم خمسمائة أسير، فضربتُ أعناقَهُم عن آخرِهِم في يومٍ واحدٍ. وقد قُتِلَ مِنْ^(٣) أصحابِ مصعبٍ في الواقعة محمد بن الأشعث بن قيس.

وأمرَ مصعبٌ بكفِّ المختارِ فَقُطِعَتْ وشِمِرَتْ إلى جانبِ المسجد، فلم يزلَ هنالك حتى قَدِمَ الحجاجُ، فسألَ عنها فقليل له: هي كفُّ المختارِ. فأمرَ بها فزِفَعَتْ وانثَرَعَتْ من هنالك؛ لأنَّ المختارَ كان من قبيلةِ الحجاج - فالختارُ هو الكذابُ، والمبيِّرُ الحجاجُ - ولهذا أخذَ الحجاجُ بثأره من ابنِ الزبيرِ فقتله وصلَّبه شهوًراً.

وقد سألَ مصعبٌ أمَّ ثابت بنتَ سُمُرَةَ بنِ جُندبٍ امرأةَ المختارِ عنه فقالت^(٤): ما عسى أن أقولَ فيه إلَّا ما تقولون أنتم فيه؟ فتركها واستدعى بزوجته الأخرى؛ وهي عُمُرَةُ بنتُ النعمانِ بنِ بشيرٍ، فقالَ لها: ما تقولين فيه؟ فقالت^(٥): رَجَمَهُ اللَّهُ، لقد كانَ عبداً من عبادِ اللَّهِ الصالحين. فسَجَّنَهَا وكتبَ إلى أخيه: إنَّها [٧/٤٥ و] تقولُ إنَّه نبيٌّ. فكتبَ إليه أن أخرجَها فاقْتُلْها. فأخرجَها إلى ظاهرِ البلدِ فضرِبَتْ ضَرْبَاتٍ حتى ماتَتْ، فقال في ذلك عمرُ بنُ أبي ربيعة^(٦) الخزومي:

(١ - ١) في الأصل، ص: «قبل ذلك قريباً».

(٢) بعده في الأصل، ٣١، ٢١، ص: «عيون».

(٣) تاريخ الطبري ١١٢/٦، والكمال ٢٧٥/٤.

(٤) في ٣١، ٢١، م: «رمته». والأبيات في تاريخ الطبري ١١٢/٦، والكمال ٢٧٥/٤، ٢٧٦. وانظر ديوانه ٤٩٨، مع اختلاف في الرواية.

إِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ عِنْدِي قَتْلَ بَيْضَاءِ حُرَّةٍ غَطْبُولٍ^(١)
قُتِلَتْ هَكَذَا عَلَى غَيْرِ جُزْمٍ إِنَّ لِلَّهِ دَرَهَا مِنْ قَتِيلٍ
كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَايَاتِ^(٢) جَرُّ الذُّيُولِ
وقال أبو مخنف^(٣) : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسَفَ أَنَّ مَصْعَبًا لَقِيَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ
عُمَرَ^(٤) فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَنَا ابْنُ أَخِيكَ ،
مَصْعَبُ بْنُ الزَّيْبِرِ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ : نَعَمْ ، أَنْتَ الْقَاتِلُ سَبْعَةَ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الْقَبْلَةِ
فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ ؟ عِشْ مَا اسْتَطَعْتَ ! فَقَالَ^(٥) مَصْعَبٌ : إِنَّهُمْ كَانُوا كَفَرَةً سَحَرَةً .
فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتَ عِدَّتَهُمْ^(٦) غَنَمًا مِنْ ثَرَاتِ أَبِيكَ لَكَانَ ذَلِكَ سَرَفًا .

وهذه ترجمة المختار بن أبي عبيد الكذاب

هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عُمَيْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُقْدَةَ^(٨) بْنِ
غَيْرَةَ^(٩) بْنِ عَوْفِ بْنِ ثَقِيفِ الثَّقَفِيِّ^(١٠) ، أَسْلَمَ أَبُوهُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَكِنْ لَمْ
يَزِهِ ، فَلِهَذَا لَمْ يَذْكُرْهُ أَكْثَرُ النَّاسِ فِي الصَّحَابَةِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْغَابَةِ^(١١) ،

(١) الغَطْبُولُ من النساء : الحسنة التامة . الصحاح (ع ط ب ل) .

(٢) في الطبري ، والكامل ، والديوان : « المحصنات » .

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه ١١٢/٦ ، ١١٣ من طريق أبي مخنف به .

(٤) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « بن الخطاب » .

(٥ - ٥) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٦) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « له » .

(٧) في م : « عدلهم » .

(٨) في الأصل ، ص : « عبدة » ، وفي م : « غفرة » . وانظر جمهرة أنساب العرب ٢٦٨ ، وأسد الغابة ٢٠٥/٦ .

(٩) في الأصل : « عنزة » ، وفي ٣١ ، ٢١ ، م : « عميرة » . وانظر المصدرين السابقين ، وتبصير المنتبه ١٠٤٠/٣ .

(١٠) الاستيعاب ١٤٦٥/٤ ، وأسد الغابة ١٢٢/٥ ، والإصابة ٣٤٩/٦ .

(١١) أسد الغابة ٢٠٥/٦ .

وقد كان عمرُ بعثه في جيشٍ كثيفٍ في قتالِ الفرسِ سنةَ ثلاثِ عشرةَ ، فقتلَ يومئذٍ شهيدًا ، وقتلَ معه نحوَ من أربعةِ آلافٍ من المسلمين - كما قدّمنا - وعُرفَ ذلكَ الجسرُ به ، وهو جسرٌ على دجلةَ ، فيقالُ له إلى اليومِ : جسرُ أبي عبيد . وكان له من الولدِ صفيّةُ بنتُ أبي عبيد ، وكانت من الصالحاتِ العابداتِ ، وهى زوجةُ عبدِ الله ابنِ عمرَ بنِ الخطابِ ، وكان عبدُ الله لها مكرّمًا ومحبًّا ، وماتت في حياتِهِ . وأمّا أخوها المختارُ هذا ، فإنه كان أولًا ناصبيًا يُبغضُ عليًا بُغضًا شديدًا ، وكان عند عمّه بالمدائنِ ، وكان عمّه نائبها ، فلمّا دخلها الحسنُ بنُ عليٍّ يومَ^(١) خذله^(٢) أهلُ العراقِ وهو سائرٌ إلى الشامِ لقتالِ معاويةَ بعدَ مقتلِ أبيه عليٍّ ، فلمّا أحسَّ الحسنُ منهم بالغديرِ ، فرَّ منهم إلى المدائنِ في جيشٍ قليلٍ ، فقال المختارُ لعمّه : لو أخذتَ الحسنَ فبعثته إلى معاويةَ لاثَّخَدتَ عندهُ بذلكَ^(٣) اليدَ البيضاءَ أبدًا . فقال له عمّه : بئسَ ما تأمرُنِي به يا بنَ أخِي .

فما زالتِ الشيعةُ تُبغِضُهُ حتى كان من أمرِ [٤٥٠/٧ ظ] مسلمِ بنِ عقيلٍ بالكوفةِ^(٤) ما كان ، وكان المختارُ من الأمراءِ بالكوفةِ ، فجعلَ يقولُ : أمّا لأنصُرَنَّهُ . فبلغَ ابنَ زيادٍ ذلكَ فحبسه بعدما^(٥) ضربه مائةَ جلدةٍ ،^(٦) فأرسلَ ابنُ عمرَ^(٧) إلى يزيدَ بنِ معاويةَ^(٨) يشفَعُ فيه ، فأرسلَ يزيدُ^(٩) إلى ابنِ زيادٍ فأطلقه^(١٠) وسيّره إلى

(١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل : « طعنه » وفى ص : « طعنة » .

(٣) سقط من الأصل ، ص ، م .

(٤) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « بن أبى طالب » .

(٥) سقط من : م .

(٦ - ٦) فى الأصل ، ص : « فسألت أخته زوجها فكتب » .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ص : « فأرسل » .

(٨) فى الأصل ، ص : « ليخرجه فأخرجه » .

الحجاز في عبادة، فضوى^(١) إلى ابن الزبير بمكة، فقاتل معه حين حصره^(٢) أهل الشام قتالاً شديداً، ثم بلغ المختار ما^(٣) أهل العراق فيه من التخبيط، فسار إليهم وترك ابن الزبير، ويقال: إنه سأل^(٤) ابن الزبير أن يكتب له كتاباً إلى ابن مطيع نائب الكوفة ففعل، فسار إليها.

وكان يظهر مدح ابن الزبير في العلانية ويسبّه في السر، ويمدح محمد ابن الحنفية ويدعو إليه، وما زال حتى استحوذ على الكوفة بطريق التشيع وإظهار الأخذ بثار الحسين، وبسبب ذلك التفّت عليه جماعات كثيرة من الشيعة^(٥) حتى قاوم نواب ابن الزبير على الكوفة^(٦)، وأخرج عامل ابن الزبير منها، واستقرّ ملك المختار بها، ثم كتب إلى ابن الزبير يعتذر إليه ويخبره أن ابن مطيع كان مدهناً لبني أمية، وقد خرج من الكوفة، وأنا ومن بها في طاعتك، فصدّقه ابن الزبير؛ لأنه كان يدعو له على المنبر يوم الجمعة على رؤوس الناس، ويظهر طاعته.

ثم شرع في تتبع قتلة الحسين ومن شهد الواقعة بكرلاء من ناحية ابن زياد، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وظفر برؤوس كبار منهم؛ كعمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الجيش الذين قتلوا الحسين، وشمر بن ذي الجوشن أمير الألف الذين ولّوا قتل الحسين، وسانن بن أبي أنس، وخولي بن يزيد الأصبحي، وخلقاً غير هؤلاء، وما زال حتى بعث سيف نغمته إبراهيم بن الأشتر النخعي في عشرين ألفاً

(١) في م، ص: «فصار». وضوى: مال وانضم.

(٢ - ٢) في الأصل، ص: «حصين بن نمير».

(٣) بعده في م، ص: «قال».

(٤ - ٤) في ص: «من مروان».

(٥ - ٥) سقط من: ٣١، ٢١، م.

إلى ابن زياد، ^(١) وهو ^(٢) في جيش أعظم من ^(٣) جيش المختار بأضعاف ^(٤)، كانوا سيئين ألفاً، وقيل: ثمانين ألفاً. فقتل ابن الأشر ابن زياد وكسر جيشه، واحتاز ما في معسكره - ^(٥) واتفق ذلك في يوم عاشوراء سنة سبع وستين ^(٦) - ثم بعث برأس ابن زياد ورعوس أصحابه مع البشارة إلى المختار، ففرح بذلك فرحاً شديداً. ثم إن المختار بعث [٤٦/٧] برأس عبيد الله بن زياد ورأس حصين بن نمير ومن معهما إلى عبد الله بن الزبير بمكة فأمر ابن الزبير بها فنصبته على عقبة الحجون، وقد كانوا نصبوها بالمدينة.

وطابت نفس المختار بالملك، وظن أنه لم يبق له عدو ولا منازع.

ثم إن ابن الزبير تبيّن خداعه ومكره وسوء مذهبه، فبعث أخاه مصعباً أميراً على العراق، فسار إلى البصرة فاجتمع إليه أهلها، وقد إليه جماعات من الكوفة، فلم يتم شروؤ المختار حتى ركب إليه مصعب بن الزبير من البصرة في جيش هائل فحاصره بالكوفة وضيق عليه، وما زال حتى أمكن الله منه، فقتله ^(٧) واحتز رأسه، وأمر بصلب كفه على باب المسجد، وبعث مصعب برأس المختار مع رجل من الشرط على البريد إلى أخيه عبد الله بن الزبير، فوصل مكة بعد العشاء فوجد ^(٨) عبد الله ^(٩) يتنفل، فما زال يصلّي حتى أسحر ولم يلتفت إلى البريد الذي جاء بالرأس، فلما كان قريب الفجر قال: ما جاء بك؟ فألقى إليه الكتاب فقرأه، فقال ^(١٠): يا أمير المؤمنين، معي الرأس. فقال: ألقه على باب

(١ - ١) في ٣١، ٢١، م: «وكان ابن زياد حين التقاه».

(٢ - ٢) في ٣١، ٢١، م: «جيشه بأضعاف مضاعفة».

(٣ - ٣) سقط من: ٣١، م.

(٤ - ٤) في الأصل: «وأحضر رأسه إلى بين يديه».

(٥ - ٥) في الأصل: «عبيد الله».

(٦) الأخبار الطوال ٣٠٨.

المسجد . فألقاه ثم جاء فقال : جائزتي يا أمير المؤمنين . فقال : جائزتك الرأس الذي جئت به تأخذه معك إلى العراق .

ثم زالت دولة المختار كأن لم تكن ، وكذلك سائر الدُول ، وفرح المسلمون بزوالها ؛ وذلك لأن الرجل لم يكن في نفسه صادقاً ، بل كان كاذباً^(١) وكاهناً ، وكان^(٢) يزعم أن الوحي ينزل عليه على يد جبريل يأتي إليه .

قال الإمام أحمد^(٣) : حدثنا ابن نمير ، حدثنا عيسى القارئ^(٤) أبو عمر بن عمر ، ثنا^(٥) الشُّدِّي ، عن رفاعَةَ القِثْبَانِي^(٦) قال : دخلتُ على المختارِ فألقى لي وسادةً وقال : لولا أن أخى جبريلَ قام عن هذه لألقيتها لك . قال : فأردتُ أن أضربَ عنقه . قال : فذكرتُ حديثاً حدثنيهِ أخى عمرو^(٧) بن الحَمِقِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : «أَيُّما مؤمنٍ أَمِنَ مؤمناً على دِمِهِ فَقَتَلَهُ ، فَأَنَا مِنَ الْقَاتِلِ بَرِيءٌ» .

وقال الإمام أحمد^(٨) : حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن حماد بن سلمة ، حدثني عبدُ الملك بن عمير ، عن رفاعَةَ بنِ شَدَّادٍ ، قال : كنتُ أقومُ على رأسِ المختارِ ، فلما عرفتُ كَذِبَهُ هَمَمْتُ أَنْ أَشْلُ سَيْفِي فَأُضْرِبَ عَنْقَهُ ، فذكرتُ حديثاً حدثناه عمرو بنُ الحَمِقِ قال سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : «مَنْ أَمِنَ رجلاً على نفسه فقتله ، أُعْطِيَ لَوَاءً غديرِ يومِ [٦٧/٤٦] الظَّيَامَةِ» . ورواه النسائي وابنُ ماجه

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) المسند ٥/٢٢٣ .

(٣) بعده في ص : «ثنا» .

(٤ - ٤) في م : «عمير بن» .

(٥) في النسخ : «القَبَانِي» . والمثبت من المسند ، وانظر تقريب التهذيب ١/٢٥١ .

(٦) في م : «عمر» .

(٧) المسند ٥/٢٢٤ .

من غير وجهه ، عن عبد الملك بن عُمير به ^(١) . وفي لفظ لهما ^(٢) : « مَنْ أَمَّنَ رَجُلًا عَلَى دِمِهِ ^(٣) فَقَتَلَهُ ، فَأَنَا بَرِيءٌ مِنَ الْقَاتِلِ ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا » . وفي سند هذا الحديث اختلاف . وقد قيل لابن عمر ^(٤) : إِنَّ الْمُخْتَارَ يَزْعُمُ أَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِيهِ . فقال : صدق ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِكُوهُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ [الأنعام : ١٢١] . وروى ابن أبي حاتم ^(٥) ، عن عكرمة قال : قَدِمْتُ عَلَى الْمُخْتَارِ فَأَكْرَمَنِي وَأَنْزَلَنِي حَتَّى ^(٦) كَانَ يَتَعَاهَدُ مَبِيتِي بِاللَّيْلِ ، قَالَ : فَقَالَ لِي : اخْرُجْ فَحَدِّثِ النَّاسَ . قَالَ : فَخَرَجْتُ فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي الْوَحْيِ ؟ فَقُلْتُ : الْوَحْيُ وَخْيَانٌ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ [يوسف : ٣] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا ﴾ [الأنعام : ١١٢] . قَالَ : فَهَمُّوا بِي أَنْ يَأْخُذُونِي ، فَقُلْتُ : مَا لَكُمْ وَذَلِكَ ، إِنِّي مُفْتِيكُمْ وَضَيْفُكُمْ ، فَتَرَكونِي . وَلَئِنَّمَا أَرَادَ عَكْرَمَةُ أَنْ يُعَرِّضَ بِالْمُخْتَارِ وَكَذِبِهِ فِي ادِّعَائِهِ أَنَّ الْوَحْيَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ .

^(٧) وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ ^(٨) ، مِنْ طَرِيقِ أَنثِيسَةَ بِنْتِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ، أَنَّ أَبَاهَا دَخَلَ ^(٩)

(١) النسائي في الكبرى (٨٧٣٩ ، ٨٧٤٠ ، ٨٧٤١) ، ابن ماجه (٢٦٨٨) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه) .

(٢) لم نجد هذا اللفظ عندهما . وانظر تحفة الأشراف ١٤٩/٨ .

(٣) في م : « دم » .

(٤) لم أجده . وقد ذكره المصنف في كتاب التفسير ٣/٣٢٠ وعزاه لابن أبي حاتم في تفسيره - وتفسيره غير كامل - وقد أورده القرطبي في تفسيره ٧/٧٧ ، وعزاه لعبد الله بن الزبير . وأخرجه أيضا السيوطي في الدر المنثور ٣/٤٣ .

(٥) لم أجده عند ابن أبي حاتم . وقد ذكره المصنف في تفسيره ٣/٣١٤ .

(٦) في م « عنده » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .

(٨) المعجم الكبير ٥/٢٤١ (٥١٢٧) .

^(١) على المختار بن أبي عبيد فقال له : يا أبا عامر لو سبقت ^(٢) رأيت ^(٣) جبريل وميكائيل . فقال له زيد : حُقرت ^(٤) وتَعَسَّت ^(٥) ، أنت أهون على الله من ^(٦) ذلك ، كذاب مُفتِر على الله ورسوله ^(١) .

وقال الإمام أحمد ^(٧) : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ^(٨) بْنُ يَوْسَفَ ، ثنا ابنُ عوفٍ ، ^(٩) عن أبي الصِّدِّيقِ النّاجي ، أَنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يَوْسَفَ دَخَلَ عَلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، بَعْدَ مَا قَتَلَ ابْنُهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ ، فَقَالَ : إِنَّ ابْنَكَ أُلْحِدَ فِي هَذَا الْبَيْتِ ، وَإِنَّ اللَّهَ أَذَاقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، وَفَعَلَ بِهِ وَفَعَلَ . فَقَالَتْ : كَذَبْتَ ، كَانَ بَرًّا بِالْوَالِدَيْنِ ، صَوَامًا قَوَامًا ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ سَيُخْرَجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَابَانِ ؛ الْآخِرُ مِنْهُمَا شَرٌّ مِنَ الْأَوَّلِ ، وَهُوَ مُبِيرٌ . هَكَذَا رَوَاهُ أَحْمَدُ بِهَذَا السَّنَدِ وَاللَّفْظِ .

وقد أخرجه مسلم ^(١٠) في « صحيحه » ، في كتاب الفضائل ، عن عُقْبَةَ بْنِ مُكْرَمٍ الْعَمِّيِّ الْبَصْرِيِّ ، عن يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، عن الأسود بن شيبان ، عن أبي نوفل ، عن أبي عقرب - واسمه معاوية بن مسلم ^(١١) - عن

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) في م : « شفت » .

(٣) في ٣١ : « راية » . وفي م : « رأى » .

(٤) في م : « خسرت » . وفي الطبراني : « حفرت » .

(٥) في الطبراني : « نقرت » .

(٦) في الطبراني « منى » .

(٧) المسند ٣٥١ / ٦ .

(٨) في م : « ابن إسحاق » .

(٩ - ٩) سقط من : م .

(١٠) مسلم (٢٥٤٥) .

(١١) في ٣١ ، ٢١ ، م : « سلم » . وانظر الجرح والتعديل ٣٧٩ / ٨ .

أسماء بنت أبي بكر الصديق أن رسول الله ﷺ قال : « إن في ثقيف كذاباً ومُبيرا » . وفي الحديث قصة طويلة في مقتل الحجاج ولدها عبد الله بن الزبير في سنة ثلاث وسبعين ، كما سيأتى . وقد ذكر البيهقي هذا الحديث في دلائل النبوة ^(١) .

وذكر العلماء أن الكذاب هو المختار بن أبي عبيد ، وكان يظهر التشيع ويظن الكهانة ، ويُسرى إلى أخصائه [٤٧/٧] أنه يوحى إليه . ولكن ما أدري هل كان يدعى النبوة أم لا ؟ وكان قد وضع له كرسي يُعْظَّم ويُحَفُّ بالرجال ويُستَر بالحرير ، ويحمل على البغال ، وكان يُضاهى به تابوت بنى إسرائيل المذكور في القرآن ، ولا شك أنه كان ضالاً مُضِلّاً ، أراح الله المسلمين منه بعدما انتقم به من قوم آخرين من الظالمين ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُولِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٩] . وأما المبير فهو القتال وهو الحجاج بن يوسف الثقفي ، نائب العراق لعبد الملك بن مروان ، الذي انتزع العراق من يد مصعب بن الزبير ، كما سيأتى بيانه قريباً .

وذكر الواقدي ^(٢) أن المختار لم يزل مظهرًا موافقًا ابن الزبير حتى قدم مصعب إلى البصرة في أول سنة سبع وستين ، وأظهر مخالفتَه ، فسار إليه مصعب فقاتله ، وكان المختار في نحو من عشرين ألفاً ، وقد حمل عليه المختار مرة فهزمه ، ولكن لم يثبت جيش المختار حتى جعلوا ينصرفون إلى مصعب ويدعون المختار ،

(١) الدلائل ٤٨٦/٦ .

(٢) بعده في م : ٤٥ .

(٣) تاريخ الطبري ١١٤/٦ - ١١٥ ، الكامل ٢٧٧/٤ .

وَيَنْقِمُونَ عَلَيْهِ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْكُفَّانَةِ وَالْكَذِبِ . فَلَمَّا رَأَى الْمُخْتَارُ ذَلِكَ انْصَرَفَ إِلَى قَصْرِ الْإِمَارَةِ ، فَحَاصَرَهُ مَصْعَبٌ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ قَتَلَهُ فِي رَابِعِ عَشْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ سَبْعٌ وَسِتُّونَ سَنَةً فِيمَا قِيلَ .

فصل

ولَمَّا اسْتَقَرَّ مَصْعَبُ بْنُ الزَّيْبِرِ بِالْكُوفَةِ بَعَثَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْثَرِ لِيَقْدَمَ عَلَيْهِ ، وَبَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَيْهِ لِيَقْدَمَ عَلَيْهِ ، فَحَارَ ابْنُ الْأَشْثَرِ فِي أَمْرِهِ ، وَشَاوَرَ أَصْحَابَهُ إِلَى أَيُّهُمَا يَذْهَبُ ، ثُمَّ اتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى بَلَدِهِمُ الْكُوفَةِ ، فَقَدِمَ ابْنُ الْأَشْثَرِ عَلَى مَصْعَبِ بْنِ الزَّيْبِرِ فَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ وَاحْتَرَمَهُ كَثِيرًا ، وَبَعَثَ مَصْعَبُ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ عَلَى الْمَوْصِلِ وَالْجَزِيرَةِ وَأَذْرِيحَانَ ^(١) وَأَرْمِينَةَ - وَكَانَ قَدْ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْبَصْرَةِ حِينَ خَرَجَ مِنْهَا عبيدُ اللَّهِ بْنُ ^(٢) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ - وَأَقَامَ هُوَ بِالْكُوفَةِ . ثُمَّ لَمْ تَسْلُخْ هَذِهِ السَّنَةُ حَتَّى عَزَلَهُ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ عَنِ الْبَصْرَةِ وَوَلَّى عَلَيْهَا ابْنَتَهُ حَمْرَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ ، وَكَانَ شَجَاعًا جَوَادًا مُخْلَطًا ؛ يُعْطَى أَحْيَانًا حَتَّى لَا يَدْعَ شَيْئًا ، وَيَمْتَنِعُ أَحْيَانًا مَا لَا يُمْنَعُ مِثْلُهُ ، وَظَهَرَتْ خِيفَتُهُ وَطَيْشُ فِي عَقْلِهِ وَسُرْعَةُ فِي أَمْرِهِ ، فَبَعَثَ الْأَحْنَفُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ ، فَعَزَلَهُ وَأَعَادَ إِلَى وَلَايَتِهَا أَخَاهُ مَصْعَبًا مُضَافًا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ وَلَايَةِ الْكُوفَةِ ، قَالُوا ^(٣) : وَخَرَجَ حَمْرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ مِنَ الْبَصْرَةِ بِمَالٍ كَثِيرٍ مِنْ بَيْتِ مَالِهَا ، فَعَرَضَ لَهُ مَالُكَ [٧/٧٤٧ ط] بْنُ مِشْمَعٍ ، فَقَالَ : لَا نَدْعُكَ تَذْهَبُ بِأَعْطِيَاتِنَا . فَضَمِنَ لَهُ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢ - ٢) في تاريخ الطبرى ١١٧/٦ «عبيد الله» .

(٣ - ٣) تاريخ الطبرى ١١٨/٦ ، والكامل ٢٧٩/٤ .

عبيدُ اللَّهِ بنُ "عبدِ اللَّهِ بنِ" معمرِ العطاء، فكفَّ عنه، فلما انصرف حمزة لم يقدِّم على أبيه مكة، بل عدل إلى المدينة، فأودع ذلك المال رجلاً، فكلُّهم غلَّ ما أودعه وجحده، سوى رجلٍ من أهل الكتاب، فأدَّى إليه أمانته، فلما بلغ أباه ما صنع، قال: أبعده الله، أردت أن أباهي به بنى مزوان فنكص.

وذكر أبو مخنف^(٣) أن حمزة بن عبدِ اللَّهِ بن الزبير ولى البصرة سنة كاملة. فالله أعلم.

قال ابن جرير^(٣): وحجَّ بالناس في هذه السنة عبدُ اللَّهِ بنُ الزبير، وكان عامِله على الكوفة أخاه مصعباً، وعلى البصرة ابنه حمزة، وقيل: بل كان رجع إليها أخوه. وعلى خراسان وتلك البلاد عبدُ اللَّهِ بنُ خازم^(٤) السلمي^(٥) من جهة ابن الزبير. والله سبحانه أعلم.

ومن توفى فيها من الأعيان:

الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط^(٦)، وأبو الجهم^(٧)، وهو صاحبُ الأنبيانية^(٨) المذكورة في الحديث الصحيح^(٩).

وفيهما قُتل خلق كثير يطول ذكرهم^(٥).

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه ١١٨/٦ به.

(٣) تاريخ الطبري ١١٨/٦.

(٤) في الأصل، ٣١، ص: «خازم».

(٥ - ٥) سقط من الأصل، ص. وليس في الطبري.

(٦) الاستيعاب ١٥٥٢/٤، وأسد الغابة ٤٥١/٥، والإصابة ٦١٤/٦.

(٧) الاستيعاب ١٦٦٢/٤، وأسد الغابة ٥٧/٦، والإصابة ٧١/٧.

(٨) الأنبيانية: بفتح الباء وكسرهما، نسبة إلى منبج على غير القياس، وقيل: نسبتها إلى أنبجان، وهي كساء من الصوف له تخمل ولا عَلم له، وهي من أدون الثياب الغليظة. التاج (ن ب ج).

(٩) البخاري (٣٧٣، ٧٥٢، ٥٨١٧)، مسلم (٦١، ٦٢، ٦٣، ٥٥٦).

ثم دَخَلَتْ سنة ثمان وستين

ففيها رَدُّ عَبْدِ اللَّهِ أَخَاهُ مُصَعَّبًا إِلَى إِمْرَةِ البَصْرَةِ ، فَأَتَاهَا فَأَقَامَ بِهَا . وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الكُوفَةِ الْحَارِثَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ الْخَزُومِيِّ ؛ قُبَاعًا ^(١) ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ جَابِرَ بْنَ الْأَسْوَدِ الزُّهْرِيَّ ، وَعَزَلَ عَنْهَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَشْعَثِ ؛ لَكُونَهُ ضَرْبَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ سِتِّينَ سَنَةً ، فَإِنَّهُ أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يُبَايِعَ لَابْنَ الزَّبِيرِ فَاِمْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ فَضَرَبَهُ ، فَعَزَلَهُ ابْنُ الزَّبِيرِ .

وفيهَا هَلَكَ مَلِكُ الرُّومِ قُسْطَنْطِينُ بْنُ قُسْطَنْطِينٍ بَيْلِدِهِ ، لَعَنَهُ اللَّهُ .

وفيهَا كَانَتْ وَقْعَةُ الْأَزَارِقَةِ . وَذَلِكَ أَنَّ مُصَعَّبًا كَانَ قَدْ عَزَلَ عَنْ نَاحِيَةِ فَارَسَ الْمَهْلَبِ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ ، وَكَانَ قَاهِرًا لَهُمْ ، وَوَلَّاهُ الْجَزِيرَةَ ^(٢) ، وَوَلَّى عَلَى فَارَسَ عُمَرَ ابْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ ، فَتَارُوا عَلَيْهِ ، فَقَاتَلَهُمْ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ فَقَهَرَهُمْ وَكَسَرَهُمْ ، وَكَانُوا مَعَ أَمِيرِهِمُ الزَّبِيرِ بْنِ الْمَاحُورِ ^(٣) ، فَقَرَّوْا بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى إِصْطِخْرَ ، فَاتَّبَعَهُمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَقَتَلُوا ابْنَهُ ، ثُمَّ ظَفِرَ بِهِمْ مَرَّةً أُخْرَى ، ثُمَّ هَرَبُوا إِلَى بِلَادِ أَصْبَهَانَ وَنَوَاحِيهَا ، فَتَقَوَّوْا ^(٤) هُنَالِكَ وَكَثُرَ عَدَدُهُمْ وَعُدُدُهُمْ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا يَرِيدُونَ البَصْرَةَ ، فَمَرُّوا بِبَعْضِ بِلَادِ فَارَسَ وَتَرَكَوْا عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ ^(٥) وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ، فَلَمَّا سَمِعَ مُصَعَّبٌ بِقُدُومِهِمْ رَكِبَ فِي النَّاسِ ، وَجَعَلَ يُلَوِّمُ عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بِتَرْكِهِ هَؤُلَاءَ يَجْتَازُونَ بِيَلَادِهِ إِلَى البَصْرَةِ ، وَقَدْ رَكِبَ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ

(١) القُبَاعُ : هُوَ لَقَبٌ لِلْحَارِثِ . الْكَامِلُ ٢٨٣/٤ .

(٢) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ : « وَأَذْرِيجَان » .

(٣) فِي الْأَصْلِ ، ٢١ ، ص : « الْمَاحُور » . وَفِي م : « الْمَاجُور » . وَانْظُرْ تَارِيخَ الطَّبَرِيِّ ١١٩/٥ ، وَالْكَامِلُ ٢٨٢/٤ .

(٤) فِي الْأَصْلِ ، ٣١ ، ٢١ : « فَتَقَرَّوْا » . وَانْظُرْ تَارِيخَ الطَّبَرِيِّ ١٢٠/٦ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « عُمَر » .

ابن معمر في آثارهم ، فبلغ الخوارج أن مصعباً أمامهم وعمر بن عبيد الله وراءهم ، فعدلوا إلى المدائن فجعلوا يقتلون النساء والولدان ، [٤٨/٧] ويقرّون بطون الحبالى ، ويفعلون أفعالاً لم يفعلها غيرهم ، فقصدتهم نائب الكوفة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ومعه أهلها وجماعات من أشرافها ؛ منهم ابن الأستر ، وشبث بن ربعي ، فلما وصلوا إليهم عند^(١) جسر الصّراة ، قطعه الخوارج بينهم وبين الناس ، فأمر الأمير بإعادته ، فأعيد^(٢) ، فقرّبت الخوارج هارين بين يديه ، فاتّبعهم عبد الرحمن بن مخنف في سبّة آلاف فمروا على الكوفة ، ثم صاروا إلى أرض أصبهان ، فانصرف عنهم ولم يقاتلهم ، ثم أقبلوا فحاصروا عتاب بن رقاء شهراً ، بمدينة جُبا^(٣) حتى ضيقوا على الناس ، فنزلوا إليهم فقاتلهم فكشفوهم وقتلوا أميرهم الزبير بن الماجور^(٤) وغنموا ما في معسكرهم ، وأمرت الخوارج عليهم قطري بن الفجاءة ، ثم ساروا إلى بلاد الأهواز ، فكتب مصعب بن الزبير إلى المهلب بن أبي صفرة - وهو على المؤصل - أن يسير إلى قتال الخوارج ، وكان أبصر الناس بقتالهم ، وبعث مكانه إلى المؤصل إبراهيم بن الأستر ، فانصرف المهلب إلى الأهواز فقاتل فيها الخوارج ثمانية أشهر قتالاً لم يُسمع بمثله .

قال ابن جرير^(٥) : وفي هذه السنة كان القحط الشديد ببلاد الشام ؛ بحيث لم يتمكّنوا معه من الغزو لضعفهم وقلة طعامهم وميرتهم .

(١ - ١) في ٣١ ، ٢١ ، م : « إلى » .

(٢) سقط من : م .

(٣) في الأصل ، ٢١ : « جبا » . وبعده في ٢١ : « عتاب » .

وجبا بالضم ثم التشديد والقصر بلد أو كورة من عمل خوزستان . وجبا أيضاً قرية من أعمال النهروان . معجم البلدان ١٢/٢ ، ١٣ .

(٤) في ٢١ : « الماجون » . في م : « الماجور » . وفي ص : « الماجوز » .

(٥) تاريخ الطبري ١٢٧/٦ .

قال ابن جرير^(١) : وفيها قتل عبيد الله بن الحر؛ وكان من خبره أنه كان رجلاً شجاعاً تنقلت به الأحوال والأيام والآراء، حتى صار من أمره أنه لا ينطاع لأحد من بني أمية ولا لآل الزبير، وكان يؤم على عامل الكوفة من العراق وغيره، فيأخذ منه جميع ما في بيت ماله^(٢) من الخواصل^(٣) قهراً ويكتب له براءة ويذهب فينفقه على أصحابه، وكان الخلفاء والأمراء يبعثون إليه الجيوش فيطردها ويكسرونها، قلت أو كثرت، حتى كاع^(٤) فيه مصعب بن الزبير وعماله ببلاد العراق، ثم إنه وقد على عبد الملك بن مروان فبعثه في عشرة نفر، وقال : ادخل الكوفة فأعلمهم أن الجنود ستصل إليهم سريعاً . فبعث في السرا إلى جماعة من إخوانه فظهر على أمره، فأعلم به أمير الكوفة الحارث بن عبد الله، فبعث إليه جيشاً فقتلوه في المكان الذي هو فيه، وحمل رأسه إلى الكوفة، ثم إلى البصرة، واستراح الناس منه .

قال ابن جرير^(٥) : وفيها شهد موقف عرفة أربع رايات متباينة، كل واحدة منها لا تأتم بالأخرى؛ الواحدة لمحمد ابن الحنفية [٤٨/٧] في أصحابه، والثانية لتجدة الحروري^(٦) وأصحابه، والثالثة لبنى أمية، والرابعة لعبد الله بن الزبير، وكان أول من دفع راية ابن الحنفية، ثم نجدة، ثم بنو أمية، ثم دفع ابن الزبير فدفع الناس معه، وكان عبد الله بن عمر في من انتظر دفع ابن الزبير، ولكنه تأخر دفعه، فقال ابن عمر : أشبه بتأخير دفع الجاهلية . فدفع ابن عمر فدفع ابن الزبير، وتحاجز الناس في هذا العام فلم يكن بينهم قتال . وكان على نياية المدينة

(١) تاريخ الطبري ١٢٧/٦ - ١٣٥ .

(٢ - ٣) سقط من : م .

(٣) كاع كؤعا . إذا غقر فمشى على كوعه لأنه لا يقدر على القيام . الوسيط (ك و ع) .

(٤) تاريخ الطبري ١٣٨/٦ .

(٥) في م : الحروري .

لأبي الخزير جابر بن الأسود بن عوف الزهرى، وعلى الكوفة والبصرة أخوه مصعب، وعلى ملك الشام^(١) عبد الملك بن مزوان. والله أعلم.

وممن توفى في هذه السنة من الأعيان

^(٢) عبد الله بن يزيد الأوسى^(٣)، شهد الحُدَيْبِيَّةَ.

وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث^(٤).

وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوى^(٥)، ابن أخى عمر بن الخطاب، أدرك النبى ﷺ. وتوفى بالمدينة عن نحو سبعين سنة.

عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصارى^(٦).

عدى بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن امرئ القيس^(٧)، صحابى جليل، سكن الكوفة ثم سكن قزقيشياء^(٨).

زيد بن أرقم بن زيد^(٩)، صحابى جليل.

(١) بعده فى ٣١، ٢١، م: «ومصر».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣) الاستيعاب ١٠٠١/٣، وأسد الغابة ٤١٦/٣، والإصابة ٢٦٧/٤.

(٤) الاستيعاب ٨٥٦/٢، وأسد الغابة ٤٢٧/٣، والإصابة ٢٨٦/٤.

(٥) الاستيعاب ٨٣٣/٢، وتهذيب الكمال ١١٩/١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) صفحة ١٧٤.

(٦) انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٢٦٦/٥، وتهذيب الكمال ٦٤/١٧، وسير أعلام النبلاء ٦٤/٥، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) صفحة ١٧٠، الإصابة ٣١/٥.

(٧) الاستيعاب ١٠٧٥/٣، وأسد الغابة ٨/٤، والإصابة ٤٦٩/٤.

(٨) فى م: «قوميسيا».

(٩) الاستيعاب ٥٣٥/٢، وأسد الغابة ٢٧٦/٢، والإصابة ٥٨٩/٢.

وفيهما توفى عبد الله بن عباس^(١)، تزجمان

القرآن، وابن عم رسول الملك الديان^(٢)

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، أبو العباس الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ، خبّر هذه الأمة، ومفسر كتاب الله وتزجمانه، وكان يقال له: الخبّز، والخبّز. روى عن رسول الله ﷺ شيئاً كثيراً، وعن جماعة من الصحابة، وأخذ عنه خلق من الصحابة وأئم من التابعين، وله مفردات ليست لغيره من الصحابة؛ لاتساع علمه، وكثرة فهمه، وكمال عقله، وسعة فضله، وثبل أصله، رضى الله عنه وأرضاه.

وأُمّه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين، وهو والد الخلفاء العباسيين، وهو أحد^(٣) إخوة عشرة ذكور للعباس من أم الفضل،^(٤) وهو آخرهم مولداً، وقد مات كل واحد منهم في بلد بعيد من الآخر جداً، كما سيأتي ذلك.

قال مسلم بن خالد الزنجي المكي، عن ابن أبي^(٥) نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس قال^(٦): لما كان رسول الله ﷺ في الشعب جاء أبي إلى رسول الله

(١) الاستيعاب ٩٣٣/٣، وأسد الغابة ٢٩٠/٣، والإصابة ١٤١/٤.

(٢) - ٢) سقط من: م.

(٣) في الأصل: «آخر». وفي ٣١، ٢١، م: «أخو».

(٤) - ٤) سقط من: الأصل، ص.

(٥) سقط من: م، ص، وانظر تهذيب الكمال ٢١٥/١٦.

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨٨/٢٩ به.

ﷺ فقال : يا محمد ، أرى^(١) أم الفضل قد اشتملت على حنبل ، فقال : « لعل الله أن يُقر أعينكم »^(٢) . قال : فأتى^(٣) بي رسول الله ﷺ وأنا في خزقة فحنكني^(٤) بريقه . قال مجاهد : فلا نعلم أحداً حنكه رسول الله ﷺ بريقه غيره . وفي رواية أخرى^(٥) : فقال رسول الله ﷺ : « لعل الله^(٦) أن يُبيض وجوهنا بسلام » . فولدت عبد الله [٧/٤٩ و] بن عباس . وعن عمرو بن دينار قال^(٧) : ولد ابن عباس عام الهجرة .

وروى الواقدي ، من طريق شعبة ، عن ابن عباس أنه قال^(٨) : ولدت قبل الهجرة بثلاث سنين وحنن في الشعب ، وتوفي رسول الله ﷺ وأنا ابن ثلاث عشرة سنة . ثم قال الواقدي^(٩) : وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل العلم . واحتج الواقدي بأنه كان قد ناهز الحلم عام حجة الوداع .

وفي « صحيح البخاري » عن ابن عباس ، قال^(١٠) : توفي رسول الله ﷺ وأنا مختون ، وكانوا لا يختنون الغلام حتى يحتلم . وقال شعبة وهشيم^(١١)

(١) في ص : « إني أرى » .

(٢) في الأصل : « عينك » ، وفي ص : « عينكما » .

(٣) في ٣١ ، ٢١ ، م : « فلما ولدتنى أتى » .

(٤) في تاريخ دمشق : « يحنكني » .

(٥) أخرجها يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ ١/ ٥٤١ . ومن طريقه أخرجها ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

(٦ - ٦) في ص : « لعل » . وفي المعرفة والتاريخ ، وتاريخ دمشق : « عسى » .

(٧) تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٨٩ .

(٨) مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٢٩٤ .

(٩) المصدر السابق .

(١٠) البخاري (٦٢٩٩) .

(١١) في م : « هشام » ، وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

وأبو^(١) غوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال^(٢) :
توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، مختون. زاد هشيم^(٣) : وقد
جمعت المحكم على عهد رسول الله ﷺ. قلت : وما الحكم ؟ قال :
المفصل.

وقال أبو داود الطيالسي^(٤) ، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن
جبير، عن ابن عباس قال : قبض رسول الله ﷺ وأنا ابن خمس عشرة سنة
مختون. وهذا هو الأصح، ويؤيده^(٥) صحة ما ثبت في « الصحيحين »^(٦) ،
ورواه مالك^(٧) ، عن الزهري، عن^(٨) عبيد الله^(٩) بن عبد الله^(١٠) ، عن ابن عباس
قال : أقبلت راكباً على حمار^(١١) أتان، وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام،
ورسول الله ﷺ يُصَلِّي بالناس بمنى إلى غير جدار، فمررت بين يدي بعض
الصف، فنزلت وأرسلت الأتان ترتع ودخلت في الصف، فلم يُنكر ذلك عليّ
أحد. وثبت عنه في « الصحيح »^(١٢) أنه قال : كنت أنا وأُمِّي مِنَ الْمُسْتَضْعِفِينَ؛

-
- (١) في م : « ابن » ، وانظر أطراف المسند ٦٧/٣.
(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٢٥٣، ٢٨٧، ٣٣٧ (إسناده صحيح).
(٣) في م : « هشام » ، وانظر تهذيب الكمال ٣٠/٢٧٢، ٢٧٣.
(٤) مسند أبي داود الطيالسي (٢٦٤٠).
(٥) في الأصل : « يزيد ».
(٦) البخاري (٧٦، ٤٩٣، ٨٦١، ١٨٥٧، ٤٤١٢)، ومسلم (٢٥٤/٢٥٥، ٥٠٤).
(٧) الموطأ ١/١٥٥.
(٨ - ٨) في ٣١، ٢١ : « عبد الله ».
(٩ - ٩) سقط من : م.
(١٠) سقط من : م.
(١١) البخاري (٤٥٨٧)، وليس فيه : « كانت أُمِّي مِنَ النِّسَاءِ وَكَتَبْتُ أَنَا مِنَ الْوِلْدَانِ ». قال الحافظ في
الفتح ٨/٢٥٥ : أخرجه الإسماعيلي من طريق إسحاق بن موسى عن ابن عيينة بهذا اللفظ.

كانت أمي من النساء، وكنت أنا من الولدان. وهاجر مع أبيه قبل الفتح، فاتفق لقياهما النبي ﷺ بالجحفة وهو ذاهب لفتح مكة، فشهد الفتح وحنيناً والطائف عام ثمان، وقيل: كان في سنة تسع وحجة الوداع سنة عشر. وصحب النبي ﷺ من^(١) حينئذ ولزمه، وأخذ عنه وحفظ، وضبط الأقوال والأفعال والأحوال، وأخذ عن الصحابة علماً عظيماً مع الفهم الثاقب والبلاغة والفصاحة والجمال والملاحاة والأصالة والبيان، ودعا له رسول الرحمن ﷺ، «وذلك»^(٢) كما وردت به الأحاديث الثابتة الأركان^(٣) عند الأئمة الحفاظ المرضيين^(٤)؛ أن رسول الله ﷺ دعا له^(٥) «بأن يعلمه الله»^(٦) التأويل، وأن يفقهه في الدين.

وقال الزبير بن بكار^(٧): حدثني ساعدة بن عبيد الله المزني، عن داود [٤٩/٧] بن عطاء، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر أنه قال: إن عمر كان يدعو عبد الله بن عباس فيقرّبه ويقول: إني رأيت رسول الله ﷺ دعاك يوماً فمسح رأسك، وتقل في فيك وقال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل». وبه أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك فيه وانشر منه»^(٨).

وقال حماد بن سلمة^(٩)، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم^(١٠)، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: بث في بيت خالتي ميمونة فوضعت للنبي ﷺ

(١) سقط من: م.

(٢ - ٢) زيادة من: الأصل، ص.

(٣ - ٣) في الأصل، ص: «بعلم»، وفي م: «بأن يعلمه».

(٤) أخرجه الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣/٣٣٧.

(٥) أورده ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق ٢٩٩/١٢ عن ابن عمر.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٢٨/١، ٣٣٥ (إسناده صحيح).

(٧) في م، ص: «خيثم». (وكذا في المواضع التالية)، وانظر تهذيب الكمال ٢٧٩/١٥.

غُسْلًا، فقال: «مَنْ وَضَعَ هَذَا؟» قالوا: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ. فقال: «اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ، وَفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ». وقد رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، عَنْ ابْنِ خُثَيْمٍ بِنَحْوِهِ^(١). وقال الإمام أحمد^(٢): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ^(٣) بَكْرِ،^(٤) ثَنَا حَاتِمُ بْنُ أَبِي صَغِيرَةَ^(٥) أَبُو يُونُسَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ أَنَّ كُرَيْبًا أَخْبَرَهُ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَصَلَّيْتُ خَلْفَهُ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَجَرَّنِي حَتَّى جَعَلَنِي حِذَاءَهُ، فَلَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى صَلَاتِهِ خَنَسْتُ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا انصَرَفَ^(٦) قَالَ لِي: «مَا شَأْنِي أَجْعَلُكَ^(٧) حِذَائِي فَتَحْنِسُ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْيَبِغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُصَلِّيَ^(٨) حِذَاءَكَ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا؟ قَالَ: فَأَعَجَبْتُهُ، فَدَعَا اللَّهَ لِي أَنْ يَزِيدَنِي عِلْمًا وَفَهْمًا، قَالَ: ثُمَّ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَامَ حَتَّى سَمِعْتُهُ يَنْفُخُ، ثُمَّ أَتَاهُ بِلَالٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الصَّلَاةُ. فقام فصلى ما أعاد وضوءًا.

وقال الإمام أحمد وغيره^(٩): حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، ثَنَا وَرْقَاءُ، سَمِعْتُ عبيدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي يَزِيدَ يُحَدِّثُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْخَلَاءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: «مَنْ وَضَعَ ذَا؟» فَقِيلَ: ابْنُ عَبَّاسٍ. فقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ».

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٢٦٦، ٣١٤ (إسناده صحيح).

(٢) المسند ١/٣٣٠ (إسناده صحيح).

(٣) في ص: «بن أبي».

(٤ - ٥) في م: «بن أبي صغرة». وانظر تهذيب الكمال ٥/١٩٤، ١٩٥.

(٥) بعده في ٣١، ٢١، م: «من صلاته».

(٦) بعده في م: «في».

(٧) المسند ١/٣٢٧، والبخارى (١٤٣)، وليس عندهما: «وعلمه التأويل». ومسلم (٢٤٧٧)

بلفظ: «اللهم فقهه» فقط.

وقال الثَّوْرِيُّ وغيره^(١)، عن ليث، عن أبي جَهْضَمٍ موسى بن سالم، عن ابن عباس، أنه رأى جبريلَ، وأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دعا له بالحِكْمَةِ - وفي رواية بالعلم - مرتين.

وقال الدارقطني: حَدَّثَنَا حمزةُ بنُ القاسمِ الهاشمي وآخرون، قالوا: حَدَّثَنَا العباسُ بنُ محمدٍ، حَدَّثَنَا محمدُ بنُ مُصْعَبٍ،^(٢) حَدَّثَنَا أبو مالك^(٣) النَّخَعِيُّ، عن أبي إسحاق، عن عكرمة، عن ابنِ عباسٍ قال: رأيتُ جبريلَ مرتين، [٧/٥٠] ودعا لي رسولُ اللَّهِ ﷺ بالحكمة مرتين. ثم قال: غريبٌ من حديثِ أبي إسحاق السَّبيعي، عن عكرمة. تفرد به عنه أبو مالك النَّخَعِيُّ عبدُ الملكِ بنُ حُسين^(٤).

وقال الإمامُ أحمدُ^(٥): حَدَّثَنَا هشيمٌ^(٦)، عن خالد، عن عكرمة، عن ابنِ عباسٍ قال: ضَمَنِي رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال: «اللهم علِّمه الحكمة». ورواه أحمدُ^(٧) أيضًا، عن إسماعيلَ ابنِ عُلَيَّةَ، عن خالدِ الحذاءِ، عن عكرمة عنه، قال: ضَمَنِي إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال: «اللهم علِّمه الكتاب». وقد رواه البخاري^(٨)، والترمذي، والنسائي، وابنُ ماجه^(٩)، من حديثِ خالدٍ - وهو ابنُ مِهْرَانَ

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٢٢)، والإمام أحمد في فضائل الصحابة (١٥٦١). ضعيف (ضعيف سنن الترمذي ٨٠١).

(٢) (٢ - ٢) في م: «بن أبي مالك». وانظر تهذيب الكمال ٤٦٠/٢٦.

(٣) أخرجه الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ١٥٣.

(٤) المسند ٢١٤/١ (إسناده صحيح).

(٥) في م: «هاشم».

(٦) المسند ٣٥٩/١ (إسناده صحيح).

(٧) سقط من: ٢١، ٣١.

(٨) البخاري (٧٥، ٣٧٥٦، ٧٢٧٠)، والترمذي (٣٨٢٤)، والنسائي في الكبرى (٨١٧٩)، وابن ماجه (١٦٦).

الحداء - عن عكرمة عنه به . وقال الترمذی : حسنٌ صحيحٌ .

وقال الإمام أحمد^(١) : حدّثنا أبو سعيد ، ثنا سليمان بن بلال ، ثنا حسين بن عبد الله ، عن^(٢) عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم أعط ابن عباس الحكمة وعلّمه التأويل » . تفرد به أحمد .

وقد روى هذا الحديث غير واحد عن عكرمة بنحو هذا . ومنهم من أرسله عن عكرمة ، والمتصل هو الصحيح ؛ فقد رواه غير واحد من التابعين عن ابن عباس ، وروى من طريق أمير المؤمنين المهدي ، عن أبيه^(٣) ؛ أي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عبد الله بن عباس ، أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم علّمه الكتاب وفقهه في الدين » .

وقال الإمام أحمد^(٤) : حدّثنا أبو كامل وعفان ، المغني^(٥) ، قال : ثنا حماد ، ثنا عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس قال : « كنت مع أبي عند النبي ﷺ وعنده رجل يُناجيه ، قال عفان : وهو كالمُعْرِضِ عن العباس ، فخرَجنا من عنده فقال العباس^(٥) : ألم تر إلى^(٦) ابن عمك كالمُعْرِضِ عني ؟ فقلت : إنه كان عنده رجلٌ

(١) المسند ٢٦٩/١ (ضعيف) .

(٢) في م : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ٣٨٣/٦ .

(٣) بعده في الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، م : « عن » وانظر سير أعلام النبلاء ٤٠٠/٧ .

(٤) المسند ٣١٢/١ (إسناده صحيح) .

(٥) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م . وهي ليست في المسند .

(٦ - ٦) في ٣١ ، ٢١ ، م : « أر » .

يُنَاجِيهِ . قَالَ عَفْأُنْ : قَالَ ^(١) : أَوْ كَانَ عِنْدَهُ أَحَدٌ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ ^(٢) : فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ كَانَ عِنْدَكَ أَحَدٌ ^(٣) ؛ فَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ أَحْبَبَنِي أَنَّهُ كَانَ عِنْدَكَ رَجُلٌ تُنَاجِيهِ ^(٤) ؟ قَالَ : « هَلْ رَأَيْتَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ » قَالَ ^(٥) : نَعَمْ . قَالَ : « ذَاكَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ » . وَقَدْ رَوَى مِنْ حَدِيثِ الْمَهْدِيِّ عَنْ آبَائِهِ ، وَفِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ : « أَمَا إِنَّكَ سَتُصَابُ فِي بَصْرِكَ » . فَكَانَ كَذَلِكَ . وَقَدْ رَوَى مِنْ وَجْهِ آخَرَ أَيْضًا ^(٦) . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ذَكَرَ صِفَةَ أُخْرَى لِرُؤْيَيْهِ جَبْرِيلَ ^(٧) ، رَوَاهَا قَتِيبَةُ ، عَنِ الدِّرَاوَرْدِيِّ ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ ^(٨) ، [٥٠/٧ هـ] عَنْ مُوسَى بْنِ مَيْسَرَةَ أَنَّ الْعَبَّاسَ بَعَثَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ فِي حَاجَةٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ رَجُلًا ، فَرَجَعَ وَلَمْ يُكَلِّمْهُ مِنْ أَجْلِ مَكَانِ ذَلِكَ الرَّجُلِ ، فَالْقَى الْعَبَّاسَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ ^(٩) : أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ ابْنِي فَوَجَدَ عِنْدَكَ رَجُلًا فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُكَلِّمَكَ فَرَجَعَ وَرَاءَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا عَمُّ ، تَدْرِي مَنْ ذَاكَ الرَّجُلُ ؟ » قَالَ : لَا . قَالَ : « ذَاكَ ^(١٠) جَبْرِيلُ ،

(١) بعده في ٣١، ٢١، م : « عباس » .

(٢) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(٣) بعده في ٣١، ٢١، م : « آنفًا » .

(٤) في ٣١، ٢١، م : « يناجيك » .

(٥) بعده في ٣١، ٢١، م : « قلت » .

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٩٢/١٠ (١٠٥٨٦) من طريق علي بن عبد العزيز مطولاً . وأورده الهيثمي في المجمع ٢٧٦/٩ ، وعزاه للطبراني ، وقال : وفيه من لم أعرفه .

(٧) أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٠ .

(٨) في م ، ص : « يزيد » وانظر تهذيب الكمال ٤١٦/٤ .

(٩) بعده في ٣١، ٢١، م : « يا رسول الله » .

(١٠) سقط من الأصل .

ولن يموت أبوك حتى يذهب بصره ويؤتى علماً». ورواه سليمان بن بلال، عن
 ثور بن زيد^(١) كذلك^(٢)، وله^(٣) طريق آخرى^(٤). وقد ورد في فضائل ابن عباس
 أحاديث كثيرة منها ما هو منكر جداً، أضربنا عن كثير منها صفحاً، وذكرنا ما فيه
 مقنع وكفاية عما سواه.

وقال أبو بكر البيهقي^(٥): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأ عبد الله بن
 الحسن القاضي بمزوء، ثنا الحارث بن محمد، أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا
 جريز بن حازم، عن يعلی بن حكيم، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما قبض
 رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله
 فإناهم^(٦) اليوم كثير. فقال: يا عجباً لك يا ابن عباس! أتري الناس يفتقرون
 إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟ قال: فترك ذلك،
 وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله ﷺ، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل
 فأتى بابته وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابي يسفي الريح علي من التراب،
 فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله، ما جاء بك؟ هلاً أرسلت إلي
 فأتيتك؟ فأقول: لا^(٧)، أنا أحق أن أتيتك. قال: فأسأله عن الحديث. قال:

(١) في م، ص: «يزيد».

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٠، ٣٤١.

(٣ - ٣) في الأصل، ص: «طرق آخر». وانظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤١.

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٣٦٧، ٣٦٨، والحاكم في المستدرک ٣/ ٥٣٨، من طريق سعيد
 ابن جبیر عن ابن عباس، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. كما
 أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١٩٢٥).

(٥) في الأصل، ص: «فأنتم».

(٦) سقط من: الأصل.

فعاش هذا الرجل الأنصارى حتى رآنى وقد اجتمع الناس حولى يسألونى ،
فيقول : هذا الفتى كان أعقل منى .

وقال محمد بن عبد الله الأنصارى^(١) : ثنا محمد^(٢) بن عمرو^(٣) بن علقمة ،
ثنا أبو سلمة ، عن ابن عباس ، قال : وجدتُ عائمة^(٤) عِلِمِ رسولِ الله ﷺ عند
هذا الحى من الأنصار ، إن كنتُ لأقيلُ بيابِ أحدهم ، ولو شئتُ أن يؤذَنَ لى
عليه لأذن^(٥) ، ولكن أبتغى بذلك طيبَ نفسه .

وقال محمد بن سعيد^(٦) : أخبرنا محمد بن عمر ، حدثنى قدامة بن
موسى ، عن أبى سلمة الحضرمى قال : سمعتُ ابنَ عباسٍ يقول : كنتُ ألزمُ
الأكابر [٥١/٧] من أصحابِ رسولِ الله ﷺ ؛ من المهاجرين والأنصار ،
فأسألهم عن مغازى رسولِ الله ﷺ وما نزلَ من القرآنِ فى ذلك ، وكنتُ لا
أتى أحدا منهم إلا سرُّ بإتيانى^(٧) ؛ لقربى من رسولِ الله ﷺ ، فجعلتُ أسألُ
أبى بن كعبٍ يومًا - وكان من الراسخين فى العلم - عما نزلَ من القرآنِ
بالمدينة . فقال : نزلَ سبعٌ وعشرون سورةً وسائرُها بمكة^(٨) .

وقال أحمد^(٩) : عن عبد الرزاق ، عن معمر قال : عائمة عِلِمِ ابنِ عباسٍ من

(١) أخرجه يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ٥٤٠/١ ، عن محمد بن عبد الله الانصارى بنحوه .

(٢ - ٣) سقط من : ص .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « لى » .

(٥) الطبقات ٣٧١/٢ .

(٦) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « إليه » .

(٧) فى ٣١ ، م : « مكى » ، وفى ٢١ : « نزل بمكة » .

(٨) أخرجه يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ٥٤١/١ . وانظر مختصر تاريخ دمشق ٣٠١/١٢ .

ثلاثة؛ من عمر وعلي وأبي بن كعب. وقال طاووس^(١) عن ابن عباس أنه قال: إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد^(٢) ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ. وقال مغيرة، عن الشعبي قال^(٣): قيل لابن عباس: أنى أصبت هذا العلم؟ قال: بلسان سئول، وقلب عقول. وثبت عن عمر بن الخطاب^(٤) أنه كان يجلس ابن عباس مع مشايخ الصحابة، ويقول: نغم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس. وكان إذا أقبل يقول عمر^(٥): جاء فتى الكهول، وذو اللسان السئول والقلب العقول. وثبت في «الصحيح»^(٦) أن عمر سأل الصحابة عن تفسير ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]. فسكت بعض وأجاب بعض بجواب لم يرتضه عمر، ثم سأل ابن عباس عنها فقال: أجل رسول الله ﷺ نعى إليه. فقال: لا أعلم منها إلا ما تعلم^(٧). وأراد عمر بذلك أن يقرّر عندهم جلالة قدره، وكبير منزلته في العلم والفهم^(٨). وسأله مرة عن ليلة القدر، فاستنبط أنها في الليلة^(٩) السابعة من العشر الأخير، فاستحسنه عمر واستجاده، كما ذكرنا

(١) أخرجه الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٤.

(٢) بعده في م: «من».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة ١٨٧٧ (إسناده ضعيف).

(٤) الجزء الأول من الأثر أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٣٦٥ من طريق ابن عباس، وأخرج الجزء الثاني ابن سعد أيضًا في الطبقات ٢/ ٣٦٦ من طريق عبد الله بن مسعود، كما أخرجه أيضًا - الجزء الثاني - الحاكم في المستدرک ٣/ ٥٣٨ مرفوعًا. وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. (٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٨١٢٣) مطولاً، والطبراني في الكبير ١٠/ ٣٢٣ (١٠٦٢٠)، كلاهما من طريق أبي بكر الهذلي، وقال الهيثمي في المجمع ٩/ ٢٧٧: رواه الطبراني، وأبو بكر الهذلي ضعيف.

(٦) تقدم تخريجه في ٦/ ٦٢٣.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل.

(٨) سقط من: ص.

(٩) سقط من: ٣١، ٢١، م.

فى التفسير^(١) .

وقد قال الحسن بن عرفة^(٢) : حدثنا يحيى بن اليمان ، عن عبد الملك بن أبى سليمان ، عن سعيد بن جبير^(٣) قال : قال^(٤) عمر^(٥) لابن عباس : لقد علمت علماً ما علمناه . وقال الأوزاعي^(٦) : قال عمر لابن عباس : إنك لأصبح فتياناً وجهاً ، وأحسنهم عقلاً ، وأفقههم فى كتاب الله عز وجل . وقال مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس قال^(٧) : قال لى أبى : إن عمر بن الخطاب يُدينك ويُجلِسُك مع أكابر الصحابة ، فاحفظ عني ثلاثاً ؛ لا تُفشِنَ له سرّاً ، ولا تغتابنَّ عنده أحداً ، ولا يُجرِبَنَّ عليك كذباً . قال الشعبي : قلت لابن عباس : كلُّ واحدة خيرٌ من ألف . فقال^(٨) ابن عباس^(٩) : بل كلُّ واحدة خيرٌ من عشرة آلاف .

وقال الواقدي^(٨) : حدثنا [٧/٥١ هـ] عبد الله بن الفضل^(٩) بن أبى عبد الله ، عن أبيه ، عن عطاء بن يسار ، أن عمر وعثمان كانا يدْعوان ابنَ عباس

(١) التفسير ٤٦٩/٨ .

(٢) أخرجه الذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ١٥٥ .

(٣ - ٣) فى ٣١ ، ٢١ ، م : «عن» .

(٤) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : «أنه قال» .

(٥) أخرجه يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ٥٣٤/١ .

(٦) أخرجه الإمام أحمد فى فضائل الصحابة (١٨٦٢) ، والطبرانى فى الكبير ٣٢٢/١٠ (١٠٦١٩) ،

قال الهيثمى فى المجمع ٤/٢٢١ : فيه مجالد بن سعيد وثقه النسائى وغيره وضعفه جماعة ، وانظر الجرح

والتعديل ٣٦١/٨ .

(٧ - ٧) سقط من : ص .

(٨) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/٣٦٥ ، ٣٦٦ .

(٩) فى الطبقات : «الفضل» .

فيشِير^(١) مع أهل بدر، وكان يُفتى في عهد عمر وعثمان إلى يوم مات . قلت :
 وشهد فتح إفريقية سنة سبع وعشرين مع ابن أبي سرح^(٢) . وقال الزهرى ، عن
 علي بن الحسين ، عن أبيه قال : نظر أبي إلى ابن عباس يوم الجمل يمشى بين
 الصفين ، فقال : أقرّ الله عين من له ابن عم مثل هذا . وقد شهد مع علي
 أيضًا^(٣) صفين ، وكان أميرًا على الميسرة ، وشهد معه قتال الخوارج ، وكان ممن
 أشار على علي بأن يستنصب معاوية على الشام ، وأن لا يعزله عنها في بادئ
 الأمر ، حتى قال له فيما قال : إن أحببت عزله فولّه شهرًا وعزله دهرًا . فأبى
 عليه^(٤) علي إلا أن يُقاتله ، فكان ما كان مما قد سبق بيانه^(٥) . ولمّا تراوَص الفريقان
 على تحكيم الحكمين ، طلب ابن عباس أن يكون من جهة علي ؛ ليكافئ عمرو
 ابن العاص ، فامتنع مذجج وأهل اليمن إلا أن يكون من جهة علي أبو موسى
 الأشعري ، فكان من أمر الحكمين ما سلف أيضًا^(٦) .

وقد استنابه علي على البصرة ، وأقام للناس الحج في بعض السنين ، فخطب
 بهم في عرفات خطبة ، وفسر فيها سورة البقرة ، وفي رواية : سورة النور . قال
 من سمعه : فسّر ذلك تفسيرًا لو سمعته الروم والتُّرك والذِّيلم لأسلموا .

وهو أول من عرف بالناس بالبصرة ، فكان يصعد المنبر ليلة عرفة ، ويجتمع
 أهل البصرة^(٧) حوله فيفسر شيئًا من القرآن ، ويُذكّر الناس من بعد العصر إلى

(١) في م : « فيسير » .

(٢) انظر ما تقدم في ٢٢٦/١٠ . ولم يذكر هناك من العبادة الذين شهدوا فتح إفريقية مع ابن أبي السرح
 غير عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير .

(٣) في ٣١ ، ٢١ ، م : « الجمل و » .

(٤) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٥) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م . وانظر ما تقدم في ٤٩٠/١٠ وما بعدها .

(٦) زيادة من : الأصل ، ص . وانظر ما تقدم في ٥٥٤/١٠ وما بعدها .

(٧) في ص : « المصر » .

الغروب، ثم ينزل فيصلّي بهم المغرب. وقد اختلف العلماء بعده في ذلك؛
 (١) فمنهم من كره ذلك وقال: هو بدعة لم يعملها رسول الله ﷺ ولا أحد من
 الصحابة إلا ابن عباس، ومنهم من استحَبَّ ذلك لأجل ذكر الله وموافقة
 الحُجَّاج (٢).

وقد كان ابن عباس ينتقد على علي في بعض أحكامه فيرجع إليه علي في
 ذلك، كما قال الإمام أحمد (٣): حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ عِكْرَمَةَ، أَنَّ
 عَلِيًّا حَرَّقَ نَاسًا ارْتَدَّوْا عَنِ الْإِسْلَامِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: (٤) لَمْ أَكُنْ
 لِأَحْرِقْهُمْ (٥) بِالنَّارِ؛ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ». (٦) وَكَنتُ
 قَاتِلَهُمْ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ». فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا فَقَالَ:
 وَيْحَ ابْنَ عَبَّاسٍ! وَفِي رَوَايَةٍ (٧): «وَيْحَ ابْنِ عَبَّاسٍ (٨)، إِنَّهُ لَغَوَّاصٌّ (٩) عَلَى الْهَنَاتِ».
 وقد كافأه علي، فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَرَى إِبَاحَةَ الْمُتَعَةِ (١٠)، وَتَحْلِيلَ الْحُمْرِ (١١) الْإِنْسِيَّةِ،
 فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: إِنَّكَ أَمْرٌ تَائِهٌ (١٢)؛ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ نِكَاحِ الْمُتَعَةِ، وَعَنِ لَحْمِ
 الْحُمْرِ الْإِنْسِيَّةِ [٥٢/٧هـ] يَوْمَ خَيْبَرَ. وَهَذَا الْحَدِيثُ مُخَرَّجٌ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»
 وَغَيْرِهِمَا (١٣)، وَلَهُ أَفَافُظٌ هَذَا مِنْ أَحْسَنِهَا. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) المسند ٢١٧/١، ٢٨٢، ٢٨٣ (إسناده صحيح).

(٣ - ٣) في ٣١، ٢١، م: «لو كنت أنا لم أحرقهم».

(٤ - ٤) في م: «بل كنت».

(٥) أخرجها يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ ٥١٦/١.

(٦) في الأصل: «تعراض».

(٧) بعده في ٣١، ٢١، م: «وأنها باقية».

(٨) في الأصل: «الحمير».

(٩) أى متكبر، أو ضال متخير. النهاية ٢٠٣/١.

(١٠) تقدم تخريجه في ٢٨٢/٦ - ٢٨٤.

وقال البيهقي^(١) : أنبأ أبو عبد الله الحافظ قال : سمعتُ أبا بكر بن المؤمل يقول : سمعتُ أبا نصر بن أبي ربيعة يقول : وردَ صَغَصَعَةُ بنُ ضَوْحَانَ^(٢) على علي بن أبي طالب من البصرة ، فسأله عن ابن عباس - وكان على خلافته بها - فقال صَغَصَعَةُ : يا أمير المؤمنين ، إنه آخِذٌ بثلاثٍ وتاركٌ لثلاثٍ ؛ آخِذٌ بقلوب الرجال إذا حُدَّتْ ، وبُحْسِنِ الاستماع إذا حُدَّتْ ، وبأيسرِ الأمرين إذا خُولِف . وترك المراء^(٣) ومقارنة اللثيم ، وما يُعْتَدُّ منه .

وقال الواقدي^(٤) : ثنا أبو بكر بن أبي سَبْرَةَ ، عن موسى بن سعيد^(٥) ، عن عامر ابن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : ما رأيتُ أحدًا أَحْضَرَ فَهْمًا ولا أَلْبَ بُنًا ، ولا أَكْثَرَ عِلْمًا ، ولا أَوْسَعَ جِلْمًا من ابن عباس ، ولقد رأيتُ عمرَ يدعوه للمعضلات ثم يقول : عندك ، قد جاءتك معضلة . ثم لا يُجاوِزُ قوله ، وإنَّ حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار . وقال الأعمش^(٦) ، عن أبي الضُّحَى ، عن مسروق قال : قال عبدُ الله بن مسعود : لو أدرك ابنُ عباسِ أسناننا ما عَشَّرَهُ^(٧) مئًا أحدًا . وكان يقول : نِعَمَ تُرْجِمَانِ القرآنِ ابنُ عباس . وعن ابن عمر أنه قال^(٨) : ابنُ عباسٍ أعلم

(١) انظر مختصر تاريخ دمشق ٣١٣/١٢ .

(٢) في الأصل ، ٣١ ، م : « صوجان » ، وانظر تهذيب الكمال ١٦٧/١٣ .

(٣) في ص : « المرأة » .

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣٦٩/٢ .

(٥) في م : « سعيد » .

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرک ٥٣٧/٣ ، والإمام أحمد في فضائل الصحابة (١٨٦٣) ، وابن سعد

في الطبقات ٣٦٦/٢ ، ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ ٤٩٥/١ .

قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٧) في المستدرک : « عاشره » . والمعنى : ما بلغ أحدٌ منا عشرَ علمه . النهاية ٢٤٠/٣ .

(٨) مختصر تاريخ دمشق ٢٩٦/١٢ .

النَّاسِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ .

وقال محمد بن سعيد^(١) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍ ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ الْعَلَاءِ ،
عن يعقوب بن زيد ، عن أبيه قال : سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ حِينَ بَلَغَهُ
مَوْتُ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَصَفَّقُ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى : مَاتَ الْيَوْمَ أَعْلَمُ النَّاسِ
وَأَحْلَمُ النَّاسِ ، وَلَقَدْ أَصِيبَتْ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ مُصِيبَةً لَا تُرْتَقَى . وَبِهِ^(٢) إِلَى يَحْيَى بْنِ
الْعَلَاءِ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ ، قَالَ : لَمَّا
مَاتَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ : مَاتَ الْيَوْمَ مَنْ كَانَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ يَسَّرَ
الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فِي الْعِلْمِ .

قال الواقدي^(٣) : وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ
أَبِي عَمْرٍو ، عَنْ عِكْرَمَةَ قَالَ : سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ : مَوْلَاكَ^(٤) وَاللَّهِ أَفْقَهُ مَنْ مَاتَ
وَمَنْ عَاشَ .

وروى ابن عساکر^(٥) ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ حِينَ كَانَ
الصُّلْحُ^(٦) وَأَوَّلُ^(٧) مَا التَّقِيْتُ أَنَا وَهُوَ ، فَإِذَا عِنْدَهُ أَنَاسٌ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ،
مَا تَحَاكَبْتَ الْفِتْنَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ كَانَ أَعَزَّ عَلَيَّ بُعْدًا وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ قُرْبًا ، الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَمَاتَ عَلِيًّا . فَقُلْتُ لَهُ : [٥٢/٧] إِنَّ اللَّهَ لَا يُدْثِمُ فِي قَضَائِهِ ، وَغَيْرُ هَذَا

(١) طبقات ابن سعد ٢/٣٧٢ .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/٣٦٩ ، ٣٧٠ .

(٣) في م : « مات » .

(٤) تاريخ دمشق ٢٩/٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(٥ - ٥) في ٣١ ، ٢١ ، م : « وهو أول » .

الحديث أحسن منه ، ثم قلت له : إني أحب أن تُعفيتني من ابن عمي وأُعفيك من ابن عمك . قال : ذلك لك . وقالت عائشة وأُم سلمة^(١) حين حجَّ^(٢) ابن عباس^(٣) بالنَّاسِ : هو أعلم النَّاسِ بالمناسك . وقال ابن المبارك^(٤) ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي قال : ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه ، فقال : لا تفعل يا ابن عم رسول الله ﷺ . قال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا . فقال له زيد : أرني يدك . فأخرج يديه ، فقَبَّلَهُمَا^(٥) ، وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

وقال الواقدي^(٥) : حدَّثني^(٦) داود بن جبيرة^(٦) ، سمعتُ ابن المسيب يقول : ابن عباس أعلم الناس . وحدَّثني عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبيد الله^(٧) ابن عبد الله^(٧) بن عُتْبَةَ قال : كان ابن عباس قد فات^(٨) الناس بخصال ؛ بعلم ما سبقه^(٩) ، وفقه فيما احتجج إليه من رأيه ، وحلم ونسب ونائل^(١٠) ، وما رأيتُ أحدًا كان أعلم بما سبقه من حديث النبي ﷺ منه ، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان

(١) طبقات ابن سعد ٢/٣٦٩ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٢/٣٠٧ .

(٤ - ٤) في ٣١ ، ٢١ : « أرني يدك فأخذ يده قبلها » .

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/٣٦٨ ، ٣٦٩ .

(٦ - ٦) في الأصل : « داود بن حرب » ، وفي ٢١ : « داود بن أبي هند عن سعيد بن جبيرة » ، وفي م :

« داود بن هند عن سعيد بن جبيرة » . وانظر التاريخ الكبير ٣/٢٣٩ ، والجرح والتعديل ٣/٤٠٨ .

(٧ - ٧) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٨) في الأصل : « فاق » .

(٩) في الأصل ، ٣١ ، ٢١ : « سبق إليه » .

(١٠) في الأصل : « تأويل » .

منه ، ولا أفقه في رأي منه ، ولا أعلم بشعر ولا عريّة ، ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ، ولا بفريضة منه ، ولا أعلم بما مضى ، ولا أثبت^(١) رأياً فيما احتيج إليه منه ، ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه ، ويوماً^(٢) التأويل ، ويوماً^(٣) المغازي ، ويوماً الشعر ، ويوماً أيام العرب ، وما رأيته عالماً قط جلس إليه إلا خضع له ، وما رأيته^(٤) سائلاً قط^(٥) سألته إلا وجد عنده علماً . قال : وربما حفظت القصيدة من فيه يُنشدّها^(٦) ثلاثين بيتاً . وقال هشام بن عروة ، عن أبيه^(٧) : ما رأيته مثل ابن عباس قط . وقال عطاء^(٨) : ما رأيته مجلساً قط^(٩) أكرم من مجلس ابن عباس ، أكثر فقهاً ، ولا أعظم هيبة^(١٠) ؛ أصحاب القرآن يسألونه ، وأصحاب العربية يسألونه ، وأصحاب الشعر عنده^(١١) يسألونه ، فكلهم يصدّر في وادٍ واسع .

وقال الواقدي^(١٢) : حدثني بشر بن أبي سليم ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، قال : كان ابن عباس قد سبق^(١٣) على الناس في العلم كما تبشّر^(١٤) النحلة

(١) في م : « أثقف » ، وفي الطبقات : « أثقف » .

(٢) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « ما يذكر فيه إلا » .

(٣) بعده في م : « ما يذكر فيه إلا » .

(٤) في م : « وجدت » .

(٥) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٦) في الأصل ، ٣١ : « ينشدناها » . وفي ٢١ : « ينشدنا » .

(٧) المعرفة والتاريخ ١ / ٥٣٩ .

(٨) المعرفة والتاريخ ١ / ٥١٢ ، ٥٢٠ .

(٩) زيادة من : ص . وانظر المصدر السابق .

(١٠) سقط من : الأصل ، وفي ٣١ ، ٢١ : « حفدة » .

(١١) في م : « عنه » .

(١٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢ / ٣٧٠ .

(١٣) في م ، ص : « يسبق » .

(١٤) في م : « تسبق » ، وفي ص : « يسبق » .

السَّحُوقُ^(١) على الْوَدِيِّ الصَّغَارِ . وقال ليثُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ^(٢) : قلتُ لطاوسٍ : لِمَ لَزِمْتَ هذا الغلامَ -^(٣) يعني ابنَ عَبَّاسٍ^(٤) - وتركتَ الأكابرَ مِنَ الصَّحَابَةِ ؟ فقال : إِنِّي رأيتُ سبعينَ مِنَ الصَّحَابَةِ إِذَا تَدَارَعُوا^(٥) فِي شَيْءٍ صَارُوا إِلَى قَوْلِهِ . وقال طاوُسٌ أَيضًا^(٦) : ما رأيتُ [٥٣/٧] أَفْقَةً مِنْهُ . قال^(٧) : وما خالفه أَحَدٌ قطُّ فتركه حتى يُقَرَّرَ .

وقال عليُّ بْنُ المَدِينِيِّ ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ ، وَأَبُو نُعَيْمٍ ، وَغَيْرُهُمْ^(٨) ، عن سفيانَ ابنِ عُيَيْنَةَ ، عن ابنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : ما رأيتُ مثله قطُّ ، ولقد مات يومَ ماتَ وإِنَّه لَحَبِيرٌ^(٩) هذه الأمة . يعني ابنَ عَبَّاسٍ .

وقال أبو بكرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرُهُ^(١٠) ، عن أَبِي أُسَامَةَ ، عن الأعمشِ ، عن مجاهدٍ . قال : كان ابنُ عَبَّاسٍ^(١١) يُسَمَّى الْبَحْرَ لكَثْرَةِ عِلْمِهِ^(١٢) .

(١) في ص : « البسوق » . والسحوق : النخلة الطويلة . الوسيط (س ح ق) .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) في م : « تماروا » .

(٥) أخرجه بنحوه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١٨٤٨) .

(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/٣٧٢ .

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣/٥٣٥ ، وسكت عنه ، ووافقه الذهبي ، وأبو نعيم في الحلية ١/٣١٦ ،

والذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ١٥٧ .

(٨) في ٣١ ، ٢١ : « لحيز » .

(٩) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/٣٦٦ ، والإمام أحمد في فضائل الصحابة (١٩٢٠ ، ١٩٢٧) ،

ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ ١/٤٩٦ ، والحاكم في المستدرک ٣/٥٣٥ . وسكت عنه الحاكم

ووافقه الذهبي ، وأبو نعيم في الحلية ١/٣١٦ .

(١٠ - ١٠) سقط من : م .

(١) وروى الواقدي، والزبير بن بكار^(٢)، عن مجاهد أنه قال: كان ابن عباس^(٣) أمدّهم قامّة، وأعظمهم جفنة، وأوسعهم علماً. وقال مجاهد أيضاً^(٤): ما رأيت أحداً قطّ أعرب لساناً من ابن عباس؛ وعن عمرو بن دينار، قال^(٥): ما رأيت مجلساً قطّ أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس؛ الحلال والحرام وتفسير القرآن، والعريّة والشعر، والطعام.

وقال محمد بن سعيد^(٨): ثنا عفان بن مسلم، ثنا سليم^(٩) بن أخضر، عن سليمان التيمي، قال: أنبأني من^(١٠) أرسله الحكم بن أيوب^(١١) إلى الحسين يسأله: من أول من جمع بالناس في هذا المسجد يوم عرفة؟ فقال: ^(١٢) إن أول من جمع^(١٢) ابن عباس^(١٣). وكان رجلاً مثبجاً^(١٤) - أحسب في الحديث - كثير العلم^(١٥)، وكان يصعد المنبر فيقرأ سورة البقرة ويُفسرها آية آية. وقد

-
- (١ - ١) سقط من: م.
(٢) مختصر تاريخ دمشق ٣٠٩/١٢.
(٣) المصدر السابق ٣١٠/١٢.
(٤ - ٤) سقط من: ٣١، ٢١، م.
(٥) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١٨٥٢)، وهو في مختصر تاريخ دمشق ٣١٠/١٢.
(٦) سقط من: ٣١، ٢١، م.
(٧) سقط من: الأصل، وفي ٣١، ٢١، م: «مجلسه يعني».
(٨) أخرجه الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣/٣٥١، مختصراً.
(٩) في ٢١: «سليمان».
(١٠ - ١٠) في ٣١، ٢١، م: «وهو ممن».
(١١) في م: «أديب».
(١٢ - ١٢) سقط من: ٣١، ٢١، م.
(١٣) بعده في ص: «قال».
(١٤) رجل مثج، بالكسر: يعني يصب الكلام صبّاً، وشبه فصاحته وغزارة منطقته بالماء المتجوج. النهاية ٢٠٧/١.
(١٥) بعده في الأصل، ص: «قال».

رَوَى مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنِ الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ نَحْوَهُ^(١). وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ قُتَيْبَةَ^(٢) الدِّينَوْرِيُّ^(٣): رَوَى سَفْيَانُ، عَنْ أَبِي بَكْرِ الْهَذْلِيِّ عَنِ الْحُسَيْنِ قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَوَّلَ مَنْ عَرَفَ بِالْبَصْرَةِ؛ صَعِدَ الْمَنْبَرَ فَقَرَأَ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ فَفَسَّرَهُمَا حَرْفًا حَرْفًا، «وَكَانَ» مِثْجًا. قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: مِثْجًا، «مِنْ الثَّجِجِ»، وَهُوَ السَّيْلَانُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [النَّبَأُ: ١٤]. وَقِيلَ: كَثِيرًا بِسُرْعَةٍ^(٤).

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ^(٥): حَدَّثَنَا أَبُو حَمْزَةَ الثُّمَالِيُّ^(٦)، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَجْلِسًا لَوْ أَنَّ جَمِيعَ قَرِيشٍ فَخَرْتُ بِهِ لَكَانَ لَهَا فَخْرًا^(٧)؛ لَقَدْ رَأَيْتُ النَّاسَ اجْتَمَعُوا^(٨) حَتَّى ضَاقَ بِهِمُ الطَّرِيقُ، فَمَا كَانَ أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى^(٩) أَنْ يَجِيءَ، وَلَا أَنْ يَذْهَبَ. قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَكَانِهِمْ^(١٠) عَلَى بَابِهِ. فَقَالَ لِي: ضَعْ لِي وَضْوءًا. قَالَ: فَتَوَضَّأَ وَجَلَسَ، وَقَالَ: اخْرُجْ فَقُلْ لَهُمْ: مَنْ كَانَ يَرِيدُ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْقُرْآنِ وَحُرُوفِهِ وَمَا أَرَادَ مِنْهُ فَلْيَدْخُلْ. قَالَ: فَخَرَجْتُ

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣١١/١٢.

(٢) في الأصل: «عينه».

(٣) أخرجه ابن قتيبة في غريب الحديث ٣٥٤/٢ من طريق سفيان به.

(٤ - ٤) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٥ - ٥) سقط من: ٣١، ٢١.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، ص.

(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣٢٠/١، ٣٢١ من طريق يونس بن بكير به.

(٨) في ٣١: «اليماي».

(٩) في ٣١، ٢١، م: «به الفخر».

(١٠) بعده في ٣١، ٢١، م: «على بابيه».

(١١) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(١٢) في ص: «فكلهم».

فَآذَنْتُهُمْ فَدَخَلُوا حَتَّى مَلَقُوا الْبَيْتَ وَالْحَجْرَةَ ، فَمَا سَأَلُوهُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أُخْبِرَهُمْ عَنْهُ
وَزَادَهُمْ مِثْلَ مَا سَأَلُوا عَنْهُ أَوْ أَكْثَرَ . ثُمَّ قَالَ : إِخْوَانُكُمْ ^(١) . فَخَرَجُوا . ثُمَّ قَالَ :
اخْرُجْ فَقُلْ : ^(٢) « مَنْ كَانَ يَرِيدُ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ أَوْ تَأْوِيلِهِ فَلْيَدْخُلْ » . قَالَ :
فَخَرَجْتُ فَآذَنْتُهُمْ . قَالَ : فَدَخَلُوا حَتَّى مَلَقُوا الْبَيْتَ وَالْحَجْرَةَ ، فَمَا سَأَلُوهُ عَنْ شَيْءٍ
إِلَّا أُخْبِرَهُمْ بِهِ ، وَزَادَهُمْ مِثْلَ مَا سَأَلُوا وَأَكْثَرَ . ثُمَّ قَالَ : إِخْوَانُكُمْ . فَخَرَجُوا . ثُمَّ
قَالَ : اخْرُجْ فَقُلْ : ^(٣) « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ [٥٣/٧] عَنْ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْفَقْهِ
فَلْيَدْخُلْ » ^(٤) . فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ لَهُمْ ^(٥) ، فَدَخَلُوا حَتَّى مَلَقُوا الْبَيْتَ وَالْحَجْرَةَ ، فَمَا
سَأَلُوهُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أُخْبِرَهُمْ بِهِ وَزَادَهُمْ مِثْلَهُ ^(٦) ، ثُمَّ قَالَ : إِخْوَانُكُمْ ^(٧) . فَخَرَجُوا ،
ثُمَّ قَالَ : اخْرُجْ ، فَقُلْ : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْفَرَائِضِ وَمَا أَشَبَّهَا فَلْيَدْخُلْ » .
قَالَ ^(٨) : فَخَرَجْتُ فَآذَنْتُهُمْ ، فَدَخَلُوا حَتَّى مَلَقُوا الْبَيْتَ وَالْحَجْرَةَ ، فَمَا سَأَلُوهُ عَنْ
شَيْءٍ إِلَّا أُخْبِرَهُمْ بِهِ وَزَادَهُمْ مِثْلَهُ ^(٩) . ثُمَّ قَالَ : إِخْوَانُكُمْ . فَخَرَجُوا ، ثُمَّ قَالَ :
اخْرُجْ فَقُلْ : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْعَرَبِيَّةِ وَالشَّعْرِ وَالْغَرِيبِ مِنَ الْكَلَامِ فَلْيَدْخُلْ » .
قَالَ ^(١٠) : فَدَخَلُوا حَتَّى مَلَقُوا الْبَيْتَ وَالْحَجْرَةَ ، فَمَا سَأَلُوهُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أُخْبِرَهُمْ بِهِ
وَزَادَهُمْ مِثْلَهُ ^(١١) . قَالَ أَبُو صَالِحٍ : فَلَوْ أَنَّ قَرِيشًا كُلَّهَا فَخَرَتْ بِذَلِكَ لَكَانَ فَخْرًا ،

-
- (١) بعده في الأصل ، ٢١ ، ص : « قال » .
(٢ - ٣) زيادة من : ٢١ . وانظر حلية الأولياء ١ / ٣٢١ .
(٣) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « قال » .
(٤ - ٥) في ٣١ ، ٢١ ، م : « فآذنتهم » .
(٥) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « أو أكثر » .
(٦) بعده في الأصل : « قال » .
(٧) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .
(٨) سقط من : ٣١ ، ٢١ . وبعده في م : « أو أكثر » .
(٩) في ٣١ ، ٢١ ، م : « فخرجت فآذنتهم » .
(١٠) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « ثم قال إخوانكم فخرجوا » .

فما رأيتُ مثلَ هذا لأحدٍ مِنَ النَّاسِ .

وقال طاووسٌ وميمونٌ بنُ مهران^(١) : ما رأينا أَوْرَعَ مِنْ ابنِ عمرَ ، ولا أفقَه مِنْ ابنِ عبَّاسٍ .^(٢) قال ميمونٌ^(٣) : وكان ابنُ عبَّاسٍ أفقَهَهما . وقال شريكُ القاضي^(٤) ، عن الأعمشِ ، عن أبي الصُّحَي ، عن مسروقٍ قال : كنتُ إذا رأيتُ ابنَ عبَّاسٍ قلتُ : أجملُ الناسِ . فإذا نطقُ قلتُ : أفصحُ الناسِ . فإذا تحدَّثَ قلتُ : أعلمُ الناسِ .

وقال يعقوبُ بنُ سُفيانَ^(٥) : ثنا أبو الثُّعَمَانِ ، ثنا حمادُ بنُ زَيْدٍ ، عن الزبيرِ بنِ الحُرَيْثِ^(٦) ، عن عكرمةَ قال : كان ابنُ عبَّاسٍ أعلمَهما^(٧) بالقرآنِ ، وكان عليٌّ^(٨) أعلمَهما^(٩) بالمُنَهَمَاتِ . وقال إسحاقُ بنُ راهويه^(١٠) : إنما كان كذلك^(١١) ؛ لأنَّ ابنَ عبَّاسٍ كان قد أخذَ ما عندَ عليٍّ مِنَ التفسيرِ ، وضَمَّ إلى ذلك ما أخذَه عن أبي بكرٍ ، وعمرَ ، وعثمانَ ، وأبي بنِ كعبٍ ،^(١٢) وغيرِهم مِنْ^(١٣) كبارِ الصحابةِ ، مع

(١) لم نجده عن ميمون بن مهران . وأخرجه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ ٤٩٦/١ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٥٠/٣ . كلاهما من طريق ابن جريج عن طاووس .

(٢ - ٣) سقط من : ص .

(٣) أخرجه البلاذري في أنساب الأشراف ٤٣/٤ عنه به . وانظر سير أعلام النبلاء ٣٥١/٣ .

(٤) المعرفة والتاريخ ٤٩٥/١ .

(٥) في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « الحارث » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠١/٩ .

(٦) في ص : « أعلمهم » . والمقصود أعلم من عليٍّ بالقرآن .

(٧) في ص : « ابن عباس » .

(٨) في ص : « أعلم » .

(٩) مختصر تاريخ دمشق ٣١٢/١٢ .

(١٠) في ٣١ : « لذلك » .

(١١ - ١٢) في الأصل ، ص : « و » .

دعاء رسول الله ﷺ له أن يُعلمه الله الكتاب .

وقال أبو معاوية^(١) ، عن الأعمش ، عن أبي وائل شقيق بن سلمة^(٢) قال :
خطب ابن عباس وهو على الموسم فافتتح سورة البقرة فجعل يقرؤها ويُفسرُ ،
فجعلت أقول : ما رأيت ولا سمعتُ كلام رجل مثله ، لو سمعته فارس والروم
لأسلمت . وقد روى أبو بكر بن عياش^(٣) ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي
وايل ، أنَّ ابن عباس حجَّ بالناس عام قتل عثمان ، فقرأ سورة النور ففسرها^(٤) .
وذكر نحو ما تقدّم . فلعلَّ الأول كان في زمان علي ، فقرأ في تلك الحجة سورة
البقرة ،^(٥) وفي فتنة عثمان سورة النور^(٦) . والله أعلم .

وقد رَوينا عن ابن عباس أنه قال^(٧) : أنا من الراسخين^(٨) في العلم^(٩) الذين
يعلمون تأويله . وقال مجاهد^(١٠) : عرّضْتُ القرآن [٥٤/٧] على ابن عباس مرتين ،
^(١١) من أوله إلى آخره ، أَقِفُ^(١٢) عند كُلِّ آية فأسأله عنها . وروى عنه أنه قال^(١٣) :

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣٢٤/١ ، وهو في مختصر تاريخ دمشق ٣١٢/١٢ .

(٢) في ص : « مسلمة » . وانظر تهذيب الكمال ٥٤٨/١٢ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ٥٣٧/٣ ، وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ويعقوب بن
سفيان في المعرفة والتاريخ ٣٢٥/١ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣/٣٥١ . وانظر الإصابة ٤/١٤٩ .

(٤) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، وفي الأصل : « يفسرها » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص .

(٦) لم نجده بهذا اللفظ ، وأورد السيوطي في الدر المنثور ٧/٢ عزوا إلى ابن جرير - ولم نجده عنده -
وغيره ، من طريق مجاهد عن ابن عباس قال : أنا ممن يعلم تأويله .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .

(٨) فضائل الصحابة (١٨٦٧ ، ١٨٦٨) .

(٩ - ٩) سقط ٣١ ، ٢١ ، م .

(١٠) في ٣١ ، ٢١ : « أقفه » .

(١١) مختصر تاريخ دمشق ٣١٣/١٢ .

أربع من القرآن لا أدري ما هي ^(١)؛ الأواؤه، والحنان، والرقيم، والغسلين، وكل القرآن أعلمه إلا هذه الأربع. وقال ابن وهب وغيره ^(٢)، عن سفيان بن عُيينة، عن ^(٣)عبيد الله بن أبي يزيد، قال: كان ابن عباس إذا سُئِلَ عن مسألة؛ فإن كانت في كتاب الله قال بها، وإن لم تكن وهي في السنة قال بها، فإن لم يقلها رسول الله ﷺ ^(٤) ووجدها عن أبي بكر وعمر قال بها، وإلا اجتهد رأيته.

وقال يعقوب بن سفيان ^(٥): ثنا أبو عاصم وعبد الرحمن بن حجاج ^(٦) الشَّعْبِيُّ ^(٧)، عن كَهْمَسِ بْنِ الْحُسَيْنِ ^(٨)، عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ، قال: شتم رجل ابن عباس فقال: إنك لتشتئمني وفي ^(٩)ثلاث خصال، إنني لآتي على الآية من كتاب الله فلوددت أن الناس علموا منها مثل الذي أعلم، وإنني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يقضي بالعدل ^(١٠)، فأفرخ به ^(١١)، ولعلني لا أقاضي إليه ^(١٢) أبداً، وإنني لأسمع بالغيث يُصِيبُ ^(١٣) الأرض من أرض المسلمين فأفرخ به،

(١) في م: «به جيء».

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣٦٦/٢، سنن الدارمي ٥٩/١، وصحح إسناده ابن حجر في الإصابة ٤/١٤٩.

(٣ - ٣) في ٣١: «عبد الله». وانظر تهذيب الكمال ١٧٨/١٩.

(٤ - ٤) في الأصل، ص: «فإن وجدها».

(٥) المعرفة والتاريخ ٥٢٦/١.

(٦) سقط من: م.

(٧) في ٣١، ٢١: «الشعبي»، وفي م، ص: «الشعبي». وانظر تهذيب الكمال ٦٩/١٧.

(٨) في ٣١: «الحسين». وانظر تهذيب الكمال ٢٣٢/٢٤.

(٩) في الأصل، ص: «أنا في».

(١٠) بعده في ٣١، ٢١، م: «ويحكم بالقسط».

(١١) بعده في ٣١، ٢١: «وأدعوا له»، وبعده في م: «وادعوا إليه».

(١٢) بعده في ٣١، ٢١، م: «ولا أحاكم».

(١٣ - ١٣) سقط من: ص.

وما لى بها من سائمة أبداً . وزواه البيهقي^(١) ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن الحسن بن مكرم ، عن يزيد بن هارون ، عن كهَمَسٍ به . وقال^(٢) الواقدي^(٣) : سأل رجل ابن عباس عن قوله تعالى : ﴿ أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ [الأنبياء : ٣٠] . فقال : كانت السماء رَتْقًا لا تَمْطُرُ ، والأرض رَتْقًا لا تُنْبِتُ ، ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات . وقال^(٤) ابن أبي مليكة^(٥) : صحبْتُ ابنَ عباسٍ من المدينة إلى مكة ، وكان يُصَلِّي ركعتين ، فإذا نزل قام شَطْرَ الليل ويُرتِّل القرآن ؛ يقرأ^(٦) حرفًا حرفًا ، ويُكَيِّزُ في ذلك من النشيج^(٧) والنَّحِيبِ ، ويقرأ : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق : ١٩] .

وقال الأصمعي^(٨) ، عن المعتمر بن سليمان ، عن شُعَيْبِ بْنِ دُرَيْمٍ ، قال : كان في هذا المكان - وأوماً إلى مجزى الدموع من خُدَّيه - من^(٩) خُدِّي ابن عباس - مثل الشراك البالي من البكاء . وقال غيره^(١٠) : كان يصوم يوم الاثنين والخميس ، ويقول : أُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ . وروى هشيم^(١١)

-
- (١) أخرجه ابن حجر في الإصابة ١٥٠/٤ من طريق البيهقي .
(٢ - ٣) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .
(٣) حلية الأولياء ٣٢٠/١ عن ابن عمر .
(٤) أخرجه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ ٥٣٤/١ ، وأبو نعيم في الحلية ٣٢٧/١ . كلاهما بنحوه .
(٥) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، وفي ص : « يقرأوها » .
(٦) في ٢١ : « التسبيح » . والنشيج : الصوت المتردد في الصدر من غير انتحاب .
(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣٢٩/١ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٥٢/٣ ، كلاهما من طريق شعيب بن درهم بنحوه .
(٨) في ٣١ ، ٢١ ، م : « يعنى » .
(٩) سير أعلام النبلاء ٣٥٢/٣ .
(١٠) في م : « هاشم » ، وانظر تهذيب الكمال ٢٧٢/٣٠ .

وغيره^(١) ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس أن ملك الروم كتب إلى معاوية يسأله عن أحب الكلام إلى الله ، عز وجل ، ومن أكرم العباد على الله ، عز وجل ، ومن أكرم الإمام على الله ، عز وجل ، وعن [٧/٥٤هـ] أربعة فيهم الروح لم يركضوا في رجم ، وعن قبر سار بصاحبه ، وعن مكان من الأرض لم تطلع عليه^(٢) الشمس إلا مرة واحدة ، وعن قوس قزح ما هو ؟ وعن الحجرة . فبعث معاوية فسأل ابن عباس عنهن ، فكتب^(٣) ابن عباس إليه^(٤) : أما أحب الكلام إلى الله ف سبحان الله والحمد لله ،^(٥) ولا إله إلا الله ،^(٦) والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأكرم العباد على الله آدم ؛ خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء ، وأكرم الإمام على الله مريم بنت عمران ، وأما الأربعة الذين لم يركضوا في رجم ؛ فآدم وحواء ، وعصا موسى ، وكبش إبراهيم^(٧) الذي فدى به إسماعيل^(٨) - وفي رواية : وناقصة صالح^(٩) - وأما القبر الذي سار بصاحبه فهو حوث يونس ، وأما المكان الذي لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فهو البحر الذي^(١٠) انفلق لموسى حتى جاز بنو إسرائيل فيه ، وأما قوس قزح فأمان لأهل الأرض من الغرق ، والحجرة باب^(١١) السماء ، وفي رواية : الذي تنشق منه . فلما قرأ ملك الروم ذلك أعجبه وقال : والله ما هي من عند معاوية^(١٢) ولا من قوله^(١٣) ، وإنما هي من عند أهل بيت النبي ﷺ . وقد ورد في هذه

(١) أخرجه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ ٥٣٠/١ ، وأبو نعيم في الحلية ٥٣٠/١ . وقد تقدم عن الطبراني في ٨٥/١ .

(٢) في ٣١ ، ٢١ ، م : « فيه » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .

(٤) في الأصل ، ص : « ثمود » .

(٥) في ٣١ ، ٢١ : « حين » ، وفي م : « لما » .

(٦) بعده في م : « في » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .

الأسئلة روايات كثيرة، «وزيادات كثيرة» فيها، وفي بعضها نظراً؛^(٢) أنه سأله عن مَنْ لا قَبْلَ له، وعن مَنْ لا عَشِيرَةَ له، وعن مَنْ لا أَبَ له، وعن شيء، ونصف شيء، ولا شيء، وأرسل قارورة؛ فقال: ابْعَثْ إِلَيَّ فِي هَذِهِ بَيِّزْ كُلَّ شَيْءٍ. فَكُتِبَ إِلَيْهِ يَقُولُ: أَمَّا الَّذِي لَا قَبْلَ لَهُ فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا مَنْ لَا عَشِيرَةَ لَهُ فَأَدُمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَمَّا مَنْ لَا أَبَ لَهُ فَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَمَّا عَنْ شَيْءٍ، فَهُوَ الْعَاقِلُ يَعْمَلُ بِعَقْلِهِ، وَأَمَّا نَصْفُ شَيْءٍ، فَالَّذِي لَهُ عَقْلٌ وَيَعْمَلُ بِرَأْيِ غَيْرِهِ، وَأَمَّا لَا شَيْءٍ، فَالَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا يَعْمَلُ بِعَقْلٍ غَيْرِهِ. وَمَلَأَ الْقَارُورَةَ مَاءً وَقَالَ: هَذَا بَيِّزُ كُلِّ شَيْءٍ. فَأَعْجَبَ ذَلِكَ مَلِكَ الرُّومِ جَدًّا^(٣). وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فصل

تَوَلَّى ابْنُ عَبَّاسٍ إِمَامَةً^(٣) الْحَجَّ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ، بِأَمْرِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ لَهُ وَهُوَ مُحْصُورٌ، وَفِي غَيْبَتِهِ هَذِهِ قُتِلَ عَثْمَانُ. وَحَضَرَ مَعَ عَلِيٍّ يَوْمَ الْجَمَلِ، وَكَانَ عَلَى الْمَيْسِرَةِ يَوْمَ صِفِّينَ، وَشَهِدَ قِتَالَ الْخَوَارِجِ، وَتَأَمَّرَ عَلَى الْبَصْرَةِ مِنْ جِهَةِ عَلِيٍّ، فَكَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْهَا يَسْتَخْلِفُ أَبَا الْأَسْوَدِ الدُّثَيْلِيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، وَزِيَادَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى الْخَرَاجِ، وَكَانَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ مَغْبُوطِينَ بِهِ؛ يُفَقِّهُهُمْ وَيُعَلِّمُ جَاهِلَهُمْ،^(٤) وَيَعْظُمُ مُجْرِمَهُمْ، وَيُعْطِي فَقِيرَهُمْ، فَلَمْ يَزَلْ [٧/٥٥٥] عَلَيْهَا حَتَّى مَاتَ عَلِيٌّ، وَيُقَالُ: إِنَّ عَلِيًّا عَزَلَهُ عَنْهَا قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ وَقَدَ عَلَى مَعَاوِيَةَ، فَأَكْرَمَهُ وَقَرَّبَهُ وَاحْتَرَمَهُ

(١ - ١) سقط من: م.

(٢ - ٢) زيادة من: الأصل.

(٣) في الأصل، ٣١، ٢١، ص: «إقامة».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

وعظمه، وكان يُلقب عليه المسائل المعضلة فيجيب فيها سريعاً؛ فكان معاوية يقول^(١): ما رأيت أحداً أحضر جواباً من ابن عباس. ولما جاء الكتاب بموت الحسين بن عليّ اتفق كون ابن عباس عند معاوية فعزاه فيه بأحسن تعزية، وردّ عليه ابن عباس ردّاً حسناً كما قدّمنا، وبعث معاوية ابنه يزيد فجلس بين يدي ابن عباس، فعزاه فيه بعبارة فصيحة بليغة وجيزة، شكره عليها ابن عباس^(٢) وقد تقدّم ذلك أيضاً^(٣). ولما مات معاوية ورام الحسين بن عليّ الخروج إلى العراق، نهاه ابن عباس أشدّ النهي^(٤)، ولأَمّه على عزمه ذلك أكد اللوم^(٥)، وأراد ابن عباس أن يتعلّق بشيَاب الحسين - لأنّ ابن عباس كان قد أصّر في آخر عمره - فلم يقبل منه، فلما بلغه موته^(٦) حزن عليه حزناً شديداً ولزم بيته، وكان يقول^(٧): يا لسان، قلّ خيرًا تغنّم، واسكّث عن شرّ تسلم، فإنّك إن لا تفعل تندم. وجاء إليه رجلٌ يقال له: جُنْدَب. فقال له^(٨): أوصني. فقال: أوصيك بتوحيد الله والعمل له، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإنّ كلّ خيرٍ أنت آتية بعد ذلك^(٩) مقبول، وإلى الله مرفوع، يا جُنْدَب، إنّك لن تزدادَ من يومك^(١٠) إلّا قرباً، فصلّ صلاةً مؤدّع، وأصبغ في الدنيا كأنّك غريّب مسافر؛ فإنّك من أهل القبور، وابك على^(١١) ذنّبك، وثب من^(١٢) خطيئتك، ولتكن الدنيا أهونَ عليك من شيع

(١) انظر مختصر تاريخ دمشق ٣٢٢/١٢.

(٢ - ٢) سقط من: ٣١، ٢١، م. وانظر ما تقدم في ٦٤٤/١١.

(٣ - ٣) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٤ - ٤) في الأصل، ص: «فلما قتل الحسين».

(٥) أورده بنحوه الإمام أحمد في «الزهد» ص ١٨٨.

(٦) مختصر تاريخ دمشق ٣٢٦/١٢.

(٧) بعده في ٣١، ٢١، م: «منك».

(٨) في الأصل: «نومك». وفي ٣١، ٢١، م: «موتك».

(٩ - ٩) سقط من: ص.

نعليك ، وكان قد فارقتها وصرت إلى عدل الله ، ولن تنتفع بما خلقت ، ولن
ينفعك إلا عملك . وقال بعضهم ^(١) : أوصى ابنُ عباسٍ بكلماتٍ خيرٍ من الخيلِ
الدُّهم ^(٢) ، قال : لا تكلمنَّ فيما لا يعينك حتى ترى له موضعاً ، ولا تُمارينَّ سفيهاً
ولا حليماً ؛ فإنَّ الحليمَ يغليكَ والسفيهَ يزدريك ، ولا تذكرنَّ أخاك إذا توارى
عنك إلا بمثلِ الذي تُحبُّ أن يتكلَّم فيك إذا تواريت عنه ، واعمَلْ عملَ رجلٍ ^(٣)
يعلمُ أنَّه مجزئٌ بالإحسانِ مأخوذةٌ بالإجرامِ . فقال رجلٌ عنده : يا ابنَ عباسٍ ، هذا
خيرٌ من عشرةِ آلافٍ . فقال ابنُ عباسٍ : كلمةٌ منه خيرٌ من عشرةِ آلافٍ .

وقال ابنُ عباسٍ ^(٤) : تمامُ المعروفِ تعجيلُهُ وتصغيرُهُ وستْرُهُ . يعني أنَّ ^(٥) «تُعَجِّلِ
العطيَّةَ للمُعْطَى» ، وأنَّ تصغُرَ في عينِ المُعْطَى ، وأن تسترَّها عن النَّاسِ فلا
تُظهرها ؛ ^(٦) فإنَّ في إظهارها فتحَ بابِ الرياءِ وكسرَ قلبِ المُعْطَى ، واستحياءَهُ من
النَّاسِ ^(٧) .

وقال [٥٥/٧] ابنُ عباسٍ ^(٨) : أعزُّ النَّاسِ على جليسي ؛ لو استطعتُ أن لا
يقعَ الدُّبابُ على وجهه لفعلتُ . وقال أيضاً : لا يُكافئُ من أتاني يطلبُ حاجةً
فرأني لها موضعاً إلا اللهَ ، عزَّ وجلَّ ، وكذا رجلٌ بدأني بالسلامِ ، ^(٩) «أو أوسع لي
في مجلسٍ ، أو قام لي ^(١٠) عن المجلسِ ، أو رجلٌ سقاني شربةً ماءٍ على ظمأٍ ،

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣٢٦/١٢ .

(٢) خيل دهم وجيش دهم : يعني كثير .

(٣) في ٣١ ، ٢١ ، م : « من » .

(٤) المصدر السابق ٣٢٧/١٢ .

(٥ - ٥) في الأصل : « يجعل عليه المعطى » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ص .

(٧ - ٧) في الأصل : « وأوسع » . وفي ص : « أو أوسع لي » .

أورجلٌ حَفَظَنِي بظَهْرِ الغَيْبِ . والمأثورُ عنه مِن هذه المكارِمِ كثيرٌ جدًّا ، وفيما ذكرنا إشارةً إلى ما لم نذكره .

وقد عدَّه الهيثمُ بنُ عديٍّ في العُمَيَّانِ مِنَ الأشرافِ ^(١) ، وفي بعضِ الأحاديثِ الواردةِ عنه ما يدلُّ على ذلك . وقد أُصِيبَتْ إحدى عينيَّهِ فَنَحَلَ جَسْمَهُ ، فَلَمَّا أُصِيبَتِ الأُخْرَى عادَ إليه لحْمُهُ ، فقليلٌ له في ذلك ، فقال : أصابني ما رأيتم في الأولى شفقةً على الأُخْرَى ، فَلَمَّا ذَهَبَا اطمأنَّ قلبي . وقال أبو القاسمِ البَغَوِيُّ ^(٢) : ثنا عليُّ بنُ الجَعْدِ ، ثنا شريكٌ ، عن سِمَاكِ ، عن عِكْرَمَةَ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّهُ وَقَعَ فِي عَيْنِهِ المَاءُ ^(٣) فَقِيلَ لَهُ : تَنْزِعُ مِنْ عَيْنِكَ المَاءَ ، على أَنَّكَ لَا تَصَلِّي سبعةَ أَيَّامٍ ؟ فقال : لا ، إِنَّهُ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ . وفي روايةٍ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : تُزِيلُ هَذَا المَاءَ مِنْ عَيْنِكَ على أَن تَبْقَى خمسةَ أَيَّامٍ لَا تَصَلِّي إِلَّا على عُودٍ ؟ وفي روايةٍ ^(٤) : إِلَّا مُسْتَلْقِيًا ؟ فقال : لا ، واللَّهِ وَلَا رُكْعَةً وَاحِدَةً ، إِنَّهُ مَنْ تَرَكَ صَلَاةً وَاحِدَةً مُتَعَمِّدًا ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ .

وقد أَنشدَ المدائنيُّ لابنِ عَبَّاسٍ حينَ عَمِيَ ^(٥) :

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنَيَّ نَوْرَهُمَا ففِي لِسَانِي وَسَمْعِي مِنْهُمَا نَوْرُ
قَلْبِي ذِكْرِي وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَالسَّيْفِ مَأْثُورُ

(١) ذكره ابن حبيب في المحبر ص ٢٩٦ .

(٢) في الأصل ، ص : « قال بعضهم » . وانظر ذلك في مختصر تاريخ دمشق ٣٣٧/١٢ .

(٣) المجمعات (٢٣٥٦) .

(٤ - ٤) في ٣١ ، ٢١ : « فقال له الطبيب : تنزع من عينيك » ، وفي م : « فقال له الطبيب : تنزعك من عينيك » .

(٥) البيهقي في الكبرى ٣٠٩/٢ .

(٦) أوردهما ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٨٥٤/٢ . وابن عبد البر في الاستيعاب ٩٣٨/٣ ، وقد عزاها لابن عباس .

ولمَّا وَقَعَ الْخُلْفُ^(١) بَيْنَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَبَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، اعْتَزَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ النَّاسَ، فَدَعَاهُمَا ابْنُ الزُّبَيْرِ؛ لِتُبَايَعَاهُ فَأَتَيَا عَلَيْهِ، وَقَالَ كُلُّ مَنَهُمَا: لَا نُبَايِعُكَ وَلَا نَخَالِفُكَ. فَهَمَّ بِهِمَا، فَبَعَثَا أَبَا الطُّفَيْلِ عَامَرَ بْنَ وَائِلَةَ فَاسْتَنْجَدَ لهُمَا مَنْ بِالْعِرَاقِ مِنْ شِيعَتِهِمَا، فَقَدِمَ أَرْبَعَةُ آلَافٍ فَكَبَّرُوا بِمَكَّةَ تَكْبِيرَةً وَاحِدَةً، وَهَيَّئُوا بِابْنِ الزُّبَيْرِ،^(٢) فَانْطَلَقَ ابْنُ الزُّبَيْرِ هَارِبًا وَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، وَقَالَ: أَنَا عَائِدٌ بِاللَّهِ^(٣). فَكَفُّوهُمْ^(٤) عَنْهُ، ثُمَّ مَالُوا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ الْحَنْفِيَّةِ وَقَدْ حَمَلَ^(٥) ابْنُ الزُّبَيْرِ حَوْلَ دُورِهِمُ الْحَطَبَ لِيَحْرِقَهُمْ، فَخَرَجُوا بِهِمَا حَتَّى نَزَلُوا الطَّائِفَ، وَأَقَامَ ابْنُ عَبَّاسٍ سِتِينَ لَمْ يُبَايَعِ أَحَدًا^(٦)، كَمَا تَقَدَّمَ^(٧).

فَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ بِالطَّائِفِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ،^(٨) وَقَالَ^(٩): مَاتَ الْيَوْمَ خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ^(١٠). فَلَمَّا وَضَعُوهُ لِيُدْخِلُوهُ فِي قَبْرِهِ جَاءَ طَائِرٌ أبيضٌ لَمْ يُرْ مِثْلُ خِلْقَتِهِ، فَدَخَلَ^(١١) فِي أَكْفَانِهِ^(١٢) وَالتَفَّ فِيهَا^(١٣) حَتَّى دُفِنَ مَعَهُ^(١٤). قَالَ [٥٦/٧] عَفَّانُ^(١٥): فَكَانُوا يَرَوْنَهُ

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣٢٨/١٢، ٣٢٩، وسير أعلام النبلاء ٣٥٦/٣.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣) في ص: «فكفوهما».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ص.

(٥) في ٣١، ٢١: «عمل».

(٦) تقدم في صفحة ٣٥، ٣٦.

(٧ - ٧) سقط من: م.

(٨) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣٦٨/٢، والبلاذري في أنساب الأشراف ٧٢/٤، والحاكم في المستدرک ٥٤٣/٣. كلهم بنحوه. وسكت عليه الحاكم والذهبي.

(٩) في الأصل، ص: «فالتف».

(١٠ - ١٠) سقط من: الأصل، ص.

(١١) في ص: «عمله». وانظر الخبر في أنساب الأشراف ٧٢/٤، وسير أعلام النبلاء ٣٥٧/٣، ٣٥٨.

(١٢) في ٣١: «عثمان». وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ١٦١،

ومختصر تاريخ دمشق ٣٢٩/١٢.

عَلَّمَهُ ^(١) ، فَلَمَّا وُضِعَ فِي اللَّحْدِ تَلَا تَالِي لَا يُعْرِفُ مَنْ هُوَ - وَفِي رَوَايَةٍ ^(٢) : أَنَّهُمْ سَمِعُوا مِنْ قَبْرِهِ - ﴿ يَتَأَيَّتْهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ ^(٣) أَرْجَى إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ^(٤) فَأَدْخَلَنِي فِي عِبَادِي ^(٥) وَأَدْخَلَنِي جَنَّتِي ﴿ [الفجر: ٢٧ - ٣٠] . هَذَا الْقَوْلُ فِي وَفَاتِهِ هُوَ الَّذِي صَحَّحَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَثَمَةِ ، وَنَصَّ عَلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَالْوَاقِدِيُّ وَابْنُ عَسَاكِرَ ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ الْحَفَاطِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ تُوفِّيَ سَنَةً ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ . وَقِيلَ ^(٦) : سَنَةً ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ . وَقِيلَ ^(٧) : سَنَةً سَبْعٍ وَسِتِّينَ . وَقِيلَ ^(٨) : سَنَةً تِسْعٍ وَسِتِّينَ . وَقِيلَ ^(٩) : سَنَةً سَبْعِينَ . وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ ، وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ كُلُّهَا شَاذَةٌ غَرِيبَةٌ مُرَدُّدَةٌ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ . وَكَانَ عُمُرُهُ يَوْمَ مَاتَ ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ سَنَةً . وَقِيلَ ^(١٠) : إِحْدَى وَسَبْعِينَ . وَقِيلَ ^(١١) : أَرْبَعًا وَسَبْعِينَ . وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

صِفَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كَانَ جَسِيمًا ، إِذَا قَعَدَ يَأْخُذُ مَكَانَ رَجُلَيْنِ ، جَمِيلًا لَهُ وَفَرَةٌ ، قَدْ شَابَ مُقَدِّمُ رَأْسِهِ ، وَشَاطَبَتْ لِمَتُهُ ^(١) ، وَكَانَ يَخْضِبُ بِالْحِثَاءِ ، وَقِيلَ : بِالسَّوَادِ . حَسَنَ الْوَجْهِ ،

(١) فِي ٣١ ، ٢١ : « عَمِلَهُ وَعَلَّمَهُ » . وَبَعْدَهُ فِي م : « عَمِلَهُ » .

(٢) فَضَائِلُ الصَّحَابَةِ (١٨٧٩) ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (١٠٥٨١) .

(٣) أَسَدُ الْغَابَةِ ٢٩٤/٣ .

(٤) سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٣٥٩/٣ .

(٥) تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ١٦٢/١٤ .

(٦) التَّارِخُ الصَّغِيرُ ١٥٣/١ ، وَتَهْذِيبُ الْكَمَالِ ١٦٢/١٤ .

(٧) أَسَدُ الْغَابَةِ ٢٩٤/٣ ، وَمَخْتَصَرُ تَارِخِ دِمَشْقَ ٣٣٠/١٢ .

(٨) مَخْتَصَرُ تَارِخِ دِمَشْقَ ٣٣٠/١٢ ، وَالْإِصَابَةُ ١٥٢/٤ .

(٩) اللَّمَّةُ : شَعْرُ الرَّأْسِ الْمَجَاوِزُ شَحْمَةَ الْأُذُنِ .

يَلْبَسُ حَسَنًا وَيُكَيِّزُ مِنَ التَّطَيُّبِ ، بَحِيثٌ إِنَّهُ كَانَ إِذَا مَرَّ فِي الطَّرِيقِ تَقُولُ النِّسَاءُ :
هَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ . أَوْ : رَجُلٌ مَعَهُ مِسْكٌ . وَكَانَ وَسِيمًا أَيْضَ طَوِيلًا ، صَبِيحًا^(١)
فَصِيحًا ، وَلَمَّا عَمِيَ اعْتَرَى لَوْنُهُ صُفْرَةٌ يَسِيرَةٌ . وَقَدْ كَانَ بَنُو الْعَبَّاسِ عَشْرَةً ؛ وَهُمْ
الْفَضْلُ ، وَعَبْدُ اللَّهِ ، وَعَبِيدُ اللَّهِ ، وَمَعْبُدٌ ، وَقُثْمٌ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَكَثِيرٌ ،
وَالْحَارِثُ ، وَعَوْزٌ ، وَتَمَّامٌ . وَكَانَ أَصْغَرَهُمْ تَمَّامٌ ، وَلِهَذَا كَانَ الْعَبَّاسُ^(٢) يَحْمِلُهُ
وَيَقُولُ^(٣) :

تَمَّامُ بِتَمَّامٍ فَصَارُوا عَشْرَةً يَارَبُّ فَاجْعَلْهُمْ كِرَامًا - بَرَرَةً
* وَاجْعَلْهُمْ ذِكْرًا وَأَتَمِ الثَّمَرَةَ *

فَأَمَّا الْفَضْلُ فَمَاتَ بِأَجْنَادِينَ شَهِيدًا ، وَعَبْدُ اللَّهِ بِالطَّائِفِ ، وَعَبِيدُ اللَّهِ
بِالْيَمَنِ ، وَمَعْبُدٌ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، وَقُثْمٌ وَكَثِيرٌ بِبَيْتُجٍ ، وَقِيلَ : إِنَّ قُثْمَ مَاتَ
بِسَمَرْقَنْدَ .

وَقَدْ قَالَ مُسْلِمُ بْنُ قِمَادِينَ^(٤) الْمَكِّيُّ مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ : مَا رَأَيْتُ مِثْلَ بَنِي أُمِّ
وَاحِدَةٍ أَشْرَافًا^(٥) ، وَلِدُوا فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ ، أَبْعَدَ قُبُورًا مِنْ بَنِي أُمِّ الْفَضْلِ . ثُمَّ ذَكَرَ
[٥٦/٧ ظ] مَوَاضِعَ قُبُورِهِمْ ، كَمَا تَقَدَّمَ . إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : الْفَضْلُ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ ، وَعَبِيدُ
اللَّهِ بِالشَّامِ .

وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ يَلْبَسُ الْحَلَّةَ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ

(١) فِي م : « جَسِيمًا » .

(٢) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ ، م .

(٣) مُخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٩٥/١٢ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « حَمَادِينَ » ، وَفِي ٣١ ، ٢١ ، م : « حَمَاد » . وَفِي ص : « وَادِي » . وَالتَّحْدِثُ مِنْ مُخْتَصَرِ

تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٩٦/١٢ .

(٥) فِي مُخْتَصَرِ تَارِيخِ دِمَشْقَ : « إِشْرَاقَةٌ » .

العباسُ وعليّ، ويُدعى السَّجَّادَ؛ لكثرةِ صلاتِهِ، وكان أجملَ قُرَشِيٍّ على وجهِ الأرضِ، وقد قيلَ: إِنَّه كان يُصَلِّي كلَّ يومٍ ألفَ ركعةٍ^(١). وقيل^(٢): في الليل والنهار مع الجمالِ التامِّ. وعلى هذا فهو أبو الخلفاءِ العباسيين، ففى ولده كانتِ الخلافةُ العباسيَّةُ، كما سيأتى. وكان لابنِ عبَّاسٍ أيضًا محمدٌ والفضلُ وعبدُ اللَّهِ ولُبَّابةُ، وأمُّهم زُرْعَةُ بنتُ مُسَرِّحِ بْنِ مَعْدِيكَرَبٍ. وأسماءُ وهى لأمُّ وليد. وكان له من الموالى عكرمةٌ وكُرَيْبٌ وأبو مَعْبِدٍ وشُعْبَةُ ودَقِيقٌ وأبو عَفْرَةَ وأبو عبيدٍ^(٣) ومِقْسَمٌ^(٣).

وقد أسندَ ألفًا وستُمائةٍ وسبعين حديثًا. واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلم.

وفىها تُوفى أبو^(٤) شُرَيْحِ الخُزَاعِيُّ القَدَوِيُّ الكُفَيْيُّ^(٥)، اختلفَ فى اسمِهِ على أقوالٍ؛ أصحُّها خُوَيْلِدُ بْنُ عَمِرو، أسلمَ عامَ الفتحِ، وكان معه أحدُ أُلويةِ بنى كعبِ الثلاثة. قال محمدُ بْنُ سَعْدٍ^(٦): مات فى هذه السَّنة، وله أحاديثُ.

وأبو واقِدِ اللَّيْثِيُّ^(٧)، صحابىٌّ جليلٌ مختلفٌ فى اسمِهِ وفى شهودِهِ بدرًا، قال الواقديُّ^(٨): تُوفى سنةَ ثمانٍ وستين، عن خمسٍ وستين سنةً. وكذا قال غيرُ

(١) مختصر تاريخ دمشق ١١٩/١٨، وتهذيب الكمال ٣٨/٢١.

(٢) طبقات ابن سعد ٣١٣/٥، وتاريخ أبى زُرعة ٧١٣، ٧١٤، ومختصر تاريخ دمشق ١٢٠/١٨.

(٣ - ٣) سقط من ٣١، ٢١، م. انظر تهذيب الكمال ٤٦١/٢٨، ٤٦٢.

(٤) فى الأصل: «ابن».

(٥) الاستيعاب ١٦٨٨/٤، وأسد الغابة ١٦٤/٦، والإصابة ٢٠٤/٧.

(٦) الطبقات ٢٩٥/٤.

(٧) الاستيعاب ١٧٧٤/٤، وأسد الغابة ٣٢٥/٦، والإصابة ٤٥٥/٧.

(٨) تهذيب الكمال ٣٨٧/٣٤، وتهذيب التهذيب ٢٧٠/١٢. ولكن ذكر ابن الأثير فى أسد الغابة ٤٠٩/١، والذهبي فى سير أعلام النبلاء ٥٧٦/٢، كلاهما عن الواقدي، أنه توفى سنة خمس وستين.

واحد^(١) فى تاريخ وفاته . وزعم بعضهم أنه عاش سبعين سنة^(٢) .
 وكانت وفاته بمكة بعد ما جاور بها سنة ودفن فى مقابر المهاجرين . والله
 أعلم .
 حميد بن ثور الهلالي^(٤) الشاعر المشهور ، قال الشعر فى أيام عمر ، وهو
 من فحول الشعراء^(٣) .

(١) تهذيب الكمال ٣٤/٣٨٧ .

(٢) تهذيب الكمال ٣٤/٣٨٧ ، وتهذيب التهذيب ١٢/٢٧٠ .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤) فى الأصل : « التزلى » . والمثبت كما فى طبقات فحول الشعراء ٥٨٣/٢ . وحميد بن ثور الهلالي ترجمته فى الاستيعاب ١/٣٧٧ ، وأسد الغابة ٢/٥٩ ، والإصابة ٢/١٢٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) ص ١١٠ ، والوافى بالوفيات ١٣/١٩٢ . وذكر أنه توفى فى خلافة عثمان ، وقد ذكره الذهبى فى وفيات الطبقة السابعة .

ثم دخلت سنة تسع وستين

ففيها كان مقتل عمرو بن سعيد الأمويّ الأشدق، قتله عبد الملك بن مزوان؛ وكان سبب ذلك أن عبد الملك ركب في أوّل هذه السنة في جنوده قاصداً قرقيسياً؛ ليحاصر زفر بن الحارث الكلابي الذي أعان سليمان بن صرد على جيش مزوان حين قاتلوهم بعين وردة، ومن غزاه إذا فرغ من ذلك أن يقصد مصعب بن الزبير بعد ذلك، فلما سار إليها استخلف على دمشق عمرو ابن سعيد الأشدق، فتحصن بها وأخذ أموال بيت المال. وقيل: بل كان مع عبد الملك، ولكنه انخدل عنه في طائفة من الجيش وكرّ راجعاً إلى دمشق في الليل، ومعه حميد بن حرث^(١) بن بخدل الكلابي، وزهير بن الأبرد^(٢) الكلابي، فانتهوا إلى دمشق، وعليها عبد الرحمن بن أمّ الحكم نائباً من جهة عبد الملك ابن مزوان، فلما أحس بهم هرب وترك^(٣) البلد، فدخلها عمرو [٥٧/٧] بن سعيد الأشدق^(٤)، فاستحوذ على ما فيها من الخزائن، وخطب الناس فوعدهم العدل والنصف والعطاء الجزيل والثناء الجميل. ولما علم عبد الملك بما فعله الأشدق، كرّ راجعاً من فوره فوجد الأشدق قد حصن دمشق وعلّق عليها الستائر والمسوخ، وانحاز الأشدق إلى حصن روميّ منيع كان بدمشق فنزله،

(١) في ص: «حارث». وانظر تاريخ الطبري ١٤٠/٦.

(٢) في ٢١: «الأبرد». وانظر تاريخ الطبري الموضع السابق.

(٣) في ص: «نزل».

(٤) بعده في الأصل، ص: «وزهير بن الأبرد الكلابي فانتهوا إلى دمشق».

فحاصره عبدُ الملكِ وقَاتله عمرو بنُ سعيدِ الأَشْدُق مدَّة ستةَ عَشَرَ يومًا ،
 (١) وراسله عبدُ الملكِ ، وقال له (٢) : أَنشُدكَ اللَّهُ وَالرَّحِمَ أَنْ تَفْسِدَ أَمْرَ بَيْتِكَ وَمَا هُمْ
 عَلَيْهِ مِنْ اجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ ، وَإِنَّ فِيهَا صَنْعَتَ قُوَّةٍ لِابْنِ الزَّيْبِرِ ، فَارْجِعْ إِلَى بَيْعَتِكَ ،
 وَلَكَ عَلَيَّ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ . وَحَلَفَ لَهُ بِالْأَيْمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ أَنَّكَ وَلِيُّ عَهْدِي مِنْ
 بَعْدِي ، وَكُتِبَا بَيْنَهُمَا كِتَابًا ، فَانْخَدَعَ لَهُ عَمْرُو (٣) وَفَتَحَ أَبْوَابَ دِمَشْقَ (٤) ، ثُمَّ
 اصْطَلَحَا عَلَى تَرْكِ الْقِتَالِ ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ وَلِيُّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَعَلَى
 أَنْ يَكُونَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ لِعَبْدِ الْمَلِكِ عَامِلٌ لَهُ ، وَكُتِبَا بَيْنَهُمَا كِتَابُ أَمَانٍ ، وَذَلِكَ
 عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ . وَدَخَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ دِمَشْقَ إِلَى دَارِ الْإِمَارَةِ عَلَى عَادَتِهِ ، وَبَعَثَ إِلَى
 عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ الْأَشْدُقِ يَقُولُ لَهُ : رُدُّ عَلَى النَّاسِ أَغْطِيَاتِهِمُ الَّتِي أَخَذَتْهَا لَهُمْ مِنْ
 بَيْتِ الْمَالِ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَمْرُو يَقُولُ لَهُ : إِنَّ هَذَا لَيْسَ إِلَيْكَ ، وَلَيْسَ هَذَا الْبَلَدُ لَكَ ،
 فَاخْرُجْ مِنْهُ . فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْاِثْنَيْنِ بَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ بِأَمْرِهِ
 بِالْإِتْيَانِ إِلَى مَنْزِلِهِ بِدَارِ الْإِمَارَةِ الْخَضِرَاءِ ، فَلَمَّا جَاءَهُ الرِّسُولُ صَادَفَ عِنْدَهُ عَبْدُ
 اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَهُوَ زَوْجُ ابْنَتِهِ أُمِّ مُوسَى بِنْتِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ ، فَاسْتَشَارَهُ
 عَمْرُو فِي الدَّهَابِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
 سَمْعِي وَبَصْرِي ، وَأَرَى أَنْ لَا تَأْتِيَهُ ؛ فَإِنَّ تُبَيْعًا (٥) الْحِمَيْرِيُّ ابْنَ أَمْرَأَةٍ كَعَبِ
 الْأَحْبَارِ قَالَ : إِنَّ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَاءِ بَنِي إِسْمَاعِيلَ يُغْلِقُ أَبْوَابَ دِمَشْقَ فَلَا يَلْبِثُ أَنْ
 يُقْتَلَ . فَقَالَ عَمْرُو : وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ نَائِمًا مَا تَخَوَّفْتُ أَنْ يَنْبُهَنِي ابْنُ الزَّرْقَاءِ ، وَمَا
 كَانَ لِيَجْتَرِيَ عَلَى ذَلِكَ مِنِّي ، مَعَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ أَتَانِي الْبَارِحَةَ فِي الْمَنَامِ

(١ - ١) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٢) مروج الذهب ١٠٢/٣ .

(٣) في الأصل : « عمر » . والثبت من تاريخ الطبري ١٤١/٦ . وانظر الكامل ٢٩٨/٤ .

(٤) في ٣١ ، ٢١ : « تبعاً » . وانظر تاريخ الطبري ١٤٢/٦ .

فألْبَسَنِي قميصَه . وقال عمرو بنُ سعيدٍ للرسول^(١) : أبلغه السلام ، وقلْ له : أنا رائِئُكِ العشيَّةَ إن شاء الله . فلمَّا كان العشيُّ - يعنى بعدَ الظهرِ - ليسَ عمرو درعًا بينَ ثيابه وتقلَّد سيفًا ونهَضَ فعَثَرَ بالبساطِ ، فقالتِ امرأتهُ وبعضُ مَنْ حضَره : إنا نرى^(٢) [٥٧/٧ ط] أن لا تأتيه . فلم يلتفتْ إلى ذلك ومضى فى مائةٍ من مَوالِيه ، وعبدُ الملكِ قد أمرَ بنى مَرْوانَ فاجتمعوا كُلُّهم عنده ، فلمَّا انتهَى عمرو بنُ سعيدٍ إلى البابِ أمرَ عبدُ الملكِ أن يَدْخُلَ وأن يُحْبَسَ مَنْ معه ؛ عندَ كُلِّ بابٍ طائفةٌ منهم ، فدخَلَ كذلك حتى انتهَى إلى صَرْحَةِ المَكَانِ الذى فيه عبدُ الملكِ ، ولم يبقَ معه من مَوالِيه سِوى وصيفٍ واحدٍ ، فرمى بيصره فإذا بنو مروانَ عن بَكْرَةٍ أبيهم مُجْتَمِعُونَ عندَ عبدِ الملكِ ، فأحسَّ بالشرِّ فالتفتَ إلى وصيفه ، فقال له همسًا : وَيْلَكَ ! انطلقْ إلى أخى يحيى بنِ سعيدٍ فقلْ له فليأتنى . فلم يفهمْ عنه ، وقال له : لَبَّيْكَ . فأعادَ عليه ذلك ، فلم يفهمْ أيضًا ، وقال : لَبَّيْكَ . فقال : وَيْلَكَ ! اغرُبْ عَنى فى حَرِّقِ الله ونارِه . وكان عندَ عبدِ الملكِ حَسَّانُ بنُ مالكٍ بنِ بحدلٍ^(٣) ، وقَبِيصَةُ بنُ ذُوَيْبٍ ، فأذنَ لهما عبدُ الملكِ بالانصرافِ ، فلمَّا خرَجَا غلَّقَتِ الأبوابُ واقتربَ عمرو من عبدِ الملكِ ، فرحَّبَ به وأجلَسَه معه على السَّريرِ ، ثم جعلَ يُحدِّثُه طويلًا . ثم إنَّ عبدَ الملكِ قال : يا غلامُ ، تُحِذِ السيفَ عنه . فقال عمرو : إنا لله يا أميرَ المؤمنين ! فقال له عبدُ الملكِ : أَوَتَطْمَعُ أن تتحدَّثَ معى متقلِّدًا سيفَكَ ؟ فأخذَ الغلامُ السيفَ عنه ، ثم تحدَّثا ساعةً ، ثم قال له عبدُ الملكِ : يا أبا أمية . قال : لَبَّيْكَ يا أميرَ المؤمنين .

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « لا نرى » .

(٣) فى ٢١ : « بحدل » .

قال : إِنَّكَ حَيْثُ خَلَعْتَنِي آلَيْتُ يَمِينِي إِنْ مَلَأْتُ عَيْنِي مِنْكَ وَأَنَا مَالِكٌ لَكَ أَنْ أَجْمَعَكَ فِي جَامِعَةٍ^(١) . فقالت بنو مزوان : ثُمَّ تُطْلِقُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قال : ثُمَّ أَطْلِقُهُ ، وَمَا عَسَيْتُ أَنْ أَفْعَلَ بِأَبِي أُمَيَّةَ ؟ فقال بنو مزوان : أَيْرُ قَسَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . فقال عمرو : فَأَيْرُ قَسَمَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَخْرَجَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ تَحْتِ فِرَاشِهِ جَامِعَةً فَطَرَحَهَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا غَلَامُ ، قُمْ فَاجْمَعْهُ فِيهَا . فَقَامَ الْغَلَامُ فَجَمَعَهُ فِيهَا ، فقال عمرو : أَذْكُرُكَ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تُخْرِجَنِي فِيهَا عَلَى رَعُوسِ النَّاسِ . فقال عبدُ الملكِ : أَمْكُرُوا يَا أَبَا أُمَيَّةَ عِنْدَ الْمَوْتِ ؟ لَاهَا اللَّهُ إِذَا ، مَا كُنَّا لَنُخْرِجَكَ فِي جَامِعَةٍ عَلَى رَعُوسِ النَّاسِ وَلَمَّا تُخْرِجْهَا مِنْكَ إِلَّا صَعْدًا^(٢) . ثُمَّ اجْتَبَذَهُ اجْتَبَاذَةً أَصَابَ فَمَهُ الشَّرِيرُ فَكَسَرَ ثَنِيَّتَهُ ، فقال عمرو : أَذْكُرُكَ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْعُوكَ كَشَرُ عَظْمِي إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ . فقال عبدُ الملكِ : وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمْتُ أَنَّكَ^(٣) إِذَا بَقِيَتْ^(٤) تَقِي لِي وَتَصْلُحُ قَرِيشٌ لِأَطْلَقْتُكَ ، وَلَكِنْ مَا اجْتَمَعَ رَجُلَانِ قَطُّ فِي [٥٨/٧] بَلَدٍ عَلَى مَا نَحْنُ عَلَيْهِ إِلَّا أَخْرَجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ .

وفي رواية أَنَّهُ قَالَ لَهُ^(٥) : أَمَّا عَلِمْتَ يَا عَمْرُو أَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ فَحْلَانِ فِي شَوْلٍ^(٦) ؟ فَلَمَّا تَحَقَّقَ عَمْرُو مَا يَرِيدُ مِنْ قَتْلِهِ قَالَ لَهُ : أَعْذَرًا^(٧) يَا ابْنَ الزُّرْقَاءِ ؟ وَبَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ إِذْ أُذِّنَ لِلْعَصْرِ ، فَقَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِيُخْرِجَ إِلَى الصَّلَاةِ ، وَأَمَرَ أَخَاهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ بِقَتْلِهِ ، وَخَرَجَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بِالسَّيْفِ ، فَقَالَ لَهُ

(١) الجامعة : القُلُ ؛ لأنها تجمع اليدين إلى العنق . الصحاح (ج ٢ ع) .

(٢) الصَّعْدُ : المشقة . وعذاب صَعْدًا : شديد .

(٣ - ٣) في الأصل ، ص : « تَقِي عَلَى أَنْ » .

(٤) تاريخ خليفة ٣٣٧ ، وتهذيب الكمال ٣٨/٢٢ .

(٥) في م : « شرك » . والشول : بقية الماء .

(٦) في م : « أعذرا » .

عمرو: أَذْكُرُكَ اللَّهُ وَالرَّحِمَ أَنْ لَا تَلَى ذَلِكَ مِنِّي، وليتولَّ ذلك غيرك. فكفَّ عنه عبدُ العزيز بنُ مَرْوَانَ. ولَمَّا رَأَى النَّاسُ عَبْدَ الْمَلِكِ قَدْ خَرَجَ وَلَيْسَ مَعَهُ عَمْرُو أَرْجَفَ^(١) النَّاسَ بِعَمْرُو، وَأَقْبَلَ أَخُوهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ فِي أَلْفِ عَبْدٍ لِعَمْرُو بْنِ سَعِيدٍ وَأَنَاسٍ مَعَهُ كَثِيرٍ، وَأَسْرَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ الدَّخُولَ إِلَى^(٢) دَارِ الْإِمَارَةِ^(٣)، وَجَاءَ أَوْلَئِكَ فَجَعَلُوا يَدُقُّونَ بَابَ الْإِمَارَةِ وَيَقُولُونَ: أَسْمِعْنَا صَوْتَكَ يَا أَبَا أُمَيَّةَ. وَضَرَبَ رَجُلٌ مِنْهُمْ^(٤) الْوَلِيدَ بْنَ^(٥) عَبْدِ الْمَلِكِ فِي رَأْسِهِ بِالسَّيْفِ فَجَرَحَهُ، فَأَدْخَلَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَرَبِيِّ^(٦) صَاحِبُ الدِّيْوَانِ بَيْتًا، وَأَحْرَزَهُ فِيهِ، وَوَقَعَتْ خَبْطَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَضَجَّتِ الْأَصْوَاتُ. وَلَمَّا رَجَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَجَدَ أَخَاهُ لَمْ يَقْتُلْهُ، فَلَامَهُ وَسَبَّهُ وَسَبَّ أُمَّهُ - وَلَمْ تَكُنْ أُمُّ عَبْدِ الْعَزِيزِ أُمُّ عَبْدِ الْمَلِكِ - فَقَالَ: إِنَّهُ نَاشَدَنِي اللَّهُ وَالرَّحِمَ. وَكَانَ ابْنُ عَمَةٍ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ قَالَ: يَا غَلَامُ، ائْتِنِي بِالْحَرَبَةِ. فَأَتَاهُ بِهَا فَهَزَّهَا وَضَرَبَهُ بِهَا فَلَمْ تُغْنِ شَيْئًا، ثُمَّ ثَنَّى فَلَمْ تُغْنِ^(٧) شَيْئًا، فَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى عَضْدِ عَمْرُو فَوَجَدَ مَسَّ الدَّرْعِ فَضَحِكَ وَقَالَ: وَدَارُغُ أَيضًا! إِنْ كُنْتُ لِمُعَدًّا، يَا غَلَامُ، ائْتِنِي بِالصُّمَّصَامَةِ. فَأَتَاهُ بِسَيْفِهِ ثُمَّ أَمَرَ بِعَمْرُو فَضَرَعَ فَجَلَسَ عَلَى صَدْرِهِ فَذَبَحَهُ، وَهُوَ يَقُولُ^(٨):

يَا عَمْرُو إِنْ لَا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي
أَضْرِبُكَ حَيْثُ^(٩) تَقُولُ الْهَامَةُ اسْقُونِي

(١) فِي ص: «أَزْهَفَ». وَأَرْجَفَ الْقَوْمُ بِفُلَانٍ يَعْنِي أَكْثَرُوا الْأَخْبَارَ السَّيِّئَةَ فِيهِ.

(٢ - ٢) فِي الْأَصْلِ، ص: «الْخَضْرَاءَ».

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ: الْأَصْلِ.

(٤) فِي النُّسخِ: «عَدَى». وَالثَّبْتُ مِنَ الطَّبَرِيِّ ١٤٦/٦، وَالْكَامِلُ ٣٠٦/٤. وَكَذَا فِيمَا يَأْتِي مِنْ مَوَاضِعَ.

(٥) فِي الْأَصْلِ، ٣١، ٢١، ص: «نَجَزَ».

(٦) الْبَيْتَ لَذَى الْإِصْبَعِ الْعَذَوَانِي، وَهُوَ ضَمْنُ الْمَفْضَلِيَةِ ٣١. الْمَفْضَلِيَّاتُ ١٦٠.

(٧) فِي م: «حَتَّى».

قالوا: وانتفض عبدُ الملكِ بعدَ ما ذبحه كما تنتفضُ القصبَةُ برِعدةٍ شديدةٍ جدًّا، بحيثُ إنَّهم ما رَفَعُوهُ عن صدرِهِ إلَّا محمولًا، فوضَعُوهُ على سِريره وهو يقولُ: ما رأيتُ مثلَ هذا قطُّ قِتْلَةً^(١)، صاحبُ دنيا ولا طالبُ^(٢) آخرَةٍ. ودَفَعَ الرأسَ إلى عبدِ الرحمنِ بنِ أمِّ الحَكَمِ، فخرَجَ به للناسِ فألقاه بينَ أظهرِهِم، وخرَجَ عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ ومعه البَدْرُ^(٣) من الأموالِ تُحْمَلُ، فأَلْقَيْتُ بينَ الناسِ فجعلوا يخطِفونها، ويقالُ: إنها اسْتَرْجَعْتُ بعدَ ذلك من الناسِ إلى بيتِ المالِ. ويقالُ^(٤): إنَّ الذي ولى قَتَلَ عمرو بنِ سعيدِ مولى عبدِ الملكِ أبو الرُّعَيْرَةِ بعدَ ما خرَجَ عبدُ الملكِ إلى الصَّلَاةِ^(٥)، فاللَّهُ أعلمُ.

وقد دَخَلَ يحيى بنُ سعيدٍ [٥٨/٧ ظ] أخو عمرو بنِ سعيدِ دارَ الإمارةِ، بعدَ مقتلِ أخيه، بمَن معه، فقام إليهم بنو مَرْوَانَ فاقتتلوا، وجرح جماعاتٌ من الطائفتين، وجاءت يحيى بنُ سعيدٍ صخرةٌ فى رأسِهِ أشغَلَتْهُ عن نَفْسِهِ وعن القتالِ، ثم إنَّ عبدَ الملكِ بنَ مَرْوَانَ خرَجَ إلى المسجدِ الجامعِ فصعدَ المِنْبَرَ فجعلَ يقولُ^(٦): وَيَحْكُمُ، أينَ^(٧) الوليدُ؟ وأيُّهم لَمَن كانوا قَتَلوه لقد أدركوا ثأرَهُم. فأتاه إبراهيمُ بنُ عريِّى الكِنَانِيُّ فقال: هذا الوليدُ عنْدِي، قد أصابَتْهُ جِراحَةٌ، وليس عليه بأسٌ. ثم أمرَ عبدُ الملكِ يحيى بنَ سعيدٍ أن يُقتَلَ، فشَفَعَ فيه أخوه

(١) فى م: «قبلة». وفى تاريخ الطبرى والكامل: «قَتْلَةً».

(٢) زيادة من الطبرى يتطلبها السياق.

(٣) فى ٢١: «البدر»، وفى تاريخ الطبرى ١٤٥/٦: «البدر». والبدر جمع بَدْرَة: وهى كيس فيه مقدار من المال يتعامل به ويقدم فى العطايا.

(٤) تاريخ الطبرى ١٤٥/٦، والكامل ٣٠١/٤.

(٥) بعده فى الأصل: «ولم يقتله عبد العزيز بن مروان».

(٦) تاريخ الطبرى ١٤٦/٦، والكامل ٣٠١/٤.

(٧) فى ٣١، ٢١، ص: «إنى».

عبدُ العزيز بنُ مزوانَ وفي جماعاتٍ آخرين معه ، كان عبدُ الملكِ قد أمرَ بقتلهم يومئذٍ ، فشَفَّعه فيهم وأمرَ بحبسِه فشَجِنَ شهرًا ، ثم سَيَّره وبنى عمرو بن سعيده وأهليهم إلى العراقِ فدَخَلوا على مُصعبِ بنِ الزُّبَيْرِ فأكرمهم وأحسنَ إليهم .

ثم لما انعقدت الجماعة لعبد الملك بعد مقتل ابن الزبير - كما سيأتي - وفدوا عليه فكاد يقتلهم ، فتلطف بعضهم في العبارة حتى رَقَّ لهم رِقَّةٌ شديدة ، وقال : إِنَّ أباكم خيرني بينَ أن يقتلني أو أقتله ، فاخترتُ قتله على قتلي ، وأما أنتم فما أزعبنى فيكم وأوصلني لقرايتكم وأرعاني لحقكم ! فأحسنَ جائزتهم وقربهم . وقد كان عبدُ الملكِ بعثَ إلى امرأةِ عمرو بن سعيده أن ابغى إليَّ بكتابِ الأمانِ الذي كنتُ كتبته لعمرو . فقالت : إني دفتته معه ليحاكمك به يومَ القيامةِ عندَ الله .

وقد كان مزوان بن الحكم وعبد عمرو بن سعيده هذا ^(١) أن يكونَ وليَّ العهدِ من بعدَ ولده عبد الملك ، كلامًا مجرَّدًا ، فطمع في ذلك وقويت نفسه بسببِ ذلك . وكان عبدُ الملكِ يُغَضِّيه بُغْضًا شديدًا مِنَ الصَّغَرِ ، ثم كان هذا صنيعه إليه في الكِبَرِ .

قال ابنُ جرير ^(٢) : وَذِكْرُ أَنَّ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ بْنَ معاويةَ قال لعبد الملك ذاتَ يومَ : عجبٌ منك ومن عمرو بن سعيده ، كيف أصبَتْ غِرَّتَه حتى قتلتَه ؟ فقال : أَذْنَيْتُهُ مِنِّي لَيْسَ كُنْ رَوْعُهُ فَأَصُولَ صَوْلَةَ حازمٍ مُشْتَمِكِينَ غَضَبًا ومَحِيَّةً لديني إِنَّهُ لَيْسَ الْمُسِيءُ سَبِيلُهُ كَالْحُسَيْنِ

(١) بعده في الأصل : «أولاً» .

(٢) تاريخ الطبرى ٦/١٤٨ .

قال خليفة بن خياط^(١) : وهذا الشعر للصبي^(٢) بن أبي رافع ، تمثل به عبد الملك .

وروى ابن دُرَيْد^(٣) ، عن أبي حاتم عن العُشْبِيِّ^(٤) أن عبد الملك قال : لقد كان عمرو بن سعيد أحب إليّ [٥٩ / ٧] من دم النواظر ، ولكن والله لا يجتمع فحلان في الإبل إلا أخرج أحدهما الآخر ، وإنّا لكما قال أخو بني يربوع :

أجازي مَنْ جزاني الخيرَ خيرًا وجازي الخيرَ يُجزى بالنوالِ
وأجزى مَنْ جزاني الشرَّ شرًّا كما تُحذى النعالُ على النعالِ
قال خليفة بن خياط^(٥) : وأنشد أبو اليقظان لعبد الملك في قتله عمرو بن سعيد :

صَحَّتْ وَلَا تَشَلَّلْ وَضُرَّتْ عَدُوَّهَا يَمِئْتُ أَرَاقَتْ مُهْجَةً ابْنِ سَعِيدٍ
وَجَدْتُ ابْنَ مَرْوَانَ^(٦) وَلَا تَبْلَ نَفْسُهُ^(٧) شَدِيدًا ضَرِيرَ الْبَأْسِ^(٨) غَيْرَ بَلِيدٍ
هُوَ ابْنُ أَبِي الْعَاصِي لِمَرْوَانَ يَنْتَمِي^(٩) إِلَى أُسْرَةٍ طَابَتْ لَهُ وَجُدُودُ^(١٠)
قال الواقدي^(١١) : أمّا حصارُ عبد الملك لعمرو بن سعيد الأشدق فكان في

(١) تاريخ خليفة ٣٣٨ ، وفيه أن هذا الشعر للبهى ، وفي تاريخ دمشق ٤٥٨ / ١٣ (مخطوط) ، وعزا فيه القول إلى خليفة عن أبي اليقظان أنه للصبي بن أبي رافع .

(٢) فى م : « للصبي » .

(٣) تهذيب الكمال ٣٨ / ٢٢ ، ٣٩ .

(٤) فى الأصل : « العتي » . وفى م : « الشعبى » .

(٥) تاريخ دمشق ٤٥٨ / ١٣ (مخطوط) .

(٦ - ٦) سقط من : ٣١ ، ٢١ .

(٧ - ٧) فى م : « ولا نبل عنده » .

(٨) فى الأصل ، م : « الناس » .

(٩) فى م : « ينتهى » .

(١٠) تاريخ الطبرى ١٤٨ / ٦ .

سنة تسع وستين ، رجع إليه من بُطْنان^(١) فحاصره بدمشق ، وأما قتله إياه فكان في سنة سبعين ، والله أعلم .

وهذه ترجمة عمرو بن سعيد الأشدق^(٢)

هو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، أبو أمية القرشي الأموي ، المعروف بالأشدق ، يقال^(٣) : إنه رأى النبي ﷺ ، وروى عنه أنه قال^(٤) : « ما نحل والدٌ ولداً أحسن من أدب حسن » . وحديثاً آخر في العتق^(٥) .

وروى عن عمر وعثمان وعليّ وعائشة ، وحدث عنه بنوه^(٦) ؛ أمية وسعيد وموسى وغيرهم . واستنابه معاوية على المدينة ، وكذلك يزيد بن معاوية بعد أبيه ، كما تقدم^(٧) . وكان من سادات المسلمين ، ومن الكرماء المشهورين ، يُعطى الكثير ، ويتحملُ العظائم ، وكان وصي أبيه من بين بنيهِ ، وكان أبوه - كما

(١) بطنان : واد بين منبج وحلب . معجم البلدان ١/ ٦٦٤ .

(٢) ترجمته في الطبقات ٥/ ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، والمراسيل ٩٣ ، تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٥ ، تاريخ دمشق ٤٥١/ ١٣ (مخطوط) ، والسير ٣/ ٤٤٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) ص ٢٠٢ .
(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٩/ ٢١٥ ، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٣٦ . وخطاً ذلك الحافظ ابن حجر في الإصابة ٥/ ٢٩٤ .

(٤) الترمذی (١٩٥٢) ، والإمام أحمد في المسند ٤/ ٧٧ .
قال الترمذی : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عامر بن أبي عامر الخزاز وأيوب بن موسى وهو ابن عمرو بن سعيد بن العاص ، وهو عندي حديث مرسل . وقال الألباني : ضعيف . (ضعيف سنن الترمذی ٣٣٣) .

(٥) أخرجه عبد الرازق في المصنف (١٦٧٠٥) .

(٦) في ٣١ ، ٢١ ، ص : « بنو » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٦ .

(٧) انظر ما تقدم في ١١/ ٤٧٠ .

قَدَّمْنَا^(١) - من المشاهير الكرماء، والسادة الثَّجَباءِ . قال عمرو^(٢) : ما شَتَّمْتُ رجلاً منذُ كنتُ رجلاً ، ولا كَلَّفْتُ مَنْ قَصَدَنِي أَنْ يَسْأَلَنِي ؛ لَهو أَمْرٌ عَلَيَّ مَنَّى عَلَيْهِ .
وقال سعيدُ بنُ المسيَّبِ^(٣) : خطباءُ الناسِ في الجاهليةِ : الأسودُ بنُ المطَّلِبِ^(٤) ، وشَهيلُ بنُ عمرو ، وخطباءُ الناسِ في الإسلامِ : معاويةُ وابنه ، وسعيدُ ابنُ العاصِ وابنه ، وعبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ .

وقد قال الإمامُ أحمدُ^(٥) : حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ ، ثنا حَمَّادٌ ، ثنا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ ، أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « لَيَرْعَفَنَّ عَلَى مِنْبَرِي جَبَّارٌ مِنْ جَبَابِرَةِ بَنِي أُمَيَّةَ حَتَّى يَسِيلَ رُعَاؤُهُ » . قال : فَأَخْبَرَنِي مَنْ رَأَى عمرو بنَ سعيدِ بنِ العاصِ رَعَفَ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى سَالَ رُعَاؤُهُ .

وهو الذي كان [٥٩٧/هـ] يبعثُ البعوثَ إلى مكةَ بعدَ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ أَيَّامَ يَزِيدَ بنِ معاويةَ لِقِتَالِ ابنِ الزُّبَيْرِ ، فنهاه أبو شُرَيْحٍ الخُزَاعِيُّ ، وذكرَ له الحديثَ الذي سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي تَحْرِيمِ مَكَّةَ ، فقال : نَحْنُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْكَ يَا أبا شُرَيْحٍ^(٦) ، إِنَّ الْحَرَّمَ لَا يُعِيدُ عَاصِيًا وَلَا فَارًّا بِدَمٍ وَلَا فَارًّا بِخَوْزِيَّةٍ^(٧) . الحديثُ كما تَقَدَّمَ^(٨) وهو في الصحيحين . ثم إنَّ مروانَ دَخَلَ إلى مَصْرَ بعدَ ما دعا إلى

(١) انظر ما تقدم في ٣١٧/١١ .

(٢) كذا في النسخ . والقول أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٥٤/١٣ (مخطوط) ، والمزى في تهذيب الكمال ٣٨/٢٢ . والقول فيهما منسوب إلى سعيد بن العاص ، لا لعمرو .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٥٤/١٣ (مخطوط) .

(٤) في ٣١ ، ٢١ ، م : « عبد المطلب » .

(٥) المسند ٥٢٢/٢ . قال الهيثمي في المجمع ٢٤٠/٥ : رواه أحمد ، فيه راو ولم يسم .

(٦ - ٦) في م : « شريح » .

(٧) في ٢١ ، م : « بجزية » . انظر فتح الباري ١/١٩٨ .

(٨) تقدم تخريجه في ٥٧٩/٦ . وهو أيضا في البخاري (١٠٤ ، ٤٢٩٥) .

يَتَّعِدُ نَفْسِهِ وَاسْتَقَرَّ لَهُ الشَّامُ ، وَدَخَلَ مَعَهُ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ فَفَتَحَ مِصْرَ ، وَقَدْ كَانَ وَعْدَ عَمْرٍأَنْ يَكُونَ وَلِيَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَأَنْ يَكُونَ قَبْلَ ذَلِكَ نَائِبًا بِدَمَشَقَ ، فَلَمَّا قَوِيَتْ شَوْكَةُ مِرْوَانَ رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ ، وَجَعَلَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ ^(١) عَبْدِ الْمَلِكِ لَوْلِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَخَلَعَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَمَا زَالَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ ، حَتَّى كَانَتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَعَزَمَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى الدَّخُولِ إِلَى الْعِرَاقِ لِقِتَالِ مِصْعَبِ بْنِ الزَّيْبِرِ ، فَرَجَعَ مِنْ جَيْشِهِ وَدَخَلَ عَمْرُو دَمَشَقَ وَتَحَصَّنَ بِهَا وَأَجَابَهُ أَهْلُهَا ، فَاتَّبَعَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ فَحَاصَرَهُ ، ثُمَّ اسْتَنْزَلَهُ عَلَى أَمَانٍ صَوْرِيٍّ ، ثُمَّ قَتَلَهُ كَمَا قَدْ مَنَّا ^(٢) .

وَكَانَ ذَلِكَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى الْمَشْهُورِ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ . وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ وَأَبُو سَعِيدِ بْنِ يُونُسَ ^(٣) : سَنَةُ سَبْعِينَ . فَالَلَّهُ أَعْلَمُ . وَمِنْ الْغَرِيبِ مَا ذَكَرَهُ هِشَامُ ^(٤) بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيُّ ^(٥) بِسَنَدِهِ لَهُ : أَنَّ رَجُلًا ^(٦) سَمِعَ فِي الْمَنَامِ قَائِلًا يَقُولُ عَلَى سُورِ دَمَشَقَ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ بِالْكُلَيْيَّةِ ، وَقَبْلَ قَتْلِهِ بِمَدَّةِ هَذِهِ الْآيَاتِ :

أَلَا يَا لِقَوْمِي ^(٧) لِلْسَّفَاهَةِ وَالْوَهْنِ وَلِلْفَاجِرِ الْمُوهُونِ ^(٨) وَالرَّأْيِ ذِي ^(٩) الْأَقْنِ
وَلَابِنِ سَعِيدٍ بَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَى قَدَمَيْهِ خَرَّ لِلْوَجْهِ وَالْبَطْنِ

(١ - ١) فِي م : « ذَلِكَ » .

(٢) انْظُرْ مَا تَقْدِمُ فِي صَفْحَةِ ١١٤ ، ١١٥ .

(٣) تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ١٤٨/٦ ، وَتَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٣٩/٢٢ .

(٤ - ٤) فِي ص : « بَنِ عَبْدِ الْمَلِكِ » .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دَمَشَقَ ٤٥٧/١٣ (مَخْطُوط) .

(٦) فِي ٣١ ، ٢١ ، م : « قَوْمِ » .

(٧) فِي الْأَصْلِ ، ٣١ : « الْمَرْهُونِ » .

(٨) سَقَطَ مِنْ : م .

(٩) فِي الْأَصْلِ ، ٢١ ، ص : « الْأَقْنِ » . وَالْأَقْنُ : النَّاَقِصُ الْعَقْلُ .

رَأَى الْحِصْنَ مِنْجَاةً مِنَ الْمَوْتِ فَالتَجَا إِلَيْهِ فزارته المنيةُ في الحصنِ
قال : فَأَتَى الرَّجُلُ عَبْدَ الْمَلِكِ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ : وَيْحَكَ ، سَمِعَهَا مِنْكَ أَحَدٌ ؟
قال : لا . قال : ضَعُفْهَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ ^(١) . ثم بعد ذلك خَلَعَ عَمْرُو الطاعةَ وَقَتَلَهُ
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ^(٢) .

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ أَيْضًا

أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِي ^(٣)

وَيُقَالُ : الدُّيْلِيُّ . قَاضِي الْبَصْرَةِ ^(٤) ، تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ ، وَاسْمُهُ ظَالِمٌ بْنُ عَمْرِو بْنِ
سَفْيَانَ بْنِ جَنْدَلٍ بْنِ يَعْمَرَ بْنِ جُلَسٍ ^(٥) بْنِ نُفَّاثَةَ ^(٦) بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الدُّبَلِيِّ بْنِ بَكْرِ ، أَبُو

(١) بعده في م : « قال » .

(٢) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « وقد قيل : إن عبد الملك لما حاصره راسله ، وقال له : أنشدك الله والرحم أن
تفسد أمر بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة ، فإن فيما صنعت قوة لابن الزبير علينا ، فارجع إلى
بيعتك ولك على عهد الله وميثاقه . وحلف له بالأيمان المؤكدة أنك ولي عهدي من بعدى ، وكُتِبَا بينهما
كتابا ، فانخدع له عمرو ، وفتح له أبواب دمشق فدخلها عبد الملك وكان من أمرهما ما تقدم » . وقد
تقدم ذلك في ص ١١٥ .

(٣ - ٣) انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧/ ٩٩ ، وطبقات فحول الشعراء ١٢ ، والأغاني ١٢ /
٢٩٧ - ٣٣٤ ، وتاريخ دمشق ٢٥ / ١٧٦ - ٢١١ ، وإنباه الرواة ١٣ / ١ - ٢٣ ، وأسد الغابة ٣ / ١٠٣ ،
ووفيات الأعيان ٢ / ٥٣٥ - ٥٣٩ ، وتهذيب الكمال ٣٣ / ٣٧ ، ٣٨ ، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٨١ -
٨٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) ص ٢٧٦ - ٢٨٠ ، والإصابة ٣ / ٥٦١ - ٥٦٣ ، وروضات الجنات ٤ / ١٦٢ - ١٨٦ .

(٤) في النسخ : « الكوفة » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٥) في الأصل ، ٢١ : « جلس » ، غير معجمة . وفي ٣١ : « حليس » . وفي م : « جلس » . وانظر وفيات
الأعيان ٢ / ٥٣٩ ، وطبقات فحول الشعراء ١٢ ، وجمهرة أنساب العرب ١٨٥ ، ومعجم الأدباء ١٢ / ٣٤ ،
وتاج العروس (دأل) .

(٦) في الأصل : « سبائة » . وفي ٣١ ، م : « شبائة » . وفي ٢١ : « شبابه » .

الأسود، الذى نُسب إليه علم النحْو، ويُقال: إنَّه أوَّل مَنْ تكلَّمَ فيه، وإنَّما أخذه عن [٦٠/٧] أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب.

وقد اختلف فى اسمه على أقوال؛ أشهرها أنَّ اسمه ظالم بن عمرو. وقيلَ عكسه^(١). وقال الواقدي^(٢): اسمه عُويمُ بن ظوَيْم. قال^(٣): وقد أسلم فى حياة النبى ﷺ وشهد الجملَ^(٤) مع عليّ^(٥) وهلك فى ولاية^(٦) عبید الله^(٧) بن زياد. وقال يحيى بن معين وأحمد بن عبد الله العجلئ^(٨): كان ثقةً، وهو أوَّل مَنْ تكلَّمَ فى النحو. وقال ابنُ معين وغيره^(٩): مات^(١٠) فى طاعون^(١١) الجارف سنة تسع وستين. قال ابنُ خلكان^(١٢): وقيل: إنَّه تُوفى فى خلافة عمر بن عبد العزيز، وقد كان ابتداءؤها فى سنة تسع وتسعين^(١٣). قلتُ: وهذا غريبٌ جدًا.

قال ابنُ خلكان^(١٤) وغيره: كان أوَّل مَنْ ألقى إليه علم النحو عليّ بن أبي

(١) اسمه فى رواية دعبل، وعمر بن شبة: (عمرو) بن ظالم. وفى رواية أبى عبيدة ومحمد بن سلام وابن معين وأحمد بن حنبل وغيرهم: ظالم بن عمرو. معجم الشعراء ٦٧. وانظر تاريخ دمشق ١٨٠/٢٥ وما بعدها.

(٢) تاريخ دمشق ١٨٤/٢٥، وتهذيب الكمال ٣٣/ ٣٧.

(٣) تهذيب الكمال ٣٣/ ٣٨. وأخرجه مطولا فى تاريخ دمشق ٢٥/ ١٨٤.

(٤) بعده فى م: «ولم يره».

(٥ - ٥) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص. وفى الأصل: «مع عليّ وكان من وجوه شيعته ومن أكملهم رأيا وعقلا وقد أمره على بوضع النحو فلما رآه على قال له ما أحسن هذا النحو الذى نحوت».

(٦ - ٦) فى م: «عبد الله».

(٧) انظر تاريخ الثقات ٢٣٨، والجرج والتعديل ٤/ ٥٠٣.

(٨) تاريخ دمشق ٢٥/ ٢١٠، وتهذيب الكمال ٣٣/ ٣٨.

(٩ - ٩) فى م: «بالطاعون». وهو سابع طاعون فى الإسلام، وفيه قُلُ الناس بالبصرة جدا حتى إنه ماتت أم أمير البصرة، فلم يجدوا من يحملها إلا أربعة بالجهد. النجوم الزاهرة ١/ ١٨٢، ١٨٣.

(١٠) وفيات الأعيان ٢/ ٥٣٩ بنحوه.

(١١) فى ص: «ستين».

(١٢) وفيات الأعيان ٢/ ٥٣٥، ٥٣٧ بنحوه.

طالب، وذكر له أنَّ الكلام اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ، ثم إنَّ أبا الأسود نحَا نحوه وفرَّع على قوله، وسلك طريقه؛ فسُمِّي هذا العلمُ النحوُ لذلك. وكان الباعثُ لأبي الأسود على بسط^(١) ذلك تغيُّر لغة الناس، ودخول اللحن في كلام بعضهم أيامَ ولاية زيادٍ على العراق، وكان أبو الأسود مؤدِّبَ بنيه^(٢)؛ فإنَّه جاء رجلٌ يومًا إلى^(٣) زيادٍ فقال: تُوفِّي أبانا وترك بنون. فأمره زيادٌ أن يَضَعَ للناس شيئًا يهتدون به إلى معرفة كلام العرب. ويقال: إنَّ أوَّل ما وضع منه بابُ التعجُّب؛ مِن أجلِ أنَّ ابنته قالت له ليلة: يا أبه ما أحسنَ السماء! فقال: نجومُها. فقالت: إنني لم أسأل عن أحسنها، إنَّما تعجَّبتُ مِن حسنِها^(٤). فقال قولي: ما أحسنَ السماء!

قال ابنُ خَلِّكَانَ^(٥): وقد كان أبو الأسود يُخَلِّلُ وكان يقول: لو^(٦) أطعنا المساكينَ في أموالنا لَكُنَّا^(٧) مثلهم. وعشَّى ليلةً مسكينًا ثم قيَّده^(٨) وبَيْتَه^(٩) عنده^(١٠) ومنعه أن يخرجَ ليلته تلك؛ لِقَلَّا يُؤْذِي المسلمين بسؤاله، فقال له المسكينُ: أَطْلِقْنِي. فقال: هيهات، إنَّما عَشَيْتُكَ لِأُريحَ منك المسلمين الليلة. فلَمَّا أصبحَ أَطْلَقَهُ^(١١). وله شعرٌ حسنٌ. رَجِمَهُ اللَّهُ.

(١) سقط من: م.

(٢) في ص: «ابنيه».

(٣) بعده في ٢١: «ابن». وذكر أبو الفرج في الأغاني ١٢ / ٢٩٩ أن هذه القصة كانت بين أبي الأسود وعبيد الله بن زياد.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) وفيات الأعيان ٢ / ٥٣٨، ٥٣٩ بنحوه.

(٦) في الأصل: «لبقينا».

(٧ - ٧) سقط من: الأصل، ص.

قال ابن جرير^(١): وحجَّ بالناس في هذه السنة عبدُ الله بنُ الزبير، وقد أظهر خارجيَّ التحكيم بمنى فقتل عند الجمرة^(٢).

والنواب فيها هم الذين كانوا في السنة التي قبلها.

ومن توفي فيها من الأعيان:

جابر^(٣) بن سَمُرَةَ بنِ جنادة^(٤)، له صحبة ورواية، ولأبيه أيضًا صحبة ورواية. نزل الكوفة وبها توفي هذه السنة^(٥)، وقيل: سنة ست وستين^(٦). فالله أعلم.

أسماء بنتُ يزيد بنِ السَّكَنِ الأنصاريَّة^(٧)، بايعت النبي ﷺ^(٨)، [٦٠/٧ ظ] وقتلت بعمود خيمتها يوم اليرموك تسعة من الروم^(٩)، وسكنت دمشق، وقبرها^(١٠) بباب الصَّغير.

حسان بن مالك^(١١) بن بحدل، الأمير^(١٢) أبو سليمان البحدلي^(١٣)

(١) تاريخ الطبري ٦ / ١٤٨، ١٤٩ بنحوه.

(٢) في م: «الحجرة».

(٣) في الأصل: «حسان».

(٤) الاستيعاب ١ / ٢٢٤، وأسد الغابة ١ / ٣٠٤، والإصابة ١ / ٤٣١.

(٥) لم نقف في ترجمته في المصادر السابقة وغيرها على أن وفاته - رضى الله عنه - كانت في هذه السنة، وإنما الذى صححه غير واحد أن وفاته كانت في ولاية بشر بن مروان. ومن المعروف أن بشر بن مروان توفي سنة ثلاث وسبعين أو أربع وسبعين. انظر طبقات خليفة ١ / ٣٢، ٢٩٦، وتهذيب الكمال ٤ / ٤٣٩ وسير أعلام النبلاء ٣ / ١٨٧، وتاريخ الطبري ٦ / ١٩٣.

(٦) تهذيب الكمال ٤ / ٤٣٩.

(٧) الاستيعاب ٤ / ١٧٨٧، وأسد الغابة ٧ / ١٨، ١٩، والإصابة ٧ / ٤٩٨.

(٨) بعده في الأصل: «ويقال لها أم سليم».

(٩) بعده في ٣١، ٢١، م: «ليلة عرسها».

(١٠) في ٣١، ٢١، م: «دفنت».

(١١ - ١٢) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(١٢) سقط من: الأصل، وفي ٣١: «البجلي».

«الكلبي»^(٢). وهو الذي^(١) قام ببيعة مروان. «وقيل: إنهم سلموا عليه بالخلافة أربعين يوماً، ثم سلمها لمروان.

وقصر حسان بدمشق، ويعرف بقصر ابن أبي الحديد، وهو قصر البحادلة»^(٣).

«مات في هذه السنة. والله سبحانه أعلم»^(٤).

«يوسف بن الحكم الثقفى»^(٥)، والد الحجاج. قديم من الطائف إلى الشام ثم ذهب إلى مصر والمدينة، وكان يلزم مروان.

عبد الرحمن بن الحكم^(٦) أخو مروان، شهد الدار مع عثمان بن عفان. وكان شاعراً محسناً. وله منزلة عند معاوية وابنه^(١).

(١ - ١) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٢) ترجمته في: تاريخ دمشق ١٢ / ٤٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) ص ٩٢،

٩٣، وسير أعلام النبلاء ٣ / ٥٣٧.

(٣ - ٣) في ٣١، ٢١، م: «لما تولى الخلافة».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) ترجمته في: مختصر تاريخ دمشق ٢٨ / ٧٨ - ٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ -

٨٠) ص ٢٧٥.

(٦) ترجمته في: مختصر تاريخ دمشق ١٤ / ٢٣٩ - ٢٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ -

٨٠) ص ١٧٣، ١٧٤.

ثم دخلت سنة سبعين من الهجرة

فيها ثارت الروم واستجاشوا^(١) على من بالشام، واستضعفهم لما يرون من الاختلاف الواقع بين^(٢) عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير، فصالح عبد الملك بن مروان ملك الروم، وهاذنه على أن يدفع إليه عبد الملك في كل جماعة ألف دينار خوفًا منه على الشام.

^(٣) وفيها وقع الوباء بمصر، فهرب منه عبد العزيز بن مروان إلى الشرقية، فنزل خلوان وهي على^(٤) مرحلة من القاهرة، واتخذها منزلًا واشتراها من القبط بعشرة آلاف دينار، وبني بها دارًا للإمارة وجامعًا، وأنزلها الجند^(٥).

وفيها ركب مصعب بن الزبير من البصرة إلى مكة ومعه أموال جزيلة، فأعطى وفرق^(٦)، ونحر عند الكعبة ألف بدنة وعشرين ألف شاة، وأغنى ساكني مكة، ثم عاد إلى العراق، وأنعم^(٧) وأطلق لجماعة من رؤساء الناس بالحجاز أموالًا كثيرة^(٨).

^(٩) وحج بالناس فيها ابن الزبير.

والعمال على الأمصار هم المذكورون فيما قبل^(١٠).

ومن توفي فيها من الأعيان :

(١) سقط من: الأصل.

(٢ - ٢) في ٢١، ٣١، م: «بني».

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) سقط من: الأصل، ٢١، ٣١.

(٥ - ٥) سقط من: ٢١، ٣١، م. وفي ص: «وأنعم».

(٦ - ٦) سقط من: الأصل.

(٧ - ٧) سقط من: ٢١، ٣١، م.

عاصمُ بنُ عمرَ بنِ الخطَّابِ القرشيَّ العَدَوِيَّ^(١)، وأُمُّه جميلةُ بنتُ ثابتِ بنِ أبي الأَفْلَحِ^(٢). وُلِدَ في حياةِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، ولم يروِ إِلَّا عن أبيه حديثًا واحدًا: «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا»^(٣) الحديث^(٤). وعنه ابنه حَفْصُ^(٥) وعَبِيدُ اللَّهِ^(٦)، وعُروَةُ بنُ الزَّيْرِ. وقد طَلَّقَ أبوه أُمَّه فَأَخَذَتْهُ جَدَّتُهُ الشَّمُوسُ بنتُ أبي عامِرٍ،^(٧) حَكَمَ لَهُ بِهَا^(٨) الصَّدِيقُ، وقال^(٩): سَمُّهَا وَلُطْفُهَا أَحَبُّ إِلَيهِ مِنْكَ. ثُمَّ لَمَّا زَوَّجَهُ أَبُوهُ فِي أَيَّامِهِ^(١٠) أَنْفَقَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ شَهْرًا، ثُمَّ كَفَّ عَنِ الْإِنْفَاقِ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ ثُمْنَ مَالِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَجَرَ وَيُنْفِقَ عَلَى عِيَالِهِ. وَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ^(١١) أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ عَاصِمٍ وَبَيْنَ الْحَسَنِ^(١٢) «أَوْ الْحُسَيْنِ»^(١٣) مَنَازَعَةٌ فِي أَرْضٍ، فَلَمَّا [٦١/٧] تَبَيَّنَ عَاصِمٌ مِنَ الْحَسَنِ الْغَضَبَ قَالَ^(١٤): هِيَ لَكَ. فَقَالَ لَهُ: بَلْ هِيَ لَكَ. فَتَرَكَاهَا وَلَمْ يَتَعَرَّضَا لَهَا، وَلَا أَحَدٌ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا حَتَّى أَخَذَهَا النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. وَكَانَ عَاصِمٌ رَئِيسًا وَقَوْرًا، كَرِيمًا^(١٥) فَاضِلًا.

قال الواقدي^(١٦): مات سنة سبعين^(١٧).

-
- (١) ترجمته في: الاستيعاب ٢/ ٧٨٢، وأسد الغابة ٣/ ١١٥، والإصابة ٥/ ٣.
(٢) في م: «الأفلق».
(٣) بعده في ٣١: «والنهار من هاهنا»، وفي ٢١: «وأدير النهار من هاهنا».
(٤) البخاري (١٩٥٤)، ومسلم (٥١/ ١١٠٠).
(٥ - ٥) في ص: «عبد الله». وانظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٩٧.
(٦ - ٦) في ٣١: «أتابه». وفي ٢١: «لها به». وفي م: «أنتى به».
(٧) لم أجده بهذا اللفظ. وذكر حكم أبي بكر للجدة في تهذيب الكمال ١٣/ ٥٢١ عن الزبير بن بكار.
(٨) في ٣١، ٢١، م: «أيام إمارته». وفي ص: «إمارته».
(٩) تهذيب الكمال ١٣/ ٥٢٣ بنحوه.
(١٠ - ١٠) في م: «والحسين».
(١١) في ص: «فقال».
(١٢) سقط من: ٣١، ٢١.
(١٣) تهذيب الكمال ١٣/ ٥٢٤، والإصابة ٥/ ٤.
(١٤) بعده في الأصل ٣١، ٢١، م: «بالمدينة».

^(١) قَيْصَةُ ^(٢) بَنُ جَابِرِ بْنِ وَهَبِ الْأَسَدِيِّ الْكُوفِيِّ ^(٣) أَبُو الْعَلَاءِ ^(٤) ، مِنْ كِبَارِ
التَّابِعِينَ . ^(٥) شَهِدَ خُطْبَةَ عَمَرَ بِالْجَائِيَةِ ، وَكَانَ أَخَاهُ ^(٦) مُعَاوِيَةَ مِنَ الرِّضَاعَةِ . ^(٧) وَكَانَ
مِنْ الْفَصَحَاءِ الْبُلْغَاءِ ^(٨) .

قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ ، ^(٩) أَبُو يَزِيدَ ، اللَّيْثِيُّ ، الشَّاعِرُ ^(١٠) الْمَشْهُورُ ^(١١) ، مِنْ بَادِيَةِ
الْحِجَازِ ، ^(١٢) وَقِيلَ : إِنَّهُ أَخُو الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ مِنَ الرِّضَاعَةِ .

وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَ لُبْنَى بِنْتَ الْحُبَابِ ^(١٣) ، ثُمَّ طَلَّقَهَا ، فَلَمَّا طَلَّقَهَا ، ^(١٤) هَامَ لَمَّا بِهِ
مِنَ الْغَرَامِ ، ^(١٥) « وَسَكَنَ الْبَادِيَةَ » ^(١٦) ، وَجَعَلَ يَقُولُ فِيهَا الْأَشْعَارَ وَنَحَلَ جِسْمَهُ ، فَلَمَّا
زَادَ مَا بِهِ أَتَاهُ ابْنُ أَبِي عَتِيْقٍ ، فَأَخَذَهُ وَمَضَى بِهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، فَقَالَ لَهُ :
فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، أَرْكَبُ مَعِيَ فِي حَاجَةٍ . فَرَكِبَ ، وَاسْتَنْهَضَ مَعَهُ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ
مِنْ وَجْهِ قُرَيْشٍ ، فَذَهَبُوا مَعَهُ ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا يَرِيدُ ، حَتَّى أَتَى بِهِمْ بَابُ ^(١٧)

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢ - ٢) في ٣١، ٢١، م: « بن ذؤيب الخزاعي الكلبى ».

(٣) ترجمته فى: التاريخ الكبير ٧/ ١٧٥ والفتاى ٥/ ٣١٨، ومختصر تاريخ دمشق ٢١/ ٦١ - ٦٣،
وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) ص ٢٠٨، ٢٠٩.

(٤ - ٤) في ٣١، ٢١، م: « وهو أخو ».

(٥ - ٥) في ٣١، ٢١، م: « كان من فقهاء أهل المدينة وصالحهم، انتقل إلى الشام، وكان معلم
كتاب ».

(٦ - ٦) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٧) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: « أنه ». وانظر ترجمته فى: الشعر والشعراء ٢/ ٦٢٨، والأغاني
٩/ ١٨٠، ومختصر تاريخ دمشق ٢١/ ٩٦، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٧١، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٥٣٤،
والنجوم الزاهرة ١/ ١٨٢.

(٨ - ٨) فى الأصل: « وكان يهوى أم معمر لبني بنت الحباب الكعبية، ثم تزوج بها، وقيل: إنه أخو
الحسين بن على من الرضاعة ». وانظر الأغاني ٩/ ١٨٠، ١٨١، ومختصر تاريخ دمشق ٢١/ ٩٦.

(٩ - ٩) فى الأصل: « زاد ما ».

(١٠ - ١٠) سقط من: الأصل.

١١) زوج لُبْنَى ، فخرج إليهم ، فإذا وجوه قُرَيْشٍ ، فقال : جعلنى الله فداكم ! ما جاء بكم ؟ قالوا : حاجة لابن أبى عَتَيْقٍ . فقال الرجل : اشهدوا على ^(١) أن حاجته مقضية ، وحكمه جائز . فقالوا : أخبره بحاجتك . فقال ابن أبى عَتَيْقٍ : اشهدوا على أن زوجته لُبْنَى منه طالق . فقال عبد الله بن جعفر : قبحك الله ، ألهذا جئت بنا ؟ فقال : جِئْتُ فِداكم ، يُطَلَّقُ هذا زوجته ويتزوج بغيرها ، خير من أن يموت رجلٌ مسلمٌ ^(٢) فى هواها صباية ، والله لا أبرح حتى ينتقل متاعها ^(٣) إلى بيت قيس ، ففعلت ، وأقاموا مدة فى أزغد عيش وأطيبه ، رجمهم الله تعالى .

يزيد بن زياد بن ربيعة الحِميرى الشاعر ^(٤) . كان كثير الشر ^(٥) والهجو . وقد أراد عبیدُ الله بن زياد قتله ؛ لكونه هجا أباه زيادا ، فمنعه معاوية من قتله ، وقال : أدبه . فسقاه دواءً مُشهلاً وأركبه على حمار ، وطاف به فى الأسواق ، وهو يسأل على الحمار ، فقال فى ذلك ^(٦) :

يَغْسِلُ الماء ما صنعت ^(٧) وشِعْرِى ^(٨) راسخٌ منك فى العظامِ البَوالى ^(٩)

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى الأصل : « منكم » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) ترجمته فى : الشعر والشعراء ١ / ٣٦٠ - ٣٦٤ ، والأغاني ١٨ / ٢٥٤ - ٢٩٨ ، ومعجم الأدباء ٢٠ / ٤٣ - ٤٦ ، ووفيات الأعيان ٦ / ٣٤٢ - ٣٦٢ ، وسير أعلام النبلاء ٣ / ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٦) فى م : « الشعر » .

(٧) البيت فى الشعر والشعراء ١ / ٣٦١ ، والأغاني ١٨ / ٢٦٤ .

(٨ - ٨) فى الشعر والشعراء ، والأغاني : « وقولى » .

^(١) بُشَيْرُ بْنُ النَّضْرِ قاضى مصر، كان رِزْقُهُ فى العام ألفَ دينارٍ. تُوفِّي بمصر، وولى بعده عبدُ الرحمن بنُ حمزة الخولاني. واللَّهُ سبحانه أعلم ^(٢).

مالكُ بنُ يَخَيمَرِ الشَّكْسَكِيُّ الأَلهانِيُّ الحِمَصِيُّ ^(٣)، تابعى جليلٌ، ويقالُ : له صحبةٌ. فاللَّهُ أعلم. روى البخارى ^(٤) من طريق معاوية عنه عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ فى حديثِ الطائفةِ [٦١/٧ ظ] الظاهرة على الحقِّ أَنَّهُم بالشام، وهذا من بابِ رواية الأَكابرِ عن الأصاغرِ، إلّا أن يُقالَ : له صحبةٌ. والصحيح أَنَّهُ تابعى وليس بصحابى، وكان من أخصِّ أصحابِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، رضى اللّهُ عنه. قال غيرُ واحدٍ ^(٥) : مات فى هذه السنة. وقيل ^(٦) : سنة اثنتين وسبعين، واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلم.

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) ترجمته فى: أخبار القضاة لوكيع ٣ / ٢٢٤، ٢٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) ص ٧٨.

(٣) ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧ / ٤٤١، والمعرفة والتاريخ ٢ / ٢٩٧، ٣١٢، وأسد الغابة ٥ / ٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) ص ٢٢٥، وتهذيب الكمال ٢٧ / ١٦٦، والإصابة ٥ / ٧٠٨. (٤) البخارى (٣٦٤١، ٧٤٦٠).

(٥) نقل المزى عن أبى بكر بن أبى عاصم أَنَّهُ مات سنة سبعين. تهذيب الكمال ٢٧ / ١٦٧.

(٦) تهذيب الكمال ٢٧ / ١٦٧.

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين

وفيهما كان مقتل مُصعب بن الزبير، وذلك أن عبد الملك بن مروان سار في جنود هائلة من الشام قاصداً مصعب بن الزبير بالعراق^(١)، فالتقى في هذه السنة، وقد كانا قبلها يركب كل واحد للتلقي الآخر، فيحول بينهما الشتاء والبرد والوخل^(٢)، فيرجع كل واحد منهما إلى بلده، فلما كان في هذا العام سار إليه عبد الملك، وبعث بين يديه السرايا، ودخل بعض من أرسله إلى البصرة فدعا أهلها إلى عبد الملك في السر، فاستجاب له بعضهم، وقد كان مُصعب^(٣) سار إلى الحجاز، فجاء ودخل البصرة^(٤) على إثر ذلك، فأئب الكبراء من الناس، وشتّمهم ولائمهم على دخول أولئك إليهم، وإقرارهم لهم على ذلك، وهَدَم دُور بعضهم، ثم شَخَص إلى الكوفة، ثم بلغه قصد عبد الملك له بجنود الشام فخرج إليه.

ووصل عبد الملك إلى مَسْكِن، وكتب^(٥) إلى المَروانيّة الذين استجابوا لمن بعثه إليهم فأجابوه، واشتروطوا عليه أن يوليهم أَصْبَهَانَ، فقال: نعم. وهم جماعة كثيرة من الأمراء، وقد جعل عبد الملك على مُقَدِّمته أخاه محمد بن مَرْوَانَ بن الحكم، وعلى ميمنته عبد الله بن يزيد بن معاوية، وعلى ميسرته خالد بن يزيد بن معاوية.

(١) سقط من: الأصل، م، ص.

(٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ص.

(٤) تاريخ الطبري ٦ / ١٦٥.

وخرج مصعبُ بنُ الزبيرِ ، وقد اختلفَ عليه أهلُ العراقِ ، وخذلوه وجعل
يتأملُ من معه فلا يجدُهم يُقاومون أعداءه ، فاستقتل وطُمن^(١) نفسه على ذلك ،
وقال^(٢) : لى بالحُسَيْنِ بنِ عليٍّ أسوةٌ حين امتنع من إلقائه يده ، ومن الذلةِ لعبيدِ
اللهِ بنِ زيادٍ ، وجعل يُنشدُ ويقولُ مُسلِّيًا نفسه^(٣) :

وإنَّ الأُلى^(٤) بالطِّفِّ^(٥) من آلِ هاشمٍ تأسَّؤا فسنَّؤا للكرامِ الثَّاسِيا
وكان عبدُ الملكِ قد أشار عليه بعضُ أمرائه^(٦) أن يقيمَ بالشامِ ،^(٧) وأن يبعثَ
إلى مُصعبٍ جيشًا^(٨) ، فأبى وقال^(٩) : لعلِّي أبعثُ^(١٠) رجلًا شجاعًا لا رأى له ، أو
من له رأى ولا شجاعةٌ له ، وإني أجِدُ من نفسي بصرًا^(١١) بالحربِ وشجاعةً ،
وإنَّ مصعبًا فى بيتِ شجاعةٍ ؛ أبوه أشجعُ قريشٍ ، وأخوه لا تُجهَلُ شجاعتهُ ،
وهو شجاعٌ^(١٢) لا عِلْمَ له بالحربِ ، وهو يُحبُّ الدَّعةَ والخفضَ^(١٣) ،^(١٤) ومعه
من يخالفه^(١٥) ، ومعى [٦٢/٧] من ينصَحُ لى^(١٦) . فسار بنفسه ، فلما تقاربَ

(١) فى ٣١ : «ظن» .

(٢) تاريخ الطبرى ١٥٦/٦ ، وأنساب الأشراف ٩٢/٧ ، ٩٨ ، وتاريخ دمشق ٥٣٩/١٦ (مخطوط) ،
وفيه أن مصعب سأل عروة بن المغيرة فأخبره عروة بالخبر .

(٣) البيت لسليمان بن قتيبة ، انظر الأغاني ١٩ / ١٢٩ والمصادر السابقة .

(٤) فى م : «الأولى» .

(٥) الطف : أرض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية كان فيها مقتل الحسين . معجم البلدان ٣ / ٥٣٩ .

(٦) فى م : «أصحابه» .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .

(٨) تاريخ الطبرى ٦ / ١٥٧ .

(٩) فى ٣١ ، ٢١ ، م : «إن بعث» .

(١٠) فى م : «بصيرا» .

(١١) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : «ومعه من يخالفه» .

(١٢) فى م : «الصفح» .

(١٣ - ١٣) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(١٤) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : «ويوافقنى على ما أريد» .

الجيشان بعث عبدُ الملك إلى أمراءِ مصعبٍ بكتبٍ^(١) يدعوهُم إلى نفسه ويَعِدُهُم الولاياتِ ، فجاء إبراهيمُ بنُ الأشترِ إلى مُصعبٍ فألقى إليه كتابًا مختومًا ، وقال : هذا جاءني من عبدِ الملك . ففتحه فإذا هو يدعوه إلى الإتيانِ إليه ، وله نيابةُ العراقِ . وقال لمصعبٍ : أيها الأميرُ ، إنَّه لم يبقَ أحدٌ من أمرائك إلَّا وقد جاءه كتابٌ مثلُ هذا ، فإن أطعنتى ضربتُ أعناقَهُم^(٢) . فقال له مصعبٌ : إنَّي لو فعلتُ ذلك لم تنصَحنا عشائِرُهُم بعدهم . فقال : ^(٣) فَأَوْقِرُهُم^(٤) في الحديدِ وابعثَهُم^(٥) إلى أبيضِ كِسرى فاسجُنْهُمْ فيه ، ^(٦) ووكلُ بهم من إن غلبتِ ضربُ أعنَقَهُم ، وإن غلبتِ مننتُ بهم على عشائِرِهِم^(٧) . فقال له : يا أبا النعمانِ ، إنَّي لَفى شُغلي عن هذا . ثم قال مُصعبٌ : رَجِمِ اللّهُ أبا بَحرٍ - يعني^(٨) الأحنفَ بنَ قيسٍ - إنَّ كان ليُحدِثُنِي غدرَ أهلِ العراقِ ، وكأنَّه كان ينظُرُ إلى ما نحنُ فيه الآنَ .

ثم تواجه الجيشان بدَيْرِ الجَائِلِيّ مِّن مَّسْكِينٍ ، فحملَ إبراهيمُ بنُ الأشترِ - وهو أميرُ المَقْدَمَةِ العِراقِيَّةِ لِحَيْشِ مُصعبٍ - على مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ - وهو أميرُ مَقْدَمَةِ الشَّامِ - فأزاله عن موضِعِهِ ، فأردَفه عبدُ الملكِ بنُ مَرْوَانَ بعبدِ اللّهِ بنِ يزيدَ ابنِ معاويةَ ، فحملوا على إبراهيمَ بنِ الأشترِ ، ومَن معه فطَحَنوهُم ، وقَتَلَ إبراهيمُ

(١) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص .

(٢) بعده في ص: «وإن كانت عليك خرجوا بعد ذلك» .

(٣ - ٥) في ٣١، ٢١، م، ص: «ابعثهم» .

(٤) في الأصل: «فأقرهم» . والمثبت من تاريخ الطبري ٦ / ١٥٧ ، وانظر أنساب الأشراف ٧ / ٩٤ .

(٥ - ٥) في ٣١، ٢١، م: «فإن كانت لك النصره ضربت أعناقهم ، وإن كانت عليك خرجوا بعد ذلك» ، وفي الأصل، ص: «فإن كانت لك ضربت أعناقهم وإن كانت عليك خرجوا بعد ذلك» .

والمثبت من تاريخ الطبري ٦ / ١٥٧ . وانظر الكامل ٤ / ٣٢٥ .

(٦) بعده في الأصل: «ابن» . وانظر ما سيأتي في صفحة ١٦٩ .

ابن الأشر، رحمه الله وعفا عنه، وقُتل معه جماعة من الأمراء، وكان عتاب بن ررقاء على خيل مصعب فهرب أيضًا ولجأ إلى عبد الملك بن مروان. ^(١) وجعل مصعب بن الزبير وهو واقف في القلب يُنهض ^(٢) أصحاب الرايات، ويحث ^(٣) الشجعان والأبطال أن يتقدموا إلى أمام القوم، فلا يتحرك أحد، فجعل يقول: يا إبراهيم ولا إبراهيم لي اليوم! وتفاقم الأمر، واشتد القتال، وتخاذلت الرجال، وضاق الحال، وكثر التزال.

قال المدائني ^(٤) عن يحيى بن إسماعيل ^(٥) بن المهاجر عن أبيه قال ^(٦): «أرسل عبد الملك أخاه محمد بن مروان إلى مصعب يعطيه الأمان فأبى، وقال: إن مثلي لا ينصرف عن هذا الموضع إلا غالبًا أو مغلوبًا».

قالوا ^(٧): فنأذى محمد بن مروان عيسى بن مصعب فقال: يا ابن أخي، لا تقتل نفسك، لك الأمان. فقال له مصعب: قد آمنتك عمك فامض إليه. فقال: لا تتحدث نساء قريش أني أسلمتكم للقتل. فقال له: يا بُني، فاركب خيل السبقي فالحق بعمك، فأخبره بما صنع أهل العراق فإني مقتول ههنا. فقال: والله إنني لا أخبر عنك أحدًا أبدًا، ولا [٦٢/٧] أخبر نساء قريش بمصرعك أبدًا، ولا أقتل إلا معك، ولكن إن شئت ركب خيلك، وسيرنا إلى البصرة؛ فإنهم على

(١ - ١) في الأصل: «وأرسل عبد الملك الأمان إلى».

(٢) في الأصل: «وهو فيهم»، وفي ص «وهو» وبعده يياض.

(٣) في الأصل: ص: «يستنهض».

(٤ - ٤) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٥) في الأصل: «المعتل».

(٦) تاريخ الطبري ٦ / ١٥٨، ١٥٩، وتاريخ دمشق ١٦ / ٥٣٩، ٥٤٠ (مخطوط)، بنحوه.

(٧) تاريخ الطبري ٦ / ١٥٩، بنحوه، وانظر أنساب الأشراف ٧ / ٩٢.

الجماعة . فقال مصعب : ^(١) « لا والله ، ما الفرائز لى بعادة ، ولكن أقاتل ، فإن قتلْتُ فما السيفُ لى بعارٍ » ، والله لا تتحدّث قريش عنى أنى فررتُ من القتال . ثم قال لانيه : تقدّم بين يديّ حتى أحسبكَ . فتقدّم ابنه ، فقاتل حتى قُتل ، وأُئخِن مصعب بالرمي ، فنظر إليه زائدة بن قدامة ، وهو كذلك فحمل عليه فطعنه ، وهو يقول : يا ثاراتِ المختارِ ! فصرعه ^(٢) ونزل إليه رجلٌ يُقال له : عبيدُ الله بن زياد بن ظبيان التميمي . فقتله وحرّ رأسه ، وأتى به عبدُ الملك بن مزوان ، فسجد عبدُ الملك ، وأطلق له ألفَ دينارٍ فأتى أن يقبلها ، وقال : لم أقتله على طاعتِكَ ، ولكن بثأرٍ كان لى عنده . وكان قد ولى له عملاً قبل ذلك فعزله عنه وأهانَه .

قالوا ^(٣) : ولما وُضع رأسُ مُصعب بين يديّ عبدِ الملك ، قال عبدُ الملك : لقد كان بينى وبين مُصعبِ صحبةً قديمةً ، وكان من أحبِّ الناسِ لى ، ولكنّ هذا الملكُ عقيمٌ .

^(٤) وقال ^(٥) : لما تفرّق عن مُصعبِ جموعُه قال له ابنه عيسى : لو اعتصمتُ ببعضِ القلاع ، وكاتبْتُ من بعدَ عنك مثلَ المهلبِ بن أبى صُفْرة وغيره فقدموا عليك ، فإذا اجتمع لك ما تُريدُ منهم لقيتُ القومَ ؛ فإنّك قد ضعفتُ جدّاً . فلم يردّ عليه جواباً . ثم ذكر ما جرى للحُسين بن عليّ ، وكيف قُتل كريماً ، ولم يُلقي بيده ، ولم يجدْ من أهلِ العراقِ وفاءً ، وكذلك أبوه وأخوه ، ونحنُ ما وجدنا لهم وفاءً ^(٦) . ثم انهزم أصحابه ، وبقي فى قليلٍ من خواصّه ، ومال الجميعُ إلى

(١ - ١) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٢) سقط من : م .

(٣) تاريخ دمشق ١٦ / ٥٣٦ (مخطوط) ، بنحوه ، وانظر تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٧ .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥) أى : مصعب الزبيرى . تاريخ دمشق ١٦ / ٥٣٤ (مخطوط) ، بنحوه .

عبد الملك ، وقد كان عبدُ الملك يُحِبُّ مُصْعَبًا حُبًّا شديدًا ، وكان خليلًا له قبل الخلافة ، فقال لأخيه محمد : اذهب إليه فأمنه . فجاءه ، فقال له : يا مصعب ، قد آمنتك ابنُ عمك على نفسك ووليدك ومالك وأهلك ، فاذهب حيث شئت من البلاد ، ولو أراد بك غير ذلك لكان . فقال مصعب : قُضِيَ الأمرُ ، إنَّ مثلي لا ينصرفُ عن مثل هذا الموقفِ إلَّا غالبًا أو مغلوبًا . فتقدَّم ابنه عيسى فقاتل ، فقال محمدُ بنُ مروانَ : يا ابنَ أخى ، لا تقتلُ نفسك . ثم ذكر من قوله ما تقدَّم ، ثم قاتلَ حتى قُتِلَ ، رحمه الله ، ثم ذكر من قُتِلَ أيَّهِ ^(١) بعده ، كما تقدَّم .

قال ^(٢) : ولما وُضِعَ رأسُ مُصْعَبٍ بين يدي عبد الملك بكى وقال : والله ما كنتُ أقدرُ أنْ أصيرَ عليه ساعةً واحدةً من حبي له حتى دخلَ السيفُ بيننا ، ولكنَّ الملكَ عقيمٌ ! ولقد كانتِ المحبةُ والحرمةُ بيننا قديمةً ، متى تلدُ النساءُ مثلَ مُصْعَبٍ ؟ ثم أمر بمواراته ، ودفنه هو وابنه وإبراهيمَ بنَ الأشرِ في قبورِ بمسكينٍ بالقربِ مِنَ الكوفةِ ^(٣) .

قال المدائني ^(٤) : وكان مقتلُ مُصْعَبٍ بنِ الزبيرِ يومَ الثلاثاءِ الثالثِ عشرَ من جمادى الأولى أو الآخرةِ من سنةٍ إحدى وسبعين فى قول الجمهور ، وقال المدائني : سنةً ثنتين وسبعين . والله أعلم .

قالوا ^(٥) : ولما قتل عبدُ الملكِ مُصْعَبًا ارتحلَ إلى الكوفةِ فنزلَ النُخَيْلَةَ فوفدَتْ عليه الوفودُ بها ^(٦) من رؤساءِ القبائلِ وساداتِ العربِ ، وجعلَ يُخاطِبُهُم بفصاحةٍ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) فى م : « منهم » .

(٣) أى : سعيد بن يزيد . تاريخ دمشق ١٦ / ٥٣٤ (مخطوط) ، بنحوه .

(٤) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٢ ، وتاريخ دمشق ١٦ / ٥٤٣ ، ٥٤٤ (مخطوط) ، مختصرا بنحوه .

(٥) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٢ بنحوه ، وتاريخ دمشق ١٦ / ٥٤٠ (مخطوط) ، مختصرا بنحوه .

(٦) سقط من : م .

وبلاغة واستشهادٍ بأشعارٍ حسنة، وبإيعة أهل العراق وفُوق العِمالات^(١) في الناس، وولَّى الكوفة قُطَنَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيِّ^(٢) أربعين يوماً، ثم عزَّله وولَّى أخاه بشرَ بْنَ مَرْوَانَ عليها. وخطبَ عَبْدُ الْمَلِكِ يوماً بالكوفة فقال في خطبته: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ لو كان خليفةً كما يزعمُ^(٣) لخرَجَ فآسى بنفسه، ولم يغرِّرْ ذَنْبَهُ في الحرم. ثم قال لهم: إِنِّي قد استخلفتُ عليكم أخى بشرَ بْنَ مَرْوَانَ، وأمرته بالإحسانِ إلى أهلِ الطَّاعة، وبالشدَّة على أهلِ المعصية، فاستمعوا له وأطيعوا.

وأما أهل البصرة فإنهم لما بلغهم مقتلُ مُصعبٍ تنازع في إمارتها^(٤) حُمْرَانُ بْنُ أَبَانَ مولى عثمانَ بْنَ عَفَّانَ^(٥)، وعبيدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، فغلبه^(٦) حُمْرَانُ بْنُ أَبَانَ عليها، فبايعة أهلها فكان أشرفَ الرجلين. قال أعرابي^(٧): واللَّهِ لقد رأيتُ رداء^(٨) ابنِ أَبَانَ^(٩) مَالَ عن عاتقه يوماً، فابتدره مَرْوَانُ، وسعيدُ بْنُ العاصِ، أيُّهما يُسَوِّيه [٦٣/٧] على منكبَيْهِ. وقال غيره^(١٠): مدَّ حُمْرَانُ^(١١) يوماً رجله فابتدر^(١٢) معاويةَ وعبدُ اللَّهِ بْنُ عامِرٍ^(١٣) أيُّهما يغمزُها^(١٤). قال: فبعثَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ

(١) في الأصل: «العمال»، وفي ص: «العمالة».

(٢) في الأصل، ٣١، ٢١، ص: «الحري»، وفي م: «الحري». والمثبت من تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٤، والكمال ٤ / ٣٣١، وتاريخ دمشق ١٥ / ١٨٧.

(٣) في الأصل، ص: «زعم».

(٤ - ٥) في الأصل: «حمران بن أبان بن عثمان بن عفان»، وفي ٣١، ٢١، م، ص: «أبان بن عثمان بن عفان». وفي تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٥، والكمال ٤ / ٣٣٦: «حمران بن أبان» وانظر تاريخ دمشق ١٥ / ١٧٨.

(٥ - ٥) في ٣١، ٢١، م، ص: «أبان».

(٦) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٥، وتاريخ دمشق ١٥ / ١٧٧.

(٧ - ٧) في ٣١، ٢١، م: «أبان»، وفي ص: «حمران».

(٨) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٥، وتاريخ دمشق ١٥ / ١٧٧.

(٩) في ٢١، م: «أبان».

(١٠) في ٣١، م: «فابتدرها»، وفي ٢١: «فابتدرها».

(١١ - ١١) في الأصل: «أنهما يغمزان رجل حمران»، وفي ص: «أيُّهما يغمز رجل مروان».

خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد واليًا عليها - يعنى على البصرة - فأخذها من "حُمُرَان بن أبان" واستناب فيها "عبيد الله" بن أبي بكر، وعزل "حُمُرَان بن أبان" عنها.

قالوا^(٣): وقد أمر عبد الملك بطعام كثير فعُمل لأهل الكوفة فأكلوا من سِمَاطِه، ومعه يومئذ على السرير عمرو بن حُرَيْث، فقال له عبد الملك: ما ألدَّ عيشنا لو أن شيئًا يدوم، ولكن نحن كما قال الأول:

وكل جديد يا أميم إلى بلى^(٤) وكل امرئ يومًا يصير إلى كان
فلما فرغ الناس من الطعام نهض فدار في القصر، وجعل يسأل عمرو بن حُرَيْث عن أحوال القصر ومن بنى أماكنه وبيوته، فيخبره^(٥)، ثم جاء مجلسه فاستلقى وهو يقول^(٦):

اعمل على مهل فإنك ميّت واكدخ لنفسك أيها الإنسان
فكأن ما قد كان لم يك إذ مضى وكأن ما هو كائن قد كان
قال ابن جرير^(٧): وفيها رجع عبد الملك - فيما^(٨) زعم الواقدي - إلى الشام.

(١ - ١) فى ٣١، م: «أبان».

(٢ - ٢) فى ٢١: «عبد الله». وانظر تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٥.

(٣) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٧، وتاريخ دمشق ١٠ / ٥١٣ (مخطوط)، والكامل ٤ / ٣٣٢.

(٤) فى ٣١، ٢١، م: «البلى».

(٥) سقط من: م.

(٦) البيتان فى تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٧، وتاريخ دمشق ١٠ / ٥١٢، ٥١٣ (مخطوط).

(٧) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٥.

(٨) فى م: «كما».

قال^(١): وفيها عزل ابن الزبير جابر بن الأسود عن المدينة، وولّى عليها طلحة ابن عبد الله بن عوف، وكان هو آخر أمراءه عليها، حتى قديم عليها طارق بن عمرو مولى عثمان، من جهة عبد الملك بن مروان.

وفيها حجّ بالناس عبد الله بن الزبير، ولم يبق له ولاية على العراق.

^(٢) قال الواقدي: وفيها عقد عبد العزيز بن مروان نائب مصر لحسان الغساني^(٣) على غزو إفريقية، فسار إليها في عدد كثير، فافتتح قرطاجنة^(٤) وكان أهلها رومًا عبّاد أصنام.

وفيها قُتل نجدة الحروري الذي تغلب على اليمامة. وفيها خرج عبد الله بن ثور في اليمامة^(٥).

وهذه ترجمة مصعب بن الزبير^(٥)، رحمه الله

وهو مصعب بن الزبير بن العوام بن حُوَيلِد بن أسد بن عبد الغزي بن قصي ابن كلاب، أبو عبد الله القرشي - ويُقال له: أبو عيسى أيضًا - الأسدي. وأمه

(١) تاريخ الطبري ٦ / ١٦٦.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣) في م: «العاني».

(٤) في ٣١، ٢١: «قرطاجية».

(٥) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٥ / ١٨٢، ١٨٣، وأنساب الأشراف ٧ / ٨٣ - ١١٢، والأغاني ١٩ / ٢٢، وتاريخ بغداد ١٣ / ١٠٥، وتاريخ دمشق ١٦ / ٥٢٤ (مخطوط)، وسير أعلام النبلاء ٤ / ١٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٥٢٤.

الرَّيَابُ^(١) بَنَتْ أُتَيْفَ الْكَلْبِيَّةِ . كَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا ، وَأَشْجَعِهِمْ قَلْبًا ،
وَأَسْخَاهُمْ كَفًّا .

وَقَدْ حَكَى عَنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَرَوَى عَنْ أَبِيهِ الزَّيْبِرِ بْنِ الْعَوَّامِ ، وَسَعِيدِ ،
وَأَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ . وَرَوَى عَنْهُ الْحَكَمُ بْنُ عُثَيْبَةَ^(٢) ، وَعَمْرُو بْنُ دِينَارِ الْجُمَحِيِّ ،
وَأِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ . وَوَقَدْ عَلَى مَعَاوِيَةَ ، وَكَانَ يَمُنُّ يُجَالِسُ أَبَا هُرَيْرَةَ ، وَكَانَ
مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا .

حَكَى الزَّيْبِرُ بْنُ بَكَّارٍ^(٣) أَنَّ جَمِيلًا نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ واقِفٌ بِعَرَفَةَ ، فَقَالَ : إِنَّ
هَلْهَنَا فَتَى أَكْرَهُ أَنْ تَرَاهُ بَثِينَةً . وَقَالَ الشَّعْبِيُّ^(٤) : مَا رَأَيْتُ أَمِيرًا قَطُّ عَلَى مَنِيرٍ
أَحْسَنَ مِنْهُ . وَكَذَا قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي^(٥) خَالِدٍ^(٤) . وَقَالَ الْحَسَنُ^(٦) : هُوَ أَجْمَلُ
أَهْلِ الْبَصْرَةِ .

وَقَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ^(٧) : وَلِي لِمَرْةٍ الْعِرَاقِيْنِ [٦٣/٧ ط] لِأَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الزَّيْبِرِ ، حَتَّى قَتَلَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بِمَسْكِنَ فِي مَوْضِعٍ قَرِيبٍ مِنْ أَوَانَا عَلَى نَهْرِ
دُجَيْلٍ عِنْدَ دَيْرِ الْجَائِلِيْقِ ، وَقَبْرُهُ إِلَى الْآنَ مَعْرُوفٌ هُنَاكَ . وَقَدْ ذَكَرْنَا^(٨) صِفَةَ قَتْلِهِ
الْمُخْتَارَ بْنَ أَبِي عُبَيْدٍ ، وَأَنَّهُ قَتَلَ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ أَصْحَابِ الْمُخْتَارِ سَبْعَةً^(٩)

(١) فى ٣١، م: «كرمان»، وفى ٢١: «الريان». وانظر جمهرة أنساب العرب ٤٥٧.

(٢) فى الأصل، م، ص: «عينة»، وفى ٣١: «عثنية»، وانظر تاريخ دمشق ٥٢٢/١٦ (مخطوط).

(٣) تاريخ دمشق ٥٢٧/١٦ (مخطوط).

(٤) سقط من: م.

(٥) طبقات ابن سعد ٥/ ١٨٣، وتاريخ دمشق ٥٢٧/ ١٦ (مخطوط).

(٦) تاريخ دمشق ٥٢٨/ ١٦ (مخطوط)، بنحوه.

(٧) تاريخ بغداد ١٣/ ١٠٥.

(٨) انظر ما تقدم فى صفحة ٥٨.

(٩) فى الأصل: «سته».

آلاف . قال الواقدي^(١) : لما قتل مُصعبُ المختارَ ، طلب أهلُ القصرِ من أصحابِ المختارِ من مُصعبِ الأمانِ فأُمنَهم ، ثم بعث إليهم عبادَ بنَ الحصينِ فجعل يُخرِجُهم مُلتفتين ، فقال له رجلٌ : الحمدُ لله الذي نصرَكم علينا ، وابتلانا بالأسرِ ، يا ابنَ الزبيرِ مَنْ عفا عفا الله عنه ، وَمَنْ عاقبَ لا يَأْمَنُ القصاصَ ، نحنُ أهلُ قبيلتِكُم وعلى مِلَّتِكُم وقد قَدَرْتَ فاسمَحْ واعفُ عَنَّا . قال : فرقْ لهم مُصعبٌ وأرادَ أَنْ يُخلِّي سبيلَهم ، فقامَ عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ بنِ الأشعثِ وغيرُه من كُلِّ قبيلةٍ ، فقالوا : قد قتلوا أولادنا وعشائرتنا ، وجرحوا مَنَّا خلقًا ،^(٢) اختَرنا أو اختَرهم^(٣) . فأمرَ حينئذٍ بقتلِهم ، فنادوا بأجمعِهم : لا تقتلنا واجعلنا مُقدِّمَتَكَ في قتالِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، فإنَّ ظفِرنا فلَكم ، وإنَّ قُتِلنا لا نُقتلَ حتى نقتلَ منهم طائفةً وكان الذي تريدُ . فأبى ذلك مُصعبٌ ، فقال له مُسافرٌ : اتقِ الله يا مُصعبُ ، فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أمَرَ أَنْ لا تقتلَ نفسًا مسلمةً بغيرِ نفسٍ ، وإنَّ ﴿ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣] . فلم يسمَعْ له ، بل أمرَ بضربِ أعناقِهم جميعِهم ، وكانوا سبعةَ آلافِ نفسٍ ، ثم كَتَبَ مُصعبٌ إلى ابنِ الأَشرِ : إنَّ أجبَتني فَلَكَ الشَّامُ ، وأَعِنُّهُ الخيلَ . فسارَ ابنُ الأَشرِ إلى مُصعبٍ . وقيل : إنَّ مُصعبًا لما قَدِمَ مَكَّةَ أتى عبدَ الله بنَ عُمرَ فقال : أُنِّي عَمَّ ، إني أسألكَ عن قومٍ خلَعوا الطاعةَ ، وقَاتَلوا حتى إذا^(٣) غلبوا تحصَّنوا ، وسألوا الأمانَ فأعطوه ، ثم قُتِلوا بعد ذلك . فقال : وكم هم ؟ قال : خمسةٌ

(١) تاريخ دمشق ١٦ / ٥٣٦ - ٥٣٨ (مخطوط)، مطبوع بنحوه .

(٢ - ٢) في ٣١ : « اختَرنا أو اختارهم » ، وفي ٢١ : « اختارنا أو اختارهم » .

(٣) سقط من : م .

آلاف . فسبّح ابنُ عمرَ واسترجع ، وقال : لو أنّ رجلاً أتى ماشيةَ الزبيرِ فذبحَ منها خمسةَ آلافِ شاةٍ^(١) في غداةٍ واحدةٍ أَلَسْتُ تَعُدُّهُ مُسْرِقًا ؟ قال : نعم . قال : أَفترَاهِ إِسْرَافًا في البهائمِ ولا تراه إِسْرَافًا في مَنْ تَرجو توبته ؟ يا ابنُ أَخِي أَصِيبَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ مَا اسْتَطَعْتَ في دُنْيَاكَ .

ثم إنّ مُصْعِبًا بَعَثَ برَأْسِ الْمُخْتَارِ إِلَى أَخِيهِ بِمَكَّةَ^(٢) ، وَتَمَكَّنَ مُصْعِبٌ فِي الْعِرَاقِ تَمَكُّنًا زَائِدًا ، فَقَرَّرَ بِهَا الْوِلَايَاتِ وَالْعَمَالَ ، وَحَظِيَ عِنْدَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ فَجَعَلَهُ عَلَى الْوِفَادَةِ ، ثُمَّ رَحَلَ مُصْعِبٌ إِلَى أَخِيهِ بِمَكَّةَ فَأَعْلَمَهُ بِمَا فَعَلَ فَأَقْرَظَهُ عَلَى مَا صَنَعَ ، إِلَّا إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ^(٣) لَمْ يُمِضْ لَهُ مَا جَعَلَهُ عَلَيْهِ^(٤) . فَقَالَ لَهُ : أَعَمَدْتَ إِلَى رَايَةٍ خَفَضَهَا اللَّهُ تُرِيدُ أَنْ تَرْفَعَهَا ؟ ثُمَّ كَشَفَ عَنْ ظَهْرِهِ فَإِذَا ضَرْبَةٌ قَدْ أَصَابَتْهُ^(٥) ، وَقَالَ لَهُ : أَتُرَانِي أَحِبُّ ابْنَ الْأَشْتَرِ وَهُوَ الَّذِي جَرَحَنِي هَذِهِ الْجِرَاحَةَ . ثُمَّ اسْتَدْعَى بَنِي قَدِيمٍ^(٦) مَعَ مُصْعِبٍ^(٧) مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَقَالَ لَهُمْ : وَاللَّهِ لَوِدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُلِّ رَجُلَيْنِ مِنْكُمْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ . فَقَالَ لَهُ^(٨) أَبُو حَاضِرٍ الْأُسَيْدِيُّ - وَكَانَ قَاضِي الْجَمَاعَةِ بِالْبَصْرَةِ : إِنَّ لَنَا وَلَكُمْ مَثَلًا قَدْ مَضَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ مَا قَالَ الْأَعَشَى^(٩) :

غَلَّقْتُهَا عَرَضًا^(١٠) وَغَلَّقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَغَلَّقْتُ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ

(١) في م : « ماشية » .

(٢) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٣ - ٣) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٤ - ٤) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٥ - ٥) في م : « أبو حاجر الأسدي » ، وفي تاريخ دمشق ١٦ / ٥٣٨ (مخطوط) : « أبو خاصر الأسدي » . وانظر تهذيب الكمال ١٩ / ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٢ / ٢٢٠ .

(٦) ديوان الأعشى الكبير ص ٥٧ .

(٧) في الأصل ، ٣١ ، ٢١ : « غرصا » .

(١) قلت: كما قيلَ أيضًا^(٢) :

جُنَيْنَا بِأَيْلَى وَهَى جُنْتُ بَغِيرِنَا وَأُخْرَى بَنَا مَجْنُونَةٌ لَا نَرِيدُهَا^(٣)
عُلُقْنَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعُلُقْتَ أَهْلَ الشَّامِ، وَعُلُقْتَ أَهْلَ الشَّامِ إِلَى مَرْوَانَ،
فَمَا عَسَيْنَا أَنْ نَصْنَعَ؟ قَالَ الشَّعْبِيُّ^(٤) : فَمَا سَمِعْتُ جَوَابًا أَحْسَنَ مِنْهُ . وَقَالَ
غَيْرُهُ : كَانَ مُصْعَبٌ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ مُحِبَّةً لِلنِّسَاءِ . وَقَدْ «أَعْطَاهُ اللَّهُ»^(٥) مِنْ ذَلِكَ
شَيْئًا كَثِيرًا؛ كَمَا رَوَى^(٦) أَنَّهُ اجْتَمَعَ عِنْدَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ جَمَاعَةٌ^(٧) ، فَقَالُوا فِيمَا
بَيْنَهُمْ : لِيَقُمْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فَلْيَسْأَلْ عِنْدَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يُحِبُّهُ .
فَقَامَ كُلُّ يَسْأَلُ حَاجَتَهُ مِنْهُمْ ، وَكَانَ مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ الزَّيْرِ ؛ سَأَلَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا
أَنْ يَرْوِجَهُ سُكَيْنَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ ، وَعَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ - وَكَانَتَا أَحْسَنَ النِّسَاءِ فِي
ذَلِكَ الْعَصْرِ - وَأَنْ يُعْطِيَهُ اللَّهُ إِمْرَةً الْعِرَاقَيْنِ . فَأَعْطَاهُ اللَّهُ ذَلِكَ كُلَّهُ^(٨) ؛ تَزَوَّجَ
بِعَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ ، وَكَانَ صَدَاقُهَا عَلَيْهِ مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَتْ بَاهِرَةً الْجَمَالِ
جَدًّا ، وَكَانَ مُصْعَبٌ أَيْضًا جَمِيلًا جَدًّا ، وَكَذَلِكَ بَقِيَّةُ زَوْجَاتِهِ . قَالَ
الْأَصْمَعِيُّ^(٩) ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزُّنَادِ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : اجْتَمَعَ فِي الْحَجَرِ

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) البيت في سمط اللاكلى ١ / ١٤٠، وفيه: جننا على ليلي وجنت بغيرنا

(٣) تاريخ دمشق ١٦ / ٥٣٨ (مخطوط).

(٤ - ٤) في م: «أمضى».

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٥٢٦، بنحوه، وسير أعلام النبلاء ٤ / ١٤١،

بنحوه.

(٦) بعده في ٣١، ٢١، م: «منهم ابن عمر ومصعب بن الزبير».

(٧) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٨) حلية الأولياء ٢ / ١٧٦.

مصعب وعروة^(١) وعبدُ الله، بنو الزبير^(٢)، و«عبدُ الله»^(٣) بنُ عمر، فقالوا: تَمَنُّوا^(٤). فقال عبدُ الله بنُ الزبير: أما أنا فأتمنِّي الخلافةَ. وقال عروة: أما أنا فأتمنِّي أن يُؤخذَ عني العلمُ. وقال مصعب: أما أنا فأتمنِّي إمرةَ العراق، والجمعَ بينَ عائشةَ بنتِ طلحةَ وشُكَيْبَةَ [٧/٦٤] بنتِ الحسين. وقال عبدُ الله ابنُ عمر: أما أنا فأتمنِّي المغفرةَ. قال: فنالوا كلُّهم ما تَمَنُّوا، ولعلَّ ابنَ عمر قد غَفِرَ له.

وقال عامرُ الشَّعْبِيِّ^(٥): بينما أنا جالسٌ يومًا^(٦) إذ دعاني الأميرُ مصعبُ بنُ الزُّبَيْرِ فأدخَلَنِي دارَ الإمارةِ، ثم كَشَفَ^(٧) عن سِتْرٍ^(٨) فإذا وراءه عائشةُ بنتُ طلحةَ، فلم أَرِ منظرًا أبهى، ولا أحسنَ منها. فقال: أتدرى مَنْ هذه؟ فقلتُ: لا. فقال: هذه عائشةُ بنتُ طلحةَ. ثم خرجتُ، فقالتُ عائشةُ: مَنْ هذا الذي أظهرَني عليه؟ قال: هذا عامرُ الشَّعْبِيِّ. قالت: فأطْلِقْ له شيئًا. فوهبَني^(٩) عشرةَ آلافِ درهمٍ. قال الشَّعْبِيُّ: فكان أولَ مالٍ ملكتهُ.

وحكى الحافظُ ابنُ عساكر^(١٠) أنَّ عائشةَ بنتَ طلحةَ تَغَضُّبَتْ مرَّةً على مُصْعَبٍ فترَضَّاهَا بأربعمائةِ ألفِ درهمٍ، فأطْلَقَتْها هي للمرأةِ التي أصْلَحَتْ

(١ - ١) في الأصل: «عبدُ الله بن الزبير»، وفي ٣١، ٢١، م: «ابن الزبير».

(٢ - ٢) سقط من ٣١، ٢١، م.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٥ - ١٠٦ بنحوه، وتاريخ دمشق ١٦ / ٥٣١ بنحوه.

(٥) سقط من: م، وفي ٣١، ٢١: «ذات يوم».

(٦ - ٦) سقط من: م.

(٧) في ٣١، ٢١: «فأطلق له». وفي م: «فأطلق لي».

(٨) تاريخ دمشق (تراجم النساء) ص ٢١٨.

بينهما. وقيل^(١): إنه أُهْدِيَتْ له نخلةٌ من ذهبٍ، ثمارُها من صنوفِ الجواهرِ المُثَمِّنةِ، فقُوِّمَتْ بألفى ألفِ دينارٍ، وكانت من متاعِ الفُرسِ فأعطاهَا^(٢) لِعَبْدِ اللَّهِ ابنِ أَبِي فَرْوَةَ^(٣). وقيل^(٤): إنَّ أخاه عبدَ اللَّهِ كان إذا كَتَبَ لأحدٍ جائزةً بألفِ درهمٍ جعلها مصعبٌ مائةً ألفِ درهمٍ^(٥).

^(٥) وقد كان مُصْعَبٌ من أجودِ الناسِ وأكثرِهِم عطاءً، لا يستكثِرُ ما يُعْطَى ولو كان ما عساه أن يكونَ؛ فكانت عطاياه للقويِّ والضعيفِ والوضيعِ والشرِيفِ مُتقاربةً، وكان أخوه عبدُ اللَّهِ يُخَلِّ^(٥).

وروى الخطيبُ البغداديُّ في تاريخه^(١) أنَّ مُصْعَبًا غَضِبَ مرَّةً على رجلٍ فأمرَ بضربِ عنقه، فقال له الرجلُ: أعزَّ اللَّهُ الأميرَ، ما أقْبَحَ بمثلِي أن يَقومَ يومَ القيامةِ فيتعلَّقُ بأطرافِك الحسنةِ، وبوجهِك الذي يُستضاءُ به، فأقول: ياربُّ، سَلْ مُصْعَبًا فيمَ قَتَلَنِي؟ فعفا عنه، فقال الرجلُ: أعزَّ اللَّهُ الأميرَ، إنَّ رأيتَ^(٧) أن تجعلَ^(٧) ما^(٨) وهبتَ لي^(٨) من حياتي في عيشٍ رَخِيٍّ^(٩). فأطلقَ له مائةً ألفٍ، فقال الرجلُ:

(١) تاريخ دمشق ١٦ / ٥٣٢ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٥٢٦، وسير أعلام النبلاء ٤ / ١٤٢.

(٢ - ٢) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٣) في الأصل: «وفرة»، والمثبت من مصادر التخریج.

(٤) تاريخ دمشق ١٦ / ٥٣٢ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٥٢٦،

وسير أعلام النبلاء ٤ / ١٤٢.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل.

(٦) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٦. وفيه البيت الأول فقط.

(٧ - ٧) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٨ - ٨) في ٣١، ٢١، م: «وهبني».

(٩) في م: «رضى».

إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّ نَصَفَهَا لَابْنِ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ ؛ حَيْثُ يَقُولُ فِيكَ ^(١) :

إِنَّمَا ^(٢) مَصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ ^(٣) عِزَّةٍ لَيْسَ فِيهِ ^(٤) جَبْرُوتٌ مِنْهُ وَلَا كِبَرِيَاءُ
يَتَّقِي اللَّهَ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَفْ لَحَ مَنْ كَانَ هَمُّهُ الْإِثْقَاءُ
^(٥) وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ قَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، قَدْ وَهَبْتَنِي حَيَاةً ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ
تَجْعَلَ مَا قَدْ وَهَبْتَنِي مِنَ الْحَيَاةِ فِي عَيْشٍ رَخِيٍّ ^(٥) وَسَعَةٍ فافْعَلْ . فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ
أَلْفٍ ^(٤) .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ^(٦) : حَدَّثَنَا ^(٧) مُؤَمِّلٌ ، حَدَّثَنَا ^(٧) حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، ثنا عَلِيُّ بْنُ
زَيْدٍ ^(٨) قَالَ : بَلَغَ مُصْعَبًا عَنْ عَرِيفِ الْأَنْصَارِ ^(٩) شَيْءٌ فَهَمَّ بِهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَنْسُ بْنُ
مَالِكٍ ، فَقَالَ لَهُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « اسْتَوْضُوا بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا - أَوْ
قَالَ : مَعْرُوفًا - اقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ » . فَأَلْقَى مُصْعَبٌ نَفْسَهُ
عَنْ سَرِيرِهِ ، وَأَلْزَقَ خَدَّهُ بِالْبِسَاطِ ، [٦٤ / ٧ ظ] وَقَالَ : أَمُرُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى

(١) الأبيات في ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات : ٩١ ، ٩٢ ، والشعر والشعراء ٥٣٩ / ١ ، والأغاني ٧٩ / ٥ وفيه
البيتان الأولان فقط ، وسمط اللاكئ ١ / ٢٩٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣٤٩ .

(٢) في م : « إن » .

(٣ - ٣) في م ، والشعر والشعراء ، وسمط اللاكئ : « رحمة ليس فيه » . وفي الديوان : « قوة ليس فيه » ،
وانظر تاريخ الإسلام .

(٤ - ٤) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٥) في م : « رضى » .

(٦) المسند ٣ / ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٧ - ٧) سقط من : م ، وانظر أطراف المسند ١ / ٤٥٠ .

(٨) في م : « يزيد » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠ / ٤٣٤ - ٤٣٦ .

(٩) في م : « الأنصارى » .

الرأس والعَيْن . فتركه .

وَمِنْ كَلَامٍ مُصْعَبٍ فِي التَّوَاضُّعِ أَنَّهُ قَالَ ^(١) : الْعَجَبُ مِنْ ابْنِ آدَمَ كَيْفَ يَتَكَبَّرُ ،
وَقَدْ جَرَى فِي مَجْرَى الْبُولِ مَرَّتَيْنِ !؟

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ ^(٢) : سُئِلَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُصْعَبٍ فَقَالَ :
كَانَ نَبِيلاً رَئِيسًا نَفِيسًا ^(٣) أُنِيسًا .

وَقَدْ تَقَدَّمَ ^(٤) أَنَّهُ لَمَّا ظَهَرَ عَلَى الْمُخْتَارِ قَتْلُ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ
خَمْسَةَ آلَافٍ ، وَقِيلَ : سَبْعَةُ آلَافٍ . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ لَقِيَ ابْنَ عَمَرَ فَسَلَّمَ
عَلَيْهِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ ابْنُ عَمَرَ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ انْضَرَّ فِي عَيْنَيْهِ ، فَتَعَرَّفَ لَهُ ^(٥) حَتَّى
عَرَفَهُ ، فَقَالَ ^(٦) : أَنْتَ الَّذِي قَتَلْتَ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ خَمْسَةَ آلَافٍ مِمَّنْ يُوحَّدُ
اللَّهُ ؟ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ بِأَنَّهُمْ بَايَعُوا الْمُخْتَارَ ، فَقَالَ : أَمَّا كَانَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ مُسْتَكْرَرٌ أَوْ
جَاهِلٌ فَيَنْظُرُ حَتَّى يَتُوبَ ؟ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى غَنَمِ الزُّبَيْرِ فَنَحَرَ مِنْهَا
خَمْسَةَ آلَافٍ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ ، أَمَّا كَانَ مُسْرِفًا ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : وَهِيَ لَا
تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تَعْرِفُهُ كَمَا يَعْرِفُهُ الْآدَمِيُّ وَيَعْبُدُهُ ، فَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ مُوَحَّدٌ ؟ ثُمَّ قَالَ
لَهُ : يَا بُنَيَّ تَمَتَّعْ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ ^(٧) فِي الدُّنْيَا مَا اسْتَطَعْتَ . وَفِي رَوَايَةٍ أَنَّهُ قَالَ
لَهُ ^(٨) : عِشْ مَا اسْتَطَعْتَ .

(١) تاريخ دمشق ١٦ / ٥٣٠ (مخطوط) .

(٢) تاريخ دمشق ١٦ / ٥٣١ (مخطوط) .

(٣) فِي الْأَصْل ، ٣١ ، ٢١ ، م : « تَقْيَا » .

(٤) تَقَدَّمَ فِي ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٥ - ٥) فِي ٣١ ، ٢١ ، م : « عَرَفَهُ قَالَ » .

(٦ - ٦) سَقَطَ مِنْ : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٧) تاريخ الطبري ٦ / ١١٣ .

وقال الزبير بن بكار^(١) : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، عَنْ زَاوِرِ بْنِ قُتَيْبَةَ ، عَنْ
الكلبي قال : قال عبدُ الملكِ بنُ مَرْوَانَ يوماً لجلسائِهِ : مَنْ أَشَجَعُ الْعَرَبِ^(٢) ؟ قالوا :
شَيْبٌ^(٣) ، قَطَرِيٌّ بْنُ الْفُجَاءَةِ ، فَلَانٌ ، فَلَانٌ . فقال عبدُ الملكِ : إِنَّ أَشَجَعَ
العربِ^(٤) لَرَجُلٌ جَمَعَ بَيْنَ سُكَيْنَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ ، وَعَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ ، وَأُمَةَ
الْحَمِيدِ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ ،^(٥) وَأُمِّهِ رَبَابُ بِنْتُ^(٦) أُتَيْفِ الْكَلْبِيِّ ، سَيِّدُ
ضاحيةِ العربِ ، ووليِ العِراقَيْنِ خَمْسَ سِنِينَ فَأَصَابَ أَلْفَ أَلْفٍ ، وَأَلْفَ أَلْفٍ ،
وَأَلْفَ أَلْفٍ^(٧) ، وَأُعْطِيَ الْأَمَانَ ، فَأَتَى^(٨) ، وَمَشَى بِسَيْفِهِ حَتَّى مَاتَ ؛ ذَلِكَ مُضْعَبُ
ابْنِ الزُّبَيْرِ ، لَا مَنْ قَطَعَ الْجَسُورَ مَرَّةً هَلْهَنَا وَمَرَّةً هَلْهَنَا^(٩) .

قالوا^(١٠) : وَكَانَ مَقْتَلُهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ النِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ
وَسَبْعِينَ .

وقال الزبير بن بكار^(١١) : حَدَّثَنِي فُلَيْحُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ وَجُفَعَرُ بْنُ أَبِي

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٦ - ١٠٧ ، وتاريخ دمشق ١٦ / ٥٤١ (مخطوط) .

(٢) بعده في الأصل : « وأكرم العرب » . وفي ٣١ ، ٢١ ، م : « والروم » .

(٣) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « وقال آخر » .

(٤) في الأصل : « الناس وأكرم العرب » ، وفي ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « الناس » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٥ - ٥) في الأصل ، ص ، وتاريخ دمشق : « ابنة زبان بن » ، وفي ٣١ ، ٢١ ، م : « وابنه ريان بن » .

والمثبت من تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٧ ، ومختصر تاريخ دمشق ٢٤ / ٣٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ٤ / ١٤١ .

(٦) بعده في الأصل : « ففرقها في الناس وهؤلاء الأربع نسوة أعظم أهل زمانهن حسبا وجمالا » ، وبعده

في ٣١ ، ٢١ : « مع ما لنفسه من الأموال وغير ذلك وملك من الأثاث والدواب والأموال ما لا يحصى » ،

وبعده في م : « مع ما لنفسه من الأموال وملك غير ذلك من الأثاث والدواب والأموال ما لا يحصى » .

(٧) في ٣١ ، ٢١ ، م : « وأن يسلم هذا له جميعه مع الحياة فزهد في هذا كله وأبى واختار القتل على مقام

ذل ومفارقة هذا كله » .

(٨) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « فهذا هو الرجل وهذا هو الزهد » .

(٩) تاريخ دمشق ١٦ / ٥٤٣ (مخطوط) .

(١٠) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٧ ، وتاريخ دمشق ١٦ / ٥٣٦ (مخطوط) ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٤ / ٣٢٨ .

كثير^(١)، عن أبيه، قال: لما وُضِعَ رأسُ مُضْعَبِ بْنِ الزَّيْبِرِ بَيْنَ يَدَيِ عَبْدِ الْمَلِكِ
قال:

لقد أَرَدَى الفوارسَ يومَ عَبَسَ غلاماً^(٢) غيرَ مُنَاعِ المتاعِ
ولا فَرِحَ لخيرٍ^(٣) إنْ أتاهُ ولا هَلِيعٍ مِنَ الحَدَثَانِ لَاعٍ^(٤)
[٦٥/٧] ولا وَقَافَةٍ^(٥) والحيلُ تَعْدُو ولا خَالٍ كَأَنْبُوبِ اليراعِ
فقال الرجلُ الذي جاء برأسه: واللَّهِ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لو رَأَيْتَهُ والرمحُ في يده
تارَةً، والسيفُ تارَةً؛ يَفْرَى بهذا، ويطعُنُ بهذا، لرَأَيْتَ رجلاً يملأُ القلبَ والعينَ
شجاعةً^(٦) وإقداماً، و^(٧) لكنَّهُ لما تَفَرَّقَتْ^(٨) رجاله، وكثُرَ مَنْ قَصَدَهُ وبقي وحده ما
زال يُنْشِدُ:

ولأني على المكروهِ عندَ حضورهِ أَكْذَبُ نَفْسِي والجُفُونُ لَهُ^(٩) تُغْضِي
وما ذاكَ مِنْ دُلٍّ ولكنَّ حَفِيزَةً أَذُبُ بها عندَ المكارمِ عن عِرْضِي
ولأني لأهلِ الشَّرِّ بالشَّرِّ مَرَصَدٌ ولأني لِيذَى سِلْمٍ أَذَلُّ مِنَ الأَرْضِ
فقال عبدُ المَلِكِ: كانَ واللَّهِ كما وَصَفَ به نَفْسَهُ وَصَدَقَ، ولقد كانَ مِنْ
أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَشَدَّهُمْ لِي إلفاً ومودَّةً، ولكنَّ المَلِكَ عَقِيمٌ.

(١) في ٣١، ٢١، م: «بشير».

(٢) في الأصل، م: «غلام».

(٣) في ٣١، ٢١، م: «بخير».

(٤) يقال: رجل هائج لائح، ولاع. يعني: جبان ضعيف. التاج (ل و ع).

(٥) في الأصل، ٣١، ٢١، م: «رقابة». والوقوف: المحجم عن القتال. اللسان (و ق ف).

(٦ - ٦) سقط من: م.

(٧) بعده في ٣١، ٢١، م: «عنه».

(٨) في م: «فلم».

(٩) في تاريخ بغداد، وتاريخ دمشق، ومختصر تاريخ دمشق: «تنضي».

وروى يعقوب بن سفيان^(١)، عن سليمان بن حرب، عن غسان بن مضر، عن سعيد بن يزيد، أن عبيد الله بن زياد بن ظبيان قتل مُصعباً عند دِيرِ الجاثليقي على شاطئ نهر يُقال له : دُجِيلٌ . من أرضِ مَسْكِنَ ، واحتزَّ رأسه فذهب به إلى عبد الملك فسجد شكراً لله ، وكان ابنُ ظبيانَ فاتكاً ردِّياً^(٢) ، وكان يقول : لَيْتَنِي قَتَلْتُ عَبْدَ الْمَلِكِ حِينَ سَجَدَ يَوْمَئِذٍ ، فَأَكُونَ قَدْ قَتَلْتُ مَلِكِي الْعَرَبِ .

قال يعقوب^(٣) : وكان ذلك سنةَ ثنتين وسبعين^(٤) . قلتُ : وكذا قال علي بن محمد المدائني^(٥) . والذي رجَّحه ابنُ جرير وغيره^(٦) أنه سنة إحدى وسبعين^(٧) . والله أعلم .

وحكى الزبير بن بكار^(٨) في عُمره يومَ قِتْلِ ثلاثةِ أقوالٍ ؛ أحدها خمسٌ وثلاثون سنةً ، والثاني أربعون سنةً ، والثالثُ خمسٌ وأربعون سنةً . فالله أعلم .

وروى الخطيبُ البغدادي^(٩) ، أنَّ امرأته سُكينةَ بنتَ الحسينِ كانت معه في هذه الواقعة^(١٠) فلما قُتِلَ تطلَّبتُه في القَتلى حتى عرَفته بِشامةٍ في فِخْذِهِ^(١١)

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٧ ، ١٠٨ مختصراً ، وتاريخ دمشق ١٦ / ٥٤٠ (مخطوط) ، مختصراً .

(٢) في ص : « ردِّياً » .

(٣) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٨ ، وتاريخ دمشق ١٦ / ٥٤٣ (مخطوط) .

(٤ - ٤) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٥) تاريخ دمشق ١٦ / ٥٤٤ (مخطوط) ، وانظر تاريخ الطبري ٦ / ١٦٢ .

(٦) تاريخ دمشق ١٦ / ٥٤٣ (مخطوط) .

(٧) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٨ ، وتاريخ دمشق ١٦ / ٥٤٤ .

(٨) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٨ ، وانظر تاريخ دمشق ١٦ / ٥٤٠ .

(٩) بعده في الأصل : « فلما أيقنت أنه مقتول نادى وامصعابه فقال مصعب لو سمعت منك هذا الكلام قبل هذا اليوم ما قتلت هذا المقام يعني أنها ما كانت تظهر له محبتها فلما علم بحبها إياه ندم على إقدامه على الموت » .

(١٠) في م : « خده » .

فَقَالَتْ : نَعَمْ بَعْلُ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ كُنْتُ ، أَدْرَكَكَ وَاللَّهِ مَا قَالَ عَنَتْرَةُ^(١) :

وَحَلِيلِ^(٢) غَانِيَةٍ تَرَكَتُ مُجَدَّلًا^(٣) بِالْقَاعِ لَمْ يَعْهَدْ وَلَمْ يَتَثَلَّمِ

[٦٥/٧ ط] فَهَتَّكَتُ بِالرُّمَحِ الطَّوِيلِ إِهَابُهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمَحْرَمِ

قَالَ الزَّيْبُرُ^(٤) : وَقَالَ عَبِيدُ^(٥) اللَّهُ بَنُ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ يَزُوثِي مُصْعَبَا :

لَقَدْ أَوْرَثَ الْمِصْرَيْنِ خِزْيًا^(٦) وَذِلَّةً قَتِيلٌ بِدَيْرِ الْجَائِلِيْقِ مُقِيمٌ

فَمَا نَصَحْتُ لِلَّهِ بِكَرْبُ بَنٍ وَائِلٍ وَلَا صَدَقْتُ يَوْمَ الْلِقَاءِ تَمِيمٌ

وَلَوْ كَانَ بَكْرِيًّا تَعَطَّفَ^(٧) حَوْلَهُ كِتَابُ^(٨) يَغْلَى حَمِيْهَا وَيَدُومُ

وَلَكِنَّهُ ضَاعَ الذُّمَامُ وَلَمْ يَكُنْ بِهَا مُضَرِّي يَوْمَ ذَاكَ كَرِيمٌ

جَزَى اللَّهُ كُوفِيًّا هُنَاكَ مَلَامَةً وَبَضْرِيَّهِمْ^(٩) إِنَّ الْمَلُومَ مَلُومٌ

وَلِإِنَّ بَنِي الْعَلَاتِ أَخْلَوْا ظُهُورَنَا وَنَحْنُ صَرِيخٌ بَيْنَهُمْ^(١٠) وَصَمِيمٌ

فَإِنْ^(١١) نَفَرْنَا لَا يَبْقَى^(١٢) أَوْلَئِكَ بَعْدَنَا لِيَذِي حُزْمَةٍ فِي الْمُسْلِمِينَ حَرِيمٌ

(١) البيتان في الديوان ١٠٢، وجمهرة أشعار العرب ٢ / ٤٩٤ - ٤٩٦.

(٢) في ٣١، ٢١، م: «خليل».

(٣) في م: «مجندلاً».

(٤) الأخبار الموقفيات ٥٣٣ بنحوه، وانظر تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٨، وتاريخ دمشق ١٦ / ٥٤٤.

(٥) في النسخ: «عبد». والمثبت من مصدر التخريج، والأبيات في ديوان عبيد الله بن قيس ١٩٦.

(٦) في النسخ: «حرثاً»، والمثبت من مصادر التخريج، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٤ / ٣٣١.

(٧) في م: «يعطف».

(٨ - ١) في ٣١: «قد جرونها»، وفي ٢١: «حرها»، وفي حاشيتها: «يحررها»، وفي م: «يقي

حرها».

(٩) في الأصل، ٣١، ٢١، ص: «نصرتهم».

(١٠) سقط من: الأصل، وفي ٣١، ٢١، ص: «منهم».

(١١ - ١٢) في الأصل: «تقين لا تبق»، وفي ٣١: «تفن لا تبقى».

وقال 'عبيد' ^(٢) الله بن قيس الرقيات يرثي مصعباً أيضاً ^(١) :

نَعَتِ السَّحَابُ وَالْعَمَامُ بِأَسْرِهَا جَسَدًا بِمَسْكِنٍ عَارِي الْأَوْصَالِ
تُمَسِّي عَوَائِدَهُ السَّبَاعُ وَدَارُهُ بِمَنَازِلِ أَطْلَالُهُنَّ بَوَالِي
رَحَلَ الرَّفَاقُ وَغَادَرُوهُ ثَاوِيًا لِلرَّيْحِ بَيْنَ صَبَا وَبَيْنَ شَمَالِ
وقد قال أبو حاتم الرازي ^(٣) : ثنا يحيى بن مصعب الكلبي ، ثنا أبو بكر بن
عياش ، عن عبد الملك بن عُمير قال : دخلتُ القصرَ بالكوفة فإذا رأسُ الحسين بنِ
عليٍّ على ثُرسِ بينَ يَدَي عبيدِ الله بنِ زيادٍ ، وعبيدُ الله على السَّريرِ ، ثم دخلتُ
القصرَ بعد ذلك بحينِ فرأيتُ رأسَ عبيدِ الله بنِ زيادٍ على ثُرسِ بينَ يَدَي المختارِ ،
والمختارُ على السَّريرِ ، ثم دخلتُ القصرَ بعدَ ذلك بحينِ فرأيتُ رأسَ المختارِ ^(٤) على
ثُرسٍ ^(٥) بينَ يَدَي مصعبٍ ، ومصعبٌ على السَّريرِ ، ثم دخلتُ ^(٦) بعدَ ذلك بحينٍ ^(٥)
فرأيتُ رأسَ مصعبٍ بنِ الزبيرِ على ثُرسٍ بينَ يَدَي ^(٦) عبدِ الملكِ ، وعبدُ الملكِ
على السَّريرِ . وقد حكاها الإمامُ أحمدُ ، وغيرُ واحدٍ ^(٧) ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُميرِ
رَجَمَهُ اللهُ ^(٨) .

(١ - ١) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٢) في ٣١ ، ٢١ ، م : «عبد» ، وانظر الديوان ١٩١ .

(٣) تاريخ دمشق ٥٤١/١٦ (مخطوط) .

(٤ - ٤) زيادة من : م .

(٥ - ٥) في الأصل : «القصر بعد ذلك بحين» ، وفي ٣١ ، ٢١ ، م : «القصر بعد حين» .

(٦) سقط من : م .

(٧) انظر تاريخ دمشق ٥٤١/١٦ (مخطوط) .

(٨) بعده في : ٣١ ، ٢١ ، م : «فصل : وكان لمصعب من الولد عكاشة وعيسى الذي قتل معه ، وسكينة ،
وأُمهم فاطمة بنت عبد الله بن السائب ، وعبد الله ، ومحمد وأُمهما عائشة بنت طلحة ، وأُمها أم كلثوم
بنت أبي بكر الصديق ، وجعفر ومصعب وسعيد وعيسى الأصغر ، والمنذر لأُمها شثي ، والرباب وأُمها
سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنهم» .

قلت : وفي هذا الكلام خطأ وتخليط في أسماء أولاد مصعب وأُمهاتهم ، وهو كلام مخالف لمصادر ترجمته .

قال ابن جرير^(١) : وذكر أبو زيد ، عن أبي غسان محمد بن يحيى ، حدثني مصعب بن عثمان قال : لما انتهى إلى عبد الله بن الزبير قُتِلَ أخيه مصعب ، قام في الناس خطيباً فقال : الحمد لله الذي له الخلق والأمر ، يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء^(٢) ، ألا وإنه لم يذل الله من كان الحق معه ، وإن كان فرداً وحده ، ولن يفليح من كان وليه الشيطان وحزبه ، ولو كان معه الأنام طراً^(٣) ، ألا وإنه أتانا من العراق [٦٦/٧] خبر أحزننا وأفرحنا ؛ أتانا قُتِلَ مصعب رحمه الله^(٤) ، فأما الذي أفرحنا فإعلمنا أن قُتِلَ له شهادة ، وأما الذي أحزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة به ، ثم يرعوى من بعديها ، وذو الرأي جميل الصبر كريم العزاء ، ولئن أصبت بمصعب فلقد أصبت بالزبير قبله ، وما أنا من عثمان بخلو مصيبة ، وما مصعب إلا عبد من عبيد الله ، وعون من أعوانى ، ألا وإن أهل العراق أهل الغدر والتفاق ؛ أسلموه وباعوه بأقل الثمن ، فإن يقتل فإننا والله ما نموت على مضاجعنا كما تموت بنو أبي العاص ؛ والله ما قُتِلَ منهم رجل فى زحف فى الجاهلية ولا فى الإسلام ، وما نموت إلا بأطراف الرماح أو تحت ظل السيوف^(٥) ، ألا وإن الدنيا عارية من الملك الأعلى الذى لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه ، فإن تقبل الدنيا لا أخذها أخذ الأشر البطير ، وإن تدبر لا أبك عليها بكاء الحزين^(٦) المهين ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٦ / ١٦٦ ، من طريق يزيد به ، بنحوه .

(٢) بعده فى الأصل : « بيده الخير وهو على كل شىء قدير » .

(٣) زيادة من : م .

(٤) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « فأحزننا » .

(٥) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « فإن بنى أبى العاص يجمعون الناس بالربغات والرهبات ، ثم يقاتلون بهم أعداءهم من خير منهم وأكرم ، ولا يقاتلون بأنفسهم زحفاً » .

(٦) فى تاريخ الطبرى : « الحرق » . وبعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « الأسف » .

وَمَنْ تُوْفِيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ :

إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ^(١) ، واسمُ الْأَشْتَرِ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ النَّخَعِيُّ . كان أبوه الْأَشْتَرُ مِنْ كِبَارِ أُمَرَاءِ عَلِيٍّ ، واستعمله عليٌّ على خراسانَ ، وهو ممن^(٢) قام على عثمانَ وقتله ، وكان إبراهيمُ هذا مِنْ الْأُمَرَاءِ^(٣) المعروفينَ بالشجاعةِ وله شرفٌ ، وهو الذي قَتَلَ عبيدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ كما ذكرنا^(٤) ، ثم صار إلى مصعبِ بْنِ الزبيرِ ، وقَتِلَ معه هذه السَّنَةُ كما ذكرنا^(٥) .

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِزَى الْخُزَاعِيُّ^(٦) ، له صحبةٌ وروايةٌ ، واستعمله عليٌّ على خراسانَ ، وسكَنَ الكوفةَ ووليها مرةً . تُوْفِيَ بالكوفةِ^(٧) .

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُسَيْلَةَ^(٨) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَرَادِيُّ^(٩) الصُّنَابَحِيُّ^(١٠) ، كان مِنْ الصُّلَحَاءِ ، وكان عَبْدُ الْمَلِكِ يُجْلِسُهُ معه على السَّرِيرِ ، وكان عالماً فاضلاً ، تُوْفِيَ بدمشقَ .

(١) ترجمته في : جمهرة أنساب العرب ٤١٥ ، سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٥ ، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣٤٤ ، العبر ١ / ٨١ ، الوافي بالوفيات ٦ / ٩٩ ، مرآة الجنان ١ / ١٤٨ .

(٢ - ٢) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٣) زيادة من : الأصل .

(٤) انظر ما تقدم في ص ٤٧ .

(٥ - ٥) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٦) انظر ما تقدم في ص ١٣٩ .

(٧) الاستيعاب ٢ / ٨٢٢ ، وأسد الغابة ٣ / ٤٢٢ - ٤٢٣ ، والإصابة ٤ / ٢٨٢ - ٢٨٣ .

(٨) في م : «غسيلة» . وانظر ترجمته في : الاستيعاب ٢ / ٨٤١ ، وأسد الغابة ٣ / ٤٧٥ ، والإصابة ٥ / ١٠٥ .

(٩) في ٢١ : «ابن المرادي» .

(١٠) بعده في الأصل : «نزىل الشام هاجر إلى المدينة فتوفى قبل قدوم النبي ﷺ» . والذي في ترجمته أنه هاجر إلى المدينة ، فلما وصل إلى الجحفه لقيه الخبر بوفاة النبي ﷺ قبله بخمسة أيام .

«عمر بن أبي سلمة»^(١) الخزومي المدني، ربيب النبي ﷺ، ولد بأرض الحبشة^(٢) وكان عند أمه؛ أم سلمة. وله روايات عن النبي ﷺ، وعن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم^(٣).

سفينه مؤلى رسول الله ﷺ، أبو عبد الرحمن^(٤)، كان عبداً لأم سلمة فاعتقته وشرطت عليه أن يخدم رسول الله ﷺ^(٥)، فقال: أنا لا أزال أخدم رسول الله ﷺ، لو لم تعتقني ما عشت. وقد كان سفينة بآل رسول الله ﷺ أليفاً، وبهم خليطاً. وروى الطبراني^(٦) أن سفينة سئل عن اسمه؛ لم سمي سفينة؟ قال: سماني رسول الله ﷺ سفينة؛ خرج مرةً معه أصحابه فنقل عليهم متاعهم، فقال لى رسول الله ﷺ: «ابسط كساءك». فبسطه^(٧)، فجعل فيه متاعهم، ثم قال لى: «احمل»، ما أنت إلا سفينة^(٨). قال: فلو حملت يومئذٍ وقر بعير أو بعيرين أو خمسة أو ستة ما ثقل على.

وروى محمد بن المنكدر^(٩)، عن سفينة قال: ركبت مرةً سفينةً فى البحر^(١٠)

(١ - ١) فى م: «عمر بن سلمة». وترجمته فى: الاستيعاب ٣ / ١١٥٩، وأسد الغابة ٤ / ١٨٣، والإصابة ٤ / ٥٩٢.

(٢ - ٢) زيادة من: الأصل.

(٣) الاستيعاب ٢ / ٦٨٤، وأسد الغابة ٢ / ٤١١، والإصابة ٣ / ١٣٢. وتقدم ذكره فى باب ذكر عبيد الرسول وخدمه ﷺ، فى ٨ / ٢٦١.

(٤) بعده فى الأصل: «ما عاش وله روايات توفى بالمدينة».

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ص.

(٦) المعجم الكبير ٧ / ٩٦ - ٩٧ (٦٤٣٩). وقد تقدم تخريج الحديث - عند غير الطبراني - فى ٨ / ٢٦١ - ٢٦٢.

(٧) فى ٢١: «فبسطه».

(٨ - ٨) سقط من: ٢١.

(٩) تقدم تخريجه فى ٨ / ٢٦٣.

^(١) فانكسرت بنا فركبت لوحاً منها فطرحنى البحر إلى غيضة فيها الأسد ، فجاءنى فقلت : يا أبا الحارث ، أنا سفينة مؤلى رسول الله ﷺ ، فطأطأ رأسه وجعل يدفئنى بجنبه أو بكفه ، حتى وضعتنى على الطريق ، ثم همهم هممة فظننت أنه يؤدئنى . وقال حماد بن سلمة ^(٢) : ثنا سعيد بن جهمان ، عن سفينة أن رسول الله ﷺ دخل بيت فاطمة فرأى فى ناحية البيت قراماً ^(٣) مضروباً فرجع ولم يدخل ، فقالت فاطمة لعلى : سل رسول الله ﷺ ما الذى رده ؟ فسأله فقال : « ليس لى ولا لنبى أن يدخل بيتاً مزوّقاً » ^(٤) .

عمرو ^(٥) بن أخطب أبو زيد الأنصارى الأعرج ^(٦) ، غزا مع النبى [٦٦/٧ ظ] ﷺ ثلاث عشرة غزوة ، ^(٧) ومسح رأسه وقال ^(٨) : « اللهم جملّه » . فبلغ مائة سنة ولم يبيض شعره . توفى بالبصرة ^(٩) .

^(٨) غضيف بن الحارث بن زئيم السكونى ^(٩) ، مختلف فى صحبته ، له

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٥٥) ، وابن ماجه (٣٣٦٠) ، والإمام أحمد فى المسند ٥ / ٢٢٠ - ٢٢١ ، ٢٢٢ . حسن (صحيح سنن أبى داود ٣١٩٤) .

(٣) القرام : ستر فيه رقم أو نقوش .

(٤) فى النسخ : « عمر » . والمثبت من مصادر ترجمته المذكورة فى الحاشية التالية .

(٥) الاستيعاب ٤ / ١٦٦٤ ، وأسد الغابة ٦ / ١٢٨ ، والإصابة ٤ / ٥٩٩ ، ٧ / ١٥٨ .

(٦ - ٦) زيادة من : الأصل .

(٧) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٥ / ٧٧ ، ٣٤١ ، والترمذى (٣٦٢٩) . وفى الموضع الثانى عند أحمد ، وكذا عند الترمذى القصة فقط دون اللفظ . قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب . قال الألبانى : صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٨٦٩) .

(٨ - ٨) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٩) الاستيعاب ٣ / ٢٥٤ ، وأسد الغابة ٤ / ٣٤٠ ، والإصابة ٥ / ٣٢٣ .

١١ روايات عن الصحابة، قيل: هو من تابعي أهل الشام. سكن حمص، وكان يتولّى صلاة الجمعة نيابة عن خالد بن يزيد. وكان من الصالحين^(١).

يزيد بن الأسود الجُرَشِيُّ الشَّكُونِيُّ^(٢)، كان عابداً زاهداً صالحاً، سكن الشام بقرية زبدین^(٣)، وقيل: بقرية جسرین^(٤). وكانت له دارٌ داخل باب شرقي. وهو مُختلفٌ في ضحيته، وله روايات عن الصحابة، وكان أهل الشام يستسقون به إذا قحطوا، وقد استسقى به معاوية، والضحاك بن قيس، وكان يُجْلِسُهُ معه على المنبر، «فإذا اجتمع الناس»^(٥) قال معاوية: قُمْ يزيد، اللهم إنا نتوسلُ إليك بخيارنا وصلاحنا. فيستسقى الله فيسقون، وكان يصلي الصلوات في الجامع بدمشق، وكان إذا خرج من القرية يريد الصلاة بالجامع في الليلة المظلمة يُضِيءُ له إبهام قدمه - وقيل: أصابع رجله كلها - حتى يدخل الجامع، فإذا رجع أضاءت له حتى يدخل القرية. وذكروا أنه لم يدع شجرة في قرية زبدین^(٦) إلا صلى عندها ركعتين، وكان يمشي في ضوء إبهامه في الليلة المظلمة ذاهباً إلى صلاة العشاء بالجامع بدمشق، وآيئاً إلى قريته، وكان يشهد الصلوات بالجامع بدمشق لا تفوته به صلاة.

مات بقرية زبدین^(٦) أو جسرین^(٧) من غوطة دمشق، رحمه الله.

(١ - ١) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٢) سقط من الأصل. وترجمته في: الاستيعاب ٤ / ١٥٧٠، وأسد الغابة ٥ / ٤٧٦، والإصابة ٦ / ٦٩٧.

(٣) في الأصل، ٣١، م: «زيد بن». وزبدین: قرية في الغوطة الشرقية شرق دمشق، سير أعلام النبلاء ٤ / ١٣٦، حاشية (٤).

(٤) في الأصل، ٢١، ص: «جزين». وفي ٣١، م: «جرين». وجسرین - بكسر الجيم - : من قرى غوطة دمشق. مرصد الأطلاع ١ / ٣٣٤.

(٥ - ٥) سقط من: م، ص.

(٦) في ٢١: «زبدین».

(٧) في ٢١، م: «جرين».

”عمرو بن الأسود، أبو عياض العنسي الحمصي، من كبار علماء التابعين بالشام، صاحب زهد وعبادة واجتهاد، قليل التشيع. توفي بحمص“.

(١ - ١) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص. وانظر ترجمته في: تاريخ دمشق ١٣ / ٣٩٠ (مخطوط)، وأسد الغابة ٤ / ١٩٢، والإصابة ٥ / ١٥٩ وسير أعلام النبلاء ٤ / ٧٩، ٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٤٩٠.

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين

ففيها كانت وقعة عظيمة بين المهلب بن أبي صفرة وبين الأزارقة من الخوارج بمكان يقال له: سولاف^(١). مكثوا نحوًا من ثمانية أشهر متواقفين^(٢)، وجزت بينهم حروب يطول بسطها، وقد استقصاها ابن جرير^(٣). وقيل في أثناء ذلك من هذه المدة مصعب بن الزبير^(٤) وبائع الناس عبد الملك بن مزوان، وأمر عبد الملك المهلب بن أبي صفرة على الأهواز وما معها، وشكر سعيه، وأثنى عليه ثناء كثيرًا، ثم تواقع الناس في دولة عبد الملك بالأهواز، فكسر الناس الخوارج كسرة عظيمة، وهربوا في البلاد لا يلبثون^(٥) بل يولولون^(٦)، وأتبعهم خالد بن عبد الله أمير الناس، وداود بن قحذم^(٧) ليطردهم^(٨)، وأرسل عبد الملك إلى أخيه بشر بن مزوان أن يمددهم^(٩) بأربعة آلاف، فبعث إليه أربعة آلاف عليهم عتاب ابن ورقاء، فطردهوا الخوارج كل مطرد، ولكن لقي الجيش جهدًا عظيمًا ومات

(١) في م: «سولاق». وسولاف: قرية غربي دجيل من أرض خوزستان. معجم البلدان ٣ / ١٩٦.

(٢) في ٢١: «متواقفين».

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ١٦٨.

(٤) (٤ - ٤) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٥ - ٥) في ٣١، ٢١، م: «على أحد».

(٦) في الأصل: «مجدم». وفي ٣١، م: «محتدم». وفي ٢١: «محيديم». وفي ص: «مخدم».

والثابت من الطبري ٦ / ١٧٣، وانظر الكامل ٤ / ٣٤٤.

(٧) في ٣١، ٢١، م: «فطردهم». وفي ص: «ليطردهم».

(٨) في الأصل، ص: «يمده».

(٩ - ٩) سقط من: ص.

خيولهم ولم يرجع أكثرهم^(١) إلا مشاة إلى أهليهم .

قال ابن جرير^(٢) : وفي هذه السنة كان خروج أبي فُذَيْك الحارثي ، وهو من بني قيس بن ثعلبة ، وغلب على البحرين ، وقتل نجدة بن عامر الحارثي ، فبعث إليه خالد بن عبد الله أمير البصرة أخاه أمية بن عبد الله^(٣) في جيش كثيف ، فهزمهم أبو فُذَيْك وأخذ جارية لأميته واصطفها لنفسه ، وكتب [٦٧/٧] خالد بن عبد الله أمير البصرة إلى عبد الملك يُعلمه بما وقع ، واجتمع على خالد حرب^(٤) أبي فُذَيْك ، وحرب^(٥) الأزارقة أصحاب قطري بن الفجاءة بالأهواز .

قال ابن جرير^(٦) : وفيها بعث عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي إلى عبد الله بن الزبير ليحاصره بمكة ، قال : وكان السبب في بعثه له دون غيره ، أن عبد الملك بن مروان لما أراد الرجوع إلى الشام بعد قتله مصعبا وأخذه العراق ، ندب الناس إلى قتال عبد الله بن الزبير بمكة فلم يُجبه أحد إلى ذلك ، فقام الحجاج ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أنا له . وقص الحجاج على عبد الملك مناماً زعم أنه رآه ؛ قال : رأيْتُ يا أمير المؤمنين كأنني أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته ، فابعثت بي إليه فإني قاتله . فبعثه في جيش كثيف من أهل الشام وكتب معه أماناً لأهل مكة إن هم أطاعوا .

(١) في ص : « إلا أكثرهم » .

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ١٧٤ .

(٣) سقط من : م .

(٤) بعده في ٢١ : « أمير البصرة » .

(٥) في ٣١ ، : « حزب » .

(٦) تاريخ الطبري ٦ / ١٧٤ .

قالوا : فخرج الحجاج في جمادى من هذه السنة ومعه ألفا فارس من أهل الشام ، فسلك طريق العراق ولم يعرض للمدينة حتى نزل الطائف ، وجعل يبعث البعث إلى عرفة ، ويرسل ابن الزبير الخيول فيلتقيان فتَهْزِمُ خيل ابن الزبير ، وتظفرُ خيل الحجاج ، ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحرم ومحاصرة ابن الزبير ؛ فإنه قد كَلَّتْ شوكتُه ^(١) ، وتفرَّقَ عنه عامَّةُ أصحابه ، وسأله أن يَمُدَّهُ برجالٍ أيضًا ، فكتب عبد الملك إلى طارق بن عمرو يأمره أن يَلْحَقَ بِمَنْ معه بالحجاج - ^(٢) وكان طارق يتولَّى المدينة لعبد الملك ، وكان قد أمره عبد الملك أن يكونَ مقيمًا بوادي القرى بمن معه من جيش المدينة وغيرها ، وكان في نحو خمسة آلاف ، من الشام منهم ثلاثة آلاف ^(٣) - وارتحل الحجاج من الطائف فنزل بئر ميمون ^(٤) ، وحصر ابن الزبير بالمسجد ، فلما دخل ذو الحِجَّة حجَّ بالناس الحجاج في هذه السنة ، وعليه وعلى أصحابه السلاح وهم وقوفٌ بعرفات ، وكذا فيما بعدها ^(٥) من المشاعر ^(٦) ، وابن الزبير محصور لم يتمكن من الحج هذه السنة ، بل نحر بُدْنًا يوم النحر ، وهكذا لم يتمكن كثير ^(٧) ممن معه من الحج ، وكذا لم يتمكن كثير ^(٨) ممن مع الحجاج وطارق بن عمرو أن يطوفوا بالبيت ، فبقوا على إحرامهم لم يحصل لهم التحلل الثاني ، والحجاج وأصحابه نُزِلَ بين الحجون ^(٩) وبئر ميمون ^(١٠) ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

(١) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « وملت جماعته » .

(٢ - ٢) زيادة من : الأصل .

(٣) في ٣١ ، ٢١ ، م : « ميمونة » . وميمون : بئر بمكة . معجم البلدان ٤ / ٧١٩ .

(٤ - ٤) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص .

(٦ - ٦) في ٣١ : « بين ميمون » ، وفي ٢١ : « بين ميمونة » . وانظر حاشية (٣) .

قال ابن جرير^(١): وفي هذه السنة كتب عبد الملك إلى عبد الله بن خازم^(٢)
 أمير خراسان يدعوه إلى بيعته ويُقَطِّعُه خُراسانَ سبع سنين، فلما وصل إليه [٦٧/٧] ^ظ
 الكتاب قال للرسول: بعثك أبو الذِّبَّانِ^(٣)؟ والله لولا أن الرُّسُلَ لا تُقَتَّلُ
 لقتلتك، ولكن كل كتابه. فأكله، وبعث عبد الملك إلى بُكَيْرِ^(٤) بن وشاح نائب
 ابن خازم على مرو يبعده^(٥) بإمرة خراسان إن هو خلَعَ عبدَ اللهِ بنَ خازمٍ، فخلَّعه،
 فجاءه ابنُ خازمٍ فقاتله فقتل في المعركة عبدُ اللهِ بنُ خازمٍ^(٦)؛ قتله رجل يُقال له:
 وَكِيعُ بنُ عُمَيْرَةٍ. لكن كان قد ساعده غيره، فجلس وكيع على صدره وفيه
 رَمَقٌ^(٧)، فذهب لينوء^(٨) فلم يتمكن من ذلك، وجعل وكيع يقول: يا ثاراتِ
 ذُوَيْلَةَ - يعني أخاه - وكان ذُوَيْلَةُ قد قتله ابنُ خازمٍ، ثم إنَّ ابنَ خازمٍ تنحَّم في
 وجهِ وَكِيعٍ، قال وكيع: لم أرَ أحدًا أكثرَ ريقًا منه في تلك الحال. وكان^(٩) أبو
 هُبَيْرَةَ^(٩) إذا ذَكَرَ هذا يقول: هذه والله البسالة. وقال له ابنُ خازم: ويحك،
 أتقتلُنِي بأخيكَ؟ لعنكَ اللهُ،^(١٠) «أَتَقْتُلُ كَبِشَ مَضَرَ بِأَخِيكَ^(١١) العُلجِ^(١١)» وكان لا

(١) تاريخ الطبري ٦ / ١٧٦.

(٢) في ٢١: «خازم».

(٣) في الأصل، ٢١، م، ص: «الذبان». وانظر تاريخ الطبري ٦ / ١٧٦، والكامل ٤ / ٣٤٥.

(٤) في ٣١: «بكر».

(٥) في الأصل، ٢١: «بعده».

(٦) بعده في ٣١، ٢١، م: «أمير خراسان».

(٧) بعده في ٢١: «فمتكه». والعبارة في الطبري: «فقد وكيع على صدره فقتله».

(٨) في الأصل: «ليثور».

(٩ - ٩) في النسخ «أبو هريرة». والمثبت من تاريخ الطبري ٦ / ١٧٧.

(١٠ - ١٠) سقط من: الأصل.

(١١) سقط من: الأصل، ص.

يساوى كفاً من تراب؟ أو قال: من نوى. قالوا^(١): فاحتز رأسه وأقبل بُكير^(٢) ابنُ وشاح فأراد أخذَ الرأسِ فمنعه منه بجير^(٣) بنُ ورقاء^(٤) فضربه بُكيرُ بنُ وشاح^(٥) بعمودٍ وقيدِه، ثم أخذَ الرأسَ ثم بعثه إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ وكتبَ إليه بالنصرِ والظفرِ^(٦) ومقتلِ عبدِ اللهِ بنِ خازمٍ^(٧)، فسُرَّ بذلك سرورًا كثيرًا، وكتبَ إلى بُكيرٍ^(٨) بنِ وشاحٍ فأقرَّه على نيابةِ خراسانَ.

وفى هذه السنة أُخِذَتِ المدينةُ من نوابِ^(٩) ابنِ الزبيرِ، واستتاب فيها عبدُ الملكِ بنُ مزوانَ طارقَ بنَ عمرو^(١٠) الذى كان بعثه مددًا للحجاجِ^(١١) على ابنِ الزبيرِ^(١٢).

وهذه ترجمة ابنِ خازمٍ^(١٣)

هو عبدُ الله بنُ خازمِ بنِ أسماءَ السلمي، أبو صالحِ البصري، أميرُ خراسانَ، أخذُ الشجعانِ المذكورينَ، والفرسانِ المشكورينَ. قال شيخُنا الحافظُ أبو

(١) فى ٣١، ٢١، م: «قال».

(٢) فى ٣١: «بكر».

(٣) فى ٣١، ٢١، م: «بجير». وانظر تاريخ الطبرى ٦ / ١٧٧.

(٤ - ٤) سقط من: م، ص.

(٥ - ٥) سقط من: م.

(٦) بعده فى الأصل، ص: «ورأسه».

(٧) سقط من: م، ص.

(٨) فى ٣١، ٢١: «عمير».

(٩ - ٩) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(١٠) الاستيعاب ٣ / ٨٨٦، وأسد الغابة ٣ / ٢٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ)

ص ٣٤. والإصابة ٤ / ٦٩.

الحجاج المزني في «تهذيبه»^(١) : يُقال : له صحبةٌ . روى عن النبي ﷺ في
 الإمامة السوداء ، وهو عند أبي داود والترمذي والنسائي ، لكن لم يُسموه^(٢) .
 روى عنه سعد بن عثمان الرازي ، وسعيد بن الأزرق . روى أبو بشر^(٣) الدولابي
 أنه قُتل في سنة إحدى وسبعين . وقيل : في سنة سبع وثمانين . وليس هذا القول
 بشيء . انتهى ما ذكره شيخنا في «التهذيب» . وقد ذكره الحافظ^(٤) أبو
 الحسين^(٥) ابن الأثير في «الغاية في أسماء الصحابة»^(٦) ، فقال : عبد الله بن خازم
 ابن أسماء بن الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن سمالك بن عوف بن امرئ
 القيس بن بُهثة^(٧) [٦٨/٧] بن سليم بن منصور ، أبو صالح السلمى ، أمير
 خراسان ، شجاع مشهور ، وبطل مذكور ، روى عنه سعيد بن الأزرق ، وسعد
 ابن عثمان ، قيل : إن له صحبة . وفتح سَرْخَس ، وكان أميراً على خراسان أيام
 فتنة ابن الزبير ، وأول ما وليها سنة أربع وستين بعد موت يزيد بن معاوية وابنه
 معاوية ، وجرى له فيها حروب كثيرة حتى تم أمره بها ، وقد استقصينا أخباره في
 كتاب «الكامل في التاريخ»^(٨) ، وقُتل سنة إحدى وسبعين^(٩) بخراسان . هكذا
 قال : إنه قُتل سنة إحدى وسبعين^(١٠) . وهكذا حكى شيخنا^(١١) عن الدولابي ،

(١) تهذيب الكمال ١٤ / ٤٤٢ .

(٢) أبو داود (٤٠٣٨) ، والترمذي (٣٣٢١) ، والنسائي في الكبرى ٥ / ٤٧٦ . ضعيف الإسناد

(ضعيف سنن أبي داود ٨٧٣) .

(٣) في م : «بشير» .

(٤) سقط من : م .

(٥) في ٢١ : «الحسين» .

(٦) أسد الغابة ٣ / ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٧) في ٣١ ، ٢١ : «نهية» .

(٨) في الكامل لابن الأثير ٤ / ١٥٤ .

(٩ - ٩) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(١٠) يعني المزني ، انظر حاشية (١) .

وكذا رأيتُ في « التاريخ » لشيخنا الحافظ أبي عبد الله الذهبي^(١) ، والذي ذكره ابن جرير في سياق^(٢) « تاريخه »^(٣) ، أنه قُتل في سنة ثنتين وسبعين . قال ابن جرير^(٤) : وزعم بعضهم أنه إنما قُتل بعد مقتل عبد الله بن الزبير ، وأن عبد الملك بعث برأس ابن الزبير إلى ابن خازم^(٥) ، ويدعوه إلى طاعته وله خُراسانُ عشر سنين ، وأن ابن خازم لما رأى رأس ابن الزبير حلف لا يُعطيه طاعةً أبداً ، ودعا بطشيت فغسل رأس ابن الزبير وكفنه وطيبه وبعث به إلى أهله بالمدينة - ويُقال : بل دفنه عنده بخُراسان . والله أعلم - وأطعم الكتاب للرسول^(٦) الذي جاء به ، وقال : لولا أنك رسولٌ لضربتُ عُنُقَكَ . وقال بعضهم : بل قطع يديه ورجليه وضرب عُنُقَه .

وَمَنْ تُوْفِي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ : الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسِ بْنِ^(٧) معاويةَ بنِ حُصَيْنِ^(٨) التميمي السعدي ، أبو بَخْرِ البصري ، ابن أخى صعصعة بن معاوية . والأخنف لَقِبَ له ، وإنما اسمه الضحَّاك ، وقيل : صَخْر . أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يَرَهُ ، وجاء في حديث أن رسول الله ﷺ دعا له^(٩) .

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣٠٠ .

(٢) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٤) المصدر السابق ٦ / ١٧٨ .

(٥) بعده في الأصل ، ص : « وبعث يدعوه » .

(٦) في ٣١ ، ٢١ ، م : « للبريدى » .

(٧) في ٣١ ، ٢١ ، م : « أبو » . وانظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧ / ٩٣ ، والاستيعاب ١ / ١٢٦ ،

وأسد الغابة ١ / ٥٥ ، والإصابة ١ / ١٨٧ .

(٨) في الأصل ، ٣١ ، ٢١ : « حصن » .

(٩) المسند ٥ / ٣٧٢ ، المستدرک ٣ / ٦١٤ . وهو ضعيف ، لضعف علي بن زيد بن جدعان . انظر

تهذيب الكمال ٢٠ / ٤٣٧ - ٤٤٠ .

وكان سيِّداً شريفاً مطاعاً مؤمناً، عليم اللسان، وكان يُضربُ بحليمه المثل، وله أخبارٌ في حِلْمِهِ سارَتْ بها الركبانُ. قال عنه عمرُ بنُ الخطابِ ^(١): هو مؤمنٌ عليمُ اللسانِ. وقال الحسنُ البصريُّ ^(٢): ما رأيتُ شريفَ قومٍ أفضلَ منه. وقال أحمدُ بنُ عبدِ الله العجليُّ ^(٣): هو بصريٌّ تابعيٌّ ثقةٌ، وكان سيِّدَ قومه، وكان أعورَ أحنفَ ^(٤) الرجلين دميماً قصيراً كَوْسَجاً ^(٥)، له بيضةٌ واحدةٌ، احتبسَه ^(٦) عمرُ ^(٧) سنةً ^(٨) يختبرُه ^(٩)، ثم قال: هذا والله السيِّدُ ^(١٠). وقيل: إنَّه خطبَ عندَ عمرَ فأعجبه منطِقُه. قيل: ذهبَتْ عينُه بالجدريِّ. وقيل: في فتحِ سَمَرْقَنْدَ. وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ ^(١١): كان الأحنفُ جواداً حليماً، وكان رجلاً صالحاً، أدركَ الجاهليَّةَ ثم أسلمَ، وذكرَ للنبيِّ ﷺ [٦٨/٧ ط] فاستغفرَ له.

وقال ^(١٢) محمدُ بنُ سعدٍ ^(١٣): كان ثقةً مأموناً قليلَ الحديثِ. وكان كثيرَ

(١) تهذيب الكمال ٢ / ٢٨٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٧ / ٩٥.

(٣) ثقات العجلي ص ٥٧.

(٤) في م: «أجيف». والحنف: اعوجاج في الرجل إلى داخل.

(٥) الكوسج: الذي لا شعر على عارضيه، والناقص الأسنان.

(٦) في الأصل: «أجلسه».

(٧) سقط من ٢١، وبعده في ٣١، ٢١، م: «عن قومه».

(٨) بعده في الأصل: «قدومه».

(٩) سقط من: الأصل، ص.

(١٠) بعده في ٣١، ٢١، م: «أو قال السؤدد».

(١١) تهذيب الكمال ٢ / ٢٨٦.

(١٢ - ١٣) سقط من: ٣١، ٢١، م. وانظر طبقات ابن سعد ٧ / ٩٣.

الصلاة بالليل ، وكان يُسْرِجُ المِصْبَاحَ ^(١) ، وكان يَضَعُ إصْبَعَهُ فِيهِ ^(٢) ، ثم يقولُ
لنفسه : إذا لم تصبرِ على المصباح ، فكيف تصبرِ على نارِ جهنم ؟ وقيل له : بأى
شئِ سَوَّدَكَ قومُكَ ^(٣) ؟ قال : لو عاب ^(٤) الماءُ الناسُ ما شَرِبْتُهُ . وكان الأحنفُ
^(٥) لا يحسُدُ ، ولا يجهلُ ، ولا يدفعُ الحقَّ . وقال : إنَّ من السَّوْدِ الصبرِ على
الذلِّ ، وكفى بالحلمِ ناصراً . وقال : ما نازَعَنى أحدٌ إلَّا أَخَذْتُ مِنْ أَمْرِ إِحْدَى
ثَلَاثٍ ؛ إِنْ كَانَ فَوْقِي عَرَفْتُ قَبْرَهُ ، وَإِنْ كَانَ دُونِي رَفَعْتُ نَفْسِي عَنْهُ ، وَإِنْ كَانَ
مِثْلِي تَفَضَّلْتُ . وقال : ما ذَكَرْتُ أَحَدًا بِسُوءٍ بَعْدَ أَنْ يَقُومَ مِنْ عِنْدِي ، وَلَا
سَمِعْتُ كَلِمَةً تَسُوءُنِي إِلَّا طَأْطَأْتُ رَأْسِي لِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا . وَأَغْلَظَ لَهُ رَجُلٌ فِي
الْكَلَامِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى نَادِي قَوْمِهِ وَقَفَ وَقَالَ : إِنْ كَانَ عِنْدَكَ شَيْءٌ آخَرُ ، فَقُلْ ؛
لَعَلَّا يَسْمَعَكَ قَوْمِي فَيُؤْذَوْكَ . وقيل : إِنْ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ كَتَبَ إِلَيْهِ يَدْعُوهُ
لِنَفْسِهِ وَيُعِدُّهُ بِوِلَايَةِ الشَّامِ ، فَقَالَ : يَدْعُونِي ابْنُ الزَّرْقَاءِ إِلَى وِلَايَةِ الشَّامِ ، وَاللَّهِ
وَدِدْتُ أَنْ يَبْنِيَ وَيُنْهَمَ جَبَلًا مِنْ نَارٍ . وَكَانَ زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ يَقُولُ : قَدْ بَلَغَ الْأَحْنَفُ
مِنَ السَّوْدِ وَالشَّرَفِ مَا لَا يَنْفَعُهُ مَعَهُ وِلَايَةٌ وَلَا يَضُرُّهُ عَزْلٌ . وَإِنَّهُ لَيَفِرُّ مِنَ الشَّرَفِ
وَهُوَ يَتَّبِعُهُ ^(٦) .

وقال الحاكم : وهو الذى افتتح مرو الروذ ، وكان الحسن وابن سيرين فى

(١) فى ٢١ : « المصاييح » ، وبعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « ويصلى ويكى حتى الصباح » .

(٢) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « فى المصباح ويقول : حس يا أحنف ما حملك على كذا ؟ ما حملك على كذا » .

(٣) بعده فى م : « وأنت أرذلهم خلقة » .

(٤ - ٤) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « قومي الماء » .

(٥ - ٥) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « من أمراء على يوم صفين وهو الذى صالح أهل بلخ على أربعمئة ألف دينار فى كل سنة وله وقائع مشهودة مشهورة وقتل من أهل خراسان خلقا كثيرا فى القتال بينهما وانتصر عليهم » .

جيشه^(١). وقيل : إنه مات سنة سبع وستين - وقيل غير ذلك - عن سبعين سنة .
وقيل : عن أكثر من ذلك .

ومن كلامه وقد سُئل عن الحليم ما هو ؟ فقال : الدُّلُّ مع الصبر . وكان إذا
تعجَّب الناس من حليمه يقول : واللَّهِ إِنِّي لأَجِدُ ما تجدون ، ولكنِّي صبورٌ .
”وقال : وجدتُ الحليم أنصرَ لى من الرجال“^(٢) .

وقد انتهى إليه الحليم والسُّودْدُ . وقال : أخِي معروفك بإماتة ذِكْرِهِ . وقال :
عَجِبْتُ لِمَن يَجْرى فى مَجْرى البولِ مَرَّتَيْنِ كيف يتكَبَّرُ ؟! وقال : ما أَتَيْتُ بابَ
أَحَدٍ مِن هَؤُلَاءِ إِلَّا أَن أَدْعَى ، ولا دَخَلْتُ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا أَن يُدْخِلَانِي بَيْنَهُمَا . وقال
له رَجُلٌ : بِمَ سُدَّتْ قَوْمَكَ ؟ قال : بِتَرْكِى مِن أَمْرِكَ^(٣) ما لا يَغْنِينِى ، كما عَنَّاكَ مِن
أَمْرِى ما لا يَغْنِيكَ . وأَغْلَظَ له رَجُلٌ فى الكلام ، وقال له : واللَّهِ يا أَحَنَفُ ، لَئِن قُلْتَ
لِى واحِدَةً لِتَسْمَعَنَّ بِدَلِّهَا عَشْرًا . فقال له : إِنَّكَ إِن قُلْتَ لى عَشْرًا لا تَسْمَعُ مِنِّى
واحِدَةً . وكان يقول فى دَعَائِهِ : اللَّهُمَّ إِن تُعَذِّبْنِى ، فَأَنَا أَهْلٌ لِّذَلِكَ ، وَإِن [٧/٦٩٥]
تَغْفِرْ لى فَأَنْتَ أَهْلٌ لِّذَلِكَ .

وقد كان زيادُ بنُ أبيه يُقَرِّبُهُ^(٤) ويعظَّمُهُ^(٥) ويُدْنِيهِ ، فلَمَّا مات زيادُ ، وولى
ابنُه عبيدُ اللَّهِ^(٦) لم يَرَفَعْ به رَأْسًا^(٧) ، فتَأَخَّرَتْ عِنْدَه منزِلَتُه^(٨) لقبِحِ مَنْظَرِهِ ، وصار
يَقْدُمُ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ دُونُهُ^(٩) ، فلَمَّا وَقَدَ برؤسائِ أَهْلِ العِراقِ على معاويةَ ، أَدْخَلَهُمْ

(١) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « وهو الذى افتتح سمرقند وغيرها من البلاد » . وانظر تهذيب الكمال
٢/ ٢٨٧ . وقال الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٤ / ٨٧ : هذا فيه نظر ، هما يصغران عن ذلك .

(٢ - ٢) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٣) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « الأمر » .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل ، ص .

(٥ - ٥) فى الأصل ، ص : « لم يعرف ما هو » .

(٦ - ٦) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

عليه على مراتبهم عنده ، فكان الأحنفُ آخِرَ مَنْ أَدْخَلَهُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ معاويةُ أَجَلَّهُ وَعَظَّمَهُ ، وَأَدْنَاهُ وَكَرَّمَهُ ، وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى الْفِرَاشِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ يَحَادِثُهُ دُونَهُمْ ، ثُمَّ شَرَعَ الْحَاضِرُونَ فِي الثَّنَاءِ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، وَالْأَحْنَفِ سَاكِتٌ ، فَقَالَ لَهُ معاويةُ : مَا لَكَ لَا تَتَكَلَّمُ ؟ قَالَ : إِنْ تَكَلَّمْتُ خَالَفْتُهُمْ . فَقَالَ معاويةُ : اشْهَدُوا عَلَيَّ أَنِّي قَدْ «عَزَلْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ»^(١) عَنِ الْعِرَاقِ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : انْظُرُوا لَكُمْ نَائِبًا عَلَيْكُمْ . وَأَجَلَّهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَاخْتَلَفُوا بَيْنَهُمْ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ عُبَيْدَ اللَّهِ ، وَلَا طَلَبَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، وَلَمْ يَتَكَلَّمِ الْأَحْنَفُ فِي «هَذِهِ الْأَيَّامِ فِي»^(٢) ذَلِكَ كَلِمَةً وَاحِدَةً مَعَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا بَعْدَ ثَلَاثِ أَفَاضُوا فِي ذَلِكَ ، وَكَثُرَ اللَّغَطُ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ ، وَالْأَحْنَفُ سَاكِتٌ ، فَقَالَ لَهُ معاويةُ : تَكَلَّمْ . فَقَالَ لَهُ : إِنْ كُنْتُ تَرِيدُ أَنْ تَوَلَّى فِيهَا أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ مِثْلُ عُبَيْدِ اللَّهِ فَإِنَّهُ رَجُلٌ حَازِمٌ ، وَلَا يَسُدُّ «أَحَدٌ مِنْهُمْ»^(٣) مَسَدَهُ ، وَإِنْ كُنْتُ تَرِيدُ «غَيْرَهُ فَأَنْتَ أَعْلَمُ»^(٤) بِنُؤَايِكَ^(٥) . فَرَدَّهُ معاويةُ إِلَى الْوَلَايَةِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ : كَيْفَ جِهِلْتَ مِثْلَ الْأَحْنَفِ ؟ إِنَّهُ^(٦) «عَزَلَكَ وَوَلَّاكَ وَهُوَ سَاكِتٌ . فَعَظُمْتَ مِنْزِلَةُ الْأَحْنَفِ بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَ ابْنِ زِيَادٍ .

ثُوْفَى الْأَحْنَفُ بِالْكُوفَةِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ مُصْعَبُ بْنُ الزَّيْبِرِ وَمَشَى فِي

(١ - ١) فِي ٣١ ، ٢١ ، م : «عزله» .

(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ : م .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ ، ص .

(٤ - ٤) زِيَادَةٌ مِنْ : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٥) فِي ٣١ ، ٢١ ، م : «بقرابتك» .

(٦) فِي ٣١ ، ٢١ ، م : «هو الذي» .

جَنَازَتِهِ^(١) . " ذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى مَعَاوِيَةَ فَوَجَدَهُ غَضِبَانَ عَلَى ابْنِهِ يَزِيدَ ،
وَأَنَّهُ أَصْلَحَ بَيْنَهُمَا بِكَلَامٍ ، قَالَ : فَبَعَثَ مَعَاوِيَةُ إِلَى يَزِيدَ بِمَالٍ جَزِيلٍ وَقُمَاشٍ كَثِيرٍ ،
فَأَعْطَى يَزِيدُ نَصْفَهُ لِلْأَخْنَفِ . وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ أَعْلَمُ^(٢) .

الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ [٦٩/٧ ظ] مَجْدَعَةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ
الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ الْأَنْصَارِيِّ ، الْحَارِثِيُّ ،
الْأَوْسِيُّ^(٣) ، صَحَابِيُّ جَلِيلٌ ، وَأَبُوهُ أَيْضًا صَحَابِيٌّ . رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
أَحَادِيثَ كَثِيرَةً ، وَحَدَّثَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَغَيْرِهِمْ . وَعَنْهُ
جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ ، وَبَعْضُ الصَّحَابَةِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ مَاتَ بِالْكُوفَةِ فِي أَيَّامِ مَصْعَبٍ
عَلَى الْعِرَاقِ .

عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ الْقَاضِي^(٤) ، وَهُوَ عَبِيدَةُ بْنُ عَمْرِو - وَيُقَالُ : ابْنُ قَيْسٍ بْنِ
عَمْرِو - السَّلْمَانِيُّ ، الْمَرَادِيُّ ، أَبُو عَمْرِو الْكُوفِيُّ . وَسَلْمَانُ بَطْنٌ مِنْ مَرَادٍ . أَسْلَمَ
عَبِيدَةُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَرَوَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَعَلِيٍّ وَابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَحَدَّثَ عَنْهُ
جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ . وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : كَانَ يُوَازِي شُرَيْحًا فِي الْقَضَاءِ . وَقَالَ ابْنُ

(١) بعده في م : « وقد تقدمت له حكاية » .

(٢ - ٢) في الأصل : « وحكى الواقدي أن الأحنف بن قيس وفد على معاوية بعد أن سلم الحسن الأمر
إلى معاوية ورحل بأهله إلى المدينة فقال معاوية للأحنف : أنت الشاهر علينا سيفك يوم صفين والمخذل
عن عائشة أم المؤمنين ؟ فقال : يا معاوية ، لا توبخنا بما مضى منا ولا ترد الأمور على أدبارها ؛ فإن القلوب
التي أبغضناك بها بين جوانحنا ، والسيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا في كلام غير ذلك فلما خرج ،
قالت أخت معاوية : من هذا الذي يتهدد ؟ قال : هذا الذي إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف من تميم
لا يدرون فيما غضب ثم صلحت منزلة الأحنف عند معاوية بعد ذلك » .

(٣) الاستيعاب ١ / ١٥٥ ، وأسد الغابة ١ / ٢٠٥ ، والإصابة ١ / ٢٧٨ .

(٤) الاستيعاب ٣ / ١٠٢٣ ، وأسد الغابة ٣ / ٣٥٦ ، والإصابة ٥ / ١١٨ .

تُمير: كان شُريح إذا أشكل عليه أمرٌ كَتَبَ إلى عبيدةَ فيه وانتهى إلى قوله . وقد
أثنى عليه غيرُ واحدٍ . وكانت وفاته في هذه السنة ، وقيل : سنة ثلاث . وقيل :
أربع وسبعين . فالله أعلم . وقد قيل : إن مصعبَ بن الزبير قُتِلَ في هذه السنة .
فالله أعلم .

وَمَنْ تُوْفِيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ :

عبدُ اللَّهِ بنُ السَّائِبِ بنِ صَيْفِي الخَزْزَمِيُّ^(١) ، قارئُ أهلِ مكة^(٢) ، له صُحبةٌ
وروايةٌ ، وقرأَ على أُتَيِّ بنِ كعبٍ ، وقرأَ عليه مجاهدٌ وغيره .

عطيةُ بنُ بَسْرِ المَازَنِيُّ^(٣) ، له صُحبةٌ ورِوايةٌ . تُوْفِيَ بالمدينة^(٤) .

عُبَيْدُ^(٥) بنُ نَضْلَةَ ، أبو معاويةَ الخُزَاعِيُّ الكُوفِيُّ^(٦) ، مُقَرَّرُ أهلِ الكوفةِ ،
مشهورٌ بالخيرِ والعبادة . تُوْفِيَ بالكوفةِ في هذه السنة .

عُبَيْدُ اللَّهِ^(٦) بنُ قَيْسِ الرُّقَيَاتِ القُرَشِيُّ العامِرِيُّ^(٧) ، أحدُ الشعراءِ ، مدح

(١) الاستيعاب ٣ / ٩١٥ ، وأسد الغابة ٣ / ٢٥٤ ، والإصابة ٤ / ١٠٢ .

(٢ - ٢) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٣) في النسخ : « بشر » . وترجمته في : الاستيعاب ٣ / ١٠٧٠ ، وأسد الغابة ٤ / ٤٣ ، والإصابة ٤ / ٥٠٩ .

(٤) في م : « عبيدة » .

(٥) انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٦ / ١١٧ ، ٢١١ ، التاريخ الكبير ٦ / ٥ ، ثقات المجلى ٣٢٣ ،
تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) صفحة ٤٨٠ ، وفيه أنه « عبيد بن نضيلة » ، غاية النهاية
في طبقات القراء ١ / ٤٩٧ .

(٦ - ٦) في النسخ : « عبد الله » . وانظر مصادر الحاشية التالية .

(٧) اختلف في اسم عبيد الله هذا ؛ ففي طبقات ابن سلام ٢ / ٦٤٧ ، وكذا في مخطوطته :
« عبد الله » . والذي عليه إجماع أصحاب نسب قريش وكتب النسب « عبيد الله » . وانظر ترجمته في :
طبقات ابن سلام ٢ / ٦٤٧ ، ونسب قريش ٤٣٥ ، والأخبار الموقفيات ٥٣٣ ، والشعر والشعراء ١ / ٥٣٩ ،
وجمهرة أنساب العرب ١٧٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٤٧٩ ، وخزانة
الأدب ٧ / ٢٨٠ - ٢٨٧ .

مصعب بن الزبير وعبد الله بن جعفر^(١) .

عبد الله بن همام^(٢) أبو عبد الرحمن الشاعر، السلولي^(٣) ،^(٤) أخذ الشعراء
الفصحاء، مدح يزيد بن معاوية، بعد أن هجاه^(٥) بقوله^(٥) :

شربنا الغَيْضَ حتى لو شقينا دماء بنى أمية ما رويننا
ولو جاءوا برملة أو بهند لبأيعنا أمير المؤمنين^(٦)

(١) بعده فى الأصل : « وإنما سمي قيس الرقيات ؛ لأن له عدة أخوات يسمين رقية » .

(٢) فى النسخ : « حمام » . وانظر مصادر ترجمته فى الحاشية التالية .

(٣) انظر ترجمته فى : الشعر والشعراء ٦٥١ / ٢ ، وطبقات فحول الشعراء ٦٥٢ / ٢ ، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٤٧٠ ، والوفى بالوفيات ١٧ / ٦٦٤ .

(٤) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « هجا بنى أمية » .

(٥) البيتان فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٤٧٠ ، باختلاف يسير .

(٦) بعده فى م : « وكان عبيدة السلماني أعور وكان أحد أصحاب ابن مسعود الذين يفتون الناس توفى
بالكوفة » .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين^(١)

فيها كان مقتل عبد الله بن الزبير، رضى الله عنه، على يد الحجاج بن يوسف الثقفي المبير^(٢)، قبحه الله وأخزاه.

قال الواقدي^(٣): حدثني مُصعب بن ثابت^(٤)، عن نافع مولى بنى أسيد - وكان عالماً بفتنة ابن الزبير - قال: حصر [٧٠/٧] ابن الزبير ليلة هلال ذي الحجة^(٥) سنة ثنتين^(٦) وسبعين^(٧)، وقُتل^(٨) لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى، سنة ثلاث وسبعين^(٩)، فكان حصر الحجاج له خمسة أشهر وسبع عشرة ليلة.

وقد ذكرنا فيما تقدم أنّ الحجاج حج بالناس في هذه السنة الخارجة، وكان في الحج ابن عمر، وقد كتب عبد الملك إلى الحجاج أن يَأْتِمَ بابن عمر في المناسك، كما ثبت ذلك في «الصحيحين»^(١٠).

فلما استهلّت هذه السنة، استهلّت وأهل الشام مُحاصرون أهل مكة، وقد

(١) في الأصل: «تسعين».

(٢) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٣) تاريخ الطبرى ٦ / ١٨٧.

(٤) في م: «نائب». وانظر تهذيب الكمال ٢٨ / ١٨.

(٥) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٦) في تاريخ الطبرى: «القعدة». وعليه تكون مدة الحصر ستة أشهر وسبع عشرة ليلة، لكنه عاد فقال - يعنى ابن جرير - : وكان حصر الحجاج ... ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة.

(٧) في الأصل: «ثلاث».

(٨ - ٩) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٩) في ٢١، ص: «وقيل».

(١٠) البخارى (١٦٦٠، ١٦٦٣)، كما أخرجه معلقاً (١٦٦٢)، ولم يذكر فيه أن عبد الملك كتب إلى الحجاج بذلك. ولم يعزه المزى فى تحفة الأشراف ٣٨٨/٥، إلا إلى البخارى والنسائى.

نَصَبَ الْحِجَّاجُ الْمُنَجِّيقَ عَلَى مَكَّةَ لِيَحْضُرَ أَهْلَهَا، حَتَّى يَخْرُجُوا إِلَى الْأَمَانِ وَالطَّاعَةِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ .

وكان مع الحجاج ^(١) "خَلَقَ قَدِمُوا عَلَيْهِ مِنْ أَرْضِ" الحبشية، فجعلوا يرمون بالمنجنيق فقتلوا خلقًا كثيرًا، وكان معه خمس مجانيق، فأُلْحَ عليها بالرمي من كل مكان، وحبس عنهم الميرة فجاءوا ^(٢)، وكانوا يشربون من ماء زمزم ^(٣)، وجعلت الحجارة تَقَعُ فِي الكعبة، والحجاج يصيح بأصحابه: يَا أَهْلَ الشَّامِ، اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّاعَةِ! ^(٤) فكانوا يحملون على ابن الزبير حتى يقال: إِنَّهُمْ آخِذُوهُ فِي هَذِهِ الشَّدَةِ ^(٥). فيشُدُّ عليهم ابن الزبير، وليس معه أحدٌ ^(٦) حتى يُخْرِجَهُمْ مِنْ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ، ثُمَّ يَكْرُثُونَ عَلَيْهِ، ^(٧) فيشُدُّ عليهم، فَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا، وَقَتْلَ يَوْمَئِذٍ جَمَاعَةً مِنْهُمْ وَهُوَ يَقُولُ: خُذْهَا ^(٨)، وَأَنَا ابْنُ الْحَوَارِيِّ. وَقِيلَ لابن الزبير: أَلَا تُكَلِّمُهُمْ فِي الصُّلْحِ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ وَجَدُوكُمْ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ لَذَبَحُوكُمْ جَمِيعًا، وَاللَّهِ لَا أَسْأَلُهُمْ صُلْحًا ^(٩) أَبَدًا.

وَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ ^(٩) أَنَّهُمْ لَمَّا رُمُوا بِالْمُنَجِّيقِ، جَاءَتِ الصَّوَاعِقُ وَالْبُرُوقُ

(١ - ١) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٢) في ٣١، ٢١، م، ص: «والماء».

(٣) بعده في الأصل: «فيصمهم».

(٤ - ٤) في الأصل: «فيشدون الشدة الواحدة حتى يقال قد اشتعلوا عليه».

(٥ - ٥) في الأصل: «فيلغ بهم».

(٦ - ٦) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٧) في م، ص: «هذا».

(٨) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٩) انظر تاريخ الطبري ٦ / ١٨٧، والكامل ٤ / ٣٥١، كلاهما بنحوه.

والرُعودُ حتى جعلتْ تعلو أصواتُها^(١) على صوتِ المنجنقي، ونزلتْ صاعقةٌ، فأصابَتْ مِنَ الشَّامِيِّينَ اثْنَيْ عَشَرَ رجلاً، فَضَعُفَتْ عِنْدَ ذَلِكَ قُلُوبُهُمْ عَنِ الْمَحَاصِرَةِ، فَلَمْ يَزَلِ الْحِجَّاجُ يُشَجِّعُهُمْ، ويقولُ: إِنِّي خَيْرٌ بِهَذِهِ الْبِلَادِ، هَذِهِ بُرُوقُ تِهَامَةٍ ورُعودُها وصواعقُها، وَإِنَّ الْقَوْمَ يُصِيبُهُمْ مِثْلُ الَّذِي يُصِيبُكُمْ. وجاءتْ صاعقةٌ مِنَ الْغَدِ، فَقَتَلَتْ مِنَ أَصْحَابِ ابْنِ الزَّيْبِرِ جَمَاعَةً كَثِيرَةً أَيْضًا، فَجَعَلَ الْحِجَّاجُ يَقُولُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ: إِنَّهُمْ يُصَابُونَ مِثْلَكُمْ، وَأَنْتُمْ عَلَى الطَّاعَةِ وَهُمْ عَلَى الْمُخَالَفَةِ؟

وكان أهلُ الشَّامِ يَزْتَجِرُونَ وَهُمْ يَرْمُونَ بِالْمَنْجَنِيقِ؛ يقولون^(٢):

خَطَّارَةٌ^(٣) مِثْلُ^(٤) الْفَنِيْقِ الْمَزْبُودِ نَرْمِي بِهَا عُودًا^(٥) هَذَا الْمَسْجِدِ
فَنَزَلَتْ صَاعِقَةٌ عَلَى الْمَنْجَنِيقِ فَأَحْرَقَتْهُ، فَتَوَقَّفَ أَهْلُ الشَّامِ عَنِ الرَّمْيِ
وَالْمَحَاصِرَةِ، فَخَطَبَهُمُ الْحِجَّاجُ، فَقَالَ: وَيَحْكُمُ، أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ النَّارَ كَانَتْ تَنْزِلُ
عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فَتَأْكُلُ^(٦) قُرْبَانَهُمْ إِذَا تُقْبِلُ مِنْهُمْ؟ فَلَوْلَا أَنَّ عَمَلَكُمْ مَقْبُولٌ مَا
نَزَلَتْ النَّارُ فَأَكَلَتْهُ. فَعَادُوا إِلَى الْمَحَاصِرَةِ.

وما زال أهلُ مَكَّةَ [٧٠/٧ ط] يَخْرُجُونَ إِلَى الْحِجَّاجِ بِالْأَمَانِ، وَيَتَزَكُّونَ ابْنَ
الزَّيْبِرِ، حَتَّى خَرَجَ إِلَيْهِ قَرِيبٌ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ، فَأَمَّنَّهُمْ، وَقَلَ أَصْحَابُ ابْنِ الزَّيْبِرِ
جَدًّا، حَتَّى خَرَجَ إِلَى الْحِجَّاجِ حِمَزَةٌ وَخُبَيْبٌ؛ ابْنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ، فَأَخَذَا

(١) فِي ٣١، ٢١: «أهل الشام بأصواتها».

(٢) الرجز في تاريخ دمشق ١٢ / ١٢٠، وبغية الطلب ٥ / ١٣ (مخطوط)، باختلاف يسير.

(٣) سقط من: م.

(٤) سقط من: الأصل.

(٥) فِي النسخ: «أعواد». والقواد: العائد، يعنى ابن الزبير المتحصن بالمسجد، والعواد، جمع عائد:

وهم ابن الزبير وأصحابه.

(٦ - ٦) فِي الأصل: «مَنْ تَقْبِلُ مِنْهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحِجَّاجُ، وَرَفَعَ الْحِجْرَ وَرَمَى مَعَهُمْ».

لأنفسهما أماناً من الحجاج ، فأمنهما ، ودخل عبدُ الله بنُ الزبيرِ على أمِّه ، فشكا إليها خذلانَ الناسِ له ، وخرجهم إلى الحجاج حتى أولاده وأهله ، وأنه لم يبقَ معه إلا اليسيرُ ، ولم يبقَ لهم صبرُ ساعة ، والقومُ يُعطونني ما شئتُ من الدنيا ، فما رأيكَ ؟ فقالت ^(١) : يا بُنَيَّ ، أنت أعلمُ بنفسِكَ ، إن كنتَ تعلمُ أنك على حقٍّ وتدعو إلى حقٍّ فاصبرْ عليه ، فقد قُتِلَ عليه أصحابُك ، ولا تُمكنُ من رقبَتِكَ يلعبُ بها غلمانُ بني أميَّةَ ، وإن كنتَ ^(٢) إنما أردتَ الدنيا ، فليعسَ العبدُ أنت ؛ أهلكَتَ نفسك وأهلكَتَ مَنْ قُتِلَ معكَ ، وإن كنتَ على حقٍّ فما وهنَ الدينُ ، وإلى كم خلودُك في الدنيا ؟ القتلُ أحسنُ . فدنا منها فقبَّلَ رأسها ، وقال : هذا والله ^(٣) رأيي . ثم قال : والله ^(٣) ما ركنْتُ إلى الدنيا ولا أحببتُ الحياةَ فيها ، وما دعاني إلى الخروجِ إلا الغضبُ لله أن تُستحلَّ حرمتُهُ ، ولكنتُ أحببتُ أن أعلمَ رأيكَ ، فزِدْتَنِي بصيرةً مع بصيرتِي ، فانظري يا أمَّاهِ فَإِنِّي مقتولٌ من يومي هذا ، فلا يشتدَّ حزَنُكَ ، وسلِّمي لأمرِ الله ، فَإِنَّ ابْنَكَ لم يتعمَّدْ إتيانَ منكِرٍ ، ولا عَمِلَ بفاحشةٍ قطُّ ، ولم يَجْزُ في حكمِ الله ، ولم يغدرْ في أمانٍ ، ولم يتعمَّدْ ظلمَ مسلمٍ ولا مُعَاهِدٍ ، ولم يُلْغِ ظلمَ عن عاملٍ فرضيَّته ، بل أنكرته ، ولم يكنْ عندِي آثرٌ من رضا ربِّي عزَّ وجلَّ ، اللهمَّ إِنِّي لا أقولُ هذا تزكيةً لنفسي ، اللهم أنت أعلمُ بي مِنِّي ومن غيرِي ، ولكنتُ أقولُ ذلك تعزيةً لأُمِّي لتسلو عني . فقالت أمُّه : إِنِّي لأرجو من الله أن يكونَ عزائي فيكَ حسنًا إن تقدَّمتني ، أو تقدَّمتكَ ففى نفسي ، اخرجْ يا بُنَيَّ حتى أنظرَ ما يصيرُ إليه أمرك . فقال : جزاكِ اللهُ يا أمَّه خيرًا فلا تدعِي الدعاءَ قبلَ وبعدُ لي . فقالت : لا أدعُه أبدًا ، فمَنْ قُتِلَ على باطلٍ فلقد قُتِلَتْ على

(١) تاريخ الطبري ٦ / ١٨٨ - ١٨٩ ، وتاريخ دمشق ٢٨ / ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٢) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « تعلم أنك » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

حقّ. ثم قالت: اللهم ارحم طول ذلك القيام^(١) في الليل الطويل^(٢)، وذلك النحيب والظماً في هواجر المدينة ومكة، وبرّه بأبيه وبى، اللهم إني قد سلّمته لأمرِك فيه، ورضيتُ بما قضيتَ، فقابلني في عبد الله بن الزبير بثواب الصابرين الشاكرين. ثم^(٣) قالت له: ادن مني أودّعك. فدنا منها فقبلته، ثم^(٤) أخذته إليها، فاحتضنته لتودّعه، واعتنقها ليودّعها - وكانت قد أضرت في آخر عمرها - فوجدته لابساً درعاً من حديد، فقالت: يا بُنَيَّ، ما هذا لباس من يُريد [٧١/٧] ما تريد من الشهادة. فقال: يا أمّاه، إنّما ليسته لأطيب خاطرِك وأسكن قلبِك به. فقالت: لا يا بُنَيَّ، ولكن انزعِه. فنزعِه، وجعل يلبس بقية ثيابه ويتشدّد، وهي تقول: شمّر ثيابك. وجعل يتحفّظ من أسفل ثيابه؛ لئلا تبدو عورته إذا قُتل، وجعلت تذكّره بأبيه الزبير، وجده أُمّى بكر الصديق، وجدته صفيّة بنت عبد المطلب^(٥)، وخالته عائشة زوج رسول الله ﷺ^(٦)، وترجّيه القدوم عليهم^(٧) إذا هو قُتل شهيداً، ثم خرج من عندها فكان ذلك آخر عهده بها، رضى الله عنهما، وعن أبيه وأبيها، ثم قالت له: امض على بصيرتك. فودّعها، وخرج وهو يقول^(٨):

ولستُ بمُبتاع الحياة بسبّة^(٩) ولا مُرتقي^(١٠) من خَشية الموت سلماً^(١١)

(١ - ١) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٢ - ٢) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٣ - ٣) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٤) في ٢١، ص: «عليهما».

(٥) البيت للحصين بن الحمام المرى، وهو ضمن قصيدة له في المفضليات ص ٦٩ (ط). شاكر وهارون). ذكره الطبري وبيّنا قبله من القصيدة نفسها، ولكنه ذكره في سياق خطبة ابن الزبير لآل الزبير يوم موته.

(٦) في الأصل: «نسبه».

(٧) في المفضليات: «مبتغ».

قالوا: وكان يخرج من باب المسجد الحرام، وهناك خمسمائة فارس وراجل، فيحمل عليهم، فيتفرقون عنه يمينًا وشمالًا، ولا يثبت له أحد وهو يقول:

إني إذا أعرف يومى أصير إذ بعضهم يعرف ثم ينكر
(١) ويقول أيضا:

الموت أكرم من إعطاء منقصة من لم يمت غبطة فالغاية الهرم
وكانت أبواب الحرم قد قل من يحرسها من أصحاب ابن الزبير، وكان لأهل حمص حصار الباب الذى يواجه باب الكعبة، ولأهل^(٢) دمشق باب بنى شيبه، ولأهل الأردن باب الصفا، ولأهل فلسطين باب بنى جُمَح، ولأهل قيسرين باب بنى سَهْم،^(٣) وعلى كل باب قائد ومعه أهل تلك البلاد^(٤)، وكان الحجاج وطارق بن عمرو فى ناحية الأبطح.

وكان ابن الزبير لا يخرج على أهل باب إلا فرقهم وبدد شملهم، وهو غير ملبس، حتى يخرجهم إلى الأبطح، ثم يصيح^(٥):

* لو كان قرنى واحدًا كفيته *

فيقول ابن صفوان وأهل الشام أيضًا: إني والله، وألف رجل. ولقد كان حجر المنجنيق يقع على طرف ثوبه فلا ينزعج لذلك، ثم يخرج إليهم فيقاتلهم

(١ - ١) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٢) بعده فى ٣١، ٢١: «الشام».

(٣ - ٣) سقط من الأصل، ص.

(٤) الرجز لدويد بن زيد بن نهد القضاعى. انظر طبقات ابن سلام ٣١/١، والشعر والشعراء ١/١٠٤.

كَأَنَّهُ أَسَدٌ ضَارٍ، حَتَّى جَعَلَ النَّاسُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ إِقْدَامِهِ وَشَجَاعَتِهِ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ
الْثَّلَاثَةِ السَّابِعِ عَشَرَ^(١) مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، بَاتَ ابْنُ الزَّيْبِرِ يُصَلِّي
طَوْلَ لَيْلَتِهِ، ثُمَّ جَلَسَ فَاحْتَبَى بِحَمِيلَةٍ سَيْفِهِ فَأَعْفَى ثُمَّ انْتَبَهَ مَعَ الْفَجْرِ^(٢) عَلَى
عَادَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَذُنْ يَا سَعْدُ. فَأَذَّنَ عِنْدَ الْمَقَامِ، وَتَوَضَّأَ ابْنُ الزَّيْبِرِ ثُمَّ صَلَّى
رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ، ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى الْفَجَرَ، فَقَرَأَ سُورَةَ «ن» حَرْفًا حَرْفًا، ثُمَّ
سَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ^(٣) لِأَصْحَابِهِ: مَا أُرَانِي الْيَوْمَ إِلَّا مَقْتُولًا؛ فَإِنِّي
رَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنَّ السَّمَاءَ فُرِجَتْ لِي، فَدَخَلْتُهَا، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ مِلْتُ الْحَيَاةَ
[٧١/٧] وَجَاوَزْتُ سَنَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً، اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّ لِقَاءَكَ فَأَحِبِّ
لِقَائِي. ثُمَّ قَالَ^(٤): اكْشِفُوا عَنْ وَجْهِكُمْ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْكُمْ. فَكَشَفُوا عَنْ
وَجْهِهِمْ، وَعَلَيْهِمُ الْمَغَافِرُ، فَحَرَّضَهُمْ وَحَنَّنَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ وَالصَّبْرِ، ثُمَّ نَهَضَ
بِهِمْ، فَحَمَلَ وَحَمَلُوا حَتَّى كَشَفُوهُمْ^(٥) إِلَى الْحَجَوْنِ، فَجَاءَتْهُ آجُرَةٌ فَأَصَابَتْهُ فِي
وَجْهِهِ، فَارْتَعَشَ لَهَا، فَلَمَّا وَجَدَ سُخُونَةَ الدَّمِ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ تَمَثَّلَ بِقَوْلٍ
بَعْضُهُمْ^(٥):

فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَذْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا
ثُمَّ رَجَعَ، فَجَاءَهُ حَجَرٌ مِنْجَنِيْقٍ مِنْ وَرَائِهِ فَأَصَابَهُ فِي قَفَاهُ فَوَقَّذَهُ^(٦)، ثُمَّ^(٧)

(١) فِي ص: «عَشْرِينَ».

(٢ - ٢) زِيَادَةٌ مِنْ: ٣١، ٢١، م، ص.

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ: ٣١، ٢١، م، ص.

(٤) فِي الْأَصْلِ: «وَصَلَّوْا».

(٥) الْبَيْتُ لِلْحَصِينِ بْنِ الْحَمَامِ الْمُرِّي. خَزَانَةُ الْأَدَبِ ٧ / ٤٩٠، وَفِيهِ: «الدِّمَا». وَانْظُرْ تَارِيخَ الطَّبَرِيِّ

١٩٢/٦، وَتَارِيخَ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣١٥.

(٦ - ٦) فِي ٣١، ٢١، م، ص: «ثُمَّ سَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَسْرَعُوا إِلَيْهِ».

(٧) الْوَقْدُ: أَصْلُهُ الضَّرْبُ الْمُتَخَنُّ وَالْكَسْرُ. النِّهَايَةُ ٥ / ٢١٢.

«وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ عَلَى وَجْهِهِ ، ثُمَّ انْتَهَضَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْقِيَامِ ، وَابْتَدَرَهُ النَّاسُ ، فَشَدَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَضَرَبَ الرَّجُلَ فَقَطَعَ رِجْلَيْهِ ، وَهُوَ مَتَكِيٌّ عَلَى مَرْفِقِهِ الْأَيْسَرِ ، وَجَعَلَ يَضْرِبُ وَمَا يَقْدِرُ أَنْ يَنْتَهِضَ حَتَّى كَثُرُوا عَلَيْهِ ، فَابْتَدَرُوهُ بِالسِّيُوفِ^(١) فَقَتَلُوهُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وجاءوا إلى الحجاج فأخبروه فخرّ ساجدًا ، قَبَّحَهُ اللَّهُ ، ثُمَّ قَامَ هُوَ وَطَارِقُ بْنُ عَمْرِو حَتَّى وَقَفَا عَلَيْهِ ، وَهُوَ صَرِيحٌ ، فَقَالَ طَارِقٌ : مَا وَلَدَتِ النَّسَاءُ أَذْكَرَ مِنْ هَذَا . فَقَالَ الْحَجَّاجُ : تَمْدَحُ مَنْ يَخَالِفُ طَاعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، هُوَ أَعْدَزُ لَنَا ؛ إِنَّا مُحَاصِرُوهُ ، وَلَيْسَ هُوَ فِي حَصْنٍ وَلَا خَنْدَقٍ وَلَا مَنَعَةٍ^(٢) يَتَصَيَّفُ مِتًّا^(٣) ، بَلْ يُفْضَلُ عَلَيْنَا فِي كُلِّ مَوْقِفٍ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ صَوَّبَ^(٤) طَارِقًا .

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ^(٥) فِي تَرْجُمَةِ الْحَجَّاجِ أَنَّهُ لَمَّا قَتَلَ ابْنَ الزَّيْبِرِ ارْتَجَّتْ مَكَّةُ بُكَاءَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَخَطَبَ الْحَجَّاجُ النَّاسَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزَّيْبِرِ كَانَ مِنْ خِيَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ حَتَّى رَغِبَ فِي الْخِلَافَةِ وَنَازَعَهَا أَهْلُهَا وَأَلْحَدَ فِي الْحَرَمِ ، فَأَذَاقَهُ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، وَإِنَّ آدَمَ كَانَ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ ابْنِ الزَّيْبِرِ ، وَكَانَ فِي الْجَنَّةِ ، وَهِيَ أَشْرَفُ مِنْ مَكَّةَ ، فَلَمَّا خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ وَأَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَى عَنْهَا ، أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، قَوْمُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ بِرَحْمَتِ اللَّهِ .

(١ - ١) فِي ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « ثُمَّ سَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ ، فَاسْرِعُوا إِلَيْهِ » .

(٢ - ٢) فِي الْأَصْل : « نَتَصَيَّفُ مِنْهُ » .

(٣) فِي النُّسخ : « ضَرَبَ » . وَالتَّحْقِيقُ مِنْ تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ٦ / ١٩٢ ، وَانْظُرِ الْكَامِلَ ٤ / ٣٥٦ .

(٤) تَارِيخُ دِمَشْقَ ١٢ / ١٢٠ ، بَنَحْوِهِ .

(١) وقيل : إنه قال : يا أهل مكة ، بلغني (٢) إكباركم واستعظامكم قتل ابن الزبير ، فإن ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب في الدنيا ونازع الخلافة أهلها ، فخلع طاعة الله وألحد في حرم الله ، ولو كانت مكة شيئاً يمنع القضاء لمنعت آدم حرمة الجنة ، وقد خلقه الله بيده ونفخ فيه من روجه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء ، فلما عصاه أخرجه من الجنة وأهبطه إلى الأرض ، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير ، وإن ابن الزبير غير كتاب الله . فقال له عبد الله بن عمر : لو شئت أن أقول لك : كذبت لقلت ، والله إن ابن الزبير لم يغيّر كتاب الله ، بل كان قواماً به صواماً عاملاً بالحق (٣) .

وكتب الحجاج إلى عبد الملك بما وقع ، وبعث برأس عبد الله بن الزبير مع رأس عبد الله بن صفوان وعمارة بن حزم إلى عبد الملك ، وأمرهم إذا مروا بالمدينة أن ينصبوا العروس بها ، ثم يسيروا بها إلى الشام ، ففعلوا ما أمرهم به (٤) .

ثم أمر الحجاج بجثة ابن الزبير فصليّت على ثنية كدّاء عند الحجون - يقال : منكسة - فما زالت مصلوبة ، حتى مرّ به عبد الله بن عمر فقال (٥) : رحمة الله عليك يا أبا خبيب ، أما والله لقد كنت صواماً قواماً . ثم قال : أما أن لهذا الراكب أن ينزل ؟ فبعث الحجاج ، فأُنزل عن الجذع ودفن هناك .

[٧٢/٧] ودخل الحجاج إلى مكة فأخذ البيعة من أهلها لأمر المؤمنين

(١ - ١) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٢) سقط من : م .

(٣) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « وأرسل بالرؤوس مع رجل من الأزد فأعطاه عبد الملك خمسمائة دينار ، ثم دعا بمقراض فأخذ من ناصيته ونواصي أولاده فرحاً بمقتل ابن الزبير ، عليهم من الله ما يستحقون » .

(٤) تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٣٩ - ٢٤٢ .

عبد الملك بن مروان، ولم يزل الحجاج مقيمًا بمكة حتى أقام للناس الحج عامه هذا أيضًا، وهو على مكة واليمامة واليمن.

وهذه ترجمة أمير المؤمنين

عبد الله بن الزبير^(١) رضى الله عنه

هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، أبو بكر، ويقال له: أبو خبيب. القرشي الأسدي، أول مولود ولد بعد الهجرة بالمدينة من المهاجرين. وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، ذات النطاقين، هاجرت به - وهي حامل به - فولدته بقباء أول مقدمهم المدينة، وقيل: إنما ولدته في شوال سنة ثنتين من الهجرة. قاله الواقدي، ومصعب بن الزبير وغيرهما^(٢)، والأول أصح؛ لما رواه أحمد^(٣) عن أبي أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن أسماء، أنها حملت بعبد الله بمكة، قالت: فخرجت وأنا مئيم، فأتيت المدينة فنزلت فولدته، ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعت في حجره، ثم دعا بتمر فمضغها^(٤) ثم تفل في فيه، فكان أول ما دخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ. قالت: ثم حنكه بتمر^(٥)، ثم دعا له وبرك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام. وهو صحابي جليل، روى عن النبي ﷺ أحاديث، وروى عن

(١) الاستيعاب ٣ / ٩٠٥، وأسد الغابة ٣ / ٢٤٢، والإصابة ٤ / ٨٩.

(٢) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٤٩، ١٥٩، ١٦٠.

(٣) المسند ٦ / ٣٤٧.

(٤) في ٢١: «فوضعتها».

(٥) سقط من: ٣١، ٢١، م.

أبيه وعمر وعثمان وغيرهم . وعنه جماعة من التابعين . وشهد اليرموك^(١) مع أبيه وهو صغير ، وحضر خطبة عمر بالجابية ، ورواها عنه بطولها ،^(٢) ثبت ذلك من غير وجه^(٣) . وقدم دمشق لغزو القسطنطينية ،^(٤) ثم قدمها مرة أخرى^(٥) ، وبُيع بالخلافة أيام يزيد بن معاوية ، ولما مات يزيد غلب^(٦) على الحجاز واليمن والعراقين ومصر وخراسان^(٧) وسائر بلاد الشام إلا دمشق^(٨) ، وتمت البيعة له سنة أربع وستين ، وكان^(٩) الناس بخير في زمانه .

وثبت من غير وجه^(٧) عن هشام ، عن أبيه^(٩) ، عن أسماء^(٨) ، أنها خرجت بعبد الله من مكة مهاجرة وهي حُبلى به فولدته بقباء أولَ مقدّمهم المدينة ، فأتت به رسول الله ﷺ فحنّكه وسماه عبد الله ودعا له . وفرح المسلمون بمولده ؛ لأنه كانت اليهود قد زعموا أنهم قد سحروا المهاجرين ؛ فلا يولد لهم في المدينة ، فلما ولد ابن الزبير كبر المسلمون . وقد سمع عبد الله بن عمر جيش الشام حين كبروا عند قتله^(٩) ، فقال : أما والله للذين كبروا عند مولده خير من هؤلاء الذين كبروا عند قتله^(٩) . [٧٢/٧٧] وأذن الصديق في أذنيه حين ولد ، رضى الله عنهما .

-
- (١) في ٣١ ، ٢١ ، م : « الجمل » ، وانظر الكامل ٢ / ٤١٤ ، الإصابة ٤ / ٩٤ .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص . وقد أخرجها عنه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨ / ١٤٢ - ١٤٤ .
(٣ - ٣) في الأصل : « أيام معاوية » . في ٣١ ، ٢١ ، م : « معاوية بن يزيد » .
(٤) في ٣١ ، ٢١ ، م : « فكان » .
(٥ - ٥) في الأصل : « ولم يبق إلا الشام » .
(٦ - ٦) في الأصل : « فارس قرش » .
(٧ - ٧) سقط من : ٢١ .
(٨) البخاري (٣٩٠٩ ، ٥٤٦٩) ، ومسلم (٢٥ / ٢١٤٦) .
(٩ - ٩) سقط من : ص . وانظر تاريخ دمشق ٢٨ / ١٥٤ ، ١٥٥ ، ٢٢٧ ، والمستدرک ٣ / ٥٤٨ .

وَمَنْ قَالَ: إِنَّ الصَّدِيقَ طَافَ بِهِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ^(١)، «وَهُوَ فِي خِرْقَةٍ^(٢)». فَهُوَ وَاهِمٌ^(٣)، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَإِنَّمَا طَافَ الصَّدِيقُ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ لِيَشْتَهَرَ أَمْرُ مِيلَادِهِ عَلَى خِلَافِ مَا زَعَمَتِ الْيَهُودُ.

وَقَالَ مَصْعَبُ الزَّيْرِئِ^(٤): كَانَ عَارِضًا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ خَفِيفَيْنِ، وَمَا اتَّصَلَتْ لِحَيْتُهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً.

وَقَالَ الزَّيْرِئُ بْنُ بَكَّارٍ^(٥): حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَلَّمَ فِي غِلْمَةٍ تَزْعَرَعُوا؛ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ، وَعَمْرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ بَايَعْتَهُمْ فَتَصِيبَهُمْ بَرَكَتُكَ وَيَكُونُ لَهُمْ ذِكْرٌ. فَأُتِيَ بِهِمْ إِلَيْهِ^(٦)، فَكَانَتْهُمْ تَكْفُكُوعًا^(٧) وَاقْتَحَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: «إِنَّهُ ابْنُ أَبِيهِ». وَبَايَعَهُ^(٨).

وَقَدْ رَوَى مِنْ غَيْرِ وَجْهِ^(٩) أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزَّيْرِ شَرِبَ مِنْ دَمِ النَّبِيِّ ﷺ؛ كَانَ

(١ - ١) فِي الْأَصْل: «وَهَاجَرَ بِهِ أَبُوهُ».

(٢) أَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي الْمَصْنَفِ (٩٠٢٦)، وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٨ / ١٥٧، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ طَافَ بِابْنِ الزَّيْرِ فِي خِرْقَةٍ. وَهَذَا مِمَّا يَحْتَجُّ لَهُ الْفَقَهَاءُ فِي عَمَلِ الْوَلِيِّ فِي الْحَجِّ مَا يَعْجُزُ عَنْهُ الصَّبِيُّ فِي حُجِّهِ. انْظُرِ الْمَغْنَى لِابْنِ قِدَامَةَ ٥٢ / ٥، الشَّرْحُ الْكَبِيرُ مَعَ الْمَقْنَعِ وَالْإِنْصَافِ ٢١ / ٨.

(٣) تَارِيخُ دِمَشْقَ ٢٨ / ١٥٩، ١٦٠.

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٨ / ١٦١، ١٦٢، مِنْ طَرِيقِ الزَّيْرِ بْنِ بَكَّارٍ بِهِ.

(٥ - ٥) فِي الْأَصْل: «إِلَيْهِ».

(٦) فِي ٣١، «تَكْفُكُوعًا». وَتَكْفُكُ الْقَوْمِ: هَابُوا الشَّيْءَ وَتَرَجَعُوا بَعْدَ إِقْدَامِهِ.

(٧) سَقَطَ مِنْ: ص. وَفِي ابْنِ عَسَاكِرَ: «بَايَعُوهُ».

(٨) الْمُسْتَدْرَكُ ٣ / ٥٥٤، حَلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ ١ / ٣٣٠، تَارِيخُ دِمَشْقَ ٢٨ / ١٦٢ - ١٦٤. وَعَزَاهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْمَجْمَعِ ٨ / ٢٧٠ إِلَى الطَّبْرَانِيِّ وَابْنِ الْبَزَّارِ، قَالَ: وَرَجَالَ الْبَزَّارِ رَجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرُ هُنَيْدِ بْنِ الْقَاسِمِ وَهُوَ ثَقَّةٌ.

النبي ﷺ قد احتجَم في طَسَبِ فَأَعْطَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ^(١) لِيُرِيَقَهُ فَشَرِبَهُ ، فقال له : « لَا تَمَسُّكَ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ ، وَوَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ ، وَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ » . وفي رواية أَنَّهُ^(٢) قَالَ لَهُ^(٣) : « يَا عَبْدَ اللَّهِ ، اذْهَبْ بِهَذَا الدِّمِ فَأَهْرِقْهُ حَيْثُ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ » . فَلَمَّا بَعُدَ عَمَدَ إِلَى ذَلِكَ الدِّمِ فَشَرِبَهُ ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ : « مَا صَنَعْتُ بِالْدِّمِ ؟ » قَالَ : « عَمَدْتُ إِلَى أَحْفَى مَوْضِعٍ عَلِمْتُتُ فَجَعَلْتُهُ فِيهِ » . قَالَ : « فَلَعَلَّكَ شَرِبْتَهُ » . قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ^(٤) : « لَا تَمَسُّكَ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ ، وَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ ، وَوَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ » .^(٥) فَكَانَتْ تِلْكَ الْقُوَّةُ الَّتِي بِهِ مِنْ ذَلِكَ الدِّمِ .

وقال محمد بن سعيد^(٥) : أَنَا مُسْلِمٌ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، ثَنَا الْحَارِثُ بْنُ عُبَيْدٍ ، ثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ ، أَنَّنَا نَوْفًا الْبِكَالِيُّ^(٦) كَانَ يَقُولُ : إِنِّي لِأَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمَنْزِلَ أَنَّ ابْنَ الزَّيْبِرِ فَارِسُ الْخُلَفَاءِ . وَقَالَ حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ^(٧) ، عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ قَالَ : كُنْتُ أُمُرُّ بَعْبِدَ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ وَهُوَ يَصَلِّي خَلْفَ الْمَقَامِ كَأَنَّهُ خَشْبَةٌ مَنْصُوبَةٌ لَا يَتَحَرَّكُ . وَقَالَ الْأَعْمَشُ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ^(٨) : كَانَ ابْنُ الزَّيْبِرِ إِذَا سَجَدَ وَقَعَتِ الْعَصَافِيرُ عَلَى ظَهْرِهِ تَصَعَّدُ وَتَنْزِلُ لَا تَرَاهُ إِلَّا جِذْمَ حَائِطٍ^(٩) . وَقَالَ غَيْرُهُ^(٩) : كَانَ ابْنُ الزَّيْبِرِ يَقُومُ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٦٣ ، بنحوه .

(٣ - ٣) في ٣١ ، ٢١ ، م : « إِنِّي شَرِبْتَهُ لِأَزْدَادٍ بِهِ عِلْمًا وَإِيمَانًا وَلِيَكُونَ شَيْءٌ مِنْ جَسَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَسَدِي وَجَسَدِي أَوْلَى بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ : أَبْشِرْ » .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل . وانظر تاريخ دمشق ٢٨ / ١٦٣ .

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨ / ١٦٥ ، ١٦٦ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٦٧ .

(٦) سقط من : الأصل ، م ، ص . وهو نوف بن فضالة الحميري البكالي ، ابن امرأة كعب الأحمبار ، شامي مستور ، من الثانية . التقريب ٢ / ٣٠٩ .

(٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧٠ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٦٩ .

(٨) يعني بَقِيَّتِهِ .

(٩) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧٠ ، وسير أعلام النبلاء ٣ / ٣٦٩ .

لَيْلَهُ حَتَّى يُصْبِحَ ، وَرَكَعٌ لَيْلَهُ حَتَّى يُصْبِحَ ، ^(١) وَيَسْجُدُ لَيْلَهُ حَتَّى يُصْبِحَ . وَقَالَ
بَعْضُهُمْ ^(٢) : رَكَعَ ابْنُ الزَّيْرِ يَوْمًا فَقَرَأَتْ الْبَقْرَةَ وَأَلَّ عِمْرَانُ وَالنِّسَاءَ وَالْمَائِدَةَ وَمَا رَفَعَ
رَأْسَهُ . وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ ^(٣) ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ عَطَاءٍ قَالَ : كُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ ابْنَ
الزَّيْرِ يُصَلِّي كَأَنَّهُ كَعْبٌ رَاتِبٌ ^(٤) . وَفِي رَوَايَةٍ ^(٥) : ثَابِتٌ . وَقَالَ أَحْمَدُ ^(٦) : تَعَلَّمَ
عَبْدُ الرَّزَّاقِ الصَّلَاةَ مِنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، وَابْنُ جُرَيْجٍ مِنْ عَطَاءٍ ، وَعَطَاءٌ مِنْ ابْنِ الزَّيْرِ ،
وَابْنُ الزَّيْرِ مِنَ الصَّدِيقِ ، [٧٣/٧] وَالصَّدِيقُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَقَالَ
الْحَمِيدِيُّ ^(٧) ، عَنْ سَفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ ، قَالَ :
لَوْ رَأَيْتُ ابْنَ الزَّيْرِ يُصَلِّي كَأَنَّهُ غُصْنُ شَجَرَةٍ تَصْفِقُهَا الرِّيحُ ، وَالْمَنْجَنِيْقُ يَقَعُ هَلْهَنَا
وَهَلْهَنَا . قَالَ سَفْيَانُ : كَأَنَّهُ لَا يُيَالَى ^(٨) . وَحَكَى بَعْضُهُمْ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(٩) ،
أَنَّ حَجْرًا مِنَ الْمَنْجَنِيْقِ وَقَعَ عَلَى شُرَافَةِ الْمَسْجِدِ فَطَارَتْ فَلَقَّةٌ مِنْهَا فَمَرَّتْ بَيْنَ لَحْيَةِ
ابْنِ الزَّيْرِ وَحَلَقِهِ ، فَمَا زَالَ عَنْ مَقَامِهِ وَلَا عَرِفَ ذَلِكَ فِي صَوْتِهِ ^(١٠) ، فَقَالَ عَمْرُ بْنُ
عَبْدِ الْعَزِيزِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، جَادٌ ^(١١) مَا وَصَفَتْ . وَقَالَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَوْمًا

(١ - ١) سقط من : ٣١ ، ٢١ .

(٢) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧١ .

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١ / ٣٣٥ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧١ ، كلاهما من طريق عبد الرزاق به .

(٤) في ٣١ ، ٢١ ، م : « راسب » .

(٥) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧١ .

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١١ / ٦٣٦ (مخطوط) ، من طريق عبد الرزاق .

(٧) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١ / ٣٣٥ ، من طريق سفيان به ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧١ ، من طريق الحميدي به .

(٨) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « به لا يعده شيئاً » .

(٩) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧٢ .

(١٠) في ٣١ ، ٢١ ، م : « صورته » .

(١١) في م : « جاء » .

لابن أبي مُليكة^(١) : صِفْ لَنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزَّيْرِ . فقال : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ جِلْدًا قَطُّ رُكِبَ عَلَى لَحْمٍ ، وَلَا لَحْمًا عَلَى عَصَبٍ ، وَلَا عَصَبًا عَلَى عَظْمٍ مِثْلَهُ ، وَلَا رَأَيْتُ نَفْسًا رُكِبَتْ بَيْنَ جَنْبَيْنِ مِثْلَ نَفْسِهِ ، وَلَقَدْ مَرَّتْ آجُرَّةٌ مِنْ رَمِي الْمَنْجَنِيْقِ بَيْنَ لَحْيَتِهِ وَصَدْرِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا جَشِعَ^(٢) وَلَا قَطَعَ لَهَا قِرَاءَتَهُ ، وَلَا رَكَعَ دُونَ مَا كَانَ يَرَكَعُ ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ خَرَجَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَيْهَا ، وَلَقَدْ كَانَ يَرَكَعُ فَيَكَاذُ يَقَعُ الرَّخَمُ^(٣) عَلَى ظَهْرِهِ ، وَيَسْجُدُ فَكَأَنَّهُ ثَوْبٌ مَطْرُوحٌ .

وقال أبو القاسم البغوي^(٤) ، عن علي بن الجعد ، عن شعبة ، عن منصور بن رَازَانَ^(٥) قال : أَخْبَرَنِي مَنْ رَأَى ابْنَ الزَّيْرِ يَشْرُبُ فِي صَلَاتِهِ ، وَكَانَ ابْنُ الزَّيْرِ مِنَ الْمُصَلِّينَ .^(٦) وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ ابْنِ الزَّيْرِ فَقَالَ^(٧) : كَانَ قَارِئًا لِكِتَابِ اللَّهِ ، مُتَّبِعًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ، قَانِتًا لِلَّهِ ، صَائِمًا فِي الْهَوَاجِرِ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ ، ابْنُ حَوَارِي رَسُولِ اللَّهِ ، وَأُمُّهُ بِنْتُ الصَّدِيقِ ، وَخَالَتُهُ عَائِشَةُ ؛ حَبِيبَةُ حَبِيبِ اللَّهِ ، زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ ، فَلَا يَجْهَلُ حَقَّهُ إِلَّا مَنْ أَعْمَاهُ اللَّهُ .

ورَوَى^(٨) أَنَّ ابْنَ الزَّيْرِ كَانَ يَوْمًا يُصَلِّي فَسَقَطَتْ حِجَّتُهُ مِنَ السَّقْفِ تَطَوَّقَتْ عَلَى بَطْنِ ابْنِهِ هَاشِمٍ ، فَصَرَخَ النِّسْوَةُ وَانْزَعَجَ أَهْلُ الْمَنْزِلِ ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ تِلْكَ

(١) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧٢ ، ١٧٣ بنحوه .

(٢) فِي الْأَصْلِ ، م ، ص : « خَشِعَ » . وَالْجَشِعُ : الْفَزَعُ .

(٣) الرِّخْمُ ، جَمْعُ رَخْمَةٍ : طَائِرٌ أَقْبَعَ عَلَى شَكْلِ النَّسْرِ . اللَّسَانُ (ر خ م) .

(٤) المجلديات (١٣٤٢) ، وَمِنْ طَرِيقِهِ أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٨ / ١٧٤ .

(٥) فِي الْأَصْلِ ، ٣١ ، ٢١ : « زَادَان » ، وَانْظُرْ تَهْذِيبَ الْكَمَالِ ٢٨ / ٥٢٣ .

(٦ - ٦) زِيَادَةٌ مِنْ : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٧) الْبُخَارِيُّ (٤٦٦٤ ، ٤٦٦٥ ، ٤٦٦٦) بنحوه ، وَالْمُسْتَدْرَكُ ٣ / ٥٤٩ . وَحُلِيَةُ الْأَوْلِيَاءِ ١ / ٣٣٤ .

(٨) تَارِيخُ دِمَشْقَ ٢٨ / ١٧٤ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٣ / ٣٧٠ مَخْتَصَرًا .

الحية ، فقتلوا وسَلِمَ الولدُ ؛ فعَلُوا هذا كُلَّهُ وابنُ الزبيرِ فى الصلَاةِ لم يَلْتَفِتْ ، ولا درى بما جرى لآلِيهِ ^(١) حتى سَلِمَ .

وقال الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ ^(٢) : حَدَّثَنِى مُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ الْخِزَامِيُّ ^(٣) ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَمَنْ لَا أَحْصَى كَثْرَةَ مِنْ أَصْحَابِنَا ، أَنَّ ابْنَ الزَّبِيرِ كَانَ يُوَاصِلُ الصَّوْمَ سَبْعًا ؛ يَصُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَا يُفْطِرُ إِلَّا ^(٤) لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ الْآخَرَى ، وَيَصُومُ بِالْمَدِينَةِ ، وَلَا يُفْطِرُ إِلَّا ^(٥) بِمَكَّةَ ، وَيَصُومُ بِمَكَّةَ فَلَا يُفْطِرُ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانَ إِذَا أَفْطَرَ أَوَّلَ مَا يُفْطِرُ عَلَى لَبَنِ لِقْحَةٍ ^(٦) ، وَسَمْنٍ ، وَصَبِيرٍ . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى ^(٧) : فَأَمَّا اللَّبَنُ فَيَعَصِيهِ ، وَأَمَّا السَّمْنُ فَيَقْطَعُ عَنْهُ الْعَطَشَ ، وَأَمَّا الصَّبِيرُ فَيَفْتَقُ الْأَمْعَاءَ . وَقَالَ ابْنُ مَعِينٍ ^(٨) ، عَنْ رَوْحٍ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، قَالَ : كَانَ ابْنُ الزَّبِيرِ يُوَاصِلُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، وَيُصْبِحُ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ وَهُوَ أَلْيَشْنَا ^(٩) . وَرَوَى مِثْلَهُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ ^(١٠) . وَقَالَ [٧٣/٧] بَعْضُهُمْ ^(١١) : لَمْ يَكُنْ يَأْكُلُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سِوَى مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ فِي وَسْطِهِ . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ ^(١٢) : كَانَ ابْنُ الزَّبِيرِ لَا يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَمَكَثَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ يَنْزِعْ ثَوْبَهُ عَنْ ظَهْرِهِ . وَقَالَ لَيْثٌ عَنْ

(١) زيادة من : ص .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧٥/٢٨ .

(٣) فى م : « الخزامى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٧٥/١٣ .

(٤ - ٤) سقط من : ٣١ ، ٢١ .

(٥) اللقحة : الناقة الحلوب ، الغزيرة اللبن .

(٦) تاريخ دمشق ١٧٦/٢٨ .

(٧) تاريخ ابن معين ٣٠٧/٢ ، ومن طريقه أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧٧/٢٨ ، ١٧٨ .

(٨) يعنى : أقوانا .

(٩) حلبة الأولياء ٣٣٥/١ ، وتاريخ دمشق ١٧٧/٢٨ ، ١٧٨ .

(١٠) تاريخ دمشق ١٧٨/٢٨ .

(١١) تاريخ دمشق ١٧٧/٢٨ .

مجاهد^(١) : لم يكن أحدٌ يطيقُ ما يُطيقُه ابنُ الزبيرِ مِنَ العبادةِ ، رضى اللهُ عنه .
ولقد جاء سَيْلٌ مرّةً فطَبَّقَ البيتَ فجعلَ ابنُ الزبيرِ يطوفُ بالبيتِ^(٢) سباحةً . وقال
بعضُهم^(٣) : كان ابنُ الزبيرِ لا يُنَارِعُ في ثلاثٍ ؛ في العبادةِ ، والشجاعةِ ،
والفصاحةِ . وقد ثَبِتَ^(٤) أنَّ عثمانَ جعله في التَّقَرُّ الذين نَسَخُوا المصاحِفَ مع زيدِ
ابنِ ثابتٍ ، وسعيدِ بنِ العاصِ ، وعبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ . وذكره سعيدُ
ابنُ المسيَّبِ في خُطباءِ الإسلامِ مع معاويةَ وابنه ، وسعيدِ بنِ العاصِ وابنه^(٥) .
وقال عبدُ الواحدِ بنُ أيمنَ : رأيتُ على ابنِ الزبيرِ رداءَ يمانِيّا عَدَنِيّا يُصَلِّي فيه ،
وكان صَيِّتا ؛ إذا خَطَبَ يُجاوِبه الجبلانِ أبو قُبَيْسٍ ، وزُرُودُ^(٥) .

وكان آدمٌ نَحيفًا ليس بالطويل ، وكان بينَ عينيه أثرُ السجودِ ، كثيرُ العبادةِ
مجتهدًا شَهْمًا فصيحًا ، صَوَامًا قَوَامًا ، شديدُ البأسِ ذا أَنْفَةٍ ، له نَفْسٌ شريفةٌ وَهْمَةٌ
عاليةٌ ، وكان خفيفَ اللَّحِيَةِ ليس في وجهه مِنَ الشَّعْرِ إلَّا قليلًا ، وكانت له جُمَّةٌ ،
وكان له لِحِيَّةٌ صفراءُ .

وقد ذَكَرْنَا^(٦) أَنَّهُ شَهِدَ مع عبدِ اللهِ بنِ سعدِ بنِ أبي سَرْجٍ قتالَ البُرَيْرِ ؛ وكانوا
في عشرين ومائة ألفٍ ، والمسلمون عشرين ألفًا ، فأحاطوا بهم من كلِّ جانبٍ ،

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٧٨/٢٨ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٧٠ ،
بنحوه .

(٢) زيادة من ٣١ ، ٢١ ، م . وانظر تاريخ دمشق ١٧٨/٢٨ .

(٣) تاريخ دمشق ١٧٩/٢٨ ، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٧٠ .

(٤) تاريخ دمشق ١٧٩/٢٨ .

(٥) في الأصل : « زرود » . وفي ٢١ : « زروز » . وفي م : « زرواء » . وفي تاريخ دمشق : « زرزر » .
وانظر معجم البلدان ٩٢٨/٢ .

(٦) انظر ما تقدم في ١٠ / ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

فما زال عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ يحتالُ حتى ركبَ في ثلاثين فارسًا ، وسار نحوَ ملكِ
البربرِ ، وهو مُنفردٌ وراءَ الجيشِ ، وجواريه يُظَلِّلَنَّهُ بربيشِ النعامِ ، فساق حتى انتهى
إليه ، والناسُ يَظُنُّونَ أَنَّهُ ذاهِبٌ في رسالةٍ إليه ، فلمَّا فهمه الملكُ وَلَّى مدبرًا ، فليحقه
عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ فقتَلَه واحتزَّ رأسَه ، وجعله فوقَ رُمَحِه ، وكبَّرَ وكبَّرَ المسلمونَ ،
وحملوا على البربرِ ، فانهزمتِ البربرُ بينَ أيديهم فقتلوا منهم خلقًا كثيرًا ، وغنموا
مغانمَ^(١) كثيرةً جدًّا ، وبعثَ ابنُ أبي سَرحٍ بالبشارةِ مع عبدِ اللَّهِ ابنِ الزبيرِ ، فقَصَّ
على عثمانَ الخيرَ وكيف جرى ، فقال له عثمانُ^(٢) : أَسْتَطِيعُ أَنْ تُؤَدِّيَ هذا للناسِ
فوقَ المنبرِ؟ قال : نعم . فأمره^(٣) ، فصعدَ ابنُ الزبيرِ فوقَ المنبرِ فخطبَ الناسَ ،
وذكرَ لهم كيفيَّةَ ما جرى . قال عبدُ اللَّهِ : فالتفتُ فإذا أبي - الزبيرُ - في جملةِ
مَن حضَرَ ، فلمَّا تبيَّنتُ وجهَه كاد أن يُرتَجَّ عليّ في الكلامِ مِن هيئته في قلبي ،
فزبرَنِي بعينه وأشارَ إليّ ليحصبَنِي ، فمضيتُ [٧٤/٧] في الخطبةِ كما كنتُ ،
فلمَّا نزلتُ ، قال : واللَّهِ لكأنِّي أَسْمَعُ خطبةَ أبي بكرٍ الصديقِ حينَ سَمِعْتُ
خُطْبَتَكَ يا بُنَيَّ .

وقال أحمدُ بنُ أبي الحواري^(٤) : سَمِعْتُ أبا سُلَيْمَانَ الدارانيَّ يقولُ : خرجَ ابنُ
الزبيرِ في ليلةٍ مُقَمَّرَةٍ على راحلةٍ له فنزلَ يَتَوَلَّى^(٥) ، فالتفتَ فإذا على الراحلةِ شيخٌ
أبيضُ الرأسِ واللِّحية ، قال : فشَدَّ عليه ابنُ الزبيرِ فتنَحَّى عنها فركبَ ابنُ الزبيرِ
راحلتهِ ومضى ، قال : فناداه : واللَّهِ يا ابنَ الزبيرِ لو دَخَلَ قلبُكَ الليلةَ مِنِّي شجرةٌ

(١) في ٣١ ، ٢١ ، م : « أموالًا وغانم » .

(٢) تاريخ دمشق ١٨٠/٢٨ ، ١٨١ ، ١٨٢ .

(٣) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٨٣/٢٨ ، من طريق أحمد بن أبي الحواري به .

(٥) في م : « في تبوك » ، وفي ص : « تبوك » .

لِحَبْلُكَ . قال : وَمِنْكَ أَنْتَ يَا لَعِينُ يَدْخُلُ قَلْبِي شَيْءٌ ! وقد رُويَ لهذه الحكاية شواهدٌ مِنْ وجوهٍ أُخرى جيدة^(١) . وروى عبدُ اللَّهِ بنُ المبارك ، عن إسحاق بن يحيى ، عن عامر بن عبدِ اللَّهِ بن الزبير قال^(٢) : أَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ مِنَ الْعُمْرَةِ فِي رَكْبٍ مِنْ قَرِيشٍ ، فَلَمَّا كَانُوا عِنْدَ التَّنَاضِبِ^(٣) أَبْصَرُوا رَجُلًا عِنْدَ شَجَرَةٍ ، فَتَقَدَّمَهُمْ ابْنُ الزبيرِ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ سَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَعْأُ بِهِ ، وَرَدَّ رَدًّا ضَعِيفًا ، وَنَزَلَ ابْنُ الزبيرِ فَلَمْ يَتَحَرَّكَ لَهُ الرَّجُلُ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزبيرِ : تَنْتَحُّ عَنِ الظِّلِّ . فَاِنْحَازَ مُتَكَارِهًا ، قَالَ ابْنُ الزبيرِ : فَجَلَسْتُ وَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَقُلْتُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : رَجُلٌ مِنَ الْجَنِّ . فَمَا عَدَا أَنْ قَالَهَا حَتَّى قَامَتْ كُلُّ شَعْرَةٍ مَتَّى فَاجْتَذَبْتُهُ ، وَقُلْتُ : أَنْتَ رَجُلٌ مِنَ الْجَنِّ وَتَبْدُو لِي هَكَذَا ؟ وَإِذْ لَيْسَ^(٤) لَهُ سُفْلَةٌ وَانْكَسَرَ وَنَهَرَتْهُ ، وَقُلْتُ : إِلَيَّ تَبَدَّدِي وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَذَهَبَ هَارِبًا وَجَاءَ أَصْحَابِي ، فَقَالُوا : أَيْنَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ عِنْدَكَ ؟ فَقُلْتُ : إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْجَنِّ فَهَرَبَ . قَالَ : فَمَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا سَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ عَنْ رَاحِلَتِهِ ، فَأَخَذْتُ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَشَدَدْتُهُ عَلَى رَاحِلَتِهِ حَتَّى أَتَيْتُ بِهِمْ أَمَجَّ^(٥) وَمَا يَعْقِلُونَ .

وقال سفيان بن عيينة^(٦) : قال ابنُ الزبير : دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَإِذَا نِسْوَةٌ يَطْفَنُ بِالْبَيْتِ فَأَعْجَبَنِي ، فَلَمَّا قَضَيْنَ طَوَافَهُنَّ خَرَجْنَ فَخَرَجْتُ فِي إِثْرِهِنَّ لِأَعْلَمَ أَيْنَ مَنَزَلُهُنَّ ، فَخَرَجْنَ مِنْ مَكَّةَ حَتَّى أَتَيْنَ الْعَقْبَةَ ، ثُمَّ انْحَدَرْنَ حَتَّى أَتَيْنَ

(١) تاريخ دمشق ١٨٣/٢٨ - ١٨٦ .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٨٤/٢٨ ، ١٨٥ .

(٣) في الأصل ، ص : « التناصب » ، وفي ٣١ ، ٢١ ، م : « اليناصب » ، وانظر معجم البلدان ٨٧٥/١ .

(٤) سقط من : م .

(٥) في م : « الحج » ، وأمعج : بلد من أعراض المدينة . معجم البلدان ٣٥٧/١ .

(٦) تاريخ دمشق ١٨٥/٢٨ ، ١٨٦ .

فَجَاءَا، فَدَخَلَا فِي خَرَبَةٍ، فَدَخَلْتُ فِي إِثْرِهِنَّ، فَإِذَا مَشِيخَةٌ جُلُوسٌ، فَقَالُوا: مَا جَاءَ بِكَ يَا ابْنَ الزَّيْبِرِ؟ ^(١) فَقُلْتُ لَهُمَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: الْجُرَّيْنُ، وَتِلْكَ النِّسْوَةُ نِسَاؤُنَا، فَمَا تَشْتَهِي يَا ابْنَ الزَّيْبِرِ؟ ^(٢) فَقُلْتُ: أَشْتَهِي رُطْبًا، وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ مِنْ رُطْبَةٍ، فَأَتَوْنِي بِرُطْبٍ فَأَكُلْتُ، ثُمَّ قَالُوا: احْمِلْ مَا بَقِيَ مَعَكَ. فَجِئْتُ بِهِ الْمَنْزَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي سَفَطٍ وَوَضَعْتُ السَّفَطَ فِي صُنْدُوقٍ، ثُمَّ وَضَعْتُ رَأْسِي لِأَنَامَ، فَبَيْنَمَا أَنَا بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ إِذْ سَمِعْتُ جَلْبَةً فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيْنَ وَضَعَهُ؟ قَالُوا: فِي [٧٤/٧ ظ] الصُّنْدُوقِ. فَفَتَحُوهُ فَإِذَا هُوَ فِي السَّفَطِ دَاخِلَهُ، فَهَمُّوا بِفَتْحِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَأَخَذُوا السَّفَطَ بِمَا فِيهِ فَذَهَبُوا بِهِ، قَالَ: فَلَمْ آسَفْ عَلَى شَيْءٍ أَسْفَى كَيْفَ لَمْ أَثْبُتْ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ فِي الْبَيْتِ.

وقد كان عبدُ اللَّهِ بنُ الزَّيْبِرِ مِمَّنْ حَاجَفَ عَنْ عِثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ، وَجُرِحَ يَوْمَئِذٍ بِضَعِّ عَشْرَةِ جِرَاحَةٍ. ^(٣) وَكَانَ عَلَى الرَّجَالَةِ يَوْمَ الْجَمَلِ وَجُرِحَ يَوْمَئِذٍ تِسْعَ ^(٤) عَشْرَةِ جِرَاحَةٍ ^(٥) أَيْضًا. وَقَدْ تَبَارَزَ يَوْمَئِذٍ هُوَ وَمَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْأَشْثَرِ، فَاتَّخَذَا فِصْرَعِ الْأَشْثَرِ ابْنَ الزَّيْبِرِ فَلَمْ يَتِمَكَّنِ الْأَشْثَرُ ^(٦) مِنَ الْقِيَامِ عَنْهُ، بَلْ احْتَضَنَهُ ابْنُ الزَّيْبِرِ وَجَعَلَ يُنَادِي وَيَقُولُ:

اقتلوني ومالكًا واقتلوا مالكًا معي

فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا. ثُمَّ تَفَرَّقَا وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ الْأَشْثَرُ. وَقَدْ قِيلَ ^(٧): إِنَّهُ جُرِحَ يَوْمَئِذٍ

(١ - ١) سقط من: م.

(٢ - ٢) سقط من: ٣١.

(٣) في ٢١: «سبعة».

(٤) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٥) تاريخ دمشق ١٨٨/٢٨، وسير أعلام النبلاء ٣٧١/٣.

بضعاً وأربعين جراحةً ، ولم يُوجدَ إلا بينَ القَتلى وبه رَمَقٌ ، وقد أعطت عائشةُ
لَمَن بَشَرها أَنَّهُ لم يُقتَل عشرة آلاف درهمٍ وسجدت لله شكراً ، وقد كانت تُثيِّمه
حُبّاً شديداً ؛ لأنَّه ابنُ أختها ، وكان عزيزاً عليها . وقد روى عن عروة أَنَّهُ قال ^(١) :
لم تكنْ عائشة تُحبُّ أحداً بعدَ رسولِ الله ﷺ وأبى بكرٍ مثلَ حُبِّها عبدَ الله بنَ
الزبير . وقال : وما رأيتُ أبى وعائشة يدعوان لأحدٍ من الخلقِ مثلَ دعائهما لابنِ
الزبير .

وقال الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ ^(٢) : حدَّثني أخى هارونُ بنُ أبى بكرٍ ، عن يحيى بنِ
إبراهيمَ ، عن سليمانَ بنِ محمدٍ بنِ يحيى بنِ عروة ، ^(٣) عن أبيه ^(٤) ، عن عمِّه ^(٥)
عبدِ الله بنِ عروة ^(٦) قال : أَفحمت السَّنةُ ^(٧) نابعةً بنى جَعْدَةَ فدخَلَ على عبدِ الله
ابنِ الزبيرِ المسجدَ الحرامَ ، فأنشدَه هذه الأبياتَ ^(٨) :

حكيتُ ^(٩) لنا الصَّدِيقَ لما وليتُنا ^(١٠) وعثمانَ والفاروقَ فارتاحَ مُعدِمُ
وسويتَ بينَ الناسِ فى الحقِّ فاستَووا فعاد صباحاً حالِكُ الليلِ ^(١١) مُظْلِمُ

-
- (١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٨٩/٢٨ .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩٠/٢٨ ، ١٩١ ، والحافظ فى الإصابة ٣٩٧/٦ من هذا الطريق وغيره . وأورده الهيثمى فى المجمع ٢٥/١٠ ، وقال : رواه الطبرانى ، وفيه راو لم أعرفه ورجال مختلف فىهم .
(٣) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٦١/١٢ .
(٤ - ٤) سقط من : م .
(٥) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « عن » .
(٦) بعده فى ٣١ ، ٢١ : « عن عروة » .
(٧) أى أخرجه من البداية وأدخلته الحضر . النهاية ١٩/٤ .
(٨) ديوان النابعة الجعدى ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ . والأبيات أيضاً فى الاستيعاب ١٥١٨/٤ ، ١٥١٩ ، والإصابة ٣٩٧/٦ .
(٩) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ : « فكننت » .
(١٠) فى م : « وليتها » .
(١١) فى الأصل : « اللوم » ، وفى ٣١ ، ٢١ ، م : « اللون » .

أَتَاكَ أَبُو لَيْلَى يَجُوبُ بِهِ الدُّجَى دُجَى اللَّيْلِ جَوَابُ الْفَلَاحِ عَثْمُ^(١)
لَتَجِيرَ^(٢) مِنْهُ جَانِبًا^(٣) دَعْدَعَتْ^(٤) بِهِ صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالزَّمَانُ الْمَصْمُومُ
فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزَّيْبِرِ: هُوَ عَلَىكَ أَبَا لَيْلَى، فَإِنَّ الشَّعْرَ أَهْوَنُ وَسَائِلُكَ^(٥) عِنْدَنَا،
أَمَّا صِفْوَةٌ^(٦) مَا لَنَا فَلَا لَ الزَّيْبِرِ، وَأَمَّا عَفْوُهُ فَإِنَّ بَنِي أَسَدٍ يَشْغُلُهَا عَنْكَ وَتِيْمًا، وَلَكِنْ
لَكَ فِي مَالِ اللَّهِ حَقَّانٍ؛ حَقُّ بَرُوَيْتِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَحَقُّ لَشْرِكَتِكَ أَهْلَ
الْإِسْلَامِ فِي فَيْيِهِمْ. ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ دَارَ النَّعْمِ فَأَعْطَاهُ قَلَائِصَ سَبْعًا وَجَمَلًا
رَحِيلًا^(٧)، وَأَوْقَرَ لَهُ [٧٥/٧] الرُّكَّابَ بُرًّا وَتَمْرًا وَثِيَابًا، فَجَعَلَ النَّابِغَةُ يَسْتَعِجِلُ
وَيَأْكُلُ الْحَبَّ صِرْفًا، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزَّيْبِرِ: وَيَخُ أَيُّ لَيْلَى، لَقَدْ بَلَغَ الْجَهْدُ. فَقَالَ
النَّابِغَةُ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا وَلَيْتُ قَرِيشٌ فَعَدَلْتُ،
وَاسْتَرْجَمْتُ فَرَجِمْتُ، وَحَدَّثْتُ فَصَدَّقْتُ، وَوَعَدْتُ خَيْرًا فَأَنْجَزْتُ، فَأَنَا وَالنَّبِيُّونَ
فُرَاطُ^(٨) الْقَاصِفِينَ^(٩)». «

-
- (١) فِي م: «غشمشم». والعنشم: الجمل القوى الشديد.
(٢) فِي م: «لتجير».
(٣) فِي م: «جائبا».
(٤) فِي الْأَصْل، ٣١، ٢١: «وعدت»، وَفِي م: «غدرت». والمثبت كما فِي الدِّيوان ص ٢٠٥.
(٥) فِي ٣١، ٢١، م: «رسائلك».
(٦) الصَّفْوَةُ بِكسر الصاد: خيار الشيء وخلاصته. النهاية ٤٠/٣.
(٧) فِي النسخ: «دخيلًا»، والمثبت من الدِّيوان ص ٢٠٥، وتاريخ دمشق ١٩١/٢٨، والرحيل من الإبل: التي تقوى على السير.
(٨) فِي م: «فرط».
(٩) فِي الْأَصْل، ص: «لقاصفين»، وهو كذلك فِي الشعر والشعراء ٢٩٠، واللسان (ق ص ف).
وَفِي ٣١: «العاصبين»، وَفِي ٢١، م: «العاصفين». وَفِي الاستيعاب ١٥١٩/٤: «القادمين»، وَفِي
الإصابة ٣٩٧/٦: «التابعين». والتصويب من النهاية ٤٣٤/٣، ٧٣/٤. والفرط المتقدمون، والقاصفون
المزدهمون، وأصل القصف الكسر والدفع الشديد، يريد أنهم يتقدمون الأمم إلى الجنة وهم على أثرهم
بداًراً متدافعين مزدحمين.

وقال محمد بن مَرْوَانَ^(١) صاحبُ كتابِ «المجالسة» : أخبرني^(٢) حبيب بن نصر^(٣) الأزدي ، ثنا محمد بن دينار ،^(٤) ثنا محمد بن زياد^(٥) الضبي ، ثنا هشام بن سليمان المخزومي ،^(٦) عن أبيه^(٧) ، قال : أذن معاوية للناس يوماً فدخلوا عليه فاحتفل المجلس ، وهو على سريرِه ، فأجال بصره فيهم ثم قال : أنشدوني لقدما العرب ثلاثة أبيات جامعة من أجمع ما قالتها العرب^(٨) . ثم قال : يا أبا حبيب . فقال : مهيم^(٩) ؟ قال : أنشدني ذلك . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، بثلاثمائة ألف ؛^(١٠) كل بيت بمائة ألف^(١١) . قال : نعم ، إن ساوت . قال : أنت بالخيار ، وأنت وافٍ كافٍ .^(١٢) قال : نعم^(١٣) . فأنشده للأفوه الأودي^(١٤) :

بلوث الناس قَرُونًا بعدَ قَرُونٍ فلم أرَ غيرَ ختالٍ وقالِ
فقال^(١٥) : صدق .

ولم أرَ في الخطوبِ أشدَّ وقَعًا وكيذاً من معاداة الرجالِ
فقال^(١٦) : صدق .

-
- (١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩٨/٢٨ ، ١٩٩ .
(٢ - ٣) في الأصل : « بن نصر » ، وفي م : « حبيب بن نصير » ، وانظر مصدر التخريج .
(٣ - ٤) سقط من : م .
(٤ - ٥) في ص : « أنه » .
(٥) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م .
(٦) يعني : ما شأنك .
(٧ - ٨) سقط من : الأصل ، ص .
(٨ - ٩) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .
(٩) في الأصل م ، ص : « الأزدي » ، وانظر الشعر والشعراء ٢٢٣/١ ، والأبيات في تاريخ دمشق ١٩٨/٢٨ ، ومختصر تاريخ دمشق ١٢/١٨٦ ، ١٨٧ .
(١٠) في ٣١ ، ٢١ ، م : « فقال معاوية » .

وَذُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ طُرًّا فَمَا شَيْءٌ أَمَرٌ مِنَ السُّؤَالِ

فقال^(١) : صدق . ثم قال معاوية : هيه يا أبا حُبيب . قال : إلى ههنا انتهي .
قال : فدعا معاوية بثلاثين عبداً ، على غنق كل واحد منهم بذرّة ، وهي عشرة آلاف درهم ، فمروا بين يدي ابن الزبير حتى انتهوا إلى داره . وروى ابن أبي الدنيا^(٢) ، عن أبي زيد^(٣) الثُمَيْرِيّ ، عن أبي عاصم النبيل ، عن جويرية بن أسماء أنّ معاوية لما حجّ تلقاه الناس وتخلّف ابن الزبير ، ثم جاءه وقد حلّق رأسه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما أكثرَ حِجْرَةَ^(٤) رأسك ؟ فقال له : اتّقِ^(٥) ؛ لا تخرُج عليك منها حيّة فتقتلك . فلما أفاض معاوية طاف معه ابن الزبير وهو آخذ بيده ثم استدعاه إلى داره ومنازله بقعيقعان ، فذهب معه إليها ، فلما خرّجا ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ الناس يقولون : جاء معه أمير المؤمنين إلى دُورِهِ ومنازله ففعل^(٦) ماذا ؟ لا والله لا أدعك حتى تُعطيتي مائة ألف . فأعطاه ، فجاء مزوان فقال : والله يا أمير المؤمنين ما رأيتُ مثلك ؛ جاءك رجلٌ قد سمى بيت مال الديوان ، وبيت الخلافة ، [٧/٧٥ظ] وبيت كذا وبيت كذا ، فأعطيتَه مائة ألف . فقال له : ويلك ، فكيف أصنعُ بابن الزبير ؟

وقال ابن أبي الدنيا^(٧) : أخبرني عمرُ بنُ بكير ، عن عليّ بن^(٨) مجاهد ،

(١) في ٣١ ، ٢١ ، م : « فقال معاوية » .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩٩/٢٨ .

(٣) في م : « يزيد » .

(٤) في م : « حجرة » .

(٥) بعده في م : « أن » .

(٦) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « معه » .

(٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩٩/٢٨ ، من طريق ابن أبي الدنيا به .

(٨) في الأصل : « عن » .

«عن هشام^(١) بن عروة، قال: سأل عبد الله بن الزبير معاوية شيئاً فمنعه، فقال: والله ما أجهل أن أزم هذه البيئة^(٢) فلا أشتم لك عرضاً ولا أقصب^(٣) لك حسباً، ولكني أسدل عمامتي من بين يدي ذراعاً، ومن خلفي ذراعاً في طريق أهل الشام، وأذكر^(٤) سيرة أبي بكر الصديق وعمر، فيقول الناس: من هذا؟ فيقولون: ابن خوارى رسول الله ﷺ وابن بنت الصديق. فقال معاوية: حسبك بهذا شراً^(٥). ثم قال: هات حوائجك.

وقال الأصمعي^(٦): ثنا غسان بن مضمر، عن سعيد بن يزيد، قال: دخل ابن الزبير على معاوية فأمر ابناً له صغيراً فلطمه لطمه دوخ منها رأسه، فلما أفاق ابن الزبير قال للصبي: اذن مني. فدنا منه، فقال له: الطم معاوية. قال: لا أفعل. قال: ولم؟ قال: لأنه أبي. فرفع ابن الزبير يده فلطم الصبي لطمه جعل يدور منها كما تدور الدوامة، فقال له معاوية: تفعل هذا بغلام لم تجر^(٧) عليه الأحكام؟ قال: إنه والله قد عرف ما يضربه مما ينفعه، فأحببت أن أحسن أدبه. وقال أبو الحسن علي بن محمد المدائني، عن عبد الله بن أبي بكر، قال^(٨): لحق ابن الزبير معاوية وهو سائر إلى الشام^(٩) من المدينة^(٩)، فوجده وهو ينعس على

(١ - ١) سقط من النسخ، والمثبت من تاريخ دمشق ١٩٩/٢٨، وانظر تهذيب الكمال ١١/٢٠ - ١٥، ٢٣٢/٣ - ٢٣٤.

(٢) في ٣١: «النية». والبيئة: من أسماء الكعبة. النهاية ١٥٨/١.

(٣) في م: «أقصم». وقصبه إذا عابه وشمته.

(٤) في الأصل، ص: «أذر».

(٥) في الأصل، م، ص: «شرقاً».

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨/٢٠٠.

(٧) في م «تجر».

(٨) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨/٢٠٠، ٢٠١.

(٩ - ٩) سقط من: ٣١، ٢١، م.

راحلته ، فقال له : أتنعس وأنا معك ؟ أما تخافُ مِنِّي أَنْ أَقْتَلَكَ ؟ فقال : إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ قُتَالِ الْمُلُوكِ ، إِنَّمَا يَصِيدُ كُلُّ طَائِرٍ قَدْرَهُ ^(١) . فقال : أما لقد سِرْتُ تحتَ ^(٢) «لواءِ أبي» إلى عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، وهو مَنْ تعلَّم . فقال : لا جَرَمَ ، قَتَلَكُمُ وَاللَّهِ بِشِمَالِهِ . فقال : أما إِنَّ ذلك كان في نُصرةِ عثمانَ ، ثم لم يُجَزَّ ^(٣) بها . فقال : إِنَّمَا كان لبغضِ عليٍّ لا لِنُصرةِ عثمانَ . فقال له ابنُ الزبيرِ : إِنَّا قد أعطيناكَ عَهْدًا فنحنُ وأقربُ لك به ما عِشْتَ ، ^(٤) «فَإِذَا مِتَّ» فسيعلَمُ مَنْ بعدَكَ . فقال : أما واللَّهِ ما أخافُكَ إِلَّا عليَّ نفسيكَ ، ولكأنِّي بك قد خُيِّطْتُ في الحَيَالَةِ واستُحْكِمْتُ عليك ^(٥) «الأنشوطَةُ» ، فذكرتني وأنتَ ^(٦) فيها ، فقلتُ : ليتَ ^(٧) «أبا عبدِ الرحمنِ» لها ، ليتني واللَّهِ لها ، أما واللَّهِ لأُحِلِّلَنَّكَ ^(٨) «رُويْدًا» ، ولأُطْلِقَنَّكَ ^(٩) «سريعًا» ، وليُيسِّرَ الوليُّ أَنْتَ تلكَ السَّاعَةَ . وحكى ^(١٠) «ابنُ عُيَيْنَةَ» نحوَ هذا . وقد تقدَّم ^(١١) أَنْ معاويةَ لما مات وجاءت بيعةُ يزيدَ بنِ معاويةَ إلى [٧٦/٧] المدينة انشمرَ منها ابنُ الزبيرِ والحسينُ بنُ عليٍّ فقَصَدَا مَكَّةَ فأقاما بها ، ثم خرجَ الحسينُ إلى العراقِ فكانَ مِنْ ^(١٢) «أمرِ مقتله بأرضِ كربلاء» ما تقدَّم ^(١٣) . وتفردَ بالرياسةِ والشُّؤْدِيدِ

(١) مثل يضرب في إقدام المرء على ما يقدم عليه ، المستقصى ٢٢٨/٢ .

(٢ - ٢) في الأصل : «لوائى» .

(٣) في تاريخ دمشق : «نجر» .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) في ٣١ ، ٢١ : «عليه» .

(٦) في ص : «أنا» .

(٧) في الأصل : «أنت» .

(٨) في م : «لأحللتك» ، وفي تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٠١ ، ونسختين من نسخه : «لحلفتك» .

(٩) في م : «لأطلقتك» .

(١٠ - ١٠) في الأصل : «ابن قتيبة» ، وفي ٣١ ، ٢١ ، م : «أبو عبد الله» . وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٠١ .

(١١) انظر ما تقدم في ١١ / ٤٦٧ .

(١٢ - ١٢) في ٣١ ، ٢١ ، م : «أمره» .

(١٣) انظر ما تقدم في ١١ / ٤٧٣ .

بِمَكَّةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ ؛ وَلِهَذَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُنْشِدُ ^(١) «بَعْدَ مَخْرَجِ الْحُسَيْنِ» :
 يَا لَكَ مِنْ قُنْبَرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَا لَكَ الْجُؤُ ^(٢) فَيَبْضِي وَاضْفِرِي
 * وَنَقَرِي مَا شِئْتَ أَنْ تُنْقَرِي *

يُعَرِّضُ بَابِنِ الزَّيْبِرِ .

^(٣) وَقِيلَ ^(٤) : إِنَّ يَزِيدَ بْنَ معاويةَ كَتَبَ إِلَى ابْنِ الزَّيْبِرِ ؛ يَقُولُ : إِنِّي قَدْ بَعَثْتُ
 إِلَيْكَ بِسِلْسِلَةٍ مِنْ فِضَّةٍ ، وَقَيْدٍ مِنْ ذَهَبٍ ، وَجَامِعَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَحَلَقْتُ لَتَأْتِيَنِي فِي
 ذَلِكَ ، فَأَبْرَ قَسَمِي ، وَلَا تَشُقَّ الْعَصَا . فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ ، وَقَالَ :
 وَلَا أَلِيَنَّ لَغَيْرِ الْحَقِّ أَسْأَلُهُ حَتَّى ^(٥) يَلِيَنَّ لَضُرْسِ الْمَاضِغِ الْحَجَرِ ^(٦)
 فَلَمَّا مَاتَ يَزِيدُ بْنُ معاويةَ ، وَابْنُهُ معاويةُ ^(٧) بْنُ يَزِيدَ ^(٨) مِنْ بَعْدِهِ قَرِيبًا ، اسْتَفْحَلَ
 أَمْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ جَدًّا ، وَبُوعَ لَهُ ^(٩) بِالْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ وَمِصْرَ ^(١٠) ، وَبَايَعَ لَهُ
 الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ بَدْمَشَقَ وَأَعْمَالِهَا ، وَلَكِنْ عَارَضَهُ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فِي ذَلِكَ ،
^(١١) وَمَا زَالَ حَتَّى قَتَلَهُ وَجَمَاعَةً بِمَرْجِ رَاهِطٍ ، كَمَا تَقَدَّمَ ^(١٢) . فَبَايَعَ لَهُ أَهْلُ الشَّامِ ، ثُمَّ
 دَخَلَ مِصْرَ فَانْتَرَعَهَا ^(١٣) مِنْ نَوَابِ ابْنِ الزَّيْبِرِ ، ثُمَّ جَهَّزَ السَّرَايَا إِلَى الْعِرَاقِ ، وَمَاتَ

(١ - ١) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م . والرجز لطرفه بن العبد ، وتقدم في ٤٩٦/١١ .

(٢) في ٣١ ، ٢١ : « البر » .

(٣ - ٣) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٤) انظر المستدرک ٥٥٠/٣ ، حلية الأولياء ٣٣١/١ ، وتاريخ دمشق ٢٨/٢٠٩ .

(٥) في ٣١ : « حين » . والبيت للفرزدق في ديوانه ص ٢٤٥ .

(٦ - ٦) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٧ - ٧) في ٣١ ، ٢١ ، م : « بالخلافة في جميع البلاد الإسلامية » .

(٨ - ٨) في ٣١ ، ٣١ ، م : « وأخذ الشام ومصر » .

(٩) تقدم في ٦٧٥/١ .

واستخلف بعده ابنه عبد الملك بن مزوان ، فما زال حتى قتل مُصعب بن الزبير وأخذ العراق منه ، ثم بعث الحجاج بن يوسف ، فحاصر ابن الزبير بمكة قريباً من سبعة أشهر ، حتى ظفر به في يوم الثلاثاء سابع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين .

وكانت ولاية ابن الزبير في سنة أربع وستين ، وحج بالناس فيها كلها ، وبنى الكعبة في «أيامه» ، كما أشار إليه الرسول ﷺ^(٢) . وردّ بناءها كما كانت عليه ، كما أخبرته بذلك عائشة أم المؤمنين^(١) ، وكسا الكعبة الحرير ، وكانت كُسوتها قبل ذلك الأنطاع والمُسوخ^(٣) .

وكان ابن الزبير عالماً عابداً مهيباً وقوراً ، كثير الصيام والصلاة ، شديد الخشوع قوي السياسة . قال أبو نعيم الأصبهاني^(٤) : حدّثنا أبو حامد بن جبلة ، ثنا محمد بن إسحاق الثقفي ، ثنا أحمد بن سعيد الدارمي ، ثنا أبو عاصم ، عن عمر بن قيس . قال : كان لابن الزبير مائة غلام يتكلّم كل غلام منهم بلغة غير لغة الآخر ، وكان ابن الزبير يُكلّم كل واحد منهم بلغته ، وكنت إذا نظرت إليه في أمر دُنياه قلت : هذا رجل لم يُرد الله^(٥) طرفه عين ،^(٦) وإذا نظرت إليه في أمر آخرته قلت : هذا رجل لم يُرد الدنيا طرفه عين^(٧) .

(١ - ١) في ٣١ ، ٢١ ، م : «أيام ولايته كما تقدم» .

(٢) البخاري (١٥٨٣ ، ١٥٨٤ ، ١٥٨٥ ، ١٥٨٦) ، مسلم (١٣٣٣/٣٩٨) .

(٣) بعده في الأصل : «وكان يطيبها حتى يوجد ريحها من ظاهر الحرم ، وكان مكتوب على كسوته عبد الله بن أبي بكر أمير المؤمنين» .

(٤) حلية الأولياء ١/٣٣٤ ، ومن طريق أبي نعيم أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨/٢١٥ .

(٥) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : «والدار الآخرة» .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

وقال الثوري^(١) ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى قال : رأيت على رأس ابن الزبير من المسك ما لو^(٢) كان لي^(٣) كان رأس مالي . وكان يطيب الكعبة حتى كان يُوجد ريحها من مسافة بعيدة .

وقال ابن المبارك^(٣) ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : دخل ابن الزبير [٧٦/٧ظ] على امرأته بنت الحسين^(٤) ، فرأى ثلاثة مثل - يعنى أفرشة - فقال : هذا لي ، وهذا لابنة الحسين^(٥) ، وهذا للشيطان . فأخرجوه .

وقال الثوري^(٦) ، عن عبد الملك^(٧) بن أبي بشير^(٨) ، عن عبد الله بن مساور ، قال : سمعت ابن عباس يُعَاتِب ابن الزبير على البخل ، ويقول : قال رسول الله ﷺ : « ليس بالمؤمن من يبيت شعبان ، وجأزه إلى جنبه جائع » .

وقال الإمام أحمد^(٩) : حدثنا إسماعيل بن أبيان الوراق ، ثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن ابن أبيزى ، عن عثمان بن عفان قال : قال له عبد الله بن الزبير حين^(١٠) حصر : إن عندى نجائب قد أعددتها لك ، فهل لك أن تحوّل إلى

(١) تاريخ دمشق ٢٨/٢١٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٤٤٤ .

(٢ - ٣) سقط من : ٣١ .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨/٢١٥ .

(٤) فى ٣١ ، ٢١ : « الحسين » .

(٥) فى ٣١ : « الحسين » .

(٦) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد (١١٢) ، والحاكم فى المستدرک ٤/١٦٧ ، كلاهما بنحوه . وصححه الحاكم وأقره الذهبى . وصححه الألبانى (صحيح الأدب المفرد ٨٢) .

(٧ - ٨) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « عبد الله » . وانظر مصدر التخریج .

(٨) فى ص : « بشر » .

(٩) المسند ١/٦٤ . إسناده ضعيف .

(١٠) فى الأصل : « حيث » .

مكةَ فيأتيك مَنْ أراد أن يأتيك ؟ قال : لا ، إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ :
« يُلجِدُ بمكةَ »^(١) كبشٌ من قريشٍ اسمه عبدُ الله ، عليه مثلُ أوزارِ الناسِ . وهذا
الحديثُ مُنكَرٌ جدًّا ، وفي إسناده ضعفٌ ، ويعقوبُ هذا هو القمِّيُّ ، وفيه تشييعٌ
« وضعفٌ »^(٢) . ومثلُ هذا لا يُقبلُ تفرُّدهُ به ، وبتقديرِ صحَّتهُ فليس هو بعبدِ الله بنِ
الزبيرِ ، فإنَّه كان على صفاتٍ حميدةٍ ، وقيامه في الإمارةِ إنما كان لله عزَّ وجلَّ ،
ثم هو كان^(٣) له الأمرُ^(٣) بعدَ موتِ معاويةَ بنِ يزيدٍ لا محالةً ، وهو أرشدُ من مروانَ
ابنِ الحكمِ ، حيثُ نازعه^(٤) بعدَ أن اجتمعتِ الكلمةُ عليه ، وقامتِ البيعةُ له في
الآفاقِ وانتظَمَ له الأمرُ^(٤) . واللهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ^(٥) : حدَّثنا أبو النَّضرِ هاشمُ بنُ القاسمِ ، ثنا إسحاقُ بنُ
سعيدٍ ، ثنا سعيدُ بنُ عمرو قال : أتى عبدُ الله بنُ عمرو^(٦) عبدُ الله بنَ الزبيرِ ، وهو
جالسٌ في الحجرِ ، فقال : يا ابنَ الزبيرِ ، إياك والإلحادَ في حرمِ الله ، فإني أشهدُ
لسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « يُجْلها وَيُجْلُ به »^(٧) رجلٌ من قريشٍ ، لو
وُزِنَتْ ذُنوبُهُ بذُنوبِ^(٨) الثَّقَلَيْنِ لوزنتها . قال^(٩) : فانظُرْ أن^(١٠) لا

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من ٣١ ، ٢١ ، م ، ويعقوب هو يعقوب بن عبد الله بن سعد بن الأشعري ، أبو الحسن
القمي ، قال الحافظ في التقریب ٣٧٦/٢ : صدوق يهم .

(٣ - ٣) في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص « الإمام » .

(٤ - ٤) في الأصل ، ص : « فإن البيعة كانت قد انتظمت له » .

(٥) المسند ١٩٦/٢ ، ٢١٩/٢ . وهو في الموضع الأول دون القصة . إسناده صحيح .

(٦) في الأصل ، ٣١ ، م ، ص : « عمر » . وانظر مصدر التخریج ، وأطراف المسند ٢٢/٤ ، ٢٣ .

(٧ - ٧) في ٣١ : « تحلها وتحل بها » .

(٨) في ٢١ : « بها » .

(٩) في ص : « مثل » .

(١٠) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(١١) سقط من : الأصل .

تكونه^(١). «يا ابن عمرو^(٢)»، فإنك قد قرأت الكتاب وصحبت النبي ﷺ. قال :
فإنني أشهدك^(٤) أن هذا وجهي إلى الشام مجاهدًا.

وهذا^(٥) قد يكون رفعه غلطًا، وإنما هو من كلام عبد الله بن عمرو^(٦)، مما^(٧)
أصابه من الزاميتين من علوم^(٨) أهل الكتاب يوم اليرموك. والله أعلم.

وقال وكيع^(٩)، عن الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن أبي صادق، عن
حنش^(١٠) الكِنَانِي، «عن عليم^(١٢) الكِنْدِي^(١١)، عن سلمان الفارسي، قال :
ليحرقن^(١٣) هذا البيت^(١٤) على يدي^(١٥) رجل من آل الزبير.

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة^(١٥)، عن يحيى بن [٧٧/٧] معين، عن ابن^(١٦)
فضيل، ثنا سالم بن أبي حفصة، عن مُنْذِرِ الثَّوْرِيِّ قال : قال ابنُ الحنفية :

-
- (١) في المسند : « تكون هو » .
(٢ - ٣) في ٣١، م : « فقال له : يا ابن عمر » .
(٣) في ٢١، م : « عمر » .
(٤) في م : « أشهد » .
(٥) في الأصل : « هكذا » .
(٦) في م : « عمر » .
(٧) في م : « وما » .
(٨) في ٣١، ٢١، م : « كلام » .
(٩) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨/٢٢١، وهو في المختصر ١٢/١٩٦ .
(١٠) في الأصل : « حسين »، وفي ٢١ : « حنيش »، وفي م : « حبش »، وفي ص : « حبس » . وانظر
تهذيب الكمال ٧/٤٣٢ .
(١١ - ١٢) سقط من : ٢١ .
(١٢) في ص : « عكيم » . وعليم - بالتصغير - هو عليم الكندي الكوفي . تعجيل المنفعة ٢٩٣ .
(١٣ - ١٤) سقط من : ٣١ .
(١٤) سقط من : ٣١ .
(١٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨/٢٢١، وهو في مختصر تاريخ دمشق ١٢/١٩٦ .
(١٦) في م : « أبي » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/٢٩٣ .

اللهم^(١) إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَعْلَمُ مِمَّا عَلَّمْتَنِي أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَّا قَتِيلًا يُطَافُ بِرَأْسِهِ فِي الْأَسْوَاقِ .

وقد رَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ^(٢) ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ : إِنَّ أَوَّلَ مَا أَفْصَحَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَهُوَ صَغِيرٌ السِّيفُ^(٣) ، فَكَانَ لَا يَضَعُهُ مِنْ فِيهِ . وَكَانَ الزُّبَيْرُ إِذَا سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ يَقُولُ لَهُ : أَمَّا وَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ لَكَ مِنْهُ يَوْمٌ وَيَوْمٌ وَأَيَّامٌ . وَقَدْ تَقَدَّمَ^(٤) كَيْفِيَّةُ مَقْتَلِهِ ، وَأَنَّ الْحَجَّاجَ صَلَبَهُ عَلَى جَذَعٍ فَوْقَ الثَّنَائِيَّةِ^(٥) ، وَأَنَّهُ رَبَطَ إِلَى جَانِبِهِ هِرَّةً مَيِّتَةً ، فَكَانَ رِيحُ الْمَسْكِ يَغْلُبُ عَلَى رِيحِهَا ، وَأَنَّ أُمَّهُ أَرْسَلَتْ إِلَى الْحَجَّاجِ تَقُولُ لَهُ^(٦) : قَاتَلَكَ اللَّهُ ، عَلَامَ تَصْلُبُ وَلَدِي ؟ فَقَالَ : إِنِّي اسْتَبَقْتُ أَنَا وَإِيَّاهُ إِلَى هَذِهِ الْحَشْبَةِ فَسَبَقَنِي إِلَيْهَا^(٧) . وَأَنَّ أُمَّهُ جَاءَتْ حَتَّى وَقَفَتْ عَلَيْهِ فَدَعَتْ لَهُ طَوِيلًا وَلَا يَقْطُرُ مِنْ عَيْنِهَا دَمْعَةٌ ، ثُمَّ انْصَرَفَتْ . وَكَذَلِكَ وَقَفَ عَلَيْهِ ابْنُ عُمَرَ فِدَعَا لَهُ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثَنَاءً كَثِيرًا جَدًّا .

وقال الواقدي^(٨) : حَدَّثَنِي نَافِعُ بْنُ ثَابِتٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى أَسْمَاءَ قَالَ : لَمَّا قَتَلَ عَبْدُ اللَّهِ خَرَجَتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ حَتَّى وَقَفَتْ عَلَيْهِ ، وَهِيَ عَلَى دَابَّةٍ ، فَأَقْبَلَ الْحَجَّاجُ فِي أَصْحَابِهِ فَسَأَلَ عَنْهَا فَأُخْبِرَ بِهَا ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهَا فَقَالَ : كَيْفَ رَأَيْتَ

(١) بعده في ص : « إِنِّي أَعْلَمُ » .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨/٢٢٢ ، وهو في مختصر تاريخ دمشق ١٢/١٩٦ .

(٣) بعده في ٢١ ، م : « السيف » . ومكانه في ٣١ : « السيف الشريف » .

(٤) تقدم في صفحة ١٧٧ وما بعدها .

(٥ - ٥) زيادة من : الأصل . والخبر في تاريخ دمشق ٢٨/٢٢٩ ، ومختصر تاريخ دمشق ١٢/٢٠٠ .

(٦) تهذيب تاريخ دمشق ٧/٤٢٠ بلفظه ، وتاريخ دمشق ٢٨/٢٢٨ - ٢٢٩ ، ومختصر تاريخ دمشق ١٢/٢٠٠ ، كلاهما بنحوه .

(٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨/٢٢٧ . وانظر مختصر ابن منظور ١٢/١٩٩ - ٢٠٠ .

نَصَرَ اللَّهُ الْحَقَّ وَأَظْهَرَهُ؟ قَالَتْ: رَبِّمَا أُدِيلُ الْبَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ^(١)، وَإِنَّكَ بَيْنَ فَرْثِهَا وَالْجَنَّةِ^(٢). فَقَالَ إِنَّ ابْنَكَ أُلْحَدَ فِي هَذَا الْبَيْتِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]. وَقَدْ أَذَاقَهُ اللَّهُ ذَلِكَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ؛ «قَطَعَ السَّبِيلَ»^(٣). قَالَتْ: كَذَبْتَ، كَانَ أَوَّلَ مَوْلُوهِ وَلَدٌ فِي الْإِسْلَامِ بِالْمَدِينَةِ، وَسُرَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَحَنَّكَ بِيَدِهِ وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَئِذٍ حَتَّى ارْتَجَّتِ الْمَدِينَةُ فَرَحًا بِهِ، وَقَدْ فَرِحْتَ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ بِمَقْتَلِهِ، فَمَنْ كَانَ فَرِحَ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مِنْكَ وَمِنْ أَصْحَابِكَ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ بَرًّا بِالْوَالِدَيْنِ صَوَامًا، قَوَامًا بَكِتَابِ اللَّهِ، مَعْظَمًا لِحُرْمِ اللَّهِ، يُغَضُّ أَنْ^(٤) يُعْصَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَسَمِعْتُهُ يَقُولُ^(٥): «سَيُخْرِجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَابَانِ؛ الْآخِرُ مِنْهُمَا شَرُّ مِنَ الْأَوَّلِ وَهُوَ مُبِيرٌ». فَانْكَسَرَ الْحَجَّاجُ وَانْصَرَفَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ يُلَوِّمُهُ فِي مَخَاطَبَتِهِ أَسْمَاءً، وَقَالَ: مَا لَكَ وَلابْنَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ؟

وَقَالَ مُسْلِمٌ بْنُ الْحَجَّاجِ فِي «صَحِيحِهِ»^(٦): ثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ [٧٧٧/٧] الْخُزْرَمِيُّ، أَنَا الْأَسْوَدُ بْنُ^(٧) شَيْبَانَ^(٨)، عَنْ أَبِي

(١) بعده في ٣١، م: «وأهله».

(٢) في الأصل: «الجنة». وفي ٣١، ص: «الجيفة». وفي ٢١: «الحية». وفي م: «الجنة». والمثبت من مصدرى التخريج. والحية بوزن الثنية، وبوزن المرة: مستنقع الماء. اللسان (ج ي ا).

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) في م: «من».

(٥) بعده في ٣١، ٢١، م: «يخرج من ثقيف كذاب ومبير وفي رواية».

(٦) تقدم تخريجه في ٩ / ٢٥٢.

(٧) في ص: «عن».

(٨) سقط من: ص. وفي الأصل: «سليمان».

نوفلي، قال: رأيتُ عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ على عَقَبَةِ^(١) المدينة^(٢)، قال^(٣) فجعلتُ قريشَ
 تمرُّ عليه والناسُ، حتى مرَّ عليه عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ فوقَّفَ عليه فقال: السلامُ عليك أبا
 حُبيِّبٍ، السلامُ عليك أبا حُبيِّبٍ، السلامُ عليك أبا حُبيِّبٍ، أما واللَّهِ لقد كنتُ
 أنْهَكَ عن هذا، أما واللَّهِ لقد كنتُ أنْهَكَ عن هذا، أما واللَّهِ لقد كنتُ أنْهَكَ عن
 هذا، أما واللَّهِ إن كنتُ ما علمتُ صَوَامًا قَوَامًا وَصُولًا لِلرَّحِمِ، أما واللَّهِ لأُمَّةٌ أنت
 شرُّها لأُمَّةٌ خيرٍ. ثم نَفَذَ^(٤) عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ، فبلغَ الحجاجَ وقوفُ ابنِ عمرَ عليه
 وقولُه، فأرسلَ إليه فَأَنْزَلَ^(٥) عن جِذْعِهِ وأُلْقَى في قبورِ اليهودِ، ثم أرسلَ إلى أمِّه
 أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ فأبَتْ أن تأتيه فأعاد عليها الرسولُ: لتَأْتِيَنِي أو لأَبْعَثَنَّ إِلَيْكَ مَنْ
 يَسْحَبُكَ بِقُرُونِكَ. فأبَتْ وقالت: واللَّهِ لا آتِيه حتى يبعثَ إليَّ مَنْ يَسْحَبُنِي
 بقروني. قال^(٦): فقال^(٧): أَرْوِنِي سَبْتِي^(٨). فَأَخَذَ نَعْلَيْهِ ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَذَّعُ^(٩) حتى
 دَخَلَ عليها فقال: كيف رأيتيني صنعتُ بعدوَّ اللَّهِ؟ قالت: رأيتُكَ أَفْسَدْتَ عليه
 دُنْيَاهُ، وَأَفْسَدَ^(١٠) عليكَ آخِرَتَكَ، بلغَنِي أَنَّكَ تقولُ: يا ابنَ ذاتِ النُّطَاقَيْنِ، أنا واللَّهِ

(١) في م: «ثنية».

(٢) في الأصل، ٣١، ٢١، م. «الحجون».

(٣) في الأصل: «مصلوبا قال». وفي ٣١، ٢١، م: «مصلوبا».

(٤) في ٢١: «فقر». وفي م: «بعد».

(٥) في ٣١، ٢١، م: «فأنزله».

(٦) سقط من: م.

(٧) سقط من: الأصل.

(٨) في الأصل، ٣١، ٢١، م، ص: «سبتي»، والمثبت من صحيح مسلم. والسبت النعل لا شعر
 عليها.

(٩) في الأصل: ٣١، ٢١، ص: «يتودف». والتودف مقاربة الخطو والتبختر في المشي، وقيل: الإسراع
 فيه. اللسان (و ذ ف).

(١٠) في م: «أفسدت».

ذات النطاقين ؛ أما أحدهما فكنثُ أرفعُ به طعامَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وطعامَ أبى بكرٍ^(١) ،
وأما الآخرُ فنطاقُ المرأةِ الذى^(٢) لا تستغنى عنه ، أما إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ حدَّثنا أنَّ فى
ثقيفِ كذابا ومُبيِّرا ، فأما الكذابُ فزأيناه ، وأما المُبيِّرُ فلا إخالكَ إلَّا إياه . قال : فقام
عنها ولم يُراجِعها . انفرد به مسلمٌ .

وروى الواقدي^(٣) أنَّ الحجاجَ لما صلبَ ابنَ الزبيرِ على ثِيَّةِ الحَجَّونِ بعثتُ إليه
أسماءُ تدعو عليه ، وطلبتُ منه أن يُدفنَ ، فأبى عليها ، حتى كتبَ إلى عبدِ الملكِ
فى ذلك ، فكتبَ إليه أن يُدفنَ ، فدفنَ بالحَجَّونِ ، وذكرُوا أنَّه كان يُستَمُّ من عندِ
قبره ريحُ المسكِ .

وكان الحجاجُ قد قَدِمَ مِنَ الشَّامِ فى أَلْفى فارسٍ وانضافَ إليه طارقُ بنُ عمرو
فى خمسةِ آلافٍ . وروى محمدُ بنُ سعيدٍ^(٤) ، وغيره ، بسنِّه أنَّ الحجاجَ حاصرَ
ابنَ الزبيرِ ، وأنَّه اجتمعَ معه أربعونَ ألفا ، وأنَّه نصبَ المنجنيقَ على أبى قُبَيْسٍ
ليرمى به المسجدَ الحرامَ ،^(٥) الذى فيه عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ، وأنَّه جعلَ يؤمُّنُ^(٦) ، وأنه
أمَّنَ مَنْ خرجَ إليه من أهلِ مكةَ ، وناذى فيهم بذلك ، وقال : [٧٨/٧] إنَّا لم نأتِ
لقتالِ أحدٍ سوى ابنِ الزبيرِ ، وأنَّه خيَّرَ ابنَ الزبيرِ بينَ ثلاثٍ ؛ إمَّا أن يذهبَ فى
الأرضِ حيثُ شاء ، أو يبعثه إلى الشَّامِ مقيِّدا بالحديدِ ، أو يُقاتِلَ حتى يُقتلَ .
فشاورَ أمَّهُ فى ذلك فأشارتُ عليه بالثالثِ فقط . ويروى^(٦) أنَّها استدعتْ بكفنٍ له

(١) بعده فى الأصل ، ص : « من الدواب » .

(٢) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، م : « التى » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٢٨ - ٢٢٩ . وتقدم بعض لفظه فى ص ٢٠٨ .

(٤) تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٣٥ - ٢٣٦ ، بنحوه .

(٥ - ٥) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « وأنه أمَّن » .

(٦) تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٢٧ .

وبخَّرْته وشجَّعْته على القتلِ ، فخرَجَ بهذه النيةِ فقاتلَ يومَ الثلاثاءِ السابعَ عشرَ مِن
جُمادى الأولى سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ قِتالًا شديدًا ، فجاءْته أجرةٌ ففلقتُ رأسه
فسقطَ على وجهه إلى الأرضِ ، ثم أرادَ أن يَنْهَضَ فلم يَقْدِرْ ، فاتَّكأَ على مرفقه
الأيسرِ وجعلَ يَحْدِمُ^(١) بالسيفِ مَن جاءه ، فأقبلَ إليه رجلٌ مِن أهلِ الشامِ فضربه
فقطَعَ رجلَيْه^(٢) ، ثم تكاثروا عليه حتى قتلوه واحتزَّوا رأسه ، وكان مَقْتَلُهُ قريبًا مِن
الحَجُونِ ، ويُقالُ^(٣) : بل قُتِلَ وهو متعلِّقٌ بأستارِ الكعبةِ . فاللَّهُ أعلمُ . ثم صلبه
الحجاجُ مُنكَّسًا على ثنيةٍ كدَاءَ عِنْدَ الحَجُونِ ، ثم لما أنزله دَفَنَته في مقابرِ اليهودِ كما
رواه مسلمٌ^(٤) ، وقيل : دُفِنَ بالحَجُونِ^(٥) بالمكانِ الذى صُلب فيه^(٦) . فاللَّهُ أعلمُ .
وقيل^(٧) : إنَّ والدته أسماءَ غَسَلَتْه بعدما تَقَطَّعتْ أوصالُه ، وخيَّطْته وكفَّنْته ،
وصَلَّتْ عليه ، وحَمَلْته إلى المدينةِ فدَفَنْته في دارِ صفيةَ بنتِ حُحَيٍّ ، وأنَّ هذه الدارَ
زِيدَتْ في المسجدِ ، فهو مدفونٌ في المسجدِ مع أبى بكرٍ وعمرَ .

وقال عبدُ الرزاقِ^(٨) ، عن مَعْمَرٍ ، عن أيوبَ ، عن ابنِ سيرينَ قال : قال
عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ لما جىءَ برأسِ المختارِ : ما كان يُحَدِّثُنا كعبُ الأحبارِ شيئًا إلَّا
وجَدْنَاهُ^(٩) كما قال^(١٠) ، إلَّا قولُه : إنَّ فتىً ثَقِيفٌ يَقْتُلُنِي ، وهذا رأسُه بينَ يَدَيَّ .
قال ابنُ سيرينَ : ولم يَشْعُرْ أَنَّهُ قد خُبِّي^(١١) له الحجاجُ . ورُوِيَ هذا مِن وجهٍ آخرَ .

(١) فى الأصل : ٢١ ، م : « يحدم » . وفى ٣١ : « يحدف » .

(٢) فى م : « رجله » .

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٢ / ٢٠٧ .

(٤) فى ص : « مسلمة » ، وانظر ما تقدم فى ص ٢٠٩ .

(٥ - ٥) فى الأصل ، ص : « تحت المكان الذى كان مصلوبا فيه » . وانظر تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٢٩ .

(٦) تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٥٤ ، تاريخ دمشق - تراجم النساء ص ٢٧ ، وسير أعلام النبلاء ٢ / ٢٩٥ .

(٧) المصنف (٢٠٧٥٥) .

(٨ - ٨) زيادة من : الأصل ، ص .

(٩) فى الأصل : « عني » . وفى ص : « حني » .

قلتُ : والمشهور أنَّ مقتَلَ ابنِ الزبير كان في سنة ثلاثٍ وسبعينَ في يومِ الثلاثاءِ السابعِ عشرَ من جمادى الأولى ، وقيل ^(١) : الآخرة منها . وعن مالكٍ وغيره ^(٢) أنَّ مقتله كان على رأسِ اثنتين وسبعين . والصحيحُ المشهورُ هو الأولُ ، وكانت بيعته في سابعِ رجبِ سنة أربعٍ وستين ، وكان مولده في أولِ سنة إحدى من الهجرة ، وقيل : في شوالٍ من سنة ثنتين من الهجرة . فجاوز السبعين قطعاً ، والله أعلم . وأما أمُّه فإنها لم تعيش بعده إلا مائة يوم ، وقيل : إنما عاشت بعده عشرة أيام . وقيل : خمسة . والأولُ هو المشهور . وستأتى ترجمتها قريباً ، رضى الله عنها . ^(٣) وكان له من الولدِ خُبَيْبٌ وحمزةٌ وعبَّادٌ وثابتٌ ، [٧٨/٧] وأُمُّهم تُماضِرُ بنتُ منظورِ الفزاري ، وهاشمٌ وقيسٌ وعروة - قُتِلَ مع أبيه - والزبيرُ ، وأُمُّهم أُمُّ هاشمٍ بنتُ حَلَّةَ بنِ منظورٍ ، وعامرٌ وموسى وأُمُّ حكيمٍ وفاطمةٌ وفاختةٌ ، وأُمُّهم جثيمةٌ بنتُ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ ، وبكرٌ ورقيةٌ ، وأُمُّهم عائشةُ بنتُ عثمانَ بنِ عفانَ ، وعبدُ الله ومصعبٌ من أُمِّ ولدي . وقد أسند ثلاثةٌ وثلاثين حديثاً ^(٤) .

وقد رثى ابنُ الزبيرِ وأخوه مصعبٌ بمراثٍ كثيرةٍ حسنةٍ بليغةٍ ، رَحِمَهُمَا اللهُ ؛ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ «عَمْرُو بْنِ مَعْمَرٍ» ^(٥) الذُّهْلِيُّ يَرِثُهُمَا بِأَيَّامٍ ^(٥) :
لِعَمْرُوكَ مَا أَبْقِيَتْ فِي النَّاسِ حَاجَةٌ وَلَا كُنْتُ مَلْبُوسَ الْهُدَى مُتَذَبِّبًا

(١) تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤ - ٤) في ٣١ ، ٢١ ، م : «معمر بن معمر» . والمثبت من تاريخ دمشق الموضع الآتي .

(٥) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م . والأبيات في تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٥٦ .

غداة دعاني مُصعبٌ فأجبتُه وقلتُ له أهلاً وسهلاً ومرحباً
أبوكَ حوارِيُ الرسولِ وسيفُه فأنتَ بحمدِ اللهِ مِن خيرِنا أبا
وذاكَ أخوكَ المهتدى بضيائِه بمكَّةَ يدعوننا دعاءَ مثوياً^(١)
ولم أكُ ذا وَجْهينِ وجهٍ لمصعبٍ مريضٍ ووجهٍ لابنِ مروانَ إذ صبا
وكنْتُ امرأً ناصِحتُه غيرَ مُؤثِرٍ عليه ابنَ مَرْوانَ ولا مُتَقَرِّباً
إليه بما تُقدِّى به عينُ مصعبٍ ولكنني ناصِحتُ^(٢) في اللهِ مُصعباً
إلى أن رَمَتْهُ الحادِثاتُ بسهميها فله^(٣) سهمًا ما أسدُّ وأصوباً
فإن يَكُ هذا الدَّهرُ أَوْدَى^(٤) بمصعبٍ وأصبحَ عبدُ اللهِ شِلْواً^(٥) مُلْحِجاً^(٦)
فكُلُّ امرئٍ حاسٍ مِنَ الموتِ لجُوعَةٍ وإن حادَ عنها جُهدُه وتَهَيَّبا
وقد^(٧) رَوَى الطَّبْرانِيُّ^(٨) ، عن عامرِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ أنَّ أباه حَدَّثَه أنَّ
النبيَّ ﷺ أعطاه دَمَ مَحاجِمِهِ يُهْرِيقُهُ فحسَاه ، فلَمَّا رَجَعَ إلى النبيِّ ﷺ ، قال :
« ما صَنَعْتَ يا عبدَ اللهِ بالدِّمِّ ؟ » قلتُ : جَعَلْتُهُ في مَكَانٍ ظَنَنْتُ أَنَّهُ خَافٍ على
الناسِ . قال : « فَلَعَلَّكَ شَرِبْتَهُ » . قلتُ : نعم . قال : « وَمَنْ أَمَرَكَ أَنْ تَشْرَبَ الدِّمَّ ؟
ويَلُ لَكَ مِنَ الناسِ ، وويلٌ للناسِ مِنْكَ » .

(١) في ٢١ : « متوياً » .

(٢) في ص : « ناصحته » .

(٣) في م : « فيالله » .

(٤) في ٣١ ، ٢١ ، م : « أوردى » .

(٥) الشلو : أعضاء الإنسان بعد التفرق والبلوى .

(٦) في ٣١ : « ملجياً » . والملحَّب : الشيء الذي فيه أثر الضرب والقطع .

(٧) من هنا حتى قوله « ومن قتل مع ابن الزبير ... » في صفحة ٢٢٠ ، زيادة من ٣١ ، م .

(٨) تقدم تخريجه في ص ١٨٨ .

ودخل سلمان الفارسي مرة على النبي ﷺ ، فإذا عبد الله بن الزبير قائم في الدَّهْلِيزِ ومعه طَسْتُ يشربُ منه ، فدخل سلمان ودخل عبد الله على رسول الله ﷺ ، قال له : « فرغت ؟ » . قال : نعم . قال سلمان : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « أعطيتُه غَسَالَةَ مُحَاجِمِي يُهْرِيْقُ ما فيها » . قال سلمان : شربها والذي بعثك بالحق . قال : « شربته ؟ » . قال : نعم . قال : « لِمَ ؟ » . قال : أحببتُ أن يكونَ دَمُ رسولِ الله ﷺ في جَوْفِي . فقال بيده على رأسِ ابنِ الزبير ، وقال : « وَيْلٌ لك مِنَ النَّاسِ ، وَيْلٌ لِلنَّاسِ منك ، لا تَمْسُكُ النَّارُ إلا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ » ^(١) .

ولمَّا بعثَ يزيدُ بنُ معاويةَ إلى ابنِ الزبيرِ ذلكَ القيدَ من ذهبٍ ، وسلسلةً من فضةٍ ، وجامعةً من فضةٍ ، وأقسمَ لتَأْتِيَنِي فيها ، فقالوا له : يرِّ قَسَمَ أميرِ المؤمنين . فقال ^(٢) :

ولا أَلِيْنُ لغيرِ الحقِّ أسأله حتى يَلِيْنَ لِضُرْسِ الماضِغِ الحجرِ
ثم قال : واللَّهِ لَضَرْبَةُ سَيْفٍ في عِزِّ أَحِبِّ إِلَيَّ مِنْ ضَرْبَةٍ بِسَوْطٍ في ذُلٍّ . ثم دعا إلى نفسه ، وأظهرَ الخلافَ ليزيدَ بنِ معاويةَ .

ورَوَى الطبراني ^(٣) أنَّ ابنَ الزبيرِ دخلَ على أمِّه ، فقال : إنَّ في الموتِ لراحةً . وكانت أمُّه قد أتَتْ عليها مائةُ سنةٍ لم يسْقُطْ لها سِنٌّ ، ولم يفسدْ لها بصرٌ ، فقالت له : ما أَحِبُّ أن أموتَ حتى آتِيَ على أَحَدِ طرفَيْكَ ؛ إمَّا أن تَمْلِكَ فَتَقَرَّ عيني ، وإمَّا أن تُقَتَّلَ فَأَحْتَسِبَكَ . ثم خرجَ عنها ، وهو يقولُ :

(١) تقدم تخريجه في ص ١٨٩ .

(٢) تقدم في ص ٢٠٣ .

(٣) المعجم الكبير (قطعة من الجزء ١٣) صفحة ٩٤ (٢٣٠) .

ولستْ مُبْتَنِّعِ الحَيَاةِ بِسُبَّةٍ وَلَا مُرَوِّقٍ^(١) مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا
ثم أَقْبَلَ عَلَى آلِ الزَّيْبِرِ يَعْظُمُهُمْ ، وَيَقُولُ : لِيُكِنَّ أَحَدُكُمْ سَيْفَهُ^(٢) كَمَا يُكِنَّ
وَجْهَهُ^(٣) ، فَيَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ بِيَدِهِ كَأَنَّهُ امْرَأَةٌ ، وَاللَّهُ مَا لَقِيْتُ^(٤) زَخْفًا قَطُّ إِلَّا فِي
الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ ، وَمَا أَلَيْتُ جُرْحًا إِلَّا أَلَمَ الدَّوَاءُ . ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ وَمَعَهُ سَيْفَانِ^(٥) ،
فَأَوَّلُ مَنْ لَقِيَهُ الْأَسْوَدُ ، فَضْرَبَهُ بِسَيْفِهِ حَتَّى أَطْرَقَ رِجْلَهُ^(٦) ، فَقَالَ لَهُ الْأَسْوَدُ : أَخُ يَا
ابْنَ الزَّانِيَةِ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزَّيْبِرِ : اخْسَأْ يَا ابْنَ حَامٍ ، أَسْمَاءُ زَانِيَةٌ !؟ ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ مِنَ
الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ عَلَى ظَهْرِ الْمَسْجِدِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْوَانِهِ يَرْمُونَ أَعْدَاءَهُ بِالْأَجْرِ ،
فَأَصَابَتْهُ آجِرَةٌ مِنْ أَعْوَانِهِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَفَلَقَتْ رَأْسَهُ ، فَوَقَفَ
قَائِمًا ، وَهُوَ يَقُولُ^(٧) :

لَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ

وَيَقُولُ^(٨) :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَذْمَى كُلُّمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ^(٩) الدِّمَا^(١٠)
ثم وَقَعَ فَأَكْبَّ عَلَيْهِ مَوْلَيَانِ لَهُ ، وَهُمَا يَقُولَانِ :

-
- (١) فِي م : « بِمَرِيقٍ » .
(٢ - ٣) فِي ٣١ : « كَمَا وَجْهَهُ » وَفِي م : « كَمَا وَجْهَهُ » . وَانْظُرِ الْمَعْجَمَ الْكَبِيرَ (قِطْعَةٌ مِنَ الْجُزْءِ ١٣) ص ٩٢ ، ٩٣ (٢٣٠) ، وَالْحِلْيَةَ ١ / ٣٣١ ، ٣٣٢ .
(٣) فِي م : « بِقَيْنٍ » .
(٤) فِي م : « سَفِيَانِ » . وَانْظُرِ الطَّبْرَانِيَّ الْكَبِيرَ (قِطْعَةٌ مِنَ الْجُزْءِ ١٣) ص ٩٥ .
(٥) يَعْنِي جَعَلَهَا تَطْنُ مِنْ صَوْتِ الْقَطْعِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الطَّنِينِ وَهُوَ صَوْتُ الشَّيْءِ الصَّلْبِ . النِّهَايَةُ ٣ / ١٤٠ .
(٦) جُزْءٌ مِنَ الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ الْمُتَقَدِّمِ قَبْلَ قَلِيلٍ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ وَأَبِي نَعِيمٍ ، وَتَقْدِمُ الرِّجْزُ فِي ص ١٨٢ .
(٧) تَقْدِمُ فِي ص ١٨٣ .
(٨) فِي ٣١ ، م : « يَقْطُرُ » . وَالمُثَبِّتُ مِنْ مَصْدَرِي التَّخْرِيجِ .
(٩) فِي م : « الدِّم » .

العبدُ يَحْمِي رَبَّهُ وَيَحْتَمِي

ثم أرسلوا إليه فحزّوا رأسه .

وروى الطبراني^(١) أيضًا ، عن إسحاق بن أبي إسحاق قال : أنا حاضرٌ مَقْتَلِ
عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ في المسجدِ الحرامِ ؛ يومَ قُتِلَ جَعَلَتِ الجيوشُ تدخُلُ من أبوابِ
المسجدِ ، وكلّما دخلَ قومٌ من بابٍ ، حملَ عليهم حتى يُخْرِجَهُمْ ، فبينما هو
على تلكِ الحالِ إذ جاءت شُرْفَةٌ من شُرُفَاتِ المسجدِ ، فوقَعَتْ على رأسِهِ
فصرعته ، وهو يتمثّلُ بهذه الأبياتِ :

أسماءُ يا^(٢) أسماءُ لا تَبْكِينِي لم يَبْقَ إِلَّا حَسْبِي ودينِي
وصارمٌ لانتَ به يمينِي

وقد روى^(٣) أَنَّ أُمَّه قالت للحجاج : أَمَا أَنَّ لهذا الرّاكِبِ أَنْ يَنْزَلَ ؟ فقال
الحجاج : ابْنُكَ المَنَافِقُ ؟ فقالت : واللّهِ ما كان منافِقًا ، إِنْ كانَ لَصَوًّا مَّا قَوَّامًا
وَصَوًّا لِلرَّحِمِ . فقال : انصَرِفِي يا عَجُوزُ ، فَإِنَّكَ قد خَرِفْتِ . فقالت : واللّهِ ما
خَرِفْتُ منذُ سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ »^(٤) .
فأَمَّا الكَذَّابُ فقد رأيناه ، وَأَمَّا المُبِيرُ فَأَنْتِ .

وقال مجاهدٌ^(٥) : كُنْتُ مع ابنِ عمرَ فمرَّ على ابنِ الزبيرِ فوقفَ فترجَّم عليه

(١) المعجم الكبير (قطعة من الجزء ١٣) ص ٩١ - ٩٢ (٢٢٨) .

(٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١ / ٣٣٤ .

(٤) تقدم هذا اللفظ في ٩ / ٢٥١ .

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١ / ٣٣٤ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٣٩ ، كلاهما بنحوه مطولاً .

«وأثنى عليه^(١)، ثم التفت إليّ وقال: أخبرني أبو بكر الصديق أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ».

وروى سفيان^(٢)، عن ابن جريج، عن ابن^(٣) أبي مليكة قال: ذكرت ابن الزبير عند ابن عباس، فقال: كان عفيفاً في الإسلام، قارئاً للقرآن، صواماً قواماً، أبوه الزبير، وأمه أسماء، وجدّه أبو بكر، وعمّته خديجة، وجدّته صفية، وخالته عائشة، والله لأحسبَنَّ له بنفسى محاسبة لم أحاسبها لأبي بكر ولا لعمر.

وقال الطبراني^(٤): حدثنا زكريا الساجي^(٥)، ثنا حوثره بن محمد، ثنا أبو أسامة، ثنا سعيد بن المَرْزُبَانِ أبو سعيد العبسي، ثنا محمد بن عبد الله الثقفي، قال: شهدت خطبة ابن الزبير بالموسم، خرج علينا قبل التروية بيوم وهو مُحَرَّم، فلبّى بأحسن تلبية سمعتها قط، ثم حميد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنكم جئتم من آفاق شتى وفوداً إلى الله عز وجل، فحق على الله أن يُكرم وفده، فمن كان منكم يطلب ما عند الله فإن طالب ما عند الله لا يخيب، فصددوا قولكم بفعل، فإن ملاك القول الفعل، والنية النية، والقلوب القلوب، الله الله في أيامكم هذه؛ فإنها أيام تُغفر فيها الذنوب، جئتم من آفاق شتى في غير تجارة ولا طلب مال ولا دنيا ترجونها ههنا. ثم لبّى ولبّى الناس، فما رأيت باكياً أكثر من يومئذ.

(١ - ١) زيادة من: ٣١.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١ / ٣٣٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨ / ١٦٦.

(٣) سقط من: م. وانظر مصدرى التخریج.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١ / ٣٣٥ - ٣٣٦.

(٥) في م: «الناجي». وانظر التقریب ١ / ٢٦٢، والأنساب ٣ / ١٩٦.

وروى الحسن بن سفيان^(١) قال : ثنا جِئَانُ^(٢) بن موسى ، ثنا عبدُ الله بن المبارك ، ثنا مالك بن أنس ، عن وهب بن كيسان قال : كُتِبَ إلى عبدِ الله بن الزبير بموعظة : أما بعد ، فإنَّ لأهلِ التَّقوى علاماتٍ يُعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم ؛ صدقُ الحديث ، وأداءُ الأمانة ، وكظمُ الغيظ ، وصبرٌ على البلاء ، ورضا بالقضاء ، وشكرٌ للنعماء ، وذُلٌّ لحُكمِ القرآن ، وإتِّما الإمام^(٣) كالشوق ما نفق فيها حِمْلٌ إليها ، إن نفق الحقُّ عنده حِمْلٌ إليه وجاءه أهله ، وإن نفق الباطلُ عنده حِمْلٌ إليه وجاءه أهله .

وقال أبو معاوية^(٤) : ثنا هشام بن عروة ، عن وهب بن كيسان قال : ما رأيتُ ابنَ الزبير يعطى سلَمة قطُّ لرغبة ولا لرهبة سلطانٍ ولا غيره .

^(٥) وبهذه الإسنادات^(٥) أهلُ الشام كانوا يُعيِّرونَ ابنَ الزبير ويقولون له : يا ابنَ ذابِ التُّطاقين . فقالت له أسماء : يا بُنَيَّ ، إنَّهم يُعيِّرونك بالتُّطاقين ، وإتِّما كان لي نطاقٌ واحدٌ شققته نصفين ؛ فجعلتُ في سُفرةِ رسولِ اللهِ ﷺ أحدهما ، وأوكيتُ قبرته بالآخر لما خرَّج هو وأبو بكرٍ يريدان الهجرة إلى المدينة . فكان ابنُ الزبير بعدَ ذلك إذا غيَّروه بالتُّطاقين يقولُ : إِيَّها^(٦) والله :

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١ / ٣٣٦ ، وعنده «الحسين بن سفيان» ، وانظر تهذيب الكمال ٦ / ٣٤٥ .
(٢) في م : «حيان» . وفي الحلية «حبيب» . وانظر تهذيب الكمال ٥ / ٣٤٤ - ٣٤٥ ، وتاريخ دمشق ١٣ / ٩٩ .

(٣) في م : «الأيام» .

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١ / ٣٣٦ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨ / ١٨٦ .

(٥ - ٥) في ٣١ : «بهذا الإسنادان» . وانظر طبقات ابن سعد ٨ / ٢٥٠ ، والحلية ١ / ٣٣٦ .

(٦) في م : «إنها» .

وتلك شكاة ظاهر عنك عازها^(١)

والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن قتل مع ابن الزبير في سنة ثلاث وسبعين بمكة من الأعيان :

عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي أبو صفوان المكي^(٢) ، وكان أكبر ولد أبيه ، أدرك حياة النبي ﷺ وروى عن عمر وجماعة من الصحابة ، وحدث عنه خلق من التابعين ، وكان سيّدًا شريفًا مطاعًا حليماً^(٣) يحتمل الأذى ؛ لو سبه عبد أسود ما استنكف عنه ، ولم يقصده أحد في شيء فرده خائبًا ، ولا سمع بمفازة إلا حفر فيها جُبًّا أو عمِل فيها بركة ، ولا عقبة إلا سهّلها . وقيل^(٤) : إن المهلب بن أبي صفرة قديم على ابن الزبير من العراق فأطال الخلوة معه ، فجاء ابن صفوان فقال : من هذا الذي شغلك منذ اليوم ؟ قال : هذا سيّد العرب من أهل العراق . فقال : ينبغي أن يكون المهلب . فقال المهلب لابن الزبير : ومن هذا الذي يسأل عني يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا سيّد قريش بمكة . فقال : ينبغي أن يكون عبد الله بن صفوان . وكان ابن صفوان^(٥) كريمًا جدًّا .

وقال الزبير بن بكار بسنده^(٥) : إن معاوية قديم مكة حاجًا فتلّقه الناس ، فكان عبد الله بن صفوان في جملة من تلّقه فجعل يسأله معاوية ، وجعل أهل

(١) عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي وصدره :

• وعيها الواشون أنى أحبا •

والبيت بتمامه في ديوان الهذليين ١ / ٢١ .

(٢) الاستيعاب ٣ / ٩٢٧ - ٩٢٨ ، وأسد الغابة ٣ / ٢٧٩ ، والإصابة ٥ / ١٤ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .

(٤) تاريخ دمشق ٢٩ / ٢١٣ - ٢١٤ بنحوه .

(٥) تاريخ دمشق ٢٩ / ٢٠٩ بنحوه .

الشَّامُ يقولون : مَنْ هذا الذى يُسائرُ أميرَ المؤمنينَ ؟ فلَمَّا انتهَى ^(١) إلى مكة إذا الجبلُ أبيضٌ مِنَ الغَنَمِ ، فقال : يا أميرَ [٧٩/٧] المؤمنين ، هذه غَنَمٌ ^(٢) أُجْزِرَتْكُهَا ^(٣) تُقَسِّمُهَا بَيْنَ الْجَنْدِ ^(٤) ؛ فإذا هى ألفا شاةً ، فقالوا ^(٥) : ما رأينا أكرمَ من ابنِ عمِّ أميرِ المؤمنينَ .

ثم كان ابنُ صَفْوَانَ مِنْ جَمَلَةٍ مَنْ صَبَرَ مع ابنِ الزبيرِ حينَ حَصَرَهُ الْحِجَابُ ، فقال له ابنُ الزبيرِ : إني قد أقلتُك بيعتي ، فاذْهَبْ حيثُ شئتَ . فقال : إني إنما قاتلتُ عن ديني . ثم صَبَرَ نفسه حتى قُتِلَ ، وهو متعلِّقٌ بأستارِ الكعبةِ فى هذه السنة ، رَحِمَهُ اللَّهُ وأكرمَ مثواه .

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعِ بْنِ الْأَسودِ بْنِ حارثةَ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ الْمَدَنِيِّ ^(٦) ، ولد فى حياةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وحَنَكِهِ ، ودعا له بالبركة ^(٧) ، وروى عن أبيه عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال ^(٨) : « لا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ بعدَ اليومِ صَبْرًا إلى يومِ الْقِيَامَةِ » .

وعنه ابنه ؛ إبراهيمُ ومحمدُ ، والشَّعْبِيُّ ، وعيسى بْنُ طَلْحَةَ بْنِ عبيدِ اللَّهِ ، ومحمدُ بْنُ أَبِي موسى .

قال الزبيرُ بْنُ بَكَّارٍ ^(٩) : كان ابنُ مُطِيعٍ مِنْ كَبَارِ رِجَالِ قُرَيْشٍ جَلَدًا وشَجَاعَةً ،

(١) فى الأصل ، ص : « انتهوا » .

(٢ - ٣) فى ٢١ ، ٣١ ، م : « أُجْزِرَتْكُهَا » ، وفى ص ، وتاريخ دمشق : « أُجْزِرَتْكُهَا » .

(٣) بعده فى الأصل ، م : « لك » .

(٤) فى ٢١ ، ٣١ ، م : « فقال أهل الشام » .

(٥) الاستيعاب ٣ / ٩٩٤ ، وأسَدُ الغَابَةِ ٣ / ٣٩٣ ، والإصابة ٤ / ٢٣٩ ، ٥ / ٢٥ .

(٦) التاريخ الصغير ١ / ١٥٩ .

(٧) تقدم تخريجه فى ٦ / ٥٨٢ .

(٨) الاستيعاب ٣ / ٩٩٥ ، وتهذيب الكمال ١٦ / ١٥٣ - ١٥٤ .

وأخبرني عمي^(١) مصعب أنه كان على قريش^(٢) يوم الحرّة، وقُتل مع ابن الزبير بمكّة، وهو الذي يقول:

أنا الذي فررت يوم الحرّة * والشّيخ لا يفرّ غير^(٣) مرّة * لأجبرن^(٤) (كرّة بفرّة)^(٥)
رحمه الله.

عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغطفاني^(٦)، صحابي جليل، شهد مؤتة مع خالد بن الوليد والأمراء قبله، وشهد الفتح، وكانت معه رايّة قومه يومئذ، وشهد فتح الشام، وروى عن رسول الله ﷺ أحاديث، وروى عنه جماعة من التابعين، وأبو هريرة، وقد مات قبله، وقال الواقدي^(٧)، وخليفة بن خياط^(٨)، وأبو عبيد^(٩)، وغير واحد^(١٠): توفي سنة ثلاث وسبعين بالشّام.

أسماء بنت أبي بكر الصديق^(١١) والدّة عبد الله بن الزبير، يقال لها: ذات النطاقين. وإنما سُميت بذلك عام الهجرة حين شقّت نطاقها فربطت به سفرة

(١) في ص: «عن».

(٢) بعده في ٣١، ٢١، م: «أميرًا».

(٣) في م: «إلا».

(٤) في م: «ولا جبرت».

(٥ - ٥) في ٣١، ٢١، م: «فزة بكره».

(٦) الاستيعاب ٣/ ١٢٢٦، وأسد الغابة ٤/ ٣١٢، والإصابة ٤/ ٧٤٢. وبعده في ٣١، ٢١، م: «رضى الله عنه وهو عوف بن مالك».

(٧) الطبقات ٤/ ٢٨١، وتاريخ دمشق ١٣/ ٧٠٥، ٧٠٦، ٧١١ (مخطوط).

(٨) تاريخ خليفة ١/ ٣٤٢.

(٩) تاريخ دمشق ١٣/ ٧١٢ (مخطوط).

(١٠) تاريخ دمشق ١٣/ ٧٠٥ (مخطوط).

(١١) الاستيعاب ٤/ ١٧٨١، وأسد الغابة ٧/ ٩، والإصابة ٧/ ٤٨٦.

النبي ﷺ وأبى بكر حين خرجا^(١) إلى غار ثور للهجرة^(٢). وأمها: قَيْلَةُ^(٣)، وقيل: قَيْلَةُ^(٣) بنت عبد العزى من بنى عامر بن لؤى.

أسلمت أسماء قديماً، وهم بمكة في أول الإسلام، وهاجرت هي وزوجها الزبير، وهي حاملٌ مُتِمَّ بولدها عبد الله فوضعتُه بقُبَاءٍ أَوَّلَ مَقْدَمِهِمُ المدينة، ثم وَلَدَتْ للزبير بعد ذلك غُرُوةً، والمُنْدَرُ^(٤)، ثم لما كَبُرَتْ طَلَّقَهَا الزبير؛ وقيل^(٥): بل قال له عبد الله ابنه: إِنَّ مِثْلِي لَا تُوطَأُ أُمُّهُ. فطَلَّقَهَا الزبير. وقيل^(٦): بل اختصمت هي والزبير فجاء عبد الله ليصليح بينهما، فقال الزبير: إِنَّ^(٧) دَخَلَتْ فَهِيَ طَالِقٌ. فَدَخَلْتُ فَبَانَتْ^(٨). فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١ - ١) في ٣١، ٢١، م: «عامدين إلى المدينة».

(٢) في ص: «قتلة».

(٣) في ٣١، ٢١، م: «قبيلة».

(٤) بعده في ٣١، ٢١، م: «وهي آخر المهاجرين والمهاجرات موتا، وكانت هي وأختها عائشة وأبوها أبو بكر الصديق وجدها أبو عتيق وابنها عبد الله وزوجها الزبير صحابين، رضى الله عنهم. وقد شهدت البيروك مع ابنها وزوجها. وهي أكبر من أختها عائشة بعشر سنين. وقيل: إن الحجاج دخل عليها بعد أن قتل ابنها فقال: يا أمه، إن أمير المؤمنين أوصاني بك، فهل لك من حاجة؟ فقالت: لست لك بأمر، إنما أنا أم المصلوب على الشنية، وما لى من حاجة، ولكن أحدثك أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج من ثقيف كذاب ومبير». فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فلا أراك إلا إياه. فقال: أنا مبير المنافقين. وقيل: إن ابن عمر دخل معه عليها، وابنها مصلوب فقال لها: إن هذا الجسد ليس بشيء، وإنما الأرواح عند الله؛ فاتقى الله واصبرى. فقالت: وما يمنعى من الصبر وقد أهدى رأس يحيى بن زكريا إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل! وقيل: إنها غسلته وحنطته وكفنته وطيبته وصلت عليه ثم دفنته، ثم ماتت بعده بأيام في آخر جمادى الآخرة».

(٥) أسد الغابة ٩/٧ - ١٠.

(٦) أسد الغابة ١٠/٧، وتاريخ دمشق - تراجم النساء ص ١٨.

(٧ - ٧) في الأصل: «جبلت فهي طالق فإذا هى جبلت فبان من».

وقد عُمِّرَتْ [٧٩/٧] أسماءُ دهرًا صالحًا وأضُرَّتْ في آخرِ عمرِها .
 (٣) وقيل : بل كانت صحيحة البصرِ لم يَسْقُطْ لها سِنٌ^(١) . وأدركت قَتْلَ ولدها
 في هذه السَنةِ ، كما ذكرنا ، ثم ماتت بعده بخمسةِ أيامٍ . وقيل : بعشرة . وقيل :
 بعشرين . وقيل : ببضعةٍ وعشرين يومًا . وقيل : عاشت بعده مائةَ يومٍ . وهو
 الأشهرُ . وبلغت من العمرِ مائةَ سنةٍ ، ولم يَسْقُطْ لها سِنٌ^(٢) ، ولم يُنكَزْ لها عقلٌ ،
 رَحِمَها اللهُ ، ورضي عنها^(٣) . (١) وقد رَوَتْ عن النبي ﷺ عدَّةُ أحاديثٍ طيبةٍ
 مباركةٍ ، رضي اللهُ عنها ، ورحمها^(٤) .

قال ابنُ جرير^(٤) : وفي هذه السَنةِ - يعنى سنةَ ثلاثٍ وسبعين - عزَل عبدُ
 الملكِ خالدُ بنُ عبدِ اللهِ عن البصرةِ ، وأضافها إلى أخيه بشرِ بنِ مروانَ مع الكوفةِ ،
 فارتحل إليها بشرٌ واستخلف^(٥) على الكوفةِ^(٦) عمرو بنُ حريث .

وفيهما غزا محمدُ بنُ مروانَ الصائفةَ فهزمَ الرومَ .

وقيل^(٤) : إنه كان في هذه السَنةِ وَقْعَةُ عثمانَ بنِ الوليدِ بالرومِ من ناحيةِ
 أرمينيةَ ، وهو في أربعةِ آلافٍ ، والرومُ في سِتِّين ألفًا فهزمَهم ، وأكثرَ القتلَ
 فيهم .

وأقام للنَّاسِ الحجَّ في هذه السَنةِ الحجاجُ بنُ يوسفَ الثقفى أيضًا ، وهو على

(١ - ١) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٢) تاريخ دمشق - تراجم النساء صفحة ٢٨ .

(٣ - ٣) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٤) تاريخ الطبرى ١٩٤ / ٦ .

(٥) يعنى بشرا .

(٦) فى الأصل : « المدينة » .

مكة واليمن واليمامة. وعلى الكوفة والبصرة بشر بن مروان،^(١) في قول الواقدي. وفي قول غيره؛ على الكوفة بشر بن مروان، وعلى البصرة خالد بن عبد الله^(٢). وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث. وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة. وعلى إمرة خراسان بكير بن وشاح، يعنى الذى كان نائباً لعبد الله بن خازم^(٣)، والله أعلم.

و^(٤) ممن توفى فيها غير من تقدم ذكره مع ابن الزبير:

عبد الله بن^(٥) سعد بن خيثمة^(٦) الأنصارى، له صحبة، وشهد اليرموك، وكان كثير العبادة والغزو.

^(٧) عبد الله بن أبي حذرد الأسلمى، أبو محمد، له صحبة ورواية، توفى بالمدينة.

مالك بن مسمع بن غسان البصرى^(٨)، كان شديد الاجتهاد فى العبادة والزهادة.

ثابت بن الضحاك الأنصارى^(٩)، له صحبة ورواية، توفى بالمدينة، يقال

(١ - ١) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٢) فى الأصل، ٣١، ص: «حازم».

(٣) من هنا إلى ما قبل قوله: ثم دخلت سنة أربع وسبعين، زيادة من ٣١، ٢١، م.

(٤) سقط من: م.

(٥) فى ٣١، ٢١: «خيثم». وفى م: «خيثم». وانظر ترجمته فى: الاستيعاب ٩١٧/٣، وأسد الغابة

٢٥٨/٣، والإصابة ١٠٨/٤.

(٦ - ٦) فى ٣١: «عبيد الله». وانظر ترجمته فى: الاستيعاب ٨٨٧/٣، وأسد الغابة ٢١٠/٣،

والإصابة ٥٤/٤.

(٧) الإصابة ٢٧٥/٦، والمعارف ٤١٩، ٥٨٧، وجمهرة ابن حزم ٣٢٠، ٣٢١، وتاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٥٢١.

(٨) الاستيعاب ٢٠٥/١، وأسد الغابة ٢٧١/١، والإصابة ٣٩١/١.

له : أبو زيد الأشهلئى . وهو من أهل البيعة تحت الشجرة . قال يحيى بن أبى كثير : أخبرنى أبو قلابة ، أن ثابت بن الضحالك أخبره أنه بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة ، وأن رسول الله ﷺ قال ^(١) : « من قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله ^(٢) » .

زينب بنت أبى سلمة الخزومية ^(٣) ، ربيبة النبى ﷺ ، ولدتها أمها بالحبشة ، ولها رواية وصحبة .

توبة بن ^(٤) الحمير ^(٥) ، وهو الذى يُقال له : مجنون ليلى . كان توبة يشن الغارات على بنى الحارث بن كعب ، فرأى ليلى فهوها ، وتهتكت فيها ، وهام بها محبةً وعشقا ، وقال فيها الأشعار الكثيرة القوية الرائقة التى لم يُسبق إليها ولا يُلحق فيها ؛ لكثرة ما فيها من المعانى والحكم ، وقد قيل له مرة : هل كان بينك وبين ليلى ريبة قط ؟ فقال : برئت من شفاعة محمد ﷺ إن كنت قط حللت سراويلى على محرّم . وقد دخلت ليلى على عبد الملك بن مروان تشكو ظلامه ، فقال لها : ماذا رأى منك توبة حتى عشقك هذا العشق كله ؟ فقالت : والله يا أمير المؤمنين لم يكن بينى وبينه قط ريبة ولا خنا ، وإنما العرب تعشق وتعف ،

(١) البخارى (٤١٧١ ، ٦٠٤٧) .

(٢) فى م : « كفيه » .

(٣ - ٣) فى م : « سلمى الخزومى » . وترجمتها فى الاستيعاب ١٨٥٤/٤ ، وأسد الغابة ١٣١/٧ ، والإصابة ٦٧٥/٧ .

(٤) فى م : « بنت » .

(٥) فى النسخ : « الصمة » . وانظر ترجمته فى الشعر والشعراء ٤٤٥/١ ، والأغانى ٢٤٠/١١ ، والمؤتلف والمختلف للآمدى ص ٩١ ، وفوات الوفيات ٢٥٩/١ ، والوفات بالوفيات ٤٣٦/١٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣٧٣ .

وتقولُ الأشعارَ في مَنْ تهوى وتُحِبُّ مع العِفَّةِ والصِّيَانَةِ لأنفسِها عن الدَّنَاءَاتِ .
فأزال ظُلامَتَهَا وأجازها . تُوفى توبَةُ في هذه السَّنَةِ ، وقيل : إنَّ ليلَى جاءتْ إلى
قَبْرِه فبَكَتْ عليه حتى ماتَتْ . واللَّهُ أَعْلَمُ .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين

فيها عزل عبد الملك طارق بن عمرو عن إمرة المدينة وأضافها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي، فقدمها الحجاج فأقام بها شهرًا^(١)، ثم خرج معتمرًا، ثم عاد إلى المدينة في صفر فأقام بها ثلاثة أشهر^(٢)، وبنى في بنى سلمة مسجدًا، وهو الذي يُنسب إليه اليوم. ويقال: إن الحجاج في هذه السنة وهذه المدة ختم^(٣) جابرًا وسهلاً بن سعيد، وقرعهما؛ لم لا نصرا عثمان بن عفان، وخاطبهما خطابًا غليظًا - قبحه الله وأخزاه - وقد استقصى^(٤) أبا إدريس^(٥) الخولاني - أظنه - على اليمن. والله أعلم.

^(٦) وقال الواقدي^(٧): إن الحجاج لما قدم المدينة صعد منبر رسول الله ﷺ، فخطب الناس وقال: يا أهل خبيثة - يعني طيبة - أنتم شر أمة وأخس، ولولا أن أمير المؤمنين أوصاني بكم لجعلتها مثل جوف حمير، يا أهل خبيثة، تمكثون، هل تعودون إلا بأعواد يابسة - يعني المنبر - وزمة بالية، وأشار إلى قبر النبي ﷺ، ثم نزل وأرسل إلى سهل بن سعيد الساعدي، فقال: ما منعك أن تنصير أمير المؤمنين عثمان؟ فقال: قد فعلت. فقال: كذبت. [٧/٨٠] ثم أمر به فحُتِم في عنقه^(٨)

(١) في ٣١، ٢١، م: «أشهرًا». وانظر تاريخ الطبري ١٩٥/٦.

(٢) في الأصل: «ثمانية».

(٣) في الأصل، ٢١: «حتم». وفي م: «شتم». وفي الطبري «فختم في أعناقهم».

(٤) يعني عبد الملك بن مروان. تاريخ الطبري ١٩٥/٦.

(٥) في ص: «مسلم».

(٦ - ٦) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٧) تاريخ الطبري ١٩٥/٦. بنحوه مختصرًا. وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ)

ص ٣١٨.

١١) برصاص ، وكذلك فعل بجابر بن عبد الله ؛ ختمه فى يده ، وأنس بن مالك فى عنقه ، وكان قصده يُدلّهم بذلك ، فقال أنس : إنّ أهل الذمّة لا يجوز أن يفعل بهم هذا^(١) .

قال ابن جرير^(٢) : وفيها نقض الحجاج ببيان الكعبة الذى كان ابن الزبير بناه ، وأعادها على بنيانها الأول .

قلت : الحجاج لم ينقض ببيان الكعبة جميعه ، بل إنّما هدم الحائط الشامى حتى أخرج الحجر^(٣) من البيت^(٤) ثم سدّه وأدخل فى جوف الكعبة ما فضل من الأحجار ، وتقيت الحيطان الثلاثة بحالها ؛ ولهذا بقي البابان^(٥) الشرقى والغربى وهما ملصقان بالأرض ، كما هو المشاهد إلى يومنا هذا ، ولكن سدّ الغربى بالكلية وردم أسفل الشرقى حتى جعله مرتفعاً كما كان فى الجاهلية ، ولم يبلغ الحجاج ولا عبد الملك ما كان بلغ ابن الزبير من العلم النبوى الذى كانت أخبرته به خالته أم المؤمنين عائشة بنت الصديق ، رضى الله عنها ، عن رسول الله ﷺ - كما تقدّم ذلك - من قوله^(٦) : « لولا أنّ قومك حديث عهدهم^(٧) بكفر - وفى رواية : بجاهلية^(٨) - لنقضت الكعبة وأدخلت فيها الحجر ، وجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً ، ولألصقتهما بالأرض ، فإنّ قومك قصرت بهم النفقة فلم يدخلوا فيها الحجر ولم يتّمموها على قواعد إبراهيم ، ورفعوا بابها ليدخلوا من شاءوا

(١ - ١) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٢) تاريخ الطبرى ١٩٥/٦ .

(٣ - ٣) زيادة من ٣١ ، ٢١ ، م .

(٤) فى م : « البيان » .

(٥) أصل الحديث عند البخارى (١٥٨٤ ، ١٥٨٦ ، ٧٢٤٣) ، مسلم (١٣٣٣) ، وفى بعض ألفاظه

اختلاف عما أورده المصنف . وتقدم فى ٣٨٢/١ - ٣٨٣ .

(٦ - ٦) فى الأصل : « وفى رواية بكفر » .

وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا». فَلَمَّا تَمَكَّنَ ابْنُ الزَّيْبِرِ بِنَاهَا كَذَلِكَ. وَلَمَّا بَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ هَذَا الْحَدِيثَ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ: وَدِدْنَا أَنَّا تَرَكْنَاهُ وَمَا تَوَلَّى مِنْ ذَلِكَ.

وفى هذه السنة ولى المهلب بن أبي صفرة حرب الأزارقة عن أمر عبد الملك لأخيه بشر بن مزوان أن يُجهز المهلب إلى الخوارج الأزارقة^(١) في جيوش من أهل البصرة والكوفة، ووجد بشر على المهلب في نفسه، حيث عيّنه عبد الملك في كتابه، فلم يجد بدا من طاعته في تأميره على الناس في هذه الغزوة، وما كان له من الأمر شيء، غير أنه أوصى أمير الكوفيين^(٢) عبد الرحمن^(٣) بن مخنف أن يستبد بالأمير دونه، وأن لا يقبل له رأيا ولا مشورة، فسار المهلب بأهل البصرة وأمرأى الأرباع معه على منازلهم حتى نزل برامهرمز، فلم يلبث عليها إلا عشرا حتى جاء نفي بشر بن مزوان، وأنه مات بالبصرة، واستخلف عليها خالد بن عبد الله، فارقض^(٤) بعض الجيش ورجعوا إلى البصرة، فبعثوا في آثارهم من يرؤدهم، وكتب [٨٠/٧] خالد بن عبد الله إلى الفارسين يتوعدهم إن لم يرجعوا إلى أميرهم، ويتوعدهم بسطوة عبد الملك، فعدلوا يستأذنون عمرو بن حريث في المصير إلى الكوفة، فكتب إليهم: إنكم تركتم أميركم وأقبلتم عاصين مخالفين، فليس لكم إذن ولا إمام ولا أمان. فلما جاءهم ذلك أقبلوا إلى رحالهم^(٥) فركبوها ثم ساروا إلى بعض البلاد^(٥)، فلم يزالوا مختفين بها حتى قدم الحجاج واليا على العراق مكان بشر بن مزوان، كما سيأتي بيانه قريبا.

(١) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٢) في الأصل: «المؤمنين».

(٣ - ٣) في م: «عبد الله»، وانظر تاريخ الطبرى ١٩٦/٦.

(٤) في م: «فأرعى».

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ص.

وفى هذه السنة عزّل عبدُ الملكِ بُكَيْرُ بْنُ وَشاحِ التميميّ عن إمرة خُرَاسَانَ
وولّاها أُمَيَّةَ بِنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدِ الْقُرَشِيِّ^(١)؛ ليجتمع عليه الناسُ،
فإنّه قد كادتِ الفتنةُ تتفاقمُ بخُرَاسَانَ بعدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خازِمٍ^(٢)، فلَمّا قَدِمَ أُمَيَّةُ
ابنُ عَبْدِ اللَّهِ خُرَاسَانَ عَرَضَ على بُكَيْرِ بْنِ وَشاحٍ أن يكونَ على شُرَطيّه، فأبى
وطلّب منه أن يولّيّه طُخارِسْتَانَ، فخوّفوه منه أن يخلعه هنالِكَ، فتركه مقيماً
عنده.

قال ابنُ جريرٍ^(٣): وحجّ بالناسِ فيها الحجاجُ وهو على إمرة المدينة ومكة
واليمن واليمامة. قال ابنُ جريرٍ^(٤): وقد قيل: إنّ عبدَ الملكِ اعتَمَرَ فى هذه
السنة، ولا نعلمُ صحّة ذلك.

ذِكْرُ مَنْ تَوَفَّى فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ

رافِعُ بْنُ خَدِيجِ بْنِ رَافِعِ الْأَنْصَارِيِّ^(٥)، صحابيّ جليلٌ، شهدَ أحدًا وما
بعدها،^(٦) وشهد^(٧) صَفِيْنَ مع عليٍّ، وكان يَتَعانَى المزارعَ والفِلاحَةَ. توفّي وهو
ابنُ ستٍّ وثمانين سنةً، وأَسَدُ ثمانيةٍ وسبعينَ حديثًا^(٨)، وأحاديثُه جيّدةٌ. وقد
أصابه يومٌ أحدٍ سهْمٌ فى تَرْقُوته، فخيّرهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ أن ينزعَهُ منه وبينَ أن

(١) انظر: تاريخ الطبرى ١٩٩/٦، والمنظّم ١٤٣/٦.

(٢) فى الأصل، ٣١: «حازم».

(٣) تاريخ الطبرى ٢٠١/٦. ولم يذكر أن الحجاج كان على إمرة اليمن واليمامة.

(٤) تاريخ الطبرى ٢٠١/٦.

(٥) الاستيعاب ٤٧٩/٢، وأسد الغابة ١٩٠/٢، والإصابة ٤٣٦/٢.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، ص.

(٧) سقط من: م.

يترك فيه القطبة^(١) ويشهد له يوم القيامة، فاختر هذه، وانتقض عليه في هذه السنة فمات منه، رضى الله عنه.

أبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي^(٢)، صحابي جليل من فقهاء الصحابة، اشتُغر يوم أُحُد، ثم كان أول مشاهيده الخندق، وشهد مع رسول الله ﷺ ثنتي عشرة غزوة، وروى عنه أحاديث كثيرة، وعن جماعة من الصحابة^(٣)، وحُدث عنه خلق من التابعين وجماعة من الصحابة. وكان من نُجباء الصحابة وفضلائهم وعلمائهم، رضى الله عنه.

قال الواقدي^(٤) وغيره^(٥): مات سنة أربع وسبعين. وقيل^(٦): قبلها بعشرين سنين. فالله أعلم.

^(٧) قال الطبراني^(٨): حَدَّثَنَا الْمُقْدَامُ بْنُ دَاوُدَ، ثنا خَالِدُ بْنُ زَيْلَارٍ، ثنا هِشَامُ بْنُ سَعِيدٍ^(٩)، عن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عن عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عن أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ، قال: قلت: يا رسول الله، أئى الناس أشدُّ بلاءً؟ فقال: «النبئون». قلت: ثم أئى؟^(٧)

(١) فى الأصل، ٣١، ٢١: «القطنة». وفى م، ص: «العطبة». وفى الإصابة: «القطيفة». والمثبت من النهاية ٧٩/٤.

والحديث أورده ابن حجر فى الإصابة ٤٣٧/٢، وعزاه لابن شاهين من طريق محمد بن يزيد عن رجاله. والقطبة: نصل السيف. انظر النهاية ٧٩/٤.

(٢) الاستيعاب ٦٠٢/٢، وأسد الغابة ٣٦٥/٢، والإصابة ٧٨/٣.

(٣) بعده فى حاشية الأصل: «وأُسند أبو سعيد ألفاً ومائة وسبعين حديثاً».

(٤) عزاه ابن حجر فى الإصابة ٨٠/٣ إلى الواقدي.

(٥) الاستيعاب ٦٠٢/٢، وأسد الغابة ٣٦٥/٢.

(٦) تاريخ دمشق ٣٩٨/٢٠.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل، ص.

(٨) المعجم الأوسط (٩٠٤٣)، بنحوه.

(٩) فى م: «سعيد».

^(١) قال : « ثم الصالحون ، إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا الشتره - وفي رواية : إلا العباءة - أو نحوها ، وإن أحدهم ليبتلى فيقمل حتى ينبد القمل ، وكان أحدهم بالبلاء أشد فرحاً منه بالرخاء » .

وقال قتيبة بن سعيد ^(٢) : ثنا الليث بن سعد ، عن ابن عجلان ، عن سعيد المقبري ، عن أبي سعيد الخدري ، أن أهله شكوا إليه الحاجة فخرج إلى رسول الله ﷺ يسأل لهم شيئاً ، فوافقه على المنبر وهو يقول : « أيها الناس ، قد آن لكم أن تستغنوا عن المسألة ، فإنه من يستعفف يُعفه الله ، ومن يستغن يُغنه الله ، والذي نفس محمد بيده ، ما رزق الله عبداً من رزقي أوسع له من الصبر ، ولئن أيسم إلا أن تسألوني لأعطيتكم ما وجدت » . وقد رواه الطبراني ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد ، نحوه ^(٣) .

عبد الله بن عمر بن الخطاب ، القرشي العدوي ،

أبو عبد الرحمن المكي ثم المدني ^(٤)

أسلم قديماً مع أبيه ولم يبلغ الحلم ، وهاجر ^(٥) وعمره عشر سنين ، وقد استُصغر يوم أحد ^(٦) وكان ابن أربع عشرة ^(٦) ، فلما كان يوم الخندق أجازه وهو ابن خمس عشرة سنة فشاهدها وما بعدها . [٨١/٧] وهو شقيق حفصة أم المؤمنين ،

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣٧٠/١ من طريق قتيبة بن سعيد به .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣٧٠/١ من طريق الطبراني عن عطاء بن يسار به .

(٤) الاستيعاب ٩٥٠/٣ ، وأسد الغابة ٣٤٠/٣ ، والإصابة ١٨١/٤ .

(٥) في ٣١ ، م ، ص : « هاجر » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، م . وانظر طبقات ابن سعد ١٤٣/٤ .

أُمُّهُمَا زَيْنَبُ بِنْتُ مَظْعُونٍ أَخْتُ عِثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ .

وكان عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ رُبْعَةً مِنَ الرِّجَالِ أَدَمَ ، لَهُ جُمَّةٌ تَضْرِبُ إِلَى مَنْكِبَيْهِ ، جَسِيمًا يَخْضِبُ بِالضُّفْرَةِ وَيُحْفِي شَارِبَهُ ، وَكَانَ يَتَوَضَّأُ لِكُلِّ صَلَاةٍ وَيُدْخِلُ الْمَاءَ فِي أُصُولِ عَيْنَيْهِ ، وَقَدْ أَرَادَهُ عِثْمَانُ عَلَى الْقَضَاءِ فَأَتَى ذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ أَبُوهُ . وَشَهِدَ الْيَرْمُوكَ وَالْقَادِسِيَّةَ وَجُلُولَاءَ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ وَقَائِعِ الْفَرَسِ ، وَشَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ ، وَاخْتَطَّ بِهَا دَارًا ، وَقَدِيمَ الْبَصْرَةِ ، وَشَهِدَ غَزْوَ فَارَسَ وَوَرَدَ الْمَدَائِنَ مِرَازًا ، وَكَانَ عَمْرُهُ يَوْمَ مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَكَانَ إِذَا أَعْجَبَهُ شَيْءٌ مِنْ مَالِهِ تَقَرَّبَ بِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَانَ عِيْبُهُ قَدْ عَرَفُوا ذَلِكَ مِنْهُ ، فَرُبَّمَا لَزِمَ أَحَدُهُمُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَأَاهُ ابْنُ عَمْرٍ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ أَعْتَقَهُ ، فَيَقَالُ لَهُ : إِنَّهُمْ يَخْدَعُونَكَ . فَيَقُولُ ^(١) : مَنْ خَدَعَنَا بِاللَّهِ انْخَدَعْنَا لَهُ . وَكَانَ لَهُ جَارِيَةٌ يَحِبُّهَا كَثِيرًا فَأَعْتَقَهَا وَزَوَّجَهَا لِمَوْلَاهُ نَافِعٍ ، وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ ﴾ [آل عمران : ٩٢] . ^(٢) وَكَانَ لَهُ نَجِيبٌ اشْتَرَاهُ بِمَالٍ ^(٣) فَأَعْجَبَهُ لِمَا رَكِبَهُ ، فَقَالَ : يَا نَافِعُ أَدْخِلْهُ فِي إِبِلِ الصَّدَقَةِ . وَأَعْطَاهُ ابْنُ جَعْفَرٍ فِي نَافِعٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا تَنْتَظِرُ بَيْنَهُ ؟ فَقَالَ : مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ، هُوَ حُرٌّ لَوْجِهَ اللَّهِ . وَاشْتَرَى مَرَّةً غَلَامًا بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا وَأَعْتَقَهُ ، فَقَالَ الْغَلَامُ : ^(٤) يَا مَوْلَايَ قَدْ أَعْتَقْتَنِي فَهَبْ لِي شَيْئًا أَعِيشُ بِهِ . فَأَعْطَاهُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا . وَاشْتَرَى مَرَّةً خَمْسَةَ عِيبٍ فَقَامَ يَصَلِّيُ فقاموا خَلْفَهُ يَصَلُّونَ فَقَالَ : لِمَنْ صَلَّيْتُمْ هَذِهِ الصَّلَاةَ ؟ فَقَالُوا : لِلَّهِ ! فَقَالَ : فَأَنْتُمْ أَحْرَارٌ لِمَنْ صَلَّيْتُمْ لَهُ . فَأَعْتَقَهُمْ . وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ ^(٥) مَا مَاتَ حَتَّى أَعْتَقَ أَلْفَ رَقَبَةٍ ، وَرُبَّمَا تَصَدَّقَ

(١) حلية الأولياء ٢٩٤/١ ، وتاريخ دمشق ٥٢/٣٧ ، ٥٣ (ط . الرسالة) ، وأسد الغابة ٣/٣٤٣ .

(٢ - ٢) في ٣١ ، ٢١ ، م : « واشترى مرة بعيرا » . والنجيب : الخفيف السريع القوى من الإبل .

(٣ - ٣) في الأصل : « قد أحسنت إلى فأحسن إلى ولدي » . فقال : هما حران . قال : فأُمِيهما . قال : هما حران . فأعتق الخمسة كانوا بمبلغ مال و » .

فى المجلس الواحد بثلاثين ألفاً، وكانت تمضى عليه الأيام الكثيرة والشهر لا يذوق فيه لحمًا، ^(١) وما كان يأكل طعامًا ^(٢) إلا وعلى مائدته يتيم.

وبعث إليه معاوية بمائة ألف لما أراد أن يبايع ليزيد، فما حال عليه الحول وعنده منها شيء، وكان يقول: إني لا أسأل أحدًا شيئًا، فما رزقنى الله فلا أرده. وكان فى مدة الفتنة لا يأتى أميرٌ إلا صلى خلفه، وأدى إليه زكاة ماله، وكان أعلم الناس بمناسك الحج، وكان يتبع آثار رسول الله ﷺ ^(٣) كل مكان صلى فيه أو قعد فيه ^(٤)، حتى إنَّ النبى ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهدُها ويصُبُّ فى أصلها الماء ^(٥) حتى لا تيبس. وكان إذا فاتته العشاء فى جماعة أحياء تلك الليلة، وكان يقوم أكثر الليل، وقيل: إنَّه مات وهو فى الفضل مثل أبيه، وكان يوم مات خير من بقى. ومكث ستين سنة يُفتى الناس من سائر البلاد.

وروى عن النبى ﷺ [٨١/٧ ظ] أحاديث كثيرة، وروى عن الصديق وعن عمر وعثمان وسعيد وابن مسعود وحفصة وعائشة أمي المؤمنين وغيرهم. وعنه خلق ^(٦) من التابعين ^(٧)؛ منهم بنوه حمزة وبلال وزيد وسالم وعبد الله وعبيد الله وعمر - إن كان محفوظًا - وأسلم - مولى أبيه - وأنس ^(٨) بن سيرين ^(٩) والحسن وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وطاوس وعروة وعطاء وعكرمة ومجاهد وابن سيرين والزهرى ومولاه نافع.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م: «يصلى فيها».

(٣ - ٣) زيادة من: ص.

(٤ - ٤) فى ٣١: «وابن سيرين». وانظر تهذيب الكمال ١٥/٣٣٤.

وثبت في « الصحيح »^(١) عن حفصة أن رسول الله ﷺ قال : « إن عبد الله رجل صالح لو كان يقوم الليل » . فكان بعد يقوم الليل . وقال ابن مسعود^(٢) : إن من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا ابن عمر . وقال جابر^(٣) : ما منا أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها ، إلا ابن عمر ،^(٤) وما أصاب أحد من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله وإن كان عليه كريماً^(٥) . وقال سعيد بن المسيب^(٦) : مات ابن عمر يوم مات وما من الدنيا أحد أحب أن ألقى الله بمثل عمله منه . وقال الزهري^(٧) : لا يعدل برأيه ، فإنه أقام بعد رسول الله ﷺ ستين سنة ، فلم يخف عليه شيء من أمره ولا من أمر أصحابه ، رضي الله عنهم . وقال مالك^(٨) : بلغ ابن عمر ستاً وثمانين سنة ، وأفتى في الإسلام ستين سنة ، يقدم عليه وفود الناس من أقطار الأرض . وقال الواقدي^(٩) وجماعة^(١٠) : توفي ابن عمر سنة أربع

(١) في ٣١ ، ص : « الصحيحين » . والحديث عند البخاري (٧٠٢٩) ، وبنحوه (١١١٢) ، (١١٥٨) ، (٣٧٣٩) ، (٣٧٤١) ، (٧٠١٦) ، (٧٠٣١) .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٤/١٤٤ ، وأبو نعيم في الحلية ١/٢٩٤ . وانظر تاريخ دمشق ٣٧/٢٩ - ٣٠ (ط . الرسالة) .

(٣) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ ١/٤٩٠ ، وأبو نعيم في الحلية ١/٢٩٤ . كلاهما مختصراً بنحوه . (٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/٣٠٤ ، (٣٠٥) . وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٧/٣٦ (ط . الرسالة) .

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٧/٨٠ (ط . الرسالة) .

(٧) أخرجه البخاري في التاريخ الصغير ١/١٨٣ ، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٣/٤٧٥ ، والخطيب في تاريخ بغداد ١/١٧٣ . وفي هذه المصادر أنه بلغ سبعا وستين سنة .

وأما قوله : وأفتى في الإسلام ستين سنة . فقد أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ ١/٤٩١ ، والخطيب في تاريخ بغداد ١/١٧٢ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٧/٨٠ (ط . الرسالة) . كلهم بنحوه .

(٨) تاريخ دمشق ٣٧/١١٣ (ط . الرسالة) .

(٩) منهم خليفة في تاريخه ١/٣٤٦ ، وعزاه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٧/١١٣ (ط . الرسالة) ، =

وسبعين . وقال الزبير بن بكار وآخرون^(١) : توفى سنة ثلاث وسبعين^(٢) . والأوّل أثبت . والله تعالى أعلم .

^(٣) وقال ابن سعيد^(٤) : لما قُتل عثمانُ واستُخلف عليٌّ ، أتاه ابنُ عمرَ ، فقال له عليٌّ : إنك محبوبٌ إلى الناسِ ، فسرّ إلى الشامِ ، فقد وليتَها . فقال : أذكرك اللهَ وقرابتي وصُحبتِي لرسولِ اللهِ والرحمِ إلا ما وليتَ غيري وأعفيتني ، فأبى عليه ، فاستعانَ بحفصةَ أخته فكلّمته ، ثم سار من ليلته إلى مكةَ هاربًا منه . وقيل : إن مزوانَ قال لابنِ عمرَ^(٥) : ألا تخرجُ إلى الشامِ فيبايعوكَ ؟ قال : فكيف أصنعُ بأهلِ العراقِ ؟ قال : تقايلُهم بأهلِ الشامِ . فقال : والله ما يشترني أن لي ملكَ الأرضِ وأنّ الناسَ كلّهم بايعوني وقد قُتل منهم رجلٌ واحدٌ ، وما أحبُّ أنّها أتتني ورجلٌ يقولُ : لا وآخرُ يقولُ : نعم . وقيل^(٦) : إنّه دخلَ عليه الحجاجُ وهو مريضٌ فغمّضَ عينيه فكلّمه فلم يُجِبْهُ .

تُوفى^(٧) بمكةَ بعدَ مُنصرفِ الناسِ من الحجِّ في آخرِ السنةِ وعمره أربعٌ وثمانونَ سنةً . ودُفِنَ بالمُحَصَّبِ وهو آخرُ من مات من الصّحابةِ بمكةَ^(٨) .

= وابن حجر في الإصابة ١٨٨/٤ إلى الفلاس . كما عراه ابن حجر في الموضع نفسه إلى سعيد بن جبير وابن زُئِر .

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١١٠/٣٧ - ١١٣ (ط . الرسالة) من وجوه ، ولم يعزه إلى الزبير بن بكار .

(٢) بعده في الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، ص : « قال الزبير » .

(٣ - ٣) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٤) أخرجه الذهبي في السير من طريق ليث بن أبي سليم عن نافع بنحوه ، ولم يعزه إلى ابن سعد . سير أعلام النبلاء ٢٢٣/٣ - ٢٢٤ .

(٥) تاريخ دمشق ٩٨/٣٧ (ط . الرسالة) .

(٦) المصدر السابق ص ١٠٧ .

(٧) المصدر السابق ص ١٠٩ .

^(١) وكان له من الولد ^(٢)؛ أبو بكر وأبو عبيدة ^(٣) وواقد [٨٢/٧] وعبد الله وعمر وحفصة وسودة، أمهم صفية بنت أبي عبيد أخت المختار، وعبد الرحمن وسالم وعبيد الله وحمزة، وأمهم أم ولد، وزيد وعائشة، لأم ولد. وأسند ألفين وستمئة وثلاثين حديثاً ^(٤).

عبيد بن عمير بن قتادة بن سعد بن عامر بن جندع ^(٥) بن ليث، الليثي ثم الجندعي ^(٦)، أبو عاصم المكي، قاص ^(٧) أهل مكة.

قال مسلم بن الحجاج ^(٨): ولد في حياة النبي ﷺ. وقال غيره ^(٩): رآه أيضاً. روى عن أبيه ^(١٠) - وله صحبة ^(١١) - وعن عمر وعلي وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن عمرو ^(١٢) وأم سلمة، وغيرهم. وعنه جماعة من التابعين وغيرهم، ووثق ابن معين وأبو زرعة وغير واحد ^(١٣).

(١ - ١) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٢) الطبقات لابن سعد ٤/١٤٢.

(٣) في الأصل: «عبد».

(٤) في الأصل، ٢١، م: «خندع». وترجمته في: الاستيعاب ٣/١٠١٨، وأسد الغابة ٣/٥٤٥، والإصابة ٥/٦٠، ووقع بها تصحيف، ففيه أن ابن حبان قال: إنه توفي سنة أربع وستين. والصواب أنه توفي هذه السنة، وبه قال ابن حبان في مشاهير علماء الأمصار، ص ٤٦.

(٥) في الأصل، م: «الخندي».

(٦) في ٣١، م، ص: «قاضي».

(٧) تهذيب الكمال ١٩/٢٢٣. وانظر المصادر السابقة.

(٨) تهذيب الكمال الموضع السابق.

(٩) تهذيب الكمال ١٩/٢٢٤، وسير أعلام النبلاء ٤/١٥٦.

(١٠) في صحبته اختلاف؛ سئل ابن معين، ألعبيد بن عمير صحبة؟ قال: هكذا يقولون. تاريخ ابن معين ٢/٣٨٦. وقال العجلي في تاريخ الثقات ٣٢١: مكي تابعي ثقة. وكذا ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤/١٥٧ أنه من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة.

(١١) في م: «عمر». وانظر تهذيب الكمال ١٩/٢٢٤.

(١٢) تهذيب الكمال ١٩/٢٢٤.

وكان ابنُ عمرَ يجلسُ في حلقتِهِ ويبيكى ، وكان يُعجِبُهُ تذكيرُهُ . وكان بليغًا ،
وكان يبيكى حتى يَبُلُّ الحَصَى بدموعِهِ .

قال مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ ، عن غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ ، قال ^(١) : كان عبيدُ بْنُ عميرٍ إذا
أَخَى أَحَدًا فِي اللَّهِ اسْتَقْبَلَ بِهِ الْقِبْلَةَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا سَعْدَاءَ بَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكَ ،
واجْعَلْ مُحَمَّدًا شَهِيدًا عَلَيْنَا بِالْإِيمَانِ ، وقد سَبَقَتْ لَنَا مِنْكَ الْحَسَنَى ، غَيْرَ مُتَطَاوِلٍ
عَلَيْنَا الْأَمْدُ ، وَلَا قَاسِيَةٌ قُلُوبُنَا وَلَا قَائِلِينَ مَا لَيْسَ لَنَا بِحَقٍّ ، وَلَا سَائِلِينَ مَا لَيْسَ لَنَا بِهِ
عِلْمٌ .

وَحَكَى الْبَخَارِيُّ ^(٢) عن ابنِ جُرَيْجٍ أَنَّ عبيدَ بْنَ عميرٍ ماتَ قَبْلَ ابنِ عمرَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ ^(٣) .

أَبُو جُحَيْفَةَ وَهَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشَّوَائِي ^(٤) ، صحابِيُّ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ ،
وكان دُونَ الْبُلُوغِ عِنْدَ وِفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ ، لَكِنْ رَوَى عَنْهُ عِدَّةٌ أَحَادِيثَ ، وَعَنْ عَلِيٍّ
وَالْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ . وَعَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ ؛ مِنْهُمْ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ ،
وَالْحَكَمُ وَسَلَمَةُ ^(٥) بْنُ كُھَيْلٍ وَالشَّعْبِيُّ وَأَبُو إِسْحَاقَ السَّبْعِيُّ . وكان قد نَزَلَ
الْكُوفَةَ وَابْتَنَى بِهَا دَارًا . وَتُوفِيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَقِيلَ : فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ .
فَاللَّهُ أَعْلَمُ . ^(٦) وكان صَاحِبَ شُرْطَةِ عَلِيٍّ ، وكان عَلِيٌّ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ أَبُو جُحَيْفَةَ
تَحْتَ مِنْبَرِهِ ^(٦) .

(١) حلية الأولياء ٢٧٥/٣ ، بنحوه .

(٢) التاريخ الكبير ٤٥٥/٥ .

(٣) في ٣١ ، ٢١ : « عنها » .

(٤) الاستيعاب ١٥٦١/٤ ، وأسد الغابة ٤٦٠/٥ ، والإصابة ٦٢٦/٦ .

(٥) في ٣١ : « مسلمة » . وانظر تهذيب الكمال ١٣٣/٣١ .

(٦ - ٦) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م . وانظر أسد الغابة ٤٦٠/٥ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠٣/٣ .

^(١) سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَنَانِ الْأَنْصَارِيِّ ^(٢)، وهو أحدُ مَنْ بَايَعَ
تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَكَانَ مِنْ فِرْسَانِ الصَّحَابَةِ وَعِلْمَائِهِمْ، كَانَ يُفْتَى بِالْمَدِينَةِ، وَلَهُ
مَشَاهِدٌ مَعْرُوفَةٌ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَبَعْدَهُ، تَوَفَّى بِالْمَدِينَةِ وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ ^(٣)
سَنَةً.

مَالِكُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ الْأَصْبَحِيُّ الْمَدَنِيُّ ^(٤)، وَهُوَ جَدُّ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ،
رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَكَانَ فَاضِلًا عَالِمًا، تَوَفَّى بِالْمَدِينَةِ.

أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ ^(٥)، مَقْرَأٌ أَهْلُ الْكُوفَةِ بِهَا مَدَافِعُهُ، وَاسْمُهُ عَبْدُ
اللَّهِ بْنُ حَبِيبٍ، قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَسَمِعَ مِنْ جَمَاعَةٍ
مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَأَقْرَأَ النَّاسَ الْقُرْآنَ بِالْكُوفَةِ مِنْ خِلَافَةِ عَثْمَانَ إِلَى إِمْرَةِ
الْحِجَابِ، قَرَأَ عَلَيْهِ عَاصِمُ بْنُ أَبِي النَّجُودِ وَخَلَقَ غَيْرُهُ، تَوَفَّى بِالْكُوفَةِ ^(٦).

أَبُو مُعْرِضٍ الْأَسَدِيُّ، اسْمُهُ مَغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيُّ ^(٧)، وَلِدَ فِي حَيَاةِ
النَّبِيِّ ﷺ، وَوَفَدَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَامْتَدَحَهُ، وَلَهُ شَعْرٌ جَيِّدٌ، وَيُعْرَفُ ^(٨)

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) الاستيعاب ٦٣٩/٢، وأسد الغابة ٤٢٣/٢، والإصابة ١٥١/٣.

(٣) في ٣١، ٢١: «التسعين».

(٤) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦٣/٥، والتاريخ الكبير ٣٠٥/٧، وتهذيب الكمال ١٤٨/٢٧،
وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٥٢١، ومروءة الجنان ١٥٥/١.

(٥) طبقات ابن سعد ١٧٢/٦، وتهذيب الكمال ٤٠٨/١٤، وسير أعلام النبلاء ٢٦٧/٤، وتذكرة
الحفاظ ٥٨/١، وغاية النهاية لابن الجزري ٤١٣/١، وطبقات الحفاظ ٢٧.

(٦) بعده في ٣١: «وكان أبو عبد الرحمن السلمي إذا قرأ عليه الرجل القرآن يقول له: لقد أوتيت علم
الله فليس أحد أعلم منك».

(٧) ترجمته في: الإصابة ٣٠٩/٦، والشعر والشعراء ٥٥٩/٢، والأغاني ٢٥١/١١، ومعجم
الشعراء ٢٧٣، وخزانة الأدب ٤٨٧/٤.

واسمه في الشعر والشعراء ومعجم الشعراء: مغيرة بن الأسود.

^(١) «بِالْأَقْيَشِرِ»^(٢)، وكان أحمر الوجه كثير الشعر، توفي بالكوفة في هذه السنة، وقد قارب الثمانين سنة.

بشر بن مروان الأموي^(٣)، أخو عبد الملك بن مزوان، ولي إمرة العراقيين لأخيه عبد الملك، وله دارٌ بدمشق عند عقبة الكتان^(٤)، وكان سمحاً جواداً، وإليه ينسب دَيْرُ مَزَوَانَ عند حَجِيرَا^(٥)، وهو الذي قتل خالد بن حصين الكلابي يومَ مَرَجِ رَاهِطٍ، وكان لا تُغلقُ دُونَهُ الأبوابُ، ويقول: إِنَّمَا تَحْتَجِبُ النِّسَاءُ. وكان طليقَ الوجه، وكان يُجيزُ على الشعرِ بألوفٍ، وقد امتدحه الفرزدقُ والأخطلُ. والجهمة تستدلُّ على الاستواءِ على العرشِ بأنَّه الاستيلاءُ ببيتِ الأخطلِ،^(٦) فيما مدح به بشر بن مزوان، وهو قوله^(٧):

قد استوى بشرٌ على العراقِ من غيرِ سيفٍ ودمٍ مُهراقٍ
وليس فيه دليلٌ، فإنَّ هذا استدلالٌ باطلٌ من وجوه كثيرة^(٨)، وقد كان الأخطلُ نصرانيّاً.

وكان سببُ موتِ بشرٍ أنَّه وقَّعتِ القُرْحَةُ في يمينه^(٩)، فقيلَ له: نقطعُها^(١٠)

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) في ٣١، م: «بالأقطشى». وفي ٢١: «بالأقطسى».

ولمَّا غلب عليه لقب الأقيشر لأنه كان أحمر الوجه.

(٣) ترجمته في: تاريخ دمشق ٣/٣٥١ (مخطوط)، وفيه أنه توفي سنة ثلاث وسبعين، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ)، ص ٣٧٠، وسير أعلام النبلاء ٤/١٤٥، والوافي بالوفيات ١٥٢/١٠، وفيها أنه توفي سنة خمس وسبعين.

(٤) في ٣١: «الكتاب». وفي م: «الباب». انظر الدارس في تاريخ المدارس ٢/٢٣٧.

(٥) في م: «حجير». وحجيراً بالقصر، من قرى غوطة دمشق. معجم البلدان ٢/٢١٦.

(٦ - ٦) سقط من: م.

(٧) انظر ما ورد في ذلك في مختصر الصواعق المرسلة ٢/١٢٧.

(٨) في م: «عينه».

١) من الإفصل. فجزع، فما أمسى^(٢) حتى خالطت الكتيف، ثم أصبح وقد خالطت الجوف، ثم مات، ولما احتضر جعل يبكي ويقول^(٣): واللّه لو ددت أنّي كنت عبداً أرعى الغنم في البادية لبعض الأعراب ولم أل ما وليت. فذكر قوله لأبي حازم - أو لسعيد بن المسيّب - فقال^(٤): الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يفرّون إلينا ولم يجعلنا نفرّ إليهم، إنّنا لنرى فيهم عبّراً. وقال الحسن^(٥): دخلت عليه فإذا هو يتململ على سريره، ثم نزل عنه إلى صحن الدار، والأطباء حوله. مات بالبصرة في هذه السنّة وهو أوّل أمير مات بها. ولما بلغ عبد الملك موته حزّن عليه وأمر الشعراء أن يرثوه. واللّه سبحانه وتعالى أعلم^(٦).

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) في م: «أحسن».

(٣) تاريخ دمشق ٢٦٥/١٠ (مخطوط).

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦٥/١٠ بنحوه، وعزا القول فيه إلى شقيق.

(٥) تاريخ دمشق ٢٦١/١٠ بنحوه، وسير أعلام النبلاء ١٤٦/٤.

ثم دخلت سنة خمس وسبعين

ففيها غزا محمد بن مَرْوَانَ - أخو عبد الملك بن مَرْوَانَ ، وهو والد مَرْوَانَ الحِمَارِ - صائفة الروم^(١) حينَ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِ مَرْعَشٍ^(٢) . وفيها وَلَّى عبدُ الملكِ ابنُ مَرْوَانَ نيابةَ المدينةِ لِيُحْتَمَى بِالحِكمِ بْنِ أَبِي العاصِ ، وهو عمُّه ، وعزَلَ عنها الحِجَّاجَ .

وفيها وَلَّى عبدُ الملكِ الحِجَّاجَ بْنَ يوسُفَ نيابةَ العراقِ ؛ البصرة والكوفة وما يَتَبَعُ ذلكَ مِنَ الأقاليمِ الكبارِ ، وذلكَ بَعْدَ مَوْتِ أخيه بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ ، فرأى عبدُ الملكِ أَنَّهُ لَا يَسُدُّ عَنْهُ أَهْلَ العراقِ غَيْرُ الحِجَّاجِ لِسَطَوَتِهِ وَقَهْرِهِ وَقَسْوَتِهِ وشهامتِهِ ، فكَتَبَ إِلَيْهِ ، وهو بالمدينةِ ، [٨٢/٧ ظ] بولايةِ العراقِ ، فسارَ مِنَ المدينةِ إِلَى العراقِ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَاكِبًا عَلَى النِجَابِ ، فنَزَلَ قَرِيبَ الكوفةِ فاغْتَسَلَ واختَضَبَ وَلَبَسَ ثِيَابَهُ وَتَقَلَّدَ سِيفَهُ وَأَلْقَى عَذْبَةً^(٣) العِمَامَةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، ثم سارَ فنَزَلَ دارَ الإمارةِ ، وذلكَ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَقَدْ أَذِنَ الْمُؤَدُّنُ الْأَوَّلُ ، فخرَجَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، فصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَجَلَسَ عَلَيْهِ وَأَمْسَكَ عَنِ الْكَلَامِ طَوِيلًا ، وَقَدْ شَخَّصُوا إِلَيْهِ بِأَبْصَارِهِمْ وَجَثُّوا عَلَى الرُّكَبِ وَتَنَاولُوا الْحَضْبَاءَ لِيَقْذِفُوهُ بِهَا ، وَقَدْ كَانُوا حَصَبُوا^(٤) الَّذِي كَانَ^(٥) قَبْلَهُ ، فَلَمَّا سَكَتَ أَبْهَتَهُمْ وَأَحْبَبُوا أَنْ يَسْمَعُوا كَلَامَهُ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ^(٥) :

(١) الصائفة غزوة الروم لأنهم كانوا يغزون صيفا ، لمكان البرد والثلج . القاموس (ص ٥ ف) .

(٢) مرعش : ثغر من ثغور لإرمينية . معجم ما استعجم ٤/ ١٢١٥ .

(٣) عذبة العمامة : طرفها .

(٤ - ٤) في الأصل : « عاملا » .

(٥) انظر خطبة الحجاج في عيون الأخبار ٢/ ٢٤٣ ، وتاريخ الطبري ٦/ ٢٠٢ فما بعدها ، والعقد الفريد =

يا أهل العراق يا أهل الشُّقَاقِ ويا أهل النِّفاقِ ، ومساوئ الأَخلاقِ ، واللَّهِ إِنْ كَانَ
أَمْرُكُمْ لَيَهْتُمُنِي قَبْلَ أَنْ آتِيَ إِلَيْكُمْ ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَتْلِيَكُمْ بِي ، ^(١) فَأُجَابَ
دَعْوَتِي ، إِلَّا أَنِّي سِرْتُ ^(٢) الْبَارِحَةَ فَسَقَطَ مِنِّي سَوْطِي الَّذِي أُؤْذِيكُمْ بِهِ ، فَاتَّخَذْتُ
هَذَا مَكَانَهُ - وَأَشَارَ إِلَى سَيْفِهِ - ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ ^(٣) لَأُجَرِّئَنَّ فِيكُمْ جَرَّ الْمَرْأَةِ ذَيْلَهَا ،
وَلَأَفْعَلَنَّ بِكُمْ وَلَأَصْنَعَنَّ ^(٤) . فَلَمَّا سَمِعُوا كَلَامَهُ جَعَلَ الْحَصَى يَتَسَاوَرُ مِنْ أَيْدِيهِمْ ،
وَقِيلَ : إِنَّهُ دَخَلَ الْكُوفَةَ ^(٥) عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ^(٦) فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ^(٧) مِنْ هَذِهِ
السَّنَةِ ^(٨) ظَهَرَا ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ ، وَهُوَ مَعْتَجِرٌ بِعِمَامَةٍ حُمْرَاءَ ، مَتَلَثَّمٌ
بِطَرَفِهَا ، ثُمَّ قَالَ : عَلَيَّ بِالنَّاسِ . فَحَسِبَهُ النَّاسُ وَأَصْحَابُهُ مِنَ الْخَوَارِجِ ، فَهَمُّوا بِهِ
حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ قَامَ وَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَقَالَ ^(٩) :

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاحِ الثَّنَايَا مَتَى أَضْعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

ثُمَّ قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْمِلُ الشَّرَّ ^(١٠) بِحِمْلِهِ ، وَأَحْذُوهُ ^(١١) بِنَعْلِهِ ^(١٢) ،

= ١١٥/٤ فما بعدها ، والكامل في التاريخ ٣٧٤/٤ فما بعدها ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣٢٠ ، وصبح الأعشى ٢١٨/١ .

(١ - ١) سقط من ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٢ - ٢) في ٣١ ، ٢١ ، م : « لَأَخْذَن صَغِيرَكُمْ بِكَبِيرِكُمْ وَحَرَكَمْ بَعِيدَكُمْ ثُمَّ لَأَرْصَعَنَّكُمْ رِصْعَ الْحَدَادِ الْحَدِيدَةِ وَالْخَبَازِ الْعَجِينَةِ » .

(٣) البيت من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحي ، رواها الأَصْمَعِيُّ فِي الْأَصْمَعِيَّاتِ ، ص ١٧ (ط . شَاكِر ، هَارُون) ، وَهُوَ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ ٢/٢٤٣ ، وَتَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ٦/٢٠٢ ، وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٤/١٢٠ ، ١٧/٥ .

(٤) فِي النِّسَخِ : « الشَّيْءُ » . وَالتَّحْقِيقُ مِنَ الطَّبْرِيِّ ٦/٢٠٣ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « وَاحِدَهُ » . وَفِي ٣١ ، ٢١ : « أَخْذُوهُ » .

(٦) فِي ٣١ : « بِنَعْلِهِ » .

وَأَجْزِيهِ ^(١) بِمِثْلِهِ ^(٢) ، وَإِنِّي لَأَرَى رَعُوسًا قَدْ أَيْنَعَتْ وَحَانَ قِطَافُهَا ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى
الدَّمَاءِ تَتَرَقَّرُقُ بَيْنَ الْعِمَائِمِ وَاللَّحَى :

شَمَّرْتُ عَنْ سَاقِهَا فَشَمَّرَى ^(٣)

ثُمَّ أَنْشَدَ أَيْضًا ^(٤) :

هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ ^(٥) فَاشْتَدَّى زَيْمٌ ^(٦) قَدْ لَقَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطَمٌ ^(٧)
لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ وَلَا بِجَزَّارٍ ^(٨) عَلَى ظَهْرٍ وَضَمٌ ^(٩)
قَدْ لَقَّهَا اللَّيْلُ بَعْضَلَبِي ^(١٠) أَرُوعَ خَرَاجٍ مِنَ الدَّوَى ^(١١)
مَهَاجِرٍ ^(١٢) لَيْسَ بِأَعْرَابِيٍّ

(١) فى الأصل: «آخره». وفى ٣١، ٢١، م: «أحزمه».

(٢) فى النسخ: «بقتله». والمثبت من الطبرى.

(٣) فى الأصل: «فشرى». وانظر العقد الفريد ٤/١٢٠، وتاريخ الطبرى ٦/٢٠٣.

(٤) العقد الفريد ٤/١٢٠، ١٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٣٢١،

٣٢٢. وانظر اللسان (ح ط م، زى م). والآيات لرشيد بن رميض يقولها فى الحطم، وهو شريح بن ضبيعة، وكان شريح قد غزا اليمن فى جموع من ربيعة، فغنم وسبى بعد حرب كانت بينه وبين كندة هلك فيها ناس كثير، وجعل الحطم يسوق بأصحابه سوقا عنيفا حتى نجا بمن بقى من أصحابه.

(٥) فى الأصل، ٣١، ٢١: «الليل».

(٦) فى الأصل، ٣١، ٢١: «ريم». وزيم: اسم فرس أو ناقة.

(٧) فى الأصل، ٣١، ٢١: «بخوار».

(٨) الوض: كل ما قطع عليه اللحم.

(٩) فى الأصل، ٢١: «بعضلى». وفى ٣١: «بعضلى». والعصلى: الشديد القوى. والرجز فى

اللسان (ع ص ل ب).

(١٠) الأروع: الذكى أو من يعجبك بشجاعته. والدوى: جمع دوية وهى الفلاة الواسعة، يريد بها الشدائد.

(١١) فى الأصل: «فانقبها». وفى ٣١، ٢١: «مهاجرى».

ثم قال: إني والله يا أهل العراق ما ^(١)أُغْمَزُ بِغِمَارٍ، ولا يُتَقَعُّ لِي
بِالشَّنَانِ ^(٢)، ولقد فُرِزْتُ عن ذكاءٍ، وجَرِيتُ ^(٣) إلى الغاية القصوى، وإنَّ أميرَ
المؤمنين عبدَ الملِكِ بنَ مَرْوَانَ نَثَرَ كِنَانَتَهُ [٨٣/٧] ثم عَجَمَ عِيدَانَهَا عُودًا عُودًا ^(٤)
فوجدني أَمَرَهَا عُودًا وَأَصْلَبَهَا مَغِيمًا، فَوَجَّهَنِي إِلَيْكُمْ، فَإِنَّكُمْ طَالَمَا أَوْضَعْتُمْ ^(٥) فِي
أُودِيَةِ الْفَتَنِ، وَسَنَنْتُمْ ^(٦) سُنَنَ ^(٧) الْعَيِّ ^(٨)، أَمَا وَاللَّهِ لَأَلْحُوتَكُمْ ^(٩) لَحَى الْعُودِ،
وَأَعْصِبَتْكُمْ غَضَبَ السَّلْمَةِ ^(١٠)، وَلَأُضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ ^(١١)، إني والله
لا أَعِدُّ إِلَّا وَفَيْتُ، ولا أَخْلُقُ ^(١٢) إِلَّا فَرَيْتُ، فَإِيَايَ وَهَذِهِ الْجَمَاعَاتِ وَقِيلًا وَقَالًا،
وَاللَّهِ لَتَسْتَقِيمُنَّ عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ أَوْ لَأَدْعَنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ. ثم
قال: مَنْ وَجَدْتُ بَعْدَ ثَالِثَةِ مِنْ بَغْتِ الْمُهَلَّبِ - يَعْنِي الَّذِينَ كَانُوا قَدْ رَجَعُوا عَنْهُ لَمَّا
سَمِعُوا بِمَوْتِ بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ، كَمَا تَقَدَّمَ ^(١٣) - سَفَكْتُ دَمَهُ وَانْتَهَبْتُ مَالَهُ. ثم نَزَلَ

(١ - ١) فِي الْأَصْل: «أَغْمَرُ بِغِمَارٍ». وَفِي ص: «أَغْمَرُ بِغِمَارَةٍ». وَفِي الطَّبْرِي ٢٠٣/٦: «مَا أَعْمَزُ كَتِفَازِ
التِّينِ»، وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٤/ ١٢١: «لَا يَغْمَزُ جَانِبِي كَتِفَازِ التِّينِ». وَغَمَزَ التِّينَ وَنَحْوَهُ جَشَهُ لِيَعْرِفَ أَنَاضِحَ هُوَ أَمْ فَج.
(٢) فِي ٣١: «بِالشَّنَانِ». وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ لِلرَّجُلِ الصَّعْبِ الَّذِي لَا يَهْدُدُ وَلَا يَفْرَعُ بِالْوَعِيدِ. وَتَقَدَّمَ
الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي ١٠/ ٥٠٣.

(٣) فِي الْأَصْل: «جَرَّتْ». وَفِي ٣١، م: «جَرَبَتْ».

(٤) بَعْدَهُ فِي الْأَصْل: «أَيَّ عَضْضُهَا بِأَسْنَانِهِ».

(٥) فِي م: «ارْتَعَمْتُ». وَالْإِيضَاعُ ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ.

(٦) فِي ٣١، ٢١، م: «سَلَكْتُمْ».

(٧) فِي ٣١، ٢١، م: «سَبِيلٌ».

(٨) بَعْدَهُ فِي ٣١، ٢١، م: «وَاخْتَرْتُمْ جَدَدَ الضَّلَالِ».

(٩) فِي الْأَصْل: «لَأَجْرِدَنَّكُمْ».

(١٠) السَّلْمَةُ: شَجَرٌ كَثِيرُ الشُّوكِ.

(١١) غَرَائِبُ الْإِبِلِ: الْإِبِلُ الْغَرِيْبَةُ إِذَا دَخَلَتْ بَيْنَ الْإِبِلِ الَّتِي تَرُدُّ الْمَاءَ، فَتَضْرِبُ هَذِهِ الْإِبِلَ وَتَطْرُدُ.

(١٢) فِي الْأَصْل، ٢١، م، ص: «أَخْلَقُ». وَفِي ٣١: «أَحْلَفُ». وَالمُثَبِّتُ مِنْ تَارِيخِ الطَّبْرِي ٦/ ٢٠٤،

وَانْظُرِ الْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٤/ ١٢١. وَالْمَعْنَى: وَلَا أَقْدِرُ إِلَّا قَطَعْتُ.

(١٣) انْظُرْ مَا تَقَدَّمَ فِي ص ٢٤١، ٢٤٢.

فدخل منزله ولم يَزِدْ على ذلك .

ويقال^(١) : إِنَّهُ لَمَّا صَعِدَ الْمِنْبَرِ واجتمع الناس تحتَه أطلال السكوت حتى إنَّ محمدَ بنَ عمير^(٢) أخذ كفًّا من حصّى وأراد أن يحصّبه بها ، وقال : قَبَّحَهُ اللَّهُ ، ما أعياه وأذمّه ! فلَمَّا نَهَضَ الْحِجَابُ وتكلّم بما تكلّم به جعل الحصّى يتناثر من يده ، وهو لا يشعُرُ به ؛ لما يَرى من فصاحته وبلاغته . ويقال : إنَّ الْحِجَابَ قال في خطبته هذه : شَاهَتِ الْوُجُوهُ ، إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَثَلًا ﴿ قَرِيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفَ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل : ١١٢] . وأنتم أولئك فاستوثقوا^(٣) واستقيموا ، فواللّهِ لأذيقنّكم الهوانَ حتى تَذِرُوا^(٤) ، ولأعصبنّكم عَصَبَ السَّلَمةِ حتى تنقادوا ، وأقسِمُ باللّهِ لَتُقْبِلُنَّ^(٥) على الإنصافِ ولتَدَعُنَّ الإرجافَ وكان وكان ، وأخبرني فلانٌ عن فلانٍ ، والخبِرُ^(٦) وما الخبرُ ،^(٧) أو لأهْبِرُنّكم^(٧) بالسيف هَبْرًا يَدْعُ النِّساءَ أَيامِي والأولادَ يَتَامَى ، حتى تَمْشُوا السَّمْهَى^(٨) وتُقْلِعُوا عن^(٩) ها وها^(٩) . في كلامٍ طويلٍ بليغٍ غريبٍ مُشْتَمِلٍ على وعيدٍ شديدٍ ، ليس فيه وعدٌ بخيرٍ .

(١) تاريخ الطبرى ٢٠٥/٦ .

(٢) فى ص : « عمر » .

(٣) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « فاستثقوا » .

(٤) فى ٣١ : « تذروا » . وفى ٢١ : « تذروا » . وفى ص : « يدوروا » .

(٥) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ : « لتقتلن » . وفى ص : « لتقتلن » .

(٦) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « إيش الخبر » .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ص : « لأهبرنكم » . وفى ٣١ : « ولأهبرنكم » . والمثبت من الطبرى ٢٠٤/٦ .

(٨) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ : « السيمى » .

ويقال جرى فلان السمهى : أى جرى إلى غير أمر يعرفه . لسان العرب (س م ه) .

(٩ - ٩) فى الأصل : « ها ولا » . وفى ٣١ ، ٢١ : « هؤلاء » . وانظر تاريخ الطبرى ٢٠٤/٦ .

فلما كان فى اليوم الثالث سمع تكبيراً فى السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال^(١) : يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساوى الأخلاق ، إني سمعت تكبيراً فى السوق ليس بالتكبير الذى يراؤ به الترغيب ، ولكنه تكبير يراؤ به الترهيب ، وقد عصفت^(٢) عجاجة^(٣) تحتها قصف ، يا بنى اللكية وعبيد العصا وأبناء الإمام^(٤) والأيمى ، ألا يربغ^(٥) كل رجل منكم على^(٦) ظله^(٧) ، ويحسب^(٨) حقن دمه^(٩) ويصير موضع قدمه ، وأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها وأدبا لما بعدها . [٨٣/٧ ظ] قال : فقام إليه عمير بن ضائب التميمي ثم الحنظلي فقال^(٩) : أصلح الله الأمير أنا فى هذا البعث وأنا شيخ كبير وعليل ، وهذا ابني وهو أشب مني . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا عمير بن ضائب التميمي . قال : أسمعك كلامنا بالأمس ؟ قال : نعم . قال : ألسنت الذى غزا عثمان بن عفان ؟ قال : بلى . قال : وما حملك على ذلك ؟ قال : كان حبس أبى وكان شيخا كبيرا . قال : أو ليس هو الذى يقول^(١٠) :

هممت ولم أفعل وكذت وليتني ففعلت ووليت البكاء خلائله

(١) تاريخ الطبرى ٢٠٦/٦ . وانظر العقد الفريد ١١٥/٤ .

(٢) فى الأصل ، ص : « عرفت » .

(٣) فى م : « عجاجة » .

(٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، ص : « يرجع » . وانظر تاريخ الطبرى ٢٠٦/٦ .

(٦) فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « إلى » .

(٧) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ : « طله » . والظلع : الضعف والوهن من شدة السير .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، ص .

(٩) تاريخ الطبرى ٢٠٧/٦ . وانظر الكامل ٣٧٨/٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣٢٤ .

(١٠) سقط من : م . والخبر فى تاريخ الطبرى ٢٠٧/٦ . والرواية عنده : تركت على عثمان تبكى خلائله .

ثم قال الحجاج: إني لأحسب أن في قتلِكَ صلاحَ المِصْرين . ثم قال : قُمْ
إليه يا حرسِي فاضربْ عنقه . فقام إليه رجلٌ فضرَبَ عنقه وانتَهَبَ ماله ، وأمر
منادياً فنادى في الناس : ألا إنَّ عميرَ بنَ ضائبٍ تأخَّرَ بعدَ سماعِ النداءِ . ثلاثاً ،
فأمرَ بقتله .

قال ^(١) : فخرجَ الناسُ حتى ازدحموا على الجسرِ فعبَر عليه في ساعةٍ واحدةٍ
أربعةُ آلافٍ من مَدحِجٍ ، وخرجتْ معهم العُرَفاءُ ^(٢) حتى وصلوا بهم إلى المهلبِ ،
وأخذوا منه كتاباً بوصولهم إليه ، فقال المهلبُ : قديمُ العراقِ واللَّهُ رجلٌ ذكُرٌ ،
اليومَ قوتل العدو .

ويروى أنَّ الحجاجَ لم يعرفَ عميرَ بنَ ضائبٍ حتى قال له عنبسةُ بنُ سعيدٍ :
أيُّها الأميرُ ، إنَّ هذا جاءَ إلى عثمانَ ، رضى اللّهُ عنه ، وقد قُتِلَ فلطمَ وجهه . فأمرَ
الحجاجُ عندَ ذلكَ بقتله .

وبعثَ الحجاجُ الحكمَ بنَ أيوبَ الثقفيَّ نائباً على البصرةِ من جهته ، وأمره أن
يشتدَّ على خالدِ بنِ عبدِ اللّهِ . وأقرَّ على قضاءِ الكوفةِ شريحاً ، ثم ركبَ الحجاجُ
إلى البصرةِ ، واستخلفَ على الكوفةِ أبا يَغفورٍ ، ووَلَّى قضاءَ البصرةِ لزرارةَ بنَ
أوفى ، ثم عادَ إلى الكوفةِ . وحجَّ بالناسِ في هذه السنةِ عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ ، وأقرَّ
عمّه يَحْيَى على نيابةِ المدينةِ ، وعلى بلادِ خراسانَ أُمَيَّةَ بنَ عبدِ اللّهِ .

وفي هذه السَّنَةِ وثبَ الناسُ بالبصرةِ على الحجاجِ ، وذلكَ أنَّه لما ركبَ من

(١) تاريخ الطبري ٢٠٧/٦ ، والكامل ٣٧٨/٤ .

(٢) العرفاء : جمع عريف ، وهو القيمُ بأمور القبيلة أو الجماعة ، يتعرف الأميرُ منه أحوالهم . النهاية ٢١٨/٣ .

الكوفة بعد قتل عمير بن ضائب، وقام في أهل البصرة بخطبة^(١) نظير ما قام في أهل الكوفة من الوعيد الشديد والتهديد الأكيد، ثم أتى برجل من بني يشكر، ف قيل: هذا عاص. فقال الرجل: إن بي فتقاً وقد غدرني بشر بن مروان، وهذا عطائي مردود على بيت المال. فلم يقبل منه، وأمر [٨٤/٧] بقتله فقتل، ففرع أهل البصرة وخرجوا من البصرة حتى اجتمعوا عند قنطرة رامهرمز، وعليهم عبد الله بن الجارود، وخرج إليهم الحجاج - وذلك في شعبان من هذه السنة - في أمراء الجيش من المصيرين، فاقتتلوا هنالك قتالاً شديداً^(٢) فهزمهم الحجاج^(٣)، وقتل أميرهم عبد الله بن الجارود في رعوس من القبائل معه، وأمر برعوسهم فنصب عند الجسر من رامهرمز، ثم بعث بها إلى المهلب فقوى بذلك، وضعف أمر^(٤) الخوارج، وأرسل الحجاج إلى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف، فأمرهما بمناهضة الأزارقة، فهضا بمنّ معهما إلى الخوارج الأزارقة فأجلّوهم عن أماكنهم من رامهرمز بأيسر قتال، فهربوا إلى أرض كازرون من إقليم سابور، وسار الناس وراءهم فالتقوا في العشر الأخير من رمضان.

فلما كان الليل يئس الخوارج المهلب من الليل فوجدوه قد تحصن بخندق حول معسكره، فجاءوا إلى عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه غير مُحترز - وكان المهلب قد أمره بالاحتراز بخندق حوله فلم يفعل - فاقتتلوا في الليل فقتلت الخوارج عبد الرحمن بن مخنف، وطائفة من جيشه، وهزموهم هزيمة منكراً. ويقال: إن الخوارج لما التقوا مع الناس في هذه الواقعة كان ذلك في يوم الأربعاء لعشر^(٤) بيقين

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٢١٠.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) في م: «أمير».

(٤) في الأصل، ص: «لعشرين». وانظر تاريخ الطبري ٦/ ٢١٢.

من رمضان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يُعْهَدْ مثله من الخوارج ، وحملت الخوارج على جيش المهلب فاضطروه إلى مُعَشِكِهِ ، فجعل عبد الرحمن بن مُخَنَفٍ يُمِدُّه بالخيل بعد الخيل ، والرجال بعد الرجال ، فمالت الخوارج إلى مُعَشِكِ عبد الرحمن بن مُخَنَفٍ بعد العصر ، فاقتتلوا معه إلى الليل ، فقتل عبد الرحمن في أثناء الليل ، وقتل معه طائفة كثيرة من أصحابه الذين ثبتوا معه ، فلما كان الصباح جاء المهلب فصلّى عليه ودفنه ، وكتب إلى الحجاج بمهليكه ، فكتب الحجاج إلى عبد الملك يُعْزِيهِ فيه ، فتعاه عبد الملك إلى الناس بمنى ، وأمر الحجاج مكانه عتاب بن ورقاء ، وكتب إليه أن يطيع المهلب ، فكره ذلك ، ولم يجد بُدّاً من طاعة الحجاج ، و^(١) لم يُمكنه مخالفتُهُ^(٢) ، فسار إلى المهلب فجعل لا يطيعه إلا ظاهراً ويعصيه كثيراً ، ثم تقاولا ، فهَمَّ المهلب أن يوقع بعتاب ، ثم حجز بينهما الناس ، فكتب عتاب إلى الحجاج يشكو المهلب ، فكتب إليه أن يُقدِّم عليه ، وأعفاه من ذلك ، وجعل المهلب [٧/ ٨٤] مكانه ابنه حبيب بن المهلب .

^(٣) وفيها خرج داود بن النعمان المازني بنواحي البصرة ، فوجه إليه الحجاج أميراً على سرية فقتله^(٤) .

قال ابن جرير^(٥) : وفي هذه السنة تحرك صالح بن مُسَرِّحٍ^(٦) أحد بني^(٧) امرئ القيس - وكان يرى رأى الصُفْريّة ، وقيل : إنه أول من خرج من الصُفْريّة - وكان سبب ذلك أنه كان حجّ بالناس في هذه السنة ، ومعه شبيب بن يزيد ، والبطين ،

(١ - ١) في ٣١ ، ٢١ ، م : « كره أن يخالفه » .

(٢ - ٢) سقط من الأصل . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣٢٥ .

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ٢١٥ .

(٤) في الأصل ، ٢١ : « مشرح » .

(٥) سقط من : الأصل .

وأشباههم من رعويس الخوارج ، واتفق حجج أمير المؤمنين عبد الملك ، فهم شبيب بالفتك به ، فبلغ عبد الملك ذلك من خبره ، فكتب إلى الحجاج بعد انصرافه من الحج أن يتطلبهم ، وكان صالح بن مسريح^(١) هذا يكثر الدخول إلى الكوفة والإقامة بها ، وكان له جماعة^(٢) ، من أهل دارا وأهل^(٣) الموصل ، يعلمهم القرآن^(٤) ويفقههم^(٥) ويقص عليهم ، وكان مضافاً كثير العبادة ، وكان إذا قصّ يحمّد الله ، ويثنى عليه ، ويصلّي على رسول الله ﷺ ، ثم يأمر بالزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، ويحثّ على ذكر الموت ، ثم يترحم على الشيخين أبي بكر وعمر ، ويثنى عليهما ثناء حسناً ، ولكن بعد ذلك يذكر عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ، فيثبته وينال منه ، ويذكر عليه أشياء من جنس ما كان يكثر عليه الذين خرجوا عليه وقتلوه من فجرة أهل الأمصار ، ثم يخص أصحابه على الخروج مع الخوارج للأمر بالمعروف ولإنكار المنكر الذى قد شاع فى الناس وذاع ، ويهون عليهم القتل ، ويدّم الدنيا وأمرها ويصغرّها ، فالتفت^(٦) عليه جماعة من الناس ، وكتب إليه شبيب بن يزيد الخارجى يستبطئه فى الخروج ، ويحثّه عليه ، ويندبه إليه ، ثم قدّم شبيب على صالح وهو بداراً فتواعدوا ، وتوافقوا على الخروج فى مستهلّ صفر من السنة^(٧) الآتية - وهى سنة ست وسبعين -^(٨) وقدّم على صالح شبيب ، وأخوه مصاد ، والمحلل^(٩) ، والفضل بن عامر ، فاجتمع عليه من الأبطال وهو بداراً نحو^(١٠)

(١) فى الأصل ، ٢١ : « مشرح » .

(٢) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « يلوذون به ويعتقدونه » .

(٣) فى م ، ص : « أرض » .

(٤ - ٤) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٥) فى م : « فالتفت » .

(٦) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « هذه السنة » .

(٧ - ٧) زيادة من ٣١ ، ٢١ ، م .

(٨) فى ٢١ ، م : « المجمل » . وانظر تاريخ الطبرى ٢١٩ / ٦ ، والكامل ٣٩٣ / ٤ .

(١) مائة وعشرة أنفس، ثم وثبوا على خيلٍ لحمد بن مزوان فأخذوها وتَقَوَّوا^(٢) بها^(١)،
ثم كان من أمرهم بعد ذلك ما سندُكُره في التي بعدها، إن شاء الله تعالى .
وكان ممن توفى في هذه السنة في قول أبي^(٣) مُسَهِرٍ، وأبي عبيد^(٤) :

العرباض بن سارية السلمى أبو نجيح^(٥)، سكن جَمَصَ، وهو صحابيٌّ
جليلٌ، أسلم قديماً هو وعمرو بن عَبَسَةَ^(٦)، رضى الله عنهما، ونزل الصُّفَّةُ،
وكان من البكَّائين المذكورين في سورة براءة، كما قد ذُكِرنا أسماءهم عند قوله
تعالى^(٧) : ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا
أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا
يُنْفِقُونَ﴾ الآية^(٨) [التوبة : ٩٢] .

وهو راوى حديث : خطبنا رسولُ الله ﷺ خطبةً وجِلت منها القلوبُ
وذَرَفَتْ منها العيونُ^(٩) حتى قلنا : يا رسولَ الله، كأنها موعظةٌ مودِّع [٨٥/٧ و]
فأَوْصَانَا . قال : «أُوصِيكُمْ بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبدٌ
حبشيٌّ كأن رأسه زبيبةٌ، عليكم بشنئى وسُنَّةِ الخلفاء الراشدين من بعدى، عَصُوا
عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ»^(٩) . رواه

(١ - ١) زيادة من ٣١، ٢١، م .

(٢) فى م : «نفروا» .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى ص : «عبيدة» .

(٥) الاستيعاب ٣/١٢٣٨، وأسد الغابة ٤/١٩، والإصابة ٤/٤٨٢ - ٤٨٣ .

(٦) فى م : «عنبسه» .

(٧) التفسير ٤/١٣٨ - ١٣٩ .

(٨) بعده فى ٣١، ٢١، م : «وكانوا تسعة» . والصحيح أنهم سبعة، راجع التفسير الموضع السابق .

(٩ - ٩) فى ٣١، ٢١، م : «الحديث إلى آخره» .

أحمد^(١) وأهل السنن^(٢)، وصححه الترمذی، وغيره^(٣). وروى أيضا^(٤) أن النبي ﷺ كان يصلي على الصف المقدم ثلاثا، وعلى الثاني واحدة. وقد كان العرياض شيخا كبيرا، وكان يحب أن يقبضه الله إليه، وكان يدعو^(٥): اللهم كبر سنِّي، ووَهَن عظمي، فاقبضني إليك. وروى أحاديث^(٦).

أبو ثعلبة الخشني^(٧)، صحابي جليل، شهد بيعة الرضوان، وغزا حنينًا. وكان ممن نزل الشام بداريًا غربى دمشق إلى جهة القبلة، وقيل: ببلاط - قرية شرقي دمشق - فالله أعلم. وقد اختلف في اسمه، واسم أبيه على أقوال كثيرة، والأشهر منها: جرتوم بن ناشير^(٨).

وقد روى عن رسول الله ﷺ أحاديث^(٩)، وعن جماعة من الصحابة^(١٠). وعنه جماعة من التابعين؛ منهم سعيد بن المسيب، ومكحول الشامي، وأبو إدريس الخولاني، وأبو قلابة الجرمي.

وكان ممن يجالس كعب الأحرار، وكان في كل ليلة يخرج، فينظر إلى السماء فيتفكر، ثم يرجع فيسجد لله، عز وجل. وكان يقول^(١١): إني لأرجو أن

(١) المسند ١٢٦/٤، ١٢٧.

(٢) الترمذی (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢). وقال الترمذی: حسن صحيح. وقال الألباني: صحيح. صحيح سنن الترمذی (٢١٥٧).

(٣) زيادة من ٣١، ٢١، م.

(٤) مسند الإمام أحمد ١٢٦/٤، ١٢٧.

(٥) أخرجه الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٢١/٣.

(٦) الاستيعاب ١٦١٨/٤، وأسد الغابة ٤٤/٦، والإصابة ٥٨/٧.

(٧) في الأصل: «ناشر»، وفي ٣١: «ماشر». وانظر طبقات خليفة ٧٨٢، وتهذيب الكمال ١٦٩/٣٣ - ١٧٣.

(٨) زيادة من: ٣١، ٢١، م.

(٩) تهذيب الكمال ١٧٤/٣٣، وسير أعلام النبلاء ٥٧٠/٢ بنحوه.

لا يَخْتَنِي اللَّهُ عِنْدَ الْمَوْتِ كَمَا أَرَاكُمْ تُخْتَنُونَ . فَبَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ إِذْ قَبِضَتْ رَوْحُهُ وَهُوَ سَاجِدٌ ، وَرَأَتْ ابْنَتُهُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ أَبَاهَا قَدْ مَاتَ فَانْتَبَهَتْ مَذْعُورَةً ، فَقَالَتْ لِأُمِّهَا : أَيْنَ أَبِي ؟ قَالَتْ : هُوَ فِي مُصَلَّاهُ . فَنَادَتْهُ فَلَمْ يُجِبْهَا ، فَجَاءَتْهُ فَحَرَّكَتْهُ فَسَقَطَ لِحْيَتُهُ فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

قال أبو عبيد^(١) ، ومحمد بن سعيد ، وخليفة ، وغير واحد^(٢) : كانت وفاته سنة خمس وسبعين . وقال غيرهم : كانت وفاته في أول إمرة معاوية . فالله أعلم .

وقد توفي في هذه السنة الأسود بن يزيد^(٣) صاحب ابن مسعود^(٤) ، وهو الأسود بن يزيد التَّحَمِي ، من كبار التابعين ، ومن أعيان أصحاب ابن مسعود ، ومن كبار أهل الكوفة ، وكان يصوم الدهر ، وقد ذهب عينه من كثرة الصوم ، وقد حج البيت ثمانين حجة وعمره ، وكان يهل من الكوفة ، توفي في هذه السنة ، وكان يصوم حتى يخضر ويصفّر ، فلما احتضر بكى ، فقيل له : ما هذا الجزع ؟ فقال^(٥) : ما لي لا أجزع ؟ ومن أحق بذلك مني ؟ والله لو أنبت بالمغفرة من الله لأهمني^(٦) الحياء منه مما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه ، فلا يزال مستحيًا منه^(٧) .

(١) في م : « عبيدة » . وانظر تهذيب الكمال ٣٥٤/٢٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ٤١٦/٧ ، وطبقات خليفة ٧٨٢ ، وتهذيب الكمال ١٧٤/٣٣ .

(٣) الاستيعاب ٩٢/١ ، وأسد الغابة ١٠٧/١ ، وتهذيب الكمال ٢٣٣/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٥٠/٤ .

وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣٥٩ ، والإصابة ١٩٩/١ .

(٤) (٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥) حلية الأولياء ١٠٣/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٥٢/٤ .

(٦) في م : « لأهين » .

«حُمْرَانُ»^(١) بَنُ أَبَانٍ ، مَوْلَى عِثْمَانَ بْنِ عِفَّانَ ، كَانَ مِنْ سَبْيِ عَيْنِ الثَّمَرِ ،
اشْتَرَاهُ عِثْمَانُ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَأْذُنُ لِلنَّاسِ عَلَى عِثْمَانَ . تَوَفَّى فِي هَذِهِ السَّنَةِ .
وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ أَعْلَمُ^(٢) .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) في ٢١ : « حمزان » . وترجمته في : طبقات ابن سعد ١٤٨ / ٧ ، وطبقات خليفة ٤٧٦ / ١ ، ٤٨٦ ،
وتهذيب الكمال ٣٠١ / ٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٨٢ / ٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ)
ص ٣٩٥ ، والإصابة ١٨٠ / ٢ .

ثم دخلت سنة ست وسبعين

وكان في أولها في مستهل صفر منها ليلة الأربعاء اجتماع صالح بن مسرج أمير الصفرية، وشبيب بن يزيد^(١) أحد شجعان الخوارج، فقام فيهم صالح بن مسرج فأمرهم بتقوى الله، وحثهم على الجهاد، وأن لا يُقاتلوا أحدًا حتى يدعوه إلى الدخول معهم.

ثم مالوا إلى دواب محمد بن مروان نائب الجزيرة^(٢) لأخيه عبد الملك^(٣)، فأخذوها ففتقروا^(٤) بها، وأقاموا بأرض دارا ثلاث عشرة ليلة، وتحصن منهم أهل دارا ونصيبين وسنجار، فبعث إليهم محمد بن مروان نائب الجزيرة خمسمائة فارس، عليهم عدي بن عدي بن عُميرة، ثم زاده خمسمائة أخرى، فسار في ألف من حران إليهم، وكأنما يُساق^(٥) إلى الموت، وهو ينظر^(٦)؛ لما يعلم^(٧) من جلد الخوارج وقوتهم وشدة بأسهم، فلما [٨٥/٧] التقى^(٨) مع الخوارج هزموه هزيمة شنيعة بالغة، واحتووا على ما في معسكره^(٩)، ورجع فلهم^(٩) إلى

(١) في ص: «زيد». وانظر سير أعلام النبلاء ٤/١٤٦.

(٢ - ٢) زيادة: من الأصل، ص.

(٣) في م: «فتقروا».

(٤) في ٣١، ٢١، م: «يساقون».

(٥ - ٥) في ٣١، ٢١، م: «وهم ينظرون».

(٦) في ٣١، ٢١، م: «يعلمون».

(٧) في ٣١، ٢١، م: «التقوا».

(٨) في ٣١، ٢١، م، ص: «معسكرهم».

(٩) الفل: القوم المنهزمون. النهاية ٣/٤٧٣.

محمد بن مَرْوَانَ فغَضِبَ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةَ مَعَ ^(١) الْحَارِثِ بْنِ جَعْفَوْنَةَ ^(٢) ، وَأَلْفًا وَخَمْسَمِائَةَ مَعَ ^(٣) خَالِدِ بْنِ جَزْءٍ ^(٤) السُّلَمِيِّ ^(٥) ، وَقَالَ لِهَما : أَيُّكُما سَبَقَ إِلَيْهِمْ ^(٦) فَهُوَ الْأَمِيرُ عَلَى النَّاسِ . فَسَارُوا إِلَيْهِمْ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِقَاتِلَ ، وَالْخَوَارِجُ فِي نَحْوِ مِائَةِ نَفْسٍ ، وَعَشْرَةَ أَنْفُسٍ ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى أَمَدَ تَوَجَّهَ ^(٧) صَالِحٌ إِلَى خَالِدِ بْنِ جَزْءٍ فِي شَطْرِ النَّاسِ ، وَوَجَّهَ شَبِيئًا إِلَى الْحَارِثِ بْنِ جَعْفَوْنَةَ ^(٨) فِي الْبَاقِينَ ، فَاقْتَتَلَ النَّاسُ ^(٩) فِي هَذَا الْيَوْمِ ^(١٠) قِتَالًا شَدِيدًا إِلَى اللَّيْلِ ، فَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ انْكَفَّ ^(١١) كُلٌّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَنِ الْآخَرِ ، وَقَدْ قُتِلَ مِنَ الْخَوَارِجِ نَحْوُ السَّبْعِينَ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ مَرْوَانَ ^(١٢) نَحْوُ الثَّلَاثِينَ ، وَهَرَبَتْ ^(١٣) الْخَوَارِجُ فِي اللَّيْلِ فَخَرَجُوا مِنَ الْجَزِيرَةِ ، وَأَخَذُوا فِي أَرْضِ الْمُؤَصِّلِ ^(١٤) ، وَمَضَوْا حَتَّى قَطَعُوا الدَّشْكَرَةَ ^(١٥) ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الْحِجَاجُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مَعَ الْحَارِثِ بْنِ عُمَيْرَةَ ^(١٦) ، فَسَارَ نَحْوَهُمْ حَتَّى لَحِقَهُمُ بِأَرْضِ الْمُؤَصِّلِ ^(١٧) ، وَلَيْسَ مَعَ صَالِحٍ سِوَى تَسْعِينَ رَجُلًا ، فَالتَقَى مَعَهُمْ ،

(١ - ١) سقط من : « الأصل » .

(٢) في ص : « معونة » . وانظر تاريخ الطبري ٢٢١ / ٦ .

(٣) في النسخ : « الحر » وكذا في المواضع الآتية . والمثبت من الطبري ٢٢١ / ٦ ، وانظر تاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ ص ٣٢٨ .

(٤) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٥) في الأصل ، ص : « إليه » .

(٦) بلد تقع في تركيا ، وهي أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدرا . انظر معجم البلدان ٦٦ / ١ .

(٧ - ٧) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٨) في ٣١ ، ٢١ ، م : « انكشف » .

(٩ - ٩) في الأصل ، ص : « الناس » .

(١٠) في الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، ص : « هزمت » .

(١١ - ١١) سقط من : ص .

(١٢) الدسكرة : بناء كالقصر يكون للملوك ، وهو قرية بين بغداد وواسط . المسالك والممالك للإصطخرى ص ٦١ ، التاج (د س ك ر) .

(١٣) في ٣١ : « عمير » . وانظر الطبري ٢٢٢ / ٦ ، والكمال ٣٩٥ / ٤ .

وقد جعل صالح أصحابه ثلاثة كراديس ؛ فهو في كُردوس^(١) ، وشيب عن يمينه في كُردوس ، وسُوَيْدُ بْنُ سُلَيْمَانَ عن يساره في كُردوس^(٢) ، وحمل عليهم الحارثُ بْنُ عُمَيْرَةَ ، وعلى يمينه أبو الرِّوَاغِ^(٣) الشاكري ، وعلى يساره الزبيرُ بْنُ الأرواحِ التميمي ، فصبرت الخوارج على قلتهم صبراً شديداً ، ثم انكشف سويدُ ابنُ سليمان ، ثم قتل صالحُ بْنُ مُسَرِّحٍ أميرهم ، وصرع شيب عن فرسه ، فالتف عليه بقية الخوارج حتى احتملوه فدخلوا به حصناً هنالك ، وقد بقي منهم سبعون رجلاً ، فأحاط بهم الحارثُ بْنُ عُمَيْرَةَ^(٤) ، وأمر أصحابه أن يحرقوا^(٥) الباب ففعلوا ، ورجع الناس إلى معسكرهم ينتظرون حريق^(٦) الباب فيأخذون الخوارج قهراً ، فلما^(٧) رجع الناس واطمأنوا خرجت عليهم الخوارج من الباب على الصعب والذلول ، فبيتوا جيش الحارثِ بْنِ عُمَيْرَةَ ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وهرب الناس سراعاً إلى المدائن ، واحتار شيب وأصحابه ما في معسكرهم ، فكان جيش الحارثِ بْنِ عُمَيْرَةَ أول جيش هزمه شيب ، وكان مقتل صالحِ بْنِ مُسَرِّحٍ في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة من هذه السنة .

وفيهما دخل شيب الكوفة ومعه زوجته غزالة ، وذلك أن شيباً جرث له

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) في النسخ : « الرواغ » . والمثبت من الطبرى ٢٢٢ / ٦ .

(٣) في ٣١ : « عمير » .

(٤) في ٣١ ، ٢١ : « يكسروا » .

(٥) في الأصل ، ص : « أن يحرقوا » .

(٦) في م : « ما » .

فصولٌ يطولُ تفصيلُها بعدَ مقتلِ صالحِ بنِ مُسرِّحٍ، واجتمعتْ عليه الخوارجُ وبايعوه، وبعثَ إليه الحجاجُ جيشًا آخرَ فقاتلوه فهزموه، ثم هزمهم بعدَ ذلك، ثم سارَ فحاصرَ^(١) المدائنَ فلم يزلَ منها شيئًا، [٨٦/٧] فسارَ فَأَخَذَ ذَوَابَّ للحجاجِ مِن كَلْوَذا^(٢)، وَمِن عَزْمِهِ أَنْ يُبَيِّتَ أَهْلَ المدائنِ، فَهَرَبَ مَنْ فِيهَا مِنَ الجندِ إِلَى الكوفةِ، فَلَمَّا وَصَلَ القُلُوبُ إِلَى الحجاجِ جَهَّزَ جيشًا أربعةَ آلافٍ مُقاتِلٍ إِلَى شَيْبِ، فَمَرُّوا عَلَى المدائنِ، ثُمَّ سَارُوا فِي طَلَبِ شَيْبِ، فَجَعَلَ شَيْبِ^(٣) يَسِيرُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ قَلِيلًا قَلِيلًا، وَهُوَ يُرِيهِمْ أَنَّهُ خَائِفٌ مِنْهُمْ، ثُمَّ يَكُرُّ فِي كُلِّ وَقْتٍ عَلَى المَقْدَمَةِ فَيَكْسِرُهَا وَيَنْهَبُ مَا فِيهَا، وَلَا يُوَاجِهُ أَحَدًا إِلَّا هَزَمَهُ، وَالْحَجَّاجُ يُلْحِقُ فِي طَلَبِهِ وَيَجْهِّزُ إِلَيْهِ السَّرَايَا وَالبُعُوثَ وَالمَدَدَ، وَشَيْبِ لَا يُيَالِي بِأَحَدٍ، وَإِنَّ مَا مَعَهُ مَائَةٌ وَسِتُّونَ فَارِسًا، وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ، ثُمَّ سَارَ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى حَتَّى وَاجَهَ الكوفةَ وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَحَاصِرَهَا، فَخَرَجَ الْجَيْشُ بِكَمَالِهِ إِلَى الشَّبَحَةِ^(٤) لِقَاتِلِهِ، وَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَلَمْ يَبَالِ بِهِمْ، وَانزَعَجَ النَّاسُ، وَخَافُوا مِنْهُ وَفِرُّوا، وَهُمْ أُنْ يَدْخُلُوا^(٥) الكوفةَ خَوْفًا مِنْهُ فَيَتَحَصَّنُوا فِيهَا مِنْهُ، حَتَّى قِيلَ لَهُمْ: إِنَّ سُؤَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي آثَارِهِمْ وَقَدْ اقْتَرَبَ مِنْهُمْ، وَشَيْبِ نَازِلٌ بِالكوفةِ^(٦) بِالدَّيْرِ،^(٧) لَيْسَ عِنْدَهُ خَبَرٌ مِنْهُمْ وَلَا خَوْفٌ^(٨)، وَقَدْ أَمَرَ بِطَعَامٍ وَشِوَاءٍ أَنْ يُصْنَعَ لَهُ، فَقِيلَ لَهُ: قَدْ جَاءَكَ الْجَنْدُ^(٩) فَأَدْرِكْ نَفْسَكَ^(١٠). فَجَعَلَ^(١١) لَا يَلْتَفِتُ إِلَى ذَلِكَ، وَ^(١٢) لَا يَكْتَرِثُ بِهِمْ، وَيَقُولُ لِلدَّهْقَانِ

(١) فِي ٣١، ٢١، م: «فجاز».

(٢) فِي ٣١: «كلوذا»، وَفِي ٢١، م: «كلوذا». وَكَلْوَذا: نَاحِيَةٌ قَرِبَ بَغْدَادَ. مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٤/ ٣٠١.

(٣) سَقَطَ مِنْ: م.

(٤) مَوْضِعٌ بِالبَصْرَةِ. مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٣/ ٣٠.

(٥ - ٥) فِي ٣١، ٢١، م: «وهم الجيش أن يدخل».

(٦) سَقَطَ مِنْ: الْأَصْلُ، وَفِي ٣١، ٢١، م: «المدائن». وَانْظُرْ تَارِيخَ الطَّبْرِى ٦/ ٢٣٧.

(٧ - ٧) سَقَطَ مِنْ: الْأَصْلُ، ص.

الذى يصنع له الطعام: عجّل به . فلما استوى أكله ، ثم توضأ وصلى بأصحابه
^(١) صلاة تامة بتطويل وطمأنينة ^(٢) ، ثم لبس درعه وتقلد سيفين ، وأخذ عمود
 حديد ، ثم قال : أسرجوا لى البغلة ^(٣) . فقال له أخوه مصاد ^(٤) : أفى هذا اليوم
 تركب البغلة وقد أحاط بك الأعداء من كل جانب ؟ قال : نعم ^(٥) . فركبها ، ثم
 فتح باب الدّير الذى هو فيه وخرج ^(٦) وهو ^(٧) يقول : «أنا أبو المدلّة ^(٨) ، لا تحكم إلّا
 لله . وتقدّم إلى أمير الجيش ^(٩) الذين تقدّموا إليه ^(١٠) ، فضربه ^(١١) بالعمود الحديد
 فقتله ، وهو سعيّد بن المجالد ، وحمل على الجيش الآخر الكثيف فصرع أميره ،
 وهرب الناس من بين يديه ، ولجئوا إلى الكوفة ، ومضى شبيب ^(١٢) حتى أغار على
 أسفل الفرات ، وقتل جماعة هناك ، وخرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة ،
 واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة ، ثم اقترب شبيب من الكوفة
 يريد دخولها ، فأعلم الدهاقين عروة بن المغيرة بذلك فكتب إلى الحجاج يعلمه
 بذلك ، فأسرع الحجاج الخروج من البصرة ، وقصد الكوفة فأسرع السّير ، وبادره
 شبيب إلى الكوفة فسبقه الحجاج إليها فدخلها العصر ، ووصل شبيب إلى المربد
 عند الغروب ، فلما كان آخر الليل دخل شبيب الكوفة [٨٦/٧] ، وقصد

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « فركبها » .

(٣) فى الأصل ، ص : « معاذ » ، وفى ٣١ : « مضاد » . وانظر تاريخ الطبرى ٢٣٧/٦ .

(٤) بعده فى ٣١ ، ٢١ : « فقال له أخوه مصاد : اركب فرسا فقال لا حارس كل أمر أجله » ، وبعده فى

م : « اركب فرسا فقال لا حارس كل أمر أجله » .

(٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى الأصل : « يحكم » .

(٧ - ٧) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « الذى يليه » .

(٨ - ٨) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « إلى الكوفة من » .

قصر الإمارة ، فضرِبَ بابه بعموده الحديدِ فأثرت ضربته في الباب ، فكانت تُعرفُ بعد ذلك ؛ يقال : هذه ضربةُ شبيب . وسلك في طرقِ المدينة ^(١) ، وتقصَّدَ محالَّ القبائلِ ^(٢) ، وقتل رجالاً من رؤساءِ أهلِ الكوفةِ وأشرافهم ؛ ^(٣) منهم أبو سليمٍ والدُ ليثِ بنِ أبي سليمٍ ^(٤) ، وعديُّ بنُ عمرو ، وأزهرُ بنُ عبدِ اللّهِ العامريُّ ، في طائفةٍ كثيرةٍ من أهلِ الكوفةِ ، وكان مع شبيبِ امرأته غزالةٌ ، وكانت معروفةً بالشجاعةِ ، فدخلتُ مسجدَ الكوفةِ ، وجلستُ على منبره ، وجعلتُ تذكُّمُ بني مَرْوَانَ ^(٥) .

ونادى الحجاجُ في الناسِ : يا خيلَ اللّهِ اركبي وأبشري ^(٥) . فخرج شبيبُ من الكوفةِ ^(٦) ، فجهَّزَ الحجاجُ في إثرِهِ ستَّةَ آلافٍ مقاتِلٍ ، فساروا ورائه ^(٧) وهو بينَ أيديهم ينْعَسُ ، ويهْزُ رأسه ^(٧) ، وفي أوقاتٍ كثيرةٍ يَكُرُّ عليهم شبيبُ ^(٥) ^(٧) فيقتلُ منهم جماعةً ، حتى ^(٧) قتل من جيشِ الحجاجِ خلقاً كثيراً ، وقتل جماعةً من الأمراءِ ؛ منهم زائدةُ بنُ قدامةٍ - قتله شبيبُ ، ^(٧) وهو ابنُ عمِّ المختارِ - فوجَّهَ الحجاجُ مكانه لحربه عبدَ الرحمنِ بنَ الأشعثِ ، فلم يُقابلِ شبيباً ورجع ، فوجَّهَ مكانه عثمانُ بنُ قَطَنِ الحارثيِّ ، فالتقوا في آخِرِ السَّنَةِ ، فقتل عثمانُ بنُ قَطَنِ ، وانهزمتْ جموعُه بعدَ أن قُتِلَ من أصحابِه ستمائةٌ نفْسٍ ؛ فمن أعيانهم عَقِيلُ بنُ شدَّادِ السَّلُوليِّ ^(٧) ،

(١) يعني : الكوفة .

(٢) في ٣١ ، م : « القتال » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص . وانظر تاريخ الطبري ٦ / ٢٤١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات

٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣٢٨ - ٣٢٩ .

(٤) محدث الكوفة ، وأحد علمائها الأعيان ، توفي سنة ١٣٨ . سير أعلام النبلاء ٦ / ١٧٩ .

(٥) سقط من ٣١ ، ٢١ ، م .

(٦) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « إلى محال الطعن والضرب » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .

^(١) وخالد بن نهيك الكندي، والأسود بن ربيعة.

واستفحل أمر شبيب وتزلزل له عبد الملك بن مروان، والحجاج، وسائر الأمراء، وخاف عبد الملك منه خوفاً شديداً، فبعث له جيشاً من أهل الشام فقدموا في السنة الآتية، وإن ما مع شبيب شردمة قليلة، وقد ملأ قلوب الناس رعباً^(٢). وجرت خطوب كثيرة له معهم، ولم يزل ذلك دأبه ودأبهم حتى استهلّت هذه السنة.

قال ابن جرير^(٣): وفي هذه السنة نقش عبد الملك بن مروان على الدراهم والدنانير، وهو أول من نقشها.

وقال القاضي الماوردي في كتاب «الأحكام السلطانية»^(٤): اختلف في أول من ضربها بالعربية في الإسلام؛ فقال سعيد بن المسيب: أول من ضرب الدراهم المنقوشة عبد الملك بن مروان، وكانت الدنانير^(٥) رومية، والدراهم كسروية. قال أبو الزناد^(٦): وكان نقشه لها في سنة أربع وسبعين. وقال المدائني^(٧): خمس وسبعين، وضربت في الآفاق سنة ست وسبعين. وذكر أنه ضرب على الجانب الواحد منها (الله أحد)، وعلى الوجه الآخر (الله

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) تاريخ الطبري ٢٥٦/٦.

(٣) الأحكام السلطانية ص ١٣٩.

(٤ - ٤) في ٣١، ٢١، م: «والدراهم رومية و».

الصمد^(١) . قال : وحكى يحيى بن التَّعْمَانِ الغفاري . عن أبيه أنَّ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ الدِّراهِمَ مصعبُ بنُ الزَّبيرِ عن أمرِ أخيه عبدِ اللَّهِ بنِ الزَّبيرِ ، سنةَ سبعين ، على ضربِ الأكاسرة ، وعليها (الملكُ بركة)^(٢) من جانبٍ ، و (لله) من جانبٍ ، ثم غيَّرها الحجاجُ ، وكتبَ اسمَه عليها من جانبٍ ، ثم خلَّصها بعدَه يوسفُ بنُ هُبيرةَ في أيامِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، ثم خلَّصها أجودُ منها خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القسريُّ^(٣) في أيامِ هشامٍ ، ثم يوسفُ بنُ عمرٍ أجودَ منهم كلَّهم . ولهذا كان المنصورُ لا يقبلُ منها إلا الهُبَيْرِيَّةَ والخالديَّةَ واليوسفِيَّةَ .

وذكرَ أنَّه قد كان للناسِ نقودٌ مختلفةٌ ؛ منها الدرهمُ البغليُّ ، وكان ثمانية دوانقَ ، والطبريُّ^(٤) وكان أربعة دوانقَ ،^(٥) والمصريُّ ثلاثة دوانقَ^(٦) ، واليمنِيُّ دانقًا ، فجمعَ عمرُ بنُ الخطَّابِ بينَ البغليِّ والطبريِّ ، ثم أخذَ نصفَها فجعله الدرهمُ الشرعيُّ ، وهو نصفُ مثقالٍ وخُمسُ مثقالٍ . وذكرُوا أنَّ المِثقالَ لم يغيِّروا وزنه في جاهليَّة ولا إسلامٍ ، وفي هذا نظرٌ . واللَّهُ أعلمُ .

[٨٧/٧ و] وفيها ولدَ مَرْوَانُ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ مَرْوَانَ بنِ الحَكَمِ^(٧) ، وهو مَرْوَانُ

(١) في حاشية الأصل : « ثبت ذلك أنه وجد دراهم ودنانير تاريخها قبل الإسلام بأربعمائة سنة مكتوب عليها اسم الأب والابن وروح القدس ، فأمر عبد الملك بنسخها ونقش عليها اسم الله وقيل إنه كتب على الوجه الواحد لا إله إلا الله وعلى الآخر محمد رسول الله ﷺ » .

(٢) سقط من : م .

(٣) في ٢١ : « القشيري » ، وفي م : « القسيري » . وانظر الأحكام السلطانية ص ١٣٩ .

(٤) في م : « الطبرية » . وبعده في ٣١ : « وهو مما ضرب بطبرية الشام » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) تاريخ الطبري ٢٥٦/٦ .

الحِمَارُ، آخِرُ مَنْ تَوَلَّى الْخِلَافَةَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بِالشَّامِ^(١)، ^(٢) وَمِنْهُ أَخَذَهَا بَنُو الْعَبَّاسِ^(٣)
 وَفِيهَا وَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ نِيَابَةَ الْمَدِينَةِ لِأَبَانَ بْنِ عَثْمَانَ، ^(٤) وَعَزَلَ
 عَنْهَا^(٥) يَحْيَى بْنُ مَرْوَانَ عَنْهُ، وَاسْتَدْعَاهُ إِلَى الشَّامِ^(٦).

وَفِيهَا حَجَّ بِالنَّاسِ أَبَانُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ نَائِبُ الْمَدِينَةِ. وَكَانَ عَلَى إِمْرَةِ
 الْعِرَاقِ الْحَجَّاجُ، وَعَلَى خُرَاسَانَ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ:

أَبُو عَثْمَانَ النَّهْدِيُّ الْقُضَاعِيُّ^(٧)، اسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلٍّ، أَسْلَمَ عَلَى
 عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَغَزَا جُلُولَاءَ وَالْقَادِسِيَّةَ وَتُسْتَرَ وَنَهَاوَنْدَ وَأَذْرَبِيجَانَ، وَغَيْرَهَا،
 وَكَانَ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ زَاهِدًا عَالِمًا يَصُومُ النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ. تُوْفِيَ وَعُمُرُهُ مِائَةٌ
 وَثَلَاثُونَ سَنَةً بِالْكُوفَةِ.

صِلَّةُ بْنُ أَشْتَمِ الْعَدَوِيِّ^(٨): مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَكَانَ ذَا فَضْلٍ
 وَوَرَعَ وَعِبَادَةٍ وَزَهْدٍ، كُنِيَّتُهُ أَبُو الصَّهْبَاءِ^(٩)، كَانَ يَصَلِّي حَتَّى مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْتِيَ
 الْفِرَاشَ إِلَّا حَبْوًا، وَلَهُ مَنَاقِبُ كَثِيرَةٌ جِدًّا؛ مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ يَمُرُّ عَلَيْهِ شَبَابٌ يَلْهُونَ

(١) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣ - ٣) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٤ - ٤) في ص: «وَوَلَّى عَلَيْهَا». وانظر تاريخ الطبري ٢٥٦/٦.

(٥) من هنا يبدأ سقط من الأصل، ٢١، ص، وينتهي عند قوله: ثم دخلت سنة سبع وسبعين.

(٦) الاستيعاب ٨٥٣/٢، وأسد الغابة ٤٩٧/٣، والإصابة ١٠٨/٥.

(٧) انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ١٣٤/٧، وحلية الأولياء ٢٣٧/٢، وأسد الغابة ٣٤/٣، وسير أعلام

النبل ٤٩٧/٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ١٢٧، والإصابة ٤٦٣/٣.

(٨) في ٣١، م: «الصَّهْبَاءُ». والمثبت من مصادر الترجمة.

وَيَلْعَبُونَ ، فيقولُ : أخْبِرُونِي عَنْ قَوْمٍ أَرَادُوا سَفَرًا ، فحاذُوا فِي النَّهَارِ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَنَامُوا اللَّيْلَ ، فَمَتَى يَقْطَعُونَ سَفَرَهُمْ ؟ فَقَالَ لَهُمْ يَوْمًا هَذِهِ الْمَقَالَةُ ، فَقَالَ شَابٌّ مِنْهُمْ : وَاللَّهِ يَا قَوْمَ ، إِنَّهُ مَا يَعْنِي بِهَذَا غَيْرُنَا ، نَحْنُ بِالنَّهَارِ نَلْهُو ، وَبِاللَّيْلِ نَنَامُ . ثُمَّ تَبَعَ صِلَةً فَلَمْ يَزَلْ يَتَعَبَّدُ مَعَهُ حَتَّى مَاتَ . وَمَرَّ عَلَيْهِ فَتَى يَجُرُّ ثَوْبَهُ ، فَهَمَّ أَصْحَابُهُ أَنْ يَأْخُذُوهُ بِالْسِّنْتِهِمْ ، فَقَالَ ^(١) : دَعُونِي أَكْفِكُمْ أَمْرَهُ . ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ . قَالَ : وَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : أَنْ تَرْفَعَ إِزَارَكَ . قَالَ : نَعَمْ ، وَنِعْمَتٌ عَيْنٌ . فَرَفَعَ إِزَارَهُ ، فَقَالَ صِلَةً : هَذَا أَمْثَلُ مِمَّا أَرَدْتُمْ ، لَوْ شِئْتُمْ لَشِئْتُمْكُمْ .

ومنها ما حكاه جعفر بن زيد ، قَالَ ^(٢) : خَرَجْنَا فِي غَزَاةٍ ، وَفِي الْجَيْشِ صِلَةٌ ابْنُ أَشِيمٍ ، فَتَزَلَّ النَّاسُ عِنْدَ الْعَتَمَةِ ، فَقُلْتُ : لَأَرْمُقَنَّ عَمَلَهُ اللَّيْلَةَ . فَدَخَلَ غَيْضَةً ، وَدَخَلْتُ فِي أَثَرِهِ ، فَقَامَ يَصَلِّي ، وَجَاءَ الْأَسَدُ حَتَّى دَنَا مِنْهُ ، وَصَعِدْتُ أَنَا فِي شَجَرَةٍ . قَالَ : فَتَرَاهُ التَّفَتَ ، أَوْ عَدَّهُ جِزْوَا حَتَّى سَجَدَ ؟ فَقُلْتُ : الْآنَ يَفْتَرِشُهُ ، فَجَلَسَ ثُمَّ سَلَّمَ ، فَقَالَ : أَيُّهَا السَّبُعُ ، إِنْ كُنْتَ أَمَرْتَ بِشَيْءٍ فافْعَلْ ، وَإِلَّا فَاطْلُبِ الرِّزْقَ مِنْ مَكَانٍ آخَرَ . فَوَلَّى الْأَسَدُ وَإِنَّ لَهُ لَزَيْبًا تَصَدَّعُ مِنْهُ الْجِبَالُ ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الصَّبَاحِ جَلَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ بِحَمْدٍ لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِهَا ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُجَيِّرَنِي مِنَ النَّارِ ، أَوْ تُثَلِّيَ يَجْتَرِي أَنْ يَسْأَلَكَ الْجَنَّةُ ؟ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْجَيْشِ ، فَأَصْبَحَ كَأَنَّهُ بَاتَ عَلَى الْحَشَايَا ^(٣) ، وَأَصْبَحْتُ وَبِي مِنَ الْفَتْرِ شَيْءٌ اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ . قَالَ : وَذَهَبَتْ بَغْلَتُهُ بِثِقَلِهَا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَرُدَّ عَلَيَّ بَغْلَتِي

(١) طبقات ابن سعد ٧/١٣٥ .

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٨٦٣) ، بنحوه .

(٣) أى على فراشه . النهاية ١/٣٩٣ .

بثقلها . فجاءت حتى قامت بين يديه ، قال : فلما التقينا العدو ، حمل هو وهشام
ابن عامر فصنعا^(١) بهم طعنا^(٢) وضربا ، فقال العدو : رجلان من العرب صنعا بنا
هذا ، فكيف لو قاتلونا كلهم ؟ أعطوا المسلمين حاجتهم . يعنى انزلوا على
حكمهم .

وقال صيلة^(٣) : جعت مرة في غزاة جوعا شديدا ، فبينما أنا أسير أدعو ربِّي
وأستطعمه ، إذ سمعت وجبة^(٤) من خلفي ، فالتفت فإذا أنا بمنديل أبيض ، فإذا فيه
دوخلة^(٥) ملائة رطبا ، فأكلت منه حتى شبع ، وأدركني المساء فملت إلى دير
راهب ، فحدثته الحديث ، فاستطعمني من الرطب فأطعمته ، ثم إنني مررت على
ذلك الراهب بعد زمان ، فإذا نخلات حسان ، فقال : إنهن لمن الرطبات التي
أطعمتني . وجاء بذلك المنديل إلى امرأته فكانت تثرية للناس .

ولما أهديت معاودة إلى صيلة ، أدخله ابن أخيه الحمام ، ثم أدخله بيت العروس ؛
بيتا مطيبا ، فقام يصلي ، فقامت تُصلي معه ، فلم يزالا يُصليان حتى برق الصبح ،
قال : فأتيته فقلت له : أي عم ، أهديت إليك ابنة عمك الليلة ، فقامت تُصلي
وتركتها ! قال : إنك أدخلتني بيتا أول النهار أذكرتني به النار ، وأدخلتني بيتا آخر
النهار أذكرتني به الجنة ، فلم تزل فكرتني فيهما حتى أصبحت . البيت الذي أذكره
به النار هو الحمام ، والبيت الذي أذكره به الجنة هو بيت العروس .

(١) في م : « فصنعا » .

(٢) في ٣١ : « صنعا » .

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٨٦٥) ، وابن سعد في الطبقات ١٣٥/٧ ، كلاهما بنحوه .

(٤) الوجبة : صوت السقوط . النهاية ١٥٤/٥ .

(٥) في ٣١ : « دوخلة » . والدوخلة : زيل من خوص يجعل فيه التمر . الوسيط (د خ ل) .

وقال له رَجُلٌ: ادْعُ اللَّهَ لِي . فقال : رَغَبَكَ اللَّهُ فيما بَقِيَ ، وزَهَّدَكَ فيما يَفْنَى ، ورَزَقَكَ اليَقِينَ الذي لا تَرَكُنْ إِلَّا إِلَيْهِ ، ولا تُعَوِّلُ في الدِّينِ إِلَّا عَلَيْهِ .

وكان صِلَةٌ في غَزَاةٍ ومعه ابنه فقال له ^(١) : أَيْ بُنَيَّ ، تَقَدَّمْ فِقَاتِلْ حَتَّى أَحْتَسِبَكَ . فحَمَلَ فِقَاتِلَ حَتَّى قَتَلَ ، ثُمَّ تَقَدَّمْ صِلَةٌ فِقَاتِلَ حَتَّى قَتَلَ ، فَاجْتَمَعَ النِّسَاءُ عِنْدَ امْرَأَتِهِ مُعَاذَةَ الْعَدَوِيَّةِ ، فَقَالَتْ : إِنْ كُنْتُ جِئْتُ لَتُهَنِّئَنِي فَمَرْحَبًا بِكَ ، وَإِنْ كُنْتُ جِئْتُ لَغَيْرِ ذَلِكَ ^(٢) فَارْجِعِي .

تُوفِّي صِلَةٌ فِي غَزَاةٍ هُوَ وَابْنُهُ نَحْوَ بِلَادِ فَارِسَ ، فِي هَذِهِ السَّنَةِ .

زُهَيْرُ بْنُ قَيْسِ الْبَلَوِيِّ ^(٣) : شَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ وَسَكَنَهَا ، لَهُ صُحْبَةٌ . قَتَلَتْهُ الرُّومُ بِيَرْقَةَ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الصَّرِيخَ أَتَى الْحَاكِمَ بِمِصْرَ ، وَهُوَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ ، أَنَّ الرُّومَ نَزَلُوا ^(٤) بِيَرْقَةَ ، فَأَمَرَهُ بِالنَّهْوضِ إِلَيْهِمْ ، فَسَاقَ زُهَيْرٌ وَمَعَهُ أَرْبَعُونَ نَفْسًا ، فَوَجَدَ الرُّومَ ، فَأَرَادَ أَنْ يَكْفَّ عَنِ الْقِتَالِ حَتَّى يَلْحَقَهُ الْعَسْكَرُ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا شَدَّادٍ ، احْمِلْ بَنَا عَلَيْهِمْ . فَحَمَلُوا فَقَتَلُوا جَمِيعًا .

الْمُنْذِرُ بْنُ الْجَارُودِ ^(٥) : مَاتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ . تَوَلَّى بَيْتَ الْمَالِ ، وَوَفَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ ^(٦) .

(١) طبقات ابن سعد ١٣٧/٧ ، بنحوه .

(٢ - ٢) فِي م : « لَتُعَزِّنِي » .

(٣) ترجمته في : أسد الغابة ٢/٢٦٧ ، والإصابة ٢/٥٧٩ ، وتاريخ دمشق ١٩/١١٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٤٠٤ .

(٤) فِي ٣١ : « تَرَكَوْا » .

(٥) ترجمته في : المعارف ٣٣٩ ، وتاريخ دمشق ١٧/٢٠٠ مخطوط ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٢٥٦ ، ٥٢٩ ، والإصابة ٦/٢٦٤ .

(٦) نِهَآيَةُ السَّقْطِ مِنْ : الْأَصْلُ ، ٢١ ، ص .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين

فيها أخرج الحجاج مقاتلة أهل الكوفة وكانوا أربعين ألفاً، وانضاف إليهم عشرة آلاف، فصاروا خمسين ألفاً، وأمر عليهم عتاب بن ورقاء، وأمره أن يقصد لشبيب بن يزيد أين كان، وأن يُصمَّم^(١) عليه وعلى من معه^(٢) - وكانوا قد تجمَّعوا^(٣) ألف رجل - وأن لا يفعلوا كما كانوا يفعلون قبلها من الفرار والهزيمة. ولما بلغ شبيب ما بعث به الحجاج إليه من الجنود،^(٤) لم يعبأ بهم شيئاً، بل^(٥) قام في أصحابه خطيباً؛ فوعظهم، وذكَّركم، وحثَّهم على الصبر عند اللقاء ومناجزة الأعداء، سار شبيب بأصحابه نحو عتاب بن ورقاء، فالتقيا في آخر النهار عند غروب الشمس، فأمر شبيب مؤدَّنه سلام بن سيار^(٦) الشَّيباني فأذن المغرب، ثم صلى شبيب بأصحابه المغرب، وصفَّ عتاب أصحابه - وكان قد خندق حول جيشه من أول النهار - فلما صلى شبيب بأصحابه المغرب، انتظر حتى إذا طلع القمر وأضاء، تأمل^(٧) الميمنة والميسرة، ثم حمل على أصحاب رايات عتاب وهو يقول: أنا شبيب أبو المدلَّة، لا حُكم إلا لله. فهزَّمهم، وقُتل أميرهم قبيصة بن الولقي، وجماعة من الأمراء معه، ثم كرَّ على الميمنة وعلى الميسرة، ففروَّق شمل كل واحد منهما، ثم قصَّد القلب فما زال حتى قُتل الأمير عتاب بن ورقاء،

(١ - ١) في ٣١، ٢١، م: «على قتاله».

(٢ - ٢) في ٣١، ٢١، م: «وكان قد اجتمع على شبيب».

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ص.

(٤) في الأصل، م، ص: «يسار». وانظر تاريخ الطبري ٢٦٣/٦.

(٥) في الأصل: «قاتل». وفي تاريخ الطبري ٢٦٥/٦: «فقاتل».

وزُهرَةُ بْنُ حَوِيَّةَ^(١)، وَوَلَّى عَامَّةُ الْجَيْشِ مَذِيرِينَ، وَدَاسُوا الْأَمِيرَ عَتَّابًا، وَزُهرَةُ، فَوَطَّقَتْهُ الْخَيْلُ، وَقَتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ عَمَّارُ بْنُ يَزِيدَ الْكَلْبِيُّ، ثُمَّ قَالَ شَيْبٌ لِأَصْحَابِهِ: لَا تَتَّبِعُوا مِنْهَزِمًا^(٢)، وَانْهَزَمَ جَيْشُ الْحَجَّاجِ عَنْ بَكْرَةَ أَبِيهِمْ رَاجِعِينَ إِلَى الْكُوفَةِ.

وَكَانَ شَيْبٌ لَمَّا احْتَوَى عَلَى الْمَعْسَكِ، أَخَذَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ الْبَيْعَةَ لَهُ بِالْإِمَارَةِ فَبَايَعُوهُ^(٣)، وَقَالَ لَهُمْ: إِلَى سَاعَةِ تَهْرُبُونَ. ثُمَّ احْتَوَى عَلَى مَا فِي الْمَعْسَكِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحَوَاصِلِ، وَاسْتَدْعَى بِأَخِيهِ مَصَادٍ^(٤) مِنَ الْمَدَائِنِ، ثُمَّ قَصَدَ نَحْوَ الْكُوفَةِ، وَقَدْ وَفَدَ إِلَى الْحَجَّاجِ سَفِيَانُ بْنُ الْأُبُرْدِ الْكَلْبِيُّ، وَحَبِيبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَكَمِيُّ - مِنْ مَذْحِجٍ - فِي سِتَةِ آلَافٍ فَارِسٍ، وَمَعَهُمَا خَلْقٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَاسْتَعْنَى الْحَجَّاجُ بِهِمْ عَنْ نُصْرَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَقَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، لَا أَعَزُّ [٨٧/٧ ط] اللَّهُ مَنْ أَرَادَ بِكُمْ الْعِزَّ، وَلَا نَصَرَ مَنْ أَرَادَ بِكُمْ النُّصْرَ، اخْرُجُوا عَنَّا فَلَا تَشْهَدُوا مَعَنَا قِتَالَ عَدُوِّنَا، الْحَقُّوْا بِالْحِجْرَةِ فَانْزِلُوا مَعَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَلَا يَقَاتِلَنَّ مَعَنَا إِلَّا مَنْ كَانَ لَنَا عَامِلًا، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْ قِتَالَ عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءَ. وَعَزَمَ الْحَجَّاجُ عَلَى قِتَالِ شَيْبٍ بِنَفْسِهِ، وَسَارَ شَيْبٌ حَتَّى بَلَغَ الصَّرَاةَ^(٥)، وَخَرَجَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الشَّامِيِّينَ، وَغَيْرِهِمْ، فَلَمَّا تَوَاجَهَ الْفَرِيقَانِ نَظَرَ الْحَجَّاجُ إِلَى شَيْبٍ وَهُوَ فِي سِتْمَائَةٍ^(٦) مِنْ أَصْحَابِهِ^(٧)، فَخَطَبَ الْحَجَّاجُ أَهْلَ الشَّامِ وَقَالَ: «يَا أَهْلَ الشَّامِ»^(٨)،

(١) فِي ٣١، ٢١، م: «جونة». وَانْظُرْ تَارِيخَ الطَّبَرِيِّ ٢٥٧/٦.

(٢ - ٢) زِيَادَةُ مِنْ: ٣١، ٢١، م. وَانْظُرْ تَارِيخَ الطَّبَرِيِّ ٢٦٥/٦، ٢٦٦.

(٣) سَقَطَ مِنْ: م.

(٤) فِي ٣١، ٢١: «مُضَادَّ»، وَفِي ص: «مَعَاذَ».

(٥) الصَّرَاةُ: نَهْرَانِ بِيْعْدَادَ؛ الصَّرَاةُ الْكُبْرَى وَالصَّغْرَى. مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٣/٣٧٧، ٣٧٨.

(٦ - ٦) سَقَطَ مِنْ: ٣١، ٢١، م.

(٧ - ٧) زِيَادَةُ مِنْ ٣١، ٢١، م.

أنتم أهل السمع والطاعة والصبر واليقين، لا يَغْلِبَنَّ باطل هؤلاء الأرجاسِ حقكم، غَضُّوا الأبصارَ، واجتُئوا على الرُّكْبِ، واستَقْبَلُوا بِأَطْرَافِ الْأَيْتَةِ. ففعلوا ذلك، وأقبل شبيب وقد عبأ أصحابه ثلاثَ فرق؛ واحدةً معه، وأخرى مع سُويْدِ بْنِ سُلَيْمٍ، وأخرى مع المَجْلَلِ بْنِ وائِلٍ، وأمر شبيب سُويْدًا أَنْ يَحْمِلَ، فحَمَلَ^(١) على جيشِ الحِجَاجِ^(٢)، فصَبَرُوا لَهُ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ، وَثَبُوا إِلَيْهِ وَثْبَةً وَاحِدَةً، فَانْهَزَمَ عَنْهُمْ، فَنَادَى الْحِجَاجُ: يَا أَهْلَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، هَكَذَا فَافْعَلُوا. ثُمَّ أَمَرَ الْحِجَاجُ، فَقُدِّمَ كَرْسِيُّهُ الَّذِي هُوَ جَالِسٌ عَلَيْهِ إِلَى الْأَمَامِ، ثُمَّ أَمَرَ شَبِيبَ الْمَجْلَلِ أَنْ يَحْمِلَ،^(٣) ففَعَلُوا بِهِ كَمَا فَعَلُوا بِسُويْدٍ، وَقَالَ لَهُمُ الْحِجَاجُ كَمَا قَالَ لِأَوَّلِكَ، وَقُدِّمَ^(٤) كَرْسِيُّهُ إِلَى أَمَامٍ، ثُمَّ إِنْ شَبِيبًا حَمَلَ عَلَيْهِمْ فِي كَيْتَيْهِ، فَثَبَّتُوا لَهُ حَتَّى إِذَا غَشَى أَطْرَافَ الرِّمَاحِ وَثَبُوا فِي وَجْهِهِ فَقَاتَلَهُمْ طَوِيلًا، ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ طَاعَنُوهُ قُدْمًا^(٥) حَتَّى أَلْحَقُوهُ بِأَصْحَابِهِ، فَلَمَّا رَأَى صَبْرَهُمْ نَادَى: يَا سُويْدُ، احْمِلْ فِي خَيْلِكَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ السَّكَّةِ^(٦)، لَعَلَّكَ تُزِيلُ أَهْلَهَا عَنْهَا، فَأَتَى الْحِجَاجُ مِنْ وَرَائِهِ، وَنَحِمِلُ نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ أَمَامِهِ. فَحَمَلَ فَلَمْ يُفِذْ ذَلِكَ شَيْئًا؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْحِجَاجَ كَانَ قَدْ جَعَلَ عُرْوَةً بَيْنَ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ فَارِسٍ رِذْءًا لَهُ مِنْ وَرَائِهِ لِفَلَا يُؤْتُوا مِنْ خَلْفِهِمْ، وَكَانَ الْحِجَاجُ بِصِيرًا بِالْحَرْبِ أَيْضًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ حَرَّضَ شَبِيبُ أَصْحَابَهُ عَلَى الْحَمَلَةِ، وَأَمَرَهُمْ بِهَا، فَفَهِمَ ذَلِكَ الْحِجَاجُ، فَنَادَى: يَا أَهْلَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، اصْبِرُوا لِهَذِهِ الشَّدَةِ الْوَاحِدَةِ، ثُمَّ وَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، مَا شَيْءٌ دُونَ الْفَتْحِ. فَجَتُّوا عَلَى الرُّكْبِ، وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ شَبِيبٌ بِجَمِيعِ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا غَشِيَهُمْ نَادَى

(١ - ١) زيادة من: ٣١، ٢١، م.

(٢ - ٢) في ٣١، ٢١، م: «فحمل فثبتوا له وقدم الحجاج».

(٣) سقط من ٣١، وفي الأصل: «فدنا».

(٤) في م: «السرية».

الحجاج بجماعة الناس فوثبوا في وجهه ، فما زالوا يَطْعَنُونَ وَيُطْعَنُونَ ، وهم مُسْتَظْهِرُونَ على شبيب وأصحابه حتى ردوهم عن مواقفهم إلى ما وراءها ، فنَادَى شبيب في أصحابه : يا أولياء الله ، الأرض الأرض . ثم نَزَلَ [٨٨/٧] ونَزَلَ أصحابه ، وجاء الحجاج فنَادَى : يا أهل الشام ، يا أهل السمع والطاعة ، هذا أول النصر والذي نفسى بيده . وصعد مسجداً هنالك ^(١) لِشبيب ، ومعه ^(٢) نحو من عشرين رجلاً معهم الثُّبُل ، واقتتل الناس قتالاً شديداً عامة النهار ، من أشد قتال في الأرض ، حتى أقرَّ كل واحدٍ من الفريقين لصاحبه ، والحجاج ينظرُ إلى الفريقين من مكانه ، ثم إنَّ خالد بن عتاب استأذن الحجاج في أن يركب في جماعة فيأتى الخوارج من ورائهم ، فأذن له ، فأنطلق في جماعة معه ؛ نحو من أربعة آلاف ، فدخل عسكر الخوارج من ورائهم فقتل مصاداً ^(٣) أخوا شبيب ، وغزاة امرأة شبيب ؛ فقتلها رجل يقال له : فروة بن دقان ^(٤) الكلبى . وخرق في جيش شبيب ، وفرح بذلك الحجاج وأصحابه وكثروا ، وانصرف شبيب وأصحابه كل منهم على فرس ، فأمر الحجاج الناس أن ينطلقوا في تطلبهم ، فشدوا عليهم فهزموهم ، وتخلَّف شبيب في حامية الناس ، ثم انطلق واتبعه الطلب ، فجعل ينعس وهو على فرسه حتى يخفق برأسه ، ودنا ^(٥) منه الطلب ، فجعل بعض أصحابه ينهاه عن التعاس في هذه الساعة ، فجعل لا يكثرُ بهم ، ويعودُ فتخفق رأسه ، فلما طال ذلك ، بعث الحجاج إلى أصحابه يقول : دَعُوهُ في

(١ - ١) في ٣١ ، ٢١ ، م : « وجعل ينظر إلى الفريقين ومع شبيب » .

(٢) في ص : « معاذ » .

(٣) في ٢١ ، م ، ص : « دقان » .

(٤) في ص : « رأى » .

حَرَقِ النَّارِ . فَتَرَكَوه وَرَجَعُوا .

ثم دَخَلَ الحِجَاجُ الكُوفَةَ فخطبَ النَّاسَ فقال في خطبته : إن شبيبًا لم يُهْزَمَ قبلها . ثم قصدَ شبيبَ الكُوفَةَ ، فخرَّجت إليه سَريَّةً من جيشِ الحِجَاجِ ، فالتقوا معه يومَ الأربعاء ، ^(١) فهُزِمَ الخوارجُ يومَ الجمعة ، وسارتِ الخوارجُ هارين . ^(٢) وكان على سَريةِ الحِجَاجِ الحارثُ بنُ معاويةَ الثَّقَفِيُّ في ألفِ فارسٍ معه ، فحملَ شبيبٌ على الحارثِ بنِ معاويةَ ، فكسره ومَن معه ، وقتلَ منهم طائفةً ، ودخلَ النَّاسُ الكُوفَةَ هارين ، وحصَّنَ النَّاسُ السككَ ، فخرجَ إليه أبو الوردِ مولى الحِجَاجِ في طائفةٍ من الجيشِ ، فقاتلَ حتى قُتِلَ ، ثم هَرَبَ أصحابُه ودخلوا الكُوفَةَ ، ثم خرجَ إليه أميرٌ آخرٌ فانكسرَ أيضًا ، ثم سارَ شبيبٌ بأصحابِه نحوَ السَّوَادِ ، فمروا بعامِلِ الحِجَاجِ على تلكِ البلادِ فقتلوه ، ثم خطبَ أصحابَه وقال : اشتهَلْتُمُ بالدُّنْيَا عن الآخرة . ثم رمى بِالمالِ في الفَراتِ ، ثم سارَ بهم حتى افْتَتَحَ بلادًا كثيرةً ، ولا يَبْرُزُ له أَحَدٌ إِلَّا قَتَلَهُ ، ثم خرجَ إليه بعضُ الأُمراءِ الذين على بعضِ المَدِينِ ، فقال له : يا شبيبُ ، ابرُزْ إلَيَّ وأبرُزْ إليكَ - وكان صديقَه - فقال له شبيبٌ : إِنِّي لَا أُحِبُّ قَتْلَكَ . فقال له : لَكِنِّي أُحِبُّ قَتْلَكَ ، فَلَا تُغَرِّتْكَ نَفْسُكَ ، وَمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْوَقَائِعِ . ثم حَمَلَ عليه فضرَبَه شبيبٌ على رَأْسِهِ ، فهِمَسَ رَأْسَهُ ^(٣) حتى اختَلَطَ دماغُه بِلَحْمِهِ وَعَظْمِهِ ، ثم كَفَّنَهُ وَدَفَنَهُ ، ثم إِنَّ الحِجَاجَ أَنْفَقَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً عَلَى الْجِيُوشِ وَالْعَسَاكِرِ فِي طَلَبِ شبيبٍ فلم يُطِيقُوهُ ولم يَقْدِرُوا عليه ، وَإِنَّمَا سَلَّطَ اللَّهُ عليه مَوْتًا قَدَرًا ^(٤) ،

(١ - ١) في ٣١ ، ٢١ ، م : « فلا زالوا يتقاتلون إلى يوم الجمعة » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) يعنى كسرها .

^(١) مِنْ غَيْرِ ضُنْعِهِمْ ، وَلَا ضُنْعِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ^(١) .

ذِكْرُ مَقْتَلِ شَبِيبٍ فِي هَذِهِ

السَّنَةِ عِنْدَ ابْنِ الْكَلْبِيِّ

وكان سبب ذلك أَنَّ الحجاجَ كَتَبَ إِلَى نَائِيهِ عَلَى الْبَصْرَةِ ؛ الْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ
ابْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ ، وَهُوَ زَوْجُ ابْنَةِ الْحَجَّاجِ ، يَأْمُرُهُ أَنْ يَجْهَزَ جَيْشًا أَرْبَعَةَ
آلَافٍ يَتَطَلَّبُونَ شَبِيبًا ، وَيَكُونُونَ تَبَعًا لِسَفِيَّانَ بْنِ الْأَبْرَدِ ، فَفَعَلَ ^(٢) فَالْتَقَوْا ^(٣) فَاقْتَتَلُوا
قِتَالًا شَدِيدًا ، وَصَبَرَ كُلٌّ مِنَ الْقَرِيقَيْنِ لِصَاحِبِهِ ^(٤) ، ثُمَّ عَزَمَ أَصْحَابُ الْحَجَّاجِ
فَحَمَلُوا عَلَى الْخَوَارِجِ ^(٥) ، فَفَرَّوْا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ذَاهِبِينَ حَتَّى اضْطَرُّوهُمْ إِلَى جَسِرٍ
هُنَاكَ ، فَوَقَّفَ عِنْدَهُ شَبِيبٌ ، فِي مِائَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَعَجَزَ سَفِيَّانُ بْنُ الْأَبْرَدِ عَنْ
مَقَاوِمَتِهِ ، وَرَدَّهُ ^(٦) عَنْ مَوْقِفِهِ هَذَا بَعْدَمَا تَقَاتَلُوا نَهَارًا كَامِلًا ^(٧) أَشَدَّ قِتَالٍ يَكُونُ ، ثُمَّ
أَمَرَ سَفِيَّانُ بْنُ الْأَبْرَدِ ^(٨) الرُّمَامَةَ مِنْ ^(٩) أَصْحَابِهِ ، فَرَسَقُوهُمْ بِالنَّبْلِ رَشَقًا وَاحِدًا ،
فَفَرَّتِ الْخَوَارِجُ ، ثُمَّ كَثُرَتْ عَلَى الرُّمَامَةِ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ،

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « وانطلقوا في طلبه » .

(٣) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « معه وكان ابن الأبرد معه خلق من أهل الشام فلما وصل جيش البصرة إلى
ابن الأبرد التقوا معه وصاروا جيشا واحدا هم وأهل الشام ثم ساروا إلى شبيب فالتقوا به » .

(٤) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٥) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « حملة منكرة والخوارج قليلون » .

(٦) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « شبيب » .

(٧) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « عند أول الجسر » .

(٨ - ٨) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

«من أصحاب ابن الأبرد» [٨٨/٧] وجاء الليل بظلامه ، فكف الناس بعضهم عن بعض ، وبات كل من الفريقين مُصيرًا على مناهضة الآخر ، فلما طلع الفجر ، عبر شبيب وأصحابه على الجسر ، فبينما شبيب على متن الجسر ، وهو على حصان له وبين يديه فرس أنثى ، فنزا فرسه وهو على الجسر ، ونزل حافز رجل فرس شبيب على حرف السفينة فسقط في الماء ، فقال : ليقضى الله أمرا كان مفعولا . ثم انغمر في الماء ، ثم ارتفع وهو يقول : ذلك تقدير العزيز العليم . فغرق .

ولما تحققت الخوارج سقوطه في الماء كثروا^(١) ، وانصرفوا ذاهبين مُفرقين في البلاد ، وجاء أمير جيش الحجاج^(٢) فاستخرج شبيبا من الماء ، وعليه دزعه ، ثم أمر به فشق صدره ، فاستخرج قلبه ، فإذا هو مجتمع صلب كانه صخرة ، وكانوا يضربون به الأرض فيثب^(٤) قامة الإنسان .^(٥) وقيل : إنه كان معه رجال قد أبغضوه لما أصاب من عشائريهم ، فلما تخلف في الساقة ، اشتوزوا وقالوا : نقطع الجسر به . ففعلوا ذلك ، فمالت السفن بالجسر ، ونفر فرسه ، فسقط في الماء فغرق ، فنادوا : غرق أمير المؤمنين . فعرف جيش الحجاج ذلك فجاءوا فاستخرجوه^(٦) .

ولما نعى شبيب إلى أمه ، قالت : صدقتم ، إني كنت رأيت في المنام ، وأنا حامل به أنه قد خرج مني شهاب من نار ، فعلمت أنه لا يطفيه إلا الماء .

وكانت أمه جارية اسمها جهيزة^(٧) ، وكانت جميلة ، وكانت من أشجع

(١ - ١) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٢) في ٣١ ، م : « كبروا » .

(٣ - ٣) في الأصل ، ص : « السرية » .

(٤) في ٣١ ، ٢١ ، م : « يرتفع » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص . وانظر تاريخ الطبري ٢٨١/٦ ، والكامل ٤٣٢/٤ .

(٦) في الأصل ، ٣١ ، ٢١ : « جهيرة » ، وفي م ، ص : « جهيرة » . وانظر وفيات الأعيان ٤٥٥/٢ .

النساء، تقاتل مع ابنها في الحروب.

وذكر القاضي ابن خلكان^(١) أنها قُتِلَتْ في هذه الغزوة. وكذلك قُتِلَتْ زوجته غزالة. وكانت شديدة البأس خارجية^(٢)، وكان الحجاج مع هيئته يخاف منها أشد خوف، حتى قال فيه بعض الشعراء^(٣):

أسدٌ عليّ وفي الحروبِ نعامٌ فتخاءً^(٤) تنفر من صفيّ الصافر
هلاً برزت إلى غزالة في الوعى بل كان قلبك في جناحي طائر
قال^(٥): وقد كان شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن الصلت بن قيس بن شراحيل بن مرة^(٦) بن ذهل بن شيان الشيباني - يدعى الخلافة، ويتسمى بأمر المؤمنين، ولولا أن الله تعالى قهره بما قهره به من الغزق لنال الخلافة إن شاء الله، ولما قدر عليه أحد، وإنما قهره الله على يدي الحجاج لما أرسل إليه^(٧) أمير المؤمنين^(٧) عبد الملك بعساكر^(٨) لقتاله، فهرب غير مرة^(٧)، ولما ألقاه جواده عن الجسر في نهر دجيل^(٩) قال له رجل: أغرقاً يا أمير المؤمنين؟

(١) وفيات الأعيان ٤٥٥/٢.

(٢) في ٣١، ٢١، م: «تقاتل قتالا شديدا يعجز عنه الأبطال من الرجال».

(٣) البيتان لعمران بن حطان، وهما في الأغاني ١١٦/١٨، وفيات الأعيان ٤٥٥/٢.

(٤) الفتخاء: الناقة ونحوها ترتفع أخلافها قبل بطنها.

(٥) وفيات الأعيان ٤٥٤/٢.

(٦) في ٣١، ٢١، م: «صبرة». وانظر وفيات الأعيان الموضع السابق.

(٧ - ٧) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٨) بعده في ٣١، ٢١، م: «الشم».

(٩) دجيل: نهر بالأهواز حفره أردشير بن بابك، أحد ملوك الفرس، ومخرجه من أرض إصبهان، ومصبه في بحر فارس (الخليج العربي). معجم البلدان ٥٥٥/٢.

قال : ذلك تقديرُ العزيزِ العليم . قال : ثم أُخْرِجَ ، وحُمِلَ إلى الحجاج ، فأمرَ فَنَزَعَ قلبه من صدره . فإذا هو مثلُ الحجر .

وكان رجلاً طويلاً أشمطَ جَعْدًا . وكان مولده في يومِ عيدِ النحرِ سنةِ سِتِّ وعشرين . وقد أُنْسِكَ رجلٌ من أصحابه فحُمِلَ إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، فقال له : أَلَسْتُ القائلَ ^(١) :

فإن يَكُ منكم كانَ مروانُ وابنه وعمرُّو ومنكم هاشمٌ وحبيبُ
[٨٩/٧] فَمِنَّا حُصَيْنٌ والبَطِينُ وَقَعْنَبُ وَمِنَّا أميرُ المؤمنينَ شبيبُ
فقال : إِنَّمَا قُلْتُ : وَمِنَّا ^(٢) أميرُ المؤمنينَ شبيبُ . فأعجبه اعتذاره وأطلقه .

وفي هذه السنةِ كانت حروبٌ كثيرةٌ جدًا بينَ المهَلَّبِ بنِ أبي صُفْرَةَ نائبِ الحجاج ، وبينَ ^(٣) الخوارجِ من ^(٤) الأزارقة ، وأميرهم قَطْرِيٌّ بنُ الفُجَاعَةِ ، وكان أيضًا من الفرسانِ الشُّجْعانِ المذكورين المشهورين ، وقد تَفَرَّقَ عنه أصحابه ، ونَفَرُوا ^(٥) في هذه السنةِ ، وأما هو فشرَّدَ في الأرضِ لا يُدْرَى أين ذهب ، وقد جرت بينهم مناوشاتٌ ومجاولاتٌ يطولُ بَشْطُها واستِقْصَاؤها ، وقد بالغَ ابنُ جريرٍ في ذِكْرِها ^(٦) .

قال ^(٦) : وفي هذه السنةِ ثارَ بُكَيْرُ بنُ وشاح ، الذي كان نائبَ خُرَاسَانَ ، على

(١) وفيات الأعيان ٤٥٦/٢ .

(٢) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م : « يا » . وهذا على تقدير حرفِ نداءٍ محذوف ، أى : يا أميرَ المؤمنين .

(٣ - ٣) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٤) في الأصل ، ص : « بعد هذا التفرق » .

(٥) تاريخ الطبرى ٣٠١/٦ .

(٦) تاريخ الطبرى ٣١١/٦ بنحوه .

نائبها أُمَيَّةُ بن عبد الله بن خالد بن أسيد - كما سيأتى - وذلك أنَّ بكيرا استجاش عليه الناس، وغدر به وقتله، وقد جرت بينهما خطوبٌ طويلةٌ قد استقصاها أبو جعفر، رحمه الله، فى تاريخه^(١).

وفى هذه السنة كانت وفاة شبيب بن يزيد الخارجى - كما قدّمنا - وقد كان من الشجاعة والفروسيّة على جانب كبير لم أرَ بعد عصر^(٢) الصحابة مثله، ومثل^(٣) الأشر وإبنه إبراهيم^(٣)، ومُصعب بن الزبير وأخيه عبد الله، وممن يُنَاطُ بهؤلاء فى الشجاعة؛ مثل قطرى بن الفجاءة من الأزارقة الخوارج. والله أعلم.

^(٤) وفيها تُوفى من الأعيان:

كثير بن الصلت بن مغدى كرب الكندى^(٥)، كان كبيرا مطاعا فى قومه، وله بالمدينة دارٌ كبيرة بالمصلى، وقيل: إنّه كان كاتب عبد الملك على الرسائل. تُوفى بالشام.

محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله^(٦)، كانت أخته تحت عبد الملك وولاه سجستان، فلما سار إليها قيل له: إنَّ شبيبا فى طريقك وقد أغيا الناس،

(١) تاريخ الطبرى ٣١١/٦.

(٢) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٣ - ٣) فى الأصل، ص: «إبراهيم بن الأشر».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ص.

(٥) الاستيعاب ١٣٠٨/٣، وأسد الغابة ٤/٤٦٠، والإصابة ٦/٥٦٣٢.

(٦) خبره فى نسب قریش ٢٨٦، تاريخ الطبرى ٦/٢٤٥ - ٢٤٨، والكامل ٤/٤٠٨ - ٤١٢، وورد

ذكره عرضا فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣١٥، ٣٣٣.

١) فاعِدِلْ إِلَيْهِ لَعَلَّكَ أَنْ تَقْتُلَهُ ، فَيَكُونَ ذِكْرُ ذَلِكَ وَشَهْرَتُهُ لَكَ إِلَى الْأَبَدِ ، فَلَمَّا سَارَ لِقِيهِ شَيْبٌ ، فَاقْتَتَلَ مَعَهُ فَقَتَلَهُ شَيْبٌ . وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

٢) عِيَاضُ بْنُ عَمْرِو الْأَشْعَرِيُّ^٢ : شَهِدَ الْيَرْمُوكَ ، وَحَدَّثَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ ، تُؤْفَى بِالْبَصْرَةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

مُطَرِّفُ^٣ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ^٣ : وَقَدْ كَانُوا إِخْوَةً ؛ غُرُوءٌ وَمُطَرِّفٌ وَحَمْزَةٌ ، وَقَدْ كَانُوا يَمِيلُونَ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ ، فَاسْتَعْمَلَهُمُ الْحَجَّاجُ عَلَى أَقَالِيمَ ؛ فَاسْتَعْمَلَ غُرُوءَ عَلَى الْكُوفَةِ ، وَمُطَرِّفًا عَلَى الْمَدَائِنِ ، وَحَمْزَةَ عَلَى هَمْدَانَ^٤ .

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢ - ٢) في ٣١، ٢١، م: «عياض بن غنم الأشعري». والمثبت من تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨٠ - ٦١ هـ) ص ٥٠٤، فقد ذكره الحافظ الذهبي ضمن وفيات الطبقة الثامنة - وقد تبع ابن كثير شيخه الذهبي في كثير مما نقله عنه من تراجم أعيان الوفيات - ويؤيد ما أثبتناه ما أورده الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب ٣/ ١٢٣٤، عن ابن المديني، أن الأشعري هو عياض بن عمرو.

وعياض بن عمرو هذا هو الذي شهد اليرموك كما ذكر ابن عبد البر، وابن عساكر، وابن الأثير، والذهبي، وابن حجر، وغير واحد. وأما عياض بن غنم فلم يذكر عنه ابن قانع في معجم الصحابة ٢/ ٢٧٧، ولا ابن حجر في الإصابة ٤/ ٧٥٨ أنه شهد اليرموك. وانظر ترجمة عياض بن عمرو الأشعري في: الاستيعاب ٣/ ١٢٣٤، وتاريخ دمشق ١٣/ ٨٠٦، مخطوط، وأسد الغابة ٤/ ٣٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨٠ - ٦١ هـ) ص ٥٠٤ والإصابة ٤/ ٧٥٦.

(٣ - ٣) في ٣١، ٢١، م: «بن عبد الله». والمثبت من تاريخ الطبري ٦/ ٢٥٧، وانظر جمهرة أنساب العرب ٢٦٧، وتاريخ الطبري ٦/ ٢٨٤ - ٢٨٩، والكامل ٤/ ٤١٩ - ٤٢٢.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

^(١) ففيها كانت غزوة عظيمة للمسلمين ببلاد الروم ففتحوا إرقليّة ، فلما رجعوا أصابهم مطرٌ عظيمٌ وتلجٌ وبردٌ ؛ فأصيب بسببه ناسٌ كثيرٌ .

وفيهما وليّ عبدُ الملكِ موسى بنُ نصيرٍ غزو بلاد المغرب جميعه ، فسار إلى طنجّة ، وقَدَّم ^(٢) على مُقدِّمته طارقًا ، فقتلوا ملوك تلك البلاد ، وبعضهم قطعوا أنفَه ونفوه ^(٣) .

وفيهما عزّل عبدُ الملكِ أمية بنُ عبدِ الله عن إمرة خراسان ، وأضافها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي مع سجستان أيضًا ، وركب الحجاج بعد فراغه من شأن شبيب ^(٣) من الكوفة إلى البصرة ، وقد استخلف على الكوفة المغيرة بن عبد الله بن عامر الحضرمي ، فقدم المهلب على الحجاج وهو بالبصرة ، وقد فرغ من شأن الأزارقة أيضًا ، فأجلسه معه على السرير ، واستدعى بأصحاب البلاء من جيشه ، فمن أثنى عليه المهلب أجزل الحجاج له العطيّة ، ثم وليّ الحجاج المهلب إمرة سجستان ، ووليّ ^(٤) «عبيد الله» بن أبي بكر إمرة خراسان ، ثم ناقل بينهما قبل خروجهما من عنده ، فقليل : كان ذلك بإشارة المهلب . وقيل : إنّه استعان بصاحب الشرطة ، وهو عبدُ الرحمن بن عبيد بن طارق العبسمي ، حتى

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) في م : « قد جعل » .

(٣) بعده في م : « إمرة » .

(٤ - ٤) في م : « عبد الله » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣٨ / ٤ .

أشار على الحجاج بذلك ، فأجابته الحجاج إلى ذلك ، وألزم المهلب بألف ألف درهم ؛ لكونه اعترض على ذلك .

[٨٩/٧ ط] قال أبو معشر^(١) : وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عبد الملك ، وكان أمير المدينة أبان بن عثمان ، وأمير العراق وخراسان وسجستان وتلك النواحي كلها الحجاج ، ونائبه على خراسان المهلب بن أبي صفرة ، ونائبه على سجستان^(٢) عبيد الله^(٣) بن أبي بكره الثقفي ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس بن مالك الأنصاري .

وقد توفي في هذه السنة من الأعيان :

جابر بن عبد الله^(٣) بن عمرو^(٣) بن حرام ، أبو عبد الله الأنصاري^(٤) السلمي ، صاحب رسول الله ﷺ ، وله روايات كثيرة ، وشهد العقبة ، وأراد أن يشهد بدرًا فمنعه أبوه ، وخلفه على أخواته وإخوته ، وكانوا تسعة ، وقيل : إنه ذهب بصره قبل موته . توفي جابر بالمدينة وعمره أربع وتسعون سنة ، وأسند ألفًا وخمسمائة وأربعين حديثًا^(٤٥) .

شريح بن الحارث بن قيس أبو أمية الكندي^(٦) ، وهو قاضي الكوفة ، وقد

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٣٢١ .

(٢ - ٢) في م : « عبد الله » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص . وترجمته في الاستيعاب ١/ ٢١٩ ، وأسد الغابة ١/ ٣٠٧ ، والإصابة ٤٣٤/١ .

(٤ - ٤) في الأصل : « وشريح القاضي وعبد الرحمن بن غنم وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل » . وما بعده ساقط من الأصل إلى قوله : « ثم دخلت سنة تسع وسبعين » .

(٥) سير أعلام النبلاء ٣/ ١٩٤ .

(٦) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٦/ ١٣١ ، وأخبار القضاة ٢/ ١٨٩ وطبقات الفقهاء ٨٠ ، =

تولّى القضاء لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ، ثم عزّله علي ، ثم ولاه معاوية ، ثم استقلّ في القضاء إلى أن مات في هذه السنة . وكان رزقه على القضاء في كل شهر مائة درهم ، وقيل : خمسمائة درهم . وكان إذا خرج إلى القضاء ، يقول : سيعلم الظالم حظّ من نقص . وقيل : إنه كان إذا جلس للقضاء قرأ هذه الآية : ﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى ﴾ الآية . [ص : ٢٦] وكان يقول : إنّ الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر ، أو المثوبة . وقيل له : كيف أصبحت ؟ فقال : كيف يصبح حال من شطّر الناس عليه غضبان ؟ وقيل : إنّ مكث قاضيا نحو سبعين سنة . وقيل : إنّ استعفى من القضاء قبل موته بسنة . فالله أعلم .

وأصله من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن ، وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ ، وتوفّي بالكوفة وعمره مائة وثمان سنين ^(١) .

= ووفيات الأعيان ٢/ ٤٦٠ ، وتهذيب الكمال ١٢/ ٣٩٨ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٠٠ .
 (١) بعده في ٣١ ، م ، ص : « زيادة : وقد روى الطبراني : ... » وهي زيادة من الناسخ وقد صرح بها الناسخ في ٣١ ، ص ، وأثرنا حذفها هنا وفيما يأتي من مواضع مع الإشارة إلى ذلك ، وذلك ليبقى الكتاب كما صنفه الحافظ ابن كثير بلفظه وطريقته .
 والذي حمل الناسخ على ذلك فقدان كتاب التكميل الذي أحال عليه المصنف في أكثر تراجم رواة الحديث وغيرهم ، فأرادوا أن يسهوا فيما أوجزه المصنف اعتمادا على ذكرهم في كتابه التكميل فأدخلوا في الكتاب - البداية والنهاية - ما ليس منه ولا سيما في المواضع التي لم يشيروا فيها بأنها زيادة منهم .
 فرأينا وضع تلك الزيادات في الحواشي والإشارة إليها في موضعها ، كما أعلنا في جميع التراجم المطولة والمختصرة إلى مصادرها الموسعة والمحققة تحقيقا علميا جيدا ، كتهديب الكمال وسير أعلام النبلاء وغيرهما وذلك في حواشي الكتاب دون المساس بأصل لفظ وطريقة المصنف - رحمه الله .
 وبهذا يتم المراد من تحقيق النص على أقرب صورة أرادها المصنف .

«عبد الرحمن»^(١) بن غنم الأشعري، نزيل فلسطين، وقد روى عن جماعة من الصحابة، وقيل: إن له ضحبة. وقد بعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليفقه أهلها في الدين، وكان من العباد الصالحين.

جنادة بن أبي^(٢) أمية الأزدي، شهد فتح مصر، وكان أميراً على غزو البحر^(٣) لمعاوية، وكان موصوفاً بالشجاعة والخير، توفى بالشام وقد قارب الثمانين.

العلاء بن زياد البصري^(٤)، كان من الصالحين العباد، من أهل البصرة، وكان كثير الخوف والورع، وكان يعتزل في بيته، ولا يخالط^(٥) الناس، وكان كثير البكاء، لم يزل يبكي حتى عمى، وله مناقب كثيرة، توفى بالبصرة في هذه السنة^(٦).

سرافقة بن مرداس الأزدي^(٧)، كان شاعراً مطبقاً^(٨)، هجا الحجاج فنفاه إلى

(١ - ١) في م: «عبد الله». وانظر ترجمته في: الاستيعاب ٢/ ٨٥٠، وأسد الغابة ٣/ ٤٨٧، والإصابة ٣٥٠/ ٤.

(٢) سقط من: النسخ، وانظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ٤٣٩، والاستيعاب ١/ ٢٤٩، وأسد الغابة ١/ ٣٥٤، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١هـ - ٨٠هـ) ص ٣٨٣.

(٣) في ٣١: «البحرين».

(٤) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ٢١٧، وطبقات خليفة ١/ ٤٨٢، وتاريخ البخاري ٦/ ٥٠٧، والخلية ٢/ ٢٤٢، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٤٩٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٢.

(٥) في ٢١: «يخالطه».

(٦) بعده في ٣١، ص: زيادة وهي من زيادات الناسخ.

(٧) ترجمته في: العقد الفريد ٢/ ١٧٠، وتاريخ دمشق ٢٠/ ١٥٦، واللباب ١/ ٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٤٠٧، والوفاء بالوفيات ١٥/ ١٣٢.

(٨) في الأصل، ٣١، ٢١، ص: «مطيقا».

الشام ، فتُوفى بها .

النابعةُ الجعدى^(١) الشاعرُ^(٢) .

السائبُ بنُ يزيدَ الكندى^(٣) ، توفى في هذه السنة .

سفيانُ بنُ سلمةَ الأسدى^(٤) .

معاويةُ بنُ قُرّةَ^(٥) البصرى^(٦) .

زُرّ بنُ حُبَيْشٍ^(٧) .

(١) الاستيعاب ٤/ ١٥١٤ ، وأسد الغابة ٥/ ٢٩١ ، والإصابة ٦/ ٣٩١ ، وطبقات فحول الشعراء ١/ ١٢٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٢٥٨ .

(٢) بعده زيادة من ٣١ ، ص .

(٣) الاستيعاب ٢/ ٥٧٦ ، وأسد الغابة ٢/ ٣٢١ ، والإصابة ٣/ ٢٦ ، والسير ٣/ ٤٣٧ .

(٤) انظر المعرفة والتاريخ ٣/ ٦٨ ، ٣٨٩ ، والثقات لابن حبان ٤/ ٣١٩ . ولعله وقع به تحريف ، ويكون صوابه «شقيق بن سلمة الأسدى أبو وائل» سيأتى فى وفيات سنة ثنتين وثمانين .

(٥) ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ٢٢١ ، والحلية ٢/ ٢٩٨ ، والسير ٥/ ١٥٣ ، وتاريخ دمشق (مخطوط) ١٦/ ٧٧٣ ، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٢١٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٤٧٢ .

(٦) بعده فى ٣١ ، ص زيادة من زيادات الناسخ .

(٧) الاستيعاب ٢/ ٥٦٣ ، وأسد الغابة ٢/ ٢٥٣ ، والإصابة ٢/ ٦٣٣ .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

ففيها وقع طاعونٌ عظيمٌ بالشامِ حتى كادوا يَفْتَنُونَ مِنْ شِدَّتِهِ ، ولم يَغْزُ فيها أحدٌ من أهلِ الشامِ لضعفِهِمْ وَقِلَّتِهِمْ ، ووصلتِ الرومُ فيها إلى أنطاكيَّةٍ ، فأصابوا خلقًا من أهلها ؛ لِعِلْمِهِمْ بضعفِ الجنودِ والمقاتِلَةِ .

وفيهما غزا عُبيدُ^(١) الله بنُ أبي بكرٍ رُثَيْيلَ^(٢) ملكَ التُّركِ^(٣) حتى أوغل في بلاده ، ثم صالحه على مالٍ يَحْمِلُهُ إليه في كلِّ سنةٍ^(٤) .

وفيهما قتل عبدُ الملكِ بنُ مروانَ الحارثَ بنَ سَعِيدِ الْمُتَنَبِّئِ الكَذَّابِ ، ويُقالُ له : الحارثُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ سَعِيدِ الدمشقيِّ ، مولى أبي الجَلَّاسِ العَبْدَرِيِّ . ويُقالُ : مولى الحَكَمِ بنِ مروانَ . كان أصلُهُ من الحَوْلَةِ^(٥) فنزل دمشقَ ، وتعبَّد بها ، وتنسكُ وترهَّد ، ثم مُكِرَ به ، ورجع القَهْقَرَى على عَقِبِهِ ، وانسلخَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تعالى ، وفارقَ حِزْبَ اللَّهِ الْمُفْلِحِينَ ، وأتبعه الشيطانُ فكان مِنَ الغاوِينَ ، ولم يَزَلِ الشيطانُ يُزُحُّ^(٥) في قَفاه حتى أخسره دينَهُ ودنياه ، وأخزاه فيهما وأشقاه ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون ، وحسبنا اللَّهُ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

(١) في ٣١، ٢١، ص : « عبد » . وانظر الطبري ٦/ ٣٢٢ ، والكامل ٤/ ٤٥٠ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٨ .

(٢) في ٣١ : « روييل » . وفي ٢١ ، ص : « روييل » .

(٣ - ٣) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٤) في م : « الجولة » . وانظر معجم البلدان ٢/ ٣٦٦ .

(٥) في ٢١ ، م : « يزج » . ويقال : زحه في قفاه : دفعه . الوسيط (ز خ ح) .

قال أبو بكر بن أبي خيثمة^(١): ثنا عبد الوهاب بن^(٢) نَجْدَةَ الحَوْطِيُّ^(٣)، حَدَّثَنَا محمد بن مبارك، ثنا الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن حسان، قال: كان الحارث الكذاب من أهل دمشق، وكان مولى لأبي الجلّاس، وكان له أبت بالحولة، فعرض له إبليس، وكان رجلاً متعبداً زاهداً، لو ليس جُبَّةً من ذهب لرئيت عليه الزّهادة والعبادة، وكان إذا أخذ في التحميد، لم يسمع السامعون مثلاً تميمه، ولا أحسن من كلامه، فكتب إلى أبيه، وكان بالحولة: يا أبتاه، أعجل عليّ؛ فإنّي قد رأيت أشياء أتخوّف أن يكون الشيطان قد عرض لي. قال: فزاده أبوه غيّا على غيّه، فكتب إليه أبوه: يا بُنَيّ، أقبل على ما أمرت به، فإنّ الله تعالى، يقول: ﴿هَلْ أَنتُم مِّن تَزَلُّ الشَّيْطَانِ﴾ [١٠٧/٩٠] تَزَلُّ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢]. ولست بأفَّاكٍ ولا أثيم، فامض لما أمرت به. فكان يجرى إلى أهل المسجد، رجلاً رجلاً، فيذاكرهم أمره، ويأخذُ عليهم العهد والميثاق، إن هو يرى ما يرضى قبل^(٤) ولا كنتم عليه.

قال: وكان يُريهم الأعاجيب؛ كان يأتي إلى رُخامة في المسجد، فينقُرُها بيده، فتسبُح تسبيحاً بليغاً حتى يَضِجَ من ذلك الحاضرون. قلت: وقد سمعتُ شيخنا العلامة أبا العباس ابن تيمية، رحمه الله، يقول: كان ينقُرُ هذه الرُخامة الحمراء التي في المقصورة، فتسبُح، وكان زنديقاً^(٥).

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢٨/١١، بنحوه. وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٥١/٦.

(٢) سقط من: م. وانظر تهذيب الكمال ٥١٩/١٨.

(٣) في م: «الجلوى». وانظر مصدر التخريج.

(٤) زيادة من مصدر التخريج.

(٥) بعده في: ص: «قال كاتبه: وهذا بعيد؛ إن هذه الرخامة المذكورة مع زخرفة الجامع، إنما قتل ذلك الوليد بن عبد الملك في أيام خلافته، وذلك بعد موت الحارث وقتله عبد الملك بمدة معروفة، وقد كان نصف الجامع الغربي بأيدي النصارى كنيسة حتى أخذه الوليد منهم، وأضافه إلى الجامع، كما ذكره =

قال ابن أبي^(١) خيثمة في رواية^(٢): وكان الحارث يُطعمهم فأكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، وكان يقول لهم: اخرجوا حتى أريكم الملائكة. فيخرج بهم إلى دير المُرّان^(٣)، فيريهم رجالاً على خيل، فتبعه على ذلك بشر كثير، وفشا أمره في المسجد، وكثر أصحابه وأتباعه، حتى وصل الأمر إلى القاسم بن مخيمرة، قال: فعرض على القاسم أمره، وأخذ عليه العهد والميثاق؛ إن هو رضى أمراً قبله، وإن كرهه كتم عليه. قال: فقال له: إني نبي. فقال القاسم: كذبت يا عدو الله، ما أنت بنبي.

وفي رواية^(٤): ولكنك أحد الكذابين الدجالين الذين أخبر عنهم رسول الله

= المؤلف فيما بعد، وهاتان الرخامتان الحمراءتان اللتان كانتا بالمقصورة قبل حريق الجامع في فتنة تمرلنك إنما أتى بهما الوليد، كما قيل من قصر ما باليمن يقال له غمدان كان يرى ظاهره من باطنه، وباطنه من ظاهره، كما قيل، ولما كان نصف الجامع مع المسلمين، والنصف الآخر بأيدي النصارى كان نصف المقصورة داخلاً فيما بأيدي النصارى، ولم تكن المقصورة ثم وإن كان قد روى أن معاوية كان قد اتخذ مقصورة في الجامع يصلي فيها، فلم تكن في هذا المكان الآن، وإنما كانت في مكان آخر من الجامع. والله أعلم. اللهم إلا أن يقال: إن الجامع إنما كان بين المسلمين والنصارى قبلياً وشمالياً، فكان للنصارى الجهة الشمالية، وللمسلمين الجهة القبلية فكانت المقصورة مكانها الآن على ما هي عليه، وقد كان الخلفاء يخرجون من دار المارة بالخضراء إلى الجامع في دهليز له باب في المقصورة، كان موجوداً قبل فتنة تمرلنك، ثم أحرق فزال، والظاهر أن الجامع لما كان بعضه بأيدي النصارى كان لهم الجهة الشمالية، وكان لهم صومعة بالجهة الشرقية مكان الحلية اليوم. وأما الزخرفة والرخام الملون إنما فعله الوليد اللهم إلا أن يقال: إن الرخامة المذكورة كانت موجودة مع غيرها في الزخرفة القديمة قبل بناء الوليد له، ويقال: إن هاتين الرخامتين إنما حملتا له من قصر بلقيس بغمدان. وقيل: إنهما من كنيسة الرها. وقيل: من بلد الفرخ. والله أعلم.

(١) سقط من الأصل، وفي ص: «عطية».

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢٨/١١.

(٣) في النسخ: «المراق». والمثبت من معجم البلدان ٦٩٦/٢. ودير المران بالقرب من دمشق، على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة. وقال في معجم البلدان: مُرّان بالضم على لفظ تننية المُرّ، والذي بالحجاز بالفتح. وانظر معجم البلدان أيضاً ٣٦٧/٢.

(٤) تاريخ دمشق ٤٢٧/١١.

عليه السلام: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ^(١) دَجَالُونَ كَذَّابُونَ»، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ^(٢). وَأَنْتَ أَحَدُهُمْ وَلَا عَهْدَ لَكَ. قَالَ^(٣): ثُمَّ قَامَ، فَخَرَجَ إِلَى أَبِي إِدْرِيسَ - وَكَانَ عَلَى الْقَضَاءِ بِدَمَشَقَ - فَأَعْلَمَهُ بِمَا سَمِعَ مِنَ الْحَارِثِ، فَقَالَ أَبُو إِدْرِيسَ: نَعْرِفُهُ. ثُمَّ أَعْلَمَ أَبُو إِدْرِيسَ عَبْدَ الْمَلِكِ بِذَلِكَ.

وفى رواية أخرى أَنَّ مَكْحُولًا، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي زَكْرِيَّا^(٤) دَخَلَا عَلَى الْحَارِثِ، فَدَعَاهُمَا إِلَى نَبْوَتِهِ، فَكَذَّبَاهُ وَرَدَّاهُ عَلَيْهِمَا قَالَا، وَدَخَلَا عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَعْلَمَاهُ بِأَمْرِهِ، فَتَطَلَّبَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ طَلَبًا حَثِيثًا،^(٥) وَاحْتَفَى^(٦) الْحَارِثُ، وَصَارَ إِلَى دَارِ بَيْتِ^(٧) الْمَقْدِسِ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ سِرًّا، وَاهْتَمَّ عَبْدُ الْمَلِكِ بِشَأْنِهِ حَتَّى رَكِبَ إِلَى الصَّنْبُرَةِ^(٨)، فَتَزَلَّهَا فَوَرَدَ عَلَيْهِ هُنَاكَ رَجُلٌ^(٩) مِنْ الْمُسْلِمِينَ^(١٠) مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ^(١١) يَمِّنُ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْحَارِثِ، وَهُوَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، فَأَعْلَمَهُ بِأَمْرِهِ وَأَيْنَ هُوَ، وَسَأَلَ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يَبْعَثَ مَعَهُ بِطَائِفَةٍ مِنَ الْجُنْدِ الْأَتْرَاكِ لِيَحْتَاطَ عَلَيْهِ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ طَائِفَةً، وَكَتَبَ إِلَى نَائِبِ الْقَدْسِ؛ لِيَكُونَ فِي طَاعَةِ هَذَا الرَّجُلِ، وَيَفْعَلَ مَا يَأْمُرُهُ

(١ - ١) فى الأصل: «دجالاً».

(٢) تقدم تخريجه فى ٢٥٠/٩.

(٣) تاريخ دمشق ٤٢٨/١١.

(٤) فى ١، ٣، ٢١، م، ص: «زائدة». وانظر تهذيب الكمال ٥٢٠/١٤، وسير أعلام النبلاء ٢٨٦/٥.

(٥ - ٥) فى الأصل: «فهرب منه».

(٦) فى م: «بيت».

(٧) فى الأصل: «الصبره» غير منقوطة، وفى ١، ٣: «الضبره»، وفى م: «النصرية» وفى ص: «النصرية». وانظر تاريخ دمشق ٤٢٨/١١. والصنبرة موضع بالأردن مقابل لعقبة أفيق، بينه وبين طبرية ثلاثة أميال. قال: ووردت محرفة فى معجم البلدان هنا فى الخير ٣٦٧/٢: «الصبيرة». انظر معجم البلدان ٣٦٧/٣، ٤١٩.

(٨ - ٨) سقط من: م.

(٩) فى الأصل، ص: «النصرية»، وفى ١، ٣، ٢: «الناصره»، وفى م: «النصرية». والمثبت من تاريخ دمشق ٤٢٩/١١.

به ، فلما وصل الرجل إلى بيت^(١) المقدس بمن معه انتدب نائب القدس لخدمته ، فأمره أن يجمع ما يقدر عليه من الشموع ، ويجعل مع كل رجل شمعة ، فإذا أمرهم بإشعالها في الليل أشعلوها كلهم في سائر الطرق [٧/ ٩٠ ظ] والأزقة ، حتى لا يخفى أمره ، وذهب الرجل بنفسه ، فدخل الدار التي فيها الحارث ، فقال لبوابه : استأذن لي على نبي الله . فقال : في هذه الساعة لا يؤذن عليه حتى يصبح . فصاح البصري : أَسْرِجُوا . فأسرج الناس شموعهم حتى صار الليل كأنه النهار ،^(٢) وهجم البصري^(٣) على الحارث ، فاخترق منه في سرب هناك ، فقال أصحابه : هيهات ، تريدون أن تصلوا إلى نبي الله ! إنه قد رُفِعَ إلى السماء .

قال : فأدخل البصري يده في ذلك السرب ، فإذا بثوبه ، فاجتره فأخرجه ، ثم قال للفرعانيين^(٣) من أتراك الخليفة : تسلموا . قال : فأخذوه فربطوه وقيدوه . فيقال : إن القيود والجامعة سقطت من عنقه مرارا ، ويعيدونها . وجعل يقرأ : ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رِيتُ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [سبا : ٥٠] . وقال لأولئك الأتراك : ﴿ أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رِيتُ اللَّهِ ﴾ [غافر : ٢٨] . فقالوا له بلسانهم ولغتهم : هذا كُرائنا فهات كُرائك . أى : هذا كُرائنا فهات قرآنك ، فلما انتهوا به إلى عبد الملك ، أمر بصلبه على خشبة ، وأمر رجلا قطعنه بحرية ، فأنشئت في ضلع من أضلاعه ، فقال له عبد الملك : ويحك ، أذكرت اسم الله حين طعنته ؟ فقال : نسيث . فقال : ويحك ، سم الله ، ثم اطعنه . قال : فذكر اسم الله ثم طعنه ، فأنقذه . وقد كان عبد الملك

(١) في م : « النصرية بيت » .

(٢ - ٣) في م : « وهم النصرى » .

(٣) في الأصل ، ٣١ ، م : « للفرعانيين » ، وفي ٢١ : « للفرعانيين » . وانظر تاريخ دمشق ٤٣٠ / ١١ .

حبسه قبل صلبه ، وأمر رجالاً من أهل العلم والفقہ أن يعطوه ويُعلموه ؛ أن هذا الذى به من الشيطان ، فأنى أن يقبل منهم ، فصلبه بعد ذلك ، وهذا من تمام العدل والدين .

وقد قال الوليد بن مسلم^(١) ، عن ابن جابر ، فحدثني من سميع غيبة^(٢) الأعور يقول : سمعتُ العلاء بن زياد العدوي يقول : ما غبطتُ عبد الملك بشيء من ولايته إلا بقتله حارثاً ، حدثتُ أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبي ، فمن قاله فاقتلوه ، ومن قتل منهم أحداً فله الجنة » .

وقال الوليد بن مسلم^(٣) : بلغني أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك : لو حضرتك ما أمرتك بقتله . قال : ولم ؟ قال : إنه إنما كان به المذهب ، فلو جوعته لذهب ذلك عنه . وقال الوليد^(٤) ، عن المنذر بن نافع : سمعتُ خالد بن اللجلاج^(٥) يقول لعَيْلان : ويحك يا عَيْلان ، ألم تأخذك فى شبيبتيك تُرامى النساء فى شهر رمضان بالتفاح ، ثم صرّت حارثياً يحجب امرأته ، ويَزْعُم أنها [٩١/٧] أم المؤمنين ، ثم تحوّلت فصِرّت قَدْرِيّاً زنديقا .

وفيهما غزا عبيد الله بن أبي بكر رُثَيْيل^(٥) - ملك التُّرك الأعظم فيهم - وقد كان يُصانع المسلمين تارة ، ويتمرّد أخرى ، فكتب الحجاج إلى ابن عبيد الله بن

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٢٧/١١ من طريق الوليد بن مسلم به .

(٢) سقط من : م . وانظر مصدر التخریج .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٣٠/١١ ، من طريق الوليد بن مسلم به .

(٤) فى ٣١ ، ٢١ ، ص : « الجلاح » . وفى م : « الجلخ » . وانظر تهذيب الكمال ١٦٠/٨ .

(٥) فى ٣١ : « زنبيل » ، وكذا فى المواضع التالية ، وانظر تاريخ الطبرى ٣٢٢/٦ .

أبى بكره^(١) «أَنْ نَاجِزَهُ» بَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَسْتَبِيحَ أَرْضَهُ، وَتَهْدِمَ قَلَاعَهُ، وَتَقْتُلَ مُقَاتِلَتَهُ. فَخَرَجَ فِي جَمْعٍ مِنَ الْجُنُودِ مِنْ بِلَادِهِ وَخَلَعَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ،^(٢) ثُمَّ التَقَى مَعَ زُبَيْلٍ - مَلِكِ الثُّوَكِ - فَكَسَرَهُ^(٣) وَهَدَمَ أَرْكَانَهُ بِسَطْوَةِ بَثَّارَةٍ، وَجَاسَ ابْنُ أَبِي بَكْرَةَ وَجُنْدُهُ خِلَالَ دِيَارِهِمْ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَقَالِيمِهِ وَمُدُنِهِ وَأَمْصَارِهِ، وَتَبَرَّ مَا هُنَالِكَ تَبِيرًا، ثُمَّ إِنَّ زُبَيْلَ تَقَهَّقَرَ مِنْهُ مُثْمِرًا^(٤)، وَمَا زَالَ يَتْبَعُهُ حَتَّى اقْتَرَبَ مِنْ مَدِينَةِ الْعُظْمَى، حَتَّى كَانُوا مِنْهَا عَلَى ثَمَانِيَةِ عَشَرَ فَرْسَخًا، وَخَافَتِ الْأَتْرَاكُ مِنْهُمْ خَوْفًا شَدِيدًا، ثُمَّ إِنَّ التَّرِكَ أَخَذَتْ عَلَيْهِمُ الطُّرُقَ وَالشُّعَابَ، وَضَيَّقُوا عَلَيْهِمُ الْمَسَالِكَ حَتَّى ظَنُّ كُلٌّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ لَا مُحَالَاةَ هَالِكًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ طَلَبَ عِيْدُ اللَّهِ أَنْ يُصَالِحَ زُبَيْلَ عَلَى أَنْ «يُدْفَعَ إِلَيْهِ» سَبْعُمَائَةِ أَلْفٍ، وَيَفْتَحُوا لِلْمُسْلِمِينَ طَرِيقًا يَخْرُجُونَ مِنْهُ،^(٥) وَيَرْجِعُونَ عَنْهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ^(٦). فَانْتَدَبَ شُرَيْحُ بْنُ هَانِي الْحَارِثِيُّ - وَكَانَ صَحَابِيًّا، وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ أَصْحَابِ عَلِيٍّ، وَهُوَ الْمُقَدَّمُ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ - فَندَبَ النَّاسَ إِلَى الْقِتَالِ وَالْمُصَابِرَةِ وَالتَّزَالِ وَالْجَلَادِ بِالسُّيُوفِ وَالرِّمَاحِ وَالتَّبَالِ، فَنهَاةَ عُيْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، فَلَمْ يَنْتَهُ، وَأَجَابَهُ شِرْذِمَةٌ مِنَ النَّاسِ مِنَ الشُّجْعَانِ وَأَهْلِ الْحَفَائِظِ، فَمَا زَالَ يُقَاتِلُ بِهِمُ التَّرِكَ حَتَّى فَنِيَ أَكْثَرُ الْمُسْلِمِينَ،^(٧) «فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»^(٨). قَالُوا^(٩): وَجَعَلَ شُرَيْحُ بْنُ هَانِي يَزْتَجِرُ، وَيَقُولُ:

(١ - ١) فِي م: «تَأْخُذَهُ».

(٢ - ٢) فِي الْأَصْلِ: «وَمَا انْفَكَ حَتَّى».

(٣) سَقَطَ مِنْ: م.

(٤ - ٤) فِي ١، ٣، ٢، م، ص: «يَأْخُذُ مِنْهُ». وَانْظُرْ تَارِيخَ الطَّبْرِيِّ ٦/٣٢٣.

(٥ - ٥) زِيَادَةٌ مِنْ: ١، ٣، ٢، م، ص.

(٦ - ٦) فِي ١، ٣، ٢، م، ص: «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

(٧) تَارِيخَ الطَّبْرِيِّ ٦/٣٢٣.

أَصْبَحْتُ ذَا بَتْ أَقَاسِي الْكِبَرَا قَدْ عِشْتُ بَيْنَ الْمَشْرِكِينَ أَعْصُرَا
ثُمَّتْ أَدْرَكْتُ النَّبِيَّ الْمُنْذِرَا وَبَعْدَهُ صِدِّيقَهُ وَعُمَرَا
وَيَوْمَ مِهْرَانَ وَيَوْمَ تُشْتَرَا وَالْجَمْعَ فِي صِفِّيهِمْ وَالنَّهْرَا
هَيْهَاتَ مَا أَطْوَلَ هَذَا عُمُرَا

ثم قاتل حتى قُتِل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقُتِلَ مَعَهُ خَلْقٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ خَرَجَ مِنَ النَّاسِ صُحْبَةً عُبيدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ مِنْ أَرْضِ رُثَيْلٍ، وَهُمْ قَلِيلٌ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْحِجَاجَ، فَأَخَذَهُ مَا تَقَدَّمَ، وَمَا تَأَخَّرَ. وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ، وَيَسْتَشِيرُهُ فِي بَعثِ جَيْشٍ كَثِيفٍ إِلَى بِلَادِ رُثَيْلٍ؛ لِيَنْتَقِمُوا مِنْهُ بِسَبَبِ مَا حَلَّ بِالْمُسْلِمِينَ فِي بِلَادِهِ، فَحِينَ وَصَلَ الْبَرِيدُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ كَتَبَ إِلَى الْحِجَاجِ بِالْمُوافَقَةِ عَلَى مَا رَأَى مِنَ الْمَصْلَحَةِ فِي ذَلِكَ، ^(١) وَأَنْ يُعَجَّلَ ذَلِكَ سَرِيعًا، فَحِينَ وَصَلَ الْبَرِيدُ إِلَى الْحِجَاجِ بِذَلِكَ أَخَذَ فِي جَمْعِ الْجِيُوشِ، فَجَهَّزَ جَيْشًا كَثِيفًا لِذَلِكَ. عَلَى مَا سَيَأْتِي تَفْصِيلُهُ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ بَعْدَهَا. ^(٢) وَقِيلَ: إِنَّهُ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَعَ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ ثَلَاثُونَ أَلْفًا، وَاتَّبَعَ الرَّغِيفُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ بِدِينَارٍ، وَقَاسُوا شِدَائِدَ، وَمَاتَ بِسَبَبِ الْجُوعِ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ أَيْضًا. فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. وَقَدْ قَتَلَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ التَّرِكِ خَلْقًا كَثِيرًا أَيْضًا؛ قَتَلُوا أَضْعَافَهُمْ ^(٣).

وَيُقَالُ ^(٢): إِنَّهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْفَى شُرَيْحٌ مِنَ الْقَضَاءِ [٧/٩١ ظ] فَأَعْفَاهُ الْحِجَاجُ مِنْ ذَلِكَ، وَوَلَّى مَكَانَهُ أَبَا بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ. ^(٣) وَقَدْ تَقَدَّمَ ^(٣)

(١ - ١) زيادة من: ١، ٣، ١، ٢، م، ص.

(٢) تاريخ الطبري ٦/٣٢٤، والكمال ٤/٤٥٢.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

^(١) ترجمة شريح عند وفاته في السنة الماضية ^(٢) . والله أعلم ^(٣) .

قال الواقدي ، وأبو معشر ، وغير واحد من أهل السير ^(٤) : وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان أمير المدينة النبوية .

وفي هذه السنة قُتل قَطْرِيُّ بْنُ الْفُجَاءَةِ التَّمِيمِيُّ ، أَبُو نَعَامَةَ الْخَارِجِيُّ ^(٥) ، وكان من الشُّجْعَانِ المشاهير . ويقال : إنه مكث عشرين سنة يُسلم عليه أصحابه من الخوارج بالخلافة ، وقد جرت له خُطوبٌ وحروبٌ مع جيش المهلب بن أبي صفرة من جهة الحجاج وغيره . وقد قَدَّمنا منها طرفًا صالحًا في أماكنه .

وكان خروجه في زمن مُصْعَبِ بْنِ الزَّيْبِرِ ، وتغلَّب على قِلاع كثيرة وأقاليم وغيرها ، ووقائعُه مشهورة ، وقد أرسل إليه الحجاج جيوشًا كثيرة فهزَمَها . وقيل ^(٦) : إنَّه برز إليه رجلٌ من بعض الحُرُورِيَّةِ ، وهو على فرسٍ أعجَفَ ، ويده عمودٌ حديد ، فلما قرب منه كشف قَطْرِيٌّ عن وجهه ، فولى الرجلُ هاربًا ، فقال له قَطْرِيٌّ : إلى أين ؟ أَمَا تَسْتَحْيِي أَنْ تَفِرَّ وَلَمْ تَرَطَعْنَا وَلَا ضَرْبًا ؟ فقال : إنَّ الإنسان لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَفِرَّ مِنْ مِثْلِكَ . ثم إنَّه ^(٧) في آخر أمره توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبي في جيش فاقتلوا بطبرستان ، فعثر بقَطْرِيٍّ فرسه فوقع إلى الأرض ، فتكاثروا عليه فقتلوه وحملوا رأسه إلى الحجاج . وقيل ^(٨) : إنَّ الذي قتله سودة بن الحر الدارمي .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) تقدمت ترجمته في صفحة ٢٨١ .

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ٣٢٤ .

(٤) انظر ترجمته في : المعارف ٤١١ ، ووفيات الأعيان ٩٣ / ٤ ، وسير أعلام النبلاء ٤ / ١٥١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٥١٠ .

(٥) وفيات الأعيان ٩٣ / ٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣٣٩ .

(٦) زيادة من : م .

(٧) وفيات الأعيان ٩٣ / ٤ ، ٩٤ ، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣٤٠ .

وَكَانَ قَطْرِيُّ بْنُ الْفُجَاءَةِ - مع شجاعته المفرطة وإقدامه - من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة وجودة الكلام والشعر الحسن، فمن مُستجادٍ شعره قوله يُشَجِّعُ نفسه وغيره، ومن سَمِعَهَا انتَفَعَ بها :

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعًا مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَنْ تُرَاعَى
فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ عَلَى الْأَجْلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعَى
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا فَمَا نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ
وَلَا ثَوْبُ الْحَيَاةِ بِثَوْبٍ عِزٍّ فَيُطَوَّى عَنْ أَجْحَى الْخَنَعِ الْيَرَاعِ
سَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ وَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِي
وَمَنْ لَا يَغْتَبِطُ يَسْأَمُ وَيَهْرَمُ وَتُسَلِّمُهُ الْمَنُونُ إِلَى انْقِطَاعِ
وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَا عُذُّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ
ذَكَرَهَا صَاحِبُ الْحِمَاسَةِ، وَاسْتَحْسَنَهَا ابْنُ خَلِّكَانَ فِي تَارِيخِهِ كَثِيرًا^(١).

وفيهَا تُوفَّى عبيدُ اللَّهِ بنُ أَبِي بَكْرَةَ^(٢)، رَجِمَهُ اللَّهُ، وَهُوَ أَمِيرُ الْجَيْشِ الَّذِي دَخَلَ بِلَادَ التُّرْكِ، وَقَاتَلُوا رُثَيْلَ - مَلِكَ التُّرْكِ - وَقَدْ قُتِلَ مِنْ جَيْشِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مَعَ شُرَيْحِ بْنِ هَانِيٍّ، كَمَا تَقَدَّمَ ذَلِكَ. وَقَدْ دَخَلَ عبيدُ اللَّهِ بنُ أَبِي بَكْرَةَ عَلَى الْحِجَّاجِ مَرْءَةً وَفِي يَدِهِ خَاتَمٌ، فَقَالَ لَهُ الْحِجَّاجُ^(٣): كَمْ خَتَمْتَ بِخَاتَمِكَ هَذَا؟ قَالَ: عَلَى أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ. قَالَ: فَفِيمَ أَنْفَقْتَهَا؟ قَالَ: فِي اضْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ، وَرَدِّ الْمَلْهُوفِ وَالْمُكَافَأَةِ بِالصَّنَائِعِ، وَتَرْوِيجِ الْعُقَائِلِ. وَقِيلَ^(٤): إِنَّ عبيدَ اللَّهِ عَطِشَ يَوْمًا

(١) الحماسة لأبي تمام ١/ ١٦١، ووفيات الأعيان ٤/ ٩٤، وانظر نهاية الأرب ٣/ ٢٢٧.

(٢) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ١٩٠، وطبقات خليفة ١/ ٤٨٤ وتاريخ دمشق ٤٤/ ٤٣٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٤٧٧، ومراة الجنان ١/ ١٦١.

(٣) تاريخ دمشق (ط مجمع اللغة العربية) ٤٤/ ٤٣٨ بنحوه.

(٤) المصدر السابق ٤٤/ ٤٤٥، ٤٤٦ مطولاً.

فَأَخْرَجَتْ لَهُ امْرَأَةً كَوْزَ مَاءٍ بَارِدٍ فَأَعْطَاهَا ثَلَاثِينَ أَلْفًا . وَقِيلَ^(١) : إِنَّهُ أُهْدِيَ إِلَيْهِ وَصِيفٌ وَوَصِيفَةٌ ، وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : خُذْهُمَا لَكَ . ثُمَّ فَكَّرَ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّ إِثَارَ بَعْضِ الْجُلَسَاءِ عَلَى بَعْضِ لَشَعِّ قَبِيحٍ وَدَنَاءَةٌ رَدِيئَةٌ . ثُمَّ قَالَ : يَا غَلَامُ ، ادْفَعْ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ جُلَسَائِي وَصِيفًا وَوَصِيفَةً . فَأُحْصِيَ ذَلِكَ فَكَانُوا ثَمَانِينَ وَصِيفًا وَوَصِيفَةً .

تُوفِيَ عَبِيدُ اللَّهِ بَنُو أَبِي بَكْرَةَ يُبْسِتُ^(٢) . وَقِيلَ : بِذَرِيحٍ^(٣) . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) المنتظم ٦/ ٢٢٠ ، ٢٢١ بنحوه .

(٢) بُسْتُ : مدينة بين سجستان وغزني . معجم البلدان ١/ ٦١٢ .

(٣) في م : « بذرخ » .

ثم دخلت سنة ثمانين من الهجرة النبوية

فيها كان السيل الجحاف بمكة؛ لأنه جحف على كل شيء مر به، وحمل الحجاج من بطن مكة والجمال بما عليها، والرجال والنساء لا يستطيع أحد أن يُنقذهم منه، وبلغ الماء إلى الحجون^(١)، وغرق خلق كثير، وقيل^(٢): إنه ارتفع حتى كاد أن يغطي البيت. والله أعلم.

وحكى ابن جرير عن الواقدي أنه قال^(٣): كان بالبصرة في هذه السنة الطاعون الجارف. فإله أعلم. والمشهور أنه كان في سنة تسع وستين، كما تقدم^(٤).

وفيها قطع المهلب بن أبي صفرة نهر بلخ^(٥)، وأقام بكش سنتين صابراً مصابراً للأعداء من الأتراك، وجرث له معهم هناك فصول يطول ذكرها. وقدم عليه في غبون^(٦) هذه المدّة كتاب ابن الأشعث بخلفه الحجاج، فبعثه المهلب برؤيته إلى الحجاج حتى قرأه، ثم كان ما سيأتى بيانه وتفصيله فيما بعد من حروب ابن الأشعث.

وفي هذه السنة جهّز الحجاج الجيوش من البصرة والكوفة وغيرهما، لقتال

(١) الحجون: جبل بأعلى مكة. معجم البلدان ٢/٢١٥.

(٢) تاريخ الطبري ٦/٣٢٥، والكامل ٤/٤٣٥، والمنتظم ٦/٢١١.

(٣) تاريخ الطبري ٦/٣٢٥.

(٤) تقدم في صفحة ١٢٦.

(٥) سقط من: م.

(٦) في م: «غزون».

رُثَيْلَ مَلِكِ التُّرْكِ ؛ لِيَقْتَصُوا مِنْهُ مَا كَانَ مِنْ قَتْلِ جَيْشِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ ، فَجَهَّزَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، مِنْ كُلِّ مِنَ الْمَصْرِيِّينَ [٧/٩٢و] عَشْرِينَ أَلْفًا ، وَأَمَرَ عَلَى الْجَمِيعِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ مَعَ أَنَّهُ كَانَ الْحَجَّاجُ يُنْفِضُهُ جَدًّا ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَقُولُ^(١) : مَا رَأَيْتُهُ قَطُّ إِلَّا هَمَمْتُ بِقَتْلِهِ .

وَدَخَلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ يَوْمًا عَلَى الْحَجَّاجِ وَعِنْدَهُ عَامِرُ الشَّعْبِيِّ ، فَقَالَ^(٢) : انْظُرْ إِلَى مِشْيَتِهِ ، وَاللَّهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَضْرِبَ عُقْنَهُ . فَأَسْرَهَا الشَّعْبِيُّ إِلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ ، فَقَالَ ابْنُ الْأَشْعَثِ : وَأَنَا وَاللَّهِ لَأَجْهَدَنَّ أَنْ أُزِيلَهُ عَنْ سُلْطَانِهِ إِنْ طَالَ بِي وَبِهِ الْبَقَاءُ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْحَجَّاجَ أَخَذَ فِي اسْتِعْرَاضِ هَذِهِ الْجِيُوشِ ، وَبَذَلَ فِيهِمُ الْعَطَاءَ ، ثُمَّ اخْتَلَفَ رَأْيُهُ فِي مَنْ يُؤْمَرُ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ وَقَعَ اخْتِيَاؤُهُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ ، فَقَدَّمَهُ عَلَيْهِمْ ، فَأَتَى^(٣) عُمُّهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْأَشْعَثِ ، فَقَالَ لِلْحَجَّاجِ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ تُؤْمَرَهُ فَلَا يَرَى لَكَ طَاعَةً إِذَا جَاوَزَ جِسْرَ الْفُرَاتِ^(٤) . فَقَالَ : لَيْسَ هُوَ هُنَالِكَ ، هُوَ لِي أَهْيَبُ^(٥) وَمَنِي أَرْهَبُ^(٦) أَنْ يُخَالِفَ أَمْرِي أَوْ يَخْرُجَ عَنْ طَاعَتِي . فَأَمَضَاهُ عَلَيْهِمْ ، فَسَارَ ابْنُ الْأَشْعَثِ بِالْجِيُوشِ نَحْوَ أَرْضِ رُثَيْلٍ ، فَلَمَّا بَلَغَ رُثَيْلَ مَجِئُ ابْنِ الْأَشْعَثِ بِالْجُنُودِ إِلَيْهِ كَتَبَ إِلَيْهِ رُثَيْلٌ يَعْتَذِرُ مِمَّا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ فِي بِلَادِهِ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ ، وَأَنَّهُ كَانَ لَذَلِكَ كَارَهَا ،

(١) تاريخ الطبري ٣٢٧/٦ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) في الأصل : «أبى» .

(٤) في ٣١ ، ص ، م : «الصراه» ، وفي ١ ٢ : «القراه» . وانظر تاريخ الطبري ٣٢٨/٦ .

(٥) في م : «حبيب» .

(٦) في الأصل : «أرغب» .

وَأَنَّهُمْ^(١) أُلْجِئُوهُ إِلَى قِتَالِهِمْ ، وَسَأَلَ مِنْ ابْنِ الْأَشْعَثِ أَنْ يُصَالِحَهُ ، وَأَنْ يَذُلَّ
لِلْمُسْلِمِينَ الْخَرَاجَ ، فَلَمْ يُجِبْهُ ابْنُ الْأَشْعَثِ إِلَى ذَلِكَ ، وَصَمَّ عَلَى دُخُولِ بِلَادِهِ ،
وَجَمَعَ رُثَيْلُ جُنُودَهُ وَتَهَيَّأَ لَهُ وَلِحَرْبِهِ ، وَجَعَلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ كُلَّمَا دَخَلَ بَلَدًا ، أَوْ
مَدِينَةً ، أَوْ أَخَذَ قَلْعَةً مِنْ بِلَادِ رُثَيْلٍ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا نَائِبًا مِنْ جِهَتِهِ ،^(٢) وَجَعَلَ مَعَهُ
مَنْ^(٣) يَحْفَظُهَا لَهُ ، وَجَعَلَ الْمَسَالِحَ^(٤) عَلَى كُلِّ أَرْضٍ وَمَكَانٍ مَخُوفٍ ، فَاسْتَحْوَذَ
عَلَى بِلَادٍ ، وَمُدُنٍ كَثِيرَةٍ مِنْ بِلَادِ رُثَيْلٍ ، وَغَنِمَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً جَزِيلَةً ، وَسَبَى خَلْقًا
كَثِيرَةً ، ثُمَّ حَبَسَ النَّاسَ عَنِ التَّوَعُّلِ فِي بِلَادِ رُثَيْلٍ حَتَّى يُصْلِحُوا مَا بَأْيَدِهِمْ مِنْ
الْبِلَادِ ، وَبِتَقْوَا بِمَا فِيهَا مِنَ الْمُغَلَّاتِ وَالْحَوَاصِلِ ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُوا فِي الْعَامِ الْمَقْبِلِ إِلَى
أَعْدَائِهِمْ فَلَا يَزَالُونَ يَجُوزُونَ الْأَرْضَ وَالْأَقَالِيمَ حَتَّى يُحَاصِرُواهُمْ فِي مَدِينَتِهِمْ -
مَدِينَةِ الْعُظْمَاءِ - عَلَى الْكُنُوزِ وَالْأَمْوَالِ وَالذَّرَارِي حَتَّى يَغْنَمُوهَا ثُمَّ يَقْتُلُونَ
مُقَاتِلَتَهُمْ ، وَعَزَمُوا عَلَى ذَلِكَ ؛ وَكَانَ هَذَا هُوَ الرَّأْيُ .

وَكَتَبَ ابْنُ الْأَشْعَثِ إِلَى الْحَجَّاجِ يُخْبِرُهُ بِمَا وَقَعَ مِنَ الْفَتْحِ وَمَا صَنَعَ اللَّهُ لَهُمْ ،
وَبِهَذَا الرَّأْيِ الَّذِي رَأَاهُ لَهُمْ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ^(٥) : كَانَ الْحَجَّاجُ قَدْ وَجَّهَ هِمِّيَّانَ بَنِي
عَدِيٍّ السُّدُوسِيِّ إِلَى^(٦) «كَرْمَانَ ، مَسْلُحَةَ»^(٧) لِأَهْلِهَا ، لِيُمَدَّ عَامِلُ سِجِسْتَانَ وَالسُّنْدِ
إِنْ احتاجا إِلَى ذَلِكَ ، فَعَصَى هِمِّيَّانُ وَمَنْ مَعَهُ^(٨) ، فَوَجَّهَ الْحَجَّاجُ إِلَيْهِ ابْنَ
الْأَشْعَثِ ، فَهَزَمَهُ وَأَقَامَ^(٩) بَيْنَ مَعِهِ .

(١) فِي ١ ، ٣ ، ١ ، ٢ : م : «أَنَّ الْمُسْلِمِينَ هُمُ الَّذِينَ» .

(٢ - ٣) سَقَطَ مِنْ : ١ ، ٣ ، ١ ، ٢ ، م .

(٣) فِي م : «الْمَشَايِخُ» .

(٤) تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٦ / ٣٢٩ .

(٥ - ٦) فِي م : «كَرْمًا مَسْلُحًا» . وَالْمَسْلُحَةُ : الْقَوْمُ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ الثَّغُورَ مِنَ الْعَدُوِّ ، وَشُمُّوا مَسْلُحَةً ؛
لَأَنَّهُمْ يَكُونُونَ ذَوِي سِلَاحٍ . النِّهَايَةُ ٢ / ٣٨٨ .

(٦) بَعْدَهُ فِي ١ ، ٣ ، ١ ، ٢ ، م ، ص : «عَلَى الْحَجَّاجِ» .

(٧) بَعْدَهُ فِي ١ ، ٣ ، ١ ، ٢ ، م ، ص : «ابْنُ الْأَشْعَثِ» .

ومات عبيدُ الله بنُ أبي بَكْرَةَ، فكتبَ الحجاجُ إلى ابنِ الأشعثِ بإمرةِ
سِجِسْتَانَ مكانَ ابنِ أبي بَكْرَةَ، وجَهَّزَ إلى ابنِ الأشعثِ جيشًا أنفقَ عليهم ألفي
ألفِ سِوى أعطياتِهِم، [٩٢/٧ ظ] وكان يُدعى هذا الجيشُ جيشَ الطَّوَّائِسِ،
وأمره بالإقدام على رُتَيْبِلَ، فكان من أمرِهِ معه ما تقدَّم.

قال الواقديُّ وأبو مَعْشَرٍ^(١): وحجَّ بالناسِ في هذه السنةِ أبانُ بنُ عُثْمَانَ.
وقال غيرُهُما: بل حجَّ بهم سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ. وكان على الصَّائفةِ في هذه
السنةِ الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ، وعلى المدينةِ أبانُ بنُ عُثْمَانَ، وعلى المشرقِ بكماله
الحجاجُ، وعلى قضاءِ الكوفةِ أبو بُرْدَةَ بنُ أبي موسى، وعلى قضاءِ البصرةِ موسى
ابنُ أنسِ بنِ مالكٍ.

ومَن توفَّى في هذه السنةِ مِنَ الأعيانِ :

أُسْلَمُ^(٢) مولى عمر^(٣) بن^(٤) الخطابِ : وهو أبو زيد بنُ أسلمَ، أصله من
سبيِ عينِ التمرِ، اشتراه عمرُ بمَكَّةَ لما حجَّ سنةَ إحدى عَشْرَةَ، وتوفَّى وعمره مائةٌ
وأربعَ عَشْرَةَ سنةً، وروى عن عمرَ عدةَ أحاديثٍ، وروى عن غيره من أصحابِهِ
أيضًا، وله مناقبُ كثيرةٌ، رَجَمَهُ اللهُ.

جُبَيْرُ بنُ نَفِيرٍ بنِ مالِكِ الحَضْرَمِيِّ^(٥)، له صحبةٌ^(٦) وروايةٌ، وكان من علماءِ

(١) تاريخ الطبري ٣٢٩/٦، ٣٣٠.

(٢) انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ١٠/٥، وتهذيب الكمال ٥٢٩/٢، وسير أعلام النبلاء ٩٨/٤،
وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣٦١.

(٣) بعده في الأصل: «وجبير بن نفير وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب صحابي جليل وأبو إدريس
الخلولاني قاضي دمشق. وقد ترجمتهم في كتابنا التكميل. والله الحمد».

(٤) من هنا حتى نهاية ترجمة أبي إدريس الخولاني زيادة من: ٣١، ٢١، ٢، م، ص.

(٥) الاستيعاب ٢٣٤/١، وأسد الغابة ٣٢٤/١، والإصابة ٥٣١/١.

(٦) كذا في النسخ، وفي هذا نظر، فقد اتفق على أن جبيرا أدرك النبي ﷺ ولكنه لم يره فعلى ذلك =

أهل الشام ، وكان مشهورًا بالعبادة والعلم ، توفى بالشام وعمره مائة وعشرون سنة ، وقيل أكثر ، وقيل ، أقل .

عبدُ الله بنُ جعفر بن أبي طالب^(١) : وُلِدَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَأُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ غَمَيْسٍ ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَفَاةً ، سَكَنَ الْمَدِينَةَ ، وَلَمَّا اسْتَشْهِدَ أَبُوهُ جَعْفَرٌ بِمُوتِهِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ إِلَى أُمِّهِمْ فَقَالَ : « أَتَتُونِي بَيْنِي أَخِي » . فَأَتَى بِهِمْ كَانَتْهُمْ أَفْرُخٌ ، فَدَعَا بِالْحَلَاقِ فَحَلَقَ رِعْوَسَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَتِهِ » . فَجَاءَتْ أُمُّهُمْ فَذَكَرَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ شَيْءٌ ، فَقَالَ : « أَنَا لَهُمْ عَوْضًا مِنْ أَبِيهِمْ »^(٢) . وَقَدْ بَايَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ وَعُمُرُهُمَا سَبْعُ سِنِينَ ، وَهَذَا لَمْ يَتَّفِقْ لغيرهما .

وكان عبدُ الله بنُ جعفرٍ من أسخى الناس ، يُعْطَى الْجَزِيلَ الْكَثِيرَ وَيَسْتَقِلُّهُ ، وَقَدْ تَصَدَّقَ مَرَّةً بِأَلْفِي أَلْفٍ ، وَأَعْطَى مَرَّةً رَجُلًا سِتِينَ أَلْفًا ، وَمَرَّةً أَعْطَى رَجُلًا أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِينَارٍ ، وَقِيلَ^(٣) : إِنَّ رَجُلًا جَلَبَ مَرَّةً شُكْرًا إِلَى الْمَدِينَةِ فَكَسَدَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَشْتَرِهِ أَحَدٌ ، فَأَمَرَ ابْنُ جَعْفَرٍ قِيَمَهُ أَنْ يَشْتَرِيَهُ ، وَأَنْ يَهَبَهُ لِلنَّاسِ . وَقِيلَ^(٤) : إِنَّ مَعَاوِيَةَ لَمَّا حَجَّ وَنَزَلَ الْمَدِينَةَ^(٥) فِي دَارِ مَرْوَانَ قَالَ يَوْمًا لِحَاجِبِهِ : انْظُرْ هَلْ تَرَى بِالْبَابِ الْحَسَنَ أَوِ الْحُسَيْنَ أَوْ ابْنَ جَعْفَرٍ أَوْ فُلَانًا - وَعَدَّ جَمَاعَةً - فَخَرَجَ فَلَمْ يَرِ

= لا يعد صحابيًّا . وانظر المصادر السابقة . وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣٨١ .

(١) الاستيعاب ٣ / ٨٨٠ ، وأسد الغابة ٣ / ١٩٨ ، والإصابة ٤ / ٤٠ .

(٢) تقدم تخريجه في ٦ / ٤٤٦ ، بنحوه ، وانظر تاريخ دمشق ٢٧ / ٢٥٤ - ٢٥٧ .

(٣) تاريخ دمشق ٢٧ / ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٤) تاريخ دمشق ٢٧ / ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٥) سقط من : م .

أحدًا، فقيل له : هم مجتمعون عند عبد الله بن جعفر يتغذون . فأتى معاوية فأخبره ، فقال : ما أنا إلا كأحدهم . ثم أخذ عصا فتوگأ عليها ثم أتى باب ابن جعفر ، فاستأذن عليه ، ودخل فأجلسه فى صدر فراشه ، فقال له معاوية : أين غداؤك يا ابن جعفر ؟ فقال : وما تشتهى من شىء فاذع به . فقال معاوية : أطعمنا مئخا . فقال : يا غلام ، هات مئخا . فأتى بصحفة^(١) فأكل معاوية ، ثم قال ابن جعفر لغلامه : هات مئخا . فجاء بصحفة^(١) أخرى ملآنة مئخا إلى أن فعل ذلك ثلاث مرآت . فتعجب معاوية وقال : يا ابن جعفر ، ما يسعك^(٢) إلا الكثير من العطاء . فلما خرج معاوية أمر له بخمسين ألف دينار . وكان ابن جعفر صديقًا لمعاوية ، وكان يفد عليه كل سنة فيعطيه ألف ألف درهم ، ويقضى له مائة حاجة . ولما حضرت معاوية الوفاة أوصى ابنه يزيد به^(٣) . فلما قدّم ابن جعفر على يزيد قال له : كم كان أمير المؤمنين يعطيك كل سنة ؟ قال : ألف ألف . فقال له : قد أضعفناها لك . وكان يعطيه ألف ألف كل سنة . فقال له^(٤) عبد الله بن جعفر : بأبى أنت وأمى ، ما قلتها لأحد قبلك ، ولا أقولها لأحد بعدك . فقال له يزيد : ولا أعطاكها أحد قبلى ولا يعطيكها أحد بعدى .

وقيل^(٥) : إنه كان عند ابن جعفر جارية تغنيه تُسمى عمارة ، وكان يحبها محبة عظيمة ، فحضر عنده يزيد بن معاوية يومًا ، فغنت الجارية ، فلما سمعها يزيد

(١) فى م : « بصحفة » .

(٢) فى م : « يشبعك » .

(٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) فى م : « عبد الملك » .

(٥) تاريخ دمشق ٢٧/٢٨٦ - ٢٩٠ مطولاً .

افتتن بها ولم يجسر على ابن جعفر أن يطلبها منه ، ^(١) خوفاً أن يمنعه إياها ، فلم يزل فى نفس يزيد منها حتى مات أبوه معاوية ، فبعث يزيد رجلاً من أهل العراق ^(٢) ودفع إليه تجارة ^(٣) وأمره أن يتلطف ^(٤) فى أمر هذه الجارية ، فقدم الرجل المدينة ، ونزل جوار ابن جعفر وأهدى إليه هدايا وتُحفاً كثيرة ، وأنس به ، ولا زال حتى أخذ الجارية وأتى بها ^(٥) يزيد . وكان الحسن البصرى يذم ^(٦) « عبد الله » بن جعفر على سماعه الغناء واللهو ، وبشرائه المولدات ، ويقول : أما يكفيه هذا الأمر القبيح الذى هو متلبس به من هذه الأشياء وغيرها ؟ حتى زوج الحجاج بنت رسول الله ﷺ ، وكان الحجاج يقول : إنما تزوجتها لأذل بها آل أبى طالب . وقيل : إنه لم يصل إليها . وقد كتب عبد الملك إليه أن يطلقها فطلقها . أسند عبد الله بن جعفر ثلاثة عشر حديثاً .

أبو إدريس الخولاني ^(٧) : اسمه عائذ الله بن عبد الله ، له أحوال ومناقب ، كان يقول ^(٨) : قلب نقي فى ثياب دينة خير من قلب دينس فى ثياب نقيّة . وقد تولى القضاء بدمشق ، وقد ذكرنا ترجمته فى كتابنا « التكميل » ^(٩) .

مغبد الجهنى القدرى ^(١٠) : يقال : إنه معبد بن عبد الله بن عكيم ^(١١) ، راوى

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م : « يتطلع » .

(٣) سقط من : م .

(٤) ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٤٤٨/٧ ، وحلية الأولياء ١٢٢/٥ ، وتهذيب الكمال ٨٨/١٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢٧٢/٤ .

(٥) حلية الأولياء ١٢٢/٥ .

(٦) تقدمت الإشارة إليه فى ٢٩/١ .

(٧) ترجمته فى : تاريخ دمشق ٧٩٧/١٦ مخطوط ، وتهذيب الكمال ٢٨/٢٤٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٨٥/٤ .

(٨) فى الأصل : « عويمر » . وهو قول فى اسم جده كما فى تهذيب الكمال . وفى ٣١ ، ٢١ ، ص ، =

حديث : « لا تَتَفَعُوا مِنَ الْمَيْتَةِ بِإِهَابٍ وَلَا عَصَبٍ »^(١) . وقيل غير ذلك في نسبه .
 سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَابْنِ عَمْرٍ ، وَمَعَاوِيَةَ ، وَعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ،
 وَغَيْرِهِمْ . وَشَهِدَ يَوْمَ التَّحْكِيمِ ، وَسَأَلَ أَبَا مُوسَى فِي ذَلِكَ وَوَصَّاهُ ، ثُمَّ اجْتَمَعَ
 بِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَوَصَّاهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ^(٢) : إِيهَا يَا تَيْسَ^(٣) جُهَيْنَةَ^(٤) ، مَا أَنْتَ
 مِنْ أَهْلِ السَّرِّ وَلَا^(٥) الْعَلَانِيَةِ ، وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكَ الْحَقُّ وَلَا يَضُرُّكَ الْبَاطِلُ . وَهَذَا تَوْسُّمٌ
 فِيهِ مِنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، وَلِهَذَا كَانَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقَدَرِ ، وَيُقَالُ^(٦) : إِنَّهُ
 أَخَذَ ذَلِكَ عَنْ رَجُلٍ مِنَ التَّصَارِيِّ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ . يُقَالُ لَهُ : سُوسَنُ^(٧) . وَأَخَذَ
 غَيْلَانَ الْقَدَرَ مِنْ مَعْبِدٍ .

وَقَدْ كَانَتْ لِمَعْبِدٍ عِبَادَةٌ ، وَفِيهِ زَهَادَةٌ ، وَوُثِّقَ ابْنُ مَعِينٍ وَغَيْرُهُ فِي حَدِيثِهِ^(٨) .
 وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ^(٩) : إِيَّاكُمْ وَمَعْبِدًا ؛ فَإِنَّهُ ضَالٌّ مُضِلٌّ . وَكَانَ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَ
 ابْنِ الْأَشْعَثِ فَعَاقَبَهُ الْحَجَّاجُ عَقُوبَةً عَظِيمَةً بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ ثُمَّ قَتَلَهُ ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ
 عُفَيْرٍ^(١٠) : بَلَ صُلْبُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ فِي سِنَةِ ثَمَانِينَ بِدِمَشْقَ ثُمَّ قَتَلَهُ . وَقَالَ

= م : « عليم » . وكذا في الكامل . والمثبت من مصادر الترجمة .

(١) أخرجه أبو داود (٤١٢٧ ، ٤١٢٨) ، والترمذي (١٧٢٩) ، والنسائي (٤٢٦٠ ، ٤٢٦١) ، وابن
 ماجه (١٦١٣) ، والإمام أحمد في المسند ٣١١ / ٤ . صحيح (صحيح سنن أبي داود ٣٤٧٥ ، ٣٤٧٦) .
 (٢) مختصر تاريخ دمشق ١١٦ / ٢٥ .

(٣) في ص : « أنيس » .

(٤) في م : « جهنة » .

(٥) سقط من : م .

(٦) تهذيب الكمال ٢٨ / ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٧) في م : « سوس » .

(٨) سقط من : الأصل .

(٩) تاريخ دمشق ١٦ / ٧٩٩ ، وميزان الاعتدال ٤ / ١٤١ ، وانظر تهذيب الكمال ٢٨ / ٢٤٥ . وقال ابن

معين في معرفة الرجال ١ / ١٦٦ : « ... قال لنا طاوس : أخروا معبدا . قال : يعني معبدا الجهني » .

(١٠) تاريخ دمشق ١٦ / ٨٠٣ ، وتهذيب الكمال ٢٨ / ٢٤٨ .

خليفةُ بنُ خياط^(١) : مات قبلَ التسعينَ . فاللهُ أعلم^(٢) .

(١) تاريخ خليفة ٢ / ٤٠١ .

(٢) بعده في ١ ، ٣ ، ٢١ ، م ، ص : « وقيل : إن الأقرب قتل عبد الملك له . والله سبحانه وتعالى أعلم » .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

ففيها: فتح عبيد الله بن عبد الملك بن مروان مدينة قاليقلا^(١)، وغنم المسلمون منها غنائم كثيرة. وفيها قُتل بُكير بن وشاح؛ قتله بحير^(٢) بن ورقاء الصُرَيْمِي، وكان بُكير من الأمراء الشجعان، ثم ثار لبكير بن وشاح رجل من قومه يقال له: صعصعة بن حرب العوفِي الصُرَيْمِي. فقتل بحير^(٢) بن ورقاء الذي قتل بُكيراً؛ طعنه بخنجر، وهو جالس عند المهلب بن أبي صفرة، فحُمِل إلى منزله وهو بأخر رمق، فبعث المهلب [٩٣/٧] بصعصعة إليه، فلما تمكن منه بحير ابن ورقاء قال: ضعوا رأسه عند رجلى. فوضعه فطعنه بحير بحريته حتى قتله ومات على إثره. وقد قال له أنس بن طارق: اعفُ عنه فقد قتلت بُكير بن وشاح. فقال: لا والله لا أموت وهذا حي. ثم قتله، وقد قيل: إنه إنما قُتل بعد موته. فالله أعلم.

فتنة ابن الأشعث

قال أبو مخنف^(٣): كان ابتداءؤها في هذه السنة. وقال الواقدي^(٣): في سنة

(١) في ٣١، ٢١، ص: «قاليقلا». وانظر تاريخ الطبري ٦/ ٣٣١، والكمال ٤/ ٤٥٧، والمنظم ٦/ ٢٢٤. وقاليقلا: مدينة مداخل لبلد الروم وهي ثغر إرمينية وأذربيجان. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

٦٦/٢.

(٢) في ٣١، ٢١، م: «بحير». وكذا فيما يأتي من مواضع. وانظر الإكمال ١/ ١٩٨، وتبصير المنتبه

٦١/١.

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٣٣٤.

ثنتين وثمانين . وقد ساقها ابن جرير في هذه السنة^(١) فوافقناه في ذلك . وكان سبب هذه الفتنة أن ابن الأشعث كان الحجاج يُغضُّه ، وكان هو يفهم ذلك ويُضمرُّ له سوءُ زوال الملك عنه ، فلما أمره الحجاج على ذلك الجيش المتقدم ذكره ، وأمره بدخول بلاد رُبَيْلَ ملك الترك ، فمضى وصنع ما قدَّمناه من أخذه بعض بلاد الترك ، ثم رأى لأصحابه أن يُقيموا حتى يتقوَّوا إلى العام المقبل ، فكتب إلى الحجاج بذلك ، فكتب إليه الحجاج يستهجن رأيه في ذلك ، ويستضعف عقله ويُقرِّعه بالجبن والتكول عن الحرب ، ويأمره حتمًا بدخول بلاد رُبَيْلَ ، ثم أردف ذلك بكتاب ثانٍ ثم ثالث^(٢) فلما تواردت كتب الحجاج إليه يحثُّه على التوغل في بلاد رُبَيْلَ ، جمع من معه ، وقام فيهم ، فأعلمهم بما كان رأى من الرأى في ذلك ، وبما^(٣) كتب إليه الحجاج من الأمر بمعالجة رُبَيْلَ ، فثار

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٣٤ .

(٢ - ٢) فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « مع البريد ، فكتب إليه فى جملة ذلك يقول : يا ابن الحائك الغادر المرتد ، امض لما أمرك به من الإيغال فى أرض العدو ، وإلا حل بك ما لا يطاق . وكان الحجاج ييغض ابن الأشعث ، ويقول : هو أهوج أحقق حسود ، وأبوه الذى سلب أمير المؤمنين عثمان ثيابه وقتله ، ودل عبيد الله بن زياد على مسلم بن عقيل حتى قتله ، وجده الأشعث ارتد عن الإسلام ، وما رأيت قط إلا هممت بقتله . ولما كتب الحجاج بذلك إلى ابن الأشعث وترادفت إليه البرد بذلك ، غضب ابن الأشعث ، وقال : يكتب إلى يمثل هذا وهو لا يصلح أن يكون من بعض جندى ولا من بعض خدمي ؛ لخوره وضعف قوته ؟ أما يذكر أباه من ثقيف ، هذا الجبان صاحب غزاة . يعنى أن غزاة ، وهى زوجة شبيب ، حملت على الحجاج وجيشه فانهزموا منها ، وهى امرأة ، لما دخلت الكوفة .

ثم إن ابن الأشعث جمع رءوس أهل العراق ، وقال لهم : إن الحجاج قد ألح عليكم فى الإيغال فى بلد العدو ، وهى البلد التى هلك فيها إخوانكم بالأمس ، وقد أقبل عليكم فصل الشتاء والبرد ، فانظروا فى أمركم أما أنا فإننى لست بمطيعه ولا أنقض رأيا رأيت بالأمس . ثم قام فيهم خطيبا فأعلمهم بما كان رأى من الرأى له ولهم فى ذلك من إصلاح البلد التى فتحوها ، وأن يقيموا بها حتى يتقووا بغلاتها وأموالها ، ويخرج عنهم فصل البرد ، ثم يسبرون فى بلاد العدو فيفتحونها بلدا بلدا إلى أن يحصروا رُبَيْلَ ملك الترك فى مدينته العظماء ، ثم أعلمهم بما .

إليه الناس، وقالوا: لا بل نأبى على عدو الله الحجاج^(١)، ولا نسمع له ولا نطيع. قال أبو مخنف^(٢): فحدثني مطرف بن عامر بن وائلة^(٣) الكِنَانِي، أَنَّ أَبَاهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ شَاعِرًا خَطِيبًا؛ وَكَانَ مِمَّا قَالَ: إِنَّ مِثْلَ الْحَجَّاجِ فِي هَذَا الرَّأْيِ وَمِثْلُنَا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ لِأَخِيهِ: احْمِلْ عَبْدَكَ عَلَى الْفَرَسِ فَإِنْ هَلَكَ هَلْكَ، وَإِنْ نَجَا فَهَلْكَ. «إِنَّكُمْ إِنْ ظَفِرْتُمْ كَانَ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي سُلْطَانِهِ، وَإِنْ هَلَكْتُمْ كُنْتُمْ الْأَعْدَاءُ الْبُغْضَاءُ». ثُمَّ قَالَ: اخْلَعُوا عَدُوَّ اللَّهِ الْحَجَّاجَ - «وَلَمْ يَذْكُرْ خَلَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ^(٤) - وَبَايَعُوا لِأَمِيرِكُمْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ، فَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي أَوَّلُ خَالِعٍ لِلْحَجَّاجِ. فَقَالَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ: خَلَعْنَا عَدُوَّ اللَّهِ. وَوَثَبُوا إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ فَبَايَعُوهُ عَوَضًا عَنِ الْحَجَّاجِ، وَلَمْ يَذْكُرُوا خَلَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ ابْنُ مَرْوَانَ.

وَبَعَثَ ابْنُ الْأَشْعَثِ إِلَى رُثَيْلٍ فَصَالَحَهُ عَلَى أَنَّهُ إِنْ ظَفِرَ بِالْحَجَّاجِ فَلَا خَرَجَ عَلَى رُثَيْلٍ أَبَدًا. ثُمَّ سَارَ ابْنُ الْأَشْعَثِ بِالْجُنُودِ الَّذِينَ مَعَهُ مُقْبِلًا مِنْ سِجِسْتَانَ إِلَى الْحَجَّاجِ؛ لِيَقَاتِلَهُ وَيَأْخُذَ مِنْهُ الْعِرَاقَ، [٩٣/٧] ثُمَّ لَمَّا تَوَسَّطُوا الطَّرِيقَ قَالُوا: إِنَّ خَلَعْنَا لِلْحَجَّاجِ خَلَعَ لَابِنِ مَرْوَانَ. فَخَلَعُوهُمَا جَمِيعًا^(٥) وَجَدَّدُوا الْبَيْعَةَ لِابْنِ الْأَشْعَثِ، فَبَايَعَهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَخَلَعَ أَيْمَةَ الضَّلَالَةِ وَجِهَادِ الْمُحَلِّينَ^(٦). فِإِذَا قَالُوا: نَعَمْ. بَايَعَهُمْ. فَلَمَّا بَلَغَ الْحَجَّاجُ مَا صَنَعُوا مِنْ خَلْعِهِ وَخَلَعَ

(١) سقط من: الأصل.

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه ٣٣٥/٦، من طريق أبي مخنف به.

(٣) في ١، ٢، م: «وائلة».

(٤ - ٤) في ١، ٢: «إن». وفي م: «أنتم إذا».

(٥ - ٥) زيادة من: ١، ٣، ٢، م، ص.

(٦) سقط من: ١، ٢، م.

(٧) في ١، ٣، ٢، ص: «المنحليين». وفي م: «الملحدين». وانظر الكامل ٤٦٤/٤.

ابن مروان، كتب إلى عبد الملك يُعلمه بذلك ويستعجله في بعثه الجنود إليه، وجاء الحجاج حتى نزل البصرة، وبلغ المهلب خبر ابن الأشعث، وكتب إليه يدعوهُ إلى ذلك فأبى عليه، وبعث بكتابه إلى الحجاج. وكتب المهلب إلى ابن الأشعث يقول^(١) له: إنك يا ابن الأشعث قد وضعت رجلك في ركاب طويل، أتبي^(٢) على أمة محمد ﷺ، ^(٣) «اللَّهُ اللَّهُ»، انظر لنفسك فلا تُهلكها، ودماء المسلمين فلا تسفكها، والجماعة فلا تفرقها، والبيعة فلا تنكثها، فإن قلت: أخاف الناس على نفسي. فالله أحق أن تخافه^(٤) من الناس، فلا تعرضها لله في سفك دم^(٥)، أو استحلال مُحَرَّم، والسلام عليك.

وكتب المهلب إلى الحجاج^(٦): أما بعد، فإن أهل العراق قد أقبلوا إليك مثل السيل المنحدر من علّ ليس شيء يردّه حتى ينتهي إلى قراره، وإن لأهل العراق شرة^(٧) في أول مخرجهم، وصباية إلى أبنائهم ونسائهم، فليس شيء يردّهم حتى يصلوا إلى أهليهم^(٨)، ويشموا أولادهم، ثم واقفهم^(٩) عندها فإن الله ناصرهم عليهم إن شاء الله.

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٣٣٨.

(٢) في الطبري: «الغنى».

(٣) (٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) بعده في الطبري: «عليها».

(٥) في م: «الدماء».

(٦) تاريخ الطبري ٦ / ٣٣٩.

(٧) في م: «شدة».

(٨) بعده في ١، ٣، ٢، م، ص: «وينبسطوا إلى نسائهم».

(٩) في الأصل، والطبري: «واقفهم».

فلما قرأ الحجاج كتابه قال : فعل الله به وفعل ، لا والله ما لى نظره ، ولكن لابن عمه نصح . ولما ^(١) وقع كتاب الحجاج إلى عبد الملك هاله ذلك ثم نزل عن سريره ، وبعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية فأقرأه كتاب الحجاج ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كان هذا الحدث من قتل خراسان فحقه ، وإن كان من قتل سيجستان فلا تخفه .

ثم أخذ عبد الملك في تجهيز الجنود من الشام إلى العراق في نصرة الحجاج ، وتجهز الحجاج للخروج إلى ابن الأشعث ، وعصى رأى المهلب فيما أشار به عليه ، وكان فيه ^(٢) النصيح والصدق ، وجعلت كتب الحجاج لا تنقطع عن عبد الملك بخبر ابن الأشعث صباحا ومساءً ؛ أين نزل ومن أين ارتحل ، وأى الناس إليه أسرع ، وجعل الناس يلتفون على ابن الأشعث [٧/٩٤٠] من كل جانب ، حتى قيل : إنه سار معه ثلاثة وثلاثون ألف فارس ومائة وعشرون ألف راجل . وخرج الحجاج في جنود الشام من البصرة نحو ابن الأشعث ، فنزل تستر ، وقدم بين يديه مطهر بن حنّى الكعبي ^(٣) أميراً على المقدمة ^(٤) ، ومعه عبد الله بن زميت ^(٥) أميراً آخر ، فانتهوا إلى دجيل ، فإذا مقدمة ابن الأشعث في ثلاثمائة فارس عليها عبد الله بن أبان الحارثي ، فالتقوا في يوم الأضحى عند نهر دجيل ، فهزمت مقدمة الحجاج ، وقتل أصحاب ابن الأشعث منهم خلقاً كثيراً نحو ألف وخمسمائة ،

(١ - ١) في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « وصل البريد بكتاب » .

(٢) في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « في شوره » .

(٣) في الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، م : « مطهر بن حنّى الكعبي » . وفي ص : « مطهر بن خير الكعبي » ، وفي تاريخ الطبرى : « مطهر بن حر الكعبي » . والمثبت من الأنساب ٤ / ٢٢٥ .

(٤) في الأصل : « المدينة » .

(٥) في الأصل ، ٣١ ، ٢١ : « رميث » . وفي الطبرى : « رميثة » . وانظر أنساب الأشراف ٧ / ٣٢٢ .

واحتازوا ما فى مُعسكرِهِم مِن خيولٍ وقماشٍ وأموالٍ ، وجاء الخبِرُ إلى الحجاج بهزيمة أصحابه ، " فأخذه ما دبّ ودرج . وقد كان قائماً^(١) يخطُبُ ، فقال^(٢) : أيها الناس ارجعوا إلى البصرة ، فإنه أرفق بالجنيد . فرجع بالناس وأتبعَتهم خيولُ ابن الأشعث لا يُدرِكون منهم شأداً إلا قتلوه ، ولا فاداً إلا أهلكوه ، ومضى الحجاج هارباً لا يُلوى على شىء حتى أتى الزاوية فعسكرَ عندها ، وجعل يقولُ : لله دَرُّ المُهلِّب ! أى صاحبِ حَرْبٍ هو ؟! قد أشار علينا بالرأى ، ولكننا لم نقبلُ .

وأنفق الحجاج على جيشه - وهو بهذا المكان - مائة وخمسين ألفَ ألفِ درهمٍ ، وخندقَ حولَ جيشه خندقاً ، وجاء أهلُ العراقِ فدخلوا البصرةَ واجتمعوا بأهاليهم وشتموا أولادهم ، ودخل ابنُ الأشعثِ البصرةَ فخطبَ الناسَ بها^(٣) وبايعَهم وبايعوه على خلعِ عبدِ الملكِ ونائبه الحجاجِ بنِ يوسفَ ، وقال لهم ابنُ الأشعثِ : ليس الحجاجُ بشيءٍ ، ولكن اذهبوا بنا إلى عبدِ الملكِ لنقاتلَه . ووافقه على خلعِهما جميعُ مَنْ بالبصرةَ مِنَ الفقهاءِ ، والقراءِ ، والشيوخِ ، والشبابِ ، ثم أمرَ ابنُ الأشعثِ بخندقِ حولَ البصرةَ فعملَ ذلك ، وكان ذلك فى أواخرِ ذى الحجةِ من هذه السنة .

وحجَّ بالناسِ فيها^(٤) سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ فيما ذكره الواقديُّ وأبو

(١ - ١) سقط من : الأصل .

ودب : مشى . ودرج : مات وانقضى عقبه . ويقال : أكذب من دب ودرج . أى أكذب الأحياء والأموات . وانظر تاج العروس (د ب ب) .

(٢) تاريخ الطبرى ٦ / ٣٤٠ .

(٣) سقط من : الأصل ، وفى م : « بهم » .

(٤ - ٤) فى النسخ : « إسحاق بن عيسى » . وهو خطأ فهو أحد رجال سند الطبرى ، يروى عن أبى معشر هذا القول ، والمثبت هو الصواب .

مَعَشِرٌ^(١) . واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلم .

وفيها غزا موسى بن نصير أمير بلاد المغرب من جهة عبد الملك بلاد الأندلس، فافتتح مدناً كثيرة، وأراضى عامرة، وأوغل في بلاد المغرب إلى أن وصل إلى الزقاق المنبثق من البحر الأخضر المحيط^(٢) . واللَّهُ أعلم .

ومن توفى فيها من الأعيان :

بحير بن وزقاء الصرمي البصري^(٣) أحد الأشراف بخراسان، والقواد والأمرء، وهو^(٤) الذي حارب ابن خازم وقتله، وقتل بكيك بن وشاح .

ثم قُتل في هذه السنة :

سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر^(٥) : أبو أمية الجعفي الكوفي، شهد اليرموك وحدث عن جماعة من الصحابة، وكان من كبار المخضرمين، ويقال : إنه رأى النبي ﷺ وصلى معه . والصحيح أنه لم يره، وكان مولده عام ولد النبي ﷺ . وقيل : إنه ولد بعده بستين . وعاش مائة وعشرين سنة، لم يُر يوماً محتبياً^(٦) ولا متسانداً، وافتض بكرة عام وفاته [٩٤/٧]، وكانت وفاته في سنة إحدى وثمانين، قاله أبو عبيد، وغير واحد^(٧) . وقيل : إنه توفى في سنة ثنتين

(١) تاريخ الطبري ٣٤١/٦ .

(٢) انظر معجم البلدان ٥٠٤/١ .

(٣) ترجمته في : تاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ ص ٤٥، والوفى بالوفيات ٨٤/١٠ . وانظر نهاية الأرب ٢١/٢٢٩، ٢٣٢ .

(٤) سقط من : م .

(٥) الاستيعاب ٢/٦٧٩، وأسد الغابة ٢/٤٩٢، والإصابة ٣/٢٢٧، وسير أعلام النبلاء ٤/٦٩ . وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٥ .

(٦) في م : « محتبياً » .

(٧) تهذيب الكمال ١٢/٢٦٨، وسير أعلام النبلاء ٤/٧٢ .

وثمانين. قاله أعلم^(١).

عبد الله بن شداد بن الهادي^(٢): ^(٣) كان من العبّاد الزّهاد العلماء، وله وصايا وكلمات حسنّ، وقد روى عدّة أحاديث عن الصحابة، وعنه^(٤) خلق من التابعين^(٣).

(١) بعده في ٣١ ص: «قال الشعبي: قال سويد بن غفلة: أنا أصغر من النبي ﷺ سنة. وقال عثمان ابن أبي شيبة: حدثنا أبي وعمي أبو بكر قال: حدثنا هشيم عن هلال بن حبان عن ميسرة أبي صالح عن سويد بن غفلة قال: أتنا مصدق النبي ﷺ وصليت معه ولم ألقه عليه السلام. وقال أبو حاتم: حدثنا أبو نعيم حدثنا حنش بن الحارث النخعي قال: رأيت سويد بن غفلة يمر بنا في المسجد إلى امرأة له من بني أسد وهو ابن سبع وعشرين ومائة سنة. وقال سفيان: عاصم قال: تزوج سويد بن غفلة وهو ابن ست عشرة ومائة سنة فكان يمشی يأتي الجمعة يؤمنا. وفي رواية: كان يؤمنا في شهر رمضان في قيام الليل وقد أتى عليه عشرون ومائة سنة. وقال أبو نعيم: حدثنا زهير عن عمران بن مسلم قال: كان سويد بن غفلة جل ما يصنع أن يكبر قبل أن يقول المؤذن: قد قامت الصلاة وقد كان سويد بن غفلة الصلاة والأذان عمله. وقال: لو استطعت أن أكون مؤذن الحى لفعلت. وقال أبو نعيم بن دكين: حدثنا حنش بن الحارث عن علي بن مدرك قال: كان سويد بن غفلة يؤذن بالهاجرة فسمعه الحجاج وهو بالدير فقال: اتنوني بهذا المؤذن. فأتوا به إلى الحجاج فقال له: ما حملك على الصلاة بالهاجرة. فقال: صليت في هذا الوقت مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. لسويد بن غفلة مناقب كثيرة وقد رحل سويد إلى رسول الله ﷺ فوجده قد قبض وتولى أبو بكر فصحب أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً. وروى عنهم وعن خلق من الصحابة وكان إذا قيل له: أعطى فلان وولى فلان يقول: حسبي كسرى وملحى. وقال: إذا أراد الله أن ينسى أهل النار جعل لكل واحد منهم تابوتا من نار على قدره ثم أقفل عليه بأقفال من نار فلا يبقى فيه عرق إلا وفيه مسمار من نار ثم يجعل ذلك التابوت في تابوت آخر من نار ثم يقفل عليه بأقفال من نار ثم يضرم بينهما نار فلا يرى أحد منهم أن في النار غيره. وقال: إن الملائكة تمشي أمام الجنّاة فيقولون: ماذا قدم. ويقول الناس: ماذا ترك». ولعلها زيادة من الناسخ منقولة عن ترجمته من حلية الأولياء ١٧٤/٤.

(٢) انظر ترجمته في: طبقات خليفة ٣٤٨/١، وتاريخ بغداد ٤٧٣/٩، وتهذيب الكمال ٨١/١٥، وسير أعلام النبلاء ٤٨٨/٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ١١١، والوفاء بالوفيات ٢١٠/١٧.

(٣ - ٣) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٤) في م: «عن».

محمد بن علي بن أبي طالب^(١): أبو القاسم وأبو عبد الله أيضًا، وهو المعروف بابن الحنفية، وكانت أمه أمة سوداء سندية من سبي^(٢) بني حنيفة، اسمها خولة. ولد محمد في خلافة عمر بن الخطاب، وقد على معاوية، وعلى عبد الملك بن مروان وقد صرع مروان يوم الجمل وقعد على صدره وأراد قتله فناشده مروان بالله، وتذلل له فأطلقه، فلما وفد على عبد الملك ذكره بذلك، فقال: عفوا يا أمير المؤمنين. فعفا عنه وأجزل له الجائزة. وكان محمد بن علي من سادات قريش ومن الشجعان المشهورين، ومن الأقوياء المذكورين، ولما بويع لابن الزبير لم يُبايعه، فجرى بينهما شر عظيم حتى هم ابن الزبير به وبأهله، كما تقدم ذلك. فلما قُتل ابن الزبير واستقر أمر عبد الملك وبايعه ابن عمر، تابعه ابن الحنفية، وقدم المدينة فمات بها في هذه السنة، وقيل: في التي قبلها، أو في التي بعدها. ودُفن بالبقيع. والرافضة يزعمون أنه بجبل رضى، وأنه حتى يُرزق، وهم ينتظرونه، وقد قال كثير عزة^(٣) في ذلك:

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيهِ هُم الأسياط ليس بهم خفاء^(٤)
فسيب سبط إيمان وبر^(٥) وسب سبط غيبتة كربلاء

(١) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٩١/٥، وطبقات خليفة ٥٨٠/٢، وتاريخ دمشق ٧٢٢/١٥ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ١٤٧/٢٦، وسير أعلام النبلاء ١١٠/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٨١، والوفاء بالوفيات ٩٩/٤.

(٢) سقط من: م.

(٣) ديوان كثير عزة ص ٥٢١، والأغانى ١٤/٩، ١٥.

(٤ - ٤) في الديوان: «هم أسياطه والأوصياء».

(٥) في الديوان: «وحلم».

وسبَّطُ "لا تَرَاهُ الْعَيْنُ" حتى يَقودُ "الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا لَوَاءُ"
 "تَغَيَّبَ لَا يُرَى عَنْهُمْ زَمَانًا" بِرَضْوَى عَنْده عَسَلٌ وَمَاءٌ^٣

(١ - ١) فى الديوان : « لا يذوق الموت » .

(٢) فى م : « تعود » .

(٣ - ٣) فى ٣١، ٣٢، ٣٣ م، ص : « ولما هم ابن الزبير بابن الحنفية كتب ابن الحنفية إلى شيعتهم بالكوفة مع أبى الطفيل وائلة بن الأسقع، وعلى الكوفة المختار بن أبى عبيد، وقد كان ابن الزبير جمع لهم خطبا كثيرا على أبوابهم ليحرقهم بالنار، فلما وصل كتاب ابن الحنفية إلى المختار، وقد كان المختار يدعو إليه، ويسميه المهدي، فبعث المختار أبا عبد الله الجدلى فى أربعة آلاف فاستنقذوا بنى هاشم من يدى ابن الزبير. وخرج معهم ابن عباس فمات بالطائف، وبقي ابن الحنفية فى شيعتهم، فأمره ابن الزبير أن يخرج عنه، فخرج إلى أرض الشام بأصحابه، وكانوا نحو سبعة آلاف، فلما وصل إلى ايلة كتب إليه عبد الملك يقول : إما أن تبايعنى وإما أن تخرج من أرضى. فكتب إليه ابن الحنفية : أبايك على أن تؤمن أصحابى؟ قال : نعم. فقام ابن الحنفية فى أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه، وقال : الحمد لله الذى حقن دماءكم، وأحرز دينكم، فمن أحب منكم أن يأتى مأمنه إلى بلده محفوظا فليقبل. فرحل عنه الناس إلى بلادهم حتى بقى فى سبعمائة رجل، فأحرم بعمرة، وقلد هديا وسار نحو مكة، فلما أراد دخول الحرم بعث إليه ابن الزبير خيلاً فمنعه أن يدخل، فأرسل إليه : إنا لم نأت الحرب ولا لقتال، ولكن دعنا ندخل حتى نقضى نسكنا، ثم نخرج عنك، فأبى عليه وكان معه بدنٌ قد قلدها، فرجع إلى المدينة فأقام بها محرماً حتى قدم الحجاج وقتل ابن الزبير، فكان ابن الحنفية فى تلك المدة محرماً، فلما سار الحجاج إلى العراق مضى ابن الحنفية إلى مكة وقضى نسكه، وذلك بعد عدة سنين، وكان القمل يتناثر منه فى تلك المدة كلها، فلما قضى نسكه رجع إلى المدينة فأقام بها حتى مات، وقيل : إن الحجاج لما قتل ابن الزبير بعث إلى ابن الحنفية يقول : قد قتل عدو الله فبايع. فكتب إليه : إذا بايع الناس كلهم بايعت. فقال الحجاج : والله لأقتلنك. فقال ابن الحنفية : إن لله فى كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة فى اللوح المحفوظ، فى كل نظرة منها ثلاثمائة وستون قضية، فلعل الله تعالى أن يجعلنى فى قضية منها فيكفينيك. فكتب الحجاج بذلك إلى عبد الملك فأعجبه قوله، وكتب إليه : قد عرفنا أن محمدا ليس عنده خلاف فارق به فهو يأتيك ويبايعك. وكتب عبد الملك بكلامه ذلك - إن لله ثلاثمائة وستين نظرة - إلى ملك الروم، وذلك أن ملك الروم كتب إلى عبد الملك يتهدده بجموع من الجنود لا يطيقها أحدٌ، فكتب بكلام ابن الحنفية، فقال ملك الروم : إن هذا الكلام ليس من كلام عبد الملك، وإنما خرج من بيت نبوة. ولما اجتمع الناس على بيعه عبد الملك قال ابن عمر لابن الحنفية : ما بقى شئٌ فبايع. فكتب بيعته إلى عبد الملك، ووفد عليه بعد ذلك.

توفى ابن الحنفية فى الحرم بالمدينة، وعمره خمس وستون سنة، وكان له من الولد عبد الله وحزمة وعليّ وجعفر الأكبر والحسن وإبراهيم والقاسم وعبد الرحمن وجعفر الأصغر وعونٌ ورقية، وكلهم لأمهات شتى .

وقال الزبير بن بكار^(١) : كانت شيعته تزعم أنه لم يمُتْ ، وفيه يقول
السيد^(٢) :

أَطَلْتَ بِذَلِكَ الْجَبَلِ الْمُقَامَا	أَلَا قُلْ لِلوَصِيِّ فَذَتَكَ نَفْسِي
وَسَمُّوكَ الْخَلِيفَةَ وَالْإِمَامَا	أَضُرَّ بِمَغْشَرٍ وَالْوَكَّ مِنَّا
مُقَامُكَ عَنْهُمْ ^(٣) سَتَيْنَ عَامَا [٩٥/٧]	وَعَادُوا فِيكَ أَهْلَ الْأَرْضِ طُرَا
وَلَا وَارِثَ لَهُ أَرْضٍ عِظَامَا	وَمَا ذَاقَ ابْنُ خَوْلَةٍ طَعْمَ مَوْتٍ
تَرَا جَعُهُ الْمَلَائِكَةُ الْكَلَامَا	لَقَدْ أَمْسَى بِمُورِقِ شَعْبٍ رَضَوِي
وَأُنْدِيَّةٌ تَحْدُثُهُ كِرَامَا	وَأَنَّ لَهُ بِهِ لِمَقِيلٍ صِدْقٍ
بِهِ وَعَلَيْهِ نَلْتَمِسُ التَّمَامَا	هَذَا اللَّهُ ^(٤) إِذْ حُزِمَ ^(٥) لِأَمْرِ
تَرَوْا رَايَاتِهِ تَتَرَى نِظَامَا	تَمَامَ مَوَدَةٍ ^(٦) الْمَهْدَى حَتَّى

وقد ذهب طائفة من الرافضة إلى إمامته ، وأنه يُنْتَظَرُ خروجه في آخر الزمان ،
كما يَنْتَظَرُ طائفة أخرى منهم الحسن بن محمد العسكري ، الذي يخرج في
زعيمهم من سرداب سامرا ، وهذا من خرافاتهم وهذيانهم وجهلهم وضلالهم
وبهتانهم^(٧) ، وستزيد ذلك وضوحا في موضعه إن شاء الله^(٨) .

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ١١٣ . وانظر نسب قريش ص ٤٢ ، والأغانى ٩/ ١٤ . وأيضا تاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ١٨٣ .

(٢) هو السيد الحميري الشاعر الشيعي .

(٣) في م : « منهم » .

(٤ - ٥) في الأصل ، ص : « إذ خرم » وفي م : « ادخرتم » .

(٥) في م : « نوره » .

(٦) في م : « ترهاتهم » .

(٧) بعده زيادة في : ص . وهي من زيادات الناسخ .

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين

ففى المحرم منها كانت وقعة الزاوية بين ابن الأشعث والحجاج، فى آخره .
وكان أول يوم لأهل العراق على أهل الشام، ثم توافعوا يوماً آخر، فحمل سفيان
ابن الأبرد أحد أمراء أهل الشام على ميمنة ابن الأشعث^(١) فهزّمها، وقتل خلقاً^(٢)
من القراء من أصحاب ابن الأشعث^(٣) فى هذا اليوم، وخرّ الحجاج لله ساجداً بعد
ما كان جثّاً على رُكبتيه وسلّ شيئاً من سيفه^(٤)، وجعل يترخّم على مصعب بن
الزبير، ويقول: ما كان أكرمّه حين^(٥) صبر نفسه للقتل .

وكان من جملة من قُتل من أصحاب ابن الأشعث: الطفيل^(٦) بن عامر بن
واثلة^(٧) الليثي . ولما فرّ أصحاب ابن الأشعث رجع ابن الأشعث بمن بقي معه ومن
اتّبعه من أهل البصرة، فسار حتى دخل الكوفة، فعمد أهل البصرة إلى
عبد الرحمن بن عباس^(٨) بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فباعوه، فقاتل
الحجاج خمس ليالٍ أشد القتال، ثم انصرف فليحق بابن الأشعث، وتبعه طائفة
من أهل البصرة، فاستناب الحجاج على البصرة أيوب بن الحكم بن أبى عقيل،

(١ - ١) سقط من: ص .

(٢) بعده فى م: « كثيرا » .

(٣) بعده فى الأصل: « واستقبل » .

(٤) فى م: « حتى » .

(٥) فى ١، ٢، ٣، م، ص: « أبو الطفيل » . وانظر تاريخ الطبرى ٣٤٣/٦ .

(٦) فى م: « واثلة » .

(٧) فى ١، ٢، م: « عياش » . وانظر تاريخ الطبرى ٣٤٣/٦ .

ودخل ابن الأشعث الكوفة، فبايعه أهلها على خلع الحجاج وعبد الملك بن مروان، وتفاقم الأمر، وكثر متابعو ابن الأشعث على ذلك، واشتد الحال، وتفرقت الكلمة جدًّا، وعظم الخطب، واتسع الخرق^(١).

^(٢) قال الواقدي^(٣): لما التقى جيش الحجاج وجيش ابن الأشعث بالزاوية، جعل جيش الحجاج يحمل عليهم مرّة بعد مرّة، فقال القراء - وكان عليهم جبلة ابن زحر: أيها الناس ليس الفرار من أحد بأقبح منه^(٤) منكم، فقاتلوا عن دينكم ودنياكم. وقال سعيد بن جبيرة نحو ذلك^(٥)، وقال الشعبي^(٦): قاتلوهم على جورهم واستذلّاهم الضعفاء، وإماتتهم الصلاة. ثم حملت القراء - وهم العلماء - على جيش الحجاج حملة صادقة فبدعوا^(٧) فيهم، ثم رجعوا فإذا هم بمقدمهم جبلة بن زحر^(٨) صريعًا، فهدّهم ذلك، فناداهم جيش الحجاج: يا أعداء الله، قد قتلنا طاغيتكم. ثم حمل سفيان بن الأبرد - وهو على خيل الحجاج على ميسرة ابن الأشعث - وعليها الأبرد بن قرّة التميمي - فانهزموا ولم يُقاتلوا كثير قتال، فأنكر الناس منهم ذلك. وكان أمير ميسرة ابن الأشعث الأبرد شجاعًا لا يفرّ، وظنوا أنه قد خامر، فتقضت الصفوف وركب الناس^(٩)

(١) بعده في م: «على الراقع».

(٢ - ٢) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٣) لم نجد هذا السياق معزوا للواقدي. وانظر تاريخ الطبري ٦/٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥٧، ٣٥٨، وتاريخ

الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٠ - ١٢.

(٤) سقط من: م.

(٥) تاريخ الطبري ٦/٣٥٨.

(٦) تاريخ الطبري ٦/٣٥٧.

(٧) في م: «فبرعوا».

(٨) في تاريخ الطبري ٦/٣٥٧: «زحل».

«بعضهم بعضاً، وكان ابنُ الأشعثِ يحرضُ الناسَ على القتالِ، فلَمَّا رأى ما الناسُ فيه أخذَ مَنْ اتَّبَعَهُ وذهبَ إلى الكوفةِ فبايعَهُ أهلُها»^(١).

ثم كانت وقعةُ دَيْرِ الجماجمِ في شعبانَ من هذه السنة. قاله^(٢) الواقدي. وذلك أنَّ ابنَ الأشعثِ لما قصَدَ الكوفةَ [٩٥/٧ ظ] خرجَ إليه أهلُها، فتلَقَّوه وحفَّوا به ودخلوا بينَ يديه، غيرَ أنَّ شِوْذمةً قليلةً أرادتْ أنْ تقاتلَه دونَ مطرِ بنِ ناجيةَ نائبِ الحجاج، فلمْ يُمكنْهم ذلك، فعدلوا إلى القصرِ، فلَمَّا وصلَ ابنُ الأشعثِ «إلى الكوفةِ» أمرَ بالسلامِ فَنُصِبَتْ على قصرِ الإمارةِ فأخذه واستنزلَ مطرَ بنَ ناجيةَ وأرادَ قتلَه، فقال له: استبقني فإني خيرٌ من فرسانِكَ. فحبَّسه، ثم استدعاه فأطلقه وبايعه، واستوثقَ لابنُ الأشعثِ أمرُ الكوفةِ، وانضمَّ إليه مَنْ جاءَ من أهلِ البصرة، وكانَ مِنْ قديمٍ عليه عبدُ الرحمنِ بنُ العباسِ بنِ ربيعةَ بنِ عبدِ المطلبِ، وأمرَ بالمسالحِ مِنْ كُلِّ جانبٍ، وحُفِظَتِ الثغورُ والطرقُ والمسالكُ.

ثم إنَّ الحجاجَ ركبَ في مَنْ مَعَهُ مِنَ الجيوشِ الشَّامِيَةِ مِنَ البصرةِ في البرِّ، حتى مرَّ بينَ القادسيَةِ والعُدَيْبِ، وبعثَ إليه ابنُ الأشعثِ عبدَ الرحمنِ بنَ العباسِ في خيلٍ عظيمةٍ مِنَ المِصْرِيِّينَ فَمَنَعُوا الحجاجَ مِنْ نزولِ^(٣) القادسيَةِ، فسارَ الحجاجُ حتى نزلَ دَيْرَ قُرَّةَ، وجاءَ ابنُ الأشعثِ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الجيوشِ البصريَةِ والكوفيَةِ حتى نزلَ دَيْرَ الجماجمِ، ومعه جنودٌ كثيرةٌ، وفيهم القراءُ^(٤) مِنَ المِصْرِيِّينَ «وخلقٌ من

(١ - ١) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٢) في م: «قال». وانظر تاريخ الطبري ٣٤٦/٦.

(٣) في م: «دخول».

(٤ - ٤) زيادة من: الأصل.

الصالحين، وكان الحجاج بعد ذلك يقول: قَاتَلَ اللَّهُ ابْنَ الْأَشْعَثِ، أَمَا كَانَ يَزْجُرُ الطَّيْرَ حَيْثُ رَأَى قَدْ نَزَلَتْ دَيْرُ قُوَّةٍ وَنَزَلَ هُوَ بِدَيْرِ الْجَمَاجِمِ. وكان جملة مَنْ اجْتَمَعَ مع ابنِ الْأَشْعَثِ مائة ألفِ مقاتِلٍ مِّنْ يأخُذُ العطاءَ، ومعهم مِثْلُهُمْ مِنْ مَوَالِيهِمْ، وقَدِمَ على الحجاجِ فِي غُبُونِ ذَلِكَ أمدادٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الشَّامِ^(١)، وَخَنَدَقَ كُلٌّ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ^(٢) عَلَى نَفْسِهِ وَحَوْلَ جَيْشِهِ^(٣) خَنَدَقًا^(٤) يَمْتَنِعُ بِهِ^(٥) مِنْ الْوَصُولِ إِلَيْهِمْ، غَيْرَ أَنَّ النَّاسَ كَانَ يَنْزُرُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَيَقْتَتِلُونَ قِتَالًا شَدِيدًا فِي كُلِّ يَوْمٍ، حَتَّى أُصِيبَ مِنْ رُءُوسِ النَّاسِ خَلْقٌ مِنْ قَرِيشٍ وَغَيْرِهِمْ، وَاسْتَمَرَّ هَذَا الْحَالُ مَدَّةً طَوِيلَةً، وَاجْتَمَعَ الْأَمْرَاءُ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَةِ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَقَالُوا لَهُ: إِنْ كَانَ أَهْلُ الْعِرَاقِ يَرْضِيهِمْ مِنْكَ أَنْ تَغْزِلَ عَنْهُمْ الْحَجَّاجَ فَهُوَ أَيْسَرُ مِنْ قِتَالِهِمْ وَسَفَكِ دِمَائِهِمْ. فَاسْتَحْضَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ عِنْدَ ذَلِكَ أَخَاهُ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ، وَابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَمَعَهُمَا جُنُودٌ كَثِيرَةٌ جَدًّا، وَكَتَبَ مَعَهُمَا كِتَابًا إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ يَقُولُ لَهُمْ: إِنْ كَانَ يَرْضِيكُمْ مَتَى غَزَلُ الْحَجَّاجِ عَنْكُمْ، عَزَلْتُهُ، وَأَبْقَيْتُ^(٦) عَلَيْكُمْ أَعْطِيَاكُمْ مِثْلَ أَهْلِ الشَّامِ، وَلِيُخْتَرِ ابْنُ الْأَشْعَثِ أَيْ [٩٦/٧] بَلَدٍ شَاءَ، يَكُونُ عَلَيْهِ أَمِيرًا مَا عَاشَ وَعِشْتُ، وَتَكُونُ إِمْرَةُ الْعِرَاقِ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ. وَقَالَ فِي عَهْدِهِ هَذَا: فَإِنْ لَمْ يُجِبْ أَهْلُ الْعِرَاقِ إِلَى ذَلِكَ فَالْحَجَّاجُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَإِلَيْهِ إِمْرَةُ الْحَرْبِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي طَاعَتِهِ وَتَحْتَ أَمْرِهِ لَا يَخْرُجُونَ

(١) بعده في الأصل: «ومن عند أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان».

(٢ - ٢) في الأصل: «حولهم».

(٣ - ٣) في الأصل: «يمنع».

(٤) في م: «بعث».

عن رأيهِ في الحربِ وغيره .

ولما بلغ الحجاج ما كتب به عبدُ الملكِ إلى أهلِ العراقِ مِنْ عزِّله إنْ رضوا به ، شقَّ عليه ذلك مشقةً عظيمةً جدًّا ، وعظم شأنُ هذا الرأيِ عنده ، وكتبَ إلى عبدِ الملكِ : يا أميرَ المؤمنين ، واللَّهِ لئنْ أعطيتْ أهلَ العراقِ نَزْعِي عنهم ^(١) لا يلبثون إلا قليلًا حتى يُخالفوكَ ويسيروا إليك ، ولا يزيدُهم ذلك إلا جُرْأةً عليك ، ألم ترَ وتسمَعُ بوثوبِ أهلِ العراقِ مع الأَشْترِ النَّخَعِيِّ على ابنِ عَفَّانَ ، فلمَّا سألهم : ما يُريدونَ ؟ قالوا : نَزْعُ سَعِيدِ بْنِ العاصِ . فلمَّا نَزَعه لم تَبْتِمْ ^(٢) لهم السَّنةَ حتى ساروا إليه فقتلوه ؟ وإنَّ الحديدَ بالحديدِ يُفْلَحُ ^(٣) ، كان اللّهُ لك فيما ارتأيتَ ، والسلامُ عليك .

قال ^(٤) : فأني عبدُ الملكِ إلا عَرَضَ هذه الخصالِ على ^(٥) أهلِ العراقِ كما أمرَ ، فتقدَّم عبدُ اللّهِ ومحمدٌ ، فنَادَى عبدُ اللّهِ : يا معشرَ أهلِ العراقِ ، أنا عبدُ اللّهِ ابنُ أميرِ المؤمنين عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، وإنه يَعْرِضُ عليكم كَيْتَ وكَيْتَ . فذكر ^(٦) ما كَتَبَ به أبوه معه إليهم مِنْ ^(٧) هذه الخصالِ . وقال محمدُ بنُ مروانَ : وأنا رسولُ أخِي أميرِ المؤمنين إليكم بذلك . فقالوا : ننظُرُ في أمرِنا غَدًا ونزُدُّ عليكم الخبرَ عشيةً . ثم انصرفوا ، فاجتمعَ جميعُ الأمراءِ إلى ابنِ الأشعثِ ، فقام فيهم خطيبًا

(١) سقط من: الأصل .

(٢) في الأصل : « تقم » .

(٣) في الأصل ، ١ ، ٣ ، ٢ ، ص : « يقرع » . والمثبت كما في تاريخ الطبري ٦ / ٣٤٨ . وفلح الحديد فلحا إذا شقه وقطعه .

(٤) تاريخ الطبري ٦ / ٣٤٨ وما بعدها .

(٥) بعده في الأصل : « العراق لإرادة العافية من الحرب وكتب إلى جنده فعرض ذلك على » .

(٦ - ٦) زيادة من : ١ ، ٣ ، ٢ ، م ، ص .

ونَدَبَهُمْ إِلَى قَبُولِ مَا غَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَزْلِ الْحِجَاجِ عَنْهُمْ ، وَبِيعَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَإِبْقَاءِ الْأَعْطِيَّاتِ ، ^(١) وَإِمْرَةَ مُحَمَّدِ بْنِ مِرْوَانَ عَلَى الْعِرَاقِ بِدَلِّ الْحِجَاجِ ^(٢) . فَفَرَّ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ لَا نَقْبَلُ ذَلِكَ ، نَحْنُ أَكْثَرُ عَدَدًا وَعَدَدًا ، وَهُمْ فِي ضَيْقٍ مِنَ الْحَالِ ، وَقَدْ حَكَمْنَا عَلَيْهِمْ وَذَلُّوا لَنَا ، وَاللَّهِ لَا نُجِيبُ إِلَى ذَلِكَ أَبَدًا . ثُمَّ جَدُّوا خَلَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ ^(٣) بِنِ مِرْوَانَ ^(٤) ثَانِيَةً ، وَاتَّفَقُوا عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِمْ .

فَلَمَّا بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَعَمَّهُ مُحَمَّدَ بْنَ مِرْوَانَ الْخَبِيرُ ، قَالَا لِلْحِجَاجِ : شَأْنُكَ بِهِمْ إِذَا ، فَنَحْنُ فِي طَاعَتِكَ كَمَا أَمَرْنَا أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَكَانَا إِذَا لَقِيَاهُ سَلَّمَا عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ ، وَيُسَلِّمُ هُوَ أَيْضًا عَلَيْهِمْ بِالْإِمْرَةِ ، وَتَوَلَّى الْحِجَاجُ أَمْرَ الْحَرْبِ وَتَدْيِيرَهَا كَمَا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَعِنْدَ [٩٦/٧ ظ] ذَلِكَ بَرَزَ كُلُّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ لِلْقِتَالِ وَالْحَرْبِ ، فَجَعَلَ الْحِجَاجُ عَلَى مِيمَنَتِهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ ^(٥) سُلَيْمِ الْكَلْبِيِّ ^(٦) ، وَعَلَى مِيسَرَتِهِ عُمَارَةَ بْنَ تَمِيمِ اللَّخْمِيِّ ، وَعَلَى الْخَيْلِ سَفْيَانَ بْنَ الْأَبْرَدِ ، وَعَلَى الرَّجَالِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ حَبِيبِ الْحَكَمِيِّ ، وَجَعَلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ عَلَى مِيمَنَتِهِ الْحِجَاجُ بْنَ حَارِثَةَ الْخَثْعَمِيِّ ^(٧) ، وَعَلَى الْمِيسَرَةِ الْأَبْرَدُ بْنُ قُرَّةَ التَّمِيمِيِّ ، وَعَلَى الْخَيْالَةِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبَّاسِ بْنِ رِبْعَةَ ^(٨) ، وَعَلَى الرَّجَالِ مُحَمَّدَ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصِ الزُّهْرِيِّ ، وَعَلَى الْقُرَّاءِ جَبَلَةَ بْنَ زَخْرٍ بْنِ قَيْسِ الْجُعْفِيِّ ، وَكَانَ فِي الْقُرَّاءِ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَعَامِرُ الشَّعْبِيِّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى وَكُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ - وَكَانَ شَجَاعًا فَاتِكًا عَلَى

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ : « وَإِبْقَاءَ إِمْرَةِ مُحَمَّدِ بْنِ مِرْوَانَ عَلَى الْعِرَاقِ » .

(٢ - ٢) فِي ١ ، ٣ ، ٢ ، م ، ص : « وَنَائِبِهِ » .

(٣ - ٣) فِي ١ ، ٣ ، ٢ ، م ، ص : « سُلَيْمَان » . وَانْظُرْ تَارِيخَ الطَّبَرِيِّ ٣٤٩/٦ .

(٤) فِي م : « الْجِشَم » .

(٥) فِي ١ ، ٣ ، ٢ ، م ، ص : « أَبُو رِبْعَةَ » . وَانْظُرْ تَارِيخَ الطَّبَرِيِّ ٣٤٩/٦ .

كَبِيرِ سَنَةٍ - وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ الطَّائِي ، وَغَيْرُهُمْ .

وَجَعَلُوا يَقْتَتِلُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَأَهْلُ الْعِرَاقِ تَأْتِيهِمُ الْمِيرَةُ ، مِنَ الرِّسَالَتِ
وَالْأَقَالِيمِ ؛ مِنَ الْعَلَفِ وَالطَّعَامِ وَغَيْرِهِ ^(١) ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّامِ الَّذِينَ مَعَ الْحِجَاجِ ^(٢) فَفِي
ضَيْقٍ ^(٣) مِنَ الْعَيْشِ ، وَقَلَّةٍ مِنَ الطَّعَامِ ، وَقَدْ فَقَدُوا اللَّحْمَ بِالْكُلِّيَّةِ فَلَا يَجِدُونَهُ ، وَمَا
زَالَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ كُلِّهَا حَتَّى انْسَلَخَتْ هَذِهِ السَّنَةُ ، وَهُمْ عَلَى
حَالِهِمْ وَقِتَالِهِمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ يَوْمٍ بَعْدَ يَوْمٍ ، وَالدَّائِرَةُ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ
فِي أَكْثَرِ الْأَيَّامِ . ^(٤) وَقَدْ قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ الْحِجَاجِ زِيَادُ بْنُ غَنَمٍ ، وَكَسَرَ بِسِطَامُ بْنُ
مَصْقَلَةَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ جَفَوْنَ سَيُوفِهِمْ ، وَاسْتَقْتَلُوا ، وَكَانُوا مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ
الْأَشْعَثِ ^(٥) .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ وَفَاةُ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ ، ^(٦) وَهُوَ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي
صُفْرَةَ ظَالِمٌ أَبُو سَعِيدٍ الْأَزْدِيُّ ^(٧) ، أَحَدُ أَشْرَافِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَوُجُوهِهِمْ وَدُهَايَتِهِمْ
وَأَجْوَادِهِمْ وَكِرْمَائِهِمْ . وَوُلِدَ عَامَ الْفَتْحِ ، وَكَانُوا يَنْزِلُونَ فِيمَا بَيْنَ عُمَانَ وَالْبَحْرَيْنِ ،
وَقَدْ ارْتَدَّ قَوْمُهُ فَقَاتَلَهُمْ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ فَظَفِيرَ بِهِمْ ، وَبَعَثَ بِهِمْ إِلَى ^(٨)

(١) سقط من : م .

(٢ - ٣) فِي ١ ، ٣ ، ٢١ ، م ، ص : « فِهِمْ فِي أَضْيَقِ حَالٍ » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل . وانظر تاريخ الطبري ٦ / ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(٤ - ٤) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٥) انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧ / ١٢٩ ، والمعارف ٣٩٩ ، وتاريخ دمشق ١٧ / ٤٤١

(مخطوط) وسير أعلام النبلاء ٤ / ٣٨٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص

٢٠٦ ، والإصابة ٦ / ٣٨٦ .

«الصدّيق وفيهم أبو صُفْرَة وابنه المهلب غلام لم يبلغ الحنث، ثم نزل المهلب البصرة وقد غزا في أيام معاوية أرض الهند سنة أربع وأربعين، وولى الجزيرة لابن الزبير سنة ثمان وستين، ثم ولى حرب الخوارج أوّل دولة الحجاج، وقتل منهم في وقعة واحدة أربعة آلاف وثمانمائة، فعظمت منزلته عند الحجاج. وكان فاضلاً شجاعاً كريماً يحب المدح، وله كلام حسن؛ فمنه: نِعَم الخصلة السخاء، تستر عورة الشريف وتلحق خسيسته^(٢) الوضيع، وتُحبّب المزهود فيه^(٣). وقال^(٤): يُعجّني في الرّجل خصلتان؛ أن أرى عقله زائداً على لسانه، ولا أرى لسانه زائداً على عقله.

توفّي المهلب غازياً بمزور الرّوذ، وعمره ستة وسبعون سنة، رحمه الله. وكان له عشرة من الولد، وهم: يزيد، وزياذ، والمفضل، ومُدرِك، وحبيب، والمغيرة، وقبيصة، ومحمد، وهند، وفاطمة. توفّي المهلب^(١) في ذى الحجة منها، وكان من الشجعان، وله مواقف حميدة وغزوات مشهورة في الترك والأزارقة وغيرهم من أنواع الخوارج^(٥)، وجعل الأمر من بعده لولده يزيد بن المهلب على إمرة خراسان، فأمضى ذلك الحجاج وعبد الملك بن مروان.

^(٦) وفي جمادى الآخرة منها عزل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان عن

(١ - ١) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٢) في الأصل، ٣١، ٢١، ص: «خسيسته»، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٤٥/٢٦.

(٣) تاريخ دمشق ٤٥١/١٧ (مخطوط).

(٤) تاريخ دمشق ٤٥٠/١٧ (مخطوط).

(٥) بعده في الأصل: «وأصناف الكفرة وقد أوصى عند موته بكلمات تشتمل على مكارم الأخلاق ومحاسن القيم ومعالي الهمم».

(٦ - ٦) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص. وانظر تاريخ الطبري ٣٥٥/٦، ٣٥٦.

(١) إِمْرَةُ الْمَدِينَةِ أَبَانَ بْنَ عَثْمَانَ وَوَلَّى عَلَيْهَا هِشَامَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْخَزُومِيَّ ، وَكَانَتْ وَلَايَةُ أَبَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ سَبْعَ سِنِينَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَكَانَ عَلَى إِمْرَةِ بِلَادِ الْمَشْرِقِ بِكَمَالِهِ الْحِجَالُجُ بْنُ يُوسُفَ ، وَالنَّوَابُ فِي الْأَقَالِيمِ مِنْ تَحْتِ يَدِهِ ، وَهُوَ مَشْغُولٌ عَنْ تَدْيِيرِ الْمَمَالِكِ بِحَرْبِ ابْنِ الْأَشْعَثِ فِي هَذِهِ الْمَدَةِ كُلِّهَا .

قال أبو معشر^(٣) : وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَبَانُ بْنُ عَثْمَانَ الَّذِي كَانَ نَائِبَ الْمَدِينَةِ .

[٩٧/٧] وَفِيهَا تُوفِّي^(١) أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ الْفَزَارِيُّ الْكُوفِيُّ^(٥) ، كَانَ جَوَادًا مُدَّحًا ، حُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ رَأَى يَوْمًا شَابًّا عَلَى بَابِ دَارِهِ جَالِسًا ، فَسَأَلَهُ عَنْ قَعُودِهِ عَلَى بَابِهِ فَقَالَ : حَاجَةٌ لَا أَسْتَطِيعُ ذِكْرَهَا . فَأَلَحَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : جَارِيَةٌ رَأَيْتُهَا دَخَلَتْ هَذِهِ الدَّارَ ، لَمْ أَرْ أَحْسَنَ مِنْهَا وَقَدْ خَطَفْتُ قَلْبِي مَعَهَا . فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَأَدْخَلَهُ دَارَهُ ، وَعَرَّضَ عَلَيْهِ كُلَّ جَارِيَةٍ عِنْدَهُ حَتَّى مَرَّتْ تِلْكَ الْجَارِيَةُ فَقَالَ : هَذِهِ ؟ فَقَالَ لَهُ : اخْرُجْ فَاجْلِسْ عَلَى الْبَابِ مَكَانَكَ . فَخَرَجَ الشَّابُّ فَجَلَسَ مَكَانَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِ بَعْدَ سَاعَةٍ وَالْجَارِيَةُ مَعَهُ قَدْ أَلْبَسَهَا أَنْوَاعَ الْحُلِيِّ ، وَقَالَ لَهُ : مَا مَنَعَنِي أَنْ أَدْفَعَهَا إِلَيْكَ وَأَنْتَ دَاخِلَ الدَّارِ إِلَّا أَنَّ الْجَارِيَةَ كَانَتْ لِأُخْتِي ، وَكَانَتْ ضَنْيْنَةً بِهَا ، فَاشْتَرَيْتُهَا لَكَ مِنْهَا بِثَلَاثَةِ آلَافٍ ، وَأَلْبَسْتُهَا هَذَا الْحُلِيَّ ، فَهِيَ لَكَ بِمَا عَلَيْهَا . فَأَخَذَهَا الشَّابُّ وَانصَرَفَ^(٤) .

(١ - ١) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص . وانظر تاريخ الطبري ٣٥٥/٦ ، ٣٥٦ .

(٢) سقط من : الأصل . وانظر تاريخ الطبري ٣٥٥/٦ .

(٣) تاريخ الطبري ٣٥٦/٦ .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) انظر ترجمته في : تاريخ دمشق ٥١/٩ ، وسير أعلام النبلاء ٥٣٥/٣ ، وفوات الوفيات ١٦٨/١ ،

١٦٩ ، والوفاء بالوفيات ٥٩/٩ ، والإصابة ١٩٥/١ .

^(١) المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة^(٢) ، كان جواداً مُمدّحاً شجاعاً ، له مواقف مشهورة .

الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي^(٣) ، المعروف بقُبّاع ، ولي إمرة البصرة لابن الزبير .

محمد بن أسامة بن زيد بن حارثة^(٤) ، كان من فضلاء أبناء الصحابة وأعقلمهم . تُوفى بالمدينة ، ودُفن بالبقيع .

عبد الله بن أبي طلحة بن الأسود^(٥) ، والدُ الفقيه إسحاق . حملت به أمّه أم سليم ليلة مات أبؤها ، فأصبح أبو طلحة فأعلم النبي ﷺ ، فقال ﷺ : « أعرستم ؟ بارك الله لكما في ليلتكما »^(٦) . ولما وُلد حنّكه بتمرات .

عبد الله بن كعب بن مالك^(٧) ، كان قائد كعب حين عَمِي ، له روايات . تُوفى بالمدينة هذه السنة^(٨) .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) انظر ترجمته في : وفیات الأعيان ٥ / ٣٥٤ ، وفوات الوفيات ٢ / ٣٠ ، ٣١ ، وخزانة الأدب ١٠ / ٤ ، وانظر الكامل في التاريخ ٤ / ٤٧٢ .

(٣) سقط من النسخ . وانظر مصادر ترجمته التالية .

(٤) انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٥ / ٢٨ ، ٤٦٤ ، وأسد الغابة ١ / ٤٠٢ ، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٤٨١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٤٨ ، والإصابة ٢ / ١٩٥ .

(٥) سقط من النسخ . انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٥ / ٢٤٦ ، والثقات لابن حبان ٥ / ٣٥٣ ، ومشاهير علماء الأمصار ٥ / ٦٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ١٧٩ .

(٦) في م : « أبى الأسود » . وانظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٥ / ٧٤ ، والاستيعاب ٣ / ٩٢٩ ، وأسد الغابة ٣ / ٢٨٤ ، وتهذيب الكمال ١٥ / ١٣٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ١١٣ ، والإصابة ٥ / ١٥ .

(٧) البخارى (٥٤٧٠) ، ومسلم (٢١٤٤ / ٢٣) .

(٨) انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٥ / ٢٧٢ ، والجرح والتعديل ٥ / ١٤٢ ، وتهذيب الكمال =

«سفيان»^(٢) بن وهب أبو أيمن الخولاني المصري، له ضجة ورواية، وغزا المغرب، وسكن مصر وبها مات^(١).

جميل بن عبد الله^(٣) بن مغمير بن صباح^(٤) بن ظبيان بن حن^(٥) بن ربيعة بن حرام بن ضنة^(٦) بن عبد^(٧) بن كثير^(٨) بن عذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سود^(٩) بن أسلم بن الحاف بن قضاة، أبو عمرو الشاعر، صاحب بئنة، كان قد خطبها فمئعت منه، فتغزل فيها، واشتهر بها، وكان أحد عشاق العرب^(١١)، كانت إقامته بوادى القرى^(١٢) وما حوله^(١٣)، وكان غفياً صيئاً^(١٤)

= ٤٧٣/١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١-١٠٠ هـ) ص ٧٤٨، والوفى بالوفيات ١٧/٤١١. (١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) تحرفت فى ١، ٣، ٢، م، ص إلى: «عنان». وانظر ترجمته فى: الاستيعاب ٢/٦٣١، وأسد الغابة ٢/٤١٠، والإصابة ٣/١٣١.

(٣) انظر ترجمته فى: طبقات فحول الشعراء ٢/٦٦٩، والشعر والشعراء ١/٤٣٤، والأغاني ٨/٩٠، وتاريخ دمشق ١١/٢٥٥، ووفيات الأعيان ١/٣٦٦، وسير أعلام النبلاء ٤/٣٨٥، ٣٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١-١٠٠ هـ) ص ٣١١، والوفى بالوفيات ١١/١٨٢. (٤) فى الأغاني ٨/٩٠: «الحارث».

(٥) فى ١، ٣، ص: «سحن». وفى م: «الحسن». وضبطه ابن خلكان هكذا؛ بضم الحاء المهملة وتشديد النون.

(٦) فى النسخ، ووفيات الأعيان: «ضبة» والمثبت من الأغاني، وتاريخ دمشق. وانظر التاج (ض ن ن).

(٧) فى م: «عبيد». وفى ص: «عبد الله».

(٨) فى تاريخ دمشق: «كبير».

(٩) سقط من: الأصل. وتوقف نسبه فى تاريخ دمشق عند «سعد». وفى الأغاني: «بن سعد، وهو هذيم؛ وسمى بذلك إضافة لاسمه إلى عبد لأبيه يقال له: هذيم. كان يحضنه فغلب عليه».

(١٠) فى ١، ٣، ٢، م: «سرهد». وفى ص: «سرمد». وانظر الأغاني.

(١١) فى الأصل: «العراق».

(١٢ - ١٢) سقط من: م.

(١٣) فى م: «حييا».

ديّنا شاعرًا إسلاميًا ، من أفصح الشعراء في زمانه .

وكان كُثَيِّرُ عَزَّةَ راويته ، وهو يزوى عن هُذْبَةَ بْنِ خَشْرَمٍ ^(١) ، عن الحطيئة ،
عن زهير بن أبي سُلمى وابنه كعب . قال كُثَيِّرُ عَزَّةَ ^(٢) : كان جميلٌ أشعرَ العرب ،
حيث يقول ^(٣) :

وخبّرُتْمانى ^(٤) أنَّ تيماءَ منزلٌ لليلَى إذا ما الصَّيفُ ألقى المراسيا
فهذى شهورُ الصَّيفِ عَنَّا قد انقضت فما للثوى ترمى بليلى ^(٥) المراميا
ومنها قوله :

وما زلتِ بى يا بثن ^(٦) حتى لو اننى من الشوقِ أَسْتَبْكِي الحمامَ بكى ليا
وما زادنى الواشونَ إلا صَبَابَةً ولا كثرةُ النَّاهينَ إلا تَمَادِيَا
وما أحدثُ التَّائِي المَفْرُقُ بيننا سَلُّوا ولا طولُ الليالى ^(٧) تَقَالِيَا
ألم تَغْلِمِي يا عَذْبَةَ الرِّيقِ أننى أَظْلُ إذا لم أَلَقَ وجهَكَ صاديا
لقد خِفْتُ أن ألقى المنيّةَ بغتةً وفى النَّفْسِ حاجاتٌ إليك كما هيا
ومما أورد له القاضى ابنُ خَلْكَانَ فى الوفياتِ ^(٨) قوله :

(١) فى م : « خشم » . وانظر وفيات الأعيان ١/٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(٢) الأغاني ٨/١٢٥ ، ووفيات الأعيان ١/٣٦٧ .

(٣) الأبيات فى ديوانه ص ١٣٩ ، والأغاني ٨/١٢٥ ، ١٢٦ ، ووفيات الأعيان ١/٣٦٧ .

(٤) فى م : « وأخبرتْمانى » . وانظر ديوانه ص ١٣٩ .

(٥) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ : « بنيل » .

(٦ - ٦) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، ص : « زلتم نائين » . وانظر الديوان ١٣٩ .

(٧) فى م : « اجتماع » . وهى كذلك فى الديوان ، وفى الأغاني : « التلقى » . وانظر وفيات الأعيان ١/٣٦٧ .

(٨) وفيات الأعيان ١/٣٦٧ ، وانظر ديوانه ص ٦٠ ، والأغاني ٨/١٠٢ ، وتاريخ دمشق ١١/٢٧٦ .

إِنِّي لَأَحْفَظُ سِرَّكُمْ^(١) وَيَسِّرُنِي^(٢) «لَوْ تَعْلَمِينَ» بِصَالِحٍ^(٣) أَنْ تُذَكِّرَنِي
إِلَى أَنْ قَالَ^(٤) :

مَا أَنْتَ وَالْوَعْدُ الَّذِي تَعْدِينَنِي إِلَّا كَبْرَقِ سَحَابَةٍ لَمْ تُثْمَرِ
وَقَوْلُهُ^(٥) - وَرَوَى لِعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، فِيمَا نَقَلَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ - : [٩٧/٧ ظ]

مَازَلْتُ أَبْغِي الْحَيَّ أَتْبَعُ فَلَهُمْ حَتَّى دُفِعْتُ^(٦) إِلَى رَبِيعَةَ هُوْدَجٍ
فَدَنَوْتُ مُخْتَفِيًا أُلِّمْتُ بِبَيْتِهَا حَتَّى وَلَجْتُ إِلَى خَفِيِّ الْمَوْلَجِ^(٧)
«قَالَتْ وَعِيشِ أَخِي وَنِعْمَةً^(٨) وَالِدِي^(٩)» لِأَنْبُهَنَّ الْحَيَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ
فَتَنَاوَلْتُ رَأْسِي^(١٠) لِيَتَعَرَفَ مَسَّهُ^(١١) بِمُخَضَّبِ الْأَطْرَافِ غَيْرِ مَشْنَجٍ
فَخَرَجْتُ خِيفَةً أَهْلُهَا فَتَبَسَّمْتُ فَعَلِمْتُ أَنَّ يَمِينَهَا^(١٢) لَمْ تَخْرُجْ^(١٣)

(١) في م : «غيبكم» . وانظر مصادر التخريج .

(٢ - ٣) في الأغاني : «إذ تذكركين» .

(٣) في ١، ٣، ٢، ص : «مصالحا» .

(٤) الديوان ٦١، والأغاني ١٠٢/٨، ووفيات الأعيان ٣٦٨/١ .

(٥) الأبيات ليست في ديوان جميل (ط . صادر) . وبعضها في الشعر والشعراء ٤٤١/١ منسوبا لجميل . والأبيات ضمنها الأستاذ / محي الدين عبد الحميد شارح ديوان عمر بن أبي ربيعة القسم الثالث، من شرح الديوان ؛ فيما نسب إلى عمر بن أبي ربيعة وليس في أصول الديوان . وما أورده المصنف عزاه ابن خلكان في وفيات الأعيان ١/٣٦٩ - ٣٧٠ إلى ابن عساكر في تاريخه . وهو بنحوه في تاريخ دمشق ١١/٣٨٣ - ٣٧٤، لجميل أو غيره .

(٦) في الأصل : «رفعت» . وهو في شرح ديوان ابن أبي ربيعة ٤٨٨ :

مَازَلْتُ أَتْبَعُهُمْ أَسْمَعُ حَدْوَهُمْ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى رَبِيعَةَ هُوْدَجٍ .

(٧) في النسخ : «المدلج» . وانظر مصادر التخريج .

(٨ - ٩) في شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة : «قالت وعيش أخى وحرمة إخوتى» .

(٩ - ١٠) في الشعر والشعراء : «ونقمة» .

(١٠ - ١١) في الأصل : «مس» . وفي ١، ٣، ٢، ص : «بجيد» .

(١١ - ١٢) في الأصل ، والشعر والشعراء ، وتاريخ دمشق ، ووفيات الأعيان : «لم تلجج» وفي ٣، =

فلشمت فاهَا آخِذَا بقرونها ^(١) شرب ^(٢) الزيف يبرد ماء الحشرج ^(٣)

قال كثير عزة ^(٤) : لقينى جميل بثينة ، فقال : من أين أقبلت ؟ فقلت : من عند ^(٥) هذه الحبيبة . فقال : وإلى أين ؟ فقلت : إلى هذه الحبيبة - يعنى عزة - فقال : أقسمت عليك لما ^(٦) رجعت إلى بثينة فواعدتها لى ؛ فإن لى من أول الصيف ^(٧) ما رأيتها ، وكان آخر عهدى بها بوادى الدوم ^(٨) ، وهى تغسل هى ^(٩) وأُمها ^(١٠) ثوبًا ، فتحدثنا إلى الغروب . قال كثير : فرجعت حتى أنخت بهم . فقال أبو بثينة : ما ردك يا ابن أخى ؟ فقلت : أبيت قلتها ، فرجعت لأعرضها عليك . فقال : وما هى ؟ فأنشدته ، وبثينة تسمع من وراء الحجاب :

فقلت لها يا عز أرسل صاحبى إليك رسولاً والرسول موكَّل ^(١١)
بأن تجعلى بينى وبينك موعداً وأن تأمرينى ^(١٢) ^(١٣) ما الذى ^(١٤) فيه أفعل

= ص : « بتلجج » . وفى ٢١ : « تلجج » . وانظر شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة ٤٨٨ . وأخرج فى يمينه : حنث فيها .

(١ - ١) فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « فرشفت ريقًا باردًا متلجج » .

(٢) فى الشعر والشعراء : « فعل » .

(٣) الشعر والشعراء ١/ ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، والأغاني ٨/ ١٠٦ ، ١٠٧ ، باختلاف يسير ، وتاريخ دمشق ١١/ ٢٦٥ ، ٢٦٦ - ٢٦٧ . بروايتين مختلفتين ، ووفيات الأعيان ١/ ٣٦٨ - ٣٦٩ .

(٤ - ٤) فى المصادر : « أبى الحبيبة - يعنى بثينة » .

(٥) فى الأصل : « ألا » .

(٦) فى الأغاني : « الصيد » .

(٧) فى النسخ : « القرى » . والمثبت من مصادر التخريج . ووادى الدوم : واد معترض من شمالى خير إلى قبلها ، يفصل بين خير والعوارض . ووادى القرى : واد بين المدينة والشام . معجم البلدان ٤/ ٨٧٥ ، ٨٧٨ .

(٨ - ٨) كذا فى النسخ . وفى الشعر والشعراء ، والأغاني ، ووفيات الأعيان أنها كانت معها جارية لها .

(٩) فى الأغاني : « مرسل » .

(١٠) فى ابن عساكر : « تخبرينى » .

(١١ - ١١) فى تاريخ دمشق ، ووفيات الأعيان : « بالذى » .

وَأَخِرُ عَهْدِي مِنْكَ يَوْمَ لِقَائِي بِأَسْفَلِ وَادِي الدَّوْمِ والثوبُ يُغْسَلُ
^(١) قال : فَضَرَبْتُ بَشِينَةً جَانِبَ خَدْرِهَا ، وَقَالَتْ : اِحْسَأْ ، اِحْسَأْ . فَقَالَ أَبُوهَا :
 مَهْيِمٌ ^(٢) ؟ فَقَالَتْ : كَلْبٌ يَأْتِينَا إِذَا نَامَ النَّاسُ ، مِنْ وَرَاءِ الرَّايَةِ . ثُمَّ قَالَتْ لَجَارِيَتِهَا :
 ابْعِثِي مِنَ الدَّوْمَاتِ حَطْبًا لِيَشْوَى بِهِ لِكَثِيرٍ شَاةً . فَقُلْتُ : أَنَا أَعْجَلُ مِنْ ذَلِكَ .
 وَانْطَلَقْتُ إِلَى جَمِيلٍ ، فَقُلْتُ : مَوْعِدُكَ الدَّوْمَاتُ . قَالَ ^(٣) : فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ أَقْبَلْتُ
 بُيْنَتَهُ ^(٤) إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وَعَدْتُهُ إِلَيْهِ ^(٥) ، وَجَاءَ جَمِيلٌ ، وَكُنْتُ مَعَهُمَا فَمَا رَأَيْتُ لَيْلَةً
 أَعْجَبَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ ^(٦) مُنَادِمَاتٍ ، وَانْفَضَّ ^(٧) ذَلِكَ الْمَجْلِسُ وَمَا أَدْرَى أَتَيْتُهُمَا أَفْهَمُ
 لِيَا فِي ضَمِيرِ صَاحِبِهِ مِنْهُ .

وَذَكَرَ الزَّيْبُرُ بْنُ بَكَّارٍ ^(٨) عَنْ عَبَّاسٍ ^(٩) بْنِ سَهْلٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى
 جَمِيلٍ ، وَهُوَ يَمُوتُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ لَمْ يَشْرَبِ الْخَمْرَ قَطُّ ، وَلَمْ يَزِنْ
 قَطُّ وَلَمْ يَسْرِقْ ، وَلَمْ يَقْتُلِ النَّفْسَ ، وَهُوَ ^(١٠) يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ قَالَ : أَظُنُّهُ
 [٩٨/٧] قَدْ نَجَا وَأَرْجُو لَهُ الْجَنَّةَ ، فَمَنْ هَذَا ؟ قَالَ : أَنَا . فَقُلْتُ : وَاللَّهِ مَا أَظُنُّكَ
 سَلِمْتَ وَأَنْتَ تُشَبِّبُ ^(١١) مِنْذُ عَشْرِينَ سَنَةً بِبُيْنَتِهِ . فَقَالَ : لَا نَالَتْنِي شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ
 ﷺ - وَإِنِّي لَفِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ وَآخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا - إِنْ كُنْتُ

(١ - ١) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٢) مهيم : كلمة ميمية ، يستفهم بها ، معناها : ما أملك أو شأنك ، ونحو هذا .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤ - ٤) في الأصل : « من » .

(٥) الشعر والشعراء ١/ ٤٤٠ ، وتاريخ دمشق ١١/ ٢٨٠ ، ووفيات الأعيان ١/ ٣٧٠ .

(٦) في ٣١ : « عياش » .

(٧) سقط من : الأصل .

(٨) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « بالنساء » .

وضعت يدي عليها بريية . قال : فما برحنا^(١) حتى مات .

قلت : كانت وفاته بمصر ؛ لأنه كان قد قدم على عبد العزيز بن مروان فأكرمه ، وسأله عن حبه بشينة ، فقال : شديد . واستنشدته من أشعاره ومدائحه فأنشدته ، فوعده أن يجمع بينه وبينها فعاجلته المنية في سنة ثنتين وثمانين ، رحمه الله ، آمين^(٢) .

وقد ذكر الأصمعي^(٣) ، عن رجل ، أن جميلًا قال له : هل أنت مبلغ عني رسالة إلى حيّ بشينة ، ولك ما عندي ؟ قال : نعم . قال : إذا أنا ميت فاركب ناقتي ، والبس لحتي هذه . وأمره أن يقول أبياتًا^(٤) ؛ منها قوله :

قومي بشينة فاندبي بعويل وابكي خليلك^(٥) دون كل خليل
فلما انتهى إلى حيهم أنشد الأبيات ، قال : فخرجت بشينة كأنها بدر^(٦) بدا في
دجنة^(٧) ، وهي تشقى في مرطها فقالت له : ويحك ، إن كنت صادقًا فقد قتلتني ، وإن
كنت كاذبًا فقد فضحتني . فقلت : بل والله صادق ، وهذه لحتي وناقته^(٨) . فلما
تحققت ذلك صاحت^(٩) بأعلى صوتها ، وصكت وجهها ، واجتمع نساء الحي إليها ،
يكيّن معها ، ثم صعبت مغشيًا عليها ، ثم أفادت ، وهي تقول :

(١) في ص : « برحت » .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) أخرجه أبو الفرج في الأغاني ١٥٣/٨ بسنده عن الأصمعي ، وعزاه في وفيات الأعيان ٣٧٠/١ إلى صاحب الأغاني .

(٤) الأبيات في ديوانه ١١٩ ، والشعر والشعراء ٤٤٢/١ .

(٥) في الأصل : « جميلًا » . وفي ١ ، ٣ ، ٢ ، م ، ص : « خليلًا » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٦ - ٦) في الأصل ، ١ ، ٢ : « مردى حية » . وفي م : « سرى في جنة » . وفي ص : « سرادى حبة » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) من هنا وحتى قوله : « لينها » - في الصفحة التالية - في ١ ، ٣ ، ٢ ، م ، ص : « أنشدت أبياتًا ترثيه بها =

وإنَّ سُلُوْىَ عن جميلٍ لساعة^(١) من الدهرِ ما حانت^(٢) ولا حان^(٣) حينُها
سواءً علينا يا جميلُ بنَ معمرٍ إذا مِتَّ بأساءِ الحياةِ وليُنْها
قال الرجلُ: فما رأيتُ أكثرَ باكيًا ولا باكيةً من يومئذٍ .

وروى ابنُ عساكر^(٤) عنه أنه قيل له بدمشق: لو تركتَ الشعرَ وحفظتَ
القرآنَ؟ فقال: هذا أنسُ بنُ مالكٍ يخبرُنِي عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، أنه قال: «إنَّ
مِنَ الشعرِ حكمةً» .

عمرُ بنُ عبيدِ اللَّهِ بنِ مَعْمَرٍ بنِ عثمانَ، أبو حفصِ القُرَشِيِّ التيمي^(٥)، أحدُ
الأجوادِ والأمرءِ الأمجادِ، فُتِحَتْ على يديه بلدانٌ كثيرةٌ، وكان نائبًا لابنِ الزبيرِ
على البصرة^(٦)، وقد فتحَ كابلَ مع عبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ . وهو الذى قَتَلَ قَطْرِيَّ بنَ
الفُجَاءَةِ^(٧) .

روى عن ابنِ عمرَ وجابرٍ وغيرهما، وعنه^(٨) عطاءُ بنُ أبى رباحٍ، وابنُ عَوْنٍ .
ووفدَ على عبدِ الملكِ، فثوَّفِي بدمشقَ سنةً ثنتينِ وثمانينَ، قاله المدائني^(٩) .

= وتأسف عليه فيها، وأنه لا يطيب لها العيش بعده، ولا خير فى الحياة بعد فقده . ثم ماتت من ساعتها .

(١) فى الأصل: «ساعة» .

(٢) فى الشعر والشعراء: «جاءت» .

(٣) فى الأصل: «كان» . والمثبت من مصادر التخريج .

(٤) تاريخ دمشق ٢٥٦/١١، وعزاه ابن خلكان فى الوفيات ٣٦٦/١ إلى ابن عساكر .

(٥) فى م: «التيمي» . وانظر ترجمته فى: نسب قريش ٢٨٨، والجرح والتعديل ١٢٠/٦، والثقات

١٧٧/٧، وجمهرة أنساب العرب ١٤٥، وتاريخ دمشق ٣٣٥/١٣ (مخطوط)، وسير أعلام النبلاء

١٧٢/٤ - ١٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٦١ .

(٦ - ٦) سقط من: الأصل .

(٧) فى م: «عن» .

(٨) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٦٣ .

١) وحكى^(٢) أن رجلاً^(٣) اشترى جارية^(٤) كانت تُحسِنُ القرآنَ والشَّعرَ وغيره ، فأحبَّها حبًّا شديدًا ، وأنفقَ عليها مالَه كُلَّهُ حتى أفلس ولم يبقَ له شيءٌ سوى هذه الجارية ، فقالت له الجاريةُ : قد أرى ما بك مِن قِلَّةِ الشيء ، فلو يعتنى وانتفعتَ بتمنى صلحِ حالِك . فباعها لعمر بن عبيد الله هذا - وهو يومئذ أميرُ البصرة - بمائة ألفِ درهمٍ ، فلما قبضَ المالَ ندمَ وندمتِ الجاريةُ ، فأنشأت^(٥) تخاطبُ^(٦) مولاهما الذى باعها^(٧) :

[٩٨/٧ظ] هنيئًا لك المال الذى قد أخذته ولم يبقَ فى كفىٍّ إلا تفكرى
أقولُ لنفسي وهى فى كربٍ عَشِيَّةٍ^(٨) أقلى فقد بانَ الخليطُ أو اكثرى
إذا لم يكنْ فى الأمرِ عندك حيلةٌ ولم تجدى بُدًا مِنَ الصَّبرِ فاصبرى
فأجابها سيدها ، فقال :

ولولا قعودُ الدَّهرِ بى عنك لم يكنْ لفرقتنا شيءٌ سوى الموتِ فاعذرى^(٩)
أغوبُ بخزْنٍ مِن فراقِك مُوجِعٍ أناجى به قلبًا طويلَ التَّذكُّرِ
عليك سلامٌ^(١٠) لا زيارةَ بيننا ولا وصلَ إلا أن يشاءَ ابنُ معمرٍ
^(١١) فلما سمعها ابنُ معمرٍ قد شَبَّبتْ ، قال : واللَّهِ لا فرقتُ بينَ مُحَبِّينَ أبدًا^(١٢) .

(١ - ١) فى الأصل : « ومن مكارمه أنه » .

(٢) أخرج هذه القصة ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٣٩/١٣ (مخطوط) ، وذكرها الذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ١٦٣ ، باختصار .

(٣ - ٣) فى الأصل : « بمائة ألف فتوجعت على فراق سيدها ، وقالت » .

(٤ - ٤) فى ١ ، ٣ ، ٢ ، م ، ص : « سيدها بأبيات شعر هى » .

(٥) فى الأصل ، ١ ، ٣ ، م : « عيشة » . والمثبت كما فى تاريخ الإسلام .

(٦) فى ١ ، ٢ ، م ، ص : « فاصبرى » .

(٧) بعده فى ص : « الله » .

(٨ - ٨) فى الأصل : « فقال ابن معمر : خذها وثمنها » .

^(١) ثم أعطاه المال - وهو مائة ألف - والجارية ، لما رأى من توجُّعِهما على فراقِ كلِّ منهما صاحبه ، فأخذ الرجلُ الجاريةَ وثمنها وانطلق .

توفى عمرُ بنُ عبیدِ اللَّهِ بنِ مَعْمَرٍ هذا بدمشقَ ، بالطَّاعونِ ، وصلى عليه عبدُ الملكِ بنُ مروانَ ، ومشي في جنازته وحضر دفته ، وأثنى عليه بعد موته ، وكان له من الولدِ طلحةُ ، وهو من ساداتِ قريشٍ ، تزوجَ فاطمةَ بنتَ القاسمِ بنِ محمدِ بنِ جعفرٍ ، على صداقِ أربعين ألفَ دينارٍ ، فأولدها إبراهيمَ ورملةُ ، فتزوجَ رملةُ إسماعيلَ بنَ عليٍّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، على صداقِ مائة ألفَ دينارٍ ، رجمهم اللَّهُ ^(١) .

كَمَيْلُ بنُ زِيَادٍ ^(٢) بنُ نَهْيكٍ ^(٣) بنِ الهيثمِ ^(٤) التَّخَعِيُّ الكوفيُّ ^(٥) . روى عن عمرَ وعثمانَ وعليٍّ وابنِ مسعودٍ وأبي هريرةَ . وشهد مع عليٍّ صفينَ ، وكان شجاعاً فاتكاً ، وزاهداً عابداً ، قتله الحجاجُ في هذه السنة - ^(٦) وقد عاش مائة سنة - قتله صبراً بين يديه ، وإنما نَقِمَ عليه لأنه طَلَبَ من عثمانَ بنِ عفَّانَ القصاصَ من لَطْمَةِ لَطْمِهَا إياه . فلما أمكنه عثمانُ من نفسه عفا عنه ، فقال له الحجاجُ : أَوْ مِثْلَكَ يَسْأَلُ من أميرِ المؤمنينِ القصاصَ ^(٧) ؟ ثم أَمَرَ فُضْribتَ عنقه ، قالوا ^(٨) :

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢ - ٢) سقط من : ١ ، ٣ ، ٢ ، ص .

(٣) في م : « خيثم » . وفي تاريخ الإسلام : « هيثم » . والمثبت موافق لما في تهذيب الكمال .

(٤) انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٦/ ١٧٩ ، وجمهرة أنساب العرب ٥/ ٤ ، والكمال ٣/ ١٣٨ ،

١٤٤ ، ٤/ ٤٧٢ ، ٤٨١ ، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٢١٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ -

١٠٠ هـ) ص ١٧٦ ، والإصابة ٥/ ٦٥٣ .

(٥ - ٥) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٤/ ٦٠٧ ، ٦٠٨ (مخطوط) ، والذهبي في تاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ١٧٧ .

«وذكر الحجاج عليًا في غبون ذلك فنال منه، وصلى عليه كميل، فقال له الحجاج: والله لأبعثن إليك من يُغيضُ عليًا أكثر مما تحبه أنت. فأرسل إليه ابن أدهم، وكان من أهل حمص، ويقال: أبا الجهم بن كنانة. فضرب عنقه.

وقد روى عن كميل جماعة كثيرة من التابعين، وله الأثر المشهور عن علي ابن أبي طالب، الذي أوَّلُه^(٢): القلوب أوعية؛ فخبرها أوعاها. وهو طويل، قد رواه جماعة من الحفاظ الثقات، وفيه مواعظ وكلام حسن، رضى الله عن قائله^(١).

زاذان أبو عمر الكندي^(٣)، أحد التابعين، كان أولًا يشرب المشكر ويضرب بالطنبور، فزقه الله التوبة على يد عبد الله بن مسعود، وحصلت له إنابة ورجوع إلى الحق وخشية شديدة، حتى إذا كان في الصلاة كأنه خشبة.

وقال مرة: إني جائع. فنزل عليه من الروزنة رغيف مثل الرحا.

وهو ثقة عند ابن معين وغيره. قال خليفة^(٤): توفي سنة ثنتين وثمانين.

قال خليفة^(٥): وفيها توفي زر بن حبیش أحد أصحاب ابن مسعود وعائشة،

(١ - ١) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٠٥/١٤ - ٦٠٧ (مخطوط)، والمزى في تهذيب الكمال ٢٢٠/٢٤ - ٢٢٢.

(٣) انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ١٧٨/٦، وطبقات خليفة ٣٦٤/١، ومشاهير علماء الأمصار ١٠٤، وحلية الأولياء ٤٣٠/٤، وتاريخ بغداد ٤٦٣، وصفة الصفوة ٥٩/٣، وتهذيب الكمال ٩/٢٦٣، وسير أعلام النبلاء ٢٨٠/٤، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٦٤، الوافي بالوفيات ١٦٢/١٤.

(٤) تاريخ خليفة ٣٧٣/١.

(٥) المصدر السابق.

وقد أتت عليه مائة وعشرون سنة . وقال أبو عبيد : مات سنة إحدى وثمانين ،
وقد تقدّمت له ترجمة^(١) .

وشقيقُ بنُ سلمة أبو وائل^(٢) ، أدرك من زمنِ الجاهلية سبع سنين ، وأسلم في
حياة النبي ﷺ .

أمّ الدرداءِ الصُّغرى^(٣) ، اسمها هُجَيْمَةُ ، ويقالُ : جُهَيْمَةُ . تابعيةٌ عابدةٌ عالمةٌ
فقيهةٌ ، كان الرجالُ يقرءونَ عليها ويتفقّهون في الحائِطِ الشماليِّ بجامعِ دمشق ،
وكان عبدُ الملكِ بنُ مروانَ يجلسُ في حلقَتها مع المتفقّهة ، يشتغلُ عليها وهو
خليفةٌ ، رضى الله عنها .

(١) تقدّمت ترجمته في ٢٩/٧ .

(٢) الاستيعاب ٧١٠/٢ ، وأسد الغابة ٥٢٧/٢ ، والإصابة ٣٨٦/٣ .

(٣) انظر ترجمتها في : الباب في تهذيب الأنساب ٧٦/١ ، وتهذيب الكمال ٣٥٢/٣٥ ، والعبر ١/٩٣ ، وتذكرة الحفاظ ٥٣/١ ، وسير أعلام النبلاء ٢٧٧/٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٧ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ٣٥٤/٢ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ٢٥ .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين

استهلَّت هذه السنة والناس مُتَوَاقِفُونَ لِقِتَالِ الْحِجَّاجِ وَأَصْحَابِهِ بِدَيْرِ قُرَّةَ، وَابْنِ الْأَشْعَثِ وَأَصْحَابِهِ بِدَيْرِ الْجَمَاجِمِ، وَالْمُبَارَزَةُ فِي كُلِّ يَوْمٍ بَيْنَهُمْ وَاقِعَةٌ، وَفِي غَالِبِ الْأَيَّامِ تَكُونُ النَّصْرَةُ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ، حَتَّى قِيلَ ^(١): إِنَّ أَصْحَابَ ابْنِ الْأَشْعَثِ - وَهُمْ أَهْلُ الْعِرَاقِ - كَسَرُوا أَهْلَ الشَّامِ - وَهُمْ أَصْحَابُ الْحِجَّاجِ - بَضْعًا وَثَمَانِينَ مَرَّةً يَنْتَصِرُونَ عَلَيْهِمْ. وَمَعَ هَذَا [٩٩٧/٧] فَالْحِجَّاجُ ثَابِتٌ مَكَانَهُ صَابِرٌ وَمُصَابِرٌ، لَا يَتَزَحَّزَحُ عَنْ مَوْضِعِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، بَلْ إِذَا حَصَلَ لَهُ ظَفَرٌ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ تَقَدَّمَ بِجَيْشِهِ إِلَى نَحْرِ ^(٢) عَدُوِّهِ - وَكَانَ لَهُ خَبْرَةٌ بِالْحَرْبِ - وَمَا زَالَ ذَلِكَ دَائِبَةً وَدَائِبُهُمْ حَتَّى أَمَرَ بِالْحَمْلَةِ عَلَى كَتِيبَةِ الْقُرَّاءِ - لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا تَبَعًا لَهُمْ، وَهُمْ الَّذِينَ يَحْرُضُونَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَالنَّاسُ يَقْتَدُونَ بِهِمْ - فَصَبَرَ الْقُرَّاءُ لِحَمْلَةِ جَيْشِهِ، ثُمَّ جَمَعَ الرُّمَامَةَ مِنْ جَيْشِهِ، وَحَمَلَ بِهِمْ، وَمَا انْفَكَّ حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ^(٣)، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى جَيْشِ ابْنِ الْأَشْعَثِ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَذَهَبُوا فِي كُلِّ وَجْهِ، وَهَرَبَ ابْنُ الْأَشْعَثِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَمَعَهُ قَلٌّ قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ، فَاتَّبَعَهُ الْحِجَّاجُ جَيْشًا كَثِيفًا مَعَ عِمَارَةَ بْنِ تَمِيمٍ ^(٤) اللَّخْمِيُّ وَمَعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحِجَّاجِ، وَالْإِمْرَةُ لِعِمَارَةَ، فَسَاقُوا وَرَاءَهُمْ يَطْرُدُونَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَظْفَرُونَ بِهِ قِتْلًا أَوْ

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٤.

(٢) في م: «نحو».

(٣) زيادة من: م.

(٤) في ٣١، ٢١، م، ص: «غنم». وانظر تاريخ الطبري ٣٦٧/٦.

أسراً، فما زال يسوقُ ويخترقُ الأقاليمَ والكُورَ والرساتيقَ، وهم في أثره حتى وصل إلى كَرْمانَ، واتبَعَه الشَّاميون فنزلوا في قصرٍ كان فيه أهلُ العراقِ قبلَهم، فإذا فيه كتابٌ قد كتبه بعضُ أهل الكوفةِ مِن أصحابِ ابنِ الأشعثِ الذين فرّوا معه، مِن شعرِ أبي جلدَةَ^(١) اليشْكُريّ، يقولُ^(٢):

أيا لَهْفًا وياحزَنًا جميعًا ويا حَزَّ الفُؤادِ لِمَا لَقِينَا
تركنا الدينَ والدُّنيا جميعًا وأسَلَمْنَا الحلائِلَ والبيِنَا
فما كُنَّا أناسًا أهلَ دُنيا فنمنعُها ولو لم نَرْجُ دينَا
تركنا دورنا لَطَعامِ عَكْ وأنباطِ القُرى والأشعرينا^(٣)

ثم إنَّ ابنَ الأشعثِ دَخَلَ هو ومَن معه مِنَ القَلِّ إلى بلادِ رُثَيْلَ ملكِ التُّركِ، فأكرمه رُثَيْلٌ وأنزله عنده وأمنه وعظَّمه.

قال الواقدي^(٤): ومَرَّ ابنُ الأشعثِ وهو ذاهبٌ إلى بلادِ رُثَيْلَ على عاملٍ له في بعضِ المدنِ، كان ابنُ الأشعثِ قد استعمله على ذلك عندَ رجوعه إلى العراقِ، فأكرمه ذلك العاملُ وأهدى إليه هدايا وأنزله؛ ففعل ذلك خديعةً به ومكرًا، وقال له: ادخُلْ إلى عندي إلى البلدِ لتتحصَّنَ بها مِن عدُوِّك، ولكن لا تدعُ أحدًا مِّن معك يدخُلُ المدينةَ. فأجابه إلى ذلك - وإنما أراد المكرَ به - فمنعه أصحابه فلم يقبَلْ منهم، ففترَّقَ عنه أصحابه. فلَمَّا دَخَلَ المدينةَ وثَبَّ عليه العاملُ

(١) في ٣١، ٢١، م، ص: «خلدة»، وهي غير معجمة في الأصل. وانظر الشعر والشعراء ٢/٧٣٣، والمؤتلف والمختلف ١٠٦، والأغاني ١١/٣١٠.

(٢) الأبيات في تاريخ الطبري ٦/٣٦٨، والأغاني ١١/٣١٢ - ٣١٣، كلاهما باختلاف يسير.

(٣) الأنباط والنبط والنبيط جيل من الناس كانوا بالبطائح بين العراقيين. والأشعر جمع أشعري، نسبة إلى الأشعر وهو أبو قبيلة باليمن، وحذفت ياء النسب في الجمع تخفيفًا.

(٤) أورده الطبري في تاريخه ٦/٣٦٩، عن أبي مخنف، وليس عن الواقدي.

فمَسَّكَه وأوثَقه بالحديد ، وأراد أن يَتَّخِذَ به يَدًا عِنْدَ الْحِجَاجِ ، وقد كان المَلِكُ رُثَيْلُ سُرَّ بِقَدُومِ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ مَا حَدَّثَ لَهُ مِنْ جِهَةِ ذَلِكَ الْعَامِلِ بِمَدِينَةِ بُسْتٍ ، سَارَ حَتَّى أَحَاطَ بِبُسْتٍ ، وَأَرْسَلَ إِلَى عَامِلِهَا يَقُولُ لَهُ : وَاللَّهِ لَئِنْ أَذَيْتَ ابْنَ الْأَشْعَثِ لَا أَبْرُحُ حَتَّى أَسْتَنْزِلَكَ وَأَقْتُلَ جَمِيعَ مَنْ فِي بَلَدِكَ . فَخَافَهُ ذَلِكَ الْعَامِلُ وَسَيَّرَ إِلَيْهِ ابْنَ الْأَشْعَثِ فَأَكْرَمَهُ رُثَيْلُ ، فَقَالَ ابْنُ الْأَشْعَثِ لِرُثَيْلٍ : إِنَّ هَذَا الْعَامِلَ كَانَ عَامِلِي وَمِنْ جِهَتِي فَغَدَّرَ بِي وَفَعَلَ مَا رَأَيْتَ ، فَأَذْنُ لِي فِي قَتْلِهِ . فَقَالَ : قَدْ أَثْمَنُ . وَكَانَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبَّاسٍ بْنِ رِبْعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَكَانَ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي بِالنَّاسِ هُنَاكَ فِي بِلَادِ رُثَيْلٍ ، ثُمَّ إِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْفُلِّ الَّذِينَ هَرَبُوا مِنَ الْحِجَاجِ اجْتَمَعُوا وَسَارُوا وَرَاءَ ابْنِ الْأَشْعَثِ لِيُذَرِّكُوهُ فَيَكُونُوا مَعَهُ - وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ سِتِينَ أَلْفًا - فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى سِجِسْتَانَ وَجَدُوا ابْنَ الْأَشْعَثِ قَدْ دَخَلَ إِلَى عِنْدِ رُثَيْلٍ فَتَغَلَّبُوا عَلَى سِجِسْتَانَ وَعَذَّبُوا عَامِلَهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرِ الْبَقَّارَ^(١) وَإِخْوَتَهُ وَقَرَائِبَهُ ، وَاسْتَحْوَذُوا عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَانْتَشَرُوا فِي تِلْكَ الْبِلَادِ وَأَخَذُواهَا ، ثُمَّ كَتَبُوا إِلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ : أَنْ اخْرُجْ إِلَيْنَا حَتَّى نَكُونَ مَعَكَ ؛ نَنْصُرُكَ عَلَى مَنْ يُخَالِفُكَ ، وَنَأْخُذُ بِلَادَ خُرَّاسَانَ ، فَإِنَّ بِهَا جَنْدًا عَظِيمًا^(٢) مِنَّا ، فَنَكُونُ بِهَا حَتَّى يُهْلِكَ اللَّهُ الْحِجَاجَ أَوْ عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَتَرَى بَعْدَ ذَلِكَ رَأَيْنَا . فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ابْنُ الْأَشْعَثِ وَسَارَ بِهِمْ قَلِيلًا إِلَى نَحْوِ خُرَّاسَانَ فَاعْتَزَلَهُ^(٣) شِرْذِمَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ مَعَ عُبَيْدِ اللَّهِ^(٤) بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٥) [٩٩/٧ ظ] بْنِ سَمُرَةَ ، فَقَامَ فِيهِمْ ابْنُ

(١) فِي النُّسخِ : « الْبَقَّارِ » . وَالمُثَبَّتُ مِنْ تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ٣٦٩/٦ .

(٢) فِي ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « وَمَنْعَةٌ كَثِيرَةٌ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « فَانْخَزَلَ عَنْهُ » .

(٤ - ٥) سَقَطَ مِنْ : ٣١ ، م ، ص ، وَفِي ٢١ : « عَبْدُ اللَّهِ » . وَانْظُرْ تَارِيخَ الطَّبْرِيِّ ٣٧٠/٦ .

الأشعث خطيبًا ، فذكر غدرهم ونكولهم عن الحرب ، وقال : لا حاجة لي بكم ، وأنا ذاهب إلى صاحبي رُتَيْيل فأكونُ عنده . ثم انصرف عنهم وتبعه طائفةٌ منهم وبقي معظمُ الجيش . فلَمَّا انفصل عنهم ابنُ الأشعث بايعوا عبدَ الرحمن بنَ عباس بن ربيعة^(١) الهاشمي ، وساروا معه إلى خُراسانَ ، فخرج إليهم أميرُها يزيدُ ابنُ المهلب بن أبي صُفْرة ليمنعهم^(٢) من دخولِ بلاده ، وكتبَ يزيدُ إلى عبدِ الرحمن بن عباس يقولُ له : إنَّ في البلادِ مُتَسَعًا ، فاذهب إلى أرضِ ليس بها سلطانٌ فإنِّي أكرهُ قتالَكَ ، وإن كنتَ تريدُ مالًا بعثتُ إليك . فقال له : إنَّا لم نجئُ لقتالِ أحدٍ ، وإنما جئنا نَشْتريخ ونُرِيخ خيلنا ثم نذهبُ وليسَتْ بنا حاجةٌ إلى حاجةٍ مما عرَضت . ثم أقبلَ عبدُ الرحمن على أخذِ الخراجِ مِمَّا حَوْلَهُ مِنَ البلادِ مِنْ كورِ خُراسانَ ، فخرجَ إليه يزيدُ بنُ المهلبِ ومعه أخوه المفضلُ^(٣) في جيوشِ كثيفةٍ ، فلَمَّا صادفُوه^(٤) اقتتلوا غيرَ كثيرٍ ، ثم انهزم أصحابُ عبدِ الرحمن بنِ عباس ، وقتلَ يزيدُ منهم مَقْتَلَةً عظيمةً ، وأسرَ منهم أسرى كثيرةً ، واحتاز ما في معسكرِهِم^(٥) ، وبعثَ بالأسارى - وفيهم محمدُ بنُ سعيد بن أبي وقاصٍ - إلى الحجاج ، ويقالُ : إنَّ محمدَ بنَ سعيدٍ قال ليزيدَ بنِ المهلبِ : أسألكَ بدعوة أبي لأبيك لَمَّا أطلقتنِي . فأطلقه ، قال أبو جعفر بنُ جرير^(٦) : ولهذا الكلامِ خبرٌ فيه طولٌ .

(١ - ١) في ٣١ ، ٢١ ، م : « عباس بن أبي ربيعة » ، وفي ص : « عباس بن أبي ربيعة » . وانظر تاريخ الطبري ٦ / ٣٧٠ .

(٢) في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « فمنعهم » .

(٣) في الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، ص : « الفضل » . والمثبت كما في تاريخ الطبري ٦ / ٣٧٢ .

(٤) في م : « صادفهم » .

(٥) في م : « معسكره » .

(٦) تاريخ الطبري ٦ / ٣٧٤ .

ولما قَدِمَتِ الأسارى على الحجاج قَتَلَ أَكْثَرَهُمْ وعفا عن بعضهم ، وقد كان الحجاج يومَ ظَهَرَ على ابنِ الأشعثِ بِدَيْرِ الجماجمِ نَادَى مناديه فى الناس : مَنْ رَجَعَ فهو آمِنٌ ، وَمَنْ لَحِقَ ^(١) بقتيبة بنِ مسلمٍ ^(٢) بالرَّيِّ فهو آمِنٌ . فلحقَ به ^(٣) خلقٌ كثيرٌ مِمَّنْ كان مع ابنِ الأشعثِ ، فأَمْنَهُم الحجاجُ ، وَمَنْ لم يَلْحَقْ به شرع الحجاج فى تَتَبِعَهُمْ فقتل منهم خلقًا كثيرًا ، حتى كان آخِرَ مَنْ قَتَلَ منهم سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ، على ما سيأتى بيانه .

وكان الشَّعْبِيُّ مِنْ جملة مَنْ صار إلى ^(٤) قتيبة بنِ مسلمٍ ^(٥) ، فذكره يومًا الحجاجُ ، فقليل له : إنه سار إلى ^(٦) قتيبة . فكتب إليه ^(٧) : أن ابعثْ إلىَّ بالشَّعْبِيِّ . قال الشَّعْبِيُّ ^(٨) : فلَمَّا دَخَلْتُ عليه سلَّمْتُ عليه بالإمرة ، ثم قلتُ : أيها الأميرُ ، إنَّ الناسَ قد أَمَرُونى أَنْ أَعْتَذِرَ إليك بغيرِ ما يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ الحقُّ ، وإني اللَّهُ لا أقولُ فى هذا المقامِ إلا الحقَّ ^(٩) ، قد والله تَمَرَّدْنَا عليك ، وحرَّضْنَا ^(١٠) [١٠٠/٧] وجهَدْنَا كُلَّ الجُهدِ فما آلَوْنَا ، فما كُنَّا بالأقوياءِ الفَجَرَةِ ، ولا بالأتقياءِ البرَّةِ ، ولقد نصرَكَ اللَّهُ علينا وأظفَرَكَ بنا ، فإنَّ سَطَوْتَ فبذَنوبنا وما جرَّثَ إليك أيدينا ، وإنَّ عفوتَ عَنَّا فبحِلْمِكَ ، وبعُدُ فالحُجَّةُ لك علينا . فقال الحجاجُ : أنتَ وَاللَّهِ ياشعبيُّ أَحَبُّ إلىَّ مِمَّنْ يَدْخُلُ علينا يَقْطُرُ سيفُهُ مِنْ دَمائِنَا ثم يقولُ : ما فعلتُ ولا شَهِدْتُ . قد أَمِنْتُ

(١ - ١) فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « بمسلم بن قتيبة » .

(٢) فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « بمسلم » . وانظر تاريخ الطبرى ٣٧٤/٦ .

(٣ - ٣) فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « مسلم بن قتيبة » . وانظر الطبرى الموضع السابق .

(٤) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « مسلم بن » .

(٥) فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « إلى مسلم » .

(٦) تاريخ الطبرى ٣٧٥/٦ .

(٧) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « كائنا فى ذلك ما كان » .

(٨) فى م : « خرجنا » .

عندنا يا شعبي . قال : فانصرفْتُ فلَمَّا مَشَيْتُ قَلِيلًا ، قال : هَلُمَّ يا شعبي . قال :
فَوَجَلْ لَـذَـلِكَ قَلْبِي ، ثم ذَكَرْتُ قَوْلَهُ : قَدْ أَمِنْتَ يا شعبي . فَاطْمَأَنَّتْ نَفْسِي ،
فَقُلْتُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، قَدْ اكْتَحَلْتُ بَعْدَكَ ^(٢) السَّهْرَ ، وَاسْتَوْعَرْتُ ^(٣) الشَّهْلَةَ ،
وَاسْتَوْخَمْتُ الْجَنَابَ ^{(٤)(٣)} ، وَاسْتَحْلَسْتُ ^(٥) الْخَوْفَ ، وَاسْتَحْلَيْتُ ^(٦) الْهَمَّ ، وَفَقَدْتُ
صَالِحَ الْإِخْوَانِ ، وَلَمْ أَجِدْ مِنَ الْأَمِيرِ خَلْفًا . قال : انصرفْ يا شعبي .
فانصرفْتُ ^(٧) . وَرَوَاهُ أَبُو مِخْنَفٍ ^(٨) ، عَنْ ^(٩) السَّرِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ^(٩) ، عَنْ الشَّعْبِيِّ .
وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ ^(١٠) أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ ^(١١) الْمَسْأَلَةِ الْخَرْقَاءِ ^(١١) فِي الْفَرَائِضِ ؛ وَهِيَ أُمُّ
وَزَوْجٍ وَأَخْتٌ ، وَمَا كَانَ يَقُولُهُ فِيهَا الصَّدِيقُ وَعُمَرُ وَعِثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَابْنُ مَسْعُودٍ ،

(١) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « قبل الخروج عليه » .

(٢) في ص : « بعد » .

(٣ - ٣) في الأصل : « الجبال » .

(٤) في تاريخ خليفة : « أحذب بنا الجناب » . وهو كذلك عن النهاية ٣٠٣/١ . والجناب : الناحية .

(٥) في الأصل : « استهلت » ، وفي ٣١ ، ٢١ ، ص : « استجلست » . والمعنى : لازمت الخوف ولم أفارقه . النهاية ٤٢٤/١ .

(٦) في ٣١ ، ص : « استجلبت » .

(٧) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « ذكر ذلك ابن جرير وغيره » . ولعل المصنف إنما أراد بكلامه بعد ذلك : ورواه أبو مخنف .. إلخ . رواية الطبري الآتية . انظر الحاشية التالية .

(٨) تاريخ الطبري ٣٧٥/٦ .

(٩ - ٩) في النسخ : « إسماعيل بن عبد الرحمن » . والمثبت من تاريخ الطبري ، وهو السري بن إسماعيل الهمداني الكوفي ، ابن عم الشعبي . تهذيب الكمال ٢٢٧/١٠ .

(١٠) السنن الكبرى ٣٥٢/٦ . ولم يذكر الصديق في الخمسة الذين اختلفوا في هذه المسألة . وإنما سميت هذه المسألة خرقاء ، لكثرة الاختلاف فيها ؛ ففيها سبعة أقوال . وليس أبو بكر - رضي الله عنه - من جملة الخمسة من الصحابة الذين اختلفوا فيها . وهي تسمى أيضا العثمانية ، نسبة لفتوى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فيها ، كما تسمى الشعبية والحجاجية . انظر « المقنع والشرح الكبير ومعهما الإنصاف » ٣٠/١٨ - ٣١ .

(١١ - ١١) في م : « مسألة » .

وكان لكلّ منهم قولٌ فيها، فنقل ذلك كلّ الشعبى فى ساعته، فاستحسن قول على، وحكم بقول عثمان، وأطلق الشعبى بسبب ذلك.

وقيل^(١): إنّ الحجاج قتل خمسة آلاف أسيرٍ ممن سيّرهم إليه يزيد بن المهلب. كما تقدّم ذلك. ثم سار إلى الكوفة فدخلها فجعل لا يبيع أحدًا من أهلها إلا قال: أتشهد على نفسك أنك قد كفرت. فإذا قال: نعم. بايعه، وإن أتى قتله، فقتل منهم خلقًا كثيرًا ممن أتى أن يشهد على نفسه بالكفر، قال: فأتى برجل، فقال الحجاج: ما أظنّ هذا يشهد على نفسه بالكفر؛ لصلاحه ودينه - وأراد الحجاج مخادعته - فقال: أخادعى أنت عن نفسي! أنا أكفر أهل الأرض، وأكفر من فرعون وهامان ونمرود. قال: فضحك الحجاج وخلّى سبيله^(٢).

وذكر ابن جرير من طريق أبى مخنف^(٣)، أن أعشى همدان أتى به إلى الحجاج، وكان قد عيل قصيدة هجا فيها الحجاج وعبد الملك بن مروان، ويمدح فيها ابن الأشعث وأصحابه، فاستنشده إيّاها، فأنشده قصيدة طويلة دليّة، فيها مدح كثير لعبد الملك وأهل بيته، فجعل أهل الشام يقولون: قد أحسن أئها الأمير. فقال الحجاج: إنّه لم يُحسن، إنما يقول هذا مصانعة. ثم ألح عليه حتى أنشده قصيدته الأخرى، فلمّا أنشدها، غضب عند ذلك الحجاج، وأمر به فضربت عنقه صبرًا بين يديه.

واسم الأعشى هذا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث أبو المصبح الهمداني

(١) تاريخ خليفة ٣٧٣/١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٦.

(٢) تاريخ الطبرى ٣٦٥/٦، والمنظّم ٢٤٦/٦، والكامل ٤٨١/٤، ٤٨٢.

(٣) تاريخ الطبرى ٣٧٥/٦.

الكوفي، الشاعر، أحد الفصحاء البلغاء المشهورين، وقد كان له فضلٌ وعبادةٌ في مبتدئه، ثم ترك ذلك، وأقبل على الشعر فعرِف به. وقد وفد على النعمان بن بشير وهو أميرٌ بِحِمَصَ فامتدحه، وكان محصوله في رحلته إليه منه ومن جندِ حِمَصَ أربعين ألفَ دينار، وكان زوجُ أختِ [١٠٠/٧ ط] الشعبي، كما أنَّ الشعبي كان زوجَ أخته أيضًا، وكان ممن خرج مع ابنِ الأشعث، فقتله الحجاج كما ذكرنا، رحمه الله.

وقد كان الحجاج وهو واقفٌ لابنِ الأشعث، بعثَ كمينًا يأتون جيشَ ابنِ الأشعث من ورائه، ثم توافَق الحجاج وابنُ الأشعث، وهرب الحجاج بمن معه، وترك معسكره، فجاء ابنُ الأشعث فاحتاز ما في المعسكرِ وبات فيه، فجاءت السريةُ إليهم ليلاً وقد وضعوا أسلحتهم، فمالوا عليهم ميلةً واحدةً، ورجع الحجاج بأصحابه فأحاطوا بهم فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقُتِل من أصحابِ ابنِ الأشعث خلقٌ كثيرٌ، وغرق كثيرٌ منهم في دجلةَ ودجيل، وجاء الحجاج إلى معسكرهم فقتل من وجدته فيه، فقتل منهم نحواً من أربعة آلاف، منهم جماعةٌ من الرؤساء والأعيان، واحتازوه بكماله، وانطلق ابنُ الأشعث هارباً في ثلاثمائة^(١) من أصحابه^(٢) فركبوا دُجَيْلاً في السفنِ وعقروا دوابهم وجازوا إلى البصرة، ثم ساروا من هُناك^(٣)، وكان من أمرهم من دُخولهم^(٤) بلادَ رُبَيْلَ ما كان^(٥). ثم شرع الحجاج في تتبع أصحابِ ابنِ الأشعث فقتلهم مثنى^(٥)

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) بعده في م: «إلى بلاد الترك».

(٣ - ٣) في ٣١، ٢١، م، ص: «فكان في دخوله».

(٤) في ٣١، ٢١، م، ص: «تقدم». وانظر ما تقدم في ص ٣٣٩.

(٥) في الأصل: «شنى».

وَفَرَادَى ، حَتَّى قِيلَ : إِنَّهُ قَتَلَ مِنْهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ صَبْرًا مِائَةَ أَلْفٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا . قَالَ
النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ ^(١) . مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ،
وَجَمَاعَاتٌ مِنَ السَّادَاتِ ، حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَرَضِيَ
عَنْهُمْ - كَمَا سَيَأْتِي ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ .

بِنَاءُ وَاسِطٍ

قَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ ^(٢) : وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَنَى الْحِجَابُجُ وَاسِطًا ، وَكَانَ سَبَبُ بِنَائِهِ لَهَا
أَنَّهُ رَأَى رَاهِبًا عَلَى أَتَانٍ قَدْ أَجَارَ دِجْلَةَ ، فَلَمَّا مَرَّ بِمَوْضِعِ وَاسِطٍ وَقَفَتْ أَتَانُهُ فَبَالَتْ ،
فَنَزَلَ عَنْهَا ، وَعَمَدَ إِلَى مَوْضِعِ بَوْلِهَا فَاحْتَفَرَهُ ، وَرَمَى بِهِ فِي دِجْلَةَ ، فَقَالَ الْحِجَابُجُ :
عَلَيَّ بِهِ . فَأَتَى بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : لِمَ صَنَعْتَ هَذَا ؟ قَالَ : إِنَّا نَجِدُ فِي كُتُبِنَا أَنَّهُ يُبْنَى فِي
هَذَا الْمَوْضِعِ مَسْجِدٌ يُعْبَدُ اللَّهُ فِيهِ مَا دَامَ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ يُوحِّدُهُ . فَعِنْدَ ذَلِكَ اخْتَطَّ
الْحِجَابُجُ مَدِينَةَ وَاسِطٍ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ ، وَبَنَى الْمَسْجِدَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ .

وَفِيهَا ^(٣) كَانَتْ غَزْوَةُ عَطَاءِ بْنِ رَافِعٍ صِقْلِيَّةً .

وَمِنْ تَوْفَى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حُجَيْرَةَ الْخَوْلَانِيُّ الْمَصْرِيُّ ^(٤) ،
رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصُّحَابَةِ ، وَكَانَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ أَمِيرُ مَصْرَ قَدْ جَمَعَ لَهُ

(١) تاريخ الطبري ٣٨١/٦ ، ٣٨٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٣٨٣/٦ - ٣٨٤ . مطولا .

(٣) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٨ .

(٤) في م : « جحيرة » . وانظر ترجمته في مشاهير علماء الأمصار ١١٩ ، وتهذيب الكمال ١٧/٥٤ ،

وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٢٦ .

بَيْنَ الْقَضَاءِ وَالْقَصَصِ وَبَيْتِ الْمَالِ ، وَكَانَ رِزْقُهُ فِي الْعَامِ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَكَانَ لَا يَدَّخِرُ مِنْهَا شَيْئًا .

طَارِقُ بْنُ شَهَابِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ الْأَحْمَسِيِّ^(١) ، مِمَّنْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ ، وَغَزَا فِي خِلَافَةِ الصَّدِيقِ وَعُمَرَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، بَضْعًا وَأَرْبَعِينَ غَزَاةً . تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ هَذِهِ السَّنَةَ .

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَدِيٍّ بْنِ الْحَيَارِ^(٢) ، أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ ، وَحَدَّثَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ^(٣) ، وَكَانَ مِنْ فُقَهَاءِ قُرَيْشٍ وَعُلَمَائِهِمْ ، وَأَبُوهُ عَدِيٌّ مِمَّنْ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا^(٤) .

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ^(٥) ، كَانَ قَاضِي الْمَدِينَةِ^(٦) ، وَتُوُفِّيَ بِهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ .

مَرْثَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، أَبُو الْخَيْرِ ، الْيَزَنِيُّ^(٧) .

وَفِيهَا فَقَدَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقُرَّاءِ وَالْعُلَمَاءِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ ابْنِ^(٨) الْأَشْعَثِ ؛ مِنْهُمْ

(١) الاستيعاب ٧٥٥/٢ ، وأسد الغابة ٧٠/٣ ، والإصابة ٥١٠/٣ .

(٢) الاستيعاب ١٠١٠/٣ ، وأسد الغابة ٥٢٦/٣ ، والإصابة ٥٠/٥ .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) ترجمته في : الطبقات ٢٣٩/٥ ، وأسد الغابة ٣٧٠/٣ ، وتهذيب الكمال ٤٥٣/١٥ ، وتاريخ

الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٢١ ، والإصابة ٢٣/٥ .

(٥) بعده في م : «وكان من فقهاء قريش وعلمائهم وأبوه عدى ممن قتل يوم بدر كافرا» .

(٦) ترجمته في : الطبقات ٥١١/٧ ، وطبقات خليفة ٥٧٢/٢ ، والمنتظم ٢٩٨/٦ ، وتهذيب الكمال

٣٥٧/٢٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٩٥ ، وسير أعلام النبلاء ٤/

٢٨٤ ، وحسن المحاضرة ٢٩٦/١ . وفيه أن وفاته كانت سنة تسعين .

(٧) سقط من : م .

مَنْ هَرَبَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُسِرَ فَضَرَبَ الْحِجَابُ عُنُقَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَتَبَعَهُ الْحِجَابُ حَتَّى قَتَلَهُ .

وَقَدْ سَمِيَ مِنْهُمْ خَلِيفَةُ بْنُ خَيْطٍ^(١) طَائِفَةً مِنَ الْأَعْيَانِ ؛ فَمِنْهُمْ مُسْلِمُ بْنُ يَسَارِ الْمُرْنِيِّ ، [١٠١/٧] وَأَبُو مِرَّانَةَ^(٢) الْعِجْلِيُّ قُتِلَ ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَبْدِ الْغَاثِ^(٣) قُتِلَ ، وَعُقْبَةُ ابْنُ وَسَّاجٍ^(٤) قُتِلَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ غَالِبٍ^(٥) الْجَهْضَمِيُّ قُتِلَ ، وَأَبُو الْجُزَاءِ الرَّبْعِيُّ قُتِلَ ، وَالنَّضْرُ بْنُ أَنَسٍ ، وَعِمْرَانُ وَالدُّ أَيْ جَمْرَةَ^(٦) الضُّبَيْعِيُّ ، وَأَبُو الْمِنْهَالِ سَيَّارُ بْنُ سَلَامَةَ الرَّيَّاحِيُّ ، وَمَالِكُ بْنُ دِينَارٍ ، وَمُرَّةُ بْنُ دَبَّابٍ^(٧) الْهَدَادِيُّ^(٨) ، وَأَبُو نُجَيْدٍ الْجَهْضَمِيُّ ، وَأَبُو شَيْخٍ^(٩) الْهَنَائِيُّ ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ^(١٠) ، وَأَخُوهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ .

قَالَ أَيُّوبُ^(١١) : قِيلَ لَابْنِ الْأَشْعَثِ : إِنَّ أَحَبِّتَ أَنْ يُقْتَلَ النَّاسُ حَوْلَكَ كَمَا

(١) تاريخ خليفة ٣٧١/١ - ٣٧٢ .

(٢) في حاشية ٢١ : « مرجانة » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥ . ولم يذكره خليفة من بين القراء الذين خرجوا مع ابن الأشعث .

(٣) في م : « الغفار » . وانظر مصدر التخريج .

(٤) في الأصل ، ٢١ ، م ، ص : « وشاح » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠ / ٢٢٨ .

(٥) في م : « خالد » . وانظر تهذيب الكمال ١٥ / ٤١٩ ، وتاريخ خليفة ١ / ٣٧١ .

(٦) في ٣١ ، م : « حمزة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢ / ٣٤٠ .

(٧) في الأصل ، م : « ذباب » ، وفي ٢١ ، ص : « ذياب » . وانظر المشتبه في أسماء الرجال ١ / ٢٨٢ .

(٨) في تاريخ خليفة : « الهراوى » . وفي تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥ : « الهداوى » . وهو منسوب إلى هداد بن زيد مناة بن الحجر بن عمران بن عمرو بن عامر ماء السماء ، بطن من الأزد . اللباب ٣ / ٢٨٥ . والنسبة مذكورة في الأنساب ٥ / ٦٢٩ .

(٩) في م : « سبيح » .

(١٠) سعيد بن أبي الحسن هذا ليس في تاريخ خليفة . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات

٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥ .

(١١) تاريخ خليفة ١ / ٣٧٢ .

قُتِلُوا حَوْلَ هَوْدَجٍ عَائِشَةَ يَوْمَ الْجَمَلِ فَأُخْرِجَ الْحَسَنَ مَعَكَ . فَأَخْرَجَهُ .

وَمِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ ، وَالشَّعْبِيُّ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَالْمَعْرُورُ^(١) بْنُ سُؤَيْدٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ ، وَطَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ وَزَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ الْيَافِئَانِ^(٢) ، وَعَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ . قَالَ أَيُّوبُ^(٣) : فَمَا مِنْهُمْ^(٤) مِنْ أَحَدٍ صُرِعَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ إِلَّا رُغِبَ عَنْ مَصْرِعِهِ ، وَلَا نَجَا أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا حَمِدَ اللَّهَ الَّذِي سَلَّمَهُ .

وَمِنْ أَعْيَانٍ مَنِ قَتَلَ الْحَجَّاجُ :

عِمْرَانُ بْنُ عَصَامٍ الضُّبَعِيُّ^(٥) ، وَالذُّ أَيْ جَمْرَةٌ^(٦) ، كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ صَالِحًا عَابِدًا ، أَتَى بِهِ أُسَيْرًا إِلَى الْحَجَّاجِ فَقَالَ لَهُ^(٧) : أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِكَ بِالْكَفْرِ حَتَّى أَطْلِقَكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي مَا كَفَرْتُ بِاللَّهِ مِنْذُ آمَنْتُ بِهِ . فَأَمَرَ فَضْرِبَتْ عُنُقُهُ .

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى^(٨) ، رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَلَأْيِهِ أَبِي

(١) فِي ٣١ : « وَالْمَعْرُورُ » . وَانْظُرْ تَارِيخَ خَلِيفَةِ ٣٧٢ / ١ .

(٢) الْيَافِئَانِ أَوْ الْيَافِئَانِ نِسْبَةً إِلَى أَيَّامٍ . انْظُرِ الْأَنْسَابَ ٢٣٣ / ١ ، ٦٧٧ / ٥ .

(٣) تَارِيخُ خَلِيفَةِ ٣٧٢ / ١ .

(٤) - ٤) سَقَطَ مِنْ : م .

(٥) تَرْجَمْتُهُ فِي : الْاِسْتِيعَابَ ١٢٠٩ / ٣ ، وَأَسَدُ الْغَابَةِ ٢٨٢ / ٤ ، وَتَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٣٣٩ / ٢٢ ، وَتَارِيخُ

الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ١٥٨ ، وَالْإِصَابَةُ ٧٠٦ / ٤ .

(٦) فِي م : « حِجْزَةٌ » . وَانْظُرْ مَصَادِرَ تَرْجَمْتِهِ السَّابِقَةَ .

(٧) تَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ١٥٩ .

(٨) تَرْجَمْتُهُ فِي : طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ١٠٩ / ٦ ، وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ١٩٩ / ١٠ ، وَأَسَدُ الْغَابَةِ ٤٢٨ / ٣ ، وَتَهْذِيبُ

الْكَمَالِ ٣٧٢ / ١٧ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٢٦٢ / ٤ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٨١ - ١٠٠ هـ) =

ليلى ضُحْبَةٌ، أَخَذَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْقُرْآنَ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . خَرَجَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ فَأَتَى بِهِ الْحِجَا حَ أُسِيرًا فَضُرِبَ عُنُقُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ صَبْرًا^(١) .

= ص ١٢٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٨، وغاية النهاية ١/ ٣٧٦، والإصابة ٤/ ٢٢٠.

(١) بعده فى ص : « فأما مسلم بن يسار فكان كثير العبادة والصيام، شديد الخشوع فى الصلاة . وقع مرة حريق إلى جنبه وهو قائم يصلى فما شعر به . وانهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل المسجد لهدتها ، وأنه لفى المسجد قائم يصلى فما التففت . قال ابنه : رأيته ساجدا ، وهو يقول : متى ألقاك وأنت عنى راض . وكان إذا كان فى غير صلاة كأنه فى صلاة .

قال لأصحابه يوم التروية : هل لكم فى الحج ؟ فقالوا : خرف الشيخ ، وعلى ذلك لنطيعه . فخرجوا إلى الجبان برواحلهم ، فقال : خلوا أزمته . فأصبحوا ، وهم ينظرون إلى جبال تهامة . قولهم (خرف) أى : تغير عقله من الكبر ؛ لأنهم كانوا بالبصرة ، وقد بقى للوقوف بعرفة يوم واحد ، فعرض عليهم الحج وبينهم وبينه مسيرة أربعين يوما وأربعين ليلة فى ليلة واحدة .

وقال سليمان بن المغيرة : جاء مسلم بن يسار إلى دجلة وهى تقذف بالزبد وترمى بالخشب ، فمشى على الماء ثم التففت إلى أصحابه فقال : تفقدون شيئا ؟ يعنى أن أصحابه كانوا قد مشوا معه على الماء ببركته ، فلما قطعوا دجلة أشفق أن يكون قد ذهب لهم شيء من أمتعتهم ، فقال : هل تفقدون شيئا ؟ قال مالك بن دينار : رأيت مسلم بن يسار فى منامى بعد موته فسلمت عليه فلم يرد على السلام ، فقلت له : ما لك لا ترد على . فقال : أنا ميت ، فكيف أرد عليك ؟ فقلت : ماذا لقيت بعد الموت ؟ قال : لقيت والله أهوالا وزلازل شدادا عظاما . فقلت : فما كان بعد ذلك ؟ قال : فما تراه يكون من الكريم ؛ قبل منا الحسنات ، وعفا لنا عن السيئات وضمن عنا التبعات . ثم شهق مالك شهقة خر مغشيا عليه ، فلبث أياما مريضا ثم مات .

قتل مسلم بن يسار فى وقعة ابن الأشعث مع الحجاج .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين

قال الواقدي^(١) : فيها افتتح عبد الله بن عبد الملك بن مروان المصيصة .
وفيهما غزا محمد بن مروان أزمينية فقتل منهم خلقا كثيرا^(٢) وحرق^(٣)
كنائسهم وضياعهم . وتسمى سنة الحريق .
وفيهما استعمل الحجاج على فارس محمد بن القاسم الثقفي ، وأمره بقتل
الأكراذ .

وفيهما ولي عبد الملك الإسكندرية عياض بن غنم التميمي^(٤) ، وعزل عنها
عبد الملك بن أبي الكنود الذي كان قد وليها في العام الماضي .
وفيهما افتتح موسى بن نصير طائفة من بلاد المغرب ؛ من ذلك بلد أوزبة^(٥) ،
وقتل من أهلها بشرا كثيرا جددا ، وأسر نحوا من خمسين ألفا .
وفيهما قتل الحجاج أيضا جماعة من رؤساء^(٦) أصحاب ابن الأشعث ، منهم :
أيوب بن القرية^(٧) ، وكان فصيحا بليغا واعظا ، قتله صبورا بين يديه ،

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٣٨٥ .

(٢) سقط من : ٢١ ، م .

(٣) في م : « صرف » .

(٤) في م : « البجني » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٢١ .

(٥) في ٣١ ، ص : « أزممة » . وفي ٢١ : « أزممة » ، وفي م : « أرومة » . وانظر معجم البلدان ١/ ٤٠٠ .

(٦) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٧) انظر ترجمته الآتية في صفحة ٣٥٥ .

ويقال^(١): إنه نديم على قتله . وهو أيُّوبُ بنُ زيدِ بنِ قيسٍ ، أبو سليمانَ الهلالي ، المعروف بابنِ القِرِّيَّة . وعبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ بنِ نوفل^(٢) . وسعدُ بنُ إياسِ الشَّيْبَانِي^(٣) . وأبو عتبة^(٤) الخَوْلَانِي^(٥) ، له صُحبةٌ وروايةٌ ، سكنَ حِمَصَ وبها تُوفى وقد قاربَ المائةَ سنةً . عبدُ اللَّهِ بنُ قتادة^(٦) ، وغيرُ هؤلاءِ جماعةٌ ؛ منهم من قتلَه الحجاجُ .

ومنهم من تُوفى : أبو زُرعةَ الجُدَامِيّ الفلسطيني^(٧) ، كان ذا منزلةٍ عندَ أهلِ الشَّامِ ، فخافَ منه معاويةٌ ، ففهِمَ منه ذلكَ أبو زُرعةَ فقال^(٨) : يا أميرَ المؤمنين ، لا تَهْدِمَ رُكْنًا بَنَيْتَهُ ، ولا تُخْزِنَ صاحِبًا سرَّزْتَهُ ، ولا تُشْمِثَ عدُوًّا كَبَيْتَهُ . فَكَفَّ عنه معاويةٌ .

وفيهما تُوفى عتبة^(٩) بنُ النَّدْرِ^(١٠) السُّلَمِيّ^(١١) ، صحابيٌّ جليلٌ^(١٢) .

-
- (١) تاريخ الطبري ٣٨٦/٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٠ ، ٤٤ .
(٢) الاستيعاب ٨٨٥/٣ ، وأسد الغابة ٢٠٧/٣ ، والإصابة ٩/٥ .
(٣) الاستيعاب ١٧٢/٤ ، وأسد الغابة ٣٣٨/٢ ، والإصابة ٢٥٤/٣ .
(٤) في م : « غنيمًا » . وفي ص : « عتبة » .
(٥) الاستيعاب ١٧٢٢/٤ ، وأسد الغابة ٢٣٣/٦ ، والإصابة ٢٩٢/٧ .
(٦) لم نجده .
(٧) هو روح بن زنباع وستأتي ترجمته في صفحة ٣٥٦ .
(٨) تاريخ دمشق ٢٤٧/١٨ ، والوفاء بالوفيات ١٥٠/١٤ ، بنحوه .
(٩) الاستيعاب ١٠٣١/٣ ، وأسد الغابة ٥٧٠/٣ ، والإصابة ٤٤١/٤ ، ٤٤٢ .
(١٠) في الأصل : « البدر » ، وفي ٣١ ، ٢١ ، ص : « المنذر » . وفي م : « منذر » . والمثبت من مصادر ترجمته الواردة في الحاشية التالية .
(١١) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « كان يعد في أهل الصفة » . وانظر مصادر الترجمة .

عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانَ الْخَارِجِيُّ^(١) ، كان أولاً من أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ فترَوَّجَ امرأةً من الخوارجِ حسنةً جميلةً جداً فأحبَّها ، وكان هو دميمَ الشكلِ ، فأراد أنْ يردَّها إلى السُّنَّةِ فأبَتْ ، فارتدَّتْ معها إلى مذهبيها . وقد كان من الشعراءِ المطَّبقين^(٢) ، وهو القائلُ في قتلِ عليٍّ وقاتله^(٣) :

يا ضربةً مِنْ تَقَيَّ ما أَرَادَ بها إِلَّا لِيَبْلُغَ^(٤) مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا
إِنِّي لَأَذْكُرُهُ يَوْمًا فَأَحْسِبُهُ أَوْفَى الْبَرِّيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا
[١٠١/٧] أَكْرِمَ بِقَوْمِ بَطُونِ الطَّيْرِ قَبْرَهُمْ لَمْ يَخْلِطُوا دِينَهُمْ بَغْيًا وَعُدْوَانَا
وقد كان الثَّورِيُّ يَتِمَثَّلُ بِأَبْيَاتِهِ هَذِهِ فِي الزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا ، وَهِيَ قَوْلُهُ^(٥) :

أَرَى أَشْقِيَاءَ النَّاسِ لَا يَشَأُمُونَهَا عَلَى أَنَّهُمْ فِيهَا عُرَاءٌ وَجُوعٌ
أَرَاهَا وَإِنْ^(٦) كَانَتْ تُحِبُّ^(٧) فَإِنَّهَا سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ
كَرْكِبٍ قَضَوْا حَاجَاتِهِمْ وَتَرَحَّلُوا طَرِيقَهُمْ بَادَى الْعَلَامَةِ مَهْيَعٌ^(٨)

(١) ترجمته في : طبقات ابن سعد ١٥٥/٧ ، والأغاني ١٠٩/١٨ ، وتهذيب الكمال ٣٢٢/٢٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢١٤/٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥٤ ، والإصابة ٥/٣٠٢ .

(٢) في م : «المُفَلِّقِينَ» .

(٣) الأبيات ، عدا الأخير منها موجودة في الكامل للمبرد ١٦٩/٣ ، والأغاني ١١١/١٨ باختلاف ، وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥٦ ، وسير أعلام النبلاء ٢١٥/٤ . وقد رد عليه جماعة من الشعراء ، انظر تفصيل ذلك في ترجمته في الخزانة ٣٥٠/٥ .

(٤ - ٤) في الأصل : «عند الله» .

(٥) الأبيات في الخزانة ٣٦١/٥ ، وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥٧ ، والسير ٢١٦/٤ .

(٦ - ٦) في الأصل : «سُرَّتْ قَلِيلًا» .

(٧) المَهْيَعُ من الطرق : البَيْنُ .

مات عمرانُ بنُ حِطَّانَ سنةَ أربعٍ وثمانينَ . وقد ردَّ عليه بعضُ العلماءِ في
أبياتِهِ المتقدِّمةِ في قَتْلِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنه ، بأبياتٍ على قافيتها ووزنها^(١) :

بلْ ضربةٌ من شَقِيٍّ ما أَرَادَ بها إلا لِيَبْلُغَ من ذِي العرشِ حُشْرانا
إني لأذْكرُهُ يومًا فأحْسَبُهُ أَشَقَى البريةِ عندَ اللهِ ميزانا

رَوْحُ بنُ زُبَاجِ الجُذَامِيُّ^(٢) ،^(٣) كان من أُمراءِ الشَّامِ ، وكان عبدُ الملكِ
يَسْتَشِيرُهُ في أموره^(٤) .

وفيهَا كان مَهْلِكُ عبدِ الرحمنِ بنِ^(٥) مُحَمَّدِ بنِ^(٦) الأَشْعَثِ بنِ قيسِ
الكِنْدِيِّ ، وقيل : في التي بعدها . فاللَّهُ أعلمُ ؛ وذلك^(٧) أنَّ الحِجَاجَ كَتَبَ إلى
رُثْبَيْلَ^(٨) ملكِ التُّركِ الذي لجأ ابنُ الأَشْعَثِ إليه يقولُ له : واللَّهِ الذي لا إِلَهَ إلا هو
لئن لم تَبْعَثْ إلَيَّ بَابِنِ الأَشْعَثِ لَأُبْعَثَنَّ إلى بلادِكَ أَلْفَ أَلفِ مقاتِلٍ ؛ ولَأُخَرِّبَنَّهَا .
فلَمَّا تَحَقَّقَ الوعيدُ مِنَ الحِجَاجِ استشارَ في ذلك بعضَ الأُمراءِ فَأشارَ عليه بتسليمِ
ابنِ الأَشْعَثِ إليه قبلَ أَنْ يُخَرَّبَ الحِجَاجُ ديارَهُ ويأْخُذَ عامَةً أَمْصارِهِ ، فَأرْسَلَ إلى
الحِجَاجِ يَشْترِطُ عليه أَنْ لا يقاتَلَ عَشْرَ سَنينَ ، وأنْ لا يُؤدِّيَ في كُلِّ سنةٍ منها إلا
مائَةَ أَلْفٍ مِنَ الخِراجِ ، فَأجابَهُ الحِجَاجُ إلى ذلك ، وقيل : إِنَّ الحِجَاجَ وعدَهُ أَنْ

(١) انظر الخزانة ٣٥٠/٥ ، وانظر حاشية تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ١٥٦ ،
١٥٧ ، وكذا حاشية سير أعلام النبلاء ٢١٥/٤ . وطبقات الشافعية الكبرى ٢٨٨/١ .

(٢) ستأتي ترجمته في صفحة ٣٥٦ .

(٣ - ٣) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٤ - ٤) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص . وانظر ترجمته في : تاريخ خليفة ٣٧٥/١ ، وسير أعلام النبلاء

١٨٣/٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ١٢٩ .

(٥ - ٥) في الأصل : « وكان سبب ذلك » .

(٦ - ٦) زيادة من : م .

يُطْلِقَ لَهُ خَرَجَ أَرْضِهِ سَبْعَ سَنِينَ . فعندَ ذلك غَدَرَ رُثَيْلُ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، فَقِيلَ : إِنَّهُ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْحِجَاجِ . وَقِيلَ : بَلْ كَانَ ابْنُ الْأَشْعَثِ قَدْ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا فَقَتَلَهُ وَهُوَ بِآخِرِ رَمَقٍ . وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ قَبِضَ عَلَيْهِ وَعَلَى ثَلَاثِينَ مِنْ أَقْرَبَائِهِ فَقَيَّدَهُمْ فِي الْأَصْفَادِ وَبَعَثَ بِهِمْ مَعَ رُسُلِ الْحِجَاجِ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا كَانُوا بِيَعُضِ الطَّرِيقِ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ : الرُّخَجُ^(١) . صَعِدَ ابْنُ الْأَشْعَثِ وَهُوَ مُقَيَّدٌ بِالْحَدِيدِ إِلَى سَطْحِ قَصْرِ ، وَمَعَهُ رَجُلٌ مُوَكَّلٌ بِهِ لئَلَّا يَفِرَّ ، وَأَلْقَى نَفْسَهُ مِنْ ذَلِكَ الْقَصْرِ وَسَقَطَ مَعَهُ الْمُوَكَّلُ بِهِ فَمَاتَا جَمِيعًا ، فَعَمَدَ الرَّسُولُ إِلَى رَأْسِ ابْنِ الْأَشْعَثِ فَاحْتَرَّه ، وَقَتَلَ مَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، وَبَعَثَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْحِجَاجِ ، فَأَمَرَ فُطَيْفَ بَرَأْسِهِ فِي الْعِرَاقِ ، ثُمَّ بَعَثَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فُطَيْفَ بَرَأْسِهِ فِي الشَّامِ ، ثُمَّ بَعَثَ بِهِ إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِمَصْرَ فُطَيْفَ بَرَأْسِهِ هُنَاكَ ، ثُمَّ دَفَنُوا رَأْسَهُ بِمَصْرَ وَجُثَّتُهُ بِالرُّخَجِ ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي ذَلِكَ :

[١٠٢/٧] هِبَاتَ مَوْضِعَ جُثَّةٍ مِنْ رَأْسِهَا رَأْسٌ بِمَصْرَ وَجُثَّةٌ بِالرُّخَجِ

وإِنَّمَا ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ مَقْتَلَ ابْنِ الْأَشْعَثِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ^(٢) . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وعبدُ الرحمنِ هذا هو ابنُ^(٣) محمدِ بنِ الْأَشْعَثِ بنِ قَيْسٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : عبدُ الرحمنِ بنُ قَيْسٍ بنِ محمدِ بنِ الْأَشْعَثِ بنِ قَيْسٍ الْكِنْدِيُّ الْكُوفِيُّ . قَدْ رَوَى

(١) فِي الْأَصْلِ ، ٣١ : « بِالرَّحَجِ » ، وَفِي ٢١ : « بِالزَّحَجِ » ، وَفِي م : « بِالرَّجَجِ » ، وَفِي ص : « بِالرَّحَجِ » . وَكَذَا فِيمَا يَأْتِي مِنْ مَوَاضِعَ . وَالمُتَّبَعُ مِنْ تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ٦ / ٣٩١ ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ٢١ / ٢٥٩ . وَالرَّحَجُ : مَدِينَةٌ مِنْ نَوَاحِي كَابِلَ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٢ / ٧٧٠ .

(٢) تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ٦ / ٣٨٩ .

(٣) سَقَطَ مِنْ : ص ، وَفِي ٢١ ، م : « أَبُو » .

له أبو داود والنسائي، عن أبيه، عن جدّه، عن ابن مسعود حديث^(١) : «إذا اختلف المتبايعان والسلعة قائمة، فالقول ما قال البائع أو يتتاركان^(٢)». وعنه أبو العميس، ويقال: إن الحجاج قتله بعد التسعين سنة. فالله أعلم.

والعجب كل العجب من هؤلاء الذين بايعوه بالإمارة وليس من قريش، وإنما هو كندى من اليمن، وقد اجتمع الصحابة يوم السقيفة على أن الإمارة لا تكون إلا في قريش، واحتج عليهم الصديق بالحديث في ذلك، حتى إن الأنصار سألوا أن يكون منهم أمير مع أمير المهاجرين، فأبى الصديق عليهم ذلك، ثم مع هذا كله ضرب^(٣) سعد بن عباد - الذي دعا إلى ذلك أولاً ثم رجع عنه - كما قررنا ذلك فيما تقدّم^(٤)؛ فكيف يعمدون إلى خليفة قد بويغ له بالإمارة على المسلمين من سنين فيعزلونه وهو من صليبة^(٥) قريش، ويباعون لرجل كندى بيعة لم يتفق عليها أهل الحل والعقد؟ ولهذا لما كانت هذه زلة وفلتة نشأ بسببها شر كثير هلك فيه خلق كثير، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

أيوب ابن القرية^(٦) - وهى أمه - واسم أبيه يزيد بن قيس بن زرارة بن مسلم النمرى الهلالى، كان أعرايئاً أمياً، وكان يضرب به المثل فى فصاحته وبيانه وبلاغته، صحب الحجاج وقد على عبد الملك، ثم بعثه رسولا إلى ابن

(١) أبو داود (٣٥١١)، والنسائي (٤٦٦٢). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٩٩٧).

(٢) فى م: «تشاركا».

(٣) يعنى: كف ورجع عما كان دعا إليه.

(٤) تقدم فى ٨١/٨ فما بعدها.

(٥) فى م، ص: «صلية». والصلب: الخالص النسب.

(٦) ترجمته فى: المعارف ص ٤٠٤، وتاريخ دمشق ١٠/١٤٠، وسير أعلام النبلاء ٤/١٩٧، ووفيات

الأعيان ١/٢٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٣، ومرة الزمان ١/١٧١،

١٧٢، والوفى بالوفيات ١٠/٣٩.

الأشعث، فقال له ابنُ الأشعث: لئن لم تُقِمَّ خطيبًا فتخلعَ الحجاج لأضربنَّ عُثْقَكَ. ففعل، وأقام عنده، فلَمَّا ظهرَ الحجاجُ استحضره وجرث له معه مقاماتٍ ومقالاتٍ في الكلام، ثم في آخرِ الأمرِ ضربَ عنقه، ونديمٌ بعدَ ذلك على ما فعل من ضربِ عنقه، ولكن نديمٌ حيث لا ينفعه النَّدَمُ؛ كما قيل:

وجادَتْ بَوْضِلٍ حِينَ لَا يَنْفَعُ الْوَصْلُ

وقد ذكره ابنُ عساکر في تاريخه^(١)، وابنُ خلِّكان في الوفيات^(٢)، وأطال ترجمته وذكر فيها أشياءً حسنةً، قال^(٣): والقِرِّيَّةُ، بكسرِ القافِ وتشديدِ الياءِ، وهى جدُّته، واسمُها حُماعةٌ^(٤) بنتُ جُشَمَ.

قال ابنُ خلِّكان^(٥): ومن الناس من أنكر وجوده، ووجودَ مجنونٍ ليلي، وابنِ أبي العقبِ صاحبِ الملحمة، وهو يحيى بنُ عبدِ الله بنِ أبي العقبِ. والله أعلم.

رَوْحُ بْنُ زُبَاعٍ بْنِ سَلَامَةَ الْجُدَامِيُّ أَبُو زُرْعَةَ^(٦)، [١٠٢/٧] ويقالُ: أَبُو زُبَاعٍ الدَّمَشَقِيُّ. دارُه بدمشق في طرفِ البُزُورِيِّينَ^(٧) عندَ دارِ ابنِ

(١) تاريخ دمشق ١٠/١٤٠.

(٢) وفيات الأعيان ١/٢٥٠.

(٣) المصدر السابق ١/٢٥١.

(٤) في النسخ: «جماعة» وهو خطأ، والمثبت من وفيات الأعيان، وانظر الإكمال ٣/١٩٠.

(٥) وفيات الأعيان ١/٢٥٤.

(٦) ترجمته في الوزراء والكتاب ٣٥، ٣٦، والاستيعاب ٢/٥٠٢، وتاريخ دمشق ١٨/٢٤٠، وأسَدُ الغابة ٢/٢٣٧، وسير أعلام النبلاء ٤/٢٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٦١، والوفاء بالوفيات ١٤/١٥٠، والإصابة ٥٠٥.

(٧) البزوريين: سوق من أسواق دمشق القديمة، يعرف بسوق القمح أيضاً واليوم به (سوق البزورية) موقعه في الجهة الجنوبية من الخضراء.

أبى^(١) العَقَبِ صاحبِ الملحمة . وهو تابعي جليل ، روى عن أبيه - وكانت له
صُحْبَةٌ - وتميم الدَّارِي ، وعبادة بن الصامت ، ومعاوية ، وكعب الأحماس ،
وغيرهم . وعنه جماعة ؛ منهم عبادة بن نسي .

كان رَوْحٌ عندَ عبدِ الملكِ كالوزيرٍ لا يكادُ يفارقه ، وكان مع أبيه مروانَ يومَ
مَرْجِ راهط ، وقد أَمَرَهُ يزيدُ بنُ معاويةَ على جندِ فلسطين . وزعمَ مسلمٌ بنُ
الحجاجِ أنَّ رَوْحَ بنَ زِنْبَاعٍ كانت له صُحْبَةٌ^(٢) ، ولم يُتَابِعْ مسلمٌ على هذا القولِ ،
والصحيحُ أنه تابعي وليس بصحابي . ومن مآثره التي تَفَرَّدَ بها أنه كان كلما خرج
من الحَمَّامِ يُعْتَقُ نسمةً^(٣) . قال ابنُ زُبَيْرٍ^(٤) : مات سنة أربعٍ وثمانينَ بالأردن .
وزعمَ بعضهم أنه بقي إلى أيامِ هشامٍ^(٥) بنِ عبدِ الملكِ .

وقد حجَّ مرَّةً فنَزَلَ على ماءٍ بينَ مكةَ والمدينةِ فأمرَ فأصْلَحَتْ له أطعمةٌ
مختلفةُ الألوانِ ، ثم وُضِعَتْ بينَ يَدَيْهِ ، فبينما هو يأكلُ إذ جاء راعٍ مِنَ الرُّعَاةِ
يَرِدُ الماءَ ، فدعاه رَوْحٌ بنُ زِنْبَاعٍ إلى الأكلِ من ذلك الطعامِ ، فجاء الرّاعِي فنظَرَ
إلى طعامِهِ وقال : إني صائمٌ . فقال له رَوْحٌ : في مثلِ هذا اليومِ الطويلِ الشديدِ
الحرِّ تصومُ يا راعي ؟ فقال الراعي : أفأغْنِي أيامي من أجلِ طُعْيَمِكَ^(٦) ؟ ثم
إنَّ الراعي ارتادَ لنفسِهِ مكانًا فنزله وترك رَوْحٌ بنَ زِنْبَاعٍ ، فقال رَوْحٌ بنُ

(١) سقط من : ٣١ ، م ، ص ، وانظر الوافي بالوفيات ١٤ / ١٥٠ .

(٢) انظر تاريخ دمشق ١٨ / ٢٤٦ ، والإصابة ٢ / ٥٠٥ .

(٣) تاريخ دمشق ١٨ / ٢٤٦ .

(٤) في ٢١ : « زير » ، وفي م : « زيد » ، وانظر تاريخ دمشق ١٨ / ٢٥١ .

(٥) من هنا إلى قول المصنف : « ثم دخلت سنة خمس وثمانين » مكانه في الأصل : « والصحيح الأول » . وانظر تاريخ دمشق ١٨ / ٢٥٠ .

(٦) في م ، ص : « طعامك » .

زنباع^(١) :

لقد ضننت بأَيَّامِكَ يا راعى إذ جادَ بها رَوْحُ بَنِي زِنْبَاعِ .
ثم إنَّ رَوْحًا بَكَى طويلاً وأمرَ بتلك الأَطعمَةِ فَرَفَعَتْ ، وقال : انظُرُوا هَلْ
تجدون لها آكلًا مِن هذه الأعرابِ أو الرعاة ؟ ثم سار مِن ذلك المكانِ وقد أخذَ
الراعى بمجامعِ قَلْبِهِ وصَغُرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ . واللَّهُ سُبْحَانَهُ وتعالى أعلم .

(١) تاريخ دمشق ١٨ / ٢٥٠ ، بنحوه .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين

فيها - كما ذكر ابن جرير^(١) - كان مقتل عبد الرحمن بن الأشعث الكندي^(٢) . فإله أعلم .

وفيها عزل الحجاج عن إمرة خراسان يزيد بن المهلب ، وولّى عليها أخاه المفضل بن المهلب . وكان سبب ذلك أنّ الحجاج وقد مرّة على عبد الملك ، فلمّا انصرف مرّ بدّير ، فقبل له^(٣) : إنّ فيه شيخاً^(٤) من أهل الكتاب عالماً . فدعى له^(٥) ، فقال : يا شيخ ، هل تجدون في كُتُبكم ما أنتم فيه وما نحن فيه ؟ قال : نعم . قال : فما تجدون صفة أمير المؤمنين ؟ قال : نجدُه مَلِكًا أقرع ، من يقيم بسبيله يضرع . قال : ثم من ؟ قال : ثم رجل يقال له : الوليد . قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم رجل اسمه اسم نبيّ يُفتح به على الناس . قال : أفتعرفني^(٦) ؟ قال : قد أُخبرْتُ بك . قال : أفتعرف^(٧) ما ألي^(٨) ؟ قال : نعم . قال : فمن يلي العراق بعدى ؟ قال : رجل يقال له : يزيد . قال : أفى حياتي أم بعد موتى ؟ قال : لا أدري . قال : أفتعرف صفته ؟ قال : يغدر غدره ، لا أعرف غيرها .

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٨٩ .

(٢) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٩٣ .

(٤) بعده فى م : « كبيراً » .

(٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى م : « له » .

(٧ - ٨) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، م : « مالى » ، وفى ص : « ما بى » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٣٩٣ .

قال^(١): فوقَّع في نفس الحجاج أنه يزيد بن المهلب، وسار سبعا وهو وجل من كلام الشيخ، ثم بعث إلى عبد الملك يستعفيه من ولاية العراق؛ ليعلم مكانته عنده، فجاء الكتاب بالتقريع، والثائب، والتوبيخ، والأمر بالثبات، والاستمرار على ما هو عليه. ثم إن الحجاج جلس يوما مُفكِّرا واستدعى بعبيد بن موهب فدخل عليه، وهو ينكت في الأرض، فرفع رأسه إليه، فقال: ويحك يا عبيد، إن أهل الكتاب يذكرون أن ما تحت يدي يليه رجل يقال له: يزيد. وقد تذكَّرت يزيد [١٠٣/٧] بن أبي كبشة، ويزيد بن حصين بن نمير، ويزيد بن دينار، فليسوا هناك، وما هو - ^(٢) «إن كان» - إلا يزيد بن المهلب. فقال عبيد: لقد شرفتهم وعظمت ولايتهم، وإنَّ لهم لعددا^(٣) وجلدا وحظا، فأخلق به. فأجمع رأي الحجاج على عزل يزيد بن المهلب، فكتب إلى عبد الملك يذمه^(٤) ويخوفه غدَّره، ويخبره بما أخبره به ذلك الشيخ^(٥) وكتب إليه عبد الملك: قد أكَثَرَتْ في شأن يزيد فسَمَّ رجلا يصلح لخراسان. فوقَّع اختيار الحجاج على المفضل بن المهلب، فولاه قليلا تسعة أشهر، فغزا بأذغيس^(٦) وغيرها، وغنم مغنم كثيرة، وامتدحه الشعراء، ثم عزله بقتية بن مسلم.

قال ابن جرير^(٧): وفي هذه السنة قُتل موسى بن عبد الله بن خازم بيزمَد. ثم

(١) تاريخ الطبري ٣٩٤/٦.

(٢) (٢ - ٢) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٣) في م: «لقدرا».

(٤) في الأصل، ٣١، ٢١، ص: «يذم منه».

(٥ - ٥) في ٣١، ٢١، م، ص: «الكتابي فجاء البريد بكتاب فيه». وانظر تاريخ الطبري ٣٩٥/٦.

(٦) في الأصل: «بارعيس». وفي ٣١، ص: «بلاد عيس». وفي ٢١: «بلاد تسييس». وفي م: «بلاد عيس».

والمثبت من تاريخ الطبري ٣٩٧/٦. وبأذغيس: ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة

ومرو الروذ. معجم البلدان ٤٦١/١.

(٧) تاريخ الطبري ٣٩٨/٦.

ذَكَرَ سَبَبَ ذَلِكَ . وَمَلْخَصُهُ ، أَنَّهُ بَعْدَ مَقْتَلِ أَبِيهِ لَمْ يَتَّقْ بِيَدِهِ بَلَدٌ يَلْجَأُ إِلَيْهِ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَجَعَلَ كُلَّمَا اقْتَرَبَ مِنْ بَلَدَةٍ خَرَجَ إِلَيْهِ مَلِكُهَا فِقَاتَلَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبَهُ حَتَّى نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ تَزْمِدَ ، وَكَانَ مَلِكُهَا ^(١) فِيهِ ضَعْفٌ ، فَجَعَلَ يَهَادِيهِ وَيَبْعَثُ إِلَيْهِ بِالْأَلْطَافِ وَالْتِحَافِ ، حَتَّى جَعَلَ يَتَصَيَّدُ هُوَ وَهُوَ ، ثُمَّ عَنَّ لِلْمَلِكِ فَعَمِلَ لَهُ طَعَامًا ، وَبَعَثَ إِلَى مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ : أَنْ ائْتَنِي فِي مَائَةٍ مِنْ أَصْحَابِكَ ، فَاخْتَارَ مُوسَى مِنْ جَيْشِهِ مَائَةً مِنْ شُجْعَانِهِمْ ، ثُمَّ دَخَلَ الْبَلَدَ ^(٢) فَأَكَلَ مِنْ طَعَامِ الْمَلِكِ ^(٣) فَلَمَّا فَرَغَتِ الضِّيَافَةُ اضْطَجَعَ مُوسَى ^(٤) عَلَى جَنْبِهِ ^(٥) فِي دَارِ الْمَلِكِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَقُومُ مِنْ هُنَا حَتَّى يَكُونَ هَذَا الْمَنْزِلُ مَنْزِلِي ، أَوْ يَكُونَ قَبْرِي . فَتَارَ أَهْلُ الْقَصْرِ إِلَيْهِ فَحَاجَفَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، ثُمَّ وَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ تَزْمِدَ ، فَاقْتَتَلُوا فَقُتِلَ مِنْ أَهْلِ تَزْمِدَ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَهَرَبَ بَقِيَّتُهُمْ ، وَاسْتَدْعَى مُوسَى بَقِيَّةَ جَيْشِهِ إِلَيْهِ ، وَاسْتَحْوَذَ مُوسَى عَلَى الْبَلَدِ فَحَصَّنَهَا وَمَنَعَهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ ، وَخَرَجَ مِنْهَا مَلِكُهَا هَارِبًا فَلَجَأَ إِلَى إِخْوَانِهِ مِنَ الْأَتْرَاكِ فَاسْتَنْصَرَهُمْ ، فَقَالُوا لَهُ : هَؤُلَاءِ قَوْمٌ فِي نَحْوِ مِائَةِ رَجُلٍ ^(٦) أَخْرَجُوكُمْ مِنْ بَلَدِكُمْ ^(٧) ، لَا طَاقَةَ لَنَا بِقِتَالِ هَؤُلَاءِ . ثُمَّ ذَهَبَ مَلِكُ تَزْمِدَ إِلَى طَائِفَةٍ أُخْرَى مِنَ التَّرِكِ فَاسْتَصْرَحَهُمْ فَبَعَثُوا مَعَهُ قُصَادًا نَحْوَ مُوسَى لِيَسْمَعُوا كَلَامَهُ . فَلَمَّا أَحَسَّ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ - وَكَانَ ذَلِكَ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ - أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يُوجِّجُوا نَارًا وَيَلْبَسُوا ثِيَابَ الشِّتَاءِ وَيُذْنُوا أَيْدِيَهُمْ مِنَ النَّارِ كَأَنَّهُمْ يَصْطَلُونَ بِهَا ، فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ ^(٨) الرُّسُلُ رَأَوْا [١٠٣/٧ظ] أَصْحَابَهُ وَمَا يَصْنَعُونَ

(١) بعده في ٣١، ٢١، ص: «ملكاً».

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣ - ٣) في ٣١، ٢١، م، ص: «أخرجوك من بلدك».

(٤) في م: «إليهم».

فى شِدَّةِ الْحَرِّ فَقَالُوا لَهُمْ : مَا هَذَا الَّذِى تَفْعَلُونَهُ ؟ فَقَالُوا لَهُمْ : إِنَّا نَجِدُ الْبَرْدَ فِى الصَّيْفِ ، وَالْكَرْبَ فِى الشِّتَاءِ . فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَقَالُوا : مَا هَؤُلَاءِ بَشَرٌ ، مَا هَؤُلَاءِ إِلَّا جِنَّ . ثُمَّ عَادُوا إِلَى مَلِكِهِمْ فَأَخْبَرُوهُ بِمَا رَأَوْا ، فَقَالُوا : لَا طَاقَةَ لَنَا بِقِتَالِ هَؤُلَاءِ . ثُمَّ ذَهَبَ صَاحِبُ تَزْمِدَ فَاسْتَجَاشَ بِطَائِفَةٍ أُخْرَى ، فَجَاءُوا فَحَاصَرُواهُمْ ^(١) بِتَزْمِدَ ، وَجَاءَ الْخَزَاعِيُّ فَحَاصَرَهُمْ أَيْضًا ، فَجَعَلَ يُقَاتِلُ الْخَزَاعِيَّ أَوَّلَ النَّهَارِ ، وَيُقَاتِلُ آخِرَهُ الْعَجَمَ . ثُمَّ إِنْ مُوسَى بَيَّتَهُمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَأَفْرَعَ ذَلِكَ عَمَرَ الْخَزَاعِيَّ فَصَالَحَهُ وَكَانَ مَعَهُ ، فَدَخَلَ يَوْمًا عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ ، وَلَيْسَ يَرَى مَعَهُ سِلَاحًا ، فَقَالَ عَلَى وَجْهِ النَّصِيحِ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنَّ مِثْلَكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِلا سِلَاحٍ . فَقَالَ : إِنَّ عِنْدِي سِلَاحًا . ثُمَّ رَفَعَ صَدْرَ فِرَاشِهِ فَإِذَا سَيْفُهُ مُنْتَضِي ^(٢) ، فَأَخَذَهُ عَمْرٌ فَضْرَبَهُ بِهِ حَتَّى بَرَدَ ، وَخَرَجَ هَارِبًا ، ثُمَّ تَفَرَّقَ أَصْحَابُ مُوسَى بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ .

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ ^(٣) : وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَمَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى عَزْلِ أَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ عَنْ إِمْرَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَحَسَّنَ لَهُ ذَلِكَ رَوْحُ بْنُ زَيْبَاعِ الْجُدَامِيُّ ، فَبَيْنَمَا هُمَا فِي ذَلِكَ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِمَا قَبِيصَةُ بْنُ دُوَيْبٍ فِي اللَّيْلِ ، وَكَانَ لَا يُحْجَبُ عَنْهُ أَيْ سَاعَةٍ جَاءَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ ، فَعَزَّاهُ فِي أَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَتَدِيمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ مِنَ الْعَزْمِ عَلَى عَزْلِهِ ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى إِرَادَةِ عَزْلِهِ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَعْهَدَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ لِأَوْلَادِهِ ؛ الْوَلِيدِ ، ثُمَّ سَلِيمَانَ ، ثُمَّ يَزِيدَ ، ثُمَّ هِشَامَ ، وَذَلِكَ عَنْ رَأْيِ الْحِجَاجِ وَتَرْتِيبِهِ ذَلِكَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ أَبُوهُ مَرْوَانُ

(١) فى الأصل : « فحاصروه » ، وفى م : « فحاصره » .

(٢) انتضى السيف : أخرجه من غمده .

(٣) تاريخ الطبرى ٤١٢ / ٦ .

عهدَ بالأمرِ إلى عبدِ الملكِ ،^(١) ثم من بعده إلى عبدِ العزيزِ ، فأراد عبدُ الملكِ أن يُنَحِّيه عن الإمرة من بعده بالكُلِّيَّةِ ، ويجعلَ الأمرَ في أولاده وعقبه ، وأن تكونَ الخلافةُ باقيةً فيهم . واللهُ أعلمُ .

عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ^(٢) ، رحمه الله تعالى

هو عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ بنِ الحكمِ بنِ أبي العاصِ بنِ أميةَ بنِ عبدِ شمسٍ ، أبو الأصْبَغِ ، القُرَشِيُّ ، الأمَوِيُّ ، وُلِدَ بالمدينةِ ، ثم دَخَلَ الشَّامَ مع أبيه مروانَ بنِ الحكمِ ، وكان وليَّ عهده من بعد أخيه عبدِ الملكِ ، وولاه أبوه إمرةَ الدِّيارِ المصريةِ في سنةِ خمسٍ وستين ، فكان واليًا عليها إلى هذه السنةِ ، وشهد قتلَ عمرو بنِ سعيدٍ^(٣) بنِ العاصِ ، كما قدَّمنا^(٤) . [١٠٤/٧] وكانت له دارٌ بدمشقَ ، وهي الدَّارُ التي للصُّوفيةِ اليومَ ، المعروفةُ بالخانِقاةِ السُّمَيْسَاطِيَّةِ^(٥) ، ثم كانت من بعده لولده عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، ثم تنقَّلت إلى أن صارت خانِقاةً للصُّوفيَّةِ .

وقد روى عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ الحديثَ عن أبيه ، وعبدِ الله بنِ الزبيرِ ، وعُقبةُ ابنِ عامرٍ ، وأبى هريرةَ . وحديثه عنه في مسندِ أحمدَ ، وسننِ أبى داودَ ، أنَّ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) طبقات ابن سعد ٢٣٦/٥ ، وتاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢١/٤٣ ، وتهذيب الكمال ١٩٧/١٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٣٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢٤٩/٤ .

(٣ - ٣) في الأصل ، ٢١ ، م ، ص : « سعيد بن عمرو » ، وانظر تهذيب الكمال ٣٥/٢٢ .

(٤) تقدم في ١١٨ ، ١١٩ .

(٥) في ٣١ ، ٢١ ، ص : « السُّمَيْسَاطِيَّة » ، وانظر الدارس في تاريخ المدارس ١٥١/٢ .

رسول الله ﷺ قال ^(١): « شَرُّ ما فى الرَّجُلِ شُحُّ هالِعٍ وَجُبْنٌ خالِعٌ ». وعنه ابنه عمرُ، والزهرى، وعُلى بنُ رباح، وجماعة.

قال محمد بنُ سعيد ^(٢): كان ثقةً قليلَ الحديث. وقال غيره ^(٣): كان يلحنُ فى الحديث، وفى كلامه. ثم تعلَّم العربية ^(٤) فأَتَقَنَها وأَحَسَّها فكان من أفصحِ الناس؛ وكان سبب ذلك أنه دَخَلَ عليه رجلٌ يشكو خَتَنَه - وهو زوج ابنته - فقال له عبدُ العزيز ^(٥): مَنْ خَتَنَكَ؟ فقال الرجلُ: خَتَنَنِى الخاتُنُ الذى يَخْتَنِى الناس. فقال لكاتبه: ويحك! بماذا أجابنى؟ فقال الكاتبُ: يا أَمِيرَ المؤمنين، كان ينبغى أن تقولَ: مَنْ خَتَنَكَ؟ فألَى على نفسه أن لا يخرج من منزله حتى يتعلَّم العربية، فمكثَ جُمُعةً واحدةً فتعلَّمها، فخرج وهو من أفصحِ الناس. وكان بعد ذلك يُجَزِلُ عطاءً مَنْ يُغَرِّبُ كلامه، ويُنْقِصُ عطاءً مَنْ يلحنُ فيه؛ فتسارعَ الناسُ فى زمانه إلى تعلُّمِ العربية. قال عبدُ العزيز يومًا لرجلٍ ^(٦): مِمَّن أنت؟ فقال: من بنو عبد الدَّارِ. فقال: تجدُّها فى جائزَتِكَ. فنقصه ^(٧) مائة دينار.

وقال أبو يعلى الموصلى ^(٨): حدثنا مجاهد بن موسى، ثنا إسحاق بن

(١) المسند ٢/٣٠٢، ٣٢٠، وأبو داود (٢٥١١). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢١٩٢).

(٢) الطبقات ٥/٢٣٦.

(٣) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية) ٤٣/٢١. وتهذيب الكمال ١٨/١٩٨، ١٩٩. بنحوهما.

(٤ - ٤) فى الأصل: « فأحسن تعلمها ».

(٥) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية) ٤٣/٢١، وتهذيب الكمال ١٨/١٩٨، ١٩٩.

(٦) فى م: « إلى رجل »، وانظر تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية) ٤٣/٢١، وتهذيب الكمال ١٨/١٩٩.

(٧) فى ٣١، ٢١، م، ص: « فنقصت جائزته ».

(٨) مسند أبى يعلى (٥٧٣٠).

يوسف ، أنبأنا سفيان ، عن محمد بن عجلان ، عن القَعْقَاعِ بن حَكِيم^(١) ، قال :
 كَتَبَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو : اِرْفَعْ إِلَيَّ حَاجَتَكَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ
 ابْنُ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، وَابْدَأْ بِمَنْ
 تَعُولُ » . وَلَسْتُ أَسْأَلُكَ شَيْئًا وَلَا أَرُدُّ رِزْقًا رَزَقَنِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْكَ .

وَقَالَ ابْنُ وَهَبٍ^(٢) : حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ ، عَنْ
 سُؤَيْدِ بْنِ قَيْسٍ ، قَالَ : بَعَثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ بِالْأَلْفِ دِينَارٍ إِلَى ابْنِ عَمْرٍو ، قَالَ :
 فَجِئْتُهُ فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الْكِتَابَ فَقَالَ : أَيْنَ الْمَالُ ؟ فَقُلْتُ : لَا أَسْتَطِيعُهُ اللَّيْلَةَ حَتَّى
 أُصْبِحَ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، لَا يَبِيتُ ابْنُ عَمْرٍو اللَّيْلَةَ وَلَهُ أَلْفُ دِينَارٍ . قَالَ : فَدَفَعَ إِلَيَّ
 الْكِتَابَ حَتَّى جِئْتُهُ بِهَا فَفَرَّقَهَا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَمِنْ كَلَامِهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣) : عَجَبًا لِمُؤْمِنٍ^(٤) يُؤْمِنُ وَ^(٥) يُوقِنُ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُهُ
 وَيُخْلِفُ عَلَيْهِ ، كَيْفَ يَحِيسُ مَالًا عَنْ عَظِيمِ أَجْرٍ وَحُسْنِ سَمَاعٍ^(٥) !

وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَحْضَرَ لَهُ مَالٌ يَخْصُهُ ، وَإِذَا هُوَ ثَلَاثُمِائَةِ مِئْدَةٍ مِنْ ذَهَبٍ ،
 فَقَالَ^(٦) : وَاللَّهِ لَوِدِدْتُ أَنَّهُ بَعْرٌ حَائِلٌ بَنَجِدَ . وَقَالَ^(٧) : وَاللَّهِ لَوِدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ
 شَيْئًا مَذْكُورًا ، وَلَوِدِدْتُ أَنْ أَكُونَ هَذَا الْمَاءَ الْجَارِي ، أَوْ نَبَاتَةً بِأَرْضِ الْحِجَازِ .

(١) فِي ص : « الْحَكَم » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ (ط . مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ) ٢٢/٤٣ عَنْهُ بِهِ .

(٣) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ٢٣/٤٣ ، وَتَهْذِيبُ الْكَمَالِ ١٨/٢٠٠ .

(٤ - ٤) فِي الْأَصْلِ : « مُوقِنٌ » .

(٥) فِي ٣١ ، ص : « سَمَاعٌ ثَنَاءٌ » ، وَفِي ٢١ ، م : « ثَنَاءٌ » .

(٦) تَارِيخُ دِمَشْقَ (ط . مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ) ٢٥/٤٣ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٨١ - ١٠٠ هـ)
 ص ١٣٥ .

(٧) تَارِيخُ دِمَشْقَ (ط . مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ) ٢٥/٤٣ . وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٨١ - ١٠٠ هـ)
 ص ١٣٤ .

وقال^(١) : اثْثُونِي بِكَفْنِي الَّذِي تُكْفَنُونِي فِيهِ . فَجَعَلَ يَقُولُ : [١٠٤/٧ ط] أَفْ لَكَ مَا أَقْصَرَ طَوِيلَكَ ، وَأَقْلَّ كَثِيرَكَ !

قال يعقوبُ بْنُ سَفِيَّانَ^(٢) ، عَنْ ابْنِ بُكَيْرٍ ، عَنِ اللَّيْثِ : كَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ الْاِثْنَيْنِ لثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةً سِتٍّ وَثَمَانِينَ . قَالَ ابْنُ عَسَاكَرٍ^(٣) : وَهَذَا وَهَمٌّ مِنْ يَعْقُوبَ ، وَالصُّوَابُ سَنَةً خَمْسٍ وَثَمَانِينَ ؛ فَإِنَّهُ مَاتَ قَبْلَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخِيهِ ، وَمَاتَ عَبْدُ الْمَلِكِ^(٤) سَنَةً سِتٍّ وَثَمَانِينَ .

وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ مِنْ خِيَارِ الْأُمَرَاءِ كَرِيمًا جَوَادًا مُدَحَّحًا ، وَهُوَ وَالِدُ الْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَقَدْ اكْتَسَى عَمْرٌ أَخْلَاقَ أَبِيهِ ، وَزَادَ عَلَيْهِ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ . وَكَانَ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ مِنَ الْأَوْلَادِ غَيْرُ عَمْرٍ ، عَاصِمٌ ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَمُحَمَّدٌ ، وَالْأَصْبَغُ - مَاتَ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ فَحَزِنَ عَلَيْهِ حُزْنًا كَثِيرًا وَمَرِضَ بَعْدَهُ وَمَاتَ - وَشَهِيلٌ ، وَكَانَ لَهُ عِدَّةُ بَنَاتٍ ؛ أُمُّ مُحَمَّدٍ^(٥) ، وَأُمُّ عَثْمَانَ ، وَأُمُّ الْحَكَمِ ، وَأُمُّ الْبَنِينِ ، وَهُنَّ مِنْ أَمَهَاتِ شَتَّى ، وَلَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ غَيْرُ هَؤُلَاءِ ، مَاتَ بِالْمَدِينَةِ الَّتِي بَنَاهَا عَلَى مَرَحَلَةٍ مِنْ مِصْرَ ، وَحُمِلَ إِلَى مِصْرَ فِي النَّيْلِ^(٦) وَدُفِنَ بِهَا . وَقَدْ تَرَكَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْثَاثِ وَالِدَوَابِّ ؛ مِنَ الْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْإِبِلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَا يَعِجْزُ عَنْهُ الْوَصْفُ ، مِنْ جَمَلَةٍ ذَلِكَ ثَلَاثُمِائَةٍ مُدٍّ^(٧) ذَهَبٍ غَيْرِ الْوَرِقِ ، مَعَ جُودِهِ ، وَكَرَمِهِ ، وَبَذْلِهِ ، وَعَطَايَاهُ الْجَزِيلَةِ ، فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَعْطَى النَّاسِ لِلْجَزِيلِ ،

(١) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية) ٤٣/٢٤ ، ٢٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠) ص ١٣٤ .

(٢) المعرفة والتاريخ ٤٣٣/٣ .

(٣) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية) ٤٣/٢٦ .

(٤) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « بعده بسنة » .

(٥) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « وشهيل » .

(٦) في ٢١ : « الليل » .

(٧) في الصفحة السابقة « مُدًى » . والمُدَّ غير المُدَّى . راجع النهاية ٤/٣٠٨ ، ٣١٠ .

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وقد ذكر ابن جرير^(١) أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ كَتَبَ إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وهو بالديار المصرية ، يسأله أن ينزلَ عن العهدِ الذى له مِنْ بَعْدِهِ لَوْلَدِهِ الْوَلِيدِ ، أو يَكُونَ وَلِىَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ^(٢) ؛ فَإِنَّهُ أَعَزَّ الْخَلْقِ عَلَيَّ .^(٣) فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ يَقُولُ : إِنِّى أَرَى فِى أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَا تَرَى فِى الْوَلِيدِ^(٤) . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ يَأْمُرُهُ بِحَمْلِ خَرَاكِ مِصْرَ - وقد كان عَبْدُ الْعَزِيزِ لَا يَحْمِلُ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْ الْخَرَاكِ وَلَا غَيْرِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ بِلَادُ مِصْرَ بِكَمَالِهَا ، وَبِلَادُ الْمَغْرِبِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ ، كُلُّهَا لِعَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ مَغَانِمُهَا وَخَرَاجُهَا وَحِمْلُهَا - فَكَتَبَ عَبْدُ الْعَزِيزِ إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ الْمَلِكِ : إِنِّى وَإِيَّاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ بَلَّغْنَا سَنًا لَمْ يَلْغُهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ إِلَّا كَانَ بَقَاؤُهُ قَلِيلًا ، وَإِنِّى لَا أَدْرِى وَلَا تَدْرِى أَيُّنَا يَأْتِيهِ الْمَوْتُ أَوَّلًا ! فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ لَا تُعْثُ^(٥) عَلَيَّ بَقِيَّةَ عُمرِى فَافْعَلْ . فَرَّقَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَقَالَ^(٥) : لَعْمَرِى لَا أُعْثُ^(٦) عَلَيْكَ بَقِيَّةَ عُمرِكَ .

وقال عَبْدُ الْمَلِكِ لابْنَهُ الْوَلِيدَ : إِنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَعْطِيَكَهَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْ الْعِبَادِ عَلَى رَدِّ ذَلِكَ عَنْكَ . وقال لابْنَهُ^(٧) الْوَلِيدِ وَسَلِيمَانَ : هَلْ قَارَفْتُمَا^(٨)

(١) تاريخ الطبرى ٤١٤/٦ بنحوه .

(٢) بعده فى ٣١ ، ٢١ : « من بعد ابنه عبد الملك » . وبعده فى ص : « من بعد أبيه عبد الملك » .

(٣ - ٣) سقط من : ٢١ .

(٤) فى الأصل ، ٢١ : « تعنت » ، وفى ٣١ : « تعبت » ، وفى ص : « تعبت » ، وفى م : « تعبت » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٤١٤/٦ .

(٥) فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « كتب إليه » .

(٦) فى الأصل ، م : « أعتب » ، وفى ٣١ ، ٢١ ، ص : « أعبت » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٤١٤/٦ .

(٧) فى النسخ : « لابنه » ، والمثبت من تاريخ الطبرى ٤١٤/٦ .

(٨) فى الأصل ، ٣١ ، ص : « فارقتما » .

^(١) «مُحَرَّمًا أَوْ حَرَامًا» قُطُّ؟ قَالَا: لَا وَاللَّهِ. فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، نِلْتُمَاهَا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ.

ويقال^(٢): إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ لَمَّا امْتَنَعَ أَخُوهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ مِنْ إِجَابَتِهِ إِلَى مَا طَلَبَ مِنْهُ مِنْ بَيْعَتِهِ لَوْلَا الْوَلِيدُ دَعَا عَلَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ قَطَعَنِي فَاقْطَعْهُ. فَمَاتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَمَا ذَكَرْنَا، فَلَمَّا جَاءَهُ الْخَبَرُ بِمَوْتِ أَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَيْلًا حَزِنَ وَبَكَى، وَبَكَى أَهْلُهُ بُكَاءً كَثِيرًا عَلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ. وَلَكِنْ سَرَّهُ ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ ابْنِهِ الْوَلِيدِ وَسَلِيمَانَ؛ فَإِنَّهُ نَالَ فِيهِمَا مَا كَانَ يُؤْمَلُّهُ لِهَمَا مِنْ وَلَايَتِهِ إِيَّاهُمَا^(٣) الْعَهْدَ مِنْ^(٤) بَعْدِهِ.

وَقَدْ كَانَ الْحِجَابُ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُزَيِّنُ^(٥) لَهُ وَلَايَةَ الْوَلِيدِ^(٦) مِنْ بَعْدِهِ، وَأَوْفَدَ إِلَيْهِ^(٧) وَفَدًا فِي ذَلِكَ، عَلَيْهِمْ عِمْرَانُ بْنُ عَصَامٍ الْعَتَرِيُّ^(٨)، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَامَ عِمْرَانُ خَطِيبًا فَتَكَلَّمَ، وَتَكَلَّمَ الْوَفْدُ^(٩)، وَحَثُّوا عَبْدَ الْمَلِكِ عَلَى ذَلِكَ، وَأَنْشَدَ عِمْرَانُ بْنُ عَصَامٍ فِي ذَلِكَ^(١٠):

على النَّأْيِ التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَا	[١٠٥/٧] أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ نُهْدِي
لَهُمْ عَادِيَّةٌ ^(١١) وَلَنَا قِيَامَا	أَجَبْنِي فِي بَنِيكَ يَكُنْ جَوَابِي
جَعَلَتْ لَهُ الْخَلَافَةَ وَالذُّمَامَا ^(١٢)	فَلَوْ أَنَّ الْوَلِيدَ أَطَاعَ فِيهِ

(١ - ١) فِي الْأَصْل: «خَيْرًا».

(٢) تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٤١٤/٦. بَنَحُوهُ.

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ: ٣١، ٢١، م، ص.

(٤) فِي ٣١، ٢١، م، ص: «يُحَسِّنُ». وَانْظُرْ تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٤١٣/٦.

(٥) بَعْدَهُ فِي ٣١، ٢١، م، ص: «وَيَزِينُهَا لَهُ».

(٦) فِي الْأَصْل: «عَلَيْهِ».

(٧) فِي ٢١: «الْعَتَرِيُّ»، وَفِي م: «الْعَتَرِي». وَانْظُرْ تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٤١٣/٦.

(٨) بَعْدَهُ فِي ٣١، ٢١، م، ص: «فِي ذَلِكَ».

(٩) الْآيَاتُ فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ٤١٣/٦ - ٤١٤.

(١٠) فِي الْأَصْل، ٢١: «عَارِيَّة».

(١١) فِي الْأَصْل، ٣١، ٢١، ص: «الْإِمَامَا».

شَبِيهُكَ حَوْلَ قُبَيْتِهِ قَرِيشٌ
ومثْلَكَ فِي التَّقَى لَمْ يَضْبُ يَوْمًا
فَإِنْ تُؤْثِرُوا أَخَاكَ بِهَا فَإِنَّا
وَلَكِنَّا نَحَاذِرُ مِنْ بَنِيهِ
وَنَخْشَى إِنْ جَعَلْتَ الْمُلْكَ فِيهِمْ
فَلَا يَكُ مَا حَلَبْتَ غَدًا لِقَوْمٍ
فَأُقْسِمُ لَوْ تَخَطَّأَنِي ^(٨) عِصَامٌ
وَلَوْ أَنِّي حَبَوْتُ أَخَا بِفَضْلِ
لَعَقَّبَ ^(١٠) فِي بَنِي ^(١١) عَلَى بَنِيهِ ^(١٢)
فَمَنْ يَكُ فِي أَقَارِبِهِ ضُدُوعٌ

بِهِ يَسْتَمِطِرُ النَّاسُ الْعَمَامَا
لَدُنْ خَلَعَ الْقِلَائِدَ وَالتَّمَامَا ^(١)
وَجَدَّكَ لَا تُطِيقُ لَهَا ^(٢) أَتَاهَا
بَنَى الْعَلَاتِ مَأْتِرَةً سَمَامَا ^(٣)
سَحَابًا ^(٤) أَنْ تَعُودَ ^(٥) لَهُمْ جَهَامَا ^(٦)
وَبَعْدَ غَدٍ بَنُوكَ ^(٧) هُمْ الْعِيَامَا
بِذَلِكَ مَا عَذَرْتُ ^(٩) بِهِ عِصَامَا
أُرِيدُ بِهِ الْمَقَالَةَ وَالْمَقَامَا
كَذَلِكَ أَوْ لَزِمْتُ ^(١٣) لَهُ مَرَامَا ^(١٤)
فَصَدَعُ الْمُلْكِ أَبْطُوهُ التَّعَامَا ^(١٥)

(١) فِي الْأَصْل، ٣١، ٢١، ص: «البشاما».

(٢) فِي ٣١، ٢١، ص: «له».

(٣) فِي الْأَصْل، ٣١، ٢١، ص: «شماما».

(٤) فِي الْأَصْل، ٣١، ٢١: «سجايما».

(٥) فِي الْأَصْل، ٣١، ٢١، ص: «يعود».

(٦) فِي الْأَصْل، ٣١، ٢١، ص: «حضماما».

(٧) فِي ٣١، ص: «تقول»، وَفِي ٢١: «يقول».

(٨) فِي ٣١، ص: «تخطأ في».

(٩) فِي ٣١، ٢١، ص: «مددت».

(١٠) فِي ٣١، ٢١، ص: «لعت».

(١١) فِي الْأَصْل، ٣١، ٢١، ص: «بنيه».

(١٢) فِي الْأَصْل، ٣١، ٢١، ص: «بنى».

(١٣) فِي الْأَصْل، ٣١، ٢١، ص: «لزمت».

(١٤) فِي الْأَصْل: «سراما».

(١٥) بَعْدَهُ فِي ٣١، ٢١، م، ص: «قال».

فهاجَه ذلك على أن كَتَبَ إلى أخيه يَسْتَرْزِلُهُ عن الخِلافةِ للوليدِ ، فأبى ^(١)
عليه ، وقَدَّرَ اللهُ سُبْحانَهُ مَوْتَ عبدِ العَزيزِ قَبْلَ مَوْتِ عبدِ المَلِكِ بعامٍ واحدٍ ،
فَتَمَكَّنَ حينئِذٍ بما أَرادَ مِنْ بِيعةِ الوليدِ ، وسليمانَ . واللهُ سُبْحانَهُ وتعالى أعلمُ .

ذَكَرُ بِيعةِ عبدِ المَلِكِ لوليدِ الوليدِ ،

ثَمَ مِنْ بَعْدِهِ لِأَخِيهِ سَليمانَ بنِ عبدِ المَلِكِ

وكان ذلك في هذه السَّنَةِ بَعْدَ مَوْتِ عبدِ العَزيزِ بنِ مروانَ ، بُويعَ له بدمشقَ ،
ثم في سائِرِ الأقاليمِ ^(٢) ، ثم لسليمانَ مِنْ بَعْدِهِ ، ثم لما انتهتِ البيعةُ إلى المَدِينَةِ ،
امتنَعَ ^(٣) سَعِيدُ بنُ المَسَيَّبِ أن يُبايَعَ في حِياةِ عبدِ المَلِكِ لأحدٍ ، فأمرَ به هِشامُ بنُ
إسماعيلَ نائِبُ المَدِينَةِ ، فَضْرِبَ سَتينَ سوطًا ، وألبَسَهُ ثيابًا مِنْ شَعْرِ ، وأرَكَبَهُ جَمَلًا
وطافَ به في المَدِينَةِ ، ثم أمرَ به فذهبوا به إلى ثَنِيَّةِ ذِبابٍ ^(٤) - وهى الثَّنِيَّةُ التى
كانوا يُضَلِّبُونَ ^(٥) عَندَها ويُقَتِّلُونَ ^(٦) - فلَمَّا وَصَلُوا إليها رَدُّوه ^(٧) إلى المَدِينَةِ ،
فأودَعوه السَجْنَ ، فقالَ لَهُمَ : واللهِ لو أَعْلَمُ أَنَّكُمْ لا تَقْتُلُونَنى لَمَ أَلْبَسُ هذا
الثَّيابَ ^(٨) .

(١) فى الأصل : « فلما أبى » .

(٢) بَعْدَهُ فى الأصل : « للوليد » .

(٣) بَعْدَهُ فى ٣١ ، ٢١ ، ص : « منها » .

(٤) فى ٣١ : « ذِباب » ، وفى ص : « ذِيا » . وانظر تاريخ الطبرى ٦ / ٤١٥ ، ٤١٦ .

(٥) فى م : « يصلون » .

(٦) فى م : « يقيلون » .

(٧) بَعْدَهُ فى الأصل : « من عَندَها » .

(٨) فى ٣١ ، م ، ص : « الثياب » . والثبان : سراويل صغيرة يستر العورة المغلظة . القاموس (ت ب ن) .

ثم كَتَبَ هشامُ بنُ إسماعيلَ المخزوميَّ إلى عبدِ الملكِ [١٠٥/٧ ط] يُعَلِّمُهُ بمخالفةِ سعيدٍ في ذلك، فكَتَبَ إليه يُعَنِّفُهُ في ذلك، ويأمرُهُ بإخراجه، ويقولُ له: إِنَّ سَعِيدًا كَانَ أَحَقُّ مِنْكَ بِصَلَةِ الرَّحِمِ مِمَّا فَعَلْتَ بِهِ، وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ سَعِيدًا لَيْسَ عِنْدَهُ شِقَاقٌ وَلَا خِلَافٌ.

وَيُرَوَّى أَنَّهُ قَالَ لَهُ ^(١): مَا يَنْبَغِي إِلَّا أَنْ يَبَايَعَ، فَإِنْ لَمْ يَبَايَعَ ضَرَبْتَ عَنْقَهُ أَوْ خَلَّيْتَ سَبِيلَهُ.

وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ ^(٢) أَنَّ سَعِيدًا، رَحِمَهُ اللَّهُ، لَمَّا جَاءَتْ بَيْعَةُ ^(٣) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُبَيْرِ ^(٤)، إِلَى الْمَدِينَةِ ^(٥)، امْتَنَعَ مِنَ الْبَيْعَةِ، فَضَرَبَهُ نَائِبُهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ - وَهُوَ جَابِرُ بْنُ الْأَسودِ بْنِ عوفٍ - سَتِينَ سَوْطًا أَيْضًا، وَسَجَّنَهُ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ، وَأَبُو مَعْشَرٍ، وَالْوَاقِدِيُّ ^(٦): وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيُّ نَائِبُ الْمَدِينَةِ، ^(٧) وَكَانَ عَلَى الْعِرَاقِ وَالْمَشْرِقِ بِكَمَالِهِ الْحَجَّاجُ.

قَالَ شَيْخُنَا الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ ^(٨): وَتَوَفَّى فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَبَانُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ ^(٩).

(١) تاريخ الطبري ٤١٦/٦، والكمال ٥١٤/٤.

(٢) طبقات ابن سعد ١٢٢/٥، ١٢٣، وتاريخ الطبري ٤١٦/٦، والكمال ٥١٥/٥.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤ - ٤) في ٣١، ٢١، م، ص: «للوليد».

(٥) تاريخ الطبري ٤١٧/٦، والكمال ٥١٥/٤.

(٦ - ٦) في الأصل: «نيابة».

(٧) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٢.

(٨) طبقات ابن سعد ١٥١/٥، ونسب قريش ١١٠، وأخبار القضاة ١٢٩/١، وطبقات الفقهاء ٤٧،

وسير أعلام النبلاء ٣٥١/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٨، والوافي

بالوفيات ٣٠١/٥.

أمير المدينة^(١)، كان من فقهاء المدينة العشرة. قاله يحيى القطان^(٢)، وقال محمد ابن سعيد^(٣): كان ثقة، وكان به صمم، ووضّح^(٤) كثير، وأصابه الفالج قبل أن يموت.

وعبد الله بن عامر بن ربيعة^(٥).

وعمر بن حريث^(٦).

وعمر بن سلمة^(٧).

ووائل بن الأسقع^(٨)، قال الواقدي ويحيى بن معين^(٩): كان يسكن الصفة في زمن النبي ﷺ. ^(١٠) قال الواقدي^(١١): أسلم وائل والنبي ﷺ يتجهز إلى تبوك في آخر الأمر.

قال وائل^(١٢): قال لنا رسول الله ﷺ: «كيف أنتم بعدى إذا شيعتم من»

(١) في الأصل: «المؤمنين».

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٩، وسير أعلام النبلاء ٣٥٣/٤.

(٣) الطبقات ١٥٢/٥، ١٥٣.

(٤) الوضّح: البرص.

(٥) الاستيعاب ٩٣٠/٣، وأسد الغابة ٢٨٧/٣، والإصابة ١٣٩/٤.

(٦) الاستيعاب ١١٧٢/٣، وأسد الغابة ٢١٣/٤، والإصابة ٦١٩/٤.

(٧) الاستيعاب ١١٧٩/٣، وأسد الغابة ٢٣٤/٤، والإصابة ٦٤٣/٤.

(٨) بعده في الأصل: «فقد كان وائل بن الأسقع من نزل الصفة و»، وترجمته في: الاستيعاب ٤/٤.

(٩) وأسد الغابة ٤٢٨/٥، والإصابة ٥٩١/٦.

(١٠) زيادة من: ٣١، ص.

(١١) حلية الأولياء ٢١/٢.

(١٢) سقط من: ص.

(١٣) حلية الأولياء ٢١/٢.

(١٤) حلية الأولياء ٢٣/٢، وكنز العمال (٦٢٢٩).

^(١) خبز البرّ والزيت ، فأكلتم ألوان الطعام ، وليستم أنواع الثياب ، فأنتم اليوم خير أم ذلك اليوم ؟ . قال : قلنا : ذلك اليوم . قال : « بل أنتم اليوم خير » . قال واثلة : فما ذهب عنا الأيام حتى أكلنا ألوان الطعام ، وليسنا أنواع الثياب وركبنا المراكب ^(١) .

شهد واثلة تبوك ، ثم شهد فتح دمشق ونزلها ، ومسجده بها عند حبس باب الصغير من القبلة ^(٢) . ^(٣) وهو آخر من توفى بدمشق من الصحابة . قاله سعيد بن بشير ^(٤) . وقد قال البخاري وغيره ^(٥) : إنه توفى سنة ثلاث وثمانين . والله أعلم ^(٦) .

خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ^(٧) ، كان أعلم قريش بفنون العلم ، وله يد طولى فى الطب ، وكلام كثير فى الكيمياء ، وكان قد استفاد ذلك من راهب اسمه مزيائس ^(٨) ، وكان خالد فصيحاً بليغاً شاعراً مطبقاً كأبيه . دخل يوماً على عبد الملك بن مروان بحضرة الحكم بن أبى العاص ^(٩) ، فشكا إليه أن ابنه الوليد يحتقر أخاه عبد الله بن يزيد ، فقال عبد الملك : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ [النمل : ٣٤] . فقال له خالد : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٦] . فقال عبد الملك : والله لقد

(١ - ١) زيادة من : ٣١ ، ص .

(٢) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : زيادة من النسخ .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٢١٨ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) أسد الغابة ١١٣ / ٢ ، ونسب قريش ١٢٩ ، وتاريخ دمشق ٣٠١ / ١٦ ، وتهذيب الكمال ٢٠١ / ٨ ، وسير أعلام النبلاء ٣٨٢ / ٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٥٥ ، والوفاء بالوفيات ٢٧٠ / ١٣ .

(٧) فى م : « مريانش » . وانظر وفيات الأعيان ٢٢٤ / ٢ .

(٨) وفيات الأعيان ٢٢٥ / ٢ ، ٢٢٦ .

دَخَلَ عَلَى أَخَوَيْكَ عَبْدُ اللَّهِ، فَإِذَا هُوَ لَا يَقِيمُ اللَّحْنَ. فَقَالَ خَالِدٌ: وَالْوَلِيدُ لَا يَقِيمُ
 اللَّحْنَ. فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: إِنَّ أَخَاهُ سَلِيمَانَ لَا يَلْحَنُ. فَقَالَ خَالِدٌ: وَأَنَا أَخُو
 عَبْدِ اللَّهِ لَا أَلْحَنُ. فَقَالَ الْوَلِيدُ - وَكَانَ حَاضِرًا - لَخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ: اسْكُتْ، فَوَاللَّهِ
 [١٠٦/٧] مَا تَعُدُّ فِي الْعِيرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ. فَقَالَ خَالِدٌ: اسْمَعْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ
 أَقْبَلَ خَالِدٌ عَلَى الْوَلِيدِ فَقَالَ: وَيَحْكُ! وَمَا هُوَ الْعِيرُ وَالنْفِيرُ غَيْرُ جَدِّي أَبِي سَفْيَانَ
 صَاحِبِ الْعِيرِ، وَجَدِّي عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ صَاحِبِ النَّفِيرِ، وَلَكِنْ لَوْ قُلْتُ: غُنَيْمَاتٌ
 وَحُبَيْلَاتٌ وَالطَّائِفُ، وَرَجِمَ اللَّهُ عَثْمَانَ. لَقُلْنَا^(١): صَدَقْتَ - يَعْنِي: أَنَّ الْحَكَمَ
 كَانَ مَنْفِيًّا بِالطَّائِفِ يَرْعَى غَنَمًا، وَيَأْوِي إِلَى حَبَلَةِ الْكَرَمِ، حَتَّى آوَاهُ عَثْمَانُ بْنُ
 عَفَانَ حِينَ وُلِّيَ - فَسَكَتَ الْوَلِيدُ وَأَبُوهُ، وَلَمْ يُجِيزَا جَوَابًا. وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى
 أَعْلَمُ.

(١) فِي الْأَصْلِ: «لَقُلْنَا».

ثم دخلت سنة ست وثمانين

ففيها غزا قتيبة بن مسلم نائب الحجاج على مرو وخراسان ، بلادًا كثيرةً من أرض الترك وغيرهم من الكفار ، وسبى وغنم وسليم ، وتسلم قلاعًا وحصونًا وممالك ، ثم قفل فسبق الجيش ، فكتب إليه الحجاج يلومه على ذلك ، ويقول له ^(١) : إذا كنت قاصدًا بلاد العدو فكن في مقدمة الجيش ، وإذا قفلت راجعًا ^(٢) ، فكن في ساقة الجيش . يعنى لتكون ردة لهم من أن ينالهم أحد من العدو وغيرهم بكيد ، وهذا رأى حسن ، وعليه جاءت السنة ^(٣) .

وكان في جملة السبي امرأة بزومك - والد خالد بن بزومك - فأعطأها قتيبة أخاه عبد الله بن مسلم ، فوطئها فحملت منه . ثم إن قتيبة مرَّ على السبي ورَدَّت تلك المرأة على زوجها بزومك وهي حُبلى من عبد الله بن مسلم ، وكان ولدها عندهم حتى أسلموا ، فقدموا به معهم أيام بنى العباس كما سيأتى .
ولما رجع قتيبة إلى خراسان ، تلقاه دهاقين بلغار ^(٤) وصاغان ^(٥) بهدايا عظيمة ، ومفتاح من ذهب بلغار .

وفيهما كان طاعون بالشَّام والبصرة وواسط ، ويُسمَّى طاعون الفتيات ؛ لأنَّه

(١) تاريخ الطبرى ٤٢٥ / ٦ .

(٢) بعده فى الأصل : « إلى بلادك » .

(٣) البخارى (٢٩٥٦) ، وأبو داود (٢٦٣٩) .

(٤) بلغار أو بلغر : هى مدينة الصقالبة ، ضاربة فى الشمال ، شديدة البرد . معجم البلدان ١ / ٧٣٢ .

(٥) سقط من : م . وانظر معجم البلدان ٢ / ٣٩٢ .

أَوَّلُ مَا بَدَأَ بِالنِّسَاءِ فَسُمِّيَ بِذَلِكَ .

وفيهما غزا مسلمةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِلَادَ الرُّومِ ، فَقَتَلَ وَسَيَّ وَغَنِمَ ^(١) وَسَلِّمَ ،
وافتتَحَ حَصْنَ بُولُقَ ، وَحَصَّنَ الْأَخْرَمَ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ .

وفيهما عَقَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى مِصْرَ ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ عَبْدِ
الْعَزِيزِ ، فَدَخَلَهَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَعَمَرُهُ يَوْمَئِذٍ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً .

وفيهما هَلَكَ ^(٢) مَلِكُ الرُّومِ الْأَخْرَمُ بُوْرِي ^(٣) ، لَا رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٤) .

وفيهما حَبَسَ الْحِجَاجُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ .

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِيهَا هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْخَزْرَمِيُّ .

وفى هذه السَّنَةِ تَوَفَّى أَبُو أَمَامَةَ ^(٥) صُدِّيُّ بْنُ عَجَلَانَ الْبَاهِلِيُّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ أَبِي أَوْفَى ^(٦) ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءِ الرُّبَيْدِيِّ ^(٧) فِي قَوْلٍ ، ^(٨) شَهِدَ
فَتَحَ مِصْرَ وَسَكَنَهَا ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ مَاتَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِمِصْرَ ، وَلَهُ أَحَادِيثُ ^(٩) .

وفيهما ، فِي ^(١٠) النَّصْفِ مِنْ ^(١١) شَوَالِهَا ، تَوَفَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ :

(١ - ١) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص .

(٢) سقط من: ص .

(٣) في م: «لورى» .

(٤ - ٤) سقط من: م .

وانظر ترجمته في الاستيعاب ٧٣٦/٢، وأسد الغابة ١٦/٣، والإصابة ٤٢٠/٣ .

(٥) الاستيعاب ٨٧٠/٣، وأسد الغابة ١٨٢/٣، والإصابة ١٨/٤ .

(٦) الاستيعاب ٨٨٣/٣، وأسد الغابة ٢٠٣/٣، والإصابة ٤٦/٤ .

(٧ - ٧) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص . وبعده في م، ص زيادة من زيادات ناسخ المخطوط ص .

(٨ - ٨) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص .

عبدُ الملكِ بنُ مروانَ والدُ الخلفاءِ الأمويين^(١)

وهو عبدُ الملكِ بنُ مروانَ بنِ الحكمِ بنِ أبي العاصِ بنِ أميةَ ، أبو الوليدِ الأمويُّ أميرُ المؤمنين ، وأُمُّه عائشةُ بنتُ معاويةَ بنِ المغيرةَ بنِ أبي العاصِ بنِ أميةَ . سَمِعَ عثمانَ بنَ عفانَ ، وشَهِدَ الدارَ مع أبيه وله عَشْرُ سَنِينَ ، وهو أوَّلُ مَنْ سارَ^(٢) بالناسِ في بلادِ الرومِ سَنَةً ثَلاثينَ وأربعينَ ، وكانَ أميرًا على أَهْلِ المدينةَ ، وله سِتُّ عَشْرَةَ سَنَةً ، ولَّاهُ إِيَّاهَا معاويةُ ، وكانَ [١٠٦/٧هـ] يجالِسُ الفقهاءَ ، والعلماءَ ، والعبادَ ، والصُّلحاءَ .

ورَوَى الحديثَ عن أبيه ، وجابرٍ ، وأبي سعيدٍ الخدريِّ ، وأبي هريرةَ ، وابنِ عمرَ ، ومعاويةَ ، وأُمِّ سلمةَ ، وبريرةَ مولاةَ عائشةَ .

ورَوَى عنه جماعةٌ ؛ منهم خالدُ بنُ مَعْدَانَ ، وعروةُ ، والزهرِيُّ ، وعمرو بنُ الحارثِ ، ورجاءُ بنُ حيوةَ ، وجريزُ بنُ عثمانَ .

ذَكَرَ^(٣) عن محمدِ بنِ سيرينَ أن أباه كان قد سَمَّاهُ القاسمَ ، فكان يُكْنَى^(٤) «أبي القاسمِ» ، «فَلَمَّا بَلَغَهُ النِّهْيُ عَنِ التَّكْنِي بِأَبِي الْقَاسِمِ»^(٥) ، غَيَّرَ اسْمَهُ فَسَمَّاهُ عبدَ الملكِ .

(١) طبقات خليفة ٢/٦٠٢ ، وتاريخ بغداد ١٠/٣٨٨ ، وتاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية) ٤٣/٢٣٩ ، وسير أعلام النبلاء ٤/٢٤٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٣٥ ، وفوات الوفيات ٢/٣١ .

(٢) في الأصل : «سار» .

(٣) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٣/٢٤٢ .

(٤ - ٤) في الأصل : «به» .

(٥ - ٥) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

قال ابن أبي خيثمة^(١)، عن مصعب بن الزبير: وكان أول من سُمي في الإسلام بعبد الملك.

قال ابن أبي خيثمة^(٢): وأول من سُمي في الإسلام بأحمد، والد الخليل بن أحمد العروضي.

وبُويغ له بالخلافة في سنة خمس وستين في حياة أبيه^(٣)، في خلافة ابن الزبير، وبقي على الشام ومصر مدة سبع سنين، وابن الزبير على باقي البلاد، ثم استقل بالخلافة على سائر البلاد والأقاليم بعد مقتل ابن الزبير، وذلك في سنة ثلاث وسبعين إلى هذه السنة، كما ذكرنا ذلك^(٤).

وكان مولده ومولد يزيد بن معاوية في سنة ست وعشرين، وقد كان عبد الملك قبل الخلافة من العبّاد الزهاد الفقهاء، الملازمين للمسجد، التالين للقرآن، وكان ربعة من الرجال أقرب إلى القصر.

وكانت أسنانه مشبّكة بالذهب، وكان أفوه مفتوح الفم، فرجما غفل فينفث فمه فيدخل فيه الذباب؛ ولهذا كان يقال له: أبو الذبان^(٥). وكان أبيض ربعة ليس بالحنيف ولا البادين، مقرون الحاجبين، أشهل^(٦)، كبير العينين، دقيق الأنف، مُشرق الوجه، أبيض الرأس واللحية، حسن^(٧) الوجه، لم يخضب،

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٩٠، وتاريخ دمشق ٤٣/ ٢٤١، ٢٤٢.

(٢) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٤٢.

(٣) في الأصل: «ابنه».

(٤ - ٤) في الأصل: «واستقل بها من بعده إلى هذه السنة».

(٥) في م: «الذباب». وأبو الذبان: هو الأبخر، لقب غلب على عبد الملك لفساد كان في فمه. تاج العروس (ذ ب ب).

(٦) أي: يشوب سواد عينه زرقة.

(٧) بعده في الأصل: «الجسم».

ويقال: إنه خَضَبَ^(١) بعد ذلك .

وقد قال نافع^(٢) : لقد رأيتُ المدينةَ وما فيها شابُّ أشدَّ تشميرًا ، ولا أفقه ولا أقرأ لكتابِ اللهِ من عبدِ الملكِ بنِ مروانَ .

وقال الأعمش^(٣) ، عن أبي الزناد : كان فقهاءُ المدينةِ أربعةً ؛ سعيدُ بنُ المسيَّبِ ، وعروة ، وقبيصةُ بنُ ذؤيبٍ ، وعبدُ الملكِ بنُ مروانَ قبلَ أنْ يدخُلَ فى الإمارة .

وعن ابنِ عمر أنه قال^(٤) : وَلَدَ الناسُ أبناءَ وولَدَ مروانُ أبًا - يعنى عبدَ الملكِ - ورآه يومًا ، وقد ذُكِرَ اختلافُ الناسِ ، فقال^(٥) : لو كان هذا الغلامُ اجتمعَ الناسُ عليه . وقال^(٦) عبدُ الملكِ : كنتُ أَجالِسُ^(٧) بَريرةَ بالمدينةِ قبلَ أنْ أَلِجَ هذا الأمرَ ، فكانت تقولُ^(٨) : يا عبدَ الملكِ ، إنَّ فيكَ خصالًا ، وإنك لجدٍ أن تَلِجَ أمرَ هذه الأمةِ ، فاحذَرِ الدماءَ ؛ فَإِنِّى سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « إِنَّ الرجلَ لَيُدْفَعُ عن بابِ الجنةِ^(٩) أنْ يَنْظُرَ إليها ، على^(١٠) مَحْجَمَةٍ مِنْ دمٍ يُرِيقُهُ مِنْ مسلمٍ بغيرِ حقٍّ »^(١١) .

(١) فى ص : « خطب » . وانظر تاريخ دمشق ٢٤٦/٤٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ٢٣٤/٥ ، وتاريخ دمشق ٢٤٧/٤٣ ، بنحوه .

(٣) المعرفة والتاريخ ٥٦٣/١ ، تاريخ دمشق ٢٤٨/٤٣ .

(٤) تاريخ دمشق ٢٤٩/٤٣ .

(٥) فى الأصل : « روى عن » .

(٦) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٠٥/٢٤ (٥٢٦) عن على بن عبد العزيز ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٤١/٤٣ بسنده من طريقين عن على بن عبد العزيز أيضًا ، كلاهما - الطبرانى وابن عساكر - بطريقهما عن عبد الملك بن مروان عن بريرة ، به .

(٧ - ٧) فى النسخ : « بريدة بن الحصيب ، فقال لى يومًا » . والمثبت من مصدرى التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٤٠٨/١٨ ، ١٣٦/٣٥ .

(٨) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « بعد » .

(٩) فى ٣١ ، ٢١ ، وتاريخ دمشق : « بملء » . وفى ص : « يملئ » .

(١٠) بعده فى م ، ص : « وقد كان عبد الملك يجالس أم الدرداء ، فقالت له يوما : يا عبد الملك ، إني لأتوسم فيك خصال الخلافة ، وأشم منك رائحة الإمارة ، فإذا وليت فاحذر الدماء ، فإني سمعت =

وقد [١٠٧/٧] أثنى عليه 'قبل الولاية' معاوية، وعمرو بن العاص، في قصة طويلة.

وقال سعيد بن داود الزنبري^(٢)، عن مالك، عن يحيى بن سعيد^(٣)، قال : أول من صلى ما بين الظهر والعصر عبد الملك بن مروان وفتيان معه . فقال سعيد ابن المسيب : ليست العبادة بكثرة الصلاة والصوم ، إنما العبادة التفكر في أمر الله ، والورع عن محارم الله .

وقال الشعبي^(٤) : ما جالست أحدا إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك ابن مروان ؛ فإنني ما ذاكرته حديثا إلا زادني فيه^(٥) ، ولا شعرا إلا زادني فيه . وذكر خليفة بن خياط^(٦) ، أن معاوية كتب إلى مروان^(٧) ، وهو نائبه على المدينة سنة خمسين : أن ابعت ابنتك عبد الملك على بعث المدينة إلى بلاد المغرب مع معاوية بن خديج . فذكر من كفايته ، وغنايه ، ومجاهدته في تلك البلاد شيئا كثيرا . ولم يزل عبد الملك مقيما بالمدينة حتى كانت وقعة الحرّة ، واستولى ابن

= أبا الدرداء يقول : إن الرجل ليحبس عن دخول الجنة بعد أن يراها بمحجمة دم أراقها بغير حق . وقد رأى عبد الملك رؤيا قبل أن يلي الخلافة ، فقصها على سعيد بن المسيب فعبها له بأنه يلي الخلافة . قلت : والذي حذرت منه بريرة وقع فيه ، وسفك دماء كثيرة ولاسيما نائبه على الفرات الحجاج ، فقد جرى على يديه من سفك الدماء المحرمة ما لا يحصى ، والله سبحانه أعلم .

(١ - ١) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٢) في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « الزبيري » . وانظر تهذيب الكمال ٤١٧/١٠ ، وتاريخ دمشق ٢٥٢/٤٣ .

(٣) بعده في م : « بن داود الزبيري » .

(٤) تاريخ دمشق ٢٥٢/٤٣ ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٢٣/١٥ .

(٥) في م : « منه » .

(٦) تاريخ خليفة ٢٤٧/١ .

(٧) بعده في الأصل : « ابنه » .

الزبير على بلاد الحجاز، وأجلى بنى أمية من هنالك، فقدم مع أبيه إلى الشام^(١)، ثم لما صارت الإمارة إلى أبيه^(٢)، وبايعه أهل الشام،^(٣) كما تقدم، أقام في الإمارة^(٤) تسعة أشهر^(٥)، ثم عهد إليه بالإمارة من بعده، فاستقل عبد الملك بالخلافة في مستهل رمضان أو ربيع الأول من سنة خمس وستين، واجتمع الناس عليه بعد مقتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين في جمادى الأولى إلى هذه السنة.

وقال ثعلب عن ابن الأعرابي^(٦): لما سلم على عبد الملك بالخلافة، كان في حجره مصحف، فأطبقه، وقال: هذا فراق بيني وبينك.

وقال أبو الطفيل^(٧): صنع لعبد الملك مجلساً توسّع^(٨) فيه، وقد كان بُني له فيه قبة قبل ذلك، فدخله وقال: لقد كان ابن حنتمة^(٩) الأخوزي - يعني عمر بن الخطاب - يرى أن هذا عليه حرام.

^٩ وقيل^(١٠): إنه لما وضع المصحف من حجره قال: هذا آخر العهد منك. وكان عبد الملك له إقدام على سفك الدماء^(١١) وكان عماله على مذهبه؛ منهم الحجاج، والمهلب، وغيرهم^(١٢)، وكان حازماً فهِمًا فِطْنًا سائساً لأُمُور الدنيا^(١٣)،

(١) سقط من: م.

(٢) في ٣١، ٢١، ص، م: «مع».

(٣ - ٣) في الأصل: «وقتل الضحاك بن قيس كان مع أبيه مدة ولايته وكانت».

(٤) بعده في الأصل: «ولم يمت أبوه حتى عهد بالأمر له من بعده ثم لعبد العزيز».

(٥) تاريخ بغداد ٣٩٠/١٠، وتاريخ دمشق ٢٥٦/٤٣.

(٦) تاريخ دمشق ٢٥٨/٤٣، مختصر تاريخ دمشق ٢٢٤/١٥.

(٧) في تاريخ دمشق «بوقع».

(٨) في النسخ: «حنمة»، والمثبت من مصادر التخرير السابقة، وانظر الإكمال ٢١١/٣.

(٩ - ٩) زيادة من ٣١، ٢١، م، ص.

(١٠) تاريخ دمشق ٢٥٦/٤٣، مختصر تاريخ دمشق ٢٢٤/١٥.

(١١ - ١١) سقط من: م.

«لا يَكُلْ أَمْرٌ دُنْيَاهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَأُمُّهُ عَائِشَةُ بِنْتُ مُعَاوِيَةَ بِنِ الْمَغِيرَةِ بِنِ أَبِي الْعَاصِ، وَأَبُوهَا مُعَاوِيَةُ هُوَ الَّذِي جَدَعَ أَنْفَ حِمْرَةَ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ»^(١).

وقال سعيدُ بنُ عبدِ العزيز^(٢): «لَمَّا خَرَجَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْعِرَاقِ لِقِتَالِ مُصْعَبِ ابْنِ الزَّيْبِرِ، خَرَجَ مَعَهُ يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيُّ، فَلَمَّا التَقَوْا قَالَ: اللَّهُمَّ احْجِزْ بَيْنَ هَذَيْنِ الْجَبَلَيْنِ، وَوَلِّ الْأَمْرَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْكَ. فَظَفِرَ عَبْدُ الْمَلِكِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا كَيْفِيَةَ قَتْلِهِ مُصْعَبًا، وَدَخُولَهُ الْكُوفَةَ، وَوَضْعَهُ رَأْسَ مُصْعَبٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَعَزِّ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَأَحَبِّهِمْ إِلَيْهِ».

وقال سعيدُ بنُ عبدِ العزيز^(٣): «لَمَّا بُويعَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بِالْخِلَافَةِ، كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو إِلَى «عَبْدِ اللَّهِ»^(٤) عَبْدِ الْمَلِكِ [١٠٧/٧ ط] أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ رَايَ، وَكُلُّ رَايَ مُسْتَوِلٌ عَنْ رِعْيَتِهِ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء ٨٧]. لَا أَحَدَ، وَالسَّلَامُ».

وَبَعَثَ بِهِ مَعَ سَالِمٍ^(٥)، فَوَجَدُوا عَلَيْهِ^(٦)؛ إِذْ قَدَّمَ اسْمَهُ عَلَى اسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ نَظَرُوا فِي كُتُبِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَوَجَدُوا هَاكَذَاكَ، فَاحْتَمَلُوا ذَلِكَ مِنْهُ.

(١ - ١) زيادة من ٣١، ٢١، م، ص.

(٢) تاريخ دمشق ٢٥٨/٤٣.

(٣) تاريخ دمشق ٢٦٠/٤٣، مختصر تاريخ دمشق ٢٢٥/١٥.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) في ٣١، ٢١، م، ص: «سلام».

(٦) أى: غضبوا عليه.

وقال الواقدي^(١) : حَدَّثَنِي^(٢) ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ^(٣) ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْخَنَاطِ^(٤) ، عَنْ ابْنِ^(٥) كَعْبٍ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ يَقُولُ : يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ أَنْ يُلْزَمَ الْأَمْرَ الْأَوَّلَ لَأَنْتُمْ ، وَقَدْ سَأَلْتُ عَلَيْنَا أَحَادِيثَ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْمَشْرِقِ وَلَا نَعْرِفُهَا وَلَا نَعْرِفُ مِنْهَا إِلَّا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ ، فَالْزَمُوا مَا فِي مَصْحَفِكُمُ الَّذِي جَمَعَكُمْ^(٦) عَلَيْهِ الْإِمَامُ الْمَظْلُومُ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْفَرَائِضِ الَّتِي جَمَعَكُمْ عَلَيْهَا إِمَامُكُمْ الْمَظْلُومُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَإِنَّهُ قَدْ اسْتَشَارَ فِي ذَلِكَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ، وَنَعِمَ الْمَشِيرُ كَانَ لِلْإِسْلَامِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَأَحْكَمَا مَا أَحْكَمَا ، وَأَسْقَطَا^(٧) مَا شَدَّ عَنْهُمَا .

وقال ابنُ جُرَيْجٍ^(٨) ، عَنْ أَبِيهِ : حَجَّ عَلَيْنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ بَعْدَ مَقْتَلِ ابْنِ الزَّيْبِرِ بَعَامِينَ ، فَخَطَبَنَا فَقَالَ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ كَانَ مَنْ قَبْلِي مِنَ الْخُلَفَاءِ يَأْكُلُونَ مِنَ الْمَالِ ، وَيُؤْكِلُونَ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُدَاوِي أَدَوَاءَ هَذِهِ الْأُمَةِ إِلَّا بِالسَّيْفِ ، وَلَسْتُ بِالْخَلِيفَةِ الْمُسْتَضْعَفِ - يَعْنِي عُثْمَانَ - وَلَا بِالْخَلِيفَةِ الْمُدَاهِنِ - يَعْنِي معاويةَ - وَلَا بِالْخَلِيفَةِ الْمَأْبُونِ^(٩) - يَعْنِي يَزِيدَ بْنَ معاويةَ - أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا نَحْتَمِلُ لَكُمْ^(١٠) كُلَّ اللَّغْوَةِ^(١١) مَا لَمْ يَكُنْ عَقْدُ رَايَةٍ ، أَوْ وَثُوبٌ عَلَى مَنِيرٍ .

هذا عمرو بنُ سعيدٍ حَقَّهُ حَقُّهُ ، وَقَرَابَتُهُ قَرَابَتُهُ^(١٢) ، قَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا ، فَقُلْنَا

-
- (١) أخرجه ابن سعد في طبقاته ٢٣٣/٥ من طريق الواقدي به .
 (٢ - ٢) في ٢١، ٣١، م : « ابن أبي ميسرة » ، وفي ص : « أبو ميسرة » . وانظر سير أعلام النبلاء ٣٣٠ / ٧ .
 (٣) في النسخ : « الخياط » ، والمثبت من مصدر التخريج .
 (٤) في النسخ : « أبي » ، والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تاريخ دمشق ٣٦٢ / ٤٣ ، ومختصر تاريخ دمشق ٢٢٦ / ١٥ .
 (٥) في ٢١، ٣١، م ، ص : « حملكم » .
 (٦) في م : « استقصيا » .
 (٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦٣ / ٤٣ ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٢٦ / ١٥ .
 (٨) أبته يأبته : عابه ، وفي مصادر الخطبة : « المأفون » ، وهو الضعيف العقل .
 (٩) في م : « منكم » .
 (١٠) في النسخ : الغرمة ، والمثبت من مصدر التخريج . واللغوب : الأحق . والاسم للغابة واللغوبة . اللسان (ل غ ب) .
 (١١) في م : « وابته » .

بسيِّفنا هكذا ، وإنَّ الجامعةَ التي خلَّعها مِن عُنُقِهِ عِنْدِي ، وقد أُعْطِيتُ اللّهُ عهدًا
أَلَّا أَضَعَّهَا فِي رَأْسِ أَحَدٍ إِلَّا أَخْرَجَهَا الصُّعْدَاءُ ، فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ .

وقال الأصمعي^(١) : ثنا عبَّادُ بنُ سليمٍ بنِ عثمانَ بنِ زيادٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه
قال : ركب عبدُ الملكِ بنُ مروانَ بَكْرًا ، فَأَنْشَأَ قائِدهُ يَقولُ :

يا أَيُّها البَكْرُ الذي أراكا
عليكَ سهلَ الأرضِ في مَمْشاكا
ويحك ! هل تعلمُ منَ علاكا ؟
خليفةُ اللّهِ الذي امْتَطاكا
لم يَحُبْ بَكْرًا مثلَ ما حباكا

فلَمَّا سَمِعَهُ عبدُ الملكِ قال : إِيَّها يا هَناءُ ، قد أَمَرْتُ لكَ بعشرةِ آلافِ .

وقال الأصمعي^(٢) : خطَبَ عبدُ [١٠٨/٧] الملكِ فَحَصِرَ ، فقال : إنَّ اللسانَ
بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَإِنَّا لَا نَسْكُتُ حَصْرًا وَلَا نَنْطِقُ هَذَرًا ، وَنَحْنُ أَمْرَاءُ الْكَلَامِ ،
فِينَا رَسَخَتْ عِرْوَقُهُ ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ^(٣) أَغْصَانُهُ ، وَبَعْدَ مَقَامِنَا هَذَا مَقَامٌ ، وَبَعْدَ عَيْنِنَا
هَذَا مَقَالٌ ، وَبَعْدَ يَوْمِنَا هَذَا أَيَّامٌ ، يُعْرَفُ فِيهَا فَضْلُ الْخِطَابِ ، وَمَوَاقِعُ^(٤) الصَّوَابِ .

قال الأصمعي^(٥) : قيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ : أَسْرِعْ إِلَيْكَ الشَّيْبُ . فقال : وكيفَ لا
وَأَنَا أَعْرِضُ عَقْلِي عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ !

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٣/٢٦٤ ، بسنده ، من طريق الأصمعي به .

(٢) تاريخ دمشق ٤٣/٢٦٥ ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٥/٢٢٧ .

(٣) في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « تدلت » .

(٤) في الأصل : « مواضع » ، وفي م : « موضع » .

(٥) تاريخ دمشق ٤٣/٢٦٦ ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٥/٢٢٧ ، وسير أعلام النبلاء ٤/٢٤٨ .

« وقال غيره: قيل لعبد الملك: أسرع إليك الشَّيْبُ^(١) . فقال: « شَيْبَتْنِي كَثْرَةُ^(٢) ارتقاء المنبر ومخافة اللّحن . ولحن رجلٌ عند عبد الملك^(٣) ، فقال له آخر: زد أَلِفًا . فقال له عبد الملك: وأنت فرد أَلِفًا .

وقال الزهرى^(٤): سمعتُ عبد الملك يقولُ في خطبته: إنّ العلمَ سيقبضُ قبضًا سريعًا ، فمن كان عنده علمٌ ، فليظهره غير غالي فيه ولا جافٍ عنه .

وروى ابنُ أبي الدنيا^(٥) ، أن عبد الملك كان يقولُ لمن يُسأِرُهُ في سفره إذا رُفِعَتْ له شجرةٌ: سبّحوا بنا حتى نأتى تلك الشجرة^(٦) ، وكبّروا بنا حتى نأتى تلك الحجر^(٧) ، ونحو ذلك .

وروى البيهقي^(٨) أن عبد الملك وقع منه فُلْسٌ في بئرِ قدرة ، فاكترى عليه بثلاثة عشر دينارًا حتى أخرجه منها ، فقيل له في ذلك ، فقال: إنّهُ كان عليه اسمُ الله ، عزَّ وجلَّ .

وقال غير واحد^(٩): كان عبدُ الملك إذا جلسَ للقضاء بينَ الناسِ ، يقومُ السَّيَّافون على رأسِهِ بالسيفِ^(١٠) فيُنشِدُ - وقال بعضهم: يأمرُ من ينشِدُ

(١ - ١) سقط من: الأصل .

(٢ - ٢) في م: « وتنسى » .

(٣) بعده في م: « يعنى أسقط من كلامه ألفًا » . وانظر تاريخ دمشق ٢٦٦/٤٣ .

(٤) المصدر السابق ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٢٨/١٥ .

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦٧/٤٣ .

(٦) بعده في الأصل: « ثم ترفع أخرى فيقول » .

(٧) في الأصل: « الشجرة » ، وفي م: « الحجر » .

(٨) المصدر السابق .

(٩) المصدر السابق ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٢٨/١٥ .

(١٠) في م: « بالسيف » .

فيقول^(١) - :

إِنَّا إِذَا نَالَتْ دَوَاعِيَ الْهَوَى وَأَنْصَتِ السَّمْعُ لِلْقَائِلِ
وَاضْطَرَعَ النَّاسُ بِالْبَابِهِمْ نَقْضِي بِحَكْمٍ عَادِلٍ فَاصِلِ
لَا نَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقًّا وَلَا نُلْطُ^(٢) دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ
نَخَافُ أَنْ تُسْفَهَ^(٣) أَحْلَامُنَا فَتَحْمَلَ^(٤) الدَّهْرُ مَعَ الْخَامِلِ^(٥)

وقال الأعمش^(٥) : أخبرني محمد بن الزبير ، أن أنس بن مالك كتب إلى عبد الملك يشكو الحجاج ، ويقول في كتابه : لو أن رجلاً^(٦) آوى عيسى ليلة واحدة ، أو خدمه فعرفته النصارى لنزل عندهم^(٧) ، ولعرفوا له ذلك ، ولو أن رجلاً خدم موسى ، أو رآه فعرفته^(٨) اليهود ، فذكر نحوه^(٩) ، وإني خادم رسول الله ﷺ وصاحبه^(٩) ، وإن الحجاج قد أضربني ، وفعل وفعل . قال : فأخبرني من شهد عبد الملك يقرأ الكتاب وهو يبكي ، وبلغ به الغضب ما شاء الله ، ثم كتب إلى الحجاج بكتاب غليظ ، فجاء إلى الحجاج ، فقرأه فتغير وجهه^(١٠) ، ثم قال إلى

(١) سقط من : الأصل ، ٣١ ، ٢١ .

(٢) في ٣١ : « نليط » ، وفي ص : « نطل » ، وفي م : « نلفظ » ، ونلط : أى نمنع وندفع الحق .

(٣) في م : « نسفه » .

(٤ - ٤) في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « فنجعل الحق مع الجاهل » . وانظر المصادر السابقة .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک ٥٧٤/٣ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦٨/٤٣ .

(٦ - ٦) في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « خدم عيسى بن مريم أو رآه أو صحبه تعرفه النصارى أو تعرف مكانه ، لهاجرت إليه ملوكهم ، ولنزل من قلوبهم بالمنزلة العظيمة » .

(٧) في الأصل : « لعرفته » ، وفي ٣١ ، ٢١ ، م : « تعرفه » . والمثبت من تاريخ دمشق ٢٦٨/٤٣ مخطوط .

(٨ - ٨) في ٣١ ، ٢١ ، ص ، م : « لفعلوا به من الخير والحجة وغير ذلك ما استطاعوا » .

(٩) في الأصل : « صاحبيه » ، وبعده في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « ورأيت وأكلت معه ، ودخلت وخرجت وجاهدت معه أعداءه » .

(١٠) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

حامل الكتاب : انطلق بنا إليه نترصّاه .

وقال أبو بكر بن دُرَيْدٍ^(١) : كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْحِجَاجِ فِي أَيَّامِ ابْنِ الْأَشْعَثِ : إِنَّكَ [١٠٨/٧ ط] أَعَزُّ مَا تَكُونُ بِاللَّهِ أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ^(٢) ، وَإِذَا عَزَزْتَ بِاللَّهِ فَاغْفُ لَهُ ، فَإِنَّكَ بِهِ تَعِزُّ وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ .

قال بعضهم^(٣) : سَأَلَ رَجُلٌ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يَخْلُوَ بِهِ ، فَأَمَرَ مَنْ عِنْدَهُ بِالْأَنْصَرَفِ ، فَلَمَّا تَهَيَّأَ^(٤) الرَّجُلُ لِيَتَكَلَّمَ قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ^(٥) : إِيَّاكَ أَنْ تَمْدَحَنِي ؛ فَإِنِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْكَ ، أَوْ تَكْذِبَنِي ؛ فَإِنَّهُ لَا رَأْيَ لِكُذُوبٍ^(٦) ، أَوْ تَسْعَى إِلَيَّ بِأَحَدٍ^(٧) ، وَإِنْ شِئْتَ أَقْلُثُكَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : أَقْلِنِي . فَأَقَالَه .

وكذا كان يقول^(٨) للرسول إذا قَدِمَ عَلَيْهِ مِنَ الْآفَاقِ : أَعْفِنِي مِنْ أَرْبَعٍ ، وَقُلْ مَا شِئْتَ ؛ لَا تُطْرِنِي ، وَلَا تُجِنِّنِي فِيمَا لَمْ أَسْأَلْكَ عَنْهُ ، وَلَا تَكْذِبَنِي ، وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى الرِّعْيَةِ ؛ فَإِنَّهُمْ إِلَى رَأْفَتِي وَمَعْدَلَتِي أَحْوَجُ .

وقال الأصمعي^(٩) ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَتَى عَبْدُ الْمَلِكِ بَرَجَلٍ كَانَ مَعَ بَعْضِ مَنْ خَرَجَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : اضْرِبُوا عُنُقَهُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا كَانَ هَذَا جَزَائِي

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦٩/٤٣ .

(٢) بعده في ٢١، ٣١، م ، ص : « وأذل ما تكون للمخلوق أحوج ما تكون إليهم » .

(٣) المصدر السابق ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٢٨/١٥ .

(٤) في ٢١، ٣١، م ، ص : « خلا به وأراد » .

(٥) بعده في ٢١، ٣١، م ، ص : « احذر في كلامك ثلاثاً » .

(٦) في الأصل : « لمكذوب » ، وفي ٣١ : « للكذوب » . وانظر مصادر التخريج السابقة .

(٧) بعده في ٢١، ٣١، م ، ص : « من الرعية فإنهم إلى عدلي وعفوي أقرب منهم إلى جورى

وظلمي » .

(٨) المصدر السابق .

منك ! فقال : وما جزاؤك ؟ فقال : والله ما خرجت مع فلان إلا بالنظر^(١) لك ، وذلك أني رجل مشعوم ، ما كنت مع رجل قط إلا غلب وهزم ، وقد بان لك صحة ما ادعيت ، وكنت عليك خيرا لك^(٢) من مائة ألف معك^(٣) . فضحك وخلقى سبيله .

وقيل لعبد الملك^(٤) : أي الرجال أفضل ؟ قال : من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ، وترك النصرة عن قوة .

وقال^(٥) أيضا : لا طمأنينة قبل الخبرة ،^(٥) فإن الطمأنينة قبل الخبرة^(٥) ضد الحزم .

وقال^(٦) : خير المال ما أفاد حمداً ودفع ذمّا ، ولا يقولن أحدكم : ابدأ بمن تعمل . فإن الخلق كلهم عيال الله . وينبغي أن يحمل هذا على غير ما ثبت به الحديث^(٦) .

وقال المدائني^(٧) : قال عبد الملك لمؤدّب أولاده - وهو إسماعيل بن عبيد الله ابن أبي المهاجر - : علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، وجنبهم السفلة ؛ فإنهم

(١) في ٣١ : « بالنظر » .

(٢) سقط من : م .

(٣) بعده في ٣١ ، ٢١ ، ص ، م : « تنصحك ، لقد كنت مع فلان ، فكسر وهزم وتفرق جمعه وكنت مع فلان فقتل وكنت مع فلان فهزم حتى عد جماعة من الأمراء » .

(٤) تاريخ دمشق ٢٦٩/٤٣ .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) يقصد المصنف حديث : « الخلق كلهم عيال الله ، فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله » . وهو ضعيف باتفاق الأئمة . كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٣٨٠ / ١ .

(٧) تاريخ دمشق ٢٧٤/٤٣ ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٣٠ / ١٥ .

أَسْأَلُ النَّاسَ رِغَةً^(١) ، وَأَقْلَهُمُ أَدَبًا ، وَجَنَّبَهُمُ الْحَشَمَ ؛ فَإِنَّهُمْ لَهُمْ مَفْسَدَةٌ ، وَأَخْفِ شعورهم ، تَغْلُظْ رِقَابَهُمْ ، وَأَطْعِمْهُمْ اللَّحْمَ يَقْوُوا ، وَعَلِّمْهُمْ الشَّعَرَ يَجُودُوا وَيَنْجُدُوا ، وَمُرْهُمْ أَنْ يَسْتَاكُوا عَرَضًا ، وَيَمِصُّوا الْمَاءَ مَصًّا ، وَلَا^(٢) يُعْبُوا عَبًّا^(٣) ، وَإِذَا احتججت أن تتناولهم^(٤) بأدب ، فليكن ذلك في سرٍّ لا يعلم بهم أحدٌ من الغاشية ، فيهنونوا عليهم .

وقال الهيثم بن عدى^(٥) : أذن عبدُ الملك للناس^(٦) في الدخولِ عليه^(٧) إذنا خاصًا ، فدخل شيخٌ رث الهيئة لم يأت به له الحرس ، فألقى بين يدي عبد الملك صحيفةً ، وخرج فلم يدر أين ذهب ، وإذا فيها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ ؛ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ ﴾ [١٠٩/٦] فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿ [ص: ٢٦] . ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿ ١ ﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿ ٢ ﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ [المطففين: ٤ - ٦] . ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ تَجْمُوعٌ لُّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿ ١١٣ ﴾ وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدودٍ ﴿ [هود: ١٠٣ ، ١٠٤] . إِنَّ^(٨) الذي أنت فيه لو بقى لغيرك ما وصل إليك ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ [النمل: ٥٢] .

(١) في ٣١ ، ٢١ ، ص ، م : « رغبة في الخبر » . والرعة : قلة الورع .

(٢ - ٢) في الأصل ، ٣١ ، ص : « يغبوا غبا » .

(٣) بعده في م : « فتناولهم » .

(٤) تاريخ دمشق ٢٧٤/٤٣ .

(٥ - ٥) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٦) بعده في م : « اليوم » .

وَأَنِّي أَحْذَرُكَ يَوْمَ يُنَادَى الْمُنَادَى ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصفات : ٢٢] .
﴿أَنْ لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف : ٤٤] . قال : فتغيّر وجه عبد الملك ،
فدخل دار حريمه ، ولم تزل الكتابة في وجهه بعد ذلك أياما .

وكتب زرّ بن حبیش إلى عبد الملك كتابا^(١) وفي آخره : ولا يطعمك^(٢) يا
أمير المؤمنين في طول البقاء ما يظهر لك من صحتك ، فأنت أعلم بنفسك ،
واذكر ما تكلم به الأولون :

إذا الرجال ولدت أولادها وبليت من كثير أجسادها
وجعلت أسقامها تعتادها تلك زروع قد دنا حصادها
فلما قرأه عبد الملك بكى حتى بل طرف ثوبه ، ثم قال : صدق زرّ ، ولو
كتب إلينا بغير هذا كان أرفق .

وسمع عبد الملك جماعة من أصحابه يذكرون سيرة عمر بن الخطاب
فقال^(٣) : إيهي^(٤) عن ذكر عمر ؛ فإنه^(٥) إزراء على الولاية^(٦) ، مفسدة للرعية .
وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني^(٧) ، عن أبيه ، عن جدّه قال : كان

(١) تقدم ص ٢٩٥ .

(٢) في الأصل : « يطغيك » ، وفي ٢١ : « يطعمك » .

(٣) تاريخ دمشق ٢٧٧/٤٣ ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٣١/١٥ .

(٤) في الأصل : غير منقوطة ، وفي ٣١ ، ٢١ ، ص : « إنها » ، وفي م : « أنهى » . والمثبت من مصادر
التخريج السابقة .

(٥ - ٥) في النسخ : « مرارة للأمراء » . والمثبت من مصادر التخريج السابقة .

(٦) في م : « القباني » ، والخبر أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٧٧/٤٣ ، من طريق إبراهيم بن
هشام به .

عبدُ الملكِ يجلسُ في حلقةِ أمِّ الدرداءِ في مؤخرِ المسجدِ بدمشقَ، فقالت له :
 بلغني أنَّكَ شَرِبْتَ الطَّلَاءَ بعدَ العبادةِ والنُّسكِ . فقال : إِي واللَّهِ ، والدِّمَاءُ ^(١) قد
 شَرِبْتُهَا . ثم جاءه غلامٌ كان قد بعثه في حاجةٍ ، فقال : ما حبَّسَكَ ، لعنكَ اللهُ ؟
 فقالت أمُّ الدرداءِ : لا تفعلْ يا أميرَ المؤمنين ؛ فإنِّي سمِعتُ أبا الدرداءِ يقولُ :
 سمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « لا يدخلُ الجنةَ لعانٌ » .

وقال أبو بكرٍ بنُ أبي الدنيا ^(٢) : ثنا الحسينُ بنُ عبدِ الرحمنِ قال : قيل لسعيدِ
 ابنِ المسيَّبِ : إنَّ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ قال : قد صِرْتُ لا أفرُحُ بالحسنةِ أعملُها ،
 ولا أحزنُ على السيئةِ أرتكبُها . فقال سعيدٌ : الآنَ تكاملُ موتٌ قلبه .

وقال الأصمعيُّ عن أبيه ^(٣) قال : خطبَ عبدُ الملكِ يوماً خطبةً بليغةً ، ثم
 قطعها وبكى بكاءً شديداً ، ثم قال : يا ربَّ إنَّ ذُنوبِي عظيمةٌ ، وإنَّ قليلَ عفوِكَ
 أعظمُ منها ، اللهم فامحُ بقليلِ عفوِكَ عظيمَ ذُنوبِي . قال : فبلغَ ذلكَ الحسنَ
 فبكى ، وقال : لو كان كلامٌ يُكْتَبُ بالذهبِ لَكُتِبَ هذا الكلامُ . وقد رُوِيَ عن
 غيرِ واحدٍ ^(٤) نحوُ [١٠٩/٧ ط] ذلكَ ^(٥) .

وقال أبو مُشَهِرٍ ^(٦) الدَّمَشَقِيُّ ^(٧) : وُضِعَ سِمَاطُ عبدِ الملكِ يوماً بينَ يديه

(١) بعده في ٣١، ٢١، م، ص : «أيضا» .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٧٨/٤٣ .

(٣) بعده في م : «عن جده» . والخبر أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٧٩/٤٣ من طريق الأصمعي به .

(٤) تاريخ دمشق ٢٨٠/٤٣ .

(٥) بعده في ٣١، ٢١، م، ص : «أى أنه لما بلغه هذا الكلام قال مثل مقالة الحسن» .

(٦) سقط من : م .

(٧) في ص : «مشهر» .

(٨) تاريخ دمشق ٢٨٠/٤٣ مختصراً .

فقال لحاجبه: ائذنْ لخالدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ خالدِ بنِ أسيدٍ . فقال : ماتَ يا أميرَ المؤمنينَ . قال : 'فأميةَ بنِ'^(١) عبدِ اللهِ بنِ خالدِ بنِ أسيدٍ . قال : ماتَ . قال : فليخالدِ بنِ يزيدَ بنِ معاويةَ . قال : ماتَ . قال : فلفلانِ وفلانِ ، لأقوامٍ^(٢) قد ماتوا - وهو يعلمُ ذلك - فبكى^(٣) ، وأمرَ برفعِ السَّمِاطِ ، وأنشأ يقولُ :

ذَهَبْتُ لِذَاتِي^(٤) وَانْقَضَتْ أَيَّامُهُمْ وَعَبَّرْتُ بَعْدَهُمْ وَلَسْتُ بِخَالِدٍ
^(٥) وَقِيلَ : 'إِنَّهُ لَمَّا اخْتُصِرَ دَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُهُ الْوَلِيدُ فَبَكَى ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ :
 مَا هَذَا ؟ أَتَحِثُّ حَنِينَ الْجَارِيَةِ وَالْأَمَةِ ؟ إِذَا أَنَا مِثْتُ فَشَمْرُ وَاتَّرَزُ وَالْبَسُ جِلْدَ النَّمِرِ ،
 وَضَعَ الْأُمُورَ عِنْدَ أَقْرَانِهَا ، وَاحْذَرُ قَرِيشًا . ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا وَلِيدُ ، اتَّقِ اللَّهَ فِيمَا
 أَسْتَخْلِقُكَ فِيهِ ، وَاحْفَظْ وَصِيَّتِي ، وَانْظُرْ إِلَى أَخِي مُعَاوِيَةَ فَصِلْ رَحِمَهُ وَاحْفَظْنِي
 فِيهِ ، وَانْظُرْ إِلَى أَخِي مُحَمَّدٍ فَأَقْرِهْ^(٦) عَلَى الْجَزِيرَةِ ، وَلَا تَعِزْلِهِ عَنْهَا ، وَانْظُرْ ابْنَ
 عُمِّنا عَلِيَّ^(٧) بَنَ عَبْدِ اللَّهِ^(٨) بَنِ عَبَّاسٍ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ انْقَطَعَ إِلَيْنَا بِمَوَدَّتِهِ وَنَصِيحَتِهِ ، وَلَهُ
 نَسَبٌ وَحَقٌّ ؛ فَصِلْ رَحِمَهُ ، وَاعْرِفْ حَقَّهُ ، وَانْظُرْ الْحَجَّاجَ بْنَ يَوْسَفَ فَأَكْرِمْهُ ؛
 فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي مَهَّدَ لَكُمْ الْبِلَادَ ، وَقَهَرَ الْأَعْدَاءَ ، وَأَخْلَصَ لَكُمْ الْمُلْكَ ، وَشَتَّتَ
 الْخَوَارِجَ ، وَأَنهَكَ وَإِخْوَتَكَ عَنِ الْفُرْقَةِ ، وَكَوْنُوا أَوْلَادَ أُمٍّ وَاحِدَةٍ ، وَكَوْنُوا فِي^(٩)

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ ، ٢١ : «فَلَانِهِ» ، وَفِي ٣١ ، م ، ص : «فَلَانِيهِ» . وَالتَّبَيُّنُ مِنْ مَصْدَرِ التَّخْرِيجِ .

(٢) فِي ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : «حَتَّى عَدَّ أَقْوَامًا» .

(٣) فِي م : «قَبْلُنَا» .

(٤) اللَّدَّةُ : مِنْ وَلَدَ مَعَكَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ . وَالْجَمْعُ : لِدَاتُ .

(٥ - ٥) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ .

(٦) الْمُنْتَظَمُ ٢٧٤/٦ - ٢٧٦ بَنَحُوهُ ، وَتَارِيخُ الْخُلَفَاءِ ص ٢٢٠ مُخْتَصَرًا بَنَحُوهُ ، وَسَمَطُ النُّجُومِ الْعَوَالِي

١٧٠/٣ ، وَتَارِيخُ الْيَعْقُوبِيِّ ٢/٢٨٠ .

(٧) فِي م : «فَأَمْرُهُ» .

(٨ - ٨) سَقَطَ مِنْ : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص . وَالتَّبَيُّنُ مِنَ الْمُنْتَظَمِ ٦/٢٧٥ .

«الحرب أحرارًا، وللمعروف منارًا؛ فإنَّ الحربَ لم تُدْنِ مَنيَّةَ قَبلِ وقَيتها، وإنَّ المعروفَ يُشَيِّدُ ذِكرَ صاحِبِه، ومُيَمِّلُ القلوبَ بالحِجَّةِ، ويُذَلِّلُ الألسنةَ بالذِّكرِ الجميلِ، ولِلَّهِ دَرُّ القائلِ :

إِنَّ الْأُمُورَ ^(٢) إِذَا اجْتَمَعْنَ فَرَامَهَا ^(٣) بالكسرِ ذو حَنَقٍ وبَطْشٍ باليدِ ^(٤)
عَزَّتْ فَلَمْ تُكْسَرْ وَإِنْ هِيَ بُدِّدَتْ فالكسرُ والتَّوْهِينُ لِلْمُتَبَدِّدِ

ثم قال : إذا أنا ميتٌ فاذْغُ الناسَ إلى بيعتِكَ ، فَمَنْ أُنِيَ فَالسَّيْفُ ، وَعَلَيْكَ بالإحسانِ إلى أخواتِكَ فأَكْرِمُهُنَّ ، وَأَحْبِبْهُنَّ إِلَى فاطمةَ - وكان قد أعطاهما قُوطِي ماريةَ ^(٥) ، والدُّرَّةَ اليتيمةَ - ثم قال : اللَّهُمَّ احْفَظْنِي فِيهَا . فتزوَّجها عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، وهو ابنُ عَمِّهَا .

ولما احتَضِرَ سَمِيعٌ غَسَّالًا يَغْسِلُ الثَّيَابَ ، فَقَالَ ^(٦) : مَا هَذَا ؟ فَقَالُوا : غَسَّالٌ .
فَقَالَ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ غَسَّالًا أَكْسِبُ مَا أُعِيشُ بِهِ يَوْمًا يَوْمٌ ، وَلَمْ أَلِ الْخِلاَفَةَ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ فَقَالَ :

لَعَمْرِي لَقَدْ عُمِّرْتُ فِي الْمُلْكِ بُزْهَةً ^(٧) ودانَتْ لِي الدُّنْيَا بِوَقْعِ الْبَوَاتِرِ ^(٨)

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) في مصادر التخریج : « القداح » .

(٣) في ٢١ : « فراقها » .

(٤) في ٣١ ، ٢١ ، ص : « فنده » ، وفي م : « مفند » ، والمثبت من تاريخ الخلفاء .

(٥) في ٣١ : « مایة » .

(٦) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية) ٢٨٣/٤٣ بنحوه دون ذكر الأبيات ، والأبيات في سمط النجوم العوالي ١٦٩/٣ ، ١٧٠ . وتاريخ الخلفاء ص ٢٢٠ ، ٢٢١ بدون البيت الثاني ، والأبيات كاملة في مختصر تاريخ دمشق ٧٩/٢٥ .

(٧) في م : « بزهة » .

^(١) وَأَعْطَيْتُ جَيْمَ ^(٢) الْمَالِ وَالْحَكَمَ ^(٣) وَالتَّهَى ^(٤) وَدَانَ قَمَاقِيمَ ^(٥) الْمَلُوكِ الْجَبَابِرِ
فَأَضْحَى الذِّى قَدْ كَانَ يَمَّا يَسُرُّنِي كَحَلَمٍ ^(٦) مَضَى فِي الْمُرْمَنَاتِ الْغَوَابِرِ
فِيَالْيَتَنِي لَمْ أُغْنِ ^(٧) بِالْمُلُوكِ ^(٨) لَيْلَةً وَلَمْ ^(٩) أَسْعَ فِي لَذَاتِ عَيْشٍ نَوَاضِرِ
^(١٠) وَكُنْتُ كَذِي طِمْرَيْنِ ^(١١) عَاشَ بِئُلْغَةٍ مِنْ الْعَيْشِ حَتَّى زَارَ ضَيْقَ الْمَقَابِرِ ^(١٢)
وَقَدْ أَنْشَدَ هَذِهِ الْأَيَّاتِ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ ^(١٣).

وَقَالَ أَبُو مُشْهِرٍ ^(١٤) : قِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ : كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ فَقَالَ :
أَجِدُنِي كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ
مَّا خَوَّلْنَاكُمْ ﴾ [الأنعام : ٩٤] .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(١٥) : لَمَّا اخْتُضِرَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَمَرَ بِفَتْحِ الْأَبْوَابِ مِنْ

-
- (١ - ١) سقط من : الأصل .
(٢) في النسخ : « حمر » . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق .
(٣) في ص : « العلم » .
(٤ - ٤) في ٢١ : « وسلم ودان فما قيم » . وفي م : « ولى سلمت كل » .
(٥) القمقام والقمقام من الرجال : السيد الكثير الخير الواسع الفضل . اللسان (ق م م) ، ويجمع قياساً على قماقيم .
(٦) في ٢١ ، ٣١ : « كحكم » .
(٧) في ٣١ ، ص : « أغن » .
(٨) في ٣١ ، ٢١ ، ص : « في الملك » .
(٩ - ٩) في ٣١ ، ٢١ ، ص : « تغن في اللذات » .
(١٠ - ١٠) سقط من : م .
(١١) الطمر : الثوب الخلق البالي .
(١٢) تاريخ دمشق ٢٧٦ / ٤٣ ، ومختصر تاريخ دمشق ٧٩ / ٢٦ ، ٨٠ .
(١٣) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢٨١ / ٤٣ .
(١٤) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢٨٢ / ٤٣ بنحوه .

قصره، فسمع قصّاراً^(١)، فقال: ما هذا؟ قالوا: قصّار. فقال: يا ليتني كنت قصّاراً^(٢). فلمّا بلغ سعيداً^(٣) قوله، قال: الحمد لله الذى جعلهم^(٤) يَفِرُّونَ إلينا، ولا نفرُّ إليهم.

وقال غيره^(٥): لمّا حضره الموت جعل يندم^(٦)، ويضرب بيده على رأسه، ويقول: وددت أنّي كنت أكسب قوتي يوماً بيوم، واشتغلْتُ^(٧) بطاعة الله^(٨).

وقال غيره^(٩): لمّا حضرته الوفاة دعا بنيه فوصّاهم ثم قال: الحمد لله الذى لا يَنْسَى أحداً^(١٠) من خلقه صغيراً أو كبيراً، ثم يُنْشِدُ:

فَهَلْ مِنْ خَالِدٍ إِذَا هَلَكْنَا وَهَلْ بِالْمَوْتِ^(١١) يَا لِلنَّاسِ عَارٌ

ويروى أنّه قال^(١٢): ارفعونى. فرفعوه حتى شمّ الهواء، وقال: يا دُنْيَا، ما أطيبك! إنّ طويلك قصير، وإنّ كثيرك لحقير، وإنّ كُنّا منك^(١٣) لفي غرور. ثم تمثّل بهذين البيتين^(١٤)، ويروى^(١٥) أن معاوية قالهما فى هذه الحال^(١٦):

(١) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «بالوادي».

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «أعيش من عمل يدي».

(٣) فى ٣١، ٢١، م، ص: «سعيد بن المسيب».

(٤) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «عند موتهم».

(٥) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢٨٢/٤٣ بنحوه.

(٦) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «ويندب».

(٧ - ٨) فى ٣١، ٢١، م، ص: «بعبادة ربى عز وجل وطاعته».

(٩) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢٨٣/٤٣ بنحوه.

(١٠ - ١١) فى الأصل، م: «يسأل أحدا»، وفى ٢١: «لا ينسى أحدا ولا يبقى أحد».

(١٢ - ١٣) فى ٣١، ٢١، م، ص: «للباقين».

(١٤) المصدر السابق.

(١٥) فى م: «بك».

(١٦ - ١٧) سقط من م.

(١٨) تاريخ دمشق ٢٨٣/٤٣، ومختصر تاريخ دمشق ٨٣/٢٥. والأبيات فى الكامل ٨/٤.

إِنْ تُنَاقِشْ يَكُنْ نَقَاشُكَ يَارَبُّ عَذَابًا لَا طَوْقَ لِي بِالْعَذَابِ
أَوْ تُجَاوِزَ فَأَنْتَ رَبُّ صَفُوحٍ عَنْ مُسِيءِ ذَنْبِهِ كَالثَّرَابِ

قالوا^(١): وكانت وفاته بدمشق يوم الجمعة. وقيل: الأربعاء. وقيل:
الخميس. في النصف من شوال،^(٢) وقيل: لخميس مضى منه^(٣). سنة ست
وثمانين. وصلى عليه ابنه الوليد ولي عهد من بعده، وكان عمره يوم مات
ستين سنة. قاله أبو معشر^(٤). وصححه الواقدي^(٥). وقيل: ثلاثا وستين
سنة. قاله المدائني^(٦). وقيل: ثمان وخمسين. ودُفن [١١٠/٧] بباب الجابية
الصغير.

قال ابن جرير^(٧): ذكر أولاده وأزواجه؛ منهم الوليد، وسليمان، ومروان
الأكبر - درج^(٨) - وعائشة، وأُمهم ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن
زُهَيْر بن جَذِيمَةَ^(٩) بن رَوَاحَةَ بن ربيعة بن مازن^(١٠) بن الحارث بن قُطَيْعَةَ بن عَبْسِ
ابن بَغِيضِ^(١١).

وزيد، ومروان الأصغر، ومعاوية - درج - وأُم كلثوم، وأُمهم عاتكة بنت
يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. وهشام، وأُمه أُم هشام عائشة - فيما قاله

(١) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢٨٨/٤٣، ٢٨٩، وتاريخ الطبري ٤١٨/٦.

(٢ - ٢) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٣) تاريخ الطبري ٤١٩/٦.

(٤) أي مات ولم يخلف نسلا. اللسان (درج).

(٥) في ص: «خزيمة». وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٥١.

(٦) في ص: «مالك». وانظر المصدر السابق.

(٧) في ٣١، ص: «معيص». وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٥٠.

المدائني - بنت هشام بن إسماعيل المخزومي . وأبو بكر، واسمه بكار، وأُمّه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي، والحكم - درج - وأُمّه أُم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان الأموي . وفاطمة، وأُمّها أُم^(١) المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي . وعبدُ الله، ومسلمة^(٢)، والمنذر وعنبسة، ومحمد، وسعد الخير، والحجاج، لأُمّهات أولاد شتي .

^(٣) فكان جملة أولاده تسعة عشر؛ ذكورًا وإناثًا، وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة؛ منها تسع سنين مشاركا لابن الزبير، وثلاث عشرة سنة، وثلاثة أشهر ونصف مستقلا بالخلافة وحده .

وكان قاضيّه أبو إدريس الخولاني، وكاتبه رُوخ بن زبّاع، وحاجبه يوسف مولا، وصاحب بيت المال والخاتم قبيصة بن ذؤيب، وعلى شرطته أبو الرّعيزعة، وقد ذكرنا عماله فيما مضى^(٤) .

قال المدائني^(٥) : وكان له زوجات أخر؛ شقراء بنت سلمة^(٦) بن حلبس الطائي، وابنة لعلي بن أبي طالب، وأُم أبيها بنت عبد الله بن جعفر .

ومَن يُذكرُ أنه توفي في هذه السنة تقريبًا :

أرطاة بن زُفر^(٧) بن عبد الله بن مالك بن شدّاد بن ضمرة بن

(١) سقط من : م .

(٢) في ٣١، ص : «سلمة» . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٨٩ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) الطبري ٦/ ٤٢٠ .

(٥) في الأصل : «سلم» ، وفي ٣١، ٢١ : «مسلم» . وانظر المصدر السابق .

(٦) ترجمته في : الأغاني ١٣/ ٢٩، وسمط اللآلي ٩٩/ ١، وتاريخ دمشق ٣/ ٨، والوفاء بالوفيات

٣٤٨/ ٨، والإصابة ١/ ١٨٩ .

عُقْفَانُ^(١) بن أبي حارثة بن مُرَّة بن نُشْبَة^(٢) بن غَيْظ^(٣) بن مُرَّة بن عوف بن سعد
ابن ذُبْيَان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطْفَان، أبو^(٤) الوليد المُرِّي^(٥)، ويعرف بابن
سُهَيْبَة^(٦)، وهى أمه بنت زامل^(٧) بن مروان بن زهير بن ثعلبة بن خديج بن أبي^(٨)
جُشَم بن كعب بن عوف^(٩) بن عامر بن عوف،^(١٠) سَبِيَّة من كلب^(١١)، وكانت
عند ضِرَار بن الأزور، ثم صارت إلى زُفَر - وهى حامل - فأتت بأرطاة على
فراشه، وقد عُمر أرطاة دهرًا طويلًا حتى جاوز المائة بثلاثين سنة، وقد كان سيّدًا
شريفًا مطاعًا مُمدّحًا شاعرًا مُطَبِّقًا.

قال المدائني: ويقال: إنّ بنى عُقْفَان بن حنظلة بن رواحة بن ربيعة بن مازن
ابن الحارث بن قَطِيعَة بن عيس، دخلوا فى بنى مُرَّة^(١٢) بن نُشْبَة، فقالوا: بنى
عُقْفَان بن أبى حارثة بن مُرَّة.

وقد وفد أبو الوليد أرطاة بن زُفَر هذا على عبد الملك بن مروان، فأنشده

(١) فى ٢١: «عقنان»، وفى م: «عقنان».

(٢) فى الأصل: «لشبة». وغير منقوطة فى ٢١، وفى م: «شبة».

(٣) فى ٣١، ٢١، م، ص: «نيط».

(٤) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٥) فى ص: «الزنى». وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١٣.

(٦) فى النسخ: «شبهة»، والمثبت من مصادر الترجمة، وانظر تبصير المنتبه ٢/ ٦٩٥.

(٧) فى م: «رامل».

(٨) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٩) فى م: «عون».

(١٠ - ١٠) فى م، وتاريخ دمشق ٢/ ٦٦٠ (مخطوط)، ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ٢٣٣: «شبية بن
كلب».

(١١) بعده فى الأصل: «بن مرة».

أبياتاً^(١) :

رَأَيْتُ الْمَرْءَ تَأْكُلُهُ اللَّيَالِي كَأَكْلِ الْأَرْضِ سَاقِطَةَ الْحَدِيدِ
وَمَا تُبْقِي الْمَنِيَّةَ حِينَ تَأْتِي عَلَى نَفْسِ ابْنِ آدَمَ مِنْ مَزِيدِ
وَأَعْلَمُ أَنَّهَا سَتَكُورُ حَتَّى تُؤَفِّي نَذْرَهَا بِأَبِي الْوَلِيدِ
قال : [١١٠/٧] فارتاع عبدُ الملكِ ، وظنَّ أنَّه عتاه بذلك ، فقال : يا أَمِيرَ
المؤمنين ، إِنَّمَا عَنَيْتُ نَفْسِي . فقال عبدُ الملكِ : وأنا واللهِ سيمُرُّ بِي الَّذِي يُمِرُّ بِكَ .
وزاد بعضهم في هذه الأبيات^(٢) :

خُلِقْنَا أَنْفُسًا وَبَنَى نَفُوسٍ وَلَسْنَا بِالسَّلَامِ^(٣) وَلَا الْحَدِيدِ
لَيْنٌ فُجِّعْتُ^(٤) بِالْقُرْنَاءِ يَوْمًا لَقَدْ مُتَّعْتُ بِالْأَمَلِ الْبَعِيدِ
وهو القائل^(٥) :

وإِنِّي لَقَوَّامٌ لَدَى الضَّيْفِ مُوهَنًا إِذَا «أَسْبَلَ السُّتْرُ» الْبَخِيلُ^(٦) الْمَوَاكِلُ
دَعَا فَأَجَابَتْهُ كِلَابٌ كَثِيرَةٌ عَلَى ثِقَةٍ مِنِّي بِأَنِّي فَاعِلٌ
وَمَا دُونَ ضَيْفِي مِنْ تِلَادٍ تَحُوزُهُ لِي النَفْسُ إِلَّا أَنْ تُصَانَ الْحَلَائِلُ

(١) الأغاني ٣١/١٣ ، وتاريخ دمشق ٤/٨ ، ومختصر تاريخ دمشق ٤/٢٣٣ ، والوفاء بالوفيات ٨/٣٤٨ ، والإصابة ١/١٩٠ .

(٢) يعني الأبيات السابقة . وانظر تاريخ دمشق ٨/٥ ، ومختصر تاريخ دمشق ٤/٢٣٣ . وفيها أن الأبيات السابقة شُرق البيت الثاني منها من قول زبَّان بن منظور بن سيار . نقل ذلك ابن عساكر عن الزبير ابن بكار .

(٣) السلام : ضرب من الشجر .

(٤) في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : «أفجعت» .

(٥) تاريخ دمشق ٨/٨ ، ومختصر تاريخ دمشق ٤/٢٣٥ .

(٦ - ٦) في الأصل : «أعدم السير» . وفي مصادر التخريج : «أعذر السير» . وأسبل الستر : أرخاه .

(٧) في مصادر التخريج : «التجيل» .

يونس بن عطية الحضرمي^(١)، قاضى مصر، وصاحب الشرطة فى أيام عبد العزيز بن مزوان، ثم تولى بعده القضاء ابن أخيه أوس بن عبد الله.

مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ^(٢)، كان من كبار التابعين، وكان من أصحابِ عمران بن حصين، وكان مجاب الدعوة، وكان يقول: ما أُوتِيَ أحدٌ أفضلَ من العقل، وعقولُ الناسِ على قَدَرِ زمانِهِمْ. وقال: إذا استوتَ سُريرةُ العبدِ وعلايته قال الله: هذا عبدى حقًا. وقال: إذا دخلتُم على مريض، فإن استطعتم أن يدعوا لكم، فإنه قد حرك - أى قد أوقف من غفلته بسبب مرضه - فدعأوه مستجاب من أجل كسره ورقة قلبه. وقال: إن أقبح ما طُلبت به الدنيا عمل الآخرة.

وقال لبعض إخوانه: إذا كانت لك إلى حاجة، فلا تكلمنى فيها؛ فإننى أكره أن أرى ذل السؤال فى وجهك، ولكن اكتبها فى رُفعة وارفعها.

وكان يقول: إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فاطلبوا نعيمًا لا موت فيه.

وقال^(٣): لو علمت متى أجلى؛ لحشيت على ذهاب عقلى، ولكن الله من على عباده بالغفلة عن الموت، ولولا الغفلة لما تهنوا بعيش، ولا قامت بينهم الأسواق.

وكان مطرّف إذا دخل بيته، سبّحت معه آنية بيته.

وكان يسكن البادية، ويحجى منها إلى الجمعة مبكرًا، فمر مرة بمقبرة، فنعس

(١) من هنا إلى ما قبل خلافة الوليد بن عبد الملك زيادة من: ٣١، م، ص. ويونس بن عطية ترجمته فى: أخبار القضاة ٢/ ٢٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٢٣، وحسن المحاضرة ٢/ ١٣٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٤١، وحلية الأولياء ٢/ ٢٠٥، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٦٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٧٩. وتذكرة الحفاظ ١/ ٦٤، والإصابة ٦/ ٢٦٠.

(٣) صفة الصفوة ٣/ ٢٢٤.

فنام عند القبور، فرأى فى منامه أهل القبور على أفواه قبورهم، فقالوا: هذا مطرّف يذهب إلى الجمعة. قال: فقلت لهم: وتعرفون الجمعة من غيرها؟ قالوا: نعم، ونعرف ما يقول الطير فيه فى جور السماء.

قال: فقلت: وما تقول؟ قالوا: تقول^(١): سلام سلام ليوم صالح.

وكان يقول^(٢): يا إخوانه، اجتهدوا فى الأعمال الصالحة؛ فإن يكن الأمر كما نرجو من رحمة الله، كان لنا درجات فى الجنة، وإن يكن الأمر شديداً كما نخاف لم نقل: ربنا ارجعنا نعمل صالحاً غير الذى كنّا نعمل، نقول: قد عملنا فلم ينفعنا.

وكان يدعو^(٣): اللهم ارض عتاً؛ فإن لم ترض عتاً، فاعف عتاً؛ فإن المولى قد يعفو عن العبد، وهو عنه غير راض.

وكان مطرّف قد حفر فى داره قبراً، كان كل يوم ينزل إليه، فيصلّى فيه، ويقرأ القرآن.

توفى مطرّف بالبصرة، وكان له منزلة عند الخلفاء والملوك والأمراء، وكان هو من أرشد الناس فيهم، وكان مجاب الدعوة؛ كذب عليه رجل عند بعض الأمراء، فقال مطرّف: يا هذا، إن كنت كاذباً عجل الله حتفك. فوقع الرجل ميتاً مكانه. والله سبحانه أعلم.

(١) فى ص: «ينزل».

(٢) صفة الصفوة ٣/٢٢٣.

(٣) حلية الأولياء ٢/٢٠٧. وصفة الصفوة ٣/٢٢٥.

خِلافة الوليد بن عبد الملك

باني جامع دمشق

لما رجع من دَفْنِ أبيه خارجَ بابِ الجابيةِ الصغيرِ - وكان ذلك في يومِ الخميسِ، وقيل^(١): الجمعةُ. للنصفِ من شَوَّالٍ من هذه السَّنةِ - أعنى سَنَةَ سِتِّ وثمانينَ - لم يدخُلِ المنزلَ حتى صعدَ المنبرَ - منبرَ المسجدِ الأعظمِ بدمشقَ - فخطبَ الناسَ فكانَ يَمَّا قال^(٢): «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، واللَّهُ المستعانُ على مُصِيبَتِنَا بموتِ أميرِ المؤمنينَ، والحمدُ لِلَّهِ على ما أنعمَ به علينا مِنَ الخِلافةِ، قومُوا فبايعوا. فكانَ أوَّلَ مَنْ قامَ إليه عبدُ اللَّهِ بنُ هَمَّامِ السُّلُوكِيِّ، وهو يقولُ:

اللَّهُ أعطاكَ التي لا فَوْقَها وقد أَرادَ الملحدونَ عَوْقَها
عنكَ ويأبى اللَّهُ إلَّا سَوْقَها إليك حتى قَلَّدوكَ طَوْقَها
ثم بايعه وبايعه الناسُ بعده.

وذكرَ الواقديُّ^(٣)، أَنَّهُ حمِدَ اللَّهَ وأثنى عليه بما هو أَهلُهُ، ثم قالَ: أَيُّها الناسُ، إِنَّهُ لا مُقَدِّمَ لما أَخرَ اللَّهُ، ولا مُؤَخِّرَ لما قَدَّمَ اللَّهُ، وقد كانَ مِن قِضائِ اللَّهِ وسابقِيهِ، وما كَتَبَهُ على أنبيائِهِ وحَمَلَةِ عَرشِهِ وملائكَتِهِ الموتُ، وقد صارَ إلى منازلِ الأبرارِ^(٤) بما لاقى في هذه الأُمَّةِ - يعني^(٥) بالذي يَحِقُّ لِلَّهِ عليه - مِنَ الشَّدَّةِ

(١) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية) ٢٨٩/٤٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤٢٣/٦، والكمال ٥٢٢/٤.

(٣ - ٣) في الأصل: «وفي هذه الآية نعى نفسه». وفي ٣١: «بما لا في هذه الأمة يعني». وفي ٢١: «بما في هذه الأمة يعني».

على المريب ، واللّين لأهل الحق والفضل ، وإقامة ما أقام الله من منار الإسلام ، وإعلائه ؛ من حجّ هذا البيت ، وعزّو هذه الثغور ، وشنّ هذه الغارات على أعداء الله عزّ وجلّ ، فلم يكن عاجزاً ولا مفرطاً ، أيها الناس ، عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة ؛ فإنّ الشيطان مع الفرد ، أيها الناس ، من أبدى لنا ذات نفسه ضررنا الذى فيه عيناه ، ومن سكّت [١١١/٧] مات بدائه . ثم نزل فنظر إلى ما كان من دوابّ الخلافة فحازها ، وكان جبّاراً عنيداً .

وقد ورد فى تولية^(١) الوليد حديث غريب ، وأما هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، كما سيأتى بيانه ، وكما تقدّم تقريره فى كتاب دلائل النبوة ، فى باب الإخبار عن الغيوب المستقبلة ، فيما يتعلّق بدولة بنى أمية^(٢) .

وأما الوليد بن عبد الملك هذا فقد كان صبيّاً فى نفسه حازماً فى رأيه ، يُقال : إنّهُ لا تُعرف له صبوة . ومن جُملة محاسنه ما صحّ عنه أنّه قال^(٣) : لولا أنّ الله قصّ علينا قصّة قوم لوط فى كتابه ما ظننّت أنّ ذكراً^(٤) يأتى ذكراً كما تؤتّى النساء^(٥) . كما سيأتى ذلك فى ترجمته عند ذكر وفاته^(٦) فى سنة ست وتسعين ، إن شاء الله تعالى^(٧) ، وهو بانى جامع دمشق الذى لا يُعرف فى الآفاق أحسن بناء منه ، وقد شرع فى بنائه فى ذى القعدة من هذه السنة ، فلم يزل فى بنائه وتحسينه مدّة خلافته ، وهى عشر سنين ، فلمّا أنهاء انتهت أيام خلافته ، كما سيأتى بيان

(١) فى ٣١، ٢١، م ، ص : «ولاية» .

(٢) تقدم فى ٩/٢٦٦ .

(٣) تاريخ دمشق ١٧/٨٤٦ ، ومختصر تاريخ دمشق ٢٦/٣٢٣ ، وسير أعلام النبلاء ٤/٣٤٧ .

(٤ - ٤) فى الأصل : «يلو ذكراً» . وفى م : «كان يأتى ذكراً كما تؤتّى النساء» .

(٥ - ٥) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص .

ذلك مُفصَّلًا . وقد كان موضع هذا المسجد كنيسة يُقال لها : كنيسة يُوحنا .
فلَمَّا فَتَحَتِ الصَّحَابَةُ دِمَشقَ جَعَلُوهَا مَنَاصِفَةً ، فَأَخَذُوا مِنْهَا الْجَانِبَ الشَّرْقِيَّ
فَحَوَّلُوهُ مَسْجِدًا ، وَبَقِيَ الْجَانِبُ الْغَرْبِيُّ كَنِيسَةً بِحَالِهِ مِنْ لَدُنْ سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ إِلَى
هَذِهِ السَّنَةِ ، فَعَزَمَ الْوَلِيدُ عَلَى أَخْذِ بَقِيَّةِ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ مِنْهُمْ وَعَوَّضَهُمْ عَنْهَا كَنِيسَةً
مَرْيَمَ لِدُخُولِهَا فِي جَانِبِ السَّيْفِ ، وَقِيلَ ^(١) : عَوَّضَهُمْ عَنْهَا كَنِيسَةً ثَوَمًا ^(٢) ، وَهَدَمَ
بَقِيَّةَ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ وَأَضَافَهَا إِلَى مَسْجِدِ الصَّحَابَةِ ، وَجَعَلَ الْجَمِيعَ مَسْجِدًا وَاحِدًا ،
عَلَى هَيْئَةٍ بَدِيعَةٍ لَا يَعْرِفُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَوْ أَكْثَرُهُمْ لَهَا نَظِيرًا فِي الْبُنْيَانِ
وَالدِّيَارَاتِ ^(٣) وَالْآثَارِ وَالْعِمَارَاتِ . وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٥٣ .

(٢) معجم البلدان ١/ ٨٩٥ .

(٣) في الأصل : « الزيارات » . وفي م : « الزينات » .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين

ففيها عزّل الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ هشامَ بنَ إسماعيلَ عن إمرةِ المدينة، وولّى عليها ابنَ عمّه وزوجَ أخته - فاطمة بنت عبد الملك - عمرَ بن عبد العزيز، فدخلها في ثلاثينَ بعيراً، في ربيعِ الأولِ منها، فنزل دارَ مزوان، وجاء الناسُ للسلامِ عليه - وعمره إذ ذاك خمسٌ وعشرونَ سنةً - فلما صلّى الظهرَ دعا عشرةً من فقهاءِ المدينة، وهم؛ عروةُ بنُ الزبير، ^(١) وعبيدُ الله بن عبد الله بن عُتبة، وأبو بكرٍ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأبو بكرٍ بن سليمان بن أبي ^(٢) خيثمة، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر، وأخوه ^(٣) عبيدُ الله بن عبد الله بن عمر، وعبدُ الله بن عامر بن ربيعة، وخارجةُ ابنِ زيد بن ثابت، فدخلوا عليه فجلسوا، [١١١/٧] فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال ^(٤): إني إنما دعوتكم لأمرٍ تؤجرون عليه، وتكونون فيه أعواناً على الحق، إني لا أريدُ أن أقطعَ أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحداً يتعدّى، أو بلغكم عن عاملٍ لى ظلامه، فأحرّج الله ^(٥) على من بلغه

(١ - ١) في الأصل، ص: «عبد الله». وانظر تهذيب الكمال ٧٣/١٩. وانظر السياق في تاريخ الطبرى ٤٢٧/٦.

(٢) سقط من: م. وانظر تهذيب الكمال ٩٣/٣٣. وانظر أيضاً تاريخ الطبرى، الموضع السابق.

(٣ - ٣) في الأصل، ٣١، ٢١، ص: «عبد الله». وانظر تهذيب الكمال ٧٧/١٩، ١٨٠/١٥.

(٤) تاريخ الطبرى ٤٢٧/٦، والكامل ٥٢٦/٤.

(٥) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص. وهذا من باب القسم، جاء في «أساس البلاغة» (ح رج): وحلف فلان بالمخرجات؛ يعنى بالآيمان التى تضيق مجال الحالف. ويمكن أن يكون من التضييق، جاء في «النهاية» ٣/٣٣٢: أخرج عليك...، فإنى أحرّج دارى ومنزلى. ويقال: حرج عليه كذا. يعنى حرّمه. انظر أيضاً النهاية ٣٦١/١.

ذلك إلا أبلغنى . فخرجوا من عنده يجرؤنه خيرا ، واقتروا على ذلك .

وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز^(١) بأن يوقف هشام بن إسماعيل للناس عند دار مروان ، وكان سيئ الرأي فيه ، لأنه أساء إلى الناس بالمدينة في مدة ولايته عليهم ، وكانت نحوًا من أربع سنين ، ولا سيما إلى سعيد بن المسيب وإلى علي بن الحسين^(٢) وأهل بيته ، فلما أوقف للناس قال هشام : ما أخاف إلا من سعيد وعلي ابن الحسين^(٣) . فقال سعيد بن المسيب لابنه ومواليه : لا يعرض منكم أحد لهذا الرجل ، فإننى تركت ذلك لله وللرحم ، وأما كلامه فلا أكلّمه أبدًا . وأما علي بن الحسين فإنه مرّ به وهو موقوف^(٤) عند دار مروان^(٥) فلم يتعرّض له ، وكان قد تقدّم إلى خاصّته أن لا يعرض له أحد منهم ، فلما اجتاز به علي بن الحسين ، وتجاوزّه ، ناداه هشام بن إسماعيل ، فقال : « الله أعلم حيث يجعل رسالته »^(٦) .

وفى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم فقتل منهم خلقًا كثيرًا ، وفتح حصونًا كثيرة ، وغنم غنائم جمّة ، ويقال^(٧) : إن الذى غزا بلاد الروم فى هذه السنة هشام بن عبد الملك ، ففتح حصن بولق ، وحصن الأخرم ، وبحيرة الفرسان^(٨) ، وحصن بولس ، وقمقم^(٩) ، وقتل من المستعربة نحوًا من ألف وسبى ذراريهم . وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الترك^(١٠) ، وصالحه ملكهم نيزك^(١١) على

(١) تاريخ الطبرى ٤٢٨/٦ .

(٢ - ٣) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٤) سورة الأنعام : ٦٥ ، وقد قرأها ابن كثير وحفص بالتوحيد ﴿ رسالته ﴾ . وقرأ الباقر بالجمع هكذا .

انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسى ٤٤٩/١ ، وحجة القراءات ص ٢٧٠ .

(٥) تاريخ الطبرى ٤٢٩/٦ ، والكامل ٥٢٨/٤ .

(٦) فى م : « فرمان » .

(٧) فى الطبرى والكامل : « قمقم » . وانظر معجم ما استعجم ١٠٩٥/٣ .

(٨) تاريخ الطبرى ٤٢٨/٦ .

(٩) فى الأصل : « نيزك خان » ، وفى ٣١ : « ونزل » . وفى ٢١ ، ص : « نيزك » . وانظر مصدر التخرّيج .

مالٍ جزيلاً ، وعلى أن يُطْلَقَ كُلُّ مَنْ بِلَادِهِ مِنْ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ . وفيها غزا قتيبةُ
يُكْنَدُ ، فاجتمع له مِنَ الْأَتْرَاكِ عِنْدَهَا بَشَرٌ كَثِيرٌ وَجَمٌّ غَفِيرٌ ، وهى مِنْ أَعْمَالِ
بُخَارَا ، فَلَمَّا نَزَلَ بِأَرْضِهِمْ اسْتَنْجَدُوا عَلَيْهِ بِأَهْلِ الصُّغْدِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَتْرَاكِ ،
فَأَتَوْهُمْ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ فَأَخَذُوا عَلَى قَتِيْبَةِ الطَّرْقِ وَالْمُضَاقِ ، فتواقفَ هو وَهُمْ قَرِيْبًا
مِنْ شَهْرَيْنِ ، وهو لَا يَقْدُرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا ، وَلَا يَأْتِيَهُ مِنْ جِهَتِهِمْ
رَسُولٌ ، وَأَبْطَأَ خَبْرُهُ عَلَى الْحِجَاجِ حَتَّى خَافَ عَلَيْهِ ، وَأَشْفَقَ عَلَى مَنْ مَعَهُ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ كَثْرَةِ الْأَعْدَاءِ مِنَ التُّرْكِ ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالِدَعَاءِ لَهُمْ فِي الْمَسَاجِدِ ،
وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْأَمْصَارِ .

وقد كان قتيبةٌ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُونَ مَعَ التُّرْكِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَكَانَ
لِقَتِيْبَةِ عَيْنٌ مِنَ الْعَجَمِ يُقَالُ لَهُ : تَنْدُرُ^(١) ، فَأَعْطَاهُ أَهْلُ بُخَارَى مَالًا جَزِيْلًا [٧/
١١٢] عَلَى أَنْ يَأْتِيَ قَتِيْبَةَ فَيُخَذِّلَهُ عَنْهُمْ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : أَخْلِنِي . فَأَخْلَاهُ ،
فَلَمْ يَنْتَقِ عِنْدَهُ سِوَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ : ضِرَارُ بْنُ حُصَيْنٍ . فَقَالَ لَهُ تَنْدُرُ : هَذَا عَامِلٌ
يَقْدُمُ عَلَيْكَ سَرِيْعًا بَعَزِلِ الْحِجَاجِ ، فَلَوْ انصَرَفْتَ بِالنَّاسِ إِلَى مَرَوْ . فَقَالَ قَتِيْبَةُ لِمَوْلَاهُ
سِيَاهُ : اضْرِبْ عُتْقَهُ . فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ قَالَ قَتِيْبَةُ لَضِرَارٍ : لَمْ يَنْتَقِ أَحَدٌ سَمِعَ هَذَا غَيْرِي
وغيرُكَ ، وَإِنِّي أُعْطِيَ اللَّهُ عَهْدًا إِنْ ظَهَرَ هَذَا الْخَبْرُ حَتَّى يَنْقَضِيَ حَرْبُنَا لِأَلْحَقُّكَ بِهِ ،
فَامْلِكْ عَلَيْكَ^(٢) لِسَانَكَ ؛ فَإِنْ انْتَشَرَ هَذَا يُقْتُ فِي أَعْضَادِ النَّاسِ^(٣) . ثُمَّ نَهَضَ
قَتِيْبَةُ فَحَرَّضَ النَّاسَ عَلَى الْحَرْبِ ، وَوَقَفَ عَلَى أَصْحَابِ الرِّايَاتِ يُحَرِّضُهُمْ ،
فَاقْتَتَلَ النَّاسُ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الصَّبْرَ فَمَا انْتَصَفَ النَّهَارُ

(١) فى تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٠ : « تندر » . وفى الكامل ٤/ ٥٢٨ : « تندر » ، وهو كما أثبتناه .

(٢) فى م : « علينا » .

(٣) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « ونصرة للأعداء » ، وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٠ .

حتى أنزل الله عليهم النصْر، فهزمت الترك هزيمةً عظيمةً، وأتبعهم المسلمون يقتلون فيهم ويأسرون ماشاءوا، واعتصم من بقي منهم بالمدينة، فأمر قتيبة الفعلة بهدمها، فسألوه الصلح على مالٍ عظيم فصالحهم، وجعل عليها رجلاً من أهله وعنده طائفة من الجيش ثم سار راجعاً، فلما كان منهم على خمسٍ مراحل نقضوا العهد، وقتلوا الأمير، وجدعوا أنوفَ من كان معه، فرجع إليهم، وحاصرها شهراً. وأمر الثَّقائينَ والفِعلَةَ فعلقوا سُورَها على الخشب، وهو يريد أن يضرِمَ النارَ فيها، فسقط السورُ فقتل من الفِعلَةِ أربعينَ نفساً، فسألوه الصلح فأبى، ولم يزل حتى افتتحها، فقتل المقاتلة وسبى الذرية وغنم الأموال.

وكان الذي ألب على المسلمين رجلٌ أعورٌ منهم، فأسير فقال: أنا أفتدي نفسي بخمسة أثوابٍ صينيَّةٍ قيمتها ألفُ ألفٍ. فأشار الأمراءُ على قتيبة بقبول ذلك منه، فقال قتيبة^(١): لا والله، لا أروُّ بك مسلماً مرةً ثانية. وأمر به فضربت عنقه^(٢) وقد غنم المسلمون من ييكنند شيئاً كثيراً من آنية الذهب والفضة والأصنام من الذهب، وكان فيها^(٣) صنمٌ سبك فخرج منه مائة ألف وخمسون ألف دينارٍ من الذهب، ووجدوا في خزائن الملك أموالاً كثيرةً وسلاحاً كثيراً وغدداً متنوعةً وجواهرَ نفيسةً، وأخذوا من السبى شيئاً كثيراً، فكتب قتيبة إلى الحجاج في^(٤) أن يُعطى ذلك للجند، فأذن له فتموَّل المسلمون^(٥) مالاً كثيراً جداً، وصارت لهم

(١) تاريخ الطبرى ٤٣١/٦، والكمال ٥٢٩/٤.

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «وهذا من الزهد فى الدنيا، ثم إن الغنائم سيدخل فيها ما أراد أن يفتدى به نفسه فإن».

(٣) فى ٣١، ٢١، م، ص: «من جملتها».

(٤) فى م: «يسأله».

(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م، ص: «وتقووا على قتال الأعداء، وصار لكل واحد منهم مال مستكثر جداً».

أسلحةً وُعِدَتْ وخيولٌ، ^(١) «وتَقَوَّوا على الأعداءِ» قوةً عظيمةً. وللهُ الحمدُ والمِنَّةُ.

وقد حَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ نائبُ المدينةِ، وقاضيه بها أبو بكرِ بنُ محمدِ بنِ عمرو [١١٢/٧ ظ] بنِ حزمٍ، وعلى العراقِ والمشرقِ بكُماله الحجاجُ بنُ يوسفَ الثَّقَفِيُّ، ونائبُه على البصرةِ الجراحُ بنُ عبدِ اللهِ الحَكَمِيُّ ^(٢) وقاضيه بها عبدُ اللهِ بنُ أُذَيْنَةَ، وعاملُه على الحربِ بالكوفةِ زيادُ بنُ جريرِ بنِ عبدِ اللهِ البَجَلِيُّ، وقاضيه بها أبو بكرِ بنُ أبى موسى الأشعرى، ونائبُه على خرمسانَ وأعمالها قتيبةُ بنُ مسلمٍ.

وفى هذه السنةِ تُوفِّيَ مِنَ الْأَعْيَانِ :

عتبةُ بنُ عبدِ السَّلَمِيِّ ^(٣)، صحابىٌّ جليلٌ، نَزَلَ جِمَصٌ، يُروى أَنَّهُ شَهِدَ بَنى قَريظَةَ ^(٤). وعن العِزْبَاضِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ ^(٥) : «هُوَ خَيْرٌ مِنِّى، أَسْلَمَ قَبْلِي بِسَنَةٍ. قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ ^(٦) : تُوفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ. وَقَالَ غَيْرُهُ ^(٧) : بَعْدَ التَّسْعِينَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ^(٨) قَالَ أَبُو سَعِيدٍ بْنُ الْأَعْرَابِيِّ ^(٩) : كَانَ عَتَبَةُ بْنُ عَبْدِ السَّلَمِيِّ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ. وَرَوَى بَقِيَّةٌ، عَنْ بُجَيْرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ عَتَبَةَ بْنِ عَبْدِ السَّلَمِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ^(١٠) : «لَوْ أَنَّ رَجُلًا يُجَرِّئُ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمٍ وُلِدَ إِلَى ^(١١)

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م، ص: «كثيرة فقووا بذلك».

(٢) فى الأصل: «الحلمى»، وفى ص: «الحليمى»، وانظر تاريخ الطبرى ٤٣٣/٦.

(٣) الاستيعاب ١٠٣١/٣، وأسَدُ الغَابَةِ ٥٦٣/٣، والإصابة ٤٣٦/٤.

(٤) انظر تاريخ دمشق ٥٨/١١ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٣١٥/١٩.

(٥) المسند ١٨٦/٤. قال الهيثمى فى المجمع ٣٧٨/٩: رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٦) طبقات ابن سعد ٤١٣/٧، وتاريخ دمشق ٥٥/١١، ٥٦، ٥٨، ٥٩ (مخطوط).

(٧) تهذيب الكمال ٤١٣/٧، ٣١٦/١٦.

(٨ - ٨) زيادة من: ٣١، م، ص. ولعلها من زيادات النسخ.

(٩) حلية الأولياء ١٥/٢.

(١٠) المسند ١٨٥/٤، وتاريخ البخارى الكبير ١٥/١، والمعجم الكبير ١٢٢/١٧، ١٢٣ (٣٠٣)، =

^(١) «يَوْمَ يَمُوتُ هَرِمًا فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ لِحَقَرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيَّاشٍ، عَنْ عَقِيلِ بْنِ مُدْرِكٍ، عَنْ لَقْمَانَ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ عَتَبَةَ بْنِ عَبْدِ السَّلَمِيِّ، قَالَ ^(٢): اشْتَكَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعُرَى، فَكَسَانِي خَيْشَتَيْنِ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَلْبَسَهُمَا وَأَنَا أَكْسَى أَصْحَابِي ^(٣).

المُقْدَامُ بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ ^(٤)، صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، نَزَلَ حِمَصَ أَيْضًا، لَهُ أَحَادِيثٌ، وَرَوَى عَنْهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ التَّابِعِينَ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ وَالْفَلَاسُ وَأَبُو عُبَيْدٍ ^(٥): تُوفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ. وَقَالَ غَيْرُهُمْ ^(٦): تُوفِّيَ بَعْدَ التَّسْعِينَ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ ^(٧)، وَاسْمُهُ صُدَيْ بْنُ عَجْلَانَ، ^(٨) صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، نَزَلَ حِمَصَ، وَهُوَ رَاوِي حَدِيثَ تَلْقَيْنِ الْمَيِّتِ بَعْدَ الدَّفْنِ. رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الدَّعَاءِ ^(٩)، وَقَدْ تَقَدَّمَ لَهُ ذِكْرٌ فِي الْوَفَيَاتِ ^(١٠).

قَبِيصَةُ بْنُ ذُوَيْبٍ أَبُو سَفْيَانَ الْخَزَاعِيُّ الْمَدَنِيُّ ^(١١)، وَلِدَ عَامَ الْفَتْحِ، وَأُتِيَ بِهِ

= وجود إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٤٧).

(١ - ١) زيادة من: ٣١، م، ص، ولعلها من زيادات النسخ.

(٢) سنن أبي داود (٤٠٣٢)، والمسند ١٨٥/٤، والمعجم الكبير ١٢٤/١٧ (٣٠٧)، وقال الألباني: صحيح. (صحيح سنن أبي داود ٣٤٠٣).

(٣) الاستيعاب ١٤٨٢/٤، وأسد الغابة ٢٥٤/٥، والإصابة ٢٠٤/٦.

(٤) في م: «عبيدة»، وانظر طبقات ابن سعد ٤١٥/٧، وتهذيب الكمال ٤٥٩/٢٨، ٤٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات سنة ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٢٠٤.

(٥) تاريخ دمشق ١٥٨/١٧، ١٥٩ (مخطوط)، ودول الإسلام ٦٦/١.

(٦) الاستيعاب ٧٣٦/٢، وأسد الغابة ١٦/٣، والإصابة ٤٢٠/٣.

(٧ - ٧) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٨) الدعاء ١٣٦٧/٣ (١٢١٤). قال الهيثمي في المجمع ٤٥/٣: في إسناده جماعة لم أعرفهم. وضعفه ابن القيم في زاد المعاد ٥٢٣/١.

(٩) تقدم في ٣٨٨.

(١٠) الاستيعاب ١٢٧٢/٣، وأسد الغابة ٣٨٢/٤، والإصابة ٥١٧/٥، وفيه أبو قبيصة ذؤيب الخزاعي.

النبي ﷺ ليدعوه له . روى عن جماعة كثيرة من الصحابة ، وأصيب عيئه يوم الحرة ، وكان من فقهاء المدينة ، وكان له منزلة عند عبد الملك ، ويدخل عليه بغير إذن ، وكان يقرأ الكتب إذا وردت من البلاد ، ثم يدخل على عبد الملك فيخبره بما ورد من البلاد فيها ، وكان صاحب سره ، وكان له دار بدمشق بباب البريد ، وتوفي بدمشق .

عروة بن المغيرة بن شعبة^(١) ، ولي إمرة الكوفة للحجاج ، وكان شريفاً لبيباً مطاعاً في الناس ، وكان أحول . توفي بالكوفة .

يحيى بن يعمر^(٢) ، كان قاضى مزو ، وهو أول من نقط المصاحف ، وكان من فضلاء الناس وعلمائهم ، وله أحوال ومعاملات ، وله روايات ، وكان أحد الفصحاء ، أخذ العربية عن أبي الأسود الدؤلى .

شريح بن الحارث بن قيس القاضى^(٣) ، أدرك الجاهلية ، واستقضاها عمر على الكوفة فمكث بها قاضياً خمساً وستين سنة ، وكان عالماً عادلاً كثير الخير ، حسن الأخلاق فيه دُعاة كثيرة ، وكان كوسجاً ؛ لا شعر بوجهه - وكذلك كان عبد الله بن الزبير ، والأحنف بن قيس ، وقيس بن سعد بن عباد .

^(٤) وقد ترجعنا في « التكميل » بما فيه كفاية^(٥) ، وقد اختلف في نسبه وسنه

(١) طبقات ابن سعد ٢٦٩/٦ ، والجمع بين رجال الصحيحين ٣٩٤/١ ، وتهذيب الكمال ٣٧/٢٠ ،

وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ١٥١ ، ٤٢٩ ، والكاشف ٢٣٠/٢ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣٦٨/٧ ، والوزراء والكتاب ٤١ ، ٤٢ ، مراتب النحويين ٥٠ ، وأخبار النحويين

البصريين ٢٢ - ٢٣ ، وإنباء الرواة ١٨/٤ ، ووفيات الأعيان ١٧٣/٦ ، وتهذيب الكمال ٥٣/٣٢ ، وسير

أعلام النبلاء ٤٤١/٤ ، وغاية النهاية ٣٨١/٢ .

(٣) تقدم في ص ٢٨١ .

(٤ - ٥) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

وعام وفاته ، على أقوال ، ورجح ابن خلكان وفاته فى هذه السنة^(١) . والله أعلم^(٢) .

(١) وفيات الأعيان ٤٦٣/٢ .

(٢) بعده فى م ، ص : « قلت قد تقدمت ترجمة شريح القاضى فى سنة ثمان وسبعين بما فيها من الزيادة الكثيرة غير ما ذكره المؤلف هنا وهناك » . وانظر صفحة ٢٨٢ .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

فيها غزا الصّائفة مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ، فافتتحا بمنّ معهما من المسلمين حصن طوانة في جمادى من هذه السنة ، وكان حصنًا منيعًا ، اقتتل الناس عنده قتالًا عظيمًا ، ثم حمل المسلمون على النّصارى فهزموهم حتى أدخلوهم الكنيسة ، ثم خرجت النّصارى ، فحملوا على المسلمين ، فانهزم المسلمون ولم يبقَ أحدٌ منهم في موقعه إلا العباس بن الوليد ، ومعه ابن مُحَيْرِيز الجُمَحِيُّ ، فقال العباس لابن مُحَيْرِيز ^(١) : أين قراء القرآن الذين يريدون وجه الله عز وجل ؟ فقال : نادهم يأتوك . فنادى : يا أهل القرآن . [٧ / ١١٣] فتراجع الناس ، فحملوا على النّصارى فكسروهم ولجئوا إلى الحصن فحاصروهم حتى فتحوه .

وذكر ابن جرير ^(٢) أن في شهر ربيع الأول من هذه السنة قدّم كتاب الوليد على عمر بن عبد العزيز بالمدينة ^(٣) ، يأمره بهدم المسجد النبوي ، وإضافة حُجَرِ أزواج رسول الله ﷺ فيه ، وأن يوسّعه من قبلته وسائر نواحيه ، حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ، فمن باعك ملكه فاشتر منه ، وإلا فقومه له قيمة عدل ^(٤) ، ثم اهدم وادفع إليهم أثمان بيوتهم ، فإنّ لك في ذلك سلف صدق ؛ عمر وعثمان . فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والفقهاء العشرة أهل المدينة ،

(١) تاريخ الطبري ٤٣٤/٦ ، والكامل ٥٣١/٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٣٥/٦ ، ٤٣٦ ، بنحوه .

(٣) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٤) العدل بكسر العين مثل الشيء من غير جنسه .

وقرأ عليهم كتاب الوليد، فشق عليهم ذلك، وقالوا^(١) : هذه حُجْرٌ قصيرةُ الشُّقوفِ، وسُقُوفُها من جريد النَّخْلِ، وحيطانها من اللَّيْنِ، وعلى أبوابها المُسُوخُ، وتزكُّها على حاليها أولى؛ لينظر إليها الحُجَّاجُ والزَّوَّارُ والمسافرون، وإلى بيوتِ النبي ﷺ فينتفعوا بذلك ويعتبروا به، ويكون ذلك أدعى لهم إلى الزُّهْدِ في الدُّنيا، فلا يُعَمِّرونَ فيها إلَّا بقدرِ الحاجة، وهو ما يَسْتُرُ وَيُكِنُّ، ويعرفون أنَّ هذا البنيانَ العالِيَّ إنما هو مِن أفعالِ الفراعنة والأكاسرة، وكلُّ طويلِ الأملِ راغِبٍ في الدنيا وفي الخلودِ فيها. فعندَ ذلك كَتَبَ عمرُ^(٢) بنُ عبدِ العزيزِ إلى الوليدِ بما أجمَعَ عليه الفقهاءُ العشرةَ المتقدِّمَ ذكْرهم، فأرسل إليه يأمره بالخرابِ وبناءِ المسجدِ على ما ذَكَرَ، وأن يُعلَى سُقُوفُه. فلم يَجِدْ عمرُ بُدًّا مِن هدمِها. ولمَّا شرعوا في الهدمِ، صاح الأشرافُ ووجوهُ الناسِ مِن بنى هاشمٍ وغيرهم، وتباكَوا مثلَ يومِ ماتِ النبي ﷺ، فأجابَ مَنْ له مِلْكٌ متاخَمٌ للمسجدِ إلى بيعه، فاشتَرى منهم عمرُ، وشرعَ في بنائِه وشَمَّرَ عن إزاره، واجتهدَ في ذلك، وجاءته فُعوْلٌ كثيرةٌ^(٣) مِن قِبَلِ الوليدِ^(٤)، فأدخَلَ فيه الحُجْرَةَ النبويَّةَ - حجرةَ عائشةَ، فدخَلَ القبرُ في المسجدِ، وكانت حدُّه مِن الشَّرْقِ - وسائرُ حُجَرِ أمهاتِ المؤمنينَ^(٥)، كما أمرَ الوليدُ.

ورؤينا^(٥) أنهم لما حَفَرُوا الحائِطَ الشرقيَّ مِن حجرةِ عائشةَ بدَتْ لهم قدَمٌ فخشوا أن تكونَ قدَمَ النبي ﷺ، حتى تحقَّقوا أنَّها قدَمُ عمرَ بنِ الخطابِ

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات سنة ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣١، ٣٢.

(٢) في ص: «محمد».

(٣ - ٣) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٤) بعده في الأصل: «ووسعه».

(٥) ذكره الحافظ في الفتح ٢٥٥/٣، من طريق هشام بن عروة عن أبيه.

رضي الله عنه . ويحكى^(١) أن سعيد بن المسيب أنكر إدخال حجرة عائشة في المسجد - كأنه خشي أن يتخذ القبر مسجدًا - والله أعلم .

وذكر ابن جرير^(٢) أن الوليد كتب إلى ملك الروم يسأله أن يعث له صنائعًا للبناء ، فبعث إليه بمائة صانع ، وفصوص كثيرة من أجل المسجد النبوي^(٣) - نحو خمسين جملًا ومائة ألف دينار^(٤) - والمشهور أن هذا إنما كان من أجل مسجد دمشق . فالله أعلم .

وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز أن يحفر الفؤارة بالمدينة ، وأن يجري ماءها ، ففعل . وأمره أن يحفر الآبار ، وأن يسهل الطرق والشنايا . وساق إلى الفؤارة الماء من ظاهر المدينة ، والفؤارة بُنيت في ظاهر المسجد عند بقعة رآها فأعجبته .

وفيها غزا قتيبة بن مسلم ملك الترك كورمغانون^(٥) ابن أخت ملك الصين ، ومعه مائتا ألف مقاتل من أهل الصغد وفرغانة وغيرهم ، فاقتتلوا قتالًا شديدًا - وكان مع قتيبة نيزك ملك الترك مأسورًا - فكسروهم قتيبة بن مسلم ، وغنم من أموالهم شيئًا كثيرًا ، وقتل منهم خلقًا وسبى وأسرى .

وفيها حج بالناس عمر بن عبد العزيز ، ومعه جماعات من أشراف قريش ، فلما كان بالتنعيم لقيه طائفة من أهل مكة فأخبروه عن قلة الماء بمكة لقلة المطر ،

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات سنة ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٦/٤٣٦ ، بنحوه .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤) في الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، ص : « كورمغانون » ، وفي م : « كورمغانون » . والمثبت من تاريخ الطبري ٦/٤٣٧ .

فقال لأصحابه^(١) : أَلَا نَسْتَمْطِرُ؟ فدعا ودعا الناس ، فما زالوا يدعون حتى سُقُوا ودخلوا مكةَ ومعهم المطرُ ، وجاء سيلٌ عظيمٌ حتى خاف أهلُ مكةَ من شِدَّةِ المطرِ ، ومُطِرَتْ عَرَفَةُ ومُزْدَلِفَةُ ومِنَى ، وأُخْصِبَتِ الْأَرْضُ هذه السنةَ خِصْبًا عظيمًا بمكةَ وما حولها ، وذلك [١١٣/٧ ظ] بركةٍ دعاءِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ومَن كان معه مِنَ الصَّالِحِينَ .

وكان الثَّوَابُ عَلَى الْبُلْدَانِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ هُم الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهَا .
وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُسْرِ بْنِ أَبِي بُسْرِ الْمَازِنِيُّ^(٢) ، صَحَابِيُّ كَأَيِّهِ ، سَكَنَ جَمْعَ ، وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ . قَالَ الْوَاقِدِيُّ^(٣) : تُوفِّيَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ ، عَنْ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً . زَادَ غَيْرُهُ^(٤) : وَهُوَ آخِرُ مَنْ تُوفِّيَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِالشَّامِ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ ، أَنَّهُ يَعِيشُ قَرْنًا^(٥) ؛ فَعَاشَ مِائَةَ سَنَةٍ .

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى عُلُقَمَةَ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْحَارِثِ الْخَزَاعِيِّ ثُمَّ الْأَسْلَمِيِّ^(٦) ، صَحَابِيُّ جَلِيلٌ ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ بَقِيَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِالْكُوفَةِ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ ، فِيمَا قَالَهُ الْبُخَارِيُّ سَنَةَ سَبْعٍ^(٧) أَوْ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ^(٨) . وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ

(١) تاريخ الطبري ٤٣٨/٦ ، والكامل ٥٣٤/٤ بنحوه .

(٢) الاستيعاب ٨٧٤/٣ ، وأسد الغابة ١٨٦/٣ ، والإصابة ٢٣/٤ .

(٣) طبقات ابن سعد ٤١٣/٧ ، وتهذيب الكمال ٣٣٤/١٤ ، وسير أعلام النبلاء ٤٣٠/٣ .

(٤) الاستيعاب ٨٧٤/٣ ، والإصابة ٢٣/٤ ، غير معزو لأحد .

(٥) أخرجه البخاري في التاريخ الصغير ٢١٦/١ ، من طريق عبد الله بن بسر .

(٦) الاستيعاب ٨٧٠/٣ ، وأسد الغابة ١٨٢/٣ ، والإصابة ١٨/٤ .

(٧) في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « تسع » .

(٨) التاريخ الصغير ٢١١/١ .

واحد^(١) : سنة ست وثمانين . وقد جاوز المائة ، وقيل : قاربها . رضى الله عنه .

^(٢) وفيها توفى هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد المخزومي المدني^(٣) ،

وكان حمًا عبد الملك بن مزوان ونائبه على المدينة ، وهو الذى ضرب سعيد بن المسيب كما تقدّم^(٤) ، ثم قدم دمشق فمات بها ، وهو أوّل من أحدث دراسة القرآن بجامع دمشق ، فمات بها فى السّبع^(٥) .

^(٦) حكيم بن عمير^(٦) العنسيّ الشاميّ - له رواية ، ولم يكن أحدًا فى الشام يستطيع أن يعيب الحجاج علانية إلا هو وابن مُحيريز -^(٧) أبو الأخوص^(٧) . قُتل فى غزوة طوانة من بلاد الروم فى هذه السنة^(٨) .

(١) طبقات ابن سعد ٣٠٢/٤ ، وتهذيب الكمال ٣١٩/١٤ .

(٢ - ٣) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٣) انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٢٤٤/٥ ، والمخير ص ٢٥ ، وأخبار القضاة ٢٠/٢ ، ٢١ ، والجرح والتعديل ٥٢/٩ ، وثقات ابن حبان ٥٠١/٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٢١٤ .

(٤) تقدم فى ص ٣٧٠ .

(٥) السبع ، على لفظ واحد من السباع - وتفتح الباء - قرية لعمر بن العاص من فلسطين بالشام بين بيت المقدس والكرك . قال ابن الأعرابي : هو الموضع الذى يكون فيه المحشر يوم القيامة . معجم ما استعجم ٧١٧/٣ - ٧١٩ ، معجم البلدان ٣٤/٣ .

(٦ - ٦) فى م : « عمير بن حكيم » . وبعده فى ٣١ ، ص : « بن زهير بن سالم أبو المخارق » . وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٤٥٢/٧ ، والجرح والتعديل ٢٠٦/٣ ، ومشاهير علماء الأمصار ١١٤ ، وتهذيب الكمال ١٩٩/٧ ، والكاشف ١٨٥/١ .

(٧ - ٧) فى النسخ : « أبو الأبيض » ، والمثبت من مصادر الترجمة .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين

فيها غزا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وابْنُ أَخِيهِ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بِلَادَ الرُّومِ ، فَقَتَلَا خَلْقًا كَثِيرًا ، وَفَتَحَا حُصُونًا كَثِيرَةً ؛ مِنْهَا حِصْنُ سُورِيَّةَ ^(١) وَعُمُورِيَّةَ ^(٢) وَهَرَقْلَةَ ^(٣) وَقَمُودِيَّةَ ^(٤) ، وَغَنِمَا شَيْئًا كَثِيرًا وَأَسْرَا جَمًّا غَفِيرًا .

وَفِيهَا غَزَا قَتِيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ بِلَادَ الصُّغْدِ ، وَنَسَفَ ^(٥) ، وَكَسَّ ^(٦) ، وَقَدْ لَقِيَهُ هُنَاكَ خَلْقٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ فَظَفِرَ بِهِمْ فَقَتَلَهُمْ ، وَسَارَ إِلَى بُخَارَا فَلَقِيَهُ دُونَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الثُّرَاكِ فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَيْنِ وَلَيْلَتَيْنِ عِنْدَ مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ : خَرْقَانُ ^(٧) . وَظَفِرَ بِهِمْ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ نَهَارٍ بْنُ تَوْسِعَةَ ^(٨) :

وَبَاتَتْ لَهُمْ مَنَا بِخَرْقَانَ لَيْلَةً وَلَيْلَتُنَا كَانَتْ بِخَرْقَانَ أَطْوَلًا
ثُمَّ قَصَدَ قَتِيْبَةُ وَزْدَانَ خُذَاةً ، مَلَكٌ بُخَارَا ، فَقَاتَلَهُ وَزْدَانُ ^(٩) قِتَالًا شَدِيدًا فَلَمْ يَظْفَرْ بِهِ قَتِيْبَةُ ، فَرَجَعَ عَنْهُ إِلَى مَرْوَ ، فَجَاءَهُ كِتَابُ الْحَجَّاجِ يَعْنِفُهُ عَلَى الْفِرَارِ

(١) سورية : موضع بالشام بين خناصرة وسلمية . معجم البلدان ٣ / ١٨٧ .

(٢) عمورية : بلد في بلاد الروم . معجم البلدان ٣ / ٧٣٠ .

(٣) هرقل : مدينة ببلاد الروم . معجم البلدان ٤ / ٩٦١ .

(٤) في الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، ص : « قمولية » . والمثبت موافق لما في تاريخ الطبري ٦ / ٤٣٩ .

(٥) نسف : مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند . معجم البلدان ٤ / ٧٨١ .

(٦) في النسخ : « كش » . تصحيف ، وكس بكسر أوله وتشديد ثانيه ، مدينة تقارب سمرقند . وقال

البلاذري : كس هي الصغد . معجم البلدان ٤ / ٢٧٣ . وانظر تاريخ الطبري ٦ / ٣٣٩ ، وتاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٥٢ .

(٧) خرقان : من قرى سمرقند ، على ثمانية فراسخ منها . معجم البلدان ٢ / ٤٢٤ .

(٨) تاريخ الطبري ٦ / ٤٣٩ .

(٩) في الأصل : « ملكها » .

والتَّكْوِيلُ عَنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَنْ يَبْعَثَ بِصُورَةِ هَذَا الْبَلَدِ - يَعْنِي بُخَارَا - فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِصُورَتِهَا، فَكُتِبَ إِلَيْهِ؛ ^(١) أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْهَا وَتُبْتُ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَنْبِكَ وَائْتِيَا مِنْ مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا، وَرِذْ وَزِدَانِ خُذَاهُ، وَإِيَّاكَ وَالتَّحْوِيلُ ^(٢)، وَدَعْنِي وَبُنَيَاتِ الطَّرِيقِ ^(٣).

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلَّى الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِمْرَةً مَكَّةَ لَخَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ، فَحَفَرَ بَيْتًا بِأَمْرِ الْوَلِيدِ عِنْدَ ثَنِيَّةِ طُؤَى وَثَنِيَّةِ الْحَجُونِ، فَجَاءَتْ عَذْبَةُ الْمَاءِ طَيِّبَةً، وَكَانَ يَسْتَقِي النَّاسُ مِنْهَا.

وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ ^(٤): حَدَّثَنِي عَمْرُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ نَافِعِ مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ، قَالَ: سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيَّ يَقُولُ [١١٤/٧] عَلَى مَنِيرِ مَكَّةَ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَيُّهُمَا أَعْظَمُ؛ خَلِيفَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ أَمْ رَسُولُهُ إِلَيْهِمْ؟ وَاللَّهُ لَوْ لَمْ تَعْلَمُوا فَضْلَ الْخَلِيفَةِ إِلَّا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ اسْتَشْقَاه فَسَقَاه مِلْحًا أُجَاجًا، وَاسْتَشْقَى الْخَلِيفَةُ فَسَقَاه عَذْبًا فُرَاتًا - يَعْنِي الْبَيْتَ الَّتِي احْتَفَرَهَا لَهُ بِالثَّنِيَّتَيْنِ؛ ثَنِيَّةِ طُؤَى وَثَنِيَّةِ الْحَجُونِ - فَكَانَ يُنْقَلُ مَاؤُهَا فَيُوضَعُ فِي حَوْضٍ مِنْ أَدَمٍ إِلَى جَنْبِ زَمْزَمَ لِيَعْرِفَ فَضْلُهُ عَلَى زَمْزَمَ. قَالَ: ثُمَّ غَارَتْ تِلْكَ الْبَيْتُ فَذَهَبَ مَاؤُهَا فَلَا يُدْرَى أَيْنَ هُوَ إِلَى الْيَوْمِ. وَهَذَا الْإِسْنَادُ غَرِيبٌ، وَهَذَا الْكَلَامُ يَتَضَمَّنُ كَفْرًا إِنْ صَحَّ عَنْ قَائِلِهِ، وَعِنْدِي أَنَّ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيَّ لَا يَصِحُّ عَنْهُ هَذَا الْكَلَامُ، وَإِنْ صَحَّ فَهُوَ عَدُوُّ اللَّهِ، وَقَدْ قِيلَ عَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ نَحْوُ هَذَا

(١) تاريخ الطبري ٤٤٠/٦، والكامل ٥٣٥/٤، ٥٣٦.

(٢) حوط حول الأمر، يعني دار في القول فيه وأكثر فيه المراجعة والرد.

(٣) بنات الطريق، يعني الطرق الصغار المتشعبة، يريد: اسلك الطريق المستقيم الذي لا تعريج فيه.

(٤) تاريخ الطبري ٤٤٠/٦.

الكلام^(١)؛ مِنْ أَنَّهُ جَعَلَ الْخَلِيفَةَ أَفْضَلَ مِنَ الرَّسُولِ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ، وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ تَتَضَمَّنُ كُفْرَ قَائِلِهَا.

وفى هذه السنة غزَا مَسْلَمَةُ^(٢) الثُّرُكَ حَتَّى بَلَغَ الْبَابَ^(٣) مِنْ نَاحِيَةِ أَذْرَبِيحَانَ، وَفَتَحَ حَصُونًا وَمَدَائِنَ^(٤) هُنَالِكَ. وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِيهَا عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ. قَالَ شَيْخُنَا الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدَّهْمِيُّ^(٥): وَفَى هَذِهِ السَّنَةِ فُتِحَتْ صِقْلِيَّةٌ وَمَيُوزَقَةُ^(٦) - وَمَيُوزَقَةُ^(٧) - وَهُمَا فِي الْبَحْرِ بَيْنَ جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ وَحَدَاثِهِ^(٨) مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ. وَفِيهَا سَيَّرَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ وَلَدَهُ إِلَى النَّقْرِيسِ مَلِكِ الْفَرِجِ فَافْتَتَحَ بِلَادًا كَثِيرَةً^(٩).

وَفِيهَا تُوفِّيَ مِنَ الْأَعْيَانِ: ^(١٠)عَبْدُ اللَّهِ^(١١) بْنُ بُشَيْرٍ بْنِ أَبِي بُشَيْرٍ الْمَازِنِيُّ، لَهُ وَلَآئِيهِ صَحْبَةٌ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ تُوُفِيَ فِي التِّي قَبْلَهَا.

قَالَ: وَ^(٩)عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ ضَعِيرٍ^(١١) - أَحَدُ التَّابِعِينَ - الْعُذْرِيُّ الشَّاعِرُ.

(١) تاريخ دمشق ١٢/١٥٨.

(٢) فِي ٣١، ٢١، م، ص: «قَتِيبة بن مسلم». وانظر تاريخ الطبري ٦/٤٤١.

(٣) فِي ٣١، ٢١، م، ص: «باب الأبواب».

(٤) بَعْدَهُ فِي ٣١، ٢١، م، ص: «كثيرة».

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات سنة ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٤. والسياق فيه أن عبد الله بن موسى

ابن نصير إنما فتح جزيرتي ميوزقة ومنوزقة فقط. وانظر تاريخ خليفة ص ٤٠٠. وانظر أيضا حاشية (٨).

(٦ - ٦) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٧) فِي النسخ: «ميرقة». والمثبت من مصدر التخريج، وانظر معجم البلدان ٤/٧٢٠.

(٨) فِي ٣١، ٢١، م، ص: «خدر» بالخاء المعجمة، وفي تاريخ الإسلام: «جزيرة الأندلس».

وَحَدَاثُهُ بِالرَّاءِ الْمَضْمُومَةِ الْمَشْدُودَةِ - وَبَعْضُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ يَقُولُ: هَدْرُهُ - : نَهْرٌ مَعْرُوفٌ يَشُقُّ مَدِينَةَ

غَرْنَاطَةَ. معجم البلدان ٢/٢١٧، ٣/٧٨٨، وصفة جزيرة الأندلس ٢٣.

(٩ - ٩) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(١٠) الاستيعاب ٣/٨٧٤، وأسَدُ الْغَايَةِ ٣/١٨٦، والإصابة ٤/٢٣.

(١١) الاستيعاب ٣/٨٧٦، وأسَدُ الْغَايَةِ ٣/١٩٠، والإصابة ٤/٣١.

وقد قيل^(١) : إِنَّهُ أَدْرَكَ حَيَاةَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِهِ . وَكَانَ الزَّهْرِيُّ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ النَّسَبَ .

والعمالُ في هذه السَّنَةِ هم المذْكُورُونَ في التِّي قَبَلَهَا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ . وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ أَعْلَمُ .

(١) تاريخ دمشق ١٨٥/٢٧ ، وتهذيب الكمال ٣٥٣/١٤ .

ثم دخلت سنة تسعين من الهجرة

فيها غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بلاد الروم ، ففتحوا حصوناً ، وقتلوا خلقاً من الروم ، وغنموا وأسروا خلقاً كثيراً . وفيها أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر ، وذهبوا به إلى ملكهم فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك . وفيها عزل الوليد أخاه عبد الله بن عبد الملك عن إمرة مصر وولى عليها قرة بن شريك . وفيها قتل محمد بن القاسم الثقفي ملك السند داهر بن صصة^(١) ، وكان محمد بن القاسم هذا على جيش من جهة الحجاج . وفيها فتح قتيبة بن مسلم مدينة بخارا ، وهزم جمع العدو من الترك بها ، وجرت بينهم فصول يطول ذكرها ، وقد تقصاها ابن جرير^(٢) . وفيها طلب طرخون ملك الصغد بعد فتح بخارا من قتيبة أن يصالحه على مال يبدله في كل عام فأجابته قتيبة إلى ذلك وأخذ منه رهناً عليه .

^(٣) وفيها استنجد وزدان خذاه بالترك فأتوه من جميع النواحي - وهو صاحب بخارا بعد أخذ قتيبة لها - وخرج وزدان خذاه وحمل على المسلمين فحطموهم ، ثم عاد المسلمون عليهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وصالح قتيبة ملك الصغد ، وفتح بخارا وحصونها ، ورجع قتيبة بالجند إلى بلاده فأذن له الحجاج ، فلما سار إلى بلاده بلغه أن صاحب الصغد قال للملوك الترك : إن العرب بمنزلة اللصوص فإن أعطوا شيئاً ذهبوا ، وإن قتيبة هكذا يقصد الملوك ، فإن^(٣)

(١) في ٣١ : « صعه » ، وفي ٢١ ، ص : « صصعة » . وانظر تاريخ الطبري ٤٤٢ / ٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٤٢ / ٦ - ٤٤٤ .

(٣ - ٣) زيادة من ٣١ ، ٢١ ، م ، ص . وانظر تاريخ الطبري ٤٤٢ / ٦ ، ٤٤٣ .

(١) أعطوه شيئاً أخذَه ورجع عنهم ، وإنَّ قتيبةً ليس بملك ولا يطلبُ مُلكاً . فبلغ قتيبةً قوله فرجع إليهم ، فكاتب نيزك^(٢) ملكَ التركِ ملوكَ ما وراءَ النهرِ ؛ منهم ملكُ الطالقانِ ، وكان قد صالح قتيبةً فنقض^(٣) الصُّلحَ الذي [١١٤/٧] كان بينه وبين قتيبةً ، واستجاش عليه بالملوكِ كُلِّها ، فأتاه ملوكٌ كثيرٌ كانوا قد عاهدوا قتيبةً على الصُّلحِ ، فنقضُوا كُلُّهم وصاروا يداً واحدةً على قتيبةً ، واتَّعدُوا إلى الربيعِ ، وتعاهدوا وتعاقدوا على أن يجتمعوا فيقاتلوا كُلُّهم فاجتمعوا في فصلِ الربيعِ من السنةِ الآتيةِ ، فقتل منهم قتيبةً في ذلك الحينِ مَقْتَلَةً عظيمةً جداً لم يُسمَعْ بمثليها ، وصلبَ منهم سِماطينَ في مسافةِ أربعةِ فراسخٍ في نظامٍ واحدٍ ، وذلك مما كسرَ جموعَهم كُلُّهم .

وفي هذه السنةِ هربَ يزيدُ بنُ المهَلَّبِ وأخواه المفضَّلُ وعبدُ الملكِ من سجنِ الحجاجِ^(٤) ، فلحقُوا بسليمانَ بنِ عبدِ الملكِ فأمَّنهم من الحجاجِ ، وذلك أنَّ الحجاجَ كان قد احتاطَ عليهم قبلَ ذلك وعاقبهم عقوبةً عظيمةً ، وأخذَ منهم ستةَ آلافِ ألفٍ ، وكان أصبرهم على العقوبةِ يزيدُ بنُ المهَلَّبِ ، كان لا يُسمَعُ له صوتٌ ولو فعلوا به ما فعلوا ، فكان ذلك يغيظُ الحجاجَ حتى قال قائلٌ للحجاجِ^(٥) : إنَّ في ساقِه أثرَ نُشابةٍ بقيَ نصلُها فيه ، وإنَّه متى أصابها شيءٌ لا يملكُ نفسه أن يصرُخَ . فأمرَ الحجاجُ أن يُنالَ ذلك الموضعُ منه بعذابٍ ، فصاح فلماً سمِعَتْ أُختُه هندُ بنتُ المهَلَّبِ - وكانت تحتَ الحجاجِ - صوتَه بكَّتْ

(١ - ١) زيادة من ٣١ ، ٢١ ، م ، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٤٤٦/٦ ، ٤٤٧ .

(٢) فى ٣١ ، ٢١ ، ص : « بترك » ، وانظر تاريخ الطبرى ٤٤٥/٦ .

(٣) فى الأصل : « وفى هذه السنة نقض ملك الترك الصلح » .

(٤) بعده فى م : « نكاية لذلك » . والخبر بتمامه فى تاريخ الطبرى ٤٤٨/٦ - ٤٥٣ ، والكامل ٥٤٥/٤ .

(٥) تاريخ الطبرى ٤٤٨/٦ ، والكامل ٥٤٥/٤ .

وناخت عليه ؛ فطلَّقها الحجاجُ ثم أودَّعهم السجن . ثم خرج الحجاجُ إلى بعض المحالِّ لِيُنْفِذَ جيشًا إلى الأكرادِ واستصحبهم معه ، فخذق حولهم ، ووَكَّلَ بهم الحرَّسَ . فلَمَّا كان في بعض الليالي أمر يزيدُ بنُ المهلَّبِ بطعامٍ كثيرٍ فضنَّع للحرَّسِ ، « فاشتغلوا به »^(١) ، ثم تنكَّر في هيئة بعض الطُّبَّاحِينَ وجعل لحيته لحيَّة بيضاء ثم خرج فراه بعض الحرَّسِ ، فقال : ما رأيتُ مِشِيَّةً أشبهَ بِمِشِيَّةِ يزيدَ بنِ المهلَّبِ مِن هذا . ثم اتَّبَعَهُ يَتَحَقَّقُهُ ، فلَمَّا رأى بياضَ لحيته انصرف عنه ، ثم لحقَه أخواه فركبوا السُّفُنَ وساروا نحو الشَّامِ ، فلَمَّا بلغ الحجاجُ هَرَبُهُم انزعج لذلك ، وذهب وَهُمْ أَنَّهُم ساروا إلى خُرَاسَانَ ، فكتب إلى قتيبةَ بنِ مسلمٍ يُحذِّرُهُ قُدُومَهُمْ ، ويأمرُهُ بالاستعدادِ لهم ، وأن يرصِّدَهُم في كلِّ مكانٍ ، ويكتبُ إلى أمراءِ الثغورِ والكُورِ بتحصيلِهِم . وكتب إلى أميرِ المؤمنين « الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ »^(٢) يُخبرُهُ بهربِهِمْ ، وأنَّه لا يراهُم هَرَبُوا إِلَّا إلى خُرَاسَانَ ، وخاف الحجاجُ مِن يزيدَ بنِ المهلَّبِ أن يصنَّعَ كما صنَّعَ عبدُ الرحمنِ بنُ محمدٍ بنِ الأشعثِ مِن الخروجِ عليه وجَمْعِ الناسِ له^(٣) .

وأما يزيدُ بنُ المهلَّبِ فَإِنَّهُ سَلَكَ على البطائحِ وجاءته خيولٌ كان قد أعَدَّها له أخوه مروانُ بنُ المهلَّبِ لهذا [١١٥/٧] اليومِ ، فركبها وسَلَكَ به دليلٌ مِن بنى كلبٍ يُقالُ له : عبدُ الجُبَّارِ بنُ يزيدَ . فأخذ بِهِم على السَّماوَةِ^(٣) . وجاء الخبرُ إلى الحجاجِ بعدَ يومين أن يزيدَ قد سَلَكَ نحو الشَّامِ ، فكتب إلى الوليدِ يُعَلِّمُهُ بذلك ،

(١ - ١) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٢) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « وتحقق عنده قول الراهب » .

(٣) السماوة : بادية بين الكوفة والشَّام ، وقال السكري : السماوة مائة لَکَلْب . معجم البلدان ٣ / ١٣١ .

وسار يزيد حتى نزل الأزدنَّ على وُهب بن عبد الرحمن الأزدي - وكان كريماً على سليمان بن عبد الملك - فسار وُهب إلى سليمان بن عبد الملك فقال له : إنَّ يزيد بن المهلب وأخويه في منزلي ، قد جاءوا مُستعِذين بك من الحجاج . قال : فاذهب فأتني بهم فهم آمنون ما دُمْتُ حيًّا . فجاءهم فذهب بهم حتى أدخلهم على سليمان بن عبد الملك ، فأمنهم سليمان ، وكتب إلى أخيه الوليد : إنَّ آل المهلب قد أمنتهم ، ولما بقي للحجاج عندهم ثلاثة آلاف ألف ، وهي عندي . فكتب إليه الوليد : لا والله لا أؤمنه حتى تبعث به إليَّ . فكتب إليه : لا والله لا أبعثه حتى أجيء معه ، فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تفضحنى أو تخفرننى^(١) في جوارى . فكتب إليه : لا والله لا تجيئ معه وابعث به إليَّ في وثاقي . فقال يزيد : ابعثنى إليه ، فما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحزباً ، فابعثنى إليه وابعث معي ابنك ، واكتب إليه بالطف عِبارة تُقدِّر عليها . فبعثه وبعث معه ابنه أيوب ، وقال لانيه : إذا دخلت في الدهليز فادخل مع يزيد في السلسلة ، وادخلا عليه كذلك . فلما رأى الوليد ابن أخيه في السلسلة ، قال : والله لقد بلغنا من سليمان . ودفع أيوب كتاب أبيه إلى عمه وقال : يا أمير المؤمنين ، نفسى فداؤك ، لا تخفرن^(٢) ذمة أبى وأنت أحق من منعها ، ولا تقطع منّا رجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك ، ولا تُذل من رجا العز في الانقطاع إلينا لعزنا بك . ثم قرأ الوليد كتاب سليمان بن عبد الملك فإذا فيه : أمّا بعد يا أمير المؤمنين ، فوالله إن كنت لأظن لو استجار بى عدو قد نابذك وجاهدك فأنزلته وأجزته ، أنك لا تُذل

(١) في ٣١ ، ٢١ : « تخفرننى » ، وفي ص : « تخفرننى » . وأخفرت الرجل إذا نقضت عهده وذمامه . النهاية

٥٢/٢ - ٥٣ .

(٢) في ٣١ ، ٢١ ، ص : « تخفرن » .

جَارِي^(١) وَلَا تُخْفِرُ جَوَارِي ، بَلْ لَمْ أُجْزِ إِلَّا سَامِعًا مُطِيعًا ، حَسَنَ الْبَلَاءِ وَالْأَثَرِ فِي
 الْإِسْلَامِ هُوَ وَأَبُوهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ ، وَقَدْ بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ فَإِنْ كُنْتَ إِثْمًا تُعِدُّ^(٢) قَطِيعَتِي
 وَالْإِخْفَارَ بِذِمَّتِي وَالْإِبْلَاقَ فِي مَسَاعَتِي ، فَقَدْ قَدَرْتَ إِنْ أَنْتَ فَعَلْتَ ، وَأَنَا أُعِيدُكَ
 بِاللَّهِ مِنْ احْتِرَادِ^(٣) قَطِيعَتِي وَانْتِهَاكِ حُرْمَتِي ، وَتَرْكِ بِرِّي^(٤) وَصِلَتِي ، فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ مَا تَذَرِي مَا بَقَائِي وَبِقَاؤُكَ ، وَلَا مَتَى يُفَرِّقُ الْمَوْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، فَإِنْ
 اسْتَطَاعَ [١١٥/٧] أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - آدَامُ اللَّهِ سُرُورَهُ - أَنْ لَا يَأْتِيَ أَجْلُ الْوَفَاةِ عَلَيْنَا
 إِلَّا وَهُوَ لِي وَاصِلٌ ، وَلِحَقِّي مُؤَدٍّ ، وَعَنْ مَسَاعَتِي نَازِعٌ ، فَلْيَفْعَلْ ، وَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ مَا أَصْبَحْتُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ فِيهَا بِأَسْرَ مَنِّي بِرِضَاكَ
 وَسُرُورِكَ ، وَإِنْ رِضَاكَ وَسُرُورَكَ^(٥) يَمَّا أَلْتَمِسُ بِهِ رِضْوَانَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٦) ، وَإِنْ
 كُنْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ تَرِيدُ مَسَرَّتِي وَصِلَتِي وَكَرَامَتِي وَإِعْظَامَ حَقِّي
 فَتَجَاوَزْ لِي عَنْ يَزِيدَ ، وَكُلُّ مَا طَلَبْتَهُ بِهِ فَهُوَ عَلَيَّ .

فَلَمَّا قَرَأَ الْوَلِيدُ كِتَابَهُ قَالَ : لَقَدْ أَشَقَّقْنَا^(٧) عَلَى سَلِيمَانَ ! ثُمَّ دَعَا ابْنَ أَخِيهِ
 فَأَدْنَاهُ مِنْهُ ، وَتَكَلَّمَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ ، ثُمَّ
 قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ بَلَاءُكُمْ عِنْدَنَا أَحْسَنُ الْبَلَاءِ ، فَمَنْ يَنْسُ ذَلِكَ فَلَسْنَا
 نَاسِيَهُ ، وَمَنْ يَكْفُرْهُ فَلَسْنَا بِكَافِرِيهِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ بَلَائِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فِي طَاعَتِكُمْ

(١) فِي ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « جَوَارِي » .

(٢) فِي الطَّبْرِي ٤٥١ / ٦ : « تَغْزُو » .

(٣) فِي الْأَصْل ، ٣١ ، ٢١ ، ص : « اجْتَرَار » . وَانْظُرْ تَارِيخَ الطَّبْرِي ٤٥٢ / ٦ . وَحَرَدَهُ يَحْرَدُهُ بِالْكَسْرِ ، حَرْدًا إِذَا قَصَدَهُ . التَّاج (ح ر د) .

(٤) بَعْدَهُ فِي ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « وَاجَابَتِي إِلَى مَا سَأَلْتُكَ » .

(٥) بَعْدَهُ فِي ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ رِضَائِي وَسُرُورِي وَ » .

(٦) بَعْدَهُ فِي ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « لَصَلَّتِي مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ » .

(٧) فِي م : « أَشَقَّقْنَا » .

وَالطَّعْنِ فِي أَعْيُنِ أَعْدَائِكُمْ فِي الْمَوَاطِنِ الْعِظَامِ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ مَا إِنَّ الْمِثَّةَ عَلَيْنَا فِيهِ عَظِيمَةٌ . فَقَالَ لَهُ : اجْلِسْ . فَجَلَسَ فَأَمَّنَهُ وَكَفَّ عَنْهُ وَرَدَّهُ إِلَى سُلَيْمَانَ ، فَكَانَ عِنْدَهُ يُعَلِّمُهُ الْهَيْئَةَ ، وَيَصِفُ لَهُ أَلْوَانَ الْأَطْعِمَةِ الطَّيْبَةِ ، وَكَانَ حَظِيًّا عِنْدَهُ ، لَا يُهْدَى إِلَيْهِ بِهَدِيَّةٍ إِلَّا بَعَثَ إِلَيْهِ بِنَصْفِهَا . وَتَقَرَّبَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بِأَنْوَاعِ الْهَدَايَا وَالتَّحْفِ وَالتَّقَادُمِ .

وَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى الْحَجَّاجِ : إِنِّي لَمْ أَصِلْ إِلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ مَعَ أَخِي سُلَيْمَانَ ، فَارْكُفْ عَنْهُمْ وَاللَّهِ عَنِ الْكِتَابِ إِلَيَّ فِيهِمْ . فَكَفَّ الْحَجَّاجُ عَنْ آلِ الْمُهَلَّبِ وَتَرَكَ مَا كَانَ يَطَالِيهِمْ بِهِ مِنَ الْأَمْوَالِ ، حَتَّى تَرَكَ لِأَبِي عُيَيْنَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَلَمْ يَزَلْ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ حَتَّى هَلَكَ الْحَجَّاجُ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتَسْعِينَ - كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ - ثُمَّ وَلِيَ يَزِيدُ بِلَادَ الْعِرَاقِ بَعْدَ الْحَجَّاجِ ، كَمَا أَخْبَرَهُ الرَّاهِبُ .

وَفِيهَا تُوفَّى مِنَ الْأَعْيَانِ : تِيَاذُوقُ^(١) الطَّيِّبِ الْحَادِقُ ، لَهُ مَصْنُفَاتٌ فِي فَنِّهِ ، وَكَانَ حَظِيًّا عِنْدَ الْحَجَّاجِ . مَاتَ فِي حُدُودِ سَنَةِ تَسْعِينَ بِوَسْطِ .

وَفِيهَا تُوفَّى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ^(٢) ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ الرَّيَّاحِيُّ^(٣) ،

(١) فِي م : « تِيَاذُوقُ » . وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي عَيُونِ الْأَنْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَطْبَاءِ ١٧٩ ، وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٤٧ ، وَالْوَافِي بِالْوَفَيَاتِ ٤٤٩/١٠ .

(٢) انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي طَبَقَاتِ خَلِيفَةِ ٦٠٩/٢ ، وَتَارِيخِ دِمَشْقَ ١٩٨/١٠ (مَخْطُوطٌ) ، وَتَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٤٠٢/١٧ ، وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ١٣١ ، وَمِرْآةُ الْجَنَانِ ١٨٠/١ .

(٣) انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ١١٢/٧ ، وَتَارِيخِ دِمَشْقَ ١٥٩/١٨ - ١٩١ ، وَأَسَدُ الْغَابَةِ ٢٣٥/٢ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٢٠٧/٤ ، وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٢٤١ ، وَتَذَكُّرَةُ الْحِفَافِ ٦١ - ٦٢ ، وَغَايَةُ النِّهَايَةِ ٢٨٤/١ ، وَالْإِصَابَةُ ٥١٤/٢ .

وسنان بن سلمة بن المحبتي^(١)، أحد الشجعان المذكورين، أسلم يوم الفتح، وتولى غزو الهند، وطال عمره.

وتوفى في هذه السنة محمد بن يوسف الثقفي^(٢)، أخو الحجاج، وكان أميراً على اليمن، وكان يلعن علياً على المناير، قيل: إنه أمر حُجراً المدري^(٣) أن يلعن علياً. فقال: بل لعن الله من يلعن علياً، ولعن الله على من لعنه الله. وقيل: إنه ورى في لعنه. فالله أعلم.

خالد بن يزيد بن معاوية أبو هاشم الأمويّ الدمشقي^(٤)، وكانت داره بدمشق، تلى دار الحجارة، وكان عالماً شاعراً، وينسب إليه شيء من علم الكيمياء، وكان يعرف شيئاً من علوم الطبيعة. روى عن أبيه ودحية الكلبي. وعنه الزهري، وغيره.

قال الزهري^(٥): كان خالد يصوم الأعياد كلها؛ الجمعة والسبت والأحد؛ يعنى يوم الجمعة وهو عيد المسلمين، ويوم السبت وهو عيد اليهود، والأحد للنصارى. وقال أبو زرعة الدمشقي^(٦): كان [١١٦/٧] هو وأخوه معاوية من

(١) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ١٢٤/٧، ٢١٢، والاستيعاب ٦٤٢/٢، وأسد الغابة ٣٥٧/٢، والوافي بالوفيات ٤٦١/١٥، والإصابة ١٨٦/٣، ٣٠٠.

(٢) انظر ترجمته في المعارف ٣٩٦، وثمار القلوب ٦٤٩، وتاريخ دمشق ١٤٣/١٦ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٧٠، والوافي بالوفيات ٢٤٢/٥.

(٣) في ٣١، ٢١، م: «المنذرى»، وفي الوافي: «المدني». وانظر موضع ترجمته في تاريخ الإسلام.

(٤) أسد الغابة ١١٣/٢، ووفيات الأعيان ٢٢٤/٢، وتهذيب الكمال ٢٠١/٨، وسير أعلام النبلاء ٣٨٢/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٥٥، والعبر ١٠٥/١، والوافي بالوفيات ٢٧٠/١٣، والإصابة ٣٧٦/٢.

(٥) تاريخ دمشق ٣٠٦/١٦.

(٦) تاريخ أبي زرعة ٣٥٨/١ (٧٥٦)، وتهذيب الكمال ٢٠٣/٨.

خيار القوم . وقد ذُكر للخلافة بعد أخيه معاوية بن يزيد ، وكان وليّ العهد من بعد مروان فلم يلتئم له الأمر ، وكان مروان زوج أمّه . ومن كلامه ^(١) : أقرب شيء الأجل ، وأبعد شيء الأمل ، وأرجى شيء العمل .

وقد امتدحه بعض الشعراء ، فقال ^(٢) :

سألت الندى والجود حُرّان أنتما ^(٣) فقالا جميعاً إننا لعبيد
فقلتُ ومن مولاكُما فتطاولا عليّ وقال خالِدُ بنُ يزيد
قال : فأمر له بمائة ألف ^(٤) .

^(٥) وكانت وفاته في هذا العام ، وقيل ^(٦) : في سنة أربع وثمانين . وقد ذُكر هناك ، والصحيح الأول ^(٥) .

(١) تاريخ دمشق ٣١١/١٦ ، وتهذيب الكمال ٢٠٣/٨ .

(٢) البستان في معجم الأدباء ٣٧/١١ ، ومختصر تاريخ دمشق ٣٧/٨ ، وسير أعلام النبلاء ٣٨٢/٤ - ٣٨٣ ، والوافي بالوفيات ١٣/٢٧٢ .

(٣ - ٣) في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « فردا وقال » .

(٤) بعده في ٣١ ، م ، ص : « قلتُ : وقد رأيتهما قد أنشدا في خالد بن الوليد ، رضى الله عنه ، فقال : وقال خالد بن وليد . والله أعلم . وخالد بن يزيد هذا كان أميراً على حمص ، وهو الذي بنى جامع حمص ، وكان له فيه أربعمائة عبد يعملون ، فلما فرغ منه اعتقهم ، وكان خالد يَغُصُّ الحجاج ، وهو الذي أشار على عبد الملك لما تزوج الحجاج بنت جعفر ، أن يرسل إليه فيطلقها ، ففعل . ولما مات مثنى الوليد في جنازته ، وصلى عليه . وكان قد تجدد على خالد اصفرار وضعف ، فسأله عبد الملك عن ذلك فلم يخبره ، فما زال به حتى أخبره أنه من حب رملة أخت مصعب بن الزبير ، فأرسل عبد الملك يخطبها لخالد ، فقالت : حتى يُطلق نساءه . فطلقهن وتزوجها ، وأنشد فيها الشعر » .

(٥ - ٥) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٦) تاريخ دمشق ٣١٥/١٦ ، وتهذيب الكمال ٢٠٧/٨ .

عبدُ اللَّهِ بنُ الزَّيْرِ بنِ سُلَيْمِ الأَسَدِيِّ الشَّاعِرُ أَبُو كَثِيرٍ^(١) ، ويقالُ : أبو سعيدٍ^(٢) . وهو مشهورٌ ، وقد على عبدُ اللَّهِ بنُ الزَّيْرِ ، فامتدَّحه فلم يُعْطِه شيئاً ، فقال^(٣) : لعنَ اللَّهُ ناقةً حملتني إليك . فقال ابنُ الزَّيْرِ : إنَّ وصاحبها .
يقالُ : إنه مات في زمنِ الحجاج .

(١) في الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، ص : «عبيد الله بن الزبير» . وانظر ترجمته في الأغاني ٢١٧/١٤ ، ومقاتل الطالبيين ١٠٨ ، ١٠٩ ، وسمط اللآلي ١/١٦٦ ، وتاريخ دمشق ٩/٢٩٧ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ٣/٣٨٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ١٠٨ ، والوفاء بالوفيات ١٧/١٨٠ ، ومعاهد التنصيب ٣/٣١٠ ، وخزانة الأدب ٢/٢٦٤ .
(٢) في م : «سعيد» . وانظر مصادر الحاشية السابقة .
(٣) تاريخ دمشق ٢٨/٢٦٠ ، وسير أعلام النبلاء ٣/٣٨٣ .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

فيها غزا الصائفة مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه عبد العزيز بن الوليد .

وفيها غزا مسلمة بلاد الترك حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان ، ففتح مدائن ، وحصونا كثيرة أيضا ،^(١) وكان الوليد قد عزل عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وأذربيجان ، ولأهما أخاه مسلمة بن عبد الملك^(٢) .

وفيها غزا موسى بن نصير بلاد المغرب ، ففتح مدنا كثيرة ،^(٣) ودخل في تلك البلاد ، ولج فيها حتى دخل أراضي غابرة قاصية ، فيها آثار قصور ويوت ليس بها ساكن ، ووجد هناك من آثار نعمة أهل تلك البلاد ما يلوح على سماتها أن أهلها كانوا أصحاب أموال ونعمة دائرة سايرة ، فبادوا جميعا فلا مخبر بها^(٤) .

وفيها مهد قتيبة بن مسلم بلاد الترك ، الذين كانوا قد نقضوا ما كانوا عاهدوه عليه من المصالحة ،^(٥) وذلك بعد قتال شديد وحرب يشيب لها الوليد ، وذلك أن ملوكهم كانوا قد اتعدوا في العام الماضي في أوان^(٦) الربيع أن يجتمعوا ويقاتلوا قتيبة ، وأن لا يؤلوا عن القتال حتى يخرجوا العرب من بلادهم . فاجتمعوا اجتماعا هائلا لم يجتمعوا مثله في موقف ، فكسرهم قتيبة^(٧) ، وقتل منهم أمما كثيرة ، ورد الأمور إلى ما كانت عليه ، حتى ذكر^(٨) أنه صلب منهم في

(١ - ١) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٢) في م : « أول » .

(٣) تاريخ الطبري ٤٤٧ / ٦ ، والكامل ٥٤٥ / ٤ .

بعض المواضع من جملة مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَسَارَى سِمَاطَيْنِ طَوْلُهُمَا أَرْبَعَةُ فَرَسِيخٍ مِنْ هَلْهِنَا وَهَلْهِنَا^(١)، وَاتَّبَعَ نِيرَكَ خَانَ مَلِكِ التُّرْكِ الْأَعْظَمِ مِنْ إِقْلِيمٍ إِلَى إِقْلِيمٍ، وَمِنْ كُورَةِ إِلَى كُورَةٍ، وَمِنْ رُسْتَاقٍ إِلَى رُسْتَاقٍ، وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِبَهُ وَدَائِبَهُ حَتَّى حَصَرَهُ فِي قَلْعَةٍ هُنَالِكَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَ نِيرَكَ خَانَ مِنَ الْأَطْعِمَةِ، وَأَشْرَفَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى الْهَلَاكِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ قَتِيْبَةً مَنْ جَاءَ بِهِ مُسْتَأْمَنًا^(٢) مَذْمُومًا مَخْذُولًا^(٣)، فَسَجَنَهُ عِنْدَهُ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ فِي أَمْرِهِ، فَجَاءَ الْكِتَابُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا بِقَتْلِهِ، فَجَمَعَ قَتِيْبَةَ الْأَمْرَاءِ، فَاسْتَشَارَهُمْ فِيهِ فَاخْتَلَفُوا عَلَيْهِ؛ فَقَائِلٌ يَقُولُ: اقْتُلْهُ. وَقَائِلٌ يَقُولُ: لَا تَقْتُلْهُ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْأَمْرَاءِ: إِنَّكَ أَعْطَيْتَ اللَّهَ عَهْدًا أَنَّكَ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ لَتَقْتُلْتَهُ، وَقَدْ أَمَكَّنَكَ اللَّهُ مِنْهُ. فَقَالَ قَتِيْبَةُ: وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي إِلَّا مَا يَسْعُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ لَقَتَلْتُهُ. ثُمَّ قَالَ: اقْتُلُوهُ اقْتُلُوهُ اقْتُلُوهُ. فَقَتَلَ هُوَ وَسَبْعُمَائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ^(٤)، وَأَخَذَ قَتِيْبَةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَخِيُولِهِمْ وَثِيَابِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ شَيْئًا كَثِيرًا^(٥)، وَفَتَحَ فِي هَذَا الْعَامِ مُدُنًا كَثِيرَةً، وَقَرَّرَ مَمَالِكَ كَثِيرَةً^(٦).

(١) بعده في: ٣١، ٢١، م، ص: «عن يمينه وشماله صلب الرجل منهم بجانب الرجل وهذا شيء كثير وقتل في الكفار قتلا ذريعا ثم لا يزال».

(٢ - ٣) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٣) بعده في ٣١، ٢١، م، ص - وهو تفصيل لما سبق إجماله: «وأخذ حصونا كثيرة مشحونة بالأموال والنساء، ومن آنية الذهب والفضة شيئا كثيرا. ثم سار قتيبة إلى الطالقان - وهي مدينة كبيرة وبها حصون وأقاليم - فأخذها واستعمل عليها، ثم سار إلى الفارياب، وبها مدن ورساتيق، فخرج إليه ملكها سامعا مطيعا فاستعمل عليها رجلا من أصحابه، ثم سار إلى الجوزجان فأخذها من ملكها واستعمل عليها، ثم أتى بلخ فدخلها وأقام بها نهرا واحدا، ثم خرج منها، وقصد نيزك خان بيغلان، وقد ترك نيزك خان عسكرًا على فم الشعب الذي منه يدخل إلى بلاده، وفي الشعب قلعة عظيمة تسمى شمسة لعلوها وارتفاعها واتساعها. فقدم على قتيبة الرؤب خان ملك الرؤب وسمنجان، فاستأمنه على أن يده على مدخل القلعة، فأمنه وبعث معه رجالًا إلى القلعة، فأتوها ليلاً ففتحوها وقتلوا خلقًا من أهلها =

قال الواقدي، وغيره^(١): وحجَّ بالناس في هذه [١١٦/٧] السنة أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، فلما قَرُب من المدينة أمر عمر بن عبد العزيز نائب المدينة أشراف المدينة فتلَّقَوْه، فرحَّب بهم، وأحسن إليهم، ودخل المدينة النبوية فأخلى له المسجد النبوي، فلم يبقَ به أحدٌ سِوى سعيد بن المسيَّب، لم يتجاسرَ أحدٌ أن يُخرِجه، وإنما عليه ثيابٌ لا تُساوِي خمسةَ دراهم، فقالوا له: تنحَّ عن المسجد أيُّها الشيخ، فإنَّ أمير المؤمنين قادمٌ. فقال: واللَّهِ لا أخرجُ منه. فدخل الوليد المسجد فجعل يدورُ فيه؛ يصلِّي ههنا وههنا، ويدعو اللهَ عزَّ وجل. قال عمرُ ابنُ عبد العزيز: وجعلتُ أعدلُ به عن موضعِ سعيدِ خشيةً أن يراه، فحانت منه التِّفَافَةُ فقال: من هذا، أهو سعيدُ بنُ المسيَّب؟ فقلتُ: نعم يا أمير المؤمنين، ولو علمَ بمكانِكَ^(٢) لقامَ إليك وسلَّم عليك. فقال الوليدُ: قد عِلِمْتُ^(٣) حاله، وجعل يدورُ في المسجد ويتفرَّجُ في عمارته ويسألُنِي عن سعيدِ بنِ المسيَّب، فقلتُ: إنَّه وإنَّه، وقصدتُ موافقته في ذلك^(٤)، فشرعَ الوليدُ يُثنِي عليه بالعلمِ والدين، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، إنَّه ضعيفُ البصرِ - وإنما قلتُ ذلك لأعْذِرَ له - فقال: نحنُ أحقُّ بالسعيِ إليه. فجاء فوقفَ عليه فسَلَّم عليه، فلم يَقمْ له سعيدٌ، ثم قال

= وهرب الباقي، ودخل قتيبة الشعب، وأتى سمنجان - وهي مدينة كبيرة - فأقام بها وأرسل أخاه عبد الرحمن خلف ملك تلك البلاد والمدن نيزك خان في جيش هائل، فسار خلفه إلى بغلان فحصره بها، وأقام يحاصره شهرين، حتى نفذ ما عنده من الأقوات، فأرسل قتيبة من عنده ترجمانا يسمى الناصح، فقال له: اذهب فائتني بنيزك خان، ولئن عدت إليّ وليس هو معك ضربت عنقك. وأرسل قتيبة معه هدايا وأطعمة فاخرة، فسار الترجمان إلى نيزك حتى أتاه وقدم إليه الأطعمة فوقع عليها أصحابه يتخاطفونها - وكانوا قد أجهدهم الجوع - ثم أعطاه الناصح الأمان، وحلف له، فقدم به على قتيبة ومعه سبعمائة أمير من أصحابه ومن أهل بيته جماعة. وكذلك استأمن قتيبة جماعة من الملوك فأمنهم وولى على بلادهم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) أخرجه الطبري في تاريخه ٤٦٥/٦ - ٤٦٦ من طريق الواقدي وأبى معشر.

(٢) في ٣١، ٢١، م، ص: «بأنك قادم».

(٣ - ٣) في ٣١، ٢١، م، ص: «بغضه لنا. فقلت: يا أمير المؤمنين إنه وإنه وشرعت أثني عليه».

الوليدُ : كيفَ الشيخُ؟ فقال : بخيرٍ والحمدُ لله ، كيفَ أميرُ المؤمنين؟ فقال الوليدُ : بخيرٍ والحمدُ لله وحده . ثم انصرف ، وهو يقولُ لعمر بن عبد العزيز : هذا بقيَّةُ^(١) الناس . فقال : أجل يا أمير المؤمنين .

قالوا^(٢) : ثم خطبَ الوليدُ على منبرِ رسولِ الله ﷺ ، فجلسَ في الخطبة الأولى ، وانتصب قائماً في الثانية ، وقال : هكذا خطبَ عثمانُ بنُ عفَّانَ . ثم انصرف فصرفَ على الناسِ من أهلِ المدينة ذهباً كثيراً ، وفضةً كثيرةً ، ثم كسا المسجدَ النبويَّ كسوةً من كسوة الكعبة التي معه ، وهي من ديباجٍ غليظ .

وتوفِّي في هذه السنة : السائبُ بنُ يزيدَ بنِ سعيدٍ^(٣) بنِ ثُمَامَةَ ، وقد حجَّ به أبوه مع رسولِ الله ﷺ ، وكان عمرُ السائبِ سبعَ سنين . رواه البخاريُّ^(٤) . فلهذا قال الواقديُّ^(٥) : إنه ولدَ سنةَ ثلاثٍ من الهجرة ، وتوفِّي في سنةٍ إحدى وتسعين . وقال غيره : سنة ست . وقيل : ثمانٍ وثمانين^(٦) . والله أعلم .

سهلُ بنُ سعيدٍ الساعديُّ^(٧) ، صحابيٌّ مدنيٌّ جليلٌ ، توفِّي رسولُ الله ﷺ وله من العمرِ خمسَ عشرةَ سنةً ، وكان ممنَ ختمه الحجاجُ في عنقه^(٨) في سنة أربعٍ وسبعين^(٩) هو وأنسُ بنُ مالكٍ ، وجابرُ بنُ عبدِ الله في يده ؛ ليُذلَّهم كيلاً يسمَعُ الناسُ من رأيهم ، قال الواقديُّ^(٩) : توفِّي سنة [١١٧/٧] إحدى وتسعين

(١) في النسخ : « فقيه » . والمثبت من تاريخ الطبري .

(٢) تاريخ الطبري ٤٦٦/٦ - ٤٦٧ ، والكامل ٥٥٥/٤ .

(٣) في م : « سعد » . وانظر ترجمته في : الاستيعاب ٥٧٦/٢ ، وأسد الغابة ٣٢١/٢ ، والإصابة ٢٦/٣ .

(٤) صحيح البخاري (١٨٥٩) .

(٥) تاريخ دمشق ١١٢/٢٠ ، وتهذيب الكمال ١٩٥/١٠ .

(٦) في ص : « ستين » . وانظر تهذيب الكمال ١٩٥/١٠ .

(٧) الاستيعاب ٦٦٤/٢ ، وأسد الغابة ٤٧٢/٢ ، والإصابة ٢٠٠/٣ .

(٨ - ٨) سقط من : م .

(٩) تهذيب الكمال ١٩٠/١٢ .

عن مائة سنة، وهو آخر مَنْ مات في المدينة من الصحابة. قال محمد بن
سعيد^(١): ليس في هذا خلاف. وقد قال البخاري وغيره^(٢): إنه توفّي سنة ثمان
وثمانين. والله أعلم.

(١) تهذيب الكمال ١٢/١٩٠.

(٢) التاريخ الكبير ٤/٩٧، ٩٨، وتهذيب الكمال ١٢/١٩٠.

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين

فيها غزا مسلمة، وابن أخيه عمر بن الوليد بلاد الروم، ففتحوا حصوناً كثيرة، وغنموا شيئاً كثيراً، وهربت منهم الروم إلى أقصى بلادهم.

وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير بلاد الأندلس في اثني عشر ألفاً، فخرج إليه ملكها أدرينوق^(١) في جحافل، وعليه تاجه ومعه سرير ملوكه، فقاتله طارق، فهزّمه وغنم ما في معسكره، فكان من جملة ذلك السرير، وتملك بلاد الأندلس بكمايها. قال الذهبي^(٢): كان طارق بن زياد أمير طنجة، وهي أقصى بلاد المغرب، وكان نائباً لمولاه موسى بن نصير، فكتب إليه صاحب الجزيرة الخضراء يستنجد به على عدوه، فدخل طارق إلى جزيرة الأندلس من رُقاق سبتة، وانتَهز الفرصة لكون الفرّج قد اقتتلوا فيما بينهم، وأمّن طارق في بلاد الأندلس فافتتح قرطبة، وقتل ملكها أدرينوق^(٣)، وكتب إلى موسى بن نصير بالفتح، فحسده موسى على الانفراد بهذا الفتح، وكتب إلى الوليد يشّره بالفتح وينسبه إلى نفسه، وكتب إلى طارق يتوعّده؛ لكونه دخل بغير أمره، ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به، ثم سار إليه مسرعاً بجيوشه، فدخل الأندلس، ومعه حبيب بن أبي عبيدة الفهري، فأقام سنين يفتح في بلاد الأندلس، ويأخذ المدين والأموال، ويقتل الرجال، ويأسر النساء والأطفال، فغنم شيئاً لا يحُدّ، ولا

(١) في الأصل، ٣١، ٢١: «ادرينون». وفي م: «أديقون»، وفي تاريخ الطبري: «أدرينوق». وانظر الكامل ٥٥٦/٤.

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٥٥، ٢٥٦.

(٣) في الأصل: «ادرينون»، وفي ٣١، ص: «الذريق»، وفي ٢١: «الذوق»، وفي م: «أدرينوق». والمثبت من الكامل ٥٥٦/٤.

يُوصَفُ ولا يُعَدُّ من الجواهرِ واليواقيتِ والذهبِ والفضةِ، ومن آنيةِ الذهبِ والفضةِ والأثاثِ، والخيُولِ والبغالِ، وغيرِ ذلك شيئاً كثيراً، وفتح من الأقاليمِ الكبارِ والمدنِ شيئاً كثيراً. وكان ممّا فتح مسلمةُ، وابنُ أخيه عمرُ بنُ الوليدِ من حصونِ بلادِ الرومِ حصنُ سُوسَنَةَ، وبلغا إلى خليجِ القسطنطينيةِ.

وفيهما فتح قتيبةُ بنُ مسلمٍ شومانَ، وكِسَّ^(١)، ونَسَفَ، وامتنع عليه أهلُ فريابَ فأحرقها، وجهَّزَ أخاه عبدَ الرحمنِ إلى الصُّغْدِ إلى طَرخُونِ خان ملكِ تلكِ البلادِ، فصالحه عبدُ الرحمنِ وأعطاه طَرخُونُ خان أموالاً كثيرةً، وقدم على أخيه وهو بُخَارَى فرجع إلى مَزَوَ، ولماً صالح طَرخُونُ عبدَ الرحمنِ ورحل عنه، اجتمعتِ الصُّغْدُ وقالوا لطرخونَ: إنَّكَ قد بُؤتَ بالذلِّ وأدبَتَ الجزيةَ، وأنتَ شيخٌ كبيرٌ فلا حاجةَ لنا فيكَ. ثم عزَّله وولَّوا عليهم غَزَكَ^(٢) خانَ أخا طَرخُونِ خان، ثم إنَّهم عصَّوا ونقضوا العهدَ، وكان من أمرِهِم ما سيأتى.

وفيهما غزا قتيبةُ سِجِسْتَانَ يريدُ رُئْبِيلَ ملكَ التركِ الأعظمَ، فلما انتهى إلى أولِ مملكةِ رُئْبِيلَ تلقَّتهُ رسلُهُ يريدون منه الصلحَ على أموالٍ عظيمةٍ؛ خيولٍ ورقيقٍ ونساءٍ من بناتِ الملوكِ، يُحمَلُ ذلك إليه، فصالحه.

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ نائبُ المدينةِ، رجمه اللهُ.

وتوفَّى فيها من الأعيانِ:

مالكُ بنُ أوسٍ بنِ الحَدَثانِ النصرى^(٣) أبو سعيدِ المدنيِّ، مختلفٌ فى

(١) فى النسخ: «كش». وانظر معجم البلدان ٤/٢٧٣.

(٢) فى الأصل، م: «غورك». وفى ٣١، ٢١، ص: «غور». والمثبت من الطبرى ٦/٤٦٢، وانظر الكامل ٤/٥٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٥٣.

(٣) فى الأصل: «البصرى». وفى ٣١، م: «النصرى». وانظر ترجمته فى الاستيعاب ٣/١٣٤٦، =

صحبته . وقال بعضهم^(١) : ركب الخيل في الجاهلية ورأى أبا بكر . وقال محمد ابن سعيد^(٢) : رأى رسول الله ﷺ ولم يحفظ منه شيئا . وأنكر ذلك ابن معين والبخاري وأبو حاتم ، وقالوا^(٣) : لا تصح له صحبة . والله أعلم . مات في هذه السنة ، وقيل^(٤) في التي قبلها . فالله أعلم .

طويس المغني^(٥) ، اسمه عيسى بن عبد الله ، أبو عبد المنعم المدني ، مولى بني مخزوم ، كان بارعا في صناعته ، وكان طويلا مضطربا^(٦) أحول العين^(٧) ، وكان مشغوما ؛ لأنه ولد يوم توفي رسول الله ﷺ ، وفطم يوم توفي الصديق ، واحتلم يوم قتل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وولد له يوم قتل الحسين بن علي ، وقيل : ولد له يوم قتل علي . حكاه ابن خلكان وغيره^(٨) . وكانت وفاته في هذه السنة عن اثنتين وثمانين سنة بالشويداء^(٩) ، وهي على مرحلتين من المدينة .

الأحطل^(١٠) ، كان شاعرا مطبقا ، فاق أقرانه في الشعر .

= وأسد الغابة ١١ / ٥ ، وتهذيب الكمال ١٢٢ / ٢٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٤٦٤ ، والإصابة ٧٠٩ / ٥ .

(١) انظر الطبقات ٥ / ٥٦ ، وتهذيب الكمال ١٢٢ / ٢٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٤٦٤ .

(٢) تهذيب الكمال ١٢٢ / ٢٧ . وعزاه المزي إلى ابن سعد في الصغير ، وهي الطبقات الصغرى .

(٣) تاريخ ابن معين ٣ / ٥٢ ، والتاريخ الكبير ٧ / ٣٠٥ ، والجرح والتعديل ٨ / ٢٠٣ .

(٤) تهذيب الكمال ١٢٤ / ٢٧ .

(٥) انظر ترجمته في الأغاني ٣ / ٢٧ ، ونهاية الأرب ٤ / ٢٤٦ ، ووفيات الأعيان ٣ / ٥٠٦ ، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٣٦٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٣٩٥ .

(٦) في ٣١ : «مطربا» .

(٧) في ٢١ : «العينين» .

(٨) وفيات الأعيان ٣ / ٥٠٧ ، والأغاني ٣ / ٢٧ ، ونهاية الأرب ٤ / ٢٤٦ .

(٩) في م : «بالسويد» .

(١٠) انظر ترجمته في : طبقات فحول الشعراء ١ / ٤٥١ ، والشعر والشعراء ١ / ٤٨٣ ، والأغاني ٨ / ٢٨٠ =

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين

فيها افتتح مشلمة بن عبد الملك حصوناً كثيرة من بلاد الروم؛ منها حصن الحديد، وغزاة، وماسة، وغير ذلك. وفيها غزا العباس بن الوليد ففتح سبسطية^(١). وفيها غزا مزوان بن الوليد الروم فبلغ خنجره^(٢).

وفيها كتب خوارزم شاه إلى قتيبة يدعوه إلى الصلح، وأن يعطيه من بلاده مدائن، وأن يدفع إليه أموالاً ورقياً كثيراً على أن يقابل أخاه، ويسلمه إليه؛ فإنه قد أفسد في الأرض وبغى على الناس [١١٧/٧ ط] وعسفهم، وكان أخوه هذا لا يسمع بشيء حسن عند أحد إلا بعث إليه فأخذه منه، سواء كان مالا، أو نساء، أو صبياناً، أو دواب، أو غيره. فأقبل قتيبة - نصره الله - في الجيوش، فسلم إليه خوارزم شاه ما صالحه عليه، وبعث قتيبة إلى بلاد أخى خوارزم شاه جيشاً، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا أخاه ومعه أربعة آلاف أسير^(٣)، فدفع أخاه إليه، وأمر قتيبة بالأسارى فضربت أعناقهم بحضرته؛ قتل ألفاً بين يديه، وألفاً عن يمينه، وألفاً عن شماله، وألفاً من وراء ظهره؛ ليذهب بذلك الأعداء، من الأتراك وغيرهم.

= وسير أعلام النبلاء ٥٨٩/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٨٤، وخزانة الأدب ٤٥٩/١.

(١) في النسخ، وتاريخ الطبري ٤٦٩/٦: «سمسطية»، والمثبت من الكامل ٥٧٨/٤، وانظر معجم البلدان ٣/٣٣.

(٢) في النسخ: «خنجرة». وانظر معجم البلدان ٢/٤٧٥.

(٣) بعده في ٣١، ٢١، م: «من كبارهم».

فتح سمرقند

وذلك أنَّ قتيبة لما فرغ من هذا كله ، وعزم على الرجوع إلى بلاده ، قال له بعض الأمراء^(١) : إنَّ أهل الصغد قد آمنوك عامك هذا ، فإن رأيت أن تعدل إليهم وهم لا يشعرون ، فإنك متى فعلت ذلك أخذتها إن كنت تريدها يوماً من الدهر . فقال قتيبة لذلك الأمير : هل قلت هذا لأحد ؟ قال : لا . قال : فلئن^(٢) يسمعه منك أحد أضرب عنقك . ثم بعث قتيبة أخاه عبد الرحمن بن مسلم بين يديه في عشرين ألفاً فسبقه إلى سمرقند ، ولحقه قتيبة في بقية الجيش ، فلما سمعت الأتراك بقدمهم إليهم ، انتخبوا من بينهم كل شديد السطوة من أبناء الملوك والأمراء ، وأمرهم أن يسيروا إلى قتيبة في الليل ، فيكبسوا جيش المسلمين . وجاءت الأخبار إلى قتيبة بذلك ، فجرد أخاه صالحاً في ستمائة فارس من الأبطال الذين لا يطاقون ، وقال : خذوا عليهم الطريق . فساروا فوقفوا لهم في أثناء الطريق وتفرقوا ثلاث فريقي ، فلما اجتازوا بهم في الليل - وهم لا يشعرون بأمرهم - ثاروا^(٣) عليهم فاقتتلواهم وإياهم ، فلم يفلت من أولئك الأتراك إلا نفر اليسير ، واحتزوا رءوسهم ، وغنموا ما كان معهم من الأسلحة المحلاة بالذهب ، والأمتعة ، وقال لهم بعض أولئك : تعلمون أنكم لم تقتلوا في مقامكم هذا إلا ابن ملك ، أو بطلاً من الأبطال المعدادين بمائة فارس أو بألف فارس . فتقلهم قتيبة جميع ما غنموه منهم من ذهب وسلاح .

(١) تاريخ الطبري ٤٧٢/٦ ، والكامل ٥٧١/٤ بنحوهما .

(٢) في الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، ص : « فلا » .

(٣) في م : « نادوا » .

واقترَب قتيبةٌ مِنَ المدينةِ العُظمى التى بالصُّغْدِ ، وهى سَمَرْقَنْدُ ، فنصَّب عليها
المجانيقَ فرماها بها ، وهو مع ذلك يقاتلهم لا يُقلِّع عنهم ، وناصحه مَنْ معه من
أهل بُخارى وخوارزمَ ، فقاتلوا أهلَ الصُّغْدِ قتالاً شديداً ، فأرسل إليه غُورُكُ ملكُ
الصُّغْدِ ^(١) : إنما تُقاتلنى بإخوتى ^(٢) وأهلِ بيتى ، فأخرج إلى ^(٣) العرب . فغضب
عند ذلك قتيبةٌ ، وميّر العرب من العجم وأمر العجمَ باعتزالهم ، وقَدَّم الشُّجعانَ
من العربِ ، [١١٨/٧] وأعطاهم جيّدَ السلاحِ ، وانتزعه من أيدي الجبّناء ،
وزحف بالأبطال على المدينة ، ورمأها بالمجانيقِ ، فتلّم فيها ثُلَمَةٌ ، فسدّها التركُ
بغرائِرِ الدُّخَنِ ، وقام رجلٌ منهم فوقها فجعل يَشْتُمُ قتيبةً ، فرماه رجلٌ من المسلمين
بسهمٍ فقلعَ عَيْنَه حتى خرّجت من قفاهُ ، فلم يلبث أن مات - قَبَّحه الله -
فأعطى قتيبةٌ الذى رماه عشرةَ آلاف . ثم دَخَلَ الليلُ ، فلَمَّا أَصْبَحُوا رماهم
بالمجانيقِ فتلّم أيضاً ثُلَمَةٌ وصعد المسلمون فوقها ، وتراموا هم وأهلُ البلدِ
بالنُّشابِ ، فقالت التركُ لقتيبةَ : ارجع عنا يومك هذا ، ونحن نصالحك غداً .
فرجع عنهم وصالحوه من الغدِ على ألفى ألفٍ ومائتى ^(٤) ألفٍ يحملونها إليه فى
كلِّ عامٍ ، وعلى أن يُعطوه فى هذه السنة ثلاثين ألفَ رأسٍ من الرقيقِ ، ليس فيهم
صغيرٌ ولا شيخٌ ولا عيبٌ ، وفى رواية ^(٥) : مائة ألفٍ من رقيقٍ ، وعلى أن يأخذَ
حليّةَ الأصنامِ وما فى بيوتِ النيرانِ ، وعلى أن يُخلُوا المدينةَ من المقاتلةِ حتى يبنى
فيها قتيبةٌ مسجداً ، ويُوضَعَ له فيه منبرٌ يخطُبُ عليه ، ويتغدّى ويخرُجُ ، فأجابوه

(١) فى ٢١ : « الترك » .

(٢) فى م : « باخوانى » .

(٣) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « فى » . وانظر تاريخ الطبرى ٤٧٤/٦ .

(٤) فى م : « مائة » ، وانظر تاريخ الطبرى ٤٧٥/٦ .

(٥) تاريخ الطبرى ٤٧٥/٦ ، والكمال ٥٧٣/٤ .

إلى ذلك . فلما دخلها قتيبة دخلها ومعه أربعة آلاف من الأبطال ، وذلك بعد أن بُني المسجد ووضِع فيه المنبرُ ، فصلَّى في المسجد ، وخطب وتغذى ، وأتى بالأصنام التي لهم فسلبت بين يديه ، وألقيت بعضها فوق بعض ، حتى صارت كالقصر العظيم ، ثم أمر بتحريقها ^(١) ، وقال المجوس : إنَّ فيها أصناماً قديمة من أحرقتها هلك . وجاء الملك غوزك ، فنهى عن ذلك ، وقال لقتيبة : إنني لك ناصح ^(٢) . فقال : أنا أحرقتها بيدي . ^(٣) ثم أخذ شعلة من نار ^(٤) ، ثم قام إليها وهو يكبرُ الله عز وجل ، وألقى فيها النارَ فاحترقت ، فوجد من بقايا ما كان فيها من الذهب خمسين ألف مثقال من ذهب .

وكان من جملة ما أصاب قتيبة في السبي جارية من ولد يزْدَجُرد ، ^(٥) فأهداها إلى الحجاج ، فأهداها إلى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد . ثم استدعى قتيبة بأهل سمرقند فقال لهم : إنني لا أريد منكم أكثر مما صالحتكم عليه ، ولكن لا بد من جندي يُقيمون عندكم من جهتنا . فانتقل عنها ملكها غوزك خان ، فتلا قتيبة : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴾ ^(٥٠) وَثُمُودًا فَمَا أَبْقَى . الآيات [النجم : ٥٠ ، ٥١] . ثم ارتحل عنها قتيبة إلى بلاد مرو ، واستخلف على سمرقند أخاه عبد الله بن مسلم ، وقال له : لا تدعن مشركاً يدخل باب سمرقند إلا مختوم اليد ، ثم لا تدعه بها إلا بمقدار ما تجف طينه ختمه ، فإن جفت وهو بها فاقتله ، ومن رأيته منهم ومعه حديدة أو سكينه فاقتله بها ، وإذا أغلقت الباب فوجدت بها أحداً منهم ^(٥) فاقتله .

(١) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « قنصارخوا وتباكوا » .

(٢) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « فقام قتيبة وأخذ في يده شعلة نار » .

(٣ - ٣) في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون » .

(٤ - ٤) سقط من : م . وانظر تاريخ الطبري ٦ / ٤٧٦ ، والكمال ٤ / ٥٧٤ .

(٥) سقط من : م .

فقال في ذلك كعبُ الأَشْقَرِيَّ^(١) - [١١٨/٧] ويُقال: هي لرجلٍ من جُفَيفِيٍّ^(٢) :

كلُّ يومٍ يَحْوِي قَتِيْبَةً نَهَبًا وَيَزِيدُ الْأَمْوَالَ مَالًا جَدِيدًا
 باهليّ قد أُلْبِسَ التَّاجَ حَتَّى شَابَ مِنْهُ مَفَارِقُ كَنْ سَوْدَا
 دَوْخُ الصُّغْدِ بِالْكَتَائِبِ حَتَّى تَرَكَ الصُّغْدَ بِالْعِرَاءِ قُعُودَا
 فَوَلِيدٌ يَبْكِي لِفَقْدِ أَبِيهِ وَأَبٌ مُوجِعٌ يُبْكِي الْوَلِيدَا
 كُلَّمَا حَلَّ بِلَدَةٍ أَوْ أَتَاهَا تَرَكَتْ خَيْلُهُ بِهَا أُخْدُودَا

وفى هذه السنة عزل موسى بن نصير نائب بلاد المغرب مولاه طارقاً عن الأندلس^(٣)، وكان قد بعثه إلى مدينة طليطلة ففتحها، فوجد فيها مائدة سليمان ابن داود، عليهما السلام، وفيها من الذهب والجواهر شيء كثير جداً، فبعثوا بها إلى الوليد بن عبد الملك، فما وصلت إليه حتى مات -^(٤) فيما قيل - فقدم بها على سليمان بن عبد الملك^(٥)، على ما سيأتي بيانه في موضعه .

(١) في الأصل: «الأسيري». وفى ٣١، ٢١، ص: «الأشترى». وانظر تاريخ الطبرى ٤٨٠/٦، والكمال ٥٧٥/٤.

(٢) فى الأصل، ٢١، ص: «جعن». وفى ٣١: «حمص». وانظر تاريخ الطبرى ٤٨٠/٦، والكمال ٥٧٥/٤.

(٣) تاريخ الطبرى ٤٨١/٦، والكمال ٥٧٦/٤، والمنظّم ٣٠٩/٦.

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م، ص: «وتولى أخوه سليمان بن عبد الملك فوصلت مائدة سليمان عليه السلام إلى سليمان».

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «وكان فيها ما يبهّر العقول، لم ير منظر أحسن منها. واستعمل موسى ابن نصير مكان مولاه ولده عبد العزيز بن موسى بن نصير. وفيها بعث موسى بن نصير العساكر وبثها فى بلاد المغرب، فافتتحوا مدناً كثيرة من جزيرة الأندلس منها قرطبة وطنجة، ثم سار موسى بنفسه إلى غرب الأندلس فافتتح مدينة باجة والمدينة البيضاء وغيرهما من المدن الكبار والأقاليم ومن القرى والرساتيق شيئاً كثيراً فكان لا يأتى مدينة فيبرج عنها حتى يفتحها أو ينزلوا على حكمه وجهاز البعث والسرايا غرباً وشرقاً وشمالاً فجعلوا يفتحون المغرب بلداً بلداً، وإقليماً إقليمياً، ويغنمون الأموال ويسبون الذراري والنساء، ورجع موسى بن نصير بغنائم وأموال وتحف لا تحصى ولا تعد كثرة».

وفيهما قحط أهل إفريقية ، وأجذبوا جذباً شديداً ، فخرج بهم موسى بن نصير يستسقى بهم ، فما زال يدعو حتى انتصف النهار ، فلما أراد أن ينزل عن المنبر قيل له : ألا تدعو لأمير المؤمنين ؟ قال : ليس هذا الموضع موضع ذاك .^(١) فسقاهم الله^(٢) مطراً غزيراً^(٣) .

وفيهما ضرب عمر بن عبد العزيز خبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سوطاً بأمر الوليد له بذلك ، وصب فوق رأسه قربة من ماء بارد في يوم شات^(٤) ، وأقامه على باب المسجد يومه ذلك فمات ، رحمه الله . فكان عمر بن عبد العزيز بعد موت خبيب شديد الخوف لا يأمن ، وكان إذا بُشِّر بشيء ، من أمر الآخرة يقول^(٥) : وكيف وخبيب لي بالطريق ؟ وفي رواية يقول : هذا إذا لم يكن خبيب بالطريق . ثم يصيح صياح المرأة الثكلى ، وكان إذا أُتِيَ عليه يقول^(٦) : خبيب ، وما خبيب ! إن نجوت منه فأنا بخير . وما زال على المدينة إلى أن ضرب خبيبا فمات ؛ فاستقال ، وركبه الحزن والخوف من حينئذ ، وأخذ في الاجتهاد في العبادة والبكاء ، وكانت تلك هفوة منه وزلة ، ولكن حصل له بسببها خير كثير ؛ من عبادة وبكاء وحزن وخوف وإحسان وعدل وصدقة وبر وعتي ، وغير ذلك . وفيها افتتح محمد بن القاسم - وهو ابن عم الحجاج بن يوسف - مدينة الذَّيْل^(٧) ، وغيرها من بلاد الهند ، وكان قد ولّاه الحجاج غزو الهند ، وعمره

(١ - ١) في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « فلما قال هذه المقالة أرسل الله عليهم الغيث فأمطروا » .

(٢) بعده في م : « وحسن حالهم وأخصبت بلادهم » . وانظر المصادر السابقة .

(٣) في م : « شتاء بارد » .

(٤) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٤٣ بنحوه .

(٥) سير أعلام النبلاء ١٢٠/٥ بنحوه .

(٦) مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند . معجم البلدان ٦٣٨/٢ .

سبع عشرة سنة، فسار في الجيوش فلقوا الملك داهر - وهو ملك الهند - في جمع عظيم، ومعه سبعة وعشرون فيلاً منتخبة، فاقتتلوا، فهزمهم الله، وهرب الملك داهر، فلما كان الليل أقبل الملك ومعه خلق كثير جداً، ^(١) فأحاطوا بالمسلمين، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل الملك داهر وغالب من معه، وتبع المسلمون من انهزم من الهنود فقتلوه. ثم سار محمد بن القاسم فافتتح مدينة الكيرج ^(٢)، وبرّها، ورجع بغنائم كثيرة وأموال لا تحصى كثرة، من الجواهر والذهب وغير ذلك ^(٣).

وفيها عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن إمرة المدينة، وكان سبب ذلك أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الوليد يخبره عن أهل العراق أنهم في ضيم وضيق مع الحجاج من ظلمه وغشيه، فسمع بذلك الحجاج فكتب إلى الوليد ^(٤): إن عمر ضعيف عن إمرة المدينة، وإن جماعة من أهل الشر من أهل العراق قد لجئوا إلى ^(٥) المدينة ومكة، وهذا وهن وضعف في الولاية، فاجعل على الحرمين من يضبط أمرهما، فول على المدينة عثمان بن حيان، وعلى مكة خالد بن عبد الله القسري. ففعل ما أمره به الحجاج، فخرج عمر بن عبد العزيز من المدينة في شوال فنزل السويداء، وقدم عثمان بن حيان المدينة لليلتين بقيتا من شوال من هذه السنة.

وحج بالناس فيها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) في م: «الكيرج». انظر فتوح البلدان ٥٣٩، ٥٤١.

(٣) بعده في ٣١، ٢١، م، ص زيادة من الناسخ.

(٤) تاريخ الطبري ٦/٤٨١، ٤٨٢.

(٥ - ٥) سقط من: م.

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ النَّضْرِ بْنِ ضَمْضَمٍ بْنِ زَيْدٍ بْنِ حَرَامٍ بْنِ جُنْدَبٍ بْنِ عَامِرِ
ابْنِ عَنَمٍ بْنِ عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ ، أَبُو حَمْزَةَ - [١١٩/٧] وَيُقَالُ : أَبُو ثُمَامَةَ -
الْأَنْصَارِيُّ النَّجَّارِيُّ ^(١) ، خَادِمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبُهُ ، وَأُمُّهُ أُمُّ حَرَامٍ مُلَيْكَةُ بِنْتُ
مِلْحَانَ بْنِ خَالِدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَرَامٍ ، زَوْجَةُ أَبِي طَلْحَةَ زَيْدِ بْنِ سَهْلِ الْأَنْصَارِيِّ .
رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَادِيثَ جَمَّةً ، وَأَخْبَرَ بَعْلُومَ مَهْمَةٍ ، وَرَوَى عَنْ أَبِي
بَكْرٍ ، وَعَمَرَ ، وَعِثْمَانَ ، وَابْنِ مَسْعُودٍ ، وَغَيْرِهِمْ ، وَحَدَّثَ عَنْهُ خَلْقٌ مِنَ التَّابِعِينَ .
قَالَ أَنَسٌ ^(٢) : قَدِيمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةِ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سَنِينَ ، وَتُوفِّيَ وَأَنَا ابْنُ
عَشْرِينَ سَنَةً .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ثُمَامَةَ قَالَ ^(٣) : قِيلَ
لَأَنَسٍ : أَشْهَدْتَ بَدْرًا ؟ فَقَالَ : وَأَيْنَ أَغِيبُ عَنْ بَدْرِ ، لَا أَمُّ لَكَ ؟ قَالَ الْأَنْصَارِيُّ :
شَهِدَهَا يَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . قَالَ شَيْخُنَا الْحَافِظُ أَبُو الْحَجَّاجِ الْمَزِّي ^(٤) : لَمْ يَذْكُرْ
ذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ أَصْحَابِ الْمَغَازِي . قُلْتُ : الظَّاهِرُ أَنَّهُ إِنَّمَا شَهِدَ مَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ
الْمَغَازِي ^(٥) . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) الاستيعاب ١/ ١٠٩ ، وأسد الغابة ١/ ١٥١ ، والإصابة ١/ ١٢٦ .

(٢) مسلم (٢٠٢٩/١٢٥) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٩/ ٣٦١ ، والمزى في تهذيب الكمال ٣/ ٣٦٧ ، والذهبي في
سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٧ ، كلهم من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري به .

(٤) تهذيب الكمال ٣/ ٣٦٨ .

(٥) في الأصل : « المشاهد » .

وقد ثبت^(١) أَنَّ أُمَّه أَتَتْ بِهِ - وَفِي رِوَايَةٍ^(٢) عَنْهُ زَوْجُ أُمِّهِ أَبُو طَلْحَةَ - إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا أَنْسٌ خَادِمٌ لِيَبْتَ يَخْدُمُكَ . فَوَهَبَتْهُ [لَهُ]^(٣) فَقَبِلَهُ ، وَسَأَلَتْهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ » . وَثَبِتَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ^(٤) : كُنَّا نِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَقْلَةٍ^(٥) كُنْتُ أَجْتَنِّيْهَا . وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عَمَرُ عَلَى عِمَالَةِ الْبَحْرَيْنِ ، وَشَكَرَاهُ فِي ذَلِكَ .

^(٦) وَقَدْ ثَبِتَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ^(٧) : خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا ضَرَبَنِي ، وَلَا سَبَّيْنِي ، وَلَا عَبَسَ فِي وَجْهِي ، وَلَا قَالَ لِي لَشَيْءٍ : « لِمَ لَا فَعَلْتَ كَذَا ؟ » وَقِيلَ^(٨) : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا لَهُ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ كَثِّرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ ، وَطَوِّلْ حَيَاتَهُ » . وَكَانَ أَنْسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَثِيرَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْعِبَادَةِ^(٩) .

وقد انتقل بعد النبي ﷺ فسكن البصرة ، وكان له بها أربع دُور ، وقد ناله أذى من جهة الحجاج ، وذلك في فتنة ابن الأشعث ؛ توهم الحجاج منه أنه داخل^(٩) في الأمر ، وأنه أفتى فيه ، فختمه الحجاج في عنقه : هذا عتيق الحجاج .

(١) صحيح البخارى (٦٣٣٤ ، ٦٣٤٤) ، ومسلم (٢٤٨٠ ، ٢٤٨١) وفيهما : « وبارك له فيما أعطيته » بدلا من : « وأدخله الجنة » .

(٢) طبقات ابن سعد ١٩/٧ .

(٣) فى النسخ : « منه » . وما أثبتناه إنما هو لمقتضى المعنى .

(٤) الترمذى (٣٨٣٠) ، والطبرانى فى الكبير ٢١٠/١ (٦٥٦) : ضعيف (ضعيف سنن الترمذى

(٨٠٢) .

(٥) فى م ، ص : « نخلة » .

قال ابن الأثير : أى كناه أبا حمزة ، وقال الأزهرى : البقلة التى جناها أنس كان فى طعمها لذع فسميت حفزة بفعلها . يقال : رمانة حامزة . أى فيها حموضة . النهاية لابن الأثير ١/ ٤٤٠ .

(٦ - ٦) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٧) تاريخ دمشق ٩/ ٣٤١ ، ٣٤٢ ، بنحوه مطوًلاً . وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٨ .

(٨) تاريخ دمشق ٩/ ٣٤٩ ، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٩ .

(٩) فى ٣١ ، ٢١ : « مداخله » ، وفى م : « له مداخله » .

وقد شكاه أنس - كما قدّمنا - إلى عبد الملك ، فكتب إلى الحجاج يعثفه ، ففزع الحجاج من ذلك وصالح أنسا . وقد وفد أنس على الوليد بن عبد الملك في أيام ولايته ، قيل : في سنة ثنتين وتسعين ، وهو يبنى جامع دمشق .

قال مكحول^(١) : رأيت أنسا يمشى في مسجد دمشق فقمْتُ إليه فسألته عن الوضوء من الجنابة [١١٩/٧ ط] فقال : لا وضوء .

وقال الأوزاعي^(٢) : حدّثنى إسماعيل بن عبيد الله^(٣) بن أبي المهاجر ، قال : قديم أنس على الوليد ، فقال له الوليد : ماذا سمعت من رسول الله ﷺ يذكر به الساعة ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنتم والساعة كهاتين » . وزواه عبد الرزاق بن عمر^(٤) ، عن إسماعيل ، قال : قديم أنس على الوليد في سنة ثنتين وتسعين . فذكره .

وقال الزهري^(٥) : دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت : ما يُبكيك ؟ قال : لا أعرفُ ممّا كان عليه^(٦) رسول الله ﷺ وأصحابه إلا هذه الصلاة ، وقد صَنَعْتُمْ فيها ما صَنَعْتُمْ^(٧) . وفي رواية^(٨) : وهذه الصلاة قد

(١) تاريخ دمشق ٩/٣٣٤ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٢٢٣ ، من طريق الأوزاعي به .

(٣ - ٣) في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « عبد الله » ، وانظر أطراف المسند ١/٢٧٩ .

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٩/٣٣٦ ، من طريق عبد الرزاق بن عمر به . بنحوه .

(٥) صحيح البخاري (٥٢٩) من طريق غيلان وليس من طريق الزهري .

(٦) سقط من : م .

(٧) في الأصل ، ٣١ : « ضيعتم » . وكذا في صحيح البخاري ، وما أثبتناه موافق لإحدى نسخ البخاري .

وانظر فتح الباري ٢/١٣ .

(٨) صحيح البخاري (٥٣٠) من طريق الزهري به .

صُيِّعَتْ . يعنى ما كان يفعلهُ خلفاءُ بنى أُمَيَّةٍ مِنْ تأخيرِ الصلاةِ إلى آخرِ وقتِها الموسعِ ؛ كانوا يواظِبُونَ على التأخيرِ إلَّا عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ فى أيامِ خلافتهِ كما سيأتى .

وقال عبدُ بنُ حميد^(١) ، عن عبدِ الرزاقِ ، عن جعفرِ بنِ سليمانَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : جاءت بى أُمُّ سُليمٍ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وأنا غلامٌ ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ^(٢) ، أنيسُ فادعُ اللَّهَ له . فقال : « اللَّهُمَّ اكْثِرْ مَالَهُ وولَدَهُ وأَدْخِلْهُ الجنةَ » . قال : فقد رأيتُ اثنتينِ وأنا أرجو الثالثةَ . وفى رواية^(٣) : قال أنسٌ : فواللَّهِ إِنَّ مَالِي لكثيرٌ حتى إِنَّ نَحْلِي وكَرْمِي ليُثْمِرُ فى السَّنةِ مرَّتينِ ، وإنَّ وَلَدِي وولَدَ وَلَدِي ليتعادُونَ على نحوِ المائةِ . وفى رواية^(٤) : وإنَّ وَلَدِي لِصُلْبِي مائةٌ وستةٌ . ولهذا الحديثِ طُرُقٌ كثيرةٌ وألفاظٌ منتشرةٌ جدًّا . وفى رواية : قال أنسٌ^(٥) : وأخبرتنى ابنتى أُمَيْنَةُ^(٦) أَنَّهُ دُفِنَ لِصُلْبِي إلى حينِ مَقْدَمِ الحجاجِ عشرونَ ومائةً . وقد تقصَّى ذلك بطريقه وأسانيده وأورد ألفاظه الحافظُ ابنُ عساكرَ فى ترجمةِ أنسٍ^(٧) ، وقد أوردنا طرفًا مِنْ ذلك فى كتابِ دلائلِ النبوةِ فى أواخرِ السيرةِ^(٨) . ولِلَّهِ الحمدُ .

(١) المنتخب من مسند عبد بن حميد (١٢٥٣) .

(٢) بعده فى م : « خويدمك » .

(٣) طبقات ابن سعد ١٩/٧ ، ٢٠ ، وتاريخ دمشق ٣٤٥/٩ ، وتهذيب الكمال ٣/٣٦٤ ، ٣٦٥ .

(٤) تاريخ دمشق ٣٤٩/٩ ، وتهذيب الكمال ٣/٣٦٥ ، وسير أعلام النبلاء ٣/٣٩٩ .

(٥) صحيح البخارى (١٩٨٢) .

(٦) فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « أمنة » .

(٧) تاريخ دمشق ٣٤٥/٩ - ٣٥٥ .

(٨) تقدم فى ٨/٣٠١ .

وقال ثابتٌ لأنس^(١) : هل مسّت يدُكَ كفّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : نعم .
قال : فأعطينها أقبّلها .

وقال محمدُ بنُ سعيد^(٢) ، عن أبي نعيم ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن
المنهال بن عمرو ، قال : كان أنسٌ صاحبَ نعلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وإداوته . وقال
محمدُ بنُ سعيد^(٣) ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن المثني بن سعيد الذّارع^(٤) ، قال :
سمعتُ أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ : [١٢٠/٧] ما مِن ليلةٍ إلّا وأنا أرى فيها حبیبی ﷺ
ثم ييكى .

وقال أبو داود^(٥) : ثنا الحكم بن عطية ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : إننى
لأرجو أن ألقى رسولَ اللَّهِ ﷺ فأقول : يا رسولَ اللَّهِ خوّيدمك .

وقال الإمام أحمد^(٦) : حدّثنا يونس ، ثنا حرب بن ميمون ، عن النضر بن
أنس ، عن أنس ، قال : سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أن يشفعَ لى يومَ القيامةِ ، قال :
« أنا فاعلٌ » . قلتُ : فأين أطلبُك يومَ القيامةِ يا نبيّ اللَّهِ ؟ قال : « اطلبننى أولَ ما
تطلبننى على الصّراطِ » . قلتُ : فإذا لم ألقَكَ ؟ قال : « فأنا عندَ الميزانِ » . قلتُ :
فإن لم ألقَكَ عندَ الميزانِ ؟ قال : « فأنا عندَ الحوضِ ، لا أُخطئُ هذهَ الثلاثِ
مواطنَ يومَ القيامةِ » . ورواه الترمذى وغيره^(٧) من حديثِ حرب بن ميمون أبي^(٨)

(١) تاريخ دمشق ٣٥٧/٩ .

(٢) الطبقات ٤٨٢/١ ، من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين .

(٣) الطبقات ٢٠/٧ .

(٤) فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « الذّراع » .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٥٩/٩ ، من طريق أبي داود به .

(٦) المسند ١٧٨/٣ .

(٧) الترمذى (٢٤٣٣) ، وروى وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٥٩/٩ - ٣٦١ عدة روايات مدارها

على حرب بن ميمون به . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٩٨١) .

(٨) فى الأصل ، ٣١ ، ص : « بن » .

الخطاب^(١) الأنصارى به ، وقال : حسنٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقال شعبة^(٢) ، عن ثابت ، قال : قال أبو هريرة : ما رأيت أحداً أشبه صلاةً برسول الله ﷺ من ابن أم سليم ، يعنى أنس بن مالك . وقال أنس^(٣) بن سيرين : كان أحسن الناس صلاةً فى الحضر والسفر . وقال أنس^(٤) : « يا ثابت^(٥) خذ منى ، فإننى أخذت من رسول الله ﷺ ، وأخذ رسول الله ﷺ عن الله عز وجل ، ولست تجد أوثق منى .

وقال معتمر بن سليمان^(٦) ، عن أبيه ، سمعت أنسا يقول : ما بقى أحدٌ صلى^(٨) القبليتين غيرى .

وقال محمد بن سعيد^(٩) : حدثنا عفان ، حدثنى شيخٌ لنا يكئى أبا حُباب^(١٠) سمعتُ الجريرى^(١١) يقول : أحرم أنس من ذات عرق ، فما سمعناه متكلمًا إلا

(١) بعده فى الأصل : « صاحب الأعية » ، وفى ٣١ ، ص : « صاحب الأعمه » ، وفى ٢١ : « صاحب الأعمسه » ، وفى م : « صاحب الأعمش » . والمثبت من الترمذى . والذى أشارت إليه النسخ بذكر « صاحب الأعمية » هو ميمون بن حرب الأصغر ، أبو عبد الرحمن ، وهو خلط وقع فيه غير واحد . انظر تهذيب الكمال ٥٣١/٥ - ٥٣٨ .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٦٢/٩ ، من طريق شعبة به .

(٣) سقط من : ٢١ ، م . والخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٦٢/٩ .

(٤) الترمذى (٣٨٣١) بنحوه ، والحاكم فى المستدرک ٥٧٤/٣ . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٨٠٣) .

(٥ - ٥) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧) صحيح البخارى (٤٤٨٩) .

(٨) بعده فى الأصل ، م : « إلى » .

(٩) الطبقات ٢٢/٧ ، من طريق محمد بن عبد الله الأنصارى عن أبى حباب ، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٦٦/٩ ، من طريق محمد بن سعد عن عفان بن مسلم ، عن أبى حباب به .

(١٠) فى ٢١ ، ص : « حباب » ، وفى م : « جناب » .

(١١) فى م : « الحريرى » .

بذكرِ الله عزَّ وجلَّ حتى أحلَّ ، فقال لى : يا ابنَ أخى ، هكذا الإحرام .

وقال صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف^(١) : ^(٢) « دخل علينا أنس يوم الجمعة ، ونحن فى بعض آيات أزواج النبي ﷺ نتحدث ، فقال : مه . فلما أُقيمت الصلاة قال : إني أخاف أن أكون قد أبطلتُ جمعتى بقولى لكم : مه . وقال ابنُ أبى الدنيا^(٣) : ثنا بشار بن موسى الخفاف ، ثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، قال : كنتُ مع أنس^(٤) فجاء قهرمانه^(٥) فقال : يا أبا حمزة ، عطِشتُ أرضنا . قال : فقام أنس فتوضأ ، وخرج إلى البرية ، فصلّى ركعتين ، ثم دعا ، فرأيتُ السحاب يلثم ثم مطرت حتى^(٥) ملأت كلَّ شىء ، فلما سکن المطر ، بعث أنس بعض أهله ، فقال : انظروا أين بلغت السماء . فنظر فلم تعد أرضه إلا يسيرا .

وقال الإمام أحمد^(٦) : حدَّثنا معاذ بن معاذ ، ثنا ابنُ عوف ، عن محمد ، قال : كان أنس إذا حدَّث عن رسولِ الله ﷺ حديثاً ففرغ منه قال : أو كما قال رسولُ الله ﷺ .

وقال [١٢٠/٧] الأنصارى^(٧) ، عن ابنِ عوف^(٨) ، عن محمد ، قال : بعث

(١) تاريخ دمشق ٣٦٥/٩ .

(٢ - ٢) فى الأصل : « دخلنا على » .

(٣) مجابو الدعوة (٤٤) .

(٤ - ٤) فى م : « فجاءت قهرمانه » .

(٥) بعده فى م : « خيل إلينا أنها » .

(٦) المسند ٢٠٥/٣ .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٦٨/٩ ، من طريق الأنصارى به .

(٨) فى م : « عوف » .

أَمِيرٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ إِلَى أَنَسٍ شَيْئًا مِنَ الْفَنَاءِ ، فَقَالَ : أَحْمُسُ ؟ قَالَ : لَا . فَلَمْ يَقْبَلْهُ .
وَقَالَ النَّضْرُ بْنُ شَدَّادٍ^(١) ، عَنْ أَبِيهِ : مَرِضَ أَنَسٌ ، فَقِيلَ لَهُ : أَلَا نَدْعُو لَكَ
الطَّيِّبَ ؟ فَقَالَ : الطَّيِّبُ أَمْرَضَنِي .

وَقَالَ حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ^(٢) : ثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّقَاشِيُّ ، ثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، ثَنَا
عَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ ، قَالَ : كُنْتُ فِي الْقَصْرِ مَعَ الْحَجَّاجِ وَهُوَ يَعْرِضُ النَّاسَ لِيَالِي ابْنِ
الْأَشْعَثِ ، فَجَاءَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ : هِيَ يَا خَبِيثُ ، جَوَّالٌ فِي الْفِتَنِ ؛ مَرْءٌ
مَعَ عَلِيٍّ ، وَمَرْءٌ مَعَ ابْنِ الزَّيْبِرِ ، وَمَرْءٌ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، أَمَّا وَالَّذِي نَفْسُ الْحَجَّاجِ بِيَدِهِ
لَأَسْتَأْصِلَنَّكَ كَمَا تُسْتَأْصَلُ الصَّمْغَةُ ، وَلَأُجَرِّدَنَّكَ^(٣) كَمَا يُجَرَّدُ الضَّبُّ . قَالَ : يَقُولُ
أَنَسٌ : « مَنْ يَعْنِي » الْأَمِيرُ ؟ قَالَ إِيَّاكَ أَعْنِي ، أَصَمَّ اللَّهُ سَمْعَكَ . قَالَ : فَاسْتَرْجِعْ
أَنَسٌ ، وَشُغِلَ الْحَجَّاجُ فَخَرَجَ أَنَسٌ فَتَبِعْنَاهُ إِلَى الرَّحْبَةِ ، فَقَالَ : لَوْلَا أَنِّي ذَكَرْتُ
وَلَدِي^(٤) وَخِفْتُهِ عَلَيْهِمْ^(٥) لَكَلَّمْتُهُ بِكَلَامٍ فِي مَقَامِي هَذَا لَا يَسْتَحْسِنُنِي^(٦) بَعْدَهُ أَبَدًا .
وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ^(٨) أَنَّ أَنَسًا بَعَثَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَشْكُو إِلَيْهِ الْحَجَّاجَ
وَيَقُولُ^(٩) فِي كِتَابِهِ : إِنِّي خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ^(١٠) سَنِينَ ، وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ

-
- (١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٦٨/٩ ، من طريق النضر به .
(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٧٢/٩ ، من طريق حنبل بن إسحاق به .
(٣) في م : « لأجردنك » . ومعنى « لأجردنك » أى لأسلختك ، لأن الضَّبَّ إذا سُوى مجرد من جلده .
النهاية ٢٥٧/١ .
(٤ - ٤) في ٣١ ، ٢١ ، ص : « إياى يعنوا » . وفى م : « إياى يعنى » .
(٥) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « وفى رواية لولا أنى ذكرت أولادى الصغار » .
(٦) بعده في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « ما باليت أى قتلة أقتل و » .
(٧) في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « لا يستخفنى » .
(٨) تاريخ دمشق ٣٧١/٩ - ٣٧٢ ، وتهذيب الكمال ٣/٣٧٣ ، ٣٧٤ .
(٩ - ٩) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .
(١٠) فى مصادر التخرىج : « تسع » .

اليهود والنصارى ^(١) «أدركوا رجلاً» خدّم نبيّهم لأكرموا. ^(٢) وذكر له أذية الحجاج له ، فلما قرأ عبد الملك كتابه حصل عنده أمرٌ عظيمٌ ، فكتب إليه يقول : ويلك ، لقد خشيْتُ أن لا يصلحَ على يدَيَّ ^(٣) أحدٌ . وذكر له كلاماً فيه غِلظةٌ ويقولُ فيه ^(٤) : إذا جاءك كتابي فقم إلى أنسٍ واعتذر إليه . فجاء ^(٥) كتابُ عبد الملك إلى الحجاج بالغِلظة ^(٦) في ذلك ، فهمّ ^(٧) أن ينهضَ إليه ، فأشار إسماعيلُ بنُ عبد الله ابن أبي المهاجر ، الذي قديم بالكتاب ، ^(٨) «أن لا يذهبَ إلى أنسٍ ، وأشار ^(٩) على أنسٍ أن يُبادرَ الحجاجَ بالمُصالحة - وكان إسماعيلُ صديقَ الحجاج - فجاء أنسُ فقام إليه الحجاج يتلقاه ، وقال : إنما مثلي ومثلك ^(١٠) كما قيل ^(١١) : إياك أعني واسمعي يا جارة . أردتُ أن لا يبقى لأحدٍ عليّ منطبقٌ .

وقال ابنُ قتيبة ^(٨) : كتبَ عبدُ الملكِ إلى الحجاج لما قال لأنسٍ ما قال : يا ابنَ المُستقرمة ^(٩) بحب ^(١٠) الزبيب ، لقد هممتُ أن أركلك ركلةً تهوى بها إلى نارٍ

(١ - ١) في ٣١، ٢١، م ، ص : «رأوا من» .

(٢ - ٢) في ٣١، ٢١، م ، ص : «وأنا قد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين . فكتب عبد الملك إلى الحجاج كتاباً فيه كلام جد وفيه» .

(٣) في الأصل : «يدك» والمثبت من مصادر التخريج .

(٤ - ٤) في ٣١، ٢١، م ، ص : «أبي حمزة فترضاه وقبل يده ورجله ، وإلا حل بك مني ما تستحقه فلما جاء» .

(٥ - ٥) في ٣١، ٢١، م ، ص : «والشدة هم» .

(٦ - ٦) في الأصل : «الحجاج» .

(٧ - ٧) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص .

(٨) غريب الحديث ٣/ ٧٠٩ ، ٧١١ ، ٧١٢ .

(٩) في الأصل : «المستفري» ، وفي ٣١ : «المستكفرة» ، وفي ٢١ ، ص : «المستفرة» ، وفي م : «المستقرمة» . والمثبت من مصدر التخريج .

(١٠) في م : «عجب» .

جهنم، قاتلك الله أخيفش العيتين، أُقْبِلَ^(١) الرجلين، أسود الجاعرتين^(٢). ومعنى قوله: المستقرمة^(٣) بحب^(٤) الزيب. أى: تُضَيِّقُ فرجها عند الجماع به. ومعنى: أركلك. أى: أرفسك برجلي. وسيأتى بسط ذلك فى ترجمة الحجاج فى سنة خمس وتسعين.

[١٢١/٧] وقال أحمد بن صالح العجلئ^(٥): لم يُبْتَلْ أحدٌ من الصحابة إلا رجلين؛ مُعْقِيب، كان به الجذام، وأنس بن مالك، كان به وَضَح. وقال الحميدى^(٦)، عن سفيان بن عُيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبى جعفر، قال: رأيت أنسا يأكلُ فرأيتُه يلقمُ لُقْمًا عظامًا، ورأيتُ به وَضَحًا شديدًا.

وقال أبو يعلى^(٧): حدثنا^(٨) عبيد الله^(٩) بن معاذ بن معاذ^(١٠) العنبري، ثنا أبى، ثنا عمران^(١١)، عن أيوب، قال: ضعف أنس عن الصوم فصنع^(١٢) جفنة من ثريد^(١٣)

(١) فى ٣١، م، ص: «أقبل». والأقبل: والأفجع؛ وهو الذى تتدانى صدور قدميه ويتباعد عقباهما. النهاية ٩/٤.

(٢) فى ٣١، ٢١، ص: «الجايزتين». وفى م: «العاجزين».

(٣) فى الأصل: «المستقرة». وفى ٣١، ص: «المستقرمة». وفى ٢١: «المستقرة». وفى م: «المستقرة». والمثبت من مصدر التخريج.

(٤) فى م: «عجب».

(٥) تاريخ دمشق ٣٧٥/٩.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٧٦/٩، من طريق الحميدى بنحوه. كما أخرجه ابن عساكر - فى الموضع نفسه - من طريق محمد بن حرب المكي بلفظ المصنف.

(٧) مسند أبى يعلى ٢٠٤/٧ (٤١٩٤). قال الهيثمى فى المجمع ١٦٤/٣: «... ورجاله رجال الصحيح».

(٨ - ٨) فى م: «عبد الله».

(٩ - ٩) فى ٣١، ٢١، م، ص: «بن يزيد».

(١٠ - ١٠) فى ٣١، ٢١، م، ص: «طعاما».

ودعا ثلاثين مسكينًا فأطعمهم . وذكره البخاري تعليقًا ^(١) . وقال شعبة ^(٢) ، عن موسى الشُّبُلَانِي ^(٣) ، قلتُ لأنس : أنت آخِرُ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : قد بقي قومٌ مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَأَمَّا مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَنَا آخِرُ مَنْ بَقِيَ . وقيل له في مرضه ^(٤) : أَلَا ندعو لك طبيبًا ؟ فقال : الطَّيِّبُ أَمْرَضَنِي . وجعل يقول : لَقُنُونِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . وهو مُحْتَضِرٌ ، فلم يَزَلْ يَقُولُهَا حَتَّى قُبِضَ . وكان عنده غُصَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ مَعَهُ .

قال عمرُ بْنُ شَبَّةٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ ^(٥) : مات وله مائةٌ وسبعُ سنين . وقال الإمامُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ ^(٦) : حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ حُمَيْدٍ أَنَّ أَنَسًا عُمَرُ مِائَةَ سَنَةٍ غَيْرَ سَنَةٍ ^(٧) . قال الواقدي ^(٨) : وهو آخِرُ مَنْ مَاتَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِالْبَصْرَةِ . وكذا قال عليُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ وَالْفَلَاسُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ ^(٩) . وقد اختلفَ المؤرِّخونَ فِي سَنَةِ وَفَاتِهِ ^(١٠) ، فقليل : سَنَةُ تِسْعِينَ . وقيل : إِحْدَى وَتِسْعِينَ . وقيل : ثَنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ . وقيل : ثَلَاثَ وَتِسْعِينَ . وهذا هو المشهورُ وعليه الجمهورُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) فتح الباري ٨ / ١٨٠ ، باب ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا ... ﴾ . وانظر تعليق التعليق ١٧٧ / ٤ .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٩ / ٣٧٩ ، من طريق شعبة به . وانظر تهذيب الكمال ٣ / ٣٧٦ . (٣) في م : « السبلوي » .

(٤) تاريخ دمشق ٩ / ٣٧٨ . وتقدم من طريق النضر بن شداد عن أبيه ص ٤٥٣ من هذا الجزء . (٥) تاريخ دمشق ٩ / ٣٧٨ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، وطبقات ابن سعد ٧ / ٢٥ ، وتهذيب الكمال ٣ / ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

(٦) المسند ٣ / ١٢٤ .

(٧) في م : « ستة » .

(٨) طبقات ابن سعد ٧ / ٢٦ .

(٩) تاريخ دمشق ٩ / ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٤ .

(١٠) تاريخ دمشق ٩ / ٣٧٩ - ٣٨٥ .

وقال الإمام أحمد^(١) : حَدَّثَنِي أَبُو نَعِيمٍ قَالَ : تُوِّفِيَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَجَابِرُ بْنُ زَيْدٍ فِي جُمُعَةٍ وَاحِدَةٍ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتَسْعِينَ .

وقال قتادة^(٢) : لَمَّا مَاتَ أَنَسٌ ، قَالَ مُورِقُ الْعِجْلِيُّ : ذَهَبَ الْيَوْمَ نَصْفُ الْعِلْمِ . قِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ ذَاكَ يَا أَبَا الْمُعْتَمِرِ ؟ قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ ، إِذَا خَالَفُونَا فِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قُلْنَا لَهُمْ : تَعَالَوْا إِلَى مَنْ سَمِعَهُ مِنْهُ .

عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رِبْعَةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْرُومٍ ، الْخَزْرُومِيُّ ، الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ^(٣) ، يُقَالُ : إِنَّهُ وُلِدَ يَوْمَ تُوِّفِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَخَتِنَ يَوْمَ مَقْتَلِ عَثْمَانَ ، وَتَزَوَّجَ يَوْمَ مَقْتَلِ عَلِيٍّ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَكَانَ مَشْهُورًا بِالتَّغَزُّلِ الْمَلِيحِ الْبَلِيغِ ، كَانَ يَتَغَزَّلُ فِي امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا : الثَّرَيَّا بِنْتُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأُمَوِيَّةِ . وَقَدْ تَزَوَّجَهَا سَهْلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ الزَّهْرِيُّ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ [١٢١/٧ ط] عُمَرُ بْنُ أَبِي رِبْعَةَ^(٤) :

أَيُّهَا الْمُنَكِّحُ الثَّرَيَّا سَهِيلًا عَمَرَكِ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسَهِيلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي
وَمِنْ مُسْتَجَادٍ شَعْرِهِ مَا أَوْرَدَهُ الْقَاضِي ابْنُ خُلُكَانَ^(٥) :

حَيِّ طَيْفًا مِنَ الْأَحْبَةِ زَارَا بَعْدَ مَا صَرَّعَ^(٦) الْكَرَى السَّمَارَا

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٨٤/٩ ، من طريق أحمد بن حنبل به .

(٢) التاريخ الكبير ٢٨/٢ ، وتاريخ دمشق ٣٨٦/٩ .

(٣) انظر ترجمته في : الشعر والشعراء ٥٥٣/٢ ، والأغاني ٦١/١ ، ووفيات الأعيان ٤٣٦/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٣٧٩/٤ .

(٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٥٠٣ .

(٥) وفيات الأعيان ٤٣٩/٣ ، والأبيات في ديوانه ص ٤٩٣ .

(٦) في النسخ : « برح » . والمثبت من مصدرى التخريج .

طارقاً في المنام تحت^(١) دُجى الليل لي ضنيئاً^(٢) بأن يزور نهارا
قلت ما بالنا مجفينا وكنا قبل ذاك الأسماع والأبصارا
قال إنا كما عهدت ولكن شغل الحلى أهله أن يعاراً^(٣)

(١) في النسخ: «بعد». والمثبت من مصدر التخريج.

(٢) في الأصل: «حقينا». وفي ٣١، م، ص: «خفينا».

(٣) بعده في ٣١، م، ص: «بلال بن أبي الدرداء ولي إمرة دمشق، ثم ولي القضاء بها، ثم عزله عبد الملك بأبي إدريس الخولاني». كان بلال حسن السيرة، كثير العبادة، والظاهر أن هذا القبر الذي يباب الصغير الذي يقال له: قبر بلال. إنما هو قبر بلال بن أبي الدرداء، لا قبر بلال بن خمامة مؤذن رسول الله ﷺ، فإن بلالاً المؤذن دفن بدازنا. والله أعلم. بسر بن سعيد المدني، السيد العابد الفقيه، كان من العباد المنقطعين، الزهاد المعروفين، توفى بالمدينة. زرارة بن أوفى بن حاجب العامري، قاضي البصرة، كان من كبار علماء أهل البصرة وصلحائها، له روايات كثيرة، قرأ مرة في صلاة الصبح سورة المدثر فلما بلغ ﴿إِذَا يُقْرَأُ﴾ [المدثر: ٨] خر ميتاً. توفى بالبصرة وعمره نحو سبعين سنة. خبيب بن عبد الله بن الزبير، ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد له في ذلك فمات، ثم عُزل عمر بعده بأيام قليلة، فكان يتأسف على ضربه له ويكي. مات بالمدينة. حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب المدني، له روايات كثيرة، وكان من الصالحين. توفى بالمدينة. سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد الأموي، أحد الأشراف بالبصرة، كان جواداً ممدحاً، وهو أحد الموصوفين بالكرم، قيل: إنه أعطى بعض الشعراء ثلاثين ألفاً. فروة بن مجالد قيل: إنه كان من الأبدال، أمير مرة وهو في غزوة هو وجماعة معه، فأتوا بهم الملك، فأمر بتقييدهم وحبسهم في المكان والاحتراز عليهم إلى أن يصبح، فبصر فيهم رأيته، فقال لهم فروة: هل لكم في المضي إلى بلادنا؟ فقالوا: أو ما ترى ما نحن فيه من الضيق؟ فلمس قيودهم بيده فزال عنهم، ثم أتى باب السجن فلمسه بيده فانفتح، فخرجوا منه ومضوا، فأدركوا جيش المسلمين قبل وصولهم إلى البلد. أبو الشعثاء جابر بن زيد كان لا يماكس في ثلاث؛ في الكزي إلى مكة، وفي الرقة يشترها للعتق، وفي الأضحية. وقال: لا تماكس في شيء يقترب به إلى الله. وقال ابن سيرين: كان أبو الشعثاء مسلماً عند الدينار والدرهم. قلت: كما قيل:

إنني رأيت فلا تظنوا غيره أن التورع عند هذا الدرهم

فإذا قدزت عليه ثم تركته فاعلم بأن ثقاك تقوى المسلم

وقال أبو الشعثاء: لأن أتصدق بدرهم على يتيم ومسكين أحب إلي من حجة بعد حجة الإسلام. كان أبو الشعثاء من الذين أوتوا العلم، وكان يفتى في البصرة، وكان الصحابة مثل جابر بن عبد الله، إذا سأله أهل البصرة عن مسألة يقول: كيف تسألونا وفيكم أبو الشعثاء؟ وقال له ابن عمر: يا جابر بن زيد، إنك من فقهاء البصرة، وإنك ستشتفتي فلا تفتين إلا بقرآن ناطق، أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت غير =

= ذلك ، فقد هلكك وأهلكك . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت أحدا أعلم بفقيا من جابر بن زيد . وقال
إياس بن معاوية : أدركت أهل البصرة ، ومفتيهم جابر بن زيد من أهل عمان . وقال قتادة لما دُفِن جابر بن
زيد : اليوم دفن أعلم أهل الأرض . وقال سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، قال أبو الشعثاء : كتب
الحكم بن أيوب نفرا للقصاء أنا أحدهم - أى عمرو - فلو أتى ابتليت بشيء منه ، لركبت راجلتى وهربت
فى الأرض . وقال أبو الشعثاء : نظرت فى أعمال البر ، فإذا الصلاة تُجهَد البدن ولا تُجهَد المال ، والصيام
مثل ذلك ، والحج يُجهَد المال والبدن ، فرأيت أن الحج أفضل من ذلك . وأخذ مرة قصبة من حائط ، فلما
أصبح ردها فى الحائط ، وكان الحائط لقوم فقال : لو كان كل من مر به أخذ منه قصبة ، لم يبق منه
شيء . وقال أبو الشعثاء : إذا جئت يوم الجمعة إلى المسجد ، فقف على الباب وقل : اللهم اجعلنى اليوم
أوجه من توجه إليك ، وأقرب من تقرب إليك ، وأنجح من دعاك ، ورغب إليك . وقال سيار : حدثنا
حماد ابن زيد ، ثنا الحجاج بن أبى عيينة ، قال : كان جابر بن زيد يأتينا فى مصلانا ، قال : فأتانا ذات
يوم ، وعليه نعلان خلقان ، فقال : مضى من عمرى ستون سنة نعلان هاتان أحب إلى مما مضى منه إلا أن
يكون خيرا قدمته . وقال صالح الدهان : كان جابر بن زيد إذا وقع فى يده درهم شتوق كسره ورمى به ؛
لئلا يقر به مسلم . الشقوق ؛ الدرهم المغاير أو الدغل ، وقيل : هو المغشوش . وروى الإمام أحمد ، حدثنا
أبو عبد الصمد العمى ، حدثنا مالك بن دينار قال : دخل على جابر بن زيد وأنا أكتب المصحف ، فقلت
له : كيف ترى صنعتى هذه يا أبا الشعثاء ؟ قال : نغم الصنعة صنعتك ، تنقل كتاب الله من ورقة إلى
ورقة ، وآية إلى آية ، وكلمة إلى كلمة ، هذا الحلال لا بأس به . وقال مالك بن دينار : سأله عن قوله
تعالى ﴿ إِذَا لَادَقْنَكَ الْحَيَوَةُ ضَعْفَ أَلَمَاتٍ ﴾ [الإسراء : ٧٥] . قال : ضعف عذاب الدنيا ،
وضعف عذاب الآخرة ، ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ لَاعِلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ . وقال سفيان : حدثنى أبو عمير ، الحارث بن
عمير ، قال : قالوا لجابر بن زيد عند الموت : ما تشتهى أو ما تريد ؟ قال : نظرة إلى الحسن . وفى رواية عن
ثابت قال : لما نُقِل على جابر بن زيد ، قيل له : ما تشتهى ؟ قال : نظرة إلى الحسن . قال ثابت : فأتيت
الحسن فأخبرته ، فركب إليه ، فلما دخل عليه ، قال لأهله : أرفدوني فجلس ، فما زال يقول : أعوذ بالله
من النار وسوء الحساب . وقال حماد بن زيد : حدثنا حجاج بن أبى عيينة ، عن هند بنت المهلب بن أبى
صفرة - وكانت من أحسن النساء - وذكروا عندها جابر بن زيد ، فقالوا : إنه كان إباضيا . فقالت : كان
جابر بن زيد أشد الناس انقطاعا إلى والى أمى ، فما أعلم شيئا كان يقرئنى إلى الله ، عز وجل ، إلا أمرنى
به ، ولا شيئا يبعدنى عن الله إلا نهانى عنه ، وما دعانى إلى الإباضية قط ، ولا أمرنى بها ، وإن كان
ليأمرنى أن أضع الحمار ، ووضعت يدها على الجبهة . أسند عن جماعة من الصحابة ، ومعظم روايته عن
ابن عمر ، وابن عباس ، وقد صرح فى المخطوط ٣١ ، أنها زيادة .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين

فيها غزا العباس بن الوليد أرض الروم ، ف قيل ^(١) : إنه فتح أنطاكية ^(٢) .

وغزا أخوه عبد العزيز بن الوليد فبلغ غزاة ، وبلغ الوليد بن هشام المعيطي أرض برج الحمام ، وبلغ يزيد بن أبي كبشة أرض سورية .

وفيها كانت الرجفة بالشام .

^(٣) وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك سندرة من أرض الروم .

وفيها فتح الله على الإسلام فتوحات عظيمة في دولة الوليد بن عبد الملك ، على يدى أولاده وأقربائه وأمرائه ، حتى عاد الجهاد شبيها بأيام عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ^(٤) .

وفيها افتتح القاسم بن محمد الثقفي أرض الهند ، ^(٥) وغنم أموالا لا تعد ، ولا توصف ^(٦) ، وقد ورد في غزو الهند حديث ^(٧) رواه الحافظ ابن عساكر وغيره ^(٨) .

وفيها غزا قتيبة بن مسلم الشاش ^(٩) وفرغانة ^(١٠) حتى بلغ خجندة ^(١١) ،

(١) تاريخ الطبرى ٤٨٣/٦ ، والكامل ٥٨٢/٤ .

(٢) فى النسخ ، والطبرى ، والكامل : « أنطاكية » . والصواب ما أثبتناه . فأنطالية بلدة على الساحل . معجم البلدان ٣٨٨/١ . أما أنطاكية فهى فى الداخل وفتحت أيام عمر بن الخطاب ، كما فى فتوح البلدان ١٧٤/١ ، ١٧٥ ، والكامل ٤٩٤/٢ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) تقدم تخريجه فى ٢١٨/٩ . ورواية ابن عساكر لم أقف عليها .

(٥) من بلاد ما وراء النهر ثم ما وراء نهر سيحون ، متاخمة لبلاد الترك . معجم البلدان ٢٣٣/٣ .

(٦) مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان . معجم البلدان ٨٧٨/٣ .

(٧) بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون ، متاخمة لفرغانة . معجم البلدان ٤٠٤/٢ .

وكاشان^(١) مدينتي فَوْغَانَة، وذلك بعدَ فراغِهِ من الصُّغْدِ، وفتحِ سَمَرْقَنْدَ،^(٢) ثم خاضَ تلكَ البلادَ، يفتحُ فيها حتى وصلَ إلى كابلَ، فحاصرها وافتتحها^(٣)، وقد لقيَهِ المشركونَ في جموعٍ هائلةٍ من التركِ فقاتلَهُم قتيبةٌ عندَ خُجَنْدَة مِرَارًا. كلُّ ذلكَ يكونُ الظَّفَرُ له^(٤).

قال ابنُ جريرٍ^(٥): وقد قال سَخْبَانُ واثِلُ يذكُرُ قتالَهُم بِخُجَنْدَة^(٦):

فسلِ الفوارسَ في خُجَنْدَ	لدةً تحتَ مُرهفةِ العوَالِي
هلَ كنتُ أَجمَعُهُم ^(٧) إذا	هُزِمُوا وأُقدِمُ في قِتَالِي
أَمْ كنتُ أَضربُ هامةَ الـ	عَاتِي وَأُضِيرُ لِلنُّزَالِ
هذا وَأنتَ قَريعُ قِيـ	سٍ كُلُّهَا ضَخْمُ التَّوَالِ
وفضلتَ قيسًا في التَّدَى	وأبوكَ في الحِجَجِ الخوَالِي
تَمَّتْ مروءتُكُم ^(٨) ونا	عَى ^(٩) عَزُكُم غُلْبَ الجِبَالِ
ولقدُ تبينَ عدلُ حُكـ	جِكَ فيهِمُ في كلِّ مَالِ ^(١٠)

هكذا ذَكَرَ ابنُ جريرٍ أنَّ هذا من شعرِ سَخْبَانِ واثِلٍ في هذه الغزوة. وقد

-
- (١) مدينة بما وراء النهر، على بابها وادي أخسيكث. معجم البلدان ٢٢٧/٤.
(٢ - ٢) سقط من: الأصل. وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٦٠.
(٣ - ٣) في ٣١، ٢١، م، ص: «وظفر بهم، وأخذ البلاد منهم، وقتل منهم خلقا وأسر آخرين، وغنم أموالا كثيرة».
(٤) تاريخ الطبری ٤٨٤/٦. وانظر الكامل ٥٨١/٤.
(٥) بعده في ٣١، ٢١، م، ص: «التي هي قرية من بلاد الصين ألياتا في ذلك».
(٦) في الأصل، ٣١، ٢١، ص: «أحيمهم».
(٧ - ٧) في الأصل، ٣١، ٢١، ص: «ونامي».
(٨) في ٢١، والكامل: «حال».

ذكرنا ما أوردته ابنُ الجوزي في منتظمه^(١)؛ أنَّ سحبانَ مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان بعدَ الخمسين، فالله أعلم.

مقتل سعيد بن جبير، رحمه الله

قال ابنُ جرير^(٢): وفي هذه السنة [١٢٢/٧] قتل الحجاج بن يوسف سعيدَ ابنَ جبير، وكان سبب ذلك أنَّ الحجاج كان قد جعله على نفقاتِ الجند حين بعثه مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى قتالِ رُثَيْل، فلما خلعه ابنُ الأشعث، خلعه معه سعيدُ بنُ جبير، فلما ظفر الحجاج بابن الأشعث وأصحابه، هرب سعيدُ بنُ جبير إلى أصبهان، فكتب الحجاج إلى نائبها أن يبعثه إليه،^(٣) فلما سمع بذلك سعيدُ هرب^(٤) منها، ثم كان يعتري في كلِّ سنة ويحجُّ، ثم إنه لجأ إلى مكة، فأقام بها إلى أن وليها خالد بن عبد الله القسري، فأشار من أشار على سعيد بالهرب منها، فقال^(٥) سعيد: والله لقد استحييت من الله، ثم أفر ولا مفر من قدره!؟

وتولَّى على المدينة عثمان بن حيان بدلَ عمر بن عبد العزيز، فجعل يبعث من بالمدينة من أصحاب ابن الأشعث من أهل العراق إلى الحجاج في القيود، فتعلم منه خالد بن عبد الله القسري، فعين من عنده من مكة؛ سعيد بن جبير، وعطاء

(١) في م: «منتظم». وانظر المنتظم ٢٨٣/٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤٨٧/٦ - ٤٩١. وانظر الكامل ٥٧٩/٤، ٥٨٠.

(٣ - ٣) في الأصل: «فهرب».

(٤ - ٤) في الأصل: «قد».

ابن أبي رباح، ومجاهد بن جبر^(١)، وعمر بن دينار، وطلق بن حبيب.

ويقال: إن الحجاج كتب^(٢) إلى الوليد يُخبره أن بمكة أقوامًا من أهل الشقاق، فبعث خالدًا بهؤلاء إليه، ثم عفا عن عطائهم، وعمر بن دينار؛ لأنهما من أهل مكة، وبعث بأولئك الثلاثة؛ فأما طلق فمات في الطريق قبل أن يصل، وأما مجاهد فحُبس^(٣) حتى مات الحجاج.

وأما سعيد بن جبير فإنه لما وقف بين يدي الحجاج، قال له: يا سعيد، ألم أشركك في أمانتي؟ ألم أستعملك؟ ألم أفعل، ألم أفعل؟ كل ذلك يقول: نعم. حتى ظن من عنده أنه سيخلى سبيله، حتى قال له: فما حملك على أن خرجت عليّ، وخلعت بيعة أمير المؤمنين؟ فقال سعيد: إن ابن الأشعث أخذ مني البيعة على ذلك، وعزم عليّ. فغضب عند ذلك الحجاج غضبًا شديدًا، وانتفخ حتى سقط أحد طرفي رداءه عن منكبيه، وقال له: ويحك، ألم أقدم مكة، فقتلت ابن الزبير، وأخذت بيعة أهلها، وأخذت بيعتك لأمر المؤمنين عبد الملك؟ قال: بلى. قال: ثم قدمت الكوفة واليا على العراق فجددت لأمر المؤمنين البيعة فأخذت بيعتك له ثانية؟ قال: بلى. قال: فتنكث بيعتين لأمر المؤمنين، وتفي بواحدة للحائك ابن الحائك؟ يا حرسى، اضرب عنقه. قال: فضربت عنقه، فندر^(٤) رأسه، عليه لاطئة صغيرة بيضاء.

(١) في ٣١: «جبر». وهو مجاهد بن جبر، ويقال له: ابن جبير. انظر تهذيب الكمال ٢٧/٢٢٨. وعلق محقق الطبري، قال: مجاهد هو أبو حصين عثمان بن عاصم. وهو خلط، فليسا بواحد؛ فأبو

حصين من الرواة عن مجاهد. وانظر تهذيب الكمال ١٩/٤٠١، ٢٧/٢٣١.

(٢) في ٣١، ٢١، م، ص: «أرسل».

(٣) بعده في ٣١، ٢١، م، ص: «فما زال في السجن».

(٤) في م: «فندر».

^(١) وقال الواقدي: «لَمَّا أَوْقَفَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَدَامَ الْحِجَابِ، قَالَ: يَا شَقِيئُ بْنُ كُسَيْرٍ، أَمَا قَدِمْتَ الْكَوْفَةَ فَجَعَلْتُكَ إِمَامًا؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: أَمَا [١٢٢/٧] وَلَيْتَكَ الْقَضَاءَ، فَضَجَّ أَهْلُ الْكَوْفَةِ: إِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لِلْقَضَاءِ إِلَّا عَرَبِيٌّ. فَجَعَلْتُ أَبَا بُرْدَةَ، وَأَمَرْتُهُ أَنْ لَا يَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: أَمَا أُعْطِيتَ مِائَةَ أَلْفٍ تُفَرِّقُهَا عَلَى أَهْلِ الْحَاجَةِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَمَا أَخْرَجَكَ عَلَيَّ؟ قَالَ: بَيْعَةٌ كَانَتْ فِي عُنُقِي لِابْنِ الْأَشْعَثِ. فَغَضِبَ الْحِجَابُ، وَقَالَ: أَمَا كَانَتْ بَيْعَةٌ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي عُنُقِكَ مِنْ قَبْلُ؟ ثُمَّ قَالَ ^(٢): أَكْفَرْتَ إِذْ خَرَجْتَ عَلَيَّ؟ فَقَالَ: مَا كَفَرْتُ مِنْذُ آمَنْتُ. فَقَالَ: اخْتَرِ أَيْ قِتْلَةَ أَقْتُلُكَ. فَقَالَ: اخْتَرِي أَنْتِ، فَإِنَّ الْقِصَاصَ أَمَامَكَ. فَقَالَ الْحِجَابُ: يَا حَرْسِي، اضْرِبْ عُنُقَهُ. وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَتَسْعِينَ، بِوَاسِطِ، وَقَبْرِهِ ظَاهِرٌ يُرَآرُ.

وَلَمَّا قَتَلَهُ خَرَجَ مِنْهُ دَمٌ كَثِيرٌ حَتَّى رَاعَ الْحِجَابُ، فَدَبَعَا طَبِيبًا، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ ^(٣): إِنَّكَ قَتَلْتَهُ وَنَفْسُهُ مَعَهُ، وَقَلْبُهُ حَاضِرٌ. وَقِيلَ ^(٤): إِنْ الْحِجَابُ رُئِيَ فِي الْمَنَامِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ فَقَالَ: قَتَلَنِي بِكُلِّ رَجُلٍ قَتَلْتُهُ قَتْلَةً، وَقَتَلَنِي بِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ قَتْلَةً. وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(٥).

(١ - ١) فِي ٣١، ٢١، م، ص: «وَقَدْ ذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ نَحْوَ هَذَا، وَقَالَ لَهُ: أَمَا أُعْطِيتَ مِائَةَ أَلْفٍ؟ أَمَا فَعَلْتَ، أَمَا فَعَلْتَ؟».

(٢) وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٣٧٣/٢، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٨١ - ١٠٠هـ). ص ٣٦٧، ٣٦٨، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٣٢٨/٤، وَالْوَفَى بِالْوَفَيَاتِ ٢٠٧/١٥، بِنَحْوِهِ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ الْوَاقِدِيِّ.

(٣) تَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٦٨، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٣٣٨/٤.

(٤) وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٣٧٤/٢، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٦٨، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٣٤٠/٤، ٣٤١، بِنَحْوِهِ.

(٥) وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٣٧٤/٢، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٦٩، بِنَحْوِهِ.

قال ابن جرير^(١) : فحدثت عن أبي غسان مالك بن إسماعيل ، قال : سمعتُ خلفَ بنَ خليفةَ يذكرُ عن رجلٍ ، قال : لما قتل الحجاجُ سعيدَ بنَ جُبَيْرٍ فنَدَرَ رأسه ، هللَ ثلاثاً ؛ مرةً يفصحُ بها ، وفي الثنتين يقولُ مثلَ ذلك ، لا يفصحُ بها . وذكرَ أبو بكرٍ^(٢) الباهليُّ قال^(٣) : سمعتُ أنسَ بنَ أبي شيخٍ يقولُ : لما أتى الحجاجُ بسعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : لعنَ اللهَ ابنَ النصرانيةِ - يعني خالدًا القسريَّ ، وكان هو الذي أرسلَ به مِن مكةَ - أما كنتُ أعرفُ مكانه ؟! بلى واللهِ ، والبيتَ الذي هو فيه بمكةَ . ثم أقبلَ عليه ، فقال : يا سعيدُ ، ما أخرجك عليَّ ؟ فقال : أصْلَحَ اللهُ الأميرَ ، أنا امرؤٌ من المسلمين ، يُخطئُ مرةً ويصيبُ أخرى ، فطابت نفسُ الحجاجِ وتطَلَّقَ وجهه ، ورجا الحجاجُ أن يتخلَّصَ مِن أمره ، ثم عاودَه في شيءٍ ، فقال سعيدٌ : إنما كانت يبعةٌ في عُقْبِي ، فغَضِبَ عندَ ذلك الحجاجُ ، وكان ما كان من قتله .

وذكرَ عتَّابُ بنُ بشيرٍ^(٤) ، عن سالمِ الأفطسِ ، قال^(٥) : أتى الحجاجُ بسعيدِ ابنِ جبيرٍ ، وهو يريدُ الركوبَ ، وقد وَضَعَ إحدى رجليه في الغرَزِ ، فقال : واللهِ لا أركبُ حتى تتبوأَ مقعدَكَ من النارِ ، اضربوا عنقه . فضربت عنقه . قال : والتبسَ الحجاجُ في عقله مكانه ، فجعلَ يقولُ : ^(٦) « قيوْدنا قيوْدنا » . فظنُّوا أنه يريدُ القيودَ

(١) تاريخ الطبري ٤٨٩/٦ .

(٢) في الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، ص : « بكرة » . وهو كذلك بإحدى نسخ الطبري .

(٣) تاريخ الطبري ٤٨٩/٦ ، ٤٩٠ ، بنحوه .

(٤) في النسخ ، ومصدر التخريج : « بشر » . والصواب ما أثبتناه . انظر التاريخ الكبير للبخاري ٥٦/٧ ، وطبقات ابن سعد ٤٨٥/٧ ، وطبقات خليفة ٨٢٧/٢ ، وتهذيب الكمال ٢٨٦/١٩ ، وشذرات الذهب ٣٢٠/١ .

(٥) تاريخ الطبري ٤٩٠/٦ ، بنحوه .

(٦) (٦ - ٦) في ٢١ : « قيدونا قيدونا » .

التي على سعيد، فقطعوا رجليه من أنصاف ساقيه، وأخذوا القيود.

وقال محمد بن^(١) حاتم: ثنا عبد الملك [١٢٣/٧] بن عبد الله،^(٢) عن هلال ابن خباب^(٣)، قال^(٤): جيء بسعيد بن جبير إلى الحجاج، فقال: كتبت إلى مصعب بن الزبير؟ فقال: «بل كتب^(٥) إلى مصعب». قال: والله لأقتلنك. قال: إني إذا لسعيد، كما سئلتني أمي. قال: فقتله، فلم يلبث الحجاج بعده إلا أربعين يومًا، فكان إذا نام يراه في المنام يأخذ بمجامع ثوبه فيقول: يا عدو الله، فيم قتلتي؟ فيقول الحجاج: مالي ولسعيد بن جبير، مالي ولسعيد بن جبير؟! ^(٦)

قال ابن خلكان^(٥): كان سعيد بن جبير بن هشام، الأسدئ، مولى بني والبة كوفيًا، أحد الأعلام من التابعين، وكان أسود اللون، وكان لا يكتب على الفُتيا، فلما عمى ابن عباس كتب، فغضب ابن عباس من ذلك. وذكر مقتله بنحو ما تقدم، وذكر أنه كان في شعبان، وأن الحجاج مات بعده في رمضان، وقيل: بستة أشهر.

وذكر عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال^(٧): قتل سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج - أو قال: مُفْتَقِرٌ - إلى علمه.

(١) بعده في ٣١، ٢١، م، ص: «أبي».

(٢ - ٢) في الأصل، ٢١، م، ص: «بن خباب»، وفي ٣١: «بن حبان». والمثبت من تاريخ الطبري. وانظر تهذيب الكمال ٣٠/٣٣٠.

(٣) تاريخ الطبري ٦/٤٩٠، ٤٩١ بنحوه.

(٤ - ٤) في ٣١، ٢١، م، ص: «بلى كتبت».

(٥) وفيات الأعيان ٢/٣٧١ - ٣٧٤ بنحوه.

(٦) بعده في م: «قبل».

(٧) وفيات الأعيان ٢/٣٧٤.

ويقال: إِنَّ الحجاج لم يُسلط بعده على أحد. وسيأتى فى ترجمة الحجاج
أيضاً شىء من هذا.

قال ابن جرير^(١): وكان يقال لهذه السنة: سنة الفقهاء؛ لأنه مات فيها عامة
فقهاء المدينة؛ مات فى أولها على بن الحسين^(٢) زين العابدين، ثم عروة بن
الزبير، ثم سعيد بن المسيب، وأبو بكر بن^(٣) عبد الرحمن بن الحارث بن
هشام،^(٤) وسعيد بن جبيرة من أهل مكة.

وقد ذكرنا تراجم هؤلاء فى كتابنا «التكميل»، وسندكر طرفاً صالحاً
ههنا، إن شاء الله تعالى.

قال ابن جرير^(٥): واستقضى الوليد بن عبد الملك فى هذه السنة على الشام
سليمان بن حبيب^(٦).

وحج بالناس^(٧) أخوه مسلمة فى قول بعضهم^(٨).

وقال الواقدي^(٩): حج بالناس فيها^(١٠) عبد العزيز^(١١) بن الوليد، ويقال:

(١) تاريخ الطبرى ٤٩١/٦.

(٢) بعده فى م: «ابن».

(٣) سقط من: م.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) تاريخ الطبرى ٤٩١/٦.

(٦) فى الأصل: «حرب». وفى ٣١، ٢١، م، ص: «برد». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر

تهذيب الكمال ٣٨٢/١١.

(٧ - ٧) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٨) الطبرى ٤٩١/٦، والكامل ٥٨٢/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٦١.

(٩) أخرجه الطبرى ٤٩١/٦ بنحوه. وانظر الكامل ٥٨٢/٤.

(١٠ - ١٠) فى النسخ: «العباس». والمثبت من الطبرى. وانظر الكامل ٥٨٢/٤.

مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .

وكان على نيابة مكة خالد بن عبد الله القسري ، وعلى المدينة عثمان بن حيان ، وعلى المشرق بكماله الحجاج ، وعلى خراسان قتيبة بن مسلم ، وعلى الكوفة من "جهة الحجاج" زياد بن جريز ، وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى ، وعلى إمرة البصرة من جهة الحجاج الجراح بن عبد الله الحكمي ، وعلى قضائها "عبد الرحمن" بن أذينة . والله سبحانه وتعالى أعلم^(٥) .

ذَكَرَ مَنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْيَانِ

سعيد بن جبيرة بن هشام الأسدي الوالبي^(٣) مولاهم ، أبو محمد ، ويقال : أبو عبد الله . الكوفي المكي ، من أكابر أصحاب ابن عباس ، كان من أئمة الإسلام في التفسير والفقه وأنواع العلوم ، وكثرة العمل الصالح ، رحمه الله ، وقد رأى خلقاً من الصحابة ، وروى عن جماعة منهم ، وعنه خلق من التابعين ، وغيرهم ، يقال : إنه كان يقرأ القرآن^(٤) فيما بين المغرب [١٢٣/٧] والعشاء ختمة تامة ، وكان يقعد في الكعبة القعدة فيقرأ فيها الختمة ، وربما قرأها في ركعة

(١ - ١) في الأصل : « جهته » .

(٢ - ٢) في ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « عبد الله » . وانظر الكامل ٥٤٨ / ٤ ، وتهذيب الكمال ٥١٠ / ١٦ .
* إلى هنا ينتهي الجزء العاشر من نسخة أحمد الثالث والتي رمزنا لها ب (٣١) .

(٣) انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٢٥٦ / ٦ ، وطبقات خليفة ٧٠٢ / ٢ ، والحلية ٢٧٢ / ٤ ، وتهذيب الكمال ٣٥٨ / ١٠ ، وسير أعلام النبلاء ٣٢١ / ٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٦٦ ، والوفاء بالوفيات ٢٠٦ / ١٥ .

(٤) بعده في ٢١ ، م ، ص : « في الصلاة » . وانظر طبقات ابن سعد ٢٥٩ / ٦ ، والحلية ٢٧٣ / ٤ .

في جوف الكعبة ،^(١) وقد قال ابن عباس^(٢) ، وقد أتاه أهل الكوفة يسألونه : أليس فيكم سعيد بن جبير؟^(٣) .

وقال سفيان الثوري ، عن عمرو بن ميمون ، عن أبيه ، قال^(٤) : لقد مات سعيد بن جبير ، وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه .

وكان في جملة من خرج مع ابن الأشعث على الحجاج ، فلما ظفر الحجاج هرب سعيد إلى أصبهان ، ثم كان يتردد في كل سنة إلى مكة مرتين ؛ مرة للعمرة ، ومرة للحج ، وربما دخل الكوفة في بعض الأحيان فحدث بها ، وكان بخراسان يتحزن^(٥) ؛ لأنه كان لا يسأله أحد عن شيء من العلم هناك ، وكان يقول : إن مما يهمني ما عندي من العلم ، وددت أن الناس أخذوه . واستمر في هذا الحال مختلفاً من الحجاج قريباً من ثنتي عشرة سنة ، ثم أرسله خالد القسري من مكة إلى الحجاج ، فكان من مخاطبته له ما ذكرناه قريباً .

وقد قال أبو نعيم في كتابه « حلية الأولياء »^(٦) : ثنا أبو حامد بن جبلة ، ثنا محمد بن إسحاق ، ثنا محمد بن أحمد بن أبي خلف ، ثنا سفيان^(٧) ، عن سالم ابن أبي حفصة ، قال : لما أتى بسعيد بن جبير إلى الحجاج ، قال له : أنت شقي

(١ - ١) في ٢١، م، ص: «وقد روى عنه أنه ختم القرآن مرتين ونصفاً في الصلاة في ليلة في الكعبة» .

(٢) طبقات ابن سعد ٢٥٧/٦، والحلية ٢٧٣/٤، بنحوه . ولفظه في تهذيب الأسماء واللغات ٢١٦/١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٦٧ .

(٣) تاريخ ابن معين ١٩٧/٢، والمعرفة والتاريخ ٧١٢/١، والحلية ٢٧٣/٤ به .

(٤) في م: «لا يتحدث» .

(٥) الحلية ٢٩٠/٤، بنحوه .

(٦) في م: «شعبان» .

ابنُ كُسيرٍ؟ قال : لا ، إنما أنا سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ . قال : لأقتُلَنَّكَ . قال : أنا إذا كما سَمَّيْتَنِي أُمِّي ^(١) . ^(٢) ثم قال : دَعُونِي أَصِلُّ رُكْعَتَيْنِ . قال : وجَّهوه إلى قِبَلَةِ النصارَى . قال : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] ، ثم قال : إني أَسْتَعِيدُ مِنْكَ بما عَاذْتُ به مَرِيْمُ . قال : وما عَاذْتُ به ؟ قال : قَالَتْ : ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ نَقِيًّا ﴾ [مريم : ١٨] . قال سفيانُ : لم يَقْتُلْ بَعْدَهُ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا ^(٣) .

وقد ذكرنا صفةَ مقتله إِيَّاه ، وقد رُوِيَ أَنَّهُ غَرِيَّةٌ فِي صِفَةِ مَقْتَلِهِ ، أَكْثَرُهَا لَا يَصِيحُ ، وقد عُوقِبَ الْحِجَابُ بَعْدَهُ وَعُوجِلَ بِالْعُقُوبَةِ ، فلم يَلْبَثْ بَعْدَهُ إِلَّا قَلِيلًا ثُمَّ أَخَذَهُ اللَّهُ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ - كما سَنَذْكُرُ وَفَاتِهِ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ - فَقِيلَ ^(٤) : إِنَّهُ مَكَثَ بَعْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا . وقِيلَ ^(٥) : أَرْبَعِينَ يَوْمًا . وقِيلَ ^(٦) : سِتَّةَ أَشْهُرٍ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

واخْتَلَفُوا فِي عَمْرِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، حِينَ قُتِلَ ، فَقِيلَ ^(٧) : كَانَ عَمْرُهُ تِسْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً . وقِيلَ ^(٨) : سَبْعًا وَخَمْسِينَ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) بعده في ٢١ : « سعيدا » ، وبعده في م ، ص : « سعيدا قال : شقيت وشقيت أمك . قال الأمر ليس إليك . ثم قال : اضربوا عنقه » .

(٢ - ٢) سقط من : ٢١ .

(٣) بعده في م ، ص زيادة من زيادات الناسخ .

(٤) الحلية ٤/٢٩٤ ، وسير أعلام النبلاء ٤/٣٣٢ نقلًا عن أبي نعيم . واستنكر الذهبي الرواية التي فيها أنه مكث بعده هذه المدة .

(٥) تاريخ الطبري ٦/٤٩١ .

(٦) وفيات الأعيان ٢/٣٧٤ ، وتهذيب الكمال ١٠/٣٧٦ .

(٧) طبقات ابن سعد ٦/٢٦٦ ، والتاريخ الكبير ٣/٤٦١ .

(٨) الحلية ٤/٢٧٥ ، ونقله الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤/٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، وصححه .

قال أبو القاسم اللالكائي^(١) : كان مقتله في سنة خمس وتسعين . وذكر ابن جرير^(٢) مقتله في هذه السنة ، سنة أربع وتسعين . فالله أعلم^(٣) .

سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي^(٤) ، أبو محمد ،^(٥) المدني ، المخزومي^(٦) ، سيّد التابعين على الإطلاق ، وُلِدَ [١٢٤/٧] لسنتين مضتا - وقيل^(٧) : بقيتا - من خلافة عمر بن الخطاب ، وقيل^(٨) : لأربع مضين منها . وقول الحاكم أبي عبد الله : إنه أدرك العشرة . وهم منه . والله أعلم . ولكن أرسل عنهم كما أرسل كثيرا عن النبي ﷺ ، وروى عن عمر كثيرا - فقليل^(٩) : سمع منه . وقيل^(١٠) : لم يسمع - وعن عثمان ، وعلي ، وسعيد^(١١) ، وأبي هريرة - وكان زوج ابنته ، وأعلم الناس بحديثه - وروى عن جماعة من الصحابة آخرين ، وحدث عنه^(١٢) جماعة من التابعين ، وخلق ممن سيواهم .

(١) تهذيب الكمال ٣٧٦/١٠ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٨٧/٦ - ٤٩١ .

(٣) بعده زيادة في م ، ص . ولعلها من زيادات الناسخ .

(٤) انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ١١٩/٥ ، وطبقات خليفة ٦١١/٢ ، وحلية الأولياء ١٦١/٢ ،

وطبقات الفقهاء ٥٧ ، ووفيات الأعيان ٣٧٥/٢ ، وتهذيب الكمال ٦٦/١١ ، وسير أعلام النبلاء ٢١٧/٤ ،

وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٧١ .

(٥ - ٥) في ٢١ ، ص : «المدني» ، وفي م : «المدنف» .

(٦) طبقات ابن سعد ١١٩/٥ .

(٧) طبقات ابن سعد ١١٩/٥ ، وتهذيب الكمال ٦٧/١١ ، وسير أعلام النبلاء ٢١٨/٤ .

(٨) طبقات ابن سعد ١١٩/٥ ، وتهذيب الكمال ٧٣/١١ .

(٩) طبقات ابن سعد ١٢٠/٥ ، وتاريخ ابن معين ٢٠٧/٢ .

(١٠) في النسخ : «سعيد» . والثبت من تهذيب الكمال ٦٧/١١ . وانظر سير أعلام النبلاء ٢١٨/٤ .

(١١) في م : «عن» .

قال ابنُ عمر^(١) : كان سَعِيدٌ أَحَدَ الْمُفْتَيْنِ^(٢) .

وقال الزهري^(٣) : جالسته سبعَ حِجَجٍ ، وأنا لا أَظُرُّ عِنْدَ أَحَدٍ عِلْمًا غَيْرَهُ .

وقال محمدُ بنُ إِسْحَاقَ ، عن مَكْحُولٍ قال^(٤) : طُفْتُ الْأَرْضَ كُلَّهَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، فَمَا لَقَيْتُ أَعْلَمَ مِنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ .

وقال الْأَوْزَاعِيُّ^(٥) : سُئِلَ الزهريُّ ومكحولٌ : مَنْ أَفْقَهُ مَنْ لَقَيْتُمَا ؟ قالا : سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ .

وقال قَتَادَةُ^(٦) : مَا رَأَيْتُ أَعْلَمَ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مِنْهُ . وَكَانَ الْحَسَنُ إِذَا أَشْهَلَ^(٨) عَلَيْهِ شَيْءً كَتَبَ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ . وَقَالَ^(٩) غَيْرُهُ : كَانَ يَقَالُ لَهُ : فقيهُ الفقهاءِ .

وقال مالكٌ ، عن يحيى بنِ سَعِيدٍ ،^(١٠) عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ^(١١) : كُنْتُ أَرْحَلُ

(١) الجرح والتعديل ٦٠ / ٤ ، وتهذيب الكمال ٧٠ / ١١ .

(٢) في الأصل ، ٢١ : «التقنين» . وبعده في الأصل : «وكان أعلم أهل الأرض كلها في زمانه وكان يسرد الصوم وقال عن نفسه إنه ما فاتته التكبير الأولى منذ خمسين سنة وحج أربعين حجة» .

(٣) تاريخ ابن معين ٢ / ٢٠٨ ، والجرح والتعديل ٦٠ / ٤ ، وتهذيب الكمال ٧٠ / ١١ .

(٤) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٣ / ٥١١ ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٦٠ / ٤ ، والمزى في تهذيب الكمال ٧١ / ١١ .

(٥) الجرح والتعديل ٦١ / ٤ ، وتهذيب الكمال ٧١ / ١١ .

(٦ - ٦) سقط من : ٢١ ، م ، ص .

(٧) الجرح والتعديل ٦٠ / ٤ ، وتهذيب الكمال ٧١ / ١١ .

(٨) أشهل : اختلط . وشهل اللونان شهلاً : اختلط أحدهما بالآخر . الوسيط (ش ه ل) .

(٩) طبقات ابن سعد ٥ / ١٢١ ، وتهذيب الأسماء واللغات ، القسم الأول ١ / ٢٢٠ ، وتهذيب الكمال ٧١ / ١١ .

(١٠ - ١٠) سقط من : الأصل ، ص . والقول أخرجه ابن سعد في الطبقات ٥ / ١٢٠ ، والفسوى في المعرفة والتاريخ ١ / ٤٦٨ ، والمزى في تهذيب الكمال ٧١ / ١١ .

الأَيَّامَ والليالي في طلبِ الحديثِ الواحدِ .

قال مالك^(١) : وبلغني أنَّ ابنَ عمرَ كان يُرسلُ إلى سعيدِ بنِ المسيَّبِ يسألهُ عن قضايا عمرَ وأحكامِهِ .

وقال الرِّيعُ ، عن الشافعي ، أنَّه قال^(٢) : إرسالُ سعيدِ بنِ المسيَّبِ عندنا حَسَنٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ^(٣) : هي صِحاحٌ . قال^(٤) : وسعيدُ بنُ المسيَّبِ أفضلُ التابعينَ .

وقال عليُّ بنُ المديني^(٥) : لا أعلمُ في التابعينَ أوسعَ علماً منه ، وإذا قال سعيدٌ : مضتِ السُّنَّةُ فحسبُكَ به ، وهو عندي أجلُّ التابعينَ .

وقال أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ العِجْلِيُّ^(٥) : كان سعيدٌ رجلاً صالحاً فقيهاً ، كان لا يأخذُ العطاءَ ، وكانت له بضاعةٌ ؛ أربعمائة دينارٍ ، وكان يتجرُّ في الزَّيتِ ، وكان أعورَ .

وقال أبو زُرعة^(٦) : مدنيٌّ ثقةٌ إمامٌ .

(١) المعرفة والتاريخ ٤٦٨/١ ، وتهذيب الكمال ٧٤/١١ .

(٢) أخرجه المزني في مختصر الأم ، باب بيع اللحم بالحيوان ص ٧٨ ، والنووي في تهذيب الأسماء واللغات ، القسم الأول ٢٢١/١ ، والمزني في تهذيب الكمال ٧٤/١١ .

(٣) تهذيب الكمال ٧٣/١١ ، وجامع التحصيل ص ٤٧ .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات القسم الأول ٢٢٠/١ ، وتهذيب الكمال ٧٣/١١ .

(٥) تاريخ الثقات ص ١٨٨ .

(٦) الجرح والتعديل ٦١/٤ ، وتهذيب الكمال ٧٤/١١ .

وقال أبو حاتم^(١): ليس فى التابعين أنبل منه ، وهو أثبتهم فى أبى هريرة .

قال الواقدي^(٢): تُوفى فى سنة الفقهاء ، وهى سنة أربع وتسعين ، عن خمس وسبعين سنة ، رحمه الله^(٣) .

(١) تهذيب الأسماء واللغات ، القسم الأول ١/ ٢٢٠ ، وتهذيب الكمال ١١/ ٧٤ .

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩١ ، وتهذيب الكمال ١١/ ٧٥ .

(٣) بعده فى م ، ص : « وكان سعيد بن المسيب من أروع الناس فيما يدخل بيته ويطهه ، وكان من أزهد الناس فى فضول الدنيا ، والكلام فيما لا يفتنى ، ومن أكثر الناس أدبا فى الحديث ، جاءه رجل وهو مريض ، فسأله عن حديث ، فجلس فحدثه ثم اضطجع ، فقال الرجل : وددت أنك لم تتعرق . فقال : إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع . وقال يؤد مولاه : ما نودى للصلاة منذ أربعين إلا وسعيد فى المسجد . وقال ابن إدريس : صلى سعيد بن المسيب الغداة يؤذى العتمة خمسين سنة . وقال سعيد : لا تملقوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالإنكار من قلوبكم ؛ لكيلا تحبط أعمالكم الصالحة . وقال : ما يفس الشيطان من شيء إلا أنه من قتل النساء . وقال : ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله ، ولا أهانت أنفسها إلا بمعصية الله تعالى . وقال : كفى بالمرء نصرة من الله له أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله . وقال : من استغنى بالله افتقر الناس إليه . وقال : الدنيا نذلة ، وهى إلى كل نذل أميل ، وأنذل منها من أخذها من غير وجهها ، ووضعها فى غير سبيلها . وقال : إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذى فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا يتبغى أن تذكر عيوبه . وقال : من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله . وقد زوج سعيد بن المسيب ابنته على درهمين لكثير بن أبى وداعة - وكانت من أحسن النساء ، وأكثرهم أدبا ، وأعلمهم بكتاب الله وشنة رسول الله ﷺ ، وأعرفهم بحق الزوج ، وكان فقيرا ، فأرسل إليه بخمسة آلاف - وقيل : بعشرين ألفا - وقال : استنفق هذه . وقصته فى ذلك مشهورة ، وقد كان عبد الملك خطبها لآبنة الوليد فأبى سعيد أن يزوجه بها ، فاحتال عليه حتى ضربه بالسياط - كما تقدم - لما جاءت بيعة الوليد إلى المدينة فى أيام عبد الملك ، ضربه نائبه على المدينة هشام بن إسماعيل . وأطافه المدينة ، وعرضوه على السيف فمضى ، ولم يبايع ، فلما رجعوا به رأته امرأة فقالت : ما هذا الخزي يا سعيد ؟ فقال : من الخزي فرزنا إلى ما تزين ، أى لو أحببتناهم وقفنا فى خزي الدنيا والآخرة . وكان يجعل على ظهره إهاب الشاة ، وكان له مال يتجز فيه ، ويقول : اللهم إنك تعلم أنى لم أمسكه بخلا ولا جوصا عليه ، ولا محبة للدنيا ونيل شهواتها ، وإنما أريد أن أضون به وجهي عن بنى مزوان حتى ألقى الله فيحكم فيهم ، وأصيل منه رجمي ، وأودى منه الحقوق التى فيه ، وأعود منه على الأرملة ، والفقير ، والمسكين ، واليتيم ، والجار . والله سبحانه وتعالى أعلم . ولعلها من زيادات الناسخ .

طَلَّقَ بَنُ حَبِيبِ الْعَنْزِيِّ^(١)، تابعي جليل، روى عن أنس، وابن الزبير، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو^(٢)، وغيرهم، وعنه حميد الطويل، والأعمش، وطاوس، وهو من أقرانه، وأثنى عليه^(٣) في قراءته عمرو بن دينار، [١٢٤/٧ ظ] وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة، ولكن تكلموا فيه من جهة أنه كان يقول: بالإزجاء.

وقد كان فيمن خرج مع ابن الأشعث، وكان يقول: اتقوها^(٤) بالتقوى. فقيل له: صف لنا التقوى؟ فقال: التقوى؛ العمل بطاعة الله، على نور من الله؛ رجاء رحمة الله، والتقوى؛ ترك معاصي الله، على نور من الله؛ مخافة^(٥) عذاب الله.

وقال أيضًا: إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد، وإن نعمة أكثر من أن تحصى^(٦)، ولكن أصبحوا تائبين، وأمسوا تائبين^(٧). قال مالك^(٨): قتله الحجاج، وجماعة من القراء؛ منهم سعيد بن جبير^(٩).

(١) انظر ترجمته في: طبقات خليفة ٥٠١/١، وحلية الأولياء ٦٣/٣، وتهذيب الكمال ٤٥١/١٣، وسير أعلام النبلاء ٦٠١/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠ هـ) ص ١٢١.

(٢) في الأصل، م: «عمر». وانظر مصادر الترجمة.

(٣ - ٣) سقط من: ٢١، م، ص.

(٤) في ٢١، م، ص: «تقوا».

(٥) في ٢١، م، ص: «يخاف».

(٦) بعده في ٢١، م، ص: «أو يقوم بشكرها العباد».

(٧) بعده في ٢١، م، ص: «وكان طلق لا يخرج إلى صلاة إلا ومعه شيء يتصدق به، وإن لم يجد إلا بصلا، ويقول: قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾، فتقديم الصدقة بين يدي مناجاة الله أعظم وأعظم».

(٨) تهذيب الكمال ٤٥٤/١٣، وسير أعلام النبلاء ٦٠٢/٤.

(٩) في الأصل: «جرير».

وقد ذكر ابن جرير - فيما سبق^(١) - أنَّ خالد بن عبد الله القسري^(٢) بعث من مكة ثلاثة إلى الحجاج؛ وهم مجاهد، وسعيد بن جبير، وطلق بن حبيب، فمات طلق في الطريق، وحبس مجاهد، وكان من أمر سعيد ما كان. والله أعلم.

عروة بن الزبير بن العوام، القرشي الأسدي، أبو عبد الله المدني^(٣)، تابعي جليل، روى عن أبيه، وعن العبادلة، ومعاوية، والمغيرة، وأبي هريرة، وأمه أسماء، وخالته عائشة، وأم سلمة. وعنه جماعة من التابعين، وخلق ممن سيواهم.

قال محمد بن سعيد^(٤): كان عروة ثقة، كثير الحديث، عالماً، مأموناً، ثبتاً.

وقال العجلي^(٥): مدني، تابعي، رجل صالح لم يدخل في شيء من الفتن.

وقال الواقدي^(٦): كان فقيهاً عالماً حافظاً ثبتاً حجةً عالماً بالسيرة، وهو أول من صنّف المغازي. وكان من فقهاء المدينة المحدثين، ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه، وكان أروى الناس للشعر. وقال أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام^(٧): العلم لواحد من ثلاثة؛ لذي حسب يزيّنه به أو ذي دين

(١) تقدم في ٩٦/٩ مطبوع.

(٢) في ص: «القسري».

(٣) انظر ترجمته في: طبقات خليفة ٦٠٣/٢، وحلية الأولياء ١٧٦/٢، وتاريخ دمشق ٥٥٩/١١ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ١١/٢٠، وسير أعلام النبلاء ٤٢١/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١١٠٠ هـ) ص ٤٢٤.

(٤) طبقات ابن سعد ١٧٩/٥.

(٥) تاريخ الثقات للعجلي ص ٣٣١.

(٦) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١١٠٠ هـ) ص ٤٢٤، غير منسوب.

(٧ - ٧) في الأصل: «ابنه هشام قال أبي». وفي ٢١، م، ص: «ابنه هشام». والمثبت من سير أعلام=

يَسْئَلُ بِهِ دِينَهُ ، أَوْ مُخْتَلِطٌ بِسُلْطَانٍ يُنَحِّفُهُ بَعْلِمِهِ ^(١) قَالَ : وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَشْرَطَ
لِهَذِهِ الْخِصَالِ الثَّلَاثِ إِلَّا عُرْوَةَ بَنَ الزَّيْرِ ، وَعَمَرَ بَنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

وَكَانَ عُرْوَةُ يَقْرَأُ كُلَّ يَوْمٍ رُبْعَ الْقُرْآنِ ، وَيَقُومُ بِهِ فِي اللَّيْلِ . وَكَانَ أَيَّامَ الرُّطْبِ
يَتْلِي حَائِطَهُ ^(٢) ثُمَّ يَأْذَنُ ^(٣) لِلنَّاسِ فَيَدْخُلُونَ فَيَأْكُلُونَ وَيَحْمِلُونَ ^(٤) ، فَإِذَا ذَهَبَ
الرُّطْبُ ، أَعَادَهُ ^(٥) . وَقَالَ الزُّهْرِيُّ ^(٦) : كَانَ عُرْوَةُ بَحْرًا لَا يُنْزَفُ ^(٧) ، وَقَالَ مَرَّةً ^(٨) :
كَانَ بَحْرًا ^(٩) لَا تَكْذُرُهُ الدَّلَاءُ .

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(١٠) : مَا أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْ عُرْوَةَ ، وَمَا أَعْلَمُهُ يَعْلَمُ شَيْئًا
أَجْهَلُهُ . وَقَدْ ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ فِي فَقَهَاءِ الْمَدِينَةِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُنْتَهَى إِلَى قَوْلِهِمْ ^(١١) .
وَكَانَ مِنْ جَمَلَةِ الْفُقَهَاءِ الْعَشْرَةِ الَّذِينَ كَانَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَرْجِعُ إِلَى قَوْلِهِمْ
فِي زَمَنِ وَلَايَتِهِ عَلَى الْمَدِينَةِ . وَقَدْ ذَكَرَ [١٢٥/٧] غَيْرُ وَاحِدٍ ^(١٢) ؛ أَنَّهُ وَقَدْ عَلَى
الْوَلِيدِ بِدَمَشَقَ ، فَلَمَّا رَجَعَ أَصَابَتْهُ فِي رِجْلِهِ الْأَكِلَةُ ، فَأَرَادُوا قَطْعَهَا ، فَعَرَضُوا عَلَيْهِ
أَنْ يَشْرَبَ شَيْئًا يُغَيِّبُ عَقْلَهُ ^(١٣) حَتَّى لَا يَحْسُ بِالْأَلَمِ وَيَتِمَكَّنُوا مِنْ قَطْعِهَا ^(١٤) ،

= النبلاء ٤/٤٢٦ ، وانظر تاريخ دمشق ١١/٥٦٩ (مخطوط) ، ومختصر تاريخ دمشق ١٧/٩ ، وتاريخ
الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٢٦ .

(١) فِي م : «بِنِعْمَةٍ» . وَبَعْدَهُ فِي ٢١ ، م ، ص : «وَيَتَخَلَّصُ مِنْهُ بِالْعِلْمِ فَلَا يَقَعُ فِي هَلَكَةٍ» .

(٢ - ٣) سَقَطَ مِنْ : ٢١ ، م ، ص .

(٣) سَقَطَ مِنْ : ٢١ ، م ، ص .

(٤ - ٥) زِيَادَةٌ مِنْ : ٢١ ، م ، ص .

(٥) طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ١٨١/٥ .

(٦) تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ١٨/٢٠ .

(٧) تَارِيخُ دِمَشْقَ ١١/٥٦٦ (مخطوط) ، وَتَهْذِيبُ الْكَمَالِ ١٧/٢٠ .

(٨) الْمَعْرِفَةُ وَالتَّارِيخُ ١/٣٥٢ ، وَتَارِيخُ أَبِي زُرْعَةَ ص ٤٠٦ ، وَتَهْذِيبُ الْكَمَالِ ١٨/٢٠ .

(٩) تَارِيخُ دِمَشْقَ ١١/٥٧١ (مخطوط) ، وَتَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٢٠/٢٠ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٤/٤٣٠ .

(١٠ - ١١) فِي الْأَصْلِ : «مِنَ الْمَرَاقِدِ» .

فقال: ^(١) « ما ظننتُ أنَّ أحدًا يؤمنُ باللهِ ^(٢) يشربُ شيئًا يُغيِّبُ عقله حتى لا يعرفَ ربَّه ، عز وجلَّ ، ولكنَّ هَلُمُّوا فاقطعوها ، فقطعوها من ركبته وهو صامتٌ لا يتكلَّمُ ، ولا ^(٣) يُسمَعُ له حِسٌّ ^(٤) . ورؤي أنهم قطعوها وهو في الصَّلَاة فلم يشغُرْ ؛ لِشغْلِهِ بالصَّلَاةِ . فاللَّهُ أعلمُ .

ووقع في هذه الليلة التي قُطِعَتْ فيها رجله ولدٌ له يُسمَّى محمدًا - كان أحبَّ أولاده - من سطحِ فمات ، فدخلوا عليه فعزَّوه فيه ، فقال ^(٥) : اللهم لك الحمد ، كانوا سبعةً فأخذتُ واحدًا وأبقيتُ سيئةً ، وكُنَّ أطرافًا أربعًا فأخذتُ واحدةً وأبقيتُ ثلاثًا ، فلئن كُنْتُ قد أخذتُ فلقد أعطيتُ ، ولئن كُنْتُ قد ابتليتُ فلقد عافيتُ ^(٦) .

^(٧) وقيل ^(٨) : إنَّه لما رأى رجله المقطوعة في الطَّسْتِ ، قال : اللَّهُ أعلمُ أنَّي ما مشيتُ بها إلى معصية قطُّ ^(٩) .

قيل : إنَّه وُلِدَ في حياةِ عمر . والصَّحيحُ أنَّه وُلِدَ بعدَ عمرَ في سنةِ ثلاثٍ وعشرين ، وكانت وفاته في سنةِ أربعٍ وتسعينَ على المشهور ، وقيل : سنةِ تسعين . وقيل : سنةِ مائة . وقيل : إحدى وتسعين . وقيل : سنةِ إحدى ومائة . وقيل : سنةِ اثنتين أو ثلاثٍ أو أربعٍ أو خمسٍ وتسعين . وقيل : سنةِ تسعٍ وتسعين . واللَّهُ أعلمُ .

(١ - ١) في الأصل : « واللَّهُ لا يحل لمسلم أن » .

(٢ - ٢) في ٢١ ، م ، ص : « يعرف أنه أن » .

(٣) حلية الأولياء ١٧٩/٢ ، وتاريخ دمشق ٥٧٢/١١ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ٢٠/٢٠ .

(٤) بعده في الأصل : « فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما أعطيت » . وبعده زيادة في م ، ص ، وهي من زيادات الناسخ .

(٥ - ٥) سقط من : ٢١ ، م ، ص .

(٦) تاريخ دمشق ٥٧٣/١١ (مخطوط) .

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، القرشي الهاشمي، المشهور بزین العابدین^(١)، وأمه أم وليد اسمها سلامة^(٢)، وكان له أخ أكبر منه يقال له: علي أيضًا. قُتل مع أبيه. روى علي - هذا - الحديث عن أبيه، وعمه الحسين بن علي، وجابر، وابن عباس، والمشور بن مخزومة، وأبي هريرة، وصفية، وعائشة، وأم سلمة، أمهات المؤمنين.

وعنه جماعة منهم بئوه؛ زيد، وعبد الله، وعمر، وأبو جعفر محمد بن علي الباقر^(٣)، وزيد بن أسلم، وطاوس وهو من أقرانه، والزهرى، ويحيى بن سعيد الأنصارى، وأبو سلمة وهو من أقرانه، وخلق.

قال القاضي ابن خلكان^(٤): كانت «أمه سلامة»^(٥)، بنت يزيد جرد آخر ملوك الفرس.

وذكر الزمخشري^(٦) في «ربيع الأبرار»: أن يزيد جرد كان له ثلاث بنات شيين في زمن عمر بن الخطاب، فحصلت واحدة لعبد الله بن عمر فأولدها سالمًا، والأخرى لمحمد بن أبي بكر الصديق فأولدها القاسم، والأخرى للحسين ابن علي فأولدها عليًا زين العابدين هذا، فكلهم بنو خالة.

(١) انظر ترجمته في: طبقات خليفة ٥٩٨/٢، والمعرفة والتاريخ ٣٦٠/١، ٥٤٤، والحلية ١٣٣/٣، ووفيات الأعيان ٢٦٦/٣، وتاريخ دمشق ٢٩/١٢، وتهذيب الكمال ٣٨٢/٢٠، وسير أعلام النبلاء ٣٨٦/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٤٣١.

(٢) وورد أن اسمها سلافة وغزالة أيضًا. وانظر تهذيب الكمال ٣٨٣/٢٠، وسير أعلام النبلاء ٣٨٦/٤.

(٣) في م: «بن قر».

(٤) وفیات الأعيان ٢٦٧/٣.

(٥ - ٥) في م: «أم سلمة». وفي مصدر التخریج: «أمه سلافة».

(٦) انظر وفیات الأعيان ٢٦٧/٣.

قال ابن خلكان^(١) : ولما قتل قتيبة بن مسلم فيروز بن يزيد جرد بعث بابتنيه إلى [١٢٥/٧] الحجاج ، فأخذ إحداهما ، وبعث بالأخرى إلى الوليد بن عبد الملك ، فأولدها الوليد يزيد الناقص .

وذكر ابن قتيبة في كتاب « المعارف »^(٢) ؛ أن زين العابدين هذا كانت أمه سندية ، يقال لها : سلامة^(٣) ، ويقال : غزالة .

وكان مع أبيه بكر بلاء ، فاستبقى لصغره ، وقيل : لمرضه . فإنه كان ابن ثلاث وعشرين سنة ، وقيل : أكثر من ذلك . وقد هم بقتله عبيد الله بن زياد ، ثم صرفه الله عنه . وأشار بعض الفجرة على يزيد بن معاوية بقتله أيضاً ، فمنعه الله تعالى من ذلك ، فله الحمد والمنة^(٤) ، ثم كان يزيد بعد ذلك يُكرمه ويُعظمه ، ويُجلسه معه ، ولا يأكل إلا وهو عنده ، ثم بعثهم إلى المدينة مكرمين^(٥) ، وكان علي بالمدينة مُحترماً مُعظماً .

قال الحافظ ابن عساكر^(٦) : ومسجده بدمشق - المنسوب إليه - معروف . قلت : وهو^(٧) الذي يقال له : مشهد علي شرقى جامع دمشق ، وقد استقدمه عبد الملك بن مزوان مرة أخرى إلى دمشق ، فاستشاره في جواب ملك الروم عن بعض ما كتب إليه فيه من أمر السكة وطرار القراطيس .

(١) وفيات الأعيان ٢٦٧/٣ .

(٢) المعارف ص ٢١٤ .

(٣) في المعارف : « سلافة » .

(٤ - ٤) في ٢١ ، م ، ص : « منه » .

(٥) سقط من : ٢١ ، م ، ص .

(٦) تاريخ دمشق ٢٩/١٢ (مخطوط) .

(٧ - ٧) سقط من : ٢١ ، م ، ص .

قال الزُّهرِيُّ^(١) : ما رأيتُ قرشيًّا أفضلَ منه ، وكان مع أبيه يومَ قُتِلَ ابنُ ثلاثٍ وعشرين سنةً ، وهو مريضٌ ، فقال عمرُ بنُ سعدٍ : لا تَعْرِضُوا لهذا المريضِ .

وقال الواقدي^(٢) : كان من أروع الناسِ وأعبدِهِم ، وأتقاهم لله عزَّ وجلَّ ، وكان إذا مشى لا يخطُرُ بيده ، وكان يعتَمُّ بعمامةٍ بيضاءَ يُرخيها من ورائه ، وكان كنيته أبو الحسنِ ، وقيل : أبو محمدٍ . وقيل : أبو عبدِ الله .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ^(٣) : كان ثقةً مأمونًا كثيرَ الحديثِ عاليًا رفيعًا ورعًا . وأمه غزالةٌ خَلَفَ عليها بعدَ الحسينِ مولاةُ زَيْنَدَ ، فولَدَت له عبدُ الله بنُ زَيْنَدَ ، وهو عليُّ الأصغرُ ، فأما عليُّ الأكبرُ فَقُتِلَ مع أبيه . وكذا قال غيرُ واحدٍ^(٤) .

وقال سعيدُ بنُ المسيَّبِ ، وزيدُ بنُ أسلمَ ، ومالكٌ ، وأبو حازمٍ^(٥) : لم يكن في أهلِ البيتِ مثلهُ . وقال يحيى بنُ سعيدٍ الأنصاريُّ^(٦) : سمِعْتُ عليَّ بنَ الحسينِ - وهو أفضلُ هاشميٍّ أدركتهُ - يقولُ : يا أيُّها الناسُ ، أَجِبُونَا حُبَّ الإسلامِ ، فما برح بنا حُبُّكم حتى صار علينا عارًا . وفي روايةٍ : حتى بَغَضْتُمونا إلى الناسِ . وقال الأصمعيُّ^(٧) : لم يكن للحسينِ عَقِبٌ إلَّا من عليٍّ بنِ الحسينِ ، ولم

(١) تاريخ دمشق ٣٢/١٢ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ٣٨٤/٢٠ ، ٣٨٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٣٢ .

(٢) لم نجده عن الواقدي ، وانظر طبقات ابن سعد ٥/٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، وحلية الأولياء ٣/١٤١ ، وتاريخ دمشق ٣٧/١٢ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ٣٨٩/٢٠ .

(٣) طبقات ابن سعد ٥/٢٢٢ .

(٤) طبقات ابن سعد ٥/٢١١ بنحوه ، وتهذيب الكمال ٣٨٤/٢٠ بنحوه .

(٥) تهذيب الكمال ٣٨٧/٢٠ .

(٦) طبقات ابن سعد ٥/٢١٤ بنحوه ، والحلية ٣/١٣٦ بنحوه ، وتهذيب الكمال ٣٨٧/٢٠ .

(٧) تاريخ دمشق ٣٦/١٢ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ٣٨٧/٢٠ ، ٣٨٨ ، وسير أعلام النبلاء ٤/٣٩٠ . وقال الذهبي : «إسنادها منقطع ، ومروان ما احتضر ، فإن امرأته غمته تحت وسادة هي وجواربها» .

يَكُنْ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ نَسْلٌ إِلَّا مِنْ ابْنَةِ^(١) عَمِّهِ الْحُسَيْنِ ، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ :
لَوْ اتَّخَذْتَ السَّرَارِيَّ حَتَّى يَكْثُرَ أَوْلَادُكَ . فَقَالَ : لَيْسَ لِي مَا أَسْتَرِي بِهِ . فَأَقْرَضَهُ
مِائَةَ أَلْفٍ ، فَاشْتَرَى لَهُ السَّرَارِيَّ فَوَلَدَنَ^(٢) لَهُ وَكَثُرَ نَسْلُهُ ، ثُمَّ لَمَّا مَرِضَ مَرْوَانُ
أَوْصَى أَنْ لَا يُؤْخَذَ مِنْ^(٣) عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ^(٤) [١٢٦/٧] مَا^(٥) كَانَ أَقْرَضَهُ ، فَجَمِيعُ
الْحُسَيْنِيِّينَ مِنْ نَسْلِهِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ^(٦) : أَصَحُّ الْأَسَانِيدِ كُلُّهَا الزُّهْرِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ
الْحُسَيْنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ . وَذَكَرُوا أَنَّهُ احْتَرَقَ الْبَيْتُ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، وَهُوَ قَائِمٌ
يُصَلِّي ، فَلَمَّا انْصَرَفَ ، قَالُوا لَهُ^(٧) : مَا لَكَ لَمْ تَنْصَرِفَ ؟ فَقَالَ : إِنِّي اشْتَعَلْتُ عَنْ
هَذِهِ النَّارِ بِالنَّارِ الْأُخْرَى . وَأَنَّهُ كَانَ إِذَا تَوَضَّأَ يَصْفَرُّ لَوْنُهُ ، فَإِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ
ارْتَعَدَ مِنَ الْفَرَقِ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : أَلَا تَدْرُونَ يَمِينَ يَدِي مَنْ^(٨) أُرِيدُ أَنْ^(٩)
أَقُومَ ، وَلَمَنْ أُنَاجِي ؟ وَلَمَّا حَجَّ أَرَادَ أَنْ يُلَبِّيَ فَارْتَعَدَ وَقَالَ^(١٠) : أَخَشَى أَنْ أَقُولَ : لَبَّيْكَ
اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، فَيَقُولُ لِي : لَا لَبَّيْكَ . فَشَجَّعُوهُ ، وَقَالُوا : لَا بُدَّ مِنَ التَّلْبِيَةِ . فَلَمَّا لَبَّى
غُشِيَ عَلَيْهِ حَتَّى سَقَطَ عَنِ الرَّاحِلَةِ . وَأَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَلْفَ رُكْعَةٍ .
وَقَالَ طَاوُسٌ^(١١) : سَمِعْتُهُ وَهُوَ سَاجِدٌ عِنْدَ الْحِجْرِ يَقُولُ : غُيِّدَكَ بِفَنَائِكَ ،

(١) فِي ٢١ ، م ، ص : « ابْن » .

(٢) فِي ٢١ ، م ، ص : « فَوَلَدَتْ » .

(٣ - ٣) فِي الْأَصْل : « الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِي » .

(٤) فِي ٢١ ، م ، ص : « شَيْءٌ مِمَّا » .

(٥) تَارِيخُ دِمَشْقَ ٣٧/١٢ (مَخْطُوط) ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ٣٩١/٤ .

(٦) تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٣٨٩/٢٠ ، ٣٩٠ بَنَحُوهُ .

(٧ - ٧) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْل ، م . وَانْظُرْ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٣٩٠/٢٠ .

(٨) تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٣٩٠/٢٠ .

(٩) تَارِيخُ دِمَشْقَ ٣٨/١٢ ، ٣٩ (مَخْطُوط) ، وَتَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٣٩١/٢٠ ، وَصِفَةُ الصَّفْوَةِ ١٠٠/٢ .

(١) «مِسْكِينُكَ بِفَنَائِكَ» ، سَائِلُكَ بِفَنَائِكَ ، فَقِيرُكَ بِفَنَائِكَ . قال طاووس : فوالله ما دَعَوْتُ بها في كَرْبٍ قطُّ إِلَّا كُشِفَ عَنِي . وَذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ بِاللَّيْلِ ، وَكَانَ يَقُولُ (٢) : صَدَقَةُ اللَّيْلِ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ (٣) ، وَأَنَّهُ قَاسَمَ اللَّهَ تَعَالَى مَالَهُ مَرَّتَيْنِ (٤) .

وقال محمد بنُ إِسْحَاقَ (٥) : كَانَ نَاسٌ بِالْمَدِينَةِ يَعِيشُونَ لَا يَدْرُونَ مِنْ أَيْنَ يَعِيشُونَ وَمَنْ يُعْطِيهِمْ ، فَلَمَّا مَاتَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فَقَدُوا ذَلِكَ ، (٦) فَعَرَفُوا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ يَأْتِيهِمْ فِي اللَّيْلِ بِمَا يَأْتِيهِمْ بِهِ (٧) . وَلَمَّا مَاتَ وَجَدُوا فِي ظَهْرِهِ وَأَكْتَافِهِ أَثَرَ حَمْلِ الْجُرْبِ إِلَى بَيُوتِ الْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ فِي اللَّيْلِ . وَقِيلَ (٨) : إِنَّهُ كَانَ يَعُولُ مَائَةَ أَهْلِ بَيْتِ الْمَدِينَةِ ، وَلَا يَدْرُونَ بِذَلِكَ حَتَّى مَاتَ . وَدَخَلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَسَمَةَ بْنِ زَيْدٍ يَعُوذُهُ فَبَكَى ابْنُ أَسَمَةَ ، فَقَالَ لَهُ (٩) : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : عَلِيُّ دَيْنٌ . قَالَ : وَكَمْ هُوَ ؟ قَالَ : خَمْسَةُ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ - وَفِي رِوَايَةٍ : سَبْعَةُ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ - فَقَالَ : هِيَ عَلِيٌّ .

وقال عليُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (٩) : كَانَ أَبُو بَكْرٍ ، وَعَمْرٌ مِنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَيَاتِهِ بِمَنْزِلَتِهِمَا مِنْهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ . وَنَالَ مِنْهُ رَجُلٌ يَوْمًا ، فَجَعَلَ يَتَغافلُ عَنْهُ - يُرِيهِ أَنَّهُ لَمْ

(١ - ١) سقط من : ٢١ ، م ، ص .

(٢) حلية الأولياء ٣/ ١٣٥ ، ١٣٦ ، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٩٢ .

(٣) بعده في ٢١ ، م ، ص : « وَتَنَوَّرَ الْقَلْبُ وَالْقَبْرُ ، وَتَكْشَفُ عَنْ الْعَبْدِ ظِلْمَةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٩ ، وحلية الأولياء ٣/ ١٤٠ .

(٥) حلية الأولياء ٣/ ١٣٦ ، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٩٢ .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٢٢ ، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٩٢ .

(٨) حلية الأولياء ٣/ ١٤١ ، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٩٣ .

(٩) تاريخ دمشق ٤٢/ ١٢ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٩٣ .

يَسْمَعُهُ - فقال له الرجل^(١) : إِيَّاكَ أَعْنَى . فقال له عليٌّ : وعنك أَعْضَى . وخرَجَ يوماً مِنَ الْمَسْجِدِ فَسَبَّهَ رَجُلٌ فابْتَدَرَ^(٢) النَّاسُ إِلَيْهِ ، فقال^(٣) : دَعُوهُ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ، فقال : مَا سُبِّحَ عَنْكَ مِنْ أَمْرِنَا^(٤) أَكْثَرَ ، أَلَمْ تَكُنْ حَاجَةً تُعِينُكَ عَلَيْهَا ؟ فَاسْتَحْيَا الرَّجُلُ ، فَأَلْقَى إِلَيْهِ خَمِيصَةً^(٥) كَانَتْ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَكَانَ الرَّجُلُ بَعْدَ ذَلِكَ^(٦) يَقُولُ : أَشْهَدُ^(٧) أَنَّكَ مِنَ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ .

قالوا^(٨) : واختَصَمَ عليٌّ بَنُ الْحُسَيْنِ وَحَسَنُ^(٩) بَنُ حَسَنِ - وَكَانَ بَيْنَهُمَا [١٢٦/٧ ط] مَنَافَسَةٌ - فَنَالَ مِنْهُ حَسَنُ^(٩) بَنُ حَسَنِ وَهُوَ سَاكِتٌ ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ عَلِيُّ بَنُ الْحُسَيْنِ إِلَى مَنْزِلِهِ فَقَالَ : يَا ابْنَ عَمِّ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا يَغْفِرُ اللَّهُ لِي ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ . ثُمَّ رَجَعَ ، فَلَحِقَهُ فَصَالِحُهُ ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ . وَقِيلَ لَهُ^(١٠) : مَنْ أَعْظَمُ النَّاسِ خَطَرًا ؟ فَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرْضَ^(١١) الدُّنْيَا لِنَفْسِهِ خَطَرًا^(١٢) . وَقَالَ أَيْضًا^(١٣) : الْفِكْرَةُ مَرَأَةٌ تُرَى الْمُؤْمِنَ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ .

(١) تاريخ دمشق ٤٦/١٢ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٣٩٨/٢٠.

(٢) في ٢١ : «ابتدر»، وفي م، ص : «فانتدب».

(٣) تاريخ دمشق ٤٥/١٢ (مخطوط)، وصفة الصفوة ١٠٠/٢.

(٤) في ٢١، م، ص : «عوبنا».

(٥) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان .

(٦) بعده في ٢١، م، ص : «إذا رآه».

(٧) سقط من : م .

(٨) تاريخ دمشق ٤٦/١٢ (مخطوط)، وصفة الصفوة ٩٤/٢.

(٩) في الأصل، ٢١ : «حسين».

(١٠) تاريخ دمشق ٥٣/١٢ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٣٩٨/٢٠.

(١١) في ٢١، م، ص : «ير».

(١٢) في ٢١، م، ص : «قدرا».

(١٣) تاريخ دمشق ٥٣/١٢ (مخطوط).

وقال^(١): فَقَدْ الْأَجِبَةُ غُرْبَةً. وكان يقول^(٢): إِنَّ قَوْمًا عَبْدُوا اللَّهَ تَعَالَى رَهْبَةً؛ فتلک عبادة العبيد، وآخرون عبده رغبة؛ فتلک عبادة التجار، وآخرون عبده محبة وشكرًا؛ فتلک عبادة الأحرار الأخيار.

وقال لابنه^(٣): يَا بُنَيَّ لَا تَصْحَبْ فَاسِقًا؛ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِأَكْلَةٍ وَأَقْلٍ مِنْهَا، يَطْمَعُ فِيهَا ثُمَّ لَا يَنَالُهَا، وَلَا بِخِيَلًا؛ فَإِنَّهُ يَخْذُلُكَ فِي مَالِهِ، أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ، وَلَا كَذَابًا؛ فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ يُقَرِّبُ مِنْكَ الْبَعِيدَ، وَيُبَاعِدُ عَنْكَ الْقَرِيبَ، وَلَا أَحْمَقَ؛ فَإِنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ، وَلَا قَاطِعَ رَجِمٍ؛ فَإِنَّهُ مَلْعُونٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ۖ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢].

وكان علي بن الحسين إذا دخل المسجد تخطى الناس حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم، فقال له نافع بن جبيرة بن مطعم^(٤): غفر الله لك، أنت سيد الناس تأتي تخطى^(٥) حتى تجلس مع هذا العبد الأسود؟ فقال له علي بن الحسين: إنما يجلس الرجل حيث ينتفع، وإن العلم^(٦) يُتَغْنَى وَيُؤْتَى^(٧) وَيُطَلَّبُ مِنْ^(٨) حيث كان.

وقال الأعمش^(٨)، عن مسعود بن مالك قال: قال لى علي بن الحسين:

-
- (١) تاريخ دمشق ٥٤/١٢ (مخطوط).
 (٢) حلية الأولياء ١٣٤/٣، وتاريخ دمشق ٥٤/١٢ (مخطوط)، وصفة الصفوة ٩٥/٢.
 (٣) تاريخ دمشق ٥٣/١٢ - ٥٤ (مخطوط)، وصفة الصفوة ١٠١/٢.
 (٤) تاريخ دمشق ٣٣/١٢ (مخطوط).
 (٥) بعده في ٢١، م، ص: «خلق أهل العلم وقریش». (٦ - ٦) سقط من النسخ، والمثبت من مصدر التخریج.
 (٧) سقط من النسخ، والمثبت من مصدر التخریج.
 (٨) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٣٤/١٢ (مخطوط).

أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ؟ فَقُلْتُ: مَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ^(١) أَسْأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ يَنْفَعُنَا اللَّهُ بِهَا^(٢)، إِنَّهُ لَيْسَ عِنْدَنَا مَا يَرْمِينَا بِهِ هَؤُلَاءِ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْعِرَاقِ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ^(٣): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، ثنا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ رَزِينِ^(٤) بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَأَتَى عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَرْحَبًا بِالْحَبِيبِ ابْنِ الْحَبِيبِ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ^(٥)، مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ^(٦): ثنا الْعَلَاءِيُّ^(٧) ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ، عَنْ سَفْيَانَ بْنِ عَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزَّيْبِرِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ فَقَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٨)، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، فَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَبَّلَهُ، وَأَقْعَدَهُ إِلَى جَنْبِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَوْلَدُ لَابْنِي هَذَا ابْنٌ يُقَالُ لَهُ: عَلِيٌّ. إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مَنْادٍ مِنْ بُطْنَانِ الْعَرْشِ: لِيَقُمْ سَيِّدُ الْعَابِدِينَ. [١٢٧/٧]» فَيَقُومُ هُوَ. هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ جَدًّا أَوْرَدَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ.

وَقَالَ الزَّهْرِيُّ^(٩): كَانَ أَكْثَرُ مَجَالَسَتِي مَعَ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَمَا رَأَيْتُ أَفْقَةً مِنْهُ، وَكَانَ قَلِيلَ الْحَدِيثِ، وَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَحْسَنِهِمْ طَاعَةً، وَأَحَبَّهُمْ

(١) سقط من: م.

(٢) بعده في ٢١، م، ص: «ولا تنقضه».

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٣٤/١٢ (مخطوط).

(٤) في م: «زر».

(٥) بعده في ٢١، م، ص: «بن».

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٣٤/١٢ (مخطوط)، من طريق أبي بكر الصولي به.

(٧) في م: «اللاء».

(٨ - ٨) سقط من: ص.

(٩) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٣٤/١٢، ٣٥ (مخطوط)، من طريق الزهري به.

إلى مروان، وابنه عبد الملك، وكان يُسمّيه^(١) : زين العابدين .

وقال جويرية بن أسماء^(٢) : ما أكل علي بن الحسين بقرابته من رسول الله ﷺ درهمًا قط، رحمه الله ورضى عنه .

وقال محمد بن سعيد^(٣) : أنبأ علي بن محمد، عن سعيد بن خالد، عن المقبري قال : بعث المختار إلى علي بن الحسين بمائة ألف، فكره أن يقبلها، وخاف أن يردها، فاحتبسها عنده، فلما قتل المختار كتب إلى عبد الملك بن مروان : إن المختار بعث إلي بمائة ألف، فكرهت أن أقبلها، وكرهت أن أردّها، فابعث من يقبضها . فكتب إليه عبد الملك : يا ابن عمّ، خذها، فقد طيئتها لك، فقبلها .

وقال علي بن الحسين^(٤) : سادة الناس في الدنيا الأسخياء الأتقياء، وفي الآخرة أهل الدين وأهل الفضل والعلم^(٥) ؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء .

وقال أيضًا^(٦) : إنني لأستحي من الله، عز وجل، أن أرى الأخ من إخواني، فأسأل الله له الجنة، وأبخل عليه بالدنيا، فإذا كان يوم القيامة، قيل لى : لو كانت الجنة بيدك لكنت بها أبخل، وأبخل وأبخل^(٧) .

وذكروا^(٨) أنه كان كثير البكاء، فقيل له فى ذلك، فقال : إن يعقوب، عليه

(١) فى م : « يسمى » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣٧/١٢ (مخطوط)، من طريق جويرية بن أسماء به .

(٣) طبقات ابن سعد ٢١٣/٥ .

(٤) تاريخ دمشق ٤١/١٢ (مخطوط) .

(٥) بعده فى ٢١، م، ص : « الأتقياء » .

(٦) تاريخ دمشق ٤١/١٢ (مخطوط) .

(٧) سقط من : ٢١ .

(٨) تاريخ دمشق ٤١/١٢ (مخطوط) بنحوه .

السلام، بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف، ولم يعلم أنه مات، وإني رأيت بضعة عشر من "أهل بيتي" يذبحون في غداة واحدة، أفترزون حزنهم يذهب من قلبي أبداً؟!

وقال عبد الرزاق^(٢): سكبت جارية لعلي بن الحسين عليه ماء ليتوضأ، فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجّه، فرفع رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله، عز وجل، يقول: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾. فقال: قد كظمت غيظي. قالت: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾. فقال: قد عفا الله عنك. فقالت: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. قال: فاذهبى^(٣)، أنت حرة.

وقال الزبير بن بكار^(٤): ثنا عبد الله بن إبراهيم أبو^(٥) قدامة الجُمَحِيُّ^(٦)، عن أبيه، عن جدّه، عن محمد بن علي، عن أبيه قال: جلس إلي^(٧) قوم من أهل العراق، فذكروا أبا بكر، وعمر فنالوا منهما، ثم ابتدئوا في عثمان، فقلت^(٨) لهم: أخبروني، أنتم من ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾. ^(٩) وإلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْصَّادِقُونَ﴾^(١٠) [الحشر: ٨]؟ قالوا: لا، ^(١١) لسنا منهم^(١٢). قلت: فأنتم من الذين، ^(١٣) قال الله، عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ

(١ - ١) في الأصل، ٢١، ص: «أهلي».

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢/١٢. (مخطوط)، من طريق عبد الرزاق به.

(٣) سقط من: ٢١، م، ص.

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٣/١٢. (مخطوط)، من طريق الزبير بن بكار به.

(٥) في النسخ: «بن». والمثبت من مصدر التخريج.

(٦) في م: «اللمخي».

(٧) في ٢١، م، ص: «فقال».

(٨ - ٨) سقط من: ٢١، م، ص.

مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴿٩﴾ ، إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩] ؟ قالوا : لا ، "لسنا منهم" ^(١) . قال : فقلتُ لهم : أمّا أنتم فقد تبرأتم ^(٢) و"أقررتُم وشهدتُم" أن تكونوا منهم ، وأنا أشهد ^(٣) أنكم لستم من ^(٤) الفرقة الثالثة الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠] قوموا عني ، لا بارك الله فيكم ، ولا قرب دوركم ، أنتم مستهزئون بالإسلام ، ولستم من أهله .

وجاء رجل ^(٥) فسأله : متى يُبعثُ عليٌّ ؟ فقال : يُبعثُ والله يوم القيامة وتَهُمُّهُ نفسه .

وقال ابنُ أبي الدنيا ^(٦) : حَدَّثْتُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ هَاشِمٍ ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ ، أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُصَدِّقُ الْيَوْمَ - أَوْ أَهْبُ عِرْضِي الْيَوْمَ - مَنْ اسْتَحْلَهُ .

وروى ابنُ أبي الدنيا ^(٧) أَنَّ غُلَامًا سَقَطَ مِنْ يَدِهِ سَفُودٌ وَهُوَ يَشْوِي شَيْئًا فِي التَّنَوُّرِ عَلَى رَأْسِ صَبْيٍ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ فَقَتَلَهُ ، فَهَضَّ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ مَسْرِعًا ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ ، قَالَ لِلْغُلَامِ : ^(٨) يَا بَنِيَّ ، إِنَّكَ لَمْ تَتَعَمَّدْ ، أَنْتَ حُرٌّ . ثُمَّ شَرَعَ فِي

(١ - ١) سقط من : ٢١ ، م ، ص .

(٢ - ٢) في ٢١ ، م ، ص : « على أنفسكم » .

(٣) بعده في ٢١ ، ص : « هؤلاء وأنا أشهد أنكم لستم من » ، وفي م : « هؤلاء ولا من هؤلاء ، وأنا أشهد أنكم من » .

(٤) تاريخ دمشق ٤٣/١٢ ، ٤٤ (مخطوط) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٦/١٢ (مخطوط) من طريق ابن أبي الدنيا به .

(٦) المصدر السابق .

(٧ - ٧) سقط من : م .

جهازِ ابنه .

وقال المدائني^(١) : سَمِعْتُ سَفِيَانَ يَقُولُ : كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ يَقُولُ : مَا يَسُرُّنِي أَنْ لِي بِنَصِيْبِي مِنَ الذَّلِّ حُمْرُ النَّعَمِ . وَرَوَاهُ الزَّيْبِيُّ بْنُ بَكَّارٍ^(٢) مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنْهُ .

ومات لرجلٍ ولدٌ مسرفٌ على نفسه فجزع عليه من أجل إسرافه فقال له عليُّ ابنُ الحسينِ^(٣) : إِنَّ مِنْ وَرَاءِ ابْنِكَ خِلَالًا ثَلَاثًا ؛ شَهَادَةٌ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَشَفَاعَةُ رَسُولِ اللَّهِ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ .

وقال المدائني^(٣) : قَارَفَ الزَّهْرِيُّ ذَنْبًا ، فَاسْتَوْحَشَ مِنْهُ ، وَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ ، وَتَرَكَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ بِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ لَهُ : يَا زَهْرِيُّ ، قَنُوطُكَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَعْظَمُ مِنْ ذَنْبِكَ . فَقَالَ الزَّهْرِيُّ : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] . وَفِي رِوَايَةٍ^(٤) ، أَنَّهُ كَانَ أَصَابَ دُمًّا^(٥) خَطَأً ، فَأَمَرَهُ عَلِيُّ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، وَأَنْ يَبْعَثَ الدِّيَّةَ إِلَى أَهْلِهِ^(٥) . وَكَانَ الزَّهْرِيُّ يَقُولُ : عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ أَعْظَمُ النَّاسِ عَلَيَّ مَنَةً .

وقال سفيانُ بنُ عيينة^(٦) : كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ يَقُولُ : لَا يَقُولُ رَجُلٌ فِي

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/١٢ (مخطوط) ، من طريق المدائني به .

(٢) تاريخ دمشق ٤٧/١٢ (مخطوط) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/١٢ (مخطوط) ، من طريق المدائني به .

(٤) بعده في ٢١ ، م ، ص : « حراما » .

(٥) بعده في ٢١ ، م ، ص : « ففعل ذلك » .

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٨/١٢ (مخطوط) ، من طريق سفيان به .

رجلٍ من الخير ما لا يعلم إلا أو شك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم، وما
[١٢٨/٧] اصطحب اثنان على معصية إلا أو شك أن يفتريقا على غير طاعة
الله .

وذكروا^(١) : أنه زوج ابنة^(٢) من مولى له ، وأعتق أمة فتزوجها ، فأرسل إليه
عبد الملك يلومه في ذلك ، فكتب إليه ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ ﴾
[الأحزاب : ٢١] ، وقد أعتق صفية فتزوجها ، وزوج مولاه زيد بن حارثة من ابنة
عمته زينب بنت جحش . قالوا^(٣) : وكان يلبس في الشتاء خميصاً من خز
بخمسين ديناراً ، فإذا جاء الصيف تصدق بها . ويلبس في الصيف الثياب
المرقعة^(٤) ودونها ، ويتلو قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف ٣٢] .

وقد روى من طرق ذكرها الصولئ ، والجريئ ، وغير واحد^(٥) ، أن هشام بن
عبد الملك حج في خلافة أبيه - أو أخيه الوليد - فطاف بالبيت ، فلما أراد أن يستلم
الحجر لم يتمكن حتى نصب له منبر فاستلم وجلس عليه ، وقام أهل الشام حوله ،
فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين ، فلما دنا من الحجر ؛ ليستلمه تنحى عنه
الناس إجلالاً له وهيبة واحتراماً ، وهو في بزة حسنة ، وشكل مليح ، فقال أهل
الشام لهشام : من هذا ؟ فقال : لا أعرفه^(٦) . لئلا يرغب فيه أهل الشام ، فقال

-
- (١) تاريخ دمشق ٤٨/١٢ (مخطوط) .
(٢) في الأصل ، ٢١ ، م : « أمه » . والمثبت موافق لما في مصدر التخريج ، وانظر طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٤ .
(٣) تاريخ دمشق ٤٨/١٢ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩٨ .
(٤) في ٢١ ، ص : « المترقة » .
(٥) حلية الأولياء ١٣٩/٣ ، وتاريخ دمشق ٤٩/١٢ (مخطوط) .
(٦) بعده في ٢١ ، م ، ص : « استنقصا واحتقارا » .

الفرزدق ، وكان حاضرًا : أنا أعرفه . فقالوا : ومن هو ؟ فأنشأ الفرزدق يقول^(١) :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلم
إذا رآته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
يُنمى إلى ذروة العز التى قصرت عن نيلها عَزَبَ الإسلام والعجم
يكاد يُنسيكه عرفان راحته ركن الخطيم إذا ما جاء يستلم
يغضى حياءً ويغضى من مهابته فما يُكلّم إلا حين يبتسم
بكفه خيزران ريحها عبق من كف أروع فى عرينه^(٢) شَم^(٣)
مشتقة من رسول الله نبعته^(٤) طابت عناصرها والحيم^(٥) والشيم
ينجذب نور الهدى من نور غوته كالشمس ينجب عن إشراقها القتم^(٦)
حمل أثقال أقوام إذا فديحوا خلو الشمائل تحلو عنده^(٧) نعم
[١٢٨/٧ ظ] هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا
الله فضله قدمًا وشرفه^(٨) جرى بذاك له فى لوحه القلم^(٨)

(١) الأبيات فى الأغاني ٣٢٧/١٥ ، ٣٢٩ ، والحيوان ١٣٣/٣ ، وتاريخ دمشق ٤٨/١٢ ، ٤٩

(مخطوط) ، ومختصر تاريخ دمشق ٢٤٧/١٧ ، ٢٤٨ .

(٢) عرين : الأنف . اللسان مادة (ع ر ن) .

(٣) الشم : ارتفاع القصبه وحسنها واستواء أعلاها . اللسان مادة (ش م م) .

(٤) النبع : شجرة من أشجار الجبال يتخذ منها القسي . اللسان مادة (ن ب ع) .

(٥) الحيم : الشيمة والطبيعة والخلق والسجية . اللسان (خ ي م) .

(٦) فى م : « الغيم » .

(٧) فى الأصل : « عنه » .

(٨ - ٨) سقط من : م .

مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ
 عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ
 كُلُّهَا يَدِيهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا
 سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ
 لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ مِمُّونٌ نَقِيبُهُ^(١)
 مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وَبُغْضُهُمْ
 يُسْتَدْفَعُ السُّوءُ^(٢) وَالْبَلَوَى بِحُبُّهُمْ
 مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ
 إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقَى كَانُوا أُيُمَّتَهُمْ
 لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادُّ بُعْدَ غَايَتِهِمْ
 هُمْ الْغُيُوثُ إِذَا مَا أَزْمَةٌ أَزَمَتْ
 يَأْتِي لَهُمْ أَنْ يَحُلَّ الذَّمُّ سَاحَتَهُمْ
 لَا يَنْقُصُ الْعَشْرُ^(٣) بَسْطًا مِنْ أَكْفُهُمْ
 أَيْ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ
 فَلَيْسَ قَوْلُكَ مَنْ هَذَا بِضَائِرِهِ
 وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهَا الْأُمُّ
 عَنْهَا الْغِيَابَةُ^(٤) وَالْإِمْلَاقُ وَالظُّلُمُ
 يُشْتَوَكِفَانِ وَلَا يَعْرُوهُمَا الْعَدَمُ
 يَزِينُهُ اثْنَانِ : حُسْنُ الْخَلْقِ وَالْكَرَمُ^(٥)
 رَحْبُ الْفِنَاءِ أَرِيتَ حِينَ يَعْتَزِمُ
 كَفَرٌ وَقَرْبُهُمْ مَنَجَّى وَمُعْتَصِمُ
 «وَيُسْتَرْبُ بِهِ»^(٦) الْإِحْسَانُ وَالنَّعْمُ
 فِي كُلِّ حَكِيمٍ وَمَخْتَوِمٌ بِهِ الْكَلِمُ
 أَوْ قِلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قِلَ هُمْ
 وَلَا يَدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا
 وَالْأُسْدُ أُسْدُ الشَّرِّ وَالْبَاسُ مُحْتَدِمُ
 خِيَمٍ كَرِيمٍ^(٧) وَأَيَّدَ بِالْنَدَى هُضُمُ
 سَيِّانٍ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدِمُوا
 لِأَوَّلِيَّةٍ هَذَا أَوْ لَهُ نَعْمُ
 الْغُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ^(٨) أَنْكَرَتْ وَالْعَجَمُ

(١) فِي م : «الغواية» .

(٢) فِي النسخ : «تزينه ثنتان الحلم والكرم» . وهو مضطرب ، والمثبت من طبقات الشافعية الكبرى ١/ ٢٩٢ .

(٣) فِي م : «بغيبته» .

(٤) فِي الْأَصْل ، ٢١ ، ص : «الشر» .

(٥ - ٥) فِي ٢١ : «يسترب» ، وفي م : «ويستزاد به» ، وفي ص : «ويسترد به» .

(٦) فِي م : «كرام» .

(٧) فِي ٢١ : «العشر» . وفي م : «العدم» .

(٨) فِي الْأَصْل ، ٢١ ، ص : «ما» .

مَنْ يَعْرِفِ اللَّهَ يَعْرِفْ أَوْلِيَّةَ ذَا فَالَّذِينَ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ
 قال : فغضب هشامٌ من ذلك ، وأمر بحبس الفرزدقِ بعُشْقَان ، بين مكة
 والمدينة ، فلَمَّا بَلَغَ ذلك عليُّ بنُ الحسينِ بَعَثَ إلى الفرزدقِ باثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ
 درهمٍ ، ^(١) وأرسلَ يعتذرُ إليه أن ليسَ عنده اليومَ غيرها ، فردّها الفرزدقُ ^(٢) ، وقال :
 إِنَّمَا قُلْتُ مَا قُلْتُ لِلَّهِ ، عز وجل ، ونصرةً للحقِّ ، وقيامًا بحقِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ في
 ذريته ، ولستُ أعتاضُ عن ذلك بشيءٍ . فأرسلَ إليه عليُّ بنُ الحسينِ يقولُ : قد
 عليمُ اللَّهِ صدقَ نيتك في ذلك ، وأقسمتُ ^(٣) لَتَقْبَلَنَّهَا . فقبلها منه ثم جعلَ يهجو
 هشامًا فكان ممَّا قال فيه ^(٤) :

يحبُّسُنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْتِي إِلَيْهَا قُلُوبُ النَّاسِ يَهْوِي مَنِيبُهَا
 [١٢٩/٧] يُقْلَبُ رَأْسَالِمُ يَكُنْ رَأْسُ سَيِّدٍ وَعَيْنِينَ حَوْلَاوِينَ بَادِ عِيُوبُهَا
 وقد رُوينا عن عليِّ بن الحسينِ أنَّه كان إذا مرَّت به الجنازةُ يقولُ ^(٥) :

نُراغٌ إذا الجَنَائِزُ قَابِلَتْنَا ونلھو حينَ تمضي ذاهباتٍ
 كزوعةٍ ثلَّةٍ لمُغَارٍ سَبْعٍ فلَمَّا غابَ عادتِ راتعاتٍ
 وروى الحافظُ ابنُ عساكرَ ^(٥) من طريقِ محمد بن عبدِ اللَّهِ المقرئِ ، حدَّثني
 سفيانُ بن عيينةَ ، عن الزهريِّ ، قال : سمعتُ عليَّ بنَ الحسينِ سيِّدَ العابدينِ

(١ - ١) في م : « فلم يقبلها » .

(٢) بعده في ٢١ ، م ، ص : « عليك باللَّهِ » .

(٣) بعده في ٢١ ، م ، ص : « هذين البيتين » . والبيتان في الأغاني ٣٢٧/١٥ ، وتاريخ دمشق ٥٠/١٢ .

(مخطوط) ، ومختصر تاريخ دمشق ٢٤٩/١٧ .

(٤) البيتان في تاريخ دمشق ٥٤/١٢ (مخطوط) ، ومختصر تاريخ دمشق ٢٥٦/١٧ .

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٠/١٢ - ٥٣ (مخطوط) .

يحاسبُ نفسه ويناجي ربّه يقول^(١) :-

يا نفسُ حتّامَ إلى الدنيا غُرُوك^(٢) ، وإلى عمارتها ركُوك ، أما اعتبرتِ بمنْ
مضى من أسلافك ، ومن وارثه الأرض من ألافك ؟ ومن فُجعتِ به من إخوانك ،
ونُقِل إلى البلى^(٣) من أقرانك ؟

فهم في بطون الأرض بعدَ ظهورِها محاسنُهم فيها بوالِ دوائرِ
خلت دورُهم منهم وأقوتِ عِراضُهم وساقطُهم نحوَ المنايا المقادرِ
وخلُّوا عن الدنيا وما جمَعوا لها وضعتُهم^(٤) تحتَ الترابِ الحفائرِ
كم تخزمتُ أيدي المنونِ من قرونٍ بعدَ قرونٍ ، وكم غيّرتِ الأرضُ بيلائها ،
وغيّت في ثراها^(٥) بمنْ عاشرت من صنوفِ الناسِ^(٦) وشيّعتهم إلى الأرماسِ^(٧) .

وأنت على الدنيا مكِبٌ منافِسٌ لخطّابِها فيها حريضٌ مكائِرُ
على خطرٍ تُمسي^(٨) وتُصبحُ لاهيّا أتدرى بماذا لو عقلتِ تخاطرُ ؟ !
وإنّ امرأً يسعى لدنياه دائبًا ويذهلُ عن أخراه لاشكَّ خاسِرُ
فحتّامَ على الدنيا إقبالُك ؟ وبشهواتها اشتغالُك ؟ وقد وخطك القتيّرُ^(٩) ،

(١) سقط من : م .

(٢) في ٢١ ، م ، ص : « سكوك » .

(٣) في ٢١ ، م ، ص : « الثرى » .

(٤) في م : « ضمهم » .

(٥) في ٢١ ، م ، ص : « تراها » .

(٦) سقط من : م .

(٧) في م : « الأمارس » . وبعده في ٢١ ، م ، ص : « ثم رجعت عنهم إلى عمل أهل الأفلاس » .

(٨) في الأصل ، م : « تمسي » .

(٩) وخطك : فشا فيك . والقتيّر : أول ما يظهر من الشيب . الوسيط (و خ ط) ، (ق ت ر) .

وأنتك النذير، وأنت عما يراؤ بك ساه، وبلدّة يومك^(١) لاه^(٢).

وفى ذكرِ هَوَلِ الموتِ والقبرِ واليلى عن اللهِوِ واللذاتِ للمرءِ زاجِرُ
أبعدَ اقترابِ الأربعينِ تربُصُ وشيبِ قَدالِ منذرٍ^(٣) لكِ كاسرُ^(٤)
كانتَ معنيّ بما هو صائرُ لنفسِكَ عمدًا أو^(٥) عن الرشدِ جائرُ
انظرُ إلى الأممِ الماضيةِ، والملوكِ الفانيةِ كيف أفتتهم^(٦) الأيامُ، ووافاهم
الحِمامُ؛ فانمحت من الدنيا آثارهم، وبقيت فيها أخبارهم^(٧).

وأضحوا^(٨) رميما في الترابِ وعُطِلتْ مجالسُ منهم أقرتْ و^(٩)مقاصِرُ
[١٢٩/٧ ط] وحلّوا بدارِ لا تراوَرِ بينهم وأنّى لسكّانِ القبورِ تزاوَرُ^(١٠)
فما إن ترى إلا بجثى^(١١) قد ثوَّوا بها مسطحةً تَسفى عليها الأعاصِرُ
كم من ذى منعةٍ وسلطانٍ وجنودٍ وأعوانٍ، تمكّن من دنياه، ونال فيها ما

(١) بعده فى ٢١، م، ص: «وغدك».

(٢) بعده فى ٢١، م، ص: «وقد رأيت انقلاب أهل الشهوات، وعانيت ما حل بهم من المصيبات».

(٣ - ٣) فى ٢١، م: «للكاسر».

(٤) فى م: «و».

(٥) فى ٢١، م، ص: «اختطفتهم عقبان».

(٦) بعده فى ٢١، م: «وأضحوا ربما فى التراب إلى يوم الحشر والمآب»، وبعده فى ص: «وأضحوا ربما فى التراب إلى يوم الحشر والحساب».

(٧) فى م: «أمسحوا».

(٨ - ٨) فى ٢١، ص: «مجالسهم منهم وأخلوا». وفى م: «مجالسهم منهم وأخلى».

(٩) فى ٢١، م، ص: «التزاوَر».

(١٠) فى الأصل: «إن جثا»، وفى ٢١: «جثاء»، وفى م: «قبورا». وفى ص: «حساد». والمثبت من تاريخ دمشق ٥١/١٢ (مخطوط).

تمتاه، وبني فيها القصور والدساكر، وجمع الأعلق^(١) والذخائر^(٢).

فما صرفت كف المنية إذ أتت مبادرة تهوى إليه الذخائر
ولا دفعت عنه الحصون التي بنى وحف بها أنهاره والدساكر
ولا قارعت عنه المنية حيلة ولا طمعت في الذب عنه العساكر
أتاه من الله ما لا يُرد، ونزل به من قضائه ما لا يُصد، فتعالى الله الملك
الجبّار، المتكبر^(٣) القهار، قاصم الجبارين، ومبيد^(٤) المتكبرين^(٥).

ملك عزيز لا يُردّ قضاؤه حكيم عليم نافذ الأمر قاهر
عنا كل ذي عز لعزة وجهه فكل^(٦) عزيز للمهيمن صاغر
لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت لعزة ذي العرش الملوك الجبابر
فالبدار البدار، والحذار الحذار من الدنيا ومكايدها، وما نصبت لك من
مصايدها، وتحلّت لك من زينتها، وأظهرت لك من بهجتها^(٧).
وفي دون ما عاينت من فجعاتها إلى رفضها^(٨) داع وبالزهد أمر^(٩)

(١) في ٢١، م، ص: «فيها الأموال». والأعلق: جمع علق، وهو النفيس من كل شيء. القاموس، مادة (ع ل ق).

(٢) بعده في ٢١: «ونكح السرار والحرار». وبعده في م: «وملح السرارى والحرار». وبعده في ص: «ونكح السرارى والحرار».

(٣) بعده في ٢١، م، ص: «العزيز».

(٤) في الأصل: «مبير».

(٥) بعده في ٢١، م، ص: «الذى ذل لعزه كل سلطان، وأباد بقوته كل ديان».

(٦) في م: «فكم من».

(٧) بعده في ٢١، م، ص: «وأبرزت لك من شهواتها، وأخفت عنك من قواتلها وهلكاتها».

(٨) في ٢١: «وصفها». وفي م: «دفعها». وفي ص: «ذمها».

(٩) بعده في ٢١، م، ص:

«فجد ولا تغفل وكن متيقظا فعما قليل يترك الدار عامر»

«فَجِدْ وَلَا تَغْفُلْ فَعِيشُكَ»^(١) زائلٌ وأنتَ إلى دارِ الإقامةِ صائرٌ
ولا تطلُبِ الدنيا فإنَّ طِلابَها^(٢) وإنَّ نِلْتَ منها غُبَّةً^(٣) لك ضائرٌ
فهل يحِرُّصُ عليها لبيبٌ ، أو يُسَرُّ بها أريبٌ ؟ وهو على ثِقَةٍ مِن فَنَائِهَا ، وغيرُ
طامعٍ في بَقَائِهَا ، أم كيف تنامُ عينا مَن يخشى البَيَّاتَ ، وتسكُنُ نفسٌ مَن يتوقَّعُ^(٤)
المَمَاتَ .

أَلَا لَا وَلَكِنَّا نَغُرُّ نَفُوسَنَا وَتَشْغَلُنَا اللَّذَاتُ عَمَّا نَحَازِرُ
وكيف يَلْدُ العِيشَ مَن هو مُوقِفٌ^(٥) بموقفٍ عدلٍ يومَ تُبْلَى السرائِرُ
كأنَّا نَرَى أَن لا نَشُورَ وأنَّا سُدَى ما لنا بعدَ المَمَاتِ مصائرُ^(٦)
وما عسى أَن ينالَ صاحبُ الدُّنيا مِن لَذَّتِهَا ويتمتَّعَ به مِن بهجَتِهَا ، مع
صنوفٍ [١٣٠/٧] عجائِبِها^(٧) ، وكثرةِ تبعِهِ^(٨) في طَلِبِهَا ، وما يكابدُ من أسقامِهَا
وأوصابِهَا وآلامِهَا !؟

أما قد تَرى في كُلِّ يومٍ وليلةٍ يروِّحُ علينا صَرفُهَا وِيبَاكِزُ؟
تعاوَرُنا آفَاتُهَا وهمومُهَا وكم قد تَرى يَبْقَى لها المُتَعَاوَرُ؟

(١ - ١) في ٢١، م، ص: «فشم ولا تفتر فعمرك».

(٢) في ٢١، م، ص: «نعيها».

(٣) الغبة: البلغة من العيش. القاموس (غ ب ب).

(٤) بعده في ٢١، م، ص: «في جميع أموره».

(٥) في م: «موقف».

(٦) في ٢١، م، ص: «مصادر».

(٧) بعده في ٢١، م، ص: «وقوارع فجائعها».

(٨) في ٢١، م، ص: «عذابه بمصابها و».

فلا هو مغبوطٌ بدنياه آمِنٌ ولا هو عن تَطَلُّبِهَا النفسُ قاصرٌ
كم قد غَوَتْ الدنيا مِن مُخْلِذٍ إِلَيْهَا، وصرعت من مَكِبٍّ عَلَيْهَا، فلم تُنْعِشْهُ
من عُثْرَتِهِ، ولم تُقَمِّهِ ^(١) مِن صِرْعَتِهِ، ولم تَشْفِهِ مِن إِلِهِ، ولم تُبْرِهِ مِن سَقَمِهِ ^(٢).

بلى أوردته بعدَ عزٍّ وَمَنَعَةٍ مواردٌ سوءٍ ما لهنَّ مصادُرُ
فلَمَّا رَأَى أَن لا نَجَاةَ وَأَنَّهُ هو الموتُ لا يُنْجِيهِ مِنْهُ التَّحَاذُرُ
تندَّم إِذْ لم تُغْنِ عَنْهُ نَدَامَةٌ عليه وَأَبْكَتْهُ الذُّنُوبُ الْكِبَائِرُ
بَكَى عَلَى مَا سَلَفَ مِن خَطَايَاهُ، وَتَحَسَّرَ عَلَى مَا خَلَفَ مِن دُنْيَاهُ، حِينَ ^(٣) لا
يَنْفَعُهُ الْإِسْتِغْفَارُ، وَلا يُنْجِيهِ الْإِعْتِذَارُ، عِنْدَ هَوْلِ الْمُنِيَةِ وَنَزُولِ الْبَلِيَةِ.

أَحَاطَتْ بِهِ أَحْزَانُهُ وَهَمُومُهُ وَأُبْلِسَ لَمَّا أَعْجَزَتْهُ الْمَعَاذِرُ ^(٤)
فليس له مِن كُرْبَةِ الْمَوْتِ فَارِجٌ وليس له مِمَّا يَحَازِرُ نَاصِرُ
وَقَدْ جَشَّأَتْ خَوْفَ الْمُنِيَةِ نَفْسُهُ تُرَدِّدُهَا مِنْهُ اللَّهَا وَالْحَنَاجِرُ
هَنَالِكَ خَفَّ غَوَاؤُهُ، وَأَسْلَمَهُ أَهْلُهُ وَأَوْلَادُهُ، وَارْتَفَعَتْ الرِّئَةُ ^(٥) بِالْعَوِيلِ، وَقَدْ
أَيْسَوْا مِنَ الْعَلِيلِ، فَعَمَّضُوا بِأَيْدِيهِمْ عَيْنَيْهِ، وَمَدَّ عِنْدَ خُرُوجِ رُوحِهِ رِجْلَيْهِ ^(٦).

فكم موجِعٌ يَبْكِي عَلَيْهِ وَمُفْجِعٌ وَمُسْتَنْجِدٌ صَبْرًا وَمَا هُوَ صَابِرٌ
وَمُسْتَرْجِعٌ دَاعٍ لَهُ اللَّهُ مُخْلِصًا يَعِدُّ مِنْهُ خَيْرَ ^(٧) مَا هُوَ ذَاكِرٌ

(١) فِي ٢١، م، ص: «تَقْذِهِ».

(٢) بَعْدَهُ فِي ٢١، م، ص: «وَلَمْ تَخْلُصْهُ مِنْ وَصْمِهِ».

(٣) فِي ٢١: «وَأَسْتَغْفِرُ حِينَ»، وَفِي م: «أَسْتَغْفِرُ حَتَّى».

(٤) فِي م: «الْمَقَادِرُ».

(٥) فِي ٢١: «الرِّزْيَةُ»، وَفِي م: «الْبَرِيَّةُ».

(٦) بَعْدَهُ فِي ٢١، م: «وَتَخَلَّى عَنْهُ الصَّدِيقُ وَالصَّاحِبُ الشَّفِيقُ».

(٧) فِي ٢١، م: «كُلُّ».

وكم شامتٍ مستبشِّرٍ بوفاته وعمّا قليلٍ كالذى صار صائرٌ
فشقَّ جيوبها نساؤه، ولطمَ حدودها إماؤه، وأغولَ لفقيده جيرانه، وتوجَّعَ
لرزئه إخوانه، ثم أقبلوا على جهازه، وشمروا لإبرازه^(١).

وظلَّ^(٢) أحبُّ القومِ كانَ لقبره^(٣) يَحُثُّ على تجهيزه ويبادرُ
وشمر مَنْ قد أحضره لغسله ووجهه لما قام^(٤) للقبرِ حافرُ
[١٣٠/٧ ط] وكُنْ في ثوبين واجتمعتْ له مُشِيعةٌ إخوانه والعشائرُ
فلو رأيتَ الأصغرَ من أولاده، وقد غلبَ الحزنُ على فؤاده، وغشى^(٥) من
الجزعِ عليه، وخضبتُ الدموعُ خديه^(٦)، وهو يندُبُ أباه، ويقول: يا ويلاه^(٧).

لعاينتُ من قبحِ المنية^(٨) منظرًا يُهالُ لمرآةٍ ويَزتاعُ ناظرُ
أكابرُ أولادٍ يهيجُ اكتئابهم إذا ما تناساه^(٩) البنون الأصاغرُ
ورثة^(١٠) نسوانٍ عليه جوازعٍ مدامعهم فوقَ الحدودِ غوازرُ
ثم أخرجَ من سعةِ قصره إلى ضيقِ قبره، فلما استقرَّ في اللحدِ وهى^(١١) عليه

(١) بعده فى ٢١، م: «كأنه لم يكن بينهم العزيز المفدى ولا الحبيب المبدى».

(٢) فى ٢١: «ضل»، وفى م: «حل».

(٣) فى م: «بقبره».

(٤) فى النسخ: «فاض». وانظر تاريخ دمشق ٥٢/١٢ (مخطوط).

(٥) فى ٢١، م: «يخشى».

(٦) فى ٢١، م: «عينه».

(٧) بعده فى ٢١، م: «واحرياه».

(٨) فى الأصل: «المدينة».

(٩) فى الأصل: «تناسوه».

(١٠) فى م: «ربة».

(١١) وهى: تخرق وانشق واسترخى رباطه. القاموس (وهى).

اللين^(١)، وحثوا بأيديهم عليه التراب، وأكثروا التلدد^(٢) عليه والانتحاب، ثم وقفوا ساعة عليه، وأيسوا من النظر إليه^(٣).

فولوا عليه مغولين وكلهم ليل الذي لاقى أخوه محاذر
كشاة رتاج آمنين بدا لها بمديته بادى الذراعين حاسر
فريعت ولم ترتع قليلاً وأجفلت فلما نأى عنها الذى هو جازر
عادت إلى مزعاها، ونسيث ما فى أختها دهاها، أبافعال البهائم^(٤) اقتدينا؟
أم على عاديها جزيثنا؟ عذ إلى ذكر المنقول إلى دار البلى و^(٥) الثرى، المدفوع إلى
هول ما ترى.

ثوى مفرداً فى لحده وتوزعت مواريشه^(٦) أرحامه والأواصر^(٧)
وأحتوا على أمواله يقسمونها فلا حامد منهم عليها وشاكر
فيا عامر الدنيا ويا ساعياً لها ويا آمناً من أن تدور الدوائر
كيف أمنت هذه الحالة وأنت صائر إليها لا محالة؟! أم كيف^(٨) تنهت
لحياتك^(٩) وهى مطيئك إلى مماتك؟! أم كيف تسيع^(١٠) طعامك وأنت منتظر
جمامك^(١١)؟!؟

(١) بعده فى ٢١، م: «احتوشته أعماله وأحاطت به خطاياها، وضاق ذرعاً بما رآه».

(٢) فى ٢١، م: «البكاء». والتلدد هو التلفت يمينا وشمالاً. القاموس (ل د د).

(٣) بعده فى ٢١، م: «وتركوه رهنا بما كسب وطلب».

(٤) فى ٢١، م: «الأنعام».

(٥) بعده فى ٢١، م: «اعتبر بموضعه تحت».

(٦ - ٦) فى ٢١، م: «أولاده والأصاهر».

(٧ - ٧) فى ٢١، م: «ضيعت حياتك».

(٨) فى م: «تشيع من».

(٩) بعده فى ٢١، م: «أم كيف تنهت بالشهوات وهى مطية الآفات».

ولم تتزوّد للرحيل وقد دنا وأنت على حالٍ وشيكًا مسافرٌ
 فيا لهفَ نفسى كم أسوّفُ توبتى وعُمريّ فإنّ والرّدى لى ناظرٌ
 وكلّ الذى أسلفتُ فى الصّحفِ مبيّتٌ يُجازى عليه عادلُ الحكمِ قادرٌ
 فكم ترفعُ بآخرتك دنياك؟ وتركبُ^(١) فى ذلك^(٢) هواك؟ أراك ضعيفَ
 اليقين، يامؤثر الدنيا على الدين، أبهذا أمرك الرحمن؟ أم على هذا نزل
 القرآن^(٣)؟

[١٣١/٧] تُخَرَّبُ مَا يَتَقَى وَتَعْمُرُ فَانِيَا فلا ذاك موفورٌ ولا ذاك عامرٌ
 وهل لك إن وافاك حتفك بغتةً ولم تكتسبَ خيرًا لدى الله عاذرٌ
 أترضى بأن تُفنى الحياة وتنفضى ودينك منقوص ومالك وافرٌ
 وقد اختلف أهل التاريخ فى السنة التى تُوفى فيها على بن الحسين، زين
 العابدين؛ فالمشهور عن الجمهور^(٤) أنّه تُوفى فى هذه السنة - أعنى سنة أربع
 وتسعين - فى أوّلها عن ثمان وخمسين سنة، وصلى عليه بالقيع، ودُفن به .
 قال الفلاس^(٥) : مات سعيد بن المسيّب، وعلى بن الحسين، وعروة، وأبو
 بكر بن عبد الرحمن سنة أربع وتسعين .
 وقال بعضهم^(٥) : تُوفى ثنتين، أو ثلاث وتسعين .

(١ - ١) فى ٢١، م : « غيك و » .
 (٢) بعده فى ٢١، م : « أما تذكر ما أمامك من شدة الحساب وشر المآب، أما تذكر حال من جمع وشر،
 ورفع البناء وزخرف وعمر، أما صار جمعهم بورا ومساكنهم قبورا » .
 (٣) طبقات ابن سعد ٥/٢٢١، وتاريخ دمشق ١٢/٥٦، ٥٧ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٢٠/٤٠٣، ٤٠٤،
 وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٣٩، وسير أعلام النبلاء ٤/٣٩٩، ٤٠٠ .
 (٤) تاريخ دمشق ١٢/٥٧ (مخطوط) .
 (٥) تاريخ دمشق ١٢/٥٦ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٢٠/٤٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث
 ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٣٩، وسير أعلام النبلاء ٤/٤٠٠ .

وأغرب المدائني في قوله^(١) : إنه تُوفِّي سنة تسع وتسعين . والله أعلم^(٢) .
^(٣) ومن تُوفِّي فيها الأعيان^(٤) :

أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر^(٥) بن مخزوم القرشي، المدني^(٦)، أحد الفقهاء السبعة، قيل : اسمه محمد . وقيل : اسمه أبو بكر، وكنيته أبو عبد الرحمن . والصحيح أن اسمه وكنيته واحد . وله من الأولاد والإخوة كثير، وهو تابعي جليل، روى عن عمّار، وأبي هريرة، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة، وأم سلمة، وغيرهم، وعنه جماعة، منهم بنوه : سلمة، وعبد الله، وعبد الملك، وعمرو، ومولاه سُمَيّ، وعامر الشعبي، وعمرو بن عبد العزيز، وعمرو بن دينار، ومجاهد، والزُّهري .
وُلد في خلافة عُمرَ، وكان يُقال له : راهب قريش . لكثرة صلاته، وكان مكفوفًا، وكان يصوم الدهر، وكان من الثقة، والأمانة، والفقه، وصحة الرواية على جانب عظيم .

^(٧) وكان عبدُ الملك بن مَرْوان يُكرِّمه ويعرفُ فضله، ويقولُ^(٨) : إني أَهْمُ^(٩)

(١) تاريخ دمشق ٥٧/١٢ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٤٠٤/٢٠ .

(٢) بعده في م، ص زيادة، وهي من زيادات الناسخ .

(٣ - ٣) سقط من : ٢١، م، ص .

(٤) في ٢١ : « عمرو » .

(٥) ترجمته في : طبقات ابن سعد ٢٠٧/٥، وطبقات خليفة ٦١١/٢، وحلية الأولياء ١٨٧/٢،

وطبقات الفقهاء ٥٩، وتهذيب الكمال ١١٢/٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ)

ص ٥١٢، وسير أعلام النبلاء ٤١٦/٤ .

(٦ - ٦) سقط من : ٢١، م، ص .

(٧) طبقات ابن سعد ٢٠٨/٥، ٢٠٩ .

«بالشئ أفعله بأهل المدينة ؛ لسوء أثرهم عندنا ، فأذكُر أبا بكر بن عبد الرحمن فاستحيى منه ، وأترك ذلك الأمر من أجله . وله مناقب كثيرة^(١) .

قال أبو داود^(٢) : وكان قد كُفَّ ، وكان إذا سجد يضع يده في طست ؛ لعلّه كان يجدها . والصحيح أنه مات في هذه السنة . وقيل : في التي قبلها . وقيل : في التي بعدها . والله أعلم^(٣) .

(١ - ١) سقط من : ٢١ ، م ، ص .

(٢) تهذيب الكمال ١١٤ / ٣٣ ، وسير أعلام النبلاء ٤١٧ / ٤ .

(٣) بعده في م ، ص زيادة ، وهي من زيادات الناسخ .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

فيها غزا العباس بن الوليد بلاد الروم، وافتتح حصوناً كثيرة.
وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك مدينة^(١) «الباب من إرمينية»^(٢)، وخرّبها^(٣) ثم
بناها مسلمة بعد ذلك بتسع^(٤) سنين.

وفيها افتتح محمد بن القاسم [١٣١/٧ ظ] الثقفى مدينة المولتان^(٥) من أرض
الهند،^(٦) وأخذ منها أموالاً جزيلة.

وفيها قديم موسى بن نصير من بلاد الأندلس إلى إفريقية، ومعه الأموال على
العجل تحمل من كثرتها، ومعه ثلاثون ألف رأس من السبي^(٧).

وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الشاش،^(٨) ففتح مدناً وأقاليم كثيرة^(٩)، فلما
كان هناك جاءه الخبر بموت الحجاج بن يوسف فقمعه ذلك، ورجع بالناس إلى
مدينة مرو، وتمثل بقول بعض الشعراء^(١٠):

لَعَمْرِي لِنَعْمَ الْمَرْءُ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ بِخُورَانَ أَمْسَى أَعْلَقَتْهُ الْحَبَائِلُ
فَإِنْ تَحَى لَا أَمَلٌ^(١١) حَيَاتِي وَإِنْ تَمُتْ فَمَا فِي حَيَاتِي بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ

(١ - ١) فى ٢١، م، ص: «فى بلاد الروم».

(٢ - ٢) فى ٢١، م، ص: «ثم حرقها».

(٣) فى ٢١، م، ص: «بعثر».

(٤) فى الأصل: «الموليان»، وفى ٢١، ص: «الموليا»، وفى م: «المولينا». والمثبت من تاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٢٦٢. ومولتان بلد فى بلاد الهند على سمت غزنة. معجم

البلدان ٦٨٩/٤.

(٥ - ٥) زيادة من: ٢١، م، ص.

(٦) البيتان للحطيفة، وهما فى ديوانه ٢٤، وانظر الطبرى ٤٩٢/٦، والكامل ٥٨٣/٤.

(٧) فى النسخ: «أملك». والمثبت من مصادر التخرىج.

« وفيها كتب الوليدُ إلى قُتَيْبَةَ^(١) بأن يستمرَّ على ما هو عليه من مُناجزة الأعداء، ويَعِدُّه على ذلك، ويَحْزِيه خَيْرًا، ويُشْنِي عليه بما صنَّع من الجهاد، وفتح البلاد، وقتل أهل الكفر والعناد، وقد كان الحجاج استخلف على الصلاة ابنه عبد الله، فولَّى الوليد الصلاة والحرب بالمصريين - الكوفة والبصرة - يزيد بن أبي كَبْشَةَ، وولَّى خراجهما يزيد بن مُسلم، وقيل^(٢): إنَّ الحجاج كان يستخلفهما على ذلك فأقرَّهما الوليد. واستمرَّ سائر نَوَابِ الحجاج على ما كانوا عليه، وكانت وفاة الحجاج لخمس - وقيل: لثلاث بَقِيْنَ من رمضان. وقيل: مات في شَوَّالٍ من هذه السنة.

وحجَّ بالناس فيها بشرُّ بن الوليد بن عبد الملك، قاله أبو معشرٍ والواقدي^(٣).

وفيها قُتِلَ الوضَّاحِيُّ بأرض الروم، ومعه ألف من أصحابه.

وفي هذه السنة كان مولدُ أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي^(٤) ابن عبد الله بن عباس.

(١ - ١) في الأصل: «وكتب قتيبة إلى الوليد». وانظر الطبري ٤٩٢/٦.

(٢) تاريخ الطبري ٤٩٣/٦.

(٣) تاريخ الطبري ٤٩٣/٦، ٤٩٤.

(٤) بعده في الأصل: (بن علي). وانظر تاريخ بغداد ٥٣/١٠، وسير أعلام النبلاء ٨٣/٧، وتاريخ الخلفاء ص ٢٥٩.

وهذه ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي^(١) وذكر وفاته

هو الحجاج بن يوسف^(٢) بن الحكم^(٣) بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن
مُعْتَبٍ بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف - وهو قسي بن
مُتَبِّه بن بكر بن هوازن - أبو محمد الثقفي، سمع ابن عباس وروى عن أنس،
وسمرة بن جندب، وعبد الملك بن مروان، وأبي بريدة بن أبي موسى. وروى عنه
أنس بن مالك، وثابت البناني، وحميد الطويل، ومالك بن دينار، وجراذ^(٤) بن
مجالد، وقتيبة بن مسلم، وسعيد بن أبي عروبة، قاله ابن عساكر^(٥). قال^(٥):
وكانت له بدمشق آذُرٌ منها دارُ الزاوية بقرب قصر ابن أبي الحديد، وولاه عبدُ
الملك الحجازَ فقتل ابنَ الزبير، ثم عزله عنها وولاه العراق، وقدم دمشق وافداً
على عبد الملك. ثم روى^(٦) من طريق المغيرة بن مسلم،^(٧) حدثنا سالم^(٨) بن قتيبة
ابن مسلم^(٩)، سمعتُ أبي يقول: خطبنا الحجاج بن يوسف، [١٣٢/٧] فذكر

(١) انظر ترجمته وأخباره في: الجمع بين رجال الصحيحين ٩٩/١، وتاريخ دمشق ١١٣/١٢، ووفيات
الأعيان ٢٩/٢، ونهاية الأرب ٣٣١/٢١، ودول الإسلام ٦٥/١، وسير أعلام النبلاء ٣٤٣/٤، وتاريخ
الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣١٤، والعقد الثمين ٥٤/٤، والوافي بالوفيات
٣٠٧/١١، ومرآة الجنان ١٩٢/١، وتهذيب التهذيب ٢١٠/٢، وغيرها من كتب التواريخ والأدب.
(٢ - ٢) سقط من: النسخ، والمثبت من تاريخ دمشق، والوافي بالوفيات.
(٣) في ٢١، م، ص: «جواد». والمثبت من تاريخ دمشق، وبغية الطلب ٤/٥ (مخطوط). وانظر
الجرح والتعديل ٥٣٨/٢.

(٤) تاريخ دمشق ١١٣/١٢.

(٥) تاريخ دمشق الموضع السابق.

(٦) تاريخ دمشق ١١٤/١٢.

(٧ - ٧) سقط من: م.

(٨) في الأصل، ٢١، ص: «مسلم». والمثبت من تاريخ دمشق ١١٤/١٢، ٢٠٨/٤ (مخطوط). ومن
أبناء قتيبة مسلم وسلم. انظر الطبري ٤٢٥/٦، ٤٧٦. وذكر ابن قتيبة في المعارف ٤٠٧ في ترجمة =

القبر، فما زال يقول: إنه يث الوحدة، ويث الغرية. حتى بكى وبكى من حوله، ثم قال: سمعتُ أمير المؤمنين عبدَ الملك بن مروان يقول: سمعتُ مروان يقول في خطبته: خطبنا عثمان بن عفان، فقال في خطبته: ما نظر رسول الله ﷺ إلى قبرٍ أو ذكره إلا بكى. وهذا الحديث له شاهد في «سنن أبي داود» وغيره^(١)، وساق من طريق أحمد بن عبد الجبار^(٢): ثنا سيار^(٣)، عن جعفر، عن مالك بن دينار قال: دخلت يوماً على الحجاج، فقال لي: يا أبا يحيى، ألا أحدثك بحديث حسنٍ عن رسول الله ﷺ؟ فقلت: بلى. فقال: حدثني أبو بردة، عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له إلى الله حاجةٌ فليدعُ بها في دُبرِ^(٤) صلاةٍ مفروضةٍ». وهذا الحديث له شاهد عن فضالة بن عبيد^(٥) وغيره^(٦) في السنن والمسانيد، والله أعلم.

قال الشافعي^(٧): سمعتُ من يذكر أنَّ المغيرة بن شعبة دخل على امرأته وهي تتخلل -^(٨) أى تخلل أسنانها ليخرج ما بينها من أذى - وكان ذلك في^(٩) أول النهار، فقال: والله لئن كنت باكرت الغداء إنك لرغيبة^(٩) ذنيئة، وإن كان الذى

= قتيبة أولاده ولم يذكر فيهم سالماً. ويمكن أن تكون «سالم» تحرفت عن «سلم» والله أعلم.
(١) سنن أبي داود (٣٢٣٤) صحيح (صحيح سنن أبي داود ٢٧٧١) - والحديث عند مسلم (٩٧٦/١٠٨) - وابن ماجه (٤١٩٥). قال البوصيرى فى مصباح الزجاجة ٢٩٢/٣: هذا إسناد فيه مقال.
(٢) تاريخ دمشق ١١٤/١٢.

(٣) فى ٢١، م، ص: «يسار». وانظر تاريخ دمشق، وبغية الطالب ٤/٥.

(٤) بعده فى الأصل: «كل».

(٥) أبو داود (١٤٨١)، والترمذى (٣٤٧٦، ٣٤٧٧)، والنسائى (١٢٨٣)، والإمام أحمد فى المسند ١٨/٦، كلهم من حديث فضالة. صحيح (صحيح سنن أبي داود ١٣١٤).

(٦) الترمذى (٥٩٣). حسن (صحيح سنن الترمذى ٤٨٦).

(٧) تاريخ دمشق ١١٥/١٢، ١١٦.

(٨ - ٨) فى الأصل: «من».

(٩) فى النسخ: «لرعيئة». والمثبت من تاريخ دمشق.

تخلّلين من شيء يّقى في فيك من البارحة إنك لَقَذِرَةٌ . فطلّقها ، فقالت : والله ما كان شيء مما ذكرت ، ولكنني باكرت ما ثباكره الحرّة من السّواك ، فبقيت سَطِيئة في فمي منه فحاولتها لأخرجها . فقال المغيرة ليوسف أبى الحجاج : تزوّجها فإنّها لخليفة أن تأتي برجل يسود ، فتزوّجها يوسف أبو الحجاج . قال الشافعي : فأخبرت أن أبا الحجاج لما بنى بها واقّعها فنام ، ف قيل له في النوم : ما أسرع ما ألقحت بالمير .

قال ابن خلكان^(١) : واسم أمّه الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي ، وكان زوّجها الحارث بن كَلْدَةَ الثقفي طبيب العرب . وذكر عنه هذه الحكاية في السّواك . وذكر صاحب «العقد»^(٢) أن الحجاج كان هو وأبوه يُعلّمان الغلمان بالطائف ، ثم قديم دمشق فكان عند رّوح بن زنباع وزير عبد الملك ، فشكا عبد الملك إلى رّوح أن الجيش لا ينزلون لنزوله ولا يرحلون لرحيله ، فقال رّوح : عندي رجل ثوّيه ذلك . فولّى عبد الملك الحجاج أمر الجيش ، فكان لا يتأخّر أحد في النزول والرحيل ، حتى اجتاز إلى فسطاط رّوح بن زنباع وهم يأكلون ، فضرّبهم وطوّف بهم ، وأحرق الفسطاط ، فشكا رّوح ذلك إلى عبد الملك ، فقال للحجاج : لم صنعت هذا ؟ فقال : لم أفعله ، إنما فعله أنت ؛ فإنّ [١٣٢/٧] يدى يدك وسوطى سوطك ، وما ضورك إذا أعطيت رّوحا فسطاطين بدل فسطاطه ، وبدل الغلام غلامين ، ولا تكسرني في الذي وليّتي ؟ ففعل ذلك وتقدّم الحجاج عنده .

قال^(٣) : وبني واسط في سنة أربع وثمانين ، وفرغ منها في سنة ست

(١) وفيات الأعيان ٢٩/٢ .

(٢) العقد الفريد ١٣/٥ - ١٤ .

(٣) وفيات الأعيان ٥٠/٢ .

وثمانين . وقيل قبل ذلك . قال ^(١) : وفي أيامه نُقِطَتِ المصاحفُ . وذكر ^(٢) في حكايته ما يدلُّ على ^(٣) أنه كان أولاً يُسَمَّى كليثاً ، ثم سُمِّي الحجاج . وذكر ^(٤) أنه وُلِدَ ولا مخرج له حتى فُتِقَ له مخرجٌ ، وأنه لم يرتضِعْ أياماً حتى سَقَوْه دَمَ جدي أياماً ^(٥) ثم دَمَ سالخ ^(٦) ولُطِّخَ وجهه بدمه فارتضِعَ ، وكانت فيه شهامةٌ وحبٌّ لسفكِ الدماءِ ؛ لأنه أوَّلُ ما ارتضِعَ ذلك الدَّمُ الذي لُطِّخَ به وجهه .

ويقال ^(٧) : إن أمه هي المتمنية لنصرِ بنِ حجاجِ بنِ علاطٍ . وقيل : إنها أم أبيه . والله أعلم .

وكانت فيه شهامةٌ عظيمةٌ ، وفي سيفه رَهَقٌ ^(٨) ، وكان كثيرَ قتلِ النفوسِ التي حرَّمها الله بأدنى شبهةٍ ، وكان يغضبُ غضبَ الملوكِ ، وكان - فيما يزعمُ - يتشبهُ بزيادِ بنِ أبيه ، وكان زيادٌ يتشبهُ بعمرِ بنِ الخطابِ ، فيما يزعمُ أيضاً . ولا سواءَ ولا قريبٌ . وقد ذكر ابنُ عساكر ^(٩) في ترجمةِ سُلَيْمِ بنِ عَثِرٍ ^(١٠) الثَّجِيبِيَّ قاضِي مصرَ ، وكان من كبارِ التابعين ، وكان ممن شهد خطبةَ عمرِ بنِ الخطابِ بالجالية ، وكان من الزُّهادَةِ والعبادةِ على جانبٍ عظيمٍ ، وكان يَخْتِمُ القرآنَ في كلِّ ليلةٍ ثلاثَ ختماتٍ في الصلاةِ وغيرها . والمقصودُ أنَّ الحجاجَ كان مع أبيه بمصرَ في جامعها ، فاجتاز بهما سُلَيْمُ بنُ عَثِرٍ ^(١١) هذا ، فنَهَضَ إليه أبو الحجاجِ فسَلَّمَ

(١) وفيات الأعيان ٣٢/٢ ، وذكر حكاية تدل على ذلك .

(٢) المصدر السابق ٥٠/٢ - ٥١ .

(٣) سقط من : م .

(٤) وفيات الأعيان ٣٠/٢ .

(٥) في النسخ : « سالخ » ، والمثبت من وفيات الأعيان . والسالخ : اسم الأسود من الحيات . التاج (س ل خ) .

(٦) وفيات الأعيان ٣١/٢ ، ٣٢ .

(٧) الرهق ، بالتحريك : الهلاك والظلم . التاج (ر ه ق) .

(٨) مختصر تاريخ دمشق ٢٠٠/١٠ .

(٩) في ٢١ ، م ، ص : « عثر » . والمثبت موافق لما في المختصر ، وانظر تبصير المنتبه ٩٧٥/٣ .

عليه ، وقال له : إني ذاهب إلى أمير المؤمنين ، فهل من حاجة لك عنده ؟ قال : نعم ، تسأله أن يعزني عن القضاء . فقال : سبحان الله ! والله لا أعلم قاضيا اليوم خيرا منك . ثم رجع إلى ابنه الحجاج ، فقال له ابنته : يا أبة ، أتقوم إلى رجل من ثجب وأنت ثقفى ؟ فقال له : يا بني والله إني لأحسب أن الناس إنما^(١) يرحمون بهذا وأمثاله . فقال الحجاج^(٢) : والله ما على أمير المؤمنين أضرب من هذا وأمثاله . فقال : ولم يا بني ؟ قال : لأن هذا وأمثاله يجتمع الناس إليهم فيحدثونهم عن سيرة أبي بكر وعمر ، فيحقر الناس سيرة أمير المؤمنين ولا يرونها شيئا عند سيرتهما ، فيخلعون ويخرجون عليه ويغيضونه ولا يرون طاعته ، والله لو خلص إلى من الأمر شيء لأضربن عنق هذا وأمثاله . فقال له أبوه : يا بني ، والله إني لأظن أن الله عز وجل خلقك شقيئا . وهذا يدل على أن أباه كان ذا وجهة عند الخليفة ، وأنه كان ذا فِراسة صحيحة ؛ فإنه تفرس في ابنه ما آل إليه أمره بعد ذلك .

قالوا : وكان مولد الحجاج في سنة [١٣٣/٧] تسع وثلاثين . وقيل : في سنة أربعين . وقيل : في سنة إحدى وأربعين . ثم نشأ شابا لييبا فصيحًا بليغا حافظا للقرآن ، قال بعض السلف^(٣) : كان الحجاج يقرأ القرآن في كل ليلة . وقال أبو العلاء^(٤) : ما رأيت أفصح منه ومن الحسن البصري ، وكان الحسن أفصح منه . وقال الدارقطني^(٥) : ذكر سليمان بن أبي شيخ^(٦) ، عن صالح بن سليمان قال :

(١) سقط من : م .

(٢) تاريخ دمشق ١١٦/١٢ .

(٣ - ٣) في النسخ : « أبو عمرو بن العلاء » ، والمثبت من تاريخ دمشق ٢١٠/٤ (مخطوط) ، وانظر تاريخ دمشق ١١٦/١٢ .

(٤) تاريخ دمشق ١١٧/١٢ .

(٥) في م : « منيع » . وانظر مصدر التخريج .

قال عُتْبَةُ^(١) بن عمرو: ما رأيتُ عقولَ الناسِ إلَّا قريئًا بعضُها مِن بعضٍ، إلَّا الحجاجَ وإيَّاسَ بنَ معاويةَ، فإنَّ عقولَهما كانتَ ترجُحُ على عقولِ الناسِ. وتقدَّم^(٢) أن عبدَ الملكِ لما قُتِلَ مُصْعَبُ بنُ الزبيرِ سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ بعثَ الحجاجَ إلى أخيه عبدِ اللَّهِ بمكةَ فحاصره بها، وأقام للناسِ الحجَّ عامئذٍ، ولم يتمكَّنِ الحجاجُ^(٣) ومَن معه مِنَ الطوافِ بالبيتِ، ولا تمكَّنَ ابنُ الزبيرِ ومَن عنده مِنَ الوقوفِ بعرفةَ^(٤)، ولم يزلَ محاصره حتى ظفِرَ به في جُمادى سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ^(٥)، ثم استنابه عبدُ الملكِ على مكةَ والمدينةِ والطائفِ واليمنِ^(٦)، ثم ولَّاه عبدُ الملكِ العراقَ بعدَ موتِ أخيه بشرٍ، فدخلَ الكوفةَ كما ذكرنا، وقال لهم وفعلَ بهم ما تقدَّم إيراؤه مفصلاً، فأقام بينَ ظهرانَيْهم عشرينَ سنةً كاملةً. وفتحَ فيها فتوحاتٍ كثيرةً هائلةً منتشرةً، حتى وصلتْ خيولُه إلى بلادِ الهندِ والسندِ،^(٧) ففتحَ فيها جملةً مدينٍ وأقاليمٍ، ووصلتْ خيولُه أيضًا إلى قَريبِ بلادِ الصَّينِ^(٨)، وجرتْ له فصولٌ قد ذكرناها. ونحن نوردُ هنا أشياءَ أُخرَ مما وَقَعَ له مِنَ الأمورِ والجرأةِ والإقدامِ، والتهوُّرِ^(٩) في الأمورِ العظامِ، مما يُمدِّحُ على مثله، ومما يُذمُّ بقوله وفعله، مما ساقه الحافظُ ابنُ عساكرَ وغيرُه:

فروى أبو بكر بنُ أبي خَيْثَمَةَ^(٩)، عن يحيى بنِ أيوبَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ

(١) في الأصل، ٢١، م: «عُتْبَةُ». وانظر تاريخ دمشق ١١٧/١٢.

(٢) انظر ما تقدم في ص ١٧٧، ١٧٨.

(٣) سقط من: م.

(٤) سقط من: ٢١، م، ص.

(٥ - ٥) في الأصل: «فقتله كما قدما وأقام للناسِ الحجَّ أيضًا في سنة ثلاثٍ وسبعينَ».

(٦) بعده في الأصل: «وحجَّ بالناسِ في سنة أربعٍ وسبعينَ أيضًا».

(٧ - ٧) في الأصل: «ففتحها أيضًا».

(٨) في م: «التهاون».

(٩) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١١٩/١٢، من طريق أبي بكر بن أبي خيثمة به.

كثير - ابن أخى إسماعيل بن جعفر المديني - ما معناه أن الحجاج بن يوسف صلى مرة بجانب سعيد بن المسيب - وذلك قبل أن يلى شيئاً - فجعل يرفع قبل الإمام ويقع قبله فى السجود ، فلما سلم أخذ سعيد بطرف رداءه - وكان له ذكر يقول بعد الصلاة - فما زال الحجاج ينازعه رداءه حتى قضى سعيد ذكره ، ثم أقبل عليه سعيد فقال له : يا سارق يا خائن ، تصلى هذه الصلاة ! لقد هممت أن أضرب بهذا الثعل وجهك . فلم يرد عليه ، ثم مضى الحجاج إلى الحج ، ثم رجع فعاد إلى الشام ، ثم جاء نائباً على الحجاز . فلما [١٣٣/٧ ظ] قتل ابن الزبير كثر راجعاً إلى المدينة نائباً عليها ، فلما دخل المسجد إذا مجلس سعيد بن المسيب ، فقصدته الحجاج ، فخشى الناس على سعيد منه ، فجاء حتى جلس بين يديه ، فقال له : أنت صاحب الكلمات ؟ فضرب سعيد صدره بيده ، وقال : نعم . قال : فجزاك الله من معلم ومؤدب خيراً ، ما صليت بعدك صلاة إلا وأنا أذكر قولك . ثم قام فمضى .

وروى الرياشي^(١) ، عن الأصمعي وأبى زيد ، عن معاذ بن العلاء - أخى أبى عمرو بن العلاء - قال : لما قتل الحجاج ابن الزبير ارتجت مكة بالبكاء ، فأمر بالناس فجمعوا فى المسجد ، ثم صعد المنبر ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه : يا أهل مكة ، بلغنى إكباركم قتل ابن الزبير ، ألا وإن ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة ، حتى رغب فى الخلافة ونازع فيها أهلها ، فنزع طاعة الله واستكن بحرم الله ، ولو كان شئ مانع العصاة لمنعت آدم حرمة الله ؛ إن الله خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأباح له كرامته ، وأسكنه جنته ، فلما أخطأ أخرجه من الجنة بخطيئته ، وآدم أكرمه على الله من ابن الزبير ، والجنة أعظم حرمة

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢ / ١٢٠ ، من طريق الرياشي به .

مِن الكعبة ، اذكروا الله يذكركم .

وقال الإمام أحمد^(١) : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ^(٢) بْنُ يَوْسُفَ ، ثنا عَوْفٌ^(٣) ، عن أبي الصديق الناجي أَنَّ الحجاج دَخَلَ على أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ مَا قُتِلَ ابْنُهَا عَبْدُ اللَّهِ ، فقال : إِنَّ ابْنَكَ أَلْحَدَ فِي هَذَا الْبَيْتِ ، وَإِنَّ اللَّهَ أَذَاقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، وفعل^(٤) به وفعل . فقالت : كَذَبْتَ ، كان بَرًّا بوالديه ، صَوَامًا قَوَامًا ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابَانِ ؛ الْآخِرُ مِنْهُمَا شَرٌّ مِنَ الْأَوَّلِ ، وهو مَبِيتٌ . ورواه أَبُو يَغْلَى^(٥) ، عن وهبِ بْنِ بَقِيعَةَ ، عن خالدٍ ، عن عوفٍ^(٦) ، عن أبي الصديق . قال : بَلَغَنِي أَنَّ الحجاج دَخَلَ على أَسْمَاءَ فذكر مثله . وقال أبو يَغْلَى^(٥) : ثنا زهيرٌ ، ثنا جريرٌ ، عن يزيدِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ ، عن قيسِ بْنِ الْأَحْنَفِ ، عن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ . قالت : سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عن المثلَّةِ ، وسمعتُه يقولُ : « يَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ رَجُلَانِ ؛ كَذَّابٌ وَمُبِيتٌ » . قالت : فقلتُ للحجاج : أمَّا الكَذَّابُ فقد رأيناه ، وأمَّا المَبِيتُ فأنتَ هُوَ يا حجاج .

وقال عبدُ^(٧) بْنُ حُمَيْدٍ : أنبأ يزيدُ بْنُ هَارُونَ ، أنبأ العوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ ، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصديقِ تقولُ للحجاج حين دَخَلَ عليها

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢ / ١٢١ ، من طريق الإمام أحمد به .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) في ٢١ ، م : « عون » . وانظر تهذيب الكمال ٢ / ٤٩٦ .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢ / ١٢١ ، من طريق أبي يعلى به .

(٦) في م : « عون » . وانظر حاشية (٣) .

(٧) في م : « عبيد » . والأثر أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢ / ١٢١ ، وابن العديم في بغية الطلب

١٥ / ٥ ، كلاهما من طريق عبد بن حميد به .

يُعْزِيهَا فِي ابْنِهَا : [١٣٤/٧] سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « يَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ رَجُلَانِ ؛ مُبِيرٌ وَكَذَّابٌ » . فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَابْنُ أَبِي عُبَيْدٍ - تَعْنِي الْخَنَازِرَ - وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَأَنْتَ . وَتَقْدُمُ فِي « صَحِيحِ مُسْلِمٍ » ^(١) مِنْ وَجْهِ آخَرَ أوردناه عِنْدَ مَقْتَلِ ابْنِهَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَقَدْ رَوَاهُ غَيْرُ ^(٢) أَسْمَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ . فَقَالَ أَبُو يَعْلَى ^(٣) : ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الْوَكَيْعِيُّ . ثَنَا وَكَيْعٌ ، حَدَّثَنَا أُمُّ غُرَابٍ ^(٤) ، عَنْ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا : عَقِيلَةُ . عَنْ سَلَامَةَ بِنْتِ الْحَرْثِ ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فِي ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ » . تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو يَغْلَى .

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ ^(٥) ، عَنْ وَكَيْعٍ ، عَنْ أُمِّ غُرَابٍ - وَاسْمُهَا طَلْحَةُ - عَنْ عَقِيلَةَ ، عَنْ سَلَامَةَ حَدِيثًا آخَرَ فِي ^(٦) الصَّلَاةِ . وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةٍ ^(٧) . وَرَوَى مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو ، فَقَالَ أَبُو يَعْلَى ^(٨) : ثَنَا أُمِيَّةُ بْنُ بِسْطَامٍ ، ثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ^(٩) ، ثَنَا إِسْرَائِيلُ ، ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُصْمَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عَمْرٍو ، أَنَبَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ فِي ثَقِيفٍ مُبِيرًا وَكَذَّابًا . وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ^(١٠) مِنْ حَدِيثِ شَرِيكِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُصْمٍ ^(١١) - وَيُقَالُ : عُصْمَةُ - وَقَالَ : حَسَنٌ غَرِيبٌ ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ شَرِيكِ .

(١) تقدم في ٢٥١/٩ .

(٢) بعده في ص : « واحد عن » .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٢٢ ، من طريق أبي يعلى .

(٤) في ٢١ ، م ، تاريخ دمشق : « غراب » وانظر تهذيب الكمال ٣٥/٢٢٥ .

(٥) المسند ٦/٣٨١ .

(٦) بعده في الأصل : « الإمامة في » .

(٧) أبو داود (٥٨١) ، وابن ماجه (٩٨٢) . ضعيف (ضعيف سنن أبي داود (١١٤) .

(٨) في م : « ربيع » .

(٩) الترمذی : (٢٢٢٠ ، ٣٩٤٤) . صحيح (صحيح سنن الترمذی ٣٠٩٠) .

(١٠) في م : « عاصم » .

وقال الشافعي^(١) : أنبأ مسلم بن خالد ، عن ابن جُرَيْج ، عن نافع أن ابن عمر اعتزل ليالى قتال ابن الزبير والحجاج بمنى ، فكان^(٢) يُصَلِّي مع الحجاج . وقال الثوري^(٣) ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر أنه دخل على الحجاج فلم يُسلم عليه ولم يكن يصلي وراءه . وقال إسحاق بن راهويه^(٤) : أنبأ جرير ، عن القعقاع ابن الصلت قال : خطب الحجاج ، فقال : إن ابن الزبير غير كتاب الله . فقال ابن عمر : ما سلطه الله على ذلك ، ولا أنت معه ، ولو شئت أن^(٥) أقول : كذبت ، لفعلت . وروى عن شهر بن حوشب وغيره^(٦) أن الحجاج أطال الخطبة فجعل ابن عمر يقول : الصلاة الصلاة ، مرارا ، ثم قام فأقام الصلاة ، فقام الناس ، فصلي الحجاج بالناس ، فلما انصرف قال لابن عمر : ما حملك على ذلك ؟ فقال : إنما نجيء للصلاة ، فصل الصلاة لوقتها ، ثم بقیق^(٧) ماشئت بعد من بقیقة^(٨) .

وقال الأصمعي^(٩) : سمعت عمي يقول : بلغني أن الحجاج لما فرغ من ابن الزبير ، وقدم إلى المدينة لقي شيخا خارجا من المدينة ، فسأله عن حال أهل المدينة ، فقال : بشر حال ؛ قُتل ابن حوارى رسول الله ﷺ . فقال الحجاج : ومن قتله ؟ قال : الفاجر اللعين الحجاج ، [١٣٤/٧ ظ] عليه لعائن الله وتهلكت^(١٠) ؛ من

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٢٣ ، من طريق الشافعي به .

(٢) بعده في م : « لا » .

(٣) العقد الفريد ٤٩/٥ .

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤/٢١٣ (مخطوط) ، من طريق إسحاق بن راهويه به .

(٥) سقط من : م .

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤/٢١٣ ، ٢١٤ (مخطوط) ، من طريق مكحول وشهر بن حوشب .

(٧) في الأصل ، ٢١ ، ص ، تاريخ دمشق : « نفق » . وفي م : « تفتق » . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ٦/٢٠٤ . وبقى الرجل يعنى : كثر كلامه .

(٨) في الأصل ، ٢١ ، ص : « نفقة » . وفي م : « نفقة » . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ٦/٢٠٤ .

(٩) هكذا في النسخ . والراجح أن هنا سقطا ، وهو « وقال عبد الرحمن بن أخي الأصمعي » فإن هذا سند معروف . وانظر ترجمة الأصمعي في إنباء الرواة ٢/١٩٧ .

(١٠) في الأصل : « تهلته » وفي ٢١ : « تهلبه » .

قليل المراقبة لله . فغضب الحجاج غضباً شديداً ثم قال : أيها الشيخ ، أتعرف الحجاج إذا رأيته ؟ قال : نعم ، فلا عرفه الله خيراً ، ولا وقاه ضراً . فكشف الحجاج عن لثامه وقال : ستعلم أيها الشيخ الآن إذا سال دُتْكَ الساعة . فلما تحقّق الشيخ الجِدّ ، قال : والله إنّ هذا لهُوَ العجبُ يا حجاج ، لو كنتَ تعرفُنِي ما قلتَ هذه المقالة ، أنا العباسُ بنُ أبي داودَ ، أَصْرَعُ كُلَّ يومٍ خمسَ مراتٍ . فقال الحجاج : انطلق ، فلا شفى الله الأبعدَ من جنونه ولا عافاه .

وقال الإمام أحمد^(١) : حدّثنا عبدُ الصمد ، ثنا حمادُ بنُ سلمة ، عن ابنِ أبي رافع ، عن عبدِ الله بنِ جعفرٍ^(٢) أنّه زوّج ابنته من الحجاج بن يوسف ، فقال لها : إذا دَخَلَ بك فقولي : لا إلهَ إلاَّ اللهُ الحليمُ الكريمُ ، سبحانَ اللهِ ربِّ العرشِ العظيمِ ، الحمدُ لله ربِّ العالمين . وزعم أنّ رسولَ الله ﷺ كان إذا حرّبه أمرّ قال هذا . قال حمادُ : فظننتُ أنّه قال : فلم يَصِلْ إليها . قال الشافعي : لما تزوّج الحجاج بنتَ عبدِ الله بنِ جعفرٍ^(٣) ، قال خالدُ بنُ يزيدَ بنِ معاويةَ لعبدِ الملك بنِ مروانَ : أتمكّنه من ذلك ؟ فقال : وما بأسٌ بذلك^(٤) ؟ قال : أشدُّ البأسِ^(٥) والله . قال : وكيف ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين لقد ذهب ما في صدري على آلِ الزبير منذ تزوجتُ رَمْلَةَ بنتَ الزبير . قال : فكأنّه كان نائماً فأيقظَه ، فكتبَ إلى الحجاج يعزّمُ عليه في طلاقها فطلقها .

وقال سعيدُ بنُ أبي عروبة^(٥) : حجّ الحجاج مرةً ، فمرَّ بين مكةَ والمدينة فأتى

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٢٥ ، من طريق الإمام أحمد به .

(٢) - ٢) سقط من : م .

(٣) في م : « من ذلك » .

(٤) في م : « الناس » .

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٢٥ ، من طريق سعيد بن أبي عروبة . وانظر تاريخ دمشق

٢١٤/٤ (مخطوط) .

بغداديه فقال لحاجبه : انظر من يأكلُ معي . فذهب ، فإذا أعرابيٌّ نائمٌ فصرَّبه برجله وقال : أجبِ الأميرَ . فقام ، فلمَّا دَخَلَ على الحجاج قال له : اغسلْ يديك ثم تغدُّ معي . فقال : إنَّه دعاني مَنْ هو خيرٌ منك . فأجبتُه^(١) . قال : ومن هو^(٢) ؟ قال : اللَّهُ دعاني إلى الصومِ فأجبتُه . قال : في هذا الحرِّ الشديدِ ؟ قال : نعم ، صمْتُ ليومٍ هو أشدُّ حرًّا منه . قال : فأفطرْ وضُمَّ غداً . قال : إنَّ ضِغْنَتَ لِي البقاءُ إلى غدٍ . قال : ليس ذلك إليَّ . قال : فكيف تسألني عاجلاً بآجلٍ لا تقدرُ عليه ؟ قال : إنَّ طعامنا طعامٌ طيبٌ . قال : لَمْ تُطَيِّبْهُ أنت ولا الطباخُ ، إنَّما طَيَّبْتُهُ العافيةُ .

فصل

قد ذكرنا كيفية دخول الحجاج الكوفة في سنة خمس وسبعين وخطبته إليَّاهم بغتةً ، وتهديده ووعيده [١٣٥/٧] إليَّاهم ، وأنَّهم خافوه مخافةً شديدةً ، وأنَّه قَتَلَ عُمَيْرَ بْنَ ضَابِيٍّ ، وكذلك قَتَلَ كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ صَبْرًا أيضًا ، ثم كان مِنْ أمرِهِ في قتالِ ابنِ الأشعثِ ما قدَّمنا^(٣) ذِكرَهُ ؛ مِنْ ظَفَرِهِ به بعدَ المِطاوِلَةِ والمِقاتِلَةِ وتسلُّطِهِ^(٤) على مَنْ كان معه مِنَ الرُّؤساءِ والأُمراءِ والعُبَّادِ والقُرَّاءِ ، حتَّى كان آخِرُ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ . قال القاضي المَعافِي بْنُ زُكْرِيَّا^(٥) : ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعِيدٍ^(٥) الْكَلْبِيُّ ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زُكْرِيَّا

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) في ٢١ ، م ، ص : « ثم تسلط » ، وانظر ما تقدم في ص ٣٠٥ - ٣٤٥ .

(٣) سقط من : م . وانظر سير أعلام النبلاء ١٦/٥٤٤ .

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٣٢ ، من طريق المعافى بن زكريا به بنحوه .

(٥) في م ، ص : « سعد » . وانظر تاريخ دمشق ، وبغية الطلب ٥/٥٣ ، ٥٤ .

الغلابي، ثنا محمد - يعني ابن عُبيد^(١) الله بن عباس - عن عطاء - يعني ابن مصعب - عن عاصم قال : خطب الحجاج أهل العراق بعد دَيْرِ الجماجم، فقال : يا أهل العراق، إِنَّ الشيطانَ قد استَبَطَنكم فخالط اللحمَ والدمَ، والعصبَ والمسامعَ، والأطرافَ، ثم أَفْضَى إلى الأَسْمَاخِ^(٢) والأَمْخَاخِ، والأَشْبَاخِ والأَرْوَاحِ، ثم ارتَفَعَ^(٣) فَعَشَّشَ، ثم باضَ وِفْرَخَ، ثم دبَّ ودرَجَ، فحشاكم نفاقًا وشقاقًا، وأشعركم خلاقًا، اتَّخَذْتُمُوهُ دَلِيلًا تَتَّبِعُونَهُ، وقائِدًا تُطِيعُونَهُ، ومُؤَامِرًا^(٤) تُشاورونه وتستأمرونه، فكيف تنفعكم تجربةٌ أو ينفعكم بيانٌ ؟ أَلَسْتُمْ أَصْحَابِي بِالْأَهْوَاكِ حَيْثُ رُمْتُمْ^(٥) الْمَكْرَ وَأَجْمَعْتُمْ^(٦) عَلَى الْكُفْرِ، وَظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ يَخْذُلُ دِينَهُ وَخِلَافَتَهُ ؟ وَأَنَا^(٧) أَرْمِيكُمْ بِطَرْفِي وَأَنْتُمْ تَتَسَلَّلُونَ لِيَوَاذًا، وَتَنْهَزُمُونَ سِرَاعًا، يَوْمَ الزَّائِيَةِ، وما يَوْمُ الزَّائِيَةِ ! مِمَّا كَانَ مِنْ فَسْلِكُمْ وَتَنَازُعِكُمْ وَتَخَاذُلِكُمْ وَبِرَاءَةِ اللَّهِ مِنْكُمْ،^(٨) وَنُكُوسِ قُلُوبِكُمْ^(٩) ؛ إِذْ وَلَّيْتُمْ كَالْإِبِلِ الشَّارِدَةِ عَنْ أَوْطَانِهَا النَّوَازِعِ، لَا يَسْأَلُ الْمَرْءُ عَنْ أَخِيهِ، وَلَا يَلْوِي الشَّيْخُ عَلَى بَنِيهِ، حِينَ عَضَّكُمْ السَّلَاحُ، وَنَخَسَتْكُمْ^(١٠) الرَّمَاخُ. يَوْمُ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ، وما يَوْمُ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ ! بِهَا كَانَتْ الْمَعَارِكُ وَالْمَلَاحِمُ، بِضَرْبِ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ، وَيُذْهِلُ^(١١) الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ،

(١) في م : «عبد»، وانظر المصدرين السابقين.

(٢) الأَسْمَاخُ : جمع سماخ وهو ثقب الأذن الذي يدخل فيه الصوت.

(٣) في م : «ارتفع».

(٤) في م : «مؤامرا».

(٥) في م : «منيتم».

(٦) في ٢١، ص : «وأجمعتم الغدر وانفقتم»، وفي م : «واجتمعتم على الغدر وانفقتم».

(٧) بعده في م : «والله».

(٨ - ٨) زيادة من : ٢١، م، ص، وفي تاريخ دمشق : «ونكوص وليكم».

(٩) في م : «نخستكم».

(١٠) في ٢١ : «يذهب».

يا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، يا أَهْلَ الْكَفَرَاتِ ^(١) بَعْدَ الْفَجَرَاتِ ^(٢) ، وَالْغَدَرَاتِ ^(٣) بَعْدَ
الْخَتَرَاتِ ^(٤) ، وَالنَّزْوَةَ بَعْدَ النَّزَوَاتِ ، إِنْ بَعَثْنَاكُمْ إِلَى ثُغُورِكُمْ غَلَّثُمْ وَخُثِّثُمْ ^(٥) ، وَإِنْ
أَمِنْتُمْ أَرْجَفْتُمْ ، وَإِنْ خِفْتُمْ نَافَقْتُمْ ، لَا تَذْكُرُونَ نِعْمَةً ، وَلَا تَشْكُرُونَ مَعْرُوفًا ،
هَلِ ^(٦) اسْتَحْفَكُم نَاكِثٌ ، أَوْ ^(٧) اسْتَغْوَاكُمْ غَاوٍ ، أَوْ ^(٨) اسْتَنْقَذَكُمْ عَاصٍ ، أَوْ ^(٩)
اسْتَنْصَرَكُمْ ظَالِمٌ ، أَوْ ^(١٠) اسْتَعْصَدَكُمْ خَالِعٌ - إِلَّا لِيُثِّمَ دَعْوَتَهُ ، وَأَجْبِثُمْ صَبِيحَتَهُ ،
وَنَفَرْتُمْ إِلَيْهِ خِفَافًا وَثِقَالًا ، وَفُرْسَانًا وَرِجَالًا ؟ يا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، هَلِ شَعَبٌ شَاغِبٌ ، أَوْ
نَعَبٌ نَاعِبٌ ، أَوْ زَقَرٌ زَاقِرٌ إِلَّا كُنْتُمْ أَتْبَاعَهُ وَأَنْصَارَهُ ؟ يا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، أَلَمْ تَنْفَعَكُمْ
الْمَوَاعِظُ ؟ أَلَمْ تَرْجُزْكُمْ الْوَقَائِعُ ؟ أَلَمْ يُشَدِّدِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَطْأَتَهُ ، وَيُذِقْكُمْ حَرَّ سَيْفِهِ ،
وَالْيَمَّ بِأَيْسِهِ وَمَثَلَاتِهِ ؟

ثم التفت إلى أهل الشام ، فقال : يا [١٣٥/٧] أَهْلَ الشَّامِ ، إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ
كَالظِّلِّيمِ الرَّامِحِ ^(٨) عَنْ فِرَاحِهِ يَنْفَى عَنْهَا الْقَدْرَ ، وَيَبَاعِدُ عَنْهَا الْحَجَرَ ، وَيُكِنُّهَا مِنَ
الْمَطَرِ ، وَيَحْمِيهَا مِنَ الضُّبَابِ ، وَيَحْرُسُهَا مِنَ الذُّنَابِ ^(٩) ، يا أَهْلَ الشَّامِ ، أَنْتُمْ

(١) في م : « الكفران » .

(٢) في م : « الفجران » .

(٣) في م : « الغدران » .

(٤) في الأصل : « الجيريات » وفي م : « الخذلان » . وأصل الخثر : الغدر .

(٥) في الأصل وتاريخ دمشق : « جيتم » .

(٦) في ٢١ ، م ، ص : « ما » .

(٧) في ٢١ ، م ، ص : « ولا » .

(٨) يعني : كذكر النعام الذي يدافع عن فراخه ، والعرب تجعل الرمح كناية عن الدفع والمنع . اللسان
(٢٠ ح) .

(٩) في م ، ص : « الذباب » .

الجُنَّة والرداء^(١)، وأنتم الملاءة والحذاء^(٢)، أنتم الأولياء والأنصار^(٣)، والشعار^(٤) والدثار^(٥)، بكم يُذَبُّ^(٦) عن البيعة^(٧) والحوزة، وبكم تُرمى كتائب الأعداء، ويُهزَم مَنْ عاند وتولَّى.

قال ابن أبي الدنيا^(٨): حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحُسَيْنِ^(٩)، حَدَّثَنَا عبيدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيُّ، سَمِعْتُ شَيْخًا مِنْ قَرِيشٍ يُكْنَى أَبَا بَكْرٍ التَّمِيمِيُّ، قَالَ: كَانَ الْحَجَّاجُ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ - وَكَانَ لَسِنًا -: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ وَذَرِيَّتَهُ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَمْسَاهُمْ عَلَى ظَهْرِهَا، فَأَكَلُوا ثَمَارَهَا، وَشَرَبُوا أَنْهَارَهَا، وَهَتَكَوْهَا بِالْمَسَاحِي^(١٠) وَالْمُرُورِ، ثُمَّ أَدَالَ اللَّهُ الْأَرْضَ مِنْهُمْ، فَرَدَّاهُمْ إِلَيْهَا، فَأَكَلَتْ لَحْمَهُمْ كَمَا أَكَلُوا ثَمَارَهَا، وَشَرِبَتْ دِمَاءَهُمْ كَمَا شَرَبُوا أَنْهَارَهَا، وَقَطَّعَتْهُمْ فِي جَوْفِهَا، وَفَرَّقَتْ أَوْصَالَهُمْ كَمَا هَتَكَوْهَا بِالْمَسَاحِي وَالْمُرُورِ.

وَمَا رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ^(١١) عَنْ الْحَجَّاجِ أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ فِي الْمَوَاعِظِ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، وَكُلُّكُمْ ذَلِكَ الرَّجُلُ، رَجُلٌ خَطَمَ نَفْسَهُ وَزَمَّهَا فَقَادَهَا بِخَطَائِمِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَكَفَّهَا بِزِمَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ، رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا رَدَّ نَفْسَهُ، أَمْرًا أَتَتْهُمْ نَفْسُهُ، أَمْرًا

(١) في م: «البرد».

(٢) في م: «الجلد».

(٣ - ٥) الشعار: الثوب الذي يلي الجسد، لأنه يلي شعره مباشرة، والधार: الثوب الذي فوق الشعار. يقصد أنهم الخاصه والبطانة. النهاية ٤٨٠/٢.

(٤) بعده في ٢١، ص: «إليه».

(٥) في م: «البيضة».

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٤٠، من طريق ابن أبي الدنيا به بنحوه.

(٧ - ٨) في النسخ: «الحسين». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٩) المساحي: جمع مسحاة، وهي المجرفة من الحديد.

(١٠) تاريخ دمشق ١٢/١٤٠ - ١٤٢.

(١١) سقط من: م.

اتَّخَذَ نَفْسَهُ عَدُوَّهُ ، امراً حاسبَ نَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ الْحَسَابُ إِلَى غَيْرِهِ ، امراً نَظَرَ إِلَى مِيزَانِهِ ، امراً نَظَرَ إِلَى حَسَابِهِ ، امراً وَزَنَ عَمَلَهُ ، امراً فَكَّرَ فِيمَا يَقْرَأُ غَدًا فِي صَحِيفَتِهِ وَيَرَاهُ فِي مِيزَانِهِ ، وَكَانَ عِنْدَ قَلْبِهِ زَاجِراً ، وَعِنْدَ هَمِّهِ آمِراً ، امراً أَخَذَ بَعْنَانَ عَمَلِهِ كَمَا يَأْخُذُ بَعْنَانَ جَمَلِهِ ، فَإِنْ قَادَهُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَبِعَهُ ، وَإِنْ قَادَهُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ كَفَّ ، امراً عَقَلَ عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ ، امراً فَاقَ وَاسْتَفَاقَ ، وَأَبْغَضَ الْمَعَاصِيَ وَالنِّفَاقَ ، وَكَانَ إِلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ بِالْأَشْوَاقِ . فَمَا زَالَ يَقُولُ امراً امراً . حَتَّى بَكَى مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ .

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ ^(١) ، عَنْ عَوَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ : قَالَ الشَّعْبِيُّ : سَمِعْتُ الْحِجَاجَ تَكَلِّمُ بِكَلَامٍ مَا سَبَقَهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ ؛ يَقُولُ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ عَلَى الدُّنْيَا الْفَنَاءَ ، وَعَلَى الْآخِرَةِ الْبَقَاءَ ، فَلَا فَنَاءَ لِمَا كَتَبَ عَلَيْهِ الْبَقَاءَ ، وَلَا بَقَاءَ لِمَا كَتَبَ عَلَيْهِ الْفَنَاءَ . فَلَا يَغُرُّكُمْ شَاهِدُ الدُّنْيَا عَنْ ^(٢) غَائِبِ الْآخِرَةِ ، وَاقْهَرُوا طَوْلَ الْأَمَلِ بِقَصْرِ الْأَجْلِ .

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ ^(٣) ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ ، عَنْ عَمِّهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ يَقُولُ : وَقَدْ ثَنَيْتُ كَلِمَةً سَمِعْتُهَا مِنَ الْحِجَاجِ ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ عَلَى هَذِهِ الْأَعْوَادِ : إِنَّ امراً ذَهَبَتْ سَاعَةٌ [١٣٦/٧] مِنْ عُمرِهِ فِي غَيْرِ مَا خُلِقَ لَهُ لِحَرِيٍّ أَنْ تَطُولَ عَلَيْهَا حَسْرَتُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَقَالَ شَرِيكَ الْقَاضِي ^(٤) ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ : قَالَ الْحِجَاجُ يَوْمًا : مَنْ كَانَ لَهُ بَلَاءٌ أَعْطَيْنَاهُ عَلَى قَدَرِهِ . فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : أَعْطِنِي فَإِنِّي قَتَلْتُ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ١٢/١٤٢ ، مِنْ طَرِيقِ الْمَدَائِنِيِّ بِهِ .

(٢) فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ : « عَلَى » .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ١٢/١٤٢ - ١٤٣ ، مِنْ طَرِيقِ الْمَدَائِنِيِّ بِهِ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ١٢/١٤٣ ، مِنْ طَرِيقِ شَرِيكَ بِهِ .

الحسين . فقال : وكيف قتلته ؟ قال : دسرتُه بالرمح دسراً^(١) ، وهبته بالسيف هبراً^(٢) ، وما أشركتُ معي في قتله أحداً . فقال : اذهب فوالله لا تجتمع أنت وهو في موضع واحد . ولم يُعطه شيئاً .

وقال الهيثم بن عدي^(٣) : جاء رجل إلى الحجاج فقال : إن أخى خرج مع ابن الأشعث ، فضرب على اسمي في الديوان ، ومُنعتُ العطاء ، وقد هُدمت داري . فقال الحجاج : أما سمعت قول الشاعر^(٤) :

جانيك^(٥) مَنْ يَجْنِي عَلَيْكَ وَقَدْ تُعْدِي الصُّحَاخَ مَبَارِكُ الْجُزْبِ
ولرب مأخوذٍ بذنبٍ قريبه^(٦) ونجا المقارِفُ صاحبُ الذنبِ
فقال الرجل : أيها الأمير ، إنني سمعتُ الله يقول غير هذا ، وقولُ الله أصدقُ من هذا . وما قال ؟ قال : ﴿ قَالُوا يَبْنَئُهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٧٨ ، ٧٩] . قال : يا غلام أعِد اسمَه في الديوان ، وابنِ دارَه ، وأعطِه عطاءَه ، ومُرْ منادياً ينادي : صدقَ الله وكذبَ الشاعرُ . وقال الهيثم بن عدي^(٧) ، عن ابن عيَّاش^(٨) : كتب عبدُ الملك إلى الحجاج أن

(١) يعني : طعنته به طعنًا شديدًا . وانظر النهاية ١١٦/٢ .

(٢) يعني : قطعتَه به قطعًا .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٤٤ ، من طريق الهيثم بن عدي به .

(٤) هو ذؤيب بن كعب بن عمرو . وقيل : هو عوف بن عطية بن الخريص . وكلاهما جاهلي . انظر العقد الفريد ١/٣٠ ، ٥/١٥ ، ٢٣٧ ، ومعجم الشعراء للمرزباني ص ١٢٥ .

(٥) في ٢١ ، م ، ص : « حنانيك » . وانظر مصدر التخريج .

(٦) في مختصر تاريخ دمشق ٦/٢١٠ : « قرينه » .

(٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٤٥ ، من طريق الهيثم بن عدي به .

(٨) في الأصل ، م ، ص : « عباس » . وانظر مصدر التخريج .

أبعث إلى برأس أسلم بن عبد البكرى؛ لما بلغنى عنه . فأحضره الحجاج ، فقال :
 أيها الأمير ، أنت الشاهد ، وأمير المؤمنين الغائب ، وقال الله تعالى : ﴿ يَكَايُهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ
 نَتَذَمِّينَ ﴾ [الحجرات : ٦] . وما بلغه عنى ^(١) فباطل ، وإني أعول أربعة وعشرين
 امرأة ، ما لهن كاسب غيرى ، وهن بالباب . فأمر الحجاج بإحضارهن ، فلما
 حضرن جعلت هذه تقول : أنا خالته . وهذه : أنا عمته . وهذه : أنا أخته ،
 وهذه : أنا ابنته . وهذه : أنا زوجته . وتقدمت إليه جارية فوق الثمان ودون
 العشرة ، فقال لها الحجاج : من أنت ؟ فقالت : أنا ابنته . ثم قالت : أصلح الله
 الأمير . وجئت على ركبتيها ، وقالت :

أحجاج لم تشهد مقام بناته وعماته يندبته الليل أجمعا
 أحجاج كم تقتل به إن قتلته ثمانا وعشرا واثنين وأربعا
 أحجاج من هذا يقوم مقامه علينا فمهلا أن نردنا تضعضعا [١٣٦/٧ ط]
 أحجاج إما أن تجود بنعمة علينا وإما أن تقتلنا معا
 قال : فبكى الحجاج ، وقال : والله لا أعنتُ عليكم ولا زدتُكم تضعضعا .
 ثم كتب إلى عبد الملك بما قال الرجل وبما قالت ابنته هذه ، فكتب عبد الملك إلى
 الحجاج يأمره بإطلاقه وحسن صليته ، وبالإحسان إلى هذه الجارية وتفقيدها في
 كل وقت . وقيل ^(٢) : إن الحجاج خطب يوما فقال : أيها الناس ، الصبر عن
 محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله . فقام إليه رجل ، فقال له : ويحك
 يا حجاج ، ما أصفقت وجهك وأقل حيائك ، تفعل ما تفعل وتقول مثل هذا

(١) سقط من : م .

(٢) تاريخ دمشق ١٤٣/١٢ .

الكلام؟ خَبِثَ وُضِلَ سَعِيكَ . فقال للحرس : خذوه . فلما فرغ من خطبته ، قال له : ما الذى جرأك على؟ فقال : ويحك يا حجاج ، أنت تجترئ على الله ولا أجتري أنا عليك ! ومن أنت حتى لا أجتري عليك وأنت تجترئ على الله رب العالمين؟ فقال : خلوا سبيله . فأطلق .

وقال المدائني^(١) : أتى الحجاج بأسيرين من أصحاب ابن الأشعث ، فأمر بقتلهما ، فقال أحدهما : إن لى عندك يدا . قال : وما هى ؟ قال : ذكر ابن الأشعث يوماً أمك ، فرددت عليه . فقال : ومن يشهد لك ؟ قال : صاحبي هذا . فسأله ، فقال : نعم . فقال : فما منعك أن تفعل كما فعل ؟ قال : بغضك . قال : أطلقوا هذا لصدقه ، وهذا لفعله . فأطلقوهما^(٢) .

^٣ وحكى الواقدي^(٤) أن الحجاج نادى فى البلد ؛ أن من خرج بعد العشاء الآخرة من بيته قتل ، فأتى ليلةً برجل ، فقال : ما أخرجك من بيتك هذه الساعة من بعد ما سمعت المنادى ؟ فقال : أما والله إننى لا أكذب الأمير ، إن أمى مريضة هالكة ، وأنا عندها منذ ثلاثة أيام ، فلما كان الساعة أفاقت ، وقالت : يا بُنى إننى أعزِمُ عليك بحقى عليك إلا ما مضيت إلى أهليك وأولادك ، فإنهم مغمومون بتخلُّفك عنهم . فخرجت من عندها فأخذنى العسس وأتوا بى إليك . فقال الحجاج : ننهاكم وتعصوننا . ثم أمر فضربت عنقه . قال : ثم أتى بآخر ، فقال له الحجاج : ما أخرجك هذه الساعة ؟ فقال : والله ما أكذبك ، إنه كان عندى^(٥)

(١) تاريخ دمشق ١٢/١٤٦ .

(٢) زيادة من : م .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤) أخرجه ابن العديم فى بغية الطلب ٢١/٥ ، ٢٢ (مخطوط) ، من طريق عنبسة بن سعيد ، وليس فى

سنده الواقدي ، وهو فى مختصر تاريخ دمشق ٦/٢٢٣ .

لرجلٍ دراهم فأقعدني على بابِهِ ولزمني ، وقال : لا أفارقك إلا بحقي . فلما كان هذه الساعة دخل إلى منزله وأغلق بابَهُ وتركني على بابِهِ ، فجاءني طائفك فأخذني إليك . فقال الحجاج : اضربوا عنقه . قال : ثم أتى بآخر ، فقال له : ما أخرجك هذه الساعة ؟ فقال : كنتُ أشربُ مع قوم ، فلما سكرتُ خرجتُ من عندهم وأنا لا أدري ، فأخذوني إليك . فقال الحجاج لرجلٍ كان عنده : ما أراه إلا صادقاً . ثم قال : خلّوا سبيله . فخلّوا سبيله^(١) .

وذكر محمد بن زياد^(٢) بن الأعرابي^(٣) فيما بلغه أنه كان رجلٌ من بني حنيفة يقال له : جحدَر بن مالك . وكان فاتكاً بأرض اليمامة ، فأرسل الحجاج إلى نائبها يؤثبه ويلومه على عدم أخذه ، فما زال نائبها في طلبه حتى أسره وبعث به إلى الحجاج ، فقال له الحجاج : ما حملك على ما كنتَ تصنعه ؟ فقال : جراءة الجنان^(٤) ، وجفاء السلطان ، وكلّب الزمان ، ولو اختبرني الأمير لوجدني من صالح [١٣٧/٧] الأعوان ، وبهم^(٥) الفرسان ، ولوجدني من أصلح رعيته ؛ وذلك أنني ما لقيتُ فارساً قط إلا كنتُ عليه في نفسي مقتديراً . فقال له الحجاج : إننا قاذفوك في حائر^(٦) فيه أسدٌ عاقِرٌ فإن قتلَكَ كفانا مؤنتك ، وإن قتلته

(١ - ١) زيادة من : الأصل .

(٢) بعده في ٢١، م ، ص : «عن» . وهو محمد بن زياد ، المعروف بابن الأعرابي . انظر طبقات النحاة واللغويين ، لابن قاضي شهبة ١١٥ ، وبغية الوعاة ١٠٥/١ .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٤٨ ، وابن العديم في بغية الطلب ٥/٤٤ ، كلاهما من طريق محمد بن زياد به .

(٤) الجنان : القلب .

(٥) في الأصل : «نهم» ، وفي ٢١، م ، ص : «شهم» ، والمثبت من تاريخ دمشق .

(٦) الحائر : المكان المظلم الوسط ، المرتفع الحروف ، والحائر أيضاً : البستان . التاج (ح ي ر) .

خَلَيْنَا سَبِيلَكَ . ثُمَّ أَوْدَعَهُ السَّجْنَ مُقَيَّدًا مَغْلُولَةً يَدُهُ الْيُمْنَى إِلَى عُنُقِهِ ، وَكَتَبَ الْحِجَاجُ إِلَى نَائِبِهِ بِكَشْكَرٍ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ بِأَسَدٍ عَظِيمٍ ضَارٍ ، وَقَدْ قَالَ جَحْدَرٌ هَذَا فِي مَحَبِّهِ هَذَا أَشْعَارًا يَتَحَزَّنُ فِيهَا عَلَى امْرَأَتِهِ سُلَيْمَى أُمِّ عَمْرٍو ، يَقُولُ فِي بَعْضِهَا ^(١) :

أَلَيْسَ اللَّيْلُ يَجْمَعُ أُمَّ عَمْرٍو وَإِنَّا فِذَاكَ بِنَا تَدَانِي
بَلَى وَنَرَى الْهَلَالَ كَمَا تَرَاهُ وَيَعْلُوهَا النَّهَارُ إِذَا عَلَانِي
إِذَا جَاوَزْتُمَا نَخْلَاتِ حَجِيرٍ ^(٢) وَأُودِيَةَ الْيَمَامَةِ فَاَنْعَيَانِي
وَقَوْلَا جَحْدَرٌ أَمْسَى رَهِينًا يَحَازِرُ وَقَعَ مَصْقُولٍ يَمَانِي
فَلَمَّا قَدِمَ الْأَسَدُ عَلَى الْحِجَاجِ أَمَرَ بِهِ فَجُوعَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ أُبْرِزَ إِلَى حَائِرٍ -
وَهُوَ الْبَسْتَانُ - وَأَمَرَ بِجَحْدَرٍ فَأُخْرِجَ فِي قَيْودِهِ وَيُدَّهُ الْيَمْنَى مَغْلُولَةً بِحَالِهَا ،
وَأُعْطِيَ سَيْفًا فِي يَدِهِ الْيُسْرَى ، وَخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَسَدِ ، وَجَلَسَ الْحِجَاجُ
وَأَصْحَابُهُ فِي مَنْظَرَةٍ ، وَأَقْبَلَ جَحْدَرٌ نَحْوَ الْأَسَدِ ، وَهُوَ يَقُولُ ^(٣) :

لَيْتَ وَلَيْتَ فِي مَجَالِ ضَنْكِ كِلَاهُمَا ذُو أَنْفٍ وَمَخْكِ
وَشِدَّةٍ فِي نَفْسِهِ وَفَتْكِ إِنَّ يَكْشِفِ اللَّؤْلُؤَ قِنَاعَ الشَّكِّ
* فَهَوَّ أَحَقُّ مَنْزِلٍ بَتْرِكِ *

فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ الْأَسَدُ زَارَ زَارَةً شَدِيدَةً ، وَتَمَطَّى وَأَقْبَلَ نَحْوَهُ ، فَلَمَّا صَارَ مِنْهُ
عَلَى قَدَرِ رُمَحٍ وَثَبَ الْأَسَدُ عَلَى جَحْدَرٍ وَثَبَةً شَدِيدَةً ، فَتَلَقَّاهُ جَحْدَرٌ بِالسَّيْفِ ،
فَضْرَبَهُ ضَرْبَةً حَتَّى ^(٤) خَالَطَ ذَبَابُ السَّيْفِ لَهَوَاتِهِ ، فَخَرَّ الْأَسَدُ كَأَنَّهُ خِيْمَةٌ قَدْ

(١) الْآيَاتُ لِجَحْدَرٍ اللَّصِّ . انْظُرِ الْأَمَالِي لِأَبِي عَلَى الْقَالِي ٢٨١ / ١ .

(٢) فِي م : « نَجْد » . وَخَجَرٍ بِالْفَتْحِ مَدِينَةُ الْيَمَامَةِ وَأُمُّ قَرَاهَا . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٢٠٨ / ٢ .

(٣) الْآيَاتُ لِجَحْدَرٍ أَيْضًا . انْظُرِ الْأَمَالِي لِابْنِ الشَّجَرِيِّ ٤٨٧ / ٢ .

(٤) سَقَطَ مِنْ : م .

صرعتها الريح ، من شدة الضربة ، وسقط جحدر من شدة وثبة الأسد ؛ وشدة موضع القيود عليه ، فكبر الحجاج وأصحابه ، وأنشأ^(١) جحدر يقول^(٢) :

يا جملُ إنك لو رأيت كرهيتي في يوم هولٍ مُشدِّفٍ وعجاج
وتقدمي لليثِ أرسفُ موثقًا^(٣) كيما أثاورُهُ^(٤) على الأحرارِ^(٥)

شئنُ برائنه كأنَّ نيوبه زُرقُ المعاولِ أو شباه زجاج
يسمو بناظرتين تحسبُ فيهما لهبًا أحدهما شعاعُ سراج
وكأنما خيطُ عليه عباءة برقاء أو خرق من الدياجِ [١٣٧/٧ ظ]
لعلمتُ أني ذو حفاظٍ ماجدٌ من نسلِ أقوامِ ذوى أبراج
ثم التفتَ إلى الحجاجِ ، فقال^(٦) :

علم النساءُ بأننى لا أنثنى إذ لا يثقن بغيره الأزواج
وعلمتُ أني إن كرهتُ نزاله أني من الحجاجِ لستُ بناج^(٧)

فعند ذلك خيره الحجاج إن شاء أقام عنده ، وإن شاء انطلق إلى بلاده ، فاختار المقام عند الحجاج ، فأحسن جائزته وأعطاه أموالاً .

وقد كان الحجاج مع فصاحته وبلاغته يلحن في حروف من القرآن أنكرها يحيى بن يعمر ؛ منها أنه كان يُبدلُ «إن» المكسورة بـ«أن» المفتوحة ، وعكسه ،

(١) في م : « وأشار » .

(٢) أشعار اللصوص وأخبارهم ص ٧٩ .

(٣) في تاريخ دمشق : « وتقدمي الليث أسفر موثقاً » .

(٤) في النسخ : « ساوره » . وثاوره مثاورة وثوارًا : وإثبه .

(٥) في النسخ : « الأحرار » . وفي مصدرى التخريج : « الإحراج » . والأحرار : جمع خرج ، وهو اسم

لمجتمع الشجر ، يعنى الغيضة . التاج (ح ر ج) .

(٦ - ٦) سقط من : ٢١ ، م ، ص .

(٧) قبل هذين البيتين ورد بيت في مصدرى التخريج ، لم يورده ابن كثير ، وهو :

ولكن قصدت بي المنية عامدًا إني لخيرك بعد ذاك لراج

وكان يقرأ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ﴾
[التوبة: ٢٤] فيقرأها برفع «أحب» .

وأنكر يوماً أن يكون الحسين من ذرية رسول الله ﷺ ؛ لكونه ابن بنته ، فقال
له يحيى بن يعمر^(١) : كذبت . فقال الحجاج : لتأتيني على ما قلت بينة من كتاب
الله أو لأضربن عنقك . فقال : قال الله : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ إلى
قوله : ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ [الأنعام: ٨٤ ، ٨٥] . فعيى من ذرية إبراهيم ، وهو
إنما ينسب إلى أمه مريم ، والحسين ابن بنت رسول الله ﷺ . فقال الحجاج :
صدقت . ونفاه إلى خراسان .

وقال الأصمعي وغيره^(٢) : كتب عبد الملك إلى الحجاج يسأله عن أمس
واليوم وغد ، فقال للرسول : أكان خويلد بن يزيد بن معاوية عنده ؟ قال : نعم .
فكتب الحجاج إلى عبد الملك : أما أمس فأجل ، وأما اليوم فعمل ، وأما غداً
فأمل .

وقال ابن دُرَيْد^(٣) ، عن أبي حاتم السجستاني ، عن أبي عُبَيْدَةَ معمر بن
المثنى ، قال : لما قتل الحجاج ابن الأشعث ، وصفت له العراق وسع على الناس
في العطاء ، فكتب إليه عبد الملك : أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين أنك تُنفق في
اليوم ما لا يُنفقه أمير المؤمنين في الأسبوع ، وتنفق في الأسبوع ما لا يُنفقه أمير
المؤمنين في الشهر ، ثم قال منشداً :

(١) تاريخ دمشق ١٥١/١٢ - ١٥٢ .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٥٣/١٢ ، من طريق الأصمعي به .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٥٣/١٢ ، وابن العديم في بغية الطلب ٦٥/٥ - ٦٧ ،
كلاهما من طريق ابن دريد ، به .

عليك بتقوى الله في الأمر كله
ووفّر خراج المسلمين وفيهم
فكتب إليه الحاجج :

وكن لوعيد^(١) الله تخشى وتضرع
وكن لهم حصناً نجياً وتمنع

لعمري لقد جاء الرسول بكتيكم
كتاب أتانى فيه لين وغلظة
[١٣٨/٧] وكانت أمور تعتربنى كثيرة
إذا كنت سوطاً من عذاب عليهم
أيرضى بذاك الناس أو يسخطونه
وكانت بلاد جثها حين جثها
فقاسيت منها ما علمت ولم أزل
وكم أرجفوا من رجفة قد سمعتها
وكنث إذا هموا بإحدى قناتهم^(٢)
فلو لم يذ عنى صناديد منهم
تقسّم أعضائي ذناب وأضبع

قال : فكتب إليه عبد الملك أن اعمل برأيك . وقال الثوري^(٣) : عن محمد
ابن المستورد الجمحي قال : أتى الحاجج بسارق ، فقال له : لقد كنت غنياً أن
"يأتيك الحكم" ، فيبطل عليك عضواً من أعضائك . فقال الرجل : إذا قل ذات
اليدي سحت النفس بالمتألف . قال : صدقت ، والله لو كان حشني اعتذار يبطل

(١) في م : « يا عبيد » .

(٢) في م ، ص : « نهايتهم » ، وفي ١ ٢ : « دهاتهم » .

(٣) في الأصل ، ١ ، ٢ ، م : « الثوري » . والمثبت من تاريخ دمشق . وقد أخرجه ابن عساكر في تاريخ
دمشق ١٢/١٥٥ ، من طريق الثوري به .

(٤ - ٤) في ١ ، ٢ ، م ، ص : « تكسب جناية فيؤتى بك إلى الحاكم » .

حَدًّا لَكُنْتَ لَهُ مَوْضِعًا، يَا غَلَامُ، سَيْفٌ صَارِمٌ وَرَجُلٌ قَاطِعٌ. فَقَطَعَ يَدَهُ.

وقال أبو بكر بن مجاهد^(١)، عن محمد بن الجهم، عن الفراء، قال: تغدَّى الحجاج يومًا مع الوليد بن عبد الملك، فلما انقضى غداؤهما دعاه الوليد إلى شرب النبيذ، فقال: يا أمير المؤمنين، الحلال ما أحللت، ولكنني أنهي عنه^(٢) أهل عملي، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَلَكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

وقال عمر بن شبة^(٣)، عن أشياخه، قال: كتب عبد الملك إلى الحجاج يعتب عليه في إسرافه في صرف الأموال، وسفك الدماء، ويقول له: إنما المال مال الله ونحن خزائنه، وسيان منع حق وإعطاء باطل. وكتب في أسفل الكتاب:

إذا أنت لم تترك أمورًا كرهتها وتطلب رضائي في الذي أنا طالبه
وتخشي الذي يخشاه مثلك هاربًا إلى الله منه ضيع الدر جالبه
فإن تر مني غفلة قرشيّة فيا ربّما قد غصّ بالماء شاربهُ
ولأن تر مني وثبة أموية فهذا وهذا كله أنا صاحبه
فلا تغد ما يأتيك مني فإن تغد تقم فاعلمن يومًا عليك نوابه

[١٣٨/٧] ظ فلما قرأه الحجاج كتب: أمّا بعد، فقد جاءني كتاب أمير المؤمنين

يذكر فيه سرفي في الأموال والدماء، فوالله ما بالغت في عقوبة أهل المعصية، ولا قضيت حق أهل الطاعة، فإن كان ذلك سرفًا فليحد لي أمير المؤمنين حدًا أنتهي

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/ ١٥٥، من طريق أبي بكر بن مجاهد به.

(٢) بعده في ٢١، م، ص: «أهل العراق و».

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/ ١٥٥ - ١٥٦، من طريق عمر بن شبة به.

إليه ولا أتجاوزُه . وكتب في أسفل الكتاب :

إذا أنا لم أطلب رضاكَ وأتقى أذاك فيومى لا توارث كواكبهُ
إذا قارف الحجاج فيك خطيئةً فقامت عليه فى الصباح نوابهُ
أسألم مَنْ سالت من ذى هَواةٍ ومَنْ لم تسأله فإنى محاربهُ
إذا أنا لم أذن الشفيق لنصحهِ وأقص الذى تشرى إلى عقاربهُ
فمن يتقى يومى ويرجو إذا غدى على ما أرى والدهر جَمَّ عجائبهُ
وعن الشافعى^(١) أنه قال : قال الوليدُ بن عبد الملك للغاز بن ربيعة أن يسأل
الحجاج فيما بينه وبينه ؛ هل يجدُ فى نفسه ممَّا أصاب من الدماء^(٢) شيئاً ؟ فسأله
كما أمره ، فقال : واللّه ما أحبُّ أن لى لُبنانٌ أو سَنيرٌ^(٣) ذهباً أنفقهُ فى سبيلِ اللّهِ
مكانَ ما أبلانى اللّهُ من الطاعة .

فصل فيما روى عنه من الكلمات

الناقصة^(٤) والجراءة البالغة

قال أبو داود^(٥) : ثنا محمد بن العلاء ، ثنا أبو بكر ، عن عاصم قال :
سمعتُ الحجاج وهو على المنبر يقول : اتقوا اللّهُ ما استطعتم - ليس فيها

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥٧/١٢ - ١٥٨ ، من طريق الشافعى به بنحوه .

(٢) فى م : « الدنيا » .

(٣) فى الأصل : « ثبير » ، وفى ٢١ ، ص : « سنين » ، وفى م : « سبير » . والمثبت من تاريخ دمشق ، وهى فيه غير مصروفة . قال فى « شرح القاموس » (س ن ر) : وسنير ، كأمير : جبل بين حمص وبلبك . وانظر معجم البلدان ١٧٠/٣ .

(٤) فى م : « النافعة » .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥٨/١٢ - ١٥٩ ، من طريق أبى داود به .

مثنوية^(١) - واسمعوا وأطيعوا - ليس فيها مثنوية^(٢) - لأُمير المؤمنين عبد الملك ،
والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب^(٣) المسجد فخرجوا من باب آخر لحلّت
لى دماؤهم وأموالهم ، والله لو أخذت ربيعة بمضرة لكان ذلك لى من الله حلالاً ،
وما^(٤) عذرى من عبد هذيل يزعم أن قرآنه من عند الله ، والله ما هى إلا رجز
من رجز الأعراب ما أنزلها الله على نبيه ﷺ ، وعذرى من هذه الحمراء^(٥) ،
يزعم أحدهم يرمى بالحجر فيقول : إلى أن يقع الحجر حدث أمر . فوالله لأدعنهم
كالأمس الدابر . قال : فذكرته للأعمش ، فقال : وأنا والله سيعته منه .

ورواه أبو بكر بن أبى خيثمة^(٦) ، عن محمد بن يزيد ، عن أبى بكر بن
عياش ، عن عاصم بن أبى التَّجُود والأعمش ، أنهما سَمِعا الحجاج - قُبَّحه الله -
يقول ذلك ، وفيه : والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب ، فخرجتم من هذا
الباب ، حلّت لى دماؤكم ، ولا أجد أحداً يقرأ [١٣٩/٧] على قراءة ابن أمّ عبدي
إلا ضربت عنقه ، ولأحْكمتها من المصحف ولو بضلع خنزير .

ورواه غير واحد عن أبى بكر بن عياش بنحوه^(٧) . وفى بعض الروايات^(٨) :
والله لو أدركت عبد هذيل لضربت عنقه . وهذا من جراءة الحجاج - قُبَّحه الله ،

(١) كذا بالنسخ وتاريخ دمشق ٢٣٥/٤ (مخطوط) ، وفى تاريخ دمشق ١٥٩/١٢ ، ومختصر ابن منظور ٢١٤/٦ : « مثنوية » .

(٢) سقط من : الأصل ، وليس فى تاريخ دمشق .

(٣) فى تاريخ دمشق : « يا » .

(٤) يعنى : عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

(٥) فى تاريخ دمشق : « الحمراء » .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦٠/١٢ ، من طريق ابن أبى خيثمة به .

(٧) انظر تاريخ دمشق ١٥٩/١٢ ، ١٦٠ .

(٨) المصدر السابق ١٦٠/١٢ .

وإقدامه على الكلام السيئ ، والدماء الحرام . وإنما نَقَمَ على قراءة ابن مسعود - رضى الله عنه - لكونه خالف القراءة على المصحف الإمام الذى جمع الناس عليه عثمان ، والظاهر أن ابن مسعود رجع إلى قول عثمان وموافقيه ^(١) ، والله أعلم .

وقال علي بن عبد الله بن مبشر ^(٢) ، عن عباس الدورى ، عن مسلم بن إبراهيم ، ثنا الصلت بن دينار ، سمعت الحجاج على منبر واسط يقول : عبد الله ابن مسعود رأس المنافقين ، لو أدركته لأسقيت الأرض من دمه . قال : وسمعت على منبر واسط وتلا هذه الآية ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ [ص : ٣٥] . قال : والله إن كان سليمان لحسودًا . وهذه جراءة عظيمة تُفْضِي به إلى الكفر ، قبحه الله وأخزاه ، وأبعده وأقصاه ^(٣) .

ومن الطائفات أيضًا ما رواه أبو داود ^(٤) ، ثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني ، ثنا جرير ^(٥) (ح) . وحدَّثنا زهير بن حرب ، ثنا جرير ، عن المغيرة ، عن بزيع بن خالد الضبي ، قال : سمعت الحجاج يخطب ، فقال فى خطبته : رسول أحدكم فى حاجته أكرم عليه أم خليفته فى أهله ؟ فقلت فى نفسى : لله على أن لا أصلى خلفك صلاة أبدًا ، وإن وجدت قومًا يُجاهدونك لأجاهدُكَ معهم . زاد إسحاق ^(٦) فى حديثه : فقاتل فى الجماجم حتى قُتِل . فإن صحَّ هذا عنه فظاهره

(١) فى الأصل ، ص : « موافقه » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦١ / ١٢ .

(٣) بعده فى ص زيادة من زيادات الناسخ ، وأثبتها ناشرو طبعة المعارف (م) ، وهى بمقدار ثلاث صفحات تقريباً من المطبوع .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥٨ / ١٢ - ١٥٩ ، من طريق أبى داود به .

(٥) سقط من : م .

(٦ - ٦) سقط من : م .

كفرَ إنَّ أرادَ تفضيلَ منصبِ الخلافةِ على الرسالةِ ، أو أرادَ أنَّ الخليفةَ مِن بنى أميةَ أفضلُ مِنَ الرسولِ .

وقال الأصمعي^(١) : ثنا أبو عاصم النبيلُ ، ثنا أبو حفص الثقفى ، قال : خطبَ الحجاجُ يوماً فأقبلَ عن يمينه فقال : ألا إنَّ الحجاجَ كافرٌ . ثم أطرقَ فقال : إنَّ الحجاجَ كافرٌ . ثم أطرقَ فأقبلَ عن يساره فقال : ألا إنَّ الحجاجَ كافرٌ . فعَل ذلك مراراً ، ثم قال : كافرٌ يا أهلَ العراقِ باللاتِ والعُزَّى .

وقال حنبلُ بنُ إِسحاقَ^(٢) : ثنا هارونُ بنُ معروفٍ ، ثنا ضَمْرَةُ ، ثنا ابنُ شَوَّذِبٍ ، عن مالكِ بنِ دينارٍ قال : بينما الحجاجُ يخطبُنا يوماً إذ قال : الحجاجُ كافرٌ . قلنا : ما له ؟ أى شىء يريدُ ؟ قال : الحجاجُ كافرٌ بيومِ الأربعاءِ والبغلةِ الشَّهباءِ . وقال الأصمعي^(٣) : قال عبدُ الملكِ يوماً للحجاجِ : إنَّه^(٤) ما مِن أحدٍ إلا [١٣٩/٧ ط] وهو يعرفُ عيبَ نفسه ، ^(٥) فِصْف لى عيبٍ^(٥) نفسك . فقال : اعفنى يا أميرَ المؤمنين . فأبى ، فقال : أنا لجوئِ حقوقِ حسودٍ . فقال عبدُ الملكِ : ما فى الشيطانِ شرٌّ مما ذكرتَ . وفى رواية^(٦) أنَّه قال : إذا بينَكَ وبينَ إبليسَ نسبٌ .

وبالجملة فقد كان الحجاجُ نعمةً على أهلِ العراقِ بما سلفَ لهم مِنَ الذنوبِ والخروجِ على الأئمةِ ، وخِذلانِهِم لهم ، وعصيانِهِم ، ومخالفتِهِم ، والافتياتِ

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٦٦ ، من طريق الأصمعى به .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٦٦ ، من طريق حنبل بن إِسحاق به .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٦٧ ، من طريق الأصمعى .

(٤) سقط من : ٢١ ، م ، ص .

(٥ - ٥) فى الأصل ، وتاريخ دمشق : « فعيب نفسك » .

(٦) تاريخ دمشق ١٢/١٦٧ .

عليهم . قال يعقوب بن سفيان^(١) : حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، حَدَّثَنِي معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، عن شريحِ بْنِ عبيدٍ ، عن مَنْ حَدَّثَهُ ، قال : جاء رجلٌ إلى عمرِ ابنِ الخطابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ حَصَبُوا أَمِيرَهُمْ فَخَرَجَ غَضِبَانَ ، فَصَلَّى لَنَا صَلَاةً ، فَسَهَا فِيهَا حَتَّى جَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ : سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ . فَلَمَّا سَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : مَنْ هَلُنَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ؟ فَقَامَ رَجُلٌ ، ثُمَّ قَامَ آخَرُ ، ثُمَّ قَمْتُ أَنَا ثَالِثًا أَوْ رَابِعًا ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، اسْتَعِدُّوا لِأَهْلِ الْعِرَاقِ ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ بَاضَ فِيهِمْ وَفَرَّخَ ، اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ قَدْ لَبَسُوا عَلَيْهِمْ فَالْبَسَ عَلَيْهِمْ ، وَعَجَّلَ عَلَيْهِم بِالْغَلَامِ الثَّقَفِيِّ ، يَحْكُمُ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ ؛ لَا يَقْبَلُ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَلَا يَتَجَاوَزُ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ . وَقَدْ رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ «مُسْنَدِ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ» ، مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَذْبَةَ الْحِمَصِيِّ ، عَنْ عُمَرَ مِثْلَهُ^(٢) . وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ^(٣) : أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ الْحَسَنِ ، قَالَ^(٤) : قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : اللَّهُمَّ كَمَا ائْتَمَشْتَهُمْ فَخَاثُونِي ، وَنَصَحْتُ لَهُمْ فَنَغَشُونِي ، فَسَلِّطْ عَلَيْهِمْ فَتَى ثَقِيفِ الذِّيَالِ^(٥) الْمِثَالِ ، يَأْكُلُ خَضِرَتَهَا^(٦) ، وَيَلْبَسُ فُرُوتَهَا ، وَيَحْكُمُ فِيهَا بِحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ . قَالَ : يَقُولُ الْحَسَنُ : وَمَا تُحْلِقُ الْحِجَاجُ يَوْمَئِذٍ . وَرَوَاهُ مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ^(٧) ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَوْسٍ بْنِ

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٦٧/١٢ - ١٦٨ ، من طريق يعقوب بن سفيان به .
(٢) مسند الفاروق ٦٦٣/٢ ، وقد أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٤٨٦/٦ - ٤٨٧ ، من طريق أبي عذبة الحمصي به .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٦٩/١٢ ، من طريق عبد الرزاق به .

(٤) سقط من : ٢١ ، م ، ص .

(٥) الذيال : المتبختر في مشيه .

(٦) يعني هنيئها . النهاية ٤١/٢ .

(٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٦٩/١٢ ، من طريق معتمر بن سليمان به .

الْحَدَّثَانِ ، عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ : الشَّابُّ الذِّيَالُ أَمِيرُ الْمِصْرِينَ يَلْبَسُ فُرُوتَهَا وَيَأْكُلُ خَضِرَتَهَا ، وَيَقْتُلُ أَشْرَافَ أَهْلِهَا ، يَشْتَدُّ مِنْهُ الْفَرْقُ ، وَيَكْثُرُ مِنْهُ الْأَرْقُ ، وَيَسْلُطُهُ اللَّهُ عَلَى شِيعَتِهِ .

وقال الحافظ البيهقي في « دلائل النبوة »^(١) : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ، ثنا سعيد بن مسعود ، ثنا يزيد بن هارون ، أنبأ العوام بن حوشب ، حدثني حبيب بن أبي ثابت قال : قال عليٌّ لرجلٍ : لا ميتٌ حتى تدركَ فتى ثقيف .^(٢) قيل له : يا أمير المؤمنين^(٣) ، وما فتى ثقيف ؟ قال : ليقلَّانَ له يومَ القيامةِ : اكفنا زاويةً من زوايا جهنم . رجلٌ يملكُ عشرين ، أو [١٤٠/٧] بضعةً وعشرين سنةً ، لا يدعُ لله معصيةً إلا ارتكبها ، حتى لو لم يَتَّقِ إلا معصيةً واحدةً ، وكان بينه وبينها بابٌ مغلقٌ لكسره حتى يتركبها ، يقتلُ بمن أطاعه من عصاه .

وقال الطبراني^(٣) : حدثنا القاسم بن زكريا ، ثنا إسماعيل بن موسى السدي^(٤) ، ثنا علي بن مُشهر ، عن الأجلح ، عن الشعبي ، عن أم حكيم بنت عمر بن سنان الجدليّة ، قالت : استأذن الأشعث بن قيس علياً فرده فُتْبِرَ فأدمى أنفه ، فخرج عليٌّ فقال : ما لك وله يا أشعث ، أما والله لو بعدي ثقيف

(١) دلائل النبوة ٤٨٩/٦ .

(٢) ٢ - ٢) في ٢١ ، م ، ص : « قال » .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٦٩/١٢ ، وابن العديم في بغية الطلب ٢٩/٥ ، كلاهما من طريق الطبراني به .

(٤) في ٢١ : « السدس » . وفي م ، ص : « السدس » ، وفي تاريخ دمشق : « السهمي » . وقال محققه : ... والمثبت من بغية الطلب . والذي في بغية الطلب ٢٩/٥ : « السدي » ، وهو كما أثبتنا . وانظر تهذيب الكمال ٢١٠/٣ .

تَمَرَّسَتْ^(١) لاقْشَعَرَتْ شَعِيرَاتُ اسْتِكَ . قيل له : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ عَبْدٌ ثَقِيفٌ ؟
قال : غلامٌ يَلِيهِمْ لَا يُقْبَى أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا أَلْبَسَهُمْ ذُلًّا . قيل : كم يملكُ ؟
قال : عشرين إنْ بَلَغَ .

وقال البيهقي^(٢) : أَخْبَرَنَا الْحَاكِمُ ، أَنبَأَ الْحُسَيْنُ^(٣) بَنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَيُّوبَ ، ثنا أَبُو
حاتمٍ الرَازِيُّ ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَوْسَفَ التَّيْسِيُّ ، ثنا هِشَامُ^(٤) بْنُ يَحْيَى الْغَسَّانِيُّ^(٥)
قال : قال عمرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : لو جاءت كُلُّ أُمَّةٍ بِخَبِيثَةٍ ، وَجئْنَا بِالْحِجَابِ
لَغَلَبْنَاهُمْ . وقال أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ^(٦) ، عن عاصمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ أَنَّهُ قال : ما بَقِيَتْ
لِلَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ خُزْمَةٌ إِلَّا وَقَدْ ارْتَكَبَهَا الْحِجَابُ .

وقد تقدَّم الحديث^(٧) : « إِنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَابًا وَمُبِيرًا » . وقد ذَكَرْنَا شَأْنَ الْخِتَارِ
ابنِ أَبِي عُبَيْدٍ ، وَهُوَ الْكَذَابُ الْمَذْكُورُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، وَقَدْ كَانَ يُظْهِرُ الرِّفْضَ
أَوَّلًا وَيُطِئُ الْكُفْرَ الْحَضَّ ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَهُوَ الْحِجَابُ بْنُ يَوْسَفَ هَذَا ، وَقَدْ كَانَ
نَاصِبِيًّا يُنْفِضُ عَلِيًّا وَشِيعَتَهُ فِي هَوَى آلِ مَرْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَكَانَ جَبَّارًا عَنِيدًا ،
مِقْدَامًا عَلَى سَفْلِ الدَّمَاءِ بِأَدْنَى شَبْهَةٍ . وَقَدْ رَوَى عَنْهُ أَلْفَاظٌ بِشَعَةِ شَنِيعَةٍ ظَاهِرُهَا
الْكُفْرُ كَمَا قَدَّمْنَا^(٨) ، فَإِنْ كَانَ قَدْ تَابَ مِنْهَا وَأَقْلَعَ عَنْهَا ، وَإِلَّا فَهُوَ بَاقٍ فِي
عَهْدَتِهَا ، وَلَكِنْ قَدْ يُخْشَى أَنَّهَا رُوِيَتْ عَنْهُ بِنُوعٍ مِنْ زِيَادَةٍ عَلَيْهِ ؛ فَإِنْ الشَّيْعَةُ كَانُوا

(١) في م : « تَمَرَّسَتْ » .

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٤٨٩/٦ ، من طريق الحاكم به .

(٣) في م : « الحسن » .

(٤) سقط من : م .

(٥) في م : « الغاني » .

(٦) أخرجه البيهقي في الدلائل ٤٨٩/٦ ، من طريق أبي بكر بن عياش به .

(٧) تقدم بنحوه في ٢٥١/٩ ، ٢٥٢ .

(٨) انظر ص ٥٣٢ - ٥٣٥ .

يُغَضُّونَهُ جَدًّا لَوْجُوهُ، وَرَبَّمَا حَرَّفُوا عَلَيْهِ بَعْضَ الْكَلِمِ، وَزَادُوا فِيهَا يَحْكُونَهُ عَنْهُ
بَشَاعَاتٍ وَشَنَاعَاتٍ.

وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْهُ ^(١)، أَنَّهُ كَانَ يَتَدَيَّنُ بِتَرْكِ الْمَشْكِرِ، وَكَانَ يُكْثِرُ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ،
وَيَتَجَنَّبُ الْحَارِمَ، وَلَمْ يُشْتَهَرْ عَنْهُ شَيْءٌ مِنَ التَّلَطُّخِ بِالْفُرُوجِ، وَإِنْ كَانَ مُتَسَرِّعًا فِي
سَفْكِ الدَّمَاءِ. فَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ وَحَقَائِقِ الْأُمُورِ وَسَرَائِرِهَا ^(٢)، وَخَفِيَّاتِ
الصَّدُورِ وَضُمَائِرِهَا ^(٣).

وَقَالَ الْمَعَانِي بْنُ زَكْرِيَا الْجَرِيرِيُّ - الْمَعْرُوفُ بِابْنِ طَرَّازٍ ^(٤) - الْبَغْدَادِيُّ: ثَنَا
مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيُّ، ثَنَا أَبِي، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ، ثَنَا هِشَامُ [١٤٠/٧] أَظْ
ابْنُ ^(٥) مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ، ثَنَا عَوَانَةُ بْنُ الْحَكَمِ الْكَلْبِيُّ، قَالَ: دَخَلَ أَنَسُ
ابْنُ مَالِكٍ عَلَى الْحُجَّاجِ بْنِ يَوْسَفَ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ ^(٦) سَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ:
إِيهِ إِيهِ يَا أَنَسُ، يَوْمَ لَكَ مَعَ عَلِيٍّ، وَيَوْمَ لَكَ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَيَوْمَ لَكَ مَعَ ابْنِ
الْأَشْعَثِ، وَاللَّهِ لَأَسْتَأْصِلَنَّكَ كَمَا تُسْتَأْصَلُ الشَّافَةُ ^(٧)، وَلَأَدْمَغَنَّكَ كَمَا تُدْمَغُ
الصَّمْغَةُ. فَقَالَ أَنَسُ: إِيَّايَ يَعْنِي الْأَمِيرُ أَصْلَحَهُ اللَّهُ؟ قَالَ: إِيَّاكَ ^(٨)، سَكَ اللَّهُ
سَمْعَكَ. قَالَ أَنَسُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَاللَّهِ لَوْلَا الصَّبِيَّةُ الصَّغَارُ مَا بَالَيْتُ

(١) انظر تاريخ دمشق ١٢/١١٦، ١٨٢، ١٩٢.

(٢) في ٢، م: «سائرهما».

(٣) بعده في م، ص زيادة من زيادات الناسخ.

(٤) في الأصل، م، ص: «طرار»، وفي ٢، م، وتاريخ بغداد ١٣/٢٣٠: «طرار». والمثبت من وفيات
الأعيان ٥/٢٢١، وانظر سير أعلام النبلاء ١٦/٥٤٤، وطبقات الفقهاء ٩٣.

والأثر أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٧١ - ١٧٣، وابن العديم في بغية الطلب ٥/٢٢ - ٢٥.

(٥) في ٢، م، ص: «أبو». وانظر سير أعلام النبلاء ١٠/١٠١.

(٦ - ٦) سقط من: م.

(٧) في م: «الشاة». والشافة بالهمز وغير الهمز: قرحة تخرج في أسفل القدم فتقطع أو تكوى

فتذهب، النهاية ٢/٤٣٦.

(٨) بعده في ٢، م، ص: «أعنى».

أَيَّ قِتْلَةٍ قُتِلْتُ ، وَلَا أَيَّ مَيْتَةٍ مِتُّ . ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ الْحَجَّاجِ ، فَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَخْبِرُهُ بِمَا قَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ ، فَلَمَّا قَرَأَ عَبْدُ الْمَلِكِ كِتَابَ أَنَسِ اسْتَشْطَا غَضَبًا ، وَصَفَّقَ ^(١) عَجَبًا ، وَتَعَاطَمَ ذَلِكَ مِنَ الْحَجَّاجِ ، وَكَانَ كِتَابُ أَنَسِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَمَا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ الْحَجَّاجَ قَالَ لِي هُجْرًا ^(٢) ، وَأَسْمَعْنِي نُكْرًا ، وَلَمْ أَكُنْ لَذَلِكَ أَهْلًا ، فَخَذُّ لِي عَلَى يَدَيْهِ ، فَإِنِّي أُمْتُ بِخِدْمَتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَصَحْبَتِي إِيَّاهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . فَبَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى ^(٣) إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْمَهَاجِرِ - وَكَانَ مُصَادِقًا لِلْحَجَّاجِ - فَقَالَ لَهُ : دُونَكَ كِتَابِي هَذَيْنِ فَخُذْهُمَا ، وَارْكَبِ الْبَرِيدَ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَابْدَأْ بِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَادْفَعْ كِتَابِي إِلَيْهِ وَأَبْلِغْهُ مِنِّي السَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُ : يَا أَبَا حَمْزَةَ ، قَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْحَجَّاجِ الْمَلْعُونِ كِتَابًا ، إِذَا قَرَأَهُ كَانَ أَطْوَعَ لَكَ مِنْ أَمَتِكَ . وَكَانَ كِتَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَمَا بَعْدُ ؛ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهَمْتُ مَا ذَكَرْتَ مِنْ شِكَايَتِكَ الْحَجَّاجَ ، وَمَا سُلْطَتُهُ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرُهُ بِالْإِسَاءَةِ إِلَيْكَ ، فَإِنْ عَادَ لِمِثْلِهَا فَارْكَبْ إِلَى ذَلِكَ ، أَنْزِلْ بِهِ عَقُوبَتِي ، وَتَحَسَّنْ لَكَ مَعُونَتِي ، وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا قَرَأَ أَنَسُ كِتَابَهُ وَأَخْبَرَ بِرِسَالَتِهِ قَالَ : جَزَى اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِّي خَيْرًا ، وَعَافَاهُ وَكَفَاهُ وَكَافَاهُ بِالْجَنَّةِ ، فَهَذَا كَانَ ظَنِّي بِهِ وَالرَّجَاءُ مِنْهُ . فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ لِأَنَسِ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « شَقَّقَ » ، وَفِي ٢ ، ص : « شَقَّقَ » . كَذَا ، وَفِي م : « شَقَّقَ » . وَالثَّبْتُ مِنْ تَارِيخِ دِمَشْقَ .

(٢) يَعْنِي : فَحْشًا .

(٣) سَقَطَ مِنْ : النُّسخ . وَالثَّبْتُ مِنْ تَارِيخِ دِمَشْقَ .

يا أبا حمزة، إِنَّ الحجاجَ عاملُ أميرِ المؤمنين، وليس بك عنه غنى ولا بأهل بيتك، ولو جعل لك في جامعة ثم دفع إليك^(١) «لقدّر أن يضرب وينفع»، فقاربه [٤١/٧ و] وداره تعيش معه بخير وسلام. فقال أنس: أفعَلُ إن شاء الله. ثم خرج إسماعيلُ من عنده فدخل على الحجاج، «فلما رآه الحجاج قال^(٢): مرحبًا برجلي أحبه وكنْتُ أحبُّ لقاءه. فقال إسماعيلُ: أنا والله كنتُ أحبُّ لقاءك في غير ما أتيتُك به^(٣) فتغيّر لونُ الحجاج، و^(٤) قال: ما أتيتُني به؟ قال: فارقْتُ أميرَ المؤمنين وهو أشدُّ الناسِ عليك غضبًا، ومنك بعدًا. قال: فاستوى الحجاج جالسًا مرعوبًا، فرمى إليه إسماعيلُ بالطومار^(٥)، فجعل الحجاج ينظرُ فيه مرةً ويعزقُ، وينظرُ إلى إسماعيلَ أخرى، فلما نقضه^(٦) قال: قم بنا إلى أبي حمزة نعتذرُ إليه ونرضاه. فقال له إسماعيلُ: لا تَعْجَلْ. فقال: كيف لا أعجلُ وقد أتيتُني بآبدة^(٧).

وكان في الطومارِ: «إلى الحجاجِ بنِ يوسف^(٨): بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مروانَ أميرِ المؤمنين إلى الحجاجِ بنِ يوسف، أما بعدُ: فإنك عبدٌ طَمَتَ^(٩) بك الأمورُ فسموتَ فيها، وعدوتُ طوركَ، وجاوزتَ قدركَ، وركبتَ داهيةً إذا، وأردتَ أن تبورنِي^(١٠) فإن سَوَّغْتُكَهَا مضيتَ قُدُمًا، وإن لم أُسَوِّغْهَا

(١ - ١) سقط من: م.

(٢ - ٢) زيادة من: ٢١، م، ص.

(٣) الطومار، والطامور الصحيحة.

(٤) في م: «فضه».

(٥) الآبدة: الأمر العظيم ينفر منه ويستوحش. النهاية ١٣/١.

(٦ - ٦) سقط من: م.

(٧) طَمَت: ارتفعت وسمت.

(٨) في الأصل، ٢١: «نتورى»، وفي م: «تبدولى»، وفي ابن عساكر: «تبرزى». والمثبت من بغية

الطلب ٢٤/٥. وتبورنى: تختبرنى. تاج العروس (ب و ر).

رَجَعْتَ الْفَهْقَرَى، فَلَعَنَكَ اللَّهُ عَبْدًا^(١) أَخْفَشَ الْعَيْنِينَ، مَنْقُوصَ الْجَاعِرَتَيْنِ^(٢)،
 أَنْسَيْتَ مَكَاسِبَ آبَائِكَ بِالطَّائِفِ، وَحَفَرَهُمُ الْآبَارَ، وَنَقَلَهُمُ الصَّخُورَ عَلَى
 ظُهُورِهِمْ فِي الْمَنَاهِلِ؟ يَا ابْنَ الْمُسْتَفْرَمَةِ^(٣) بَعْجَمِ الزَّبِيبِ، وَاللَّهُ لَا غِمَزَنُكَ غَمَزَ
 اللَّيْثِ الثَّعْلَبِ، وَالصَّقِيرِ الْأَرْنَبِ، وَتَبَّتْ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 بَيْنَ أَظْهَرِنَا، فَلَمْ يَقْبَلْ لَهُ إِحْسَانُهُ، وَلَمْ تَجَاوِزْ لَهُ^(٤) إِسَاءَتُهُ، جُزْأَةً مِنْكَ عَلَى الرَّبِّ
 عِزٌّ وَجَلٌّ، وَاسْتِخْفَافًا مِنْكَ بِالْعَهْدِ، وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى رَأَتْ رَجُلًا خَدَمَ
 غَزِيرَ بْنَ عَزْرَا^(٥)، وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، لِعَظُمَتِهِ وَشَرَفَتِهِ وَأَكْرَمَتِهِ^(٦)، فَكَيْفَ وَهَذَا
 أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ خَادِمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَمَانِي سِنِينَ، يَطْلُعُهُ عَلَى سِرِّهِ، وَيَشَاوِرُهُ فِي
 أَمْرِهِ، ثُمَّ هُوَ مَعَ هَذَا بَقِيَّةً مِنْ بَقَايَا أَصْحَابِهِ، فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا فَكُنْ أَطْوَعَ لَهُ
 مِنْ خُفِّهِ وَنَعْلِهِ، وَلَا أَتَاكَ مِنْهُ سَهْمٌ مِثْلُ^(٧) بَحْتَفٍ قَاضٍ، وَلِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ
 وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ.

وَقَدْ تَكَلَّمْتُ ابْنُ طَرَارًا^(٨) عَلَى مَا وَقَعَ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنَ الْغَرِيبِ^(٩)، وَكَذَلِكَ
 ابْنُ قَتِيْبَةٍ^(١٠) وَغَيْرُهُمَا مِنْ أُمَّةِ اللِّغَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) فِي م: «مِنْ عَبْد».

(٢) الْجَاعِرَتَانِ: حَرْفَا الْوَرَكَيْنِ الْمَشْرِفَيْنِ عَلَى الْفَخْدَيْنِ. التَّاج (ج ع ر).

(٣) فِي الْأَصْلِ، ٢١، ص: «الْمُسْتَفْرَمَةُ» وَفِي م: «الْمُسْتَفْرَمَةُ». وَالثَّبُوتُ مِنْ تَارِيخِ دِمَشْقَ.

(٤) بَعْدَهُ فِي م: «عَنْ».

(٥) فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ، وَبَغِيَّةُ الطَّلَبِ: «عِزْرَةُ».

(٦) بَعْدَهُ فِي ٢١، م، ص: «وَأَحِبَّتِهِ، بَلْ لَوْ رَأَوْا مِنْ خَدَمِ حِمَارِ الْعَزِيرِ أَوْ مِنْ خَدَمِ حَوَارِي الْمَسِيحِ
 لِعَظُمُوهُ وَأَكْرَمُوهُ». وَالثَّبُوتُ مُوَافِقٌ لِمَا فِي مَصْدَرِي التَّخْرِيجِ.

(٧) فِي الْأَصْلِ، م: «ثُكُلٌ»، وَفِي ٢١: «نُكُلٌ»، وَفِي ص: «فُكُلٌ». وَالثَّبُوتُ مِنْ مَصْدَرِي التَّخْرِيجِ.

(٨) فِي النُّسخِ: «طَرَارًا».

(٩) تَارِيخِ دِمَشْقَ ١٢/١٧٤، بَغِيَّةُ الطَّلَبِ ٢٥/٥.

(١٠) انْظُرْ غَرِيبَ الْحَدِيثِ ٣/٧٠٩، ٧١١، ٧١٢.

وقال الإمام أحمد^(١) : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن الزبير -
يعني ابن عدي - قال : شكونا إلى أنس بن مالك ما تلقى من الحجاج ، فقال :
[١٤١/٧ ط] اصبروا ؛ فإنه لا يأتي عليكم عام أو يوم إلا الذي بعده شر منه ، حتى
تلقوا ربكم عز وجل ، سمعته من نبيكم ﷺ . وهذا رواه البخاري^(٢) ، عن
محمد بن يوسف ، عن سفيان - وهو الثوري - عن الزبير بن عدي ، عن أنس ،
قال : « لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه » الحديث . قلت : ومن الناس
من يروى هذا الحديث بالمعنى فيقول : كل عام ترذلون^(٣) . وهذا اللفظ لا أصل
له ، وإنما هو مأخوذ من معنى هذا الحديث ، والله أعلم^(٤) .

وقد قال سفيان الثوري^(٥) : عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، قال :
يأتي على الناس زمان يصلون فيه على الحجاج . وقال أبو نعيم^(٦) ، عن يونس بن
أبي إسحاق ، عن أبي السقر ، قال : قال الشعبي : والله لئن بقيتم لتمتنن
الحجاج . وقال الأصمعي^(٧) : قيل للحسن : إنك تقول : الآخر شر من الأول .
وهذا عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج . فقال الحسن : لا بد للناس من تنفيسات .
وقال ميمون بن مهران^(٨) : بعث الحجاج إلى الحسن وقد هم به ، فلما قام بين
يديه ، قال : يا حجاج ، كم بينك وبين آدم من أب ؟ قال : كثير . قال : فأين

(١) المسند ٣/ ١٣٢ ، ١٧٧ .

(٢) صحيح البخاري (٧٠٦٨) .

(٣) انظر تمييز الطيب من الخبيث ١٥٠ ، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس ١٢٢/٢ - ١٢٣ .

(٤) بعده في م ، ص : زيادة من زيادات الناسخ .

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/ ١٧٥ ، من طريق سفيان الثوري به .

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/ ١٧٤ ، من طريق أبي نعيم به .

(٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/ ١٧٥ ، من طريق الأصمعي .

(٨) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/ ١٧٥ .

هم ؟ قال : ماتوا . قال : فنكس الحجاج رأسه وخرج الحسن . وقال أيوب السخيتاني^(١) : إن الحجاج أراد قتل الحسن مراراً ، فعصمه الله منه . وقد ذكر له معه مناضرات ، على أن الحسن لم يكن ممن يرى الخروج عليه ، وكان ينهى أصحاب ابن الأشعث عن ذلك ، وإنما خرج معهم مكرهاً ، كما قدمنا ، وكان الحسن يقول^(٢) : إنما هو نعمة فلا تقابلوا نعمة الله بالسيف ، وعليكم بالصبر والسكينة والتضرع . وقال ابن دريد^(٣) ، عن الحسن بن الخضري ، عن ابن عائشة ، قال : أتى الوليد بن عبد الملك برجل من الخوارج ، فقيل له : ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى خيراً ، قال : فعثمان ؟ فأثنى خيراً^(٤) ، حتى قيل له : فما تقول في عبد الملك بن مروان ؟ فقال : الآن جاءت المسألة ، ما أقول في رجل الحجاج خطيئة من خطاياهم ؟

وقال الأصمعي^(٥) ، عن علي بن مسلم^(٦) الباهلي ، قال : أتى الحجاج بامرأة من الخوارج ، فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ولا ترد عليه كلاماً ، فقال لها بعض الشرط : يكلمك الأمير وأنت معرضة عنه ؟ فقالت : إني [١٤٢/٧] لأستحي من الله أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه . فأمر بها فقتلت . وقد ذكرنا في سنة أربع وتسعين كيفية مقتل الحجاج لسعيد بن جبير ، وما دار بينهما من الكلام والمراجعة .

(١) تاريخ دمشق ١٢/١٧٥ ، بنحوه .

(٢) أخرجه نحوه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٧٧ ، ١٧٨ ، عن الحسن .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٧٩ - ١٨٠ ، من طريق ابن دريد به .

(٤) بعده في ٢١ ، م ، ص : « قيل له فما تقول في علي فأثنى خيراً فذكر له الخلفاء واحداً بعد واحد ، فإثنى علي كل بما يناسبه » .

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٨٠ ، من طريق الأصمعي به .

(٦) في تاريخ دمشق ١٢/١٨٠ ، وفي ٤/٢٤٧ (مخطوط) : « سالم » . وانظر مختصر تاريخ دمشق ٦/٢٢٤ .

وقد قال أبو بكر بن أبي خيثمة^(١) : ثنا أبو ظفير ، ثنا جعفر بن سليمان ، عن بسطام ابن مسلم ، عن قتادة ، قال : قيل لسعيد بن جبيرة : خرجت على الحجاج ؟ قال : إني والله ما خرجت عليه حتى كفر . ويقال : إنه لم يقتل بعده إلا رجلاً واحداً اسمه ماهان ، وكان قد قتل قبله خلقاً كثيراً ، أكثرهم ممن خرج مع ابن الأشعث .

وقال أبو عيسى الترمذي^(٢) : ثنا أبو داود سليمان بن سلم^(٣) البلخي ، ثنا النضر بن شميل ، عن هشام بن حسان ، قال : أخصوا ما قتل الحجاج صبراً فبلغ مائة ألف وعشرين ألفاً . قال الأصمعي^(٤) : ثنا أبو عاصم ، عن عبادة بن كثير ، عن قحذم ، قال : أطلق سليمان بن عبد الملك في غداة واحدة أحداً وثمانين ألف أسير^(٥) ، وعرضت السجون بعد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً ، لم يجب على أحد منهم قطع ولا صلب ، وكان في من حبس أعرابي وجد يبول في أصل ركبض مدينة واسط ، وكان في من أطلق فأنشأ يقول :

إذا نحن جاوزنا مدينة واسط خريتنا وصلينا بغير حساب
وقد كان الحجاج مع هذا العنف الشديد لا يستخرج من خراج العراق كبير
أمر . قال ابن أبي الدنيا وإبراهيم الحري^(٦) : ثنا سليمان بن أبي شيخ^(٧) ، ثنا

-
- (١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٨٣ ، من طريق أبي بكر بن أبي خيثمة به .
(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، عقب الحديث (٢٢٢٠) . صحيح الإسناد مقطوع (صحيح سنن الترمذي ١٨٠٨/٢٣٣٣) .
(٣) في ٢١ ، م ، ص : « مسلم » ، وفي تاريخ دمشق : « سليم » . والمثبت كما في بقية الطلب ، وانظر تهذيب الكمال ١١/٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٢٩/٣٧٩ .
(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٨٤ ، من طريق الأصمعي به .
(٥) بعده في ١ ، ص : « كانوا في سجن الحجاج ، وقيل إنه مات في سجنه ثمانون ألفاً منهم ثلاثون ألف امرأة » ، وفي م نفس السياق وفيها : « لبث » بدلا من « مات » .
(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٨٥ - ١٨٦ ، من طريق ابن أبي الدنيا وإبراهيم الحري به .
(٧) في م : « سنح » .

صالح بن سليمان ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : لو تخابشت الأمم^(١) وجئنا بالحجاج لغلبناهم ، وما كان يصلح لدنيا ولا لآخرة ، لقد ولي العراق وهو أوفو ما يكون في العمارة ، فأخس به حتى^(٢) صيره إلى أربعين ألف ألف ، ولقد أددى^(٣) إلى في عامي هذا ثمانون ألف ألف ، وإن بقيت إلى قابل رجوت أن يؤدى إلى ما أددى إلى عمر بن الخطاب مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف .

وقال أبو بكر بن المقرئ^(٤) : ثنا أبو عروبة ، ثنا عمرو بن عثمان ، ثنا أبي ، سمعت جدى قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة : بلغنى أنك تستن بسنن الحجاج فلا تستن بسننه ، فإنه كان يصلى الصلاة لغير وقتها ، يأخذ الزكاة من غير حقها ، وكان لما سوى ذلك أضيع .

وقال يعقوب بن سفيان^(٥) : ثنا سعيد بن أسيد ، ثنا ضمرة ، عن الزيات بن مسلم ، [١٤٢/٧ ظ] قال : بعث عمر بن عبد العزيز بال أبي عقيل - أهل بيت الحجاج - إلى صاحب اليمن ، وكتب إليه : أمّا بعد ، فإننى قد بعثت بال أبي عقيل ، وهم شرييت في العرب^(٦) ، ففرقهم في العمل على قدر هوانهم على الله وعلينا ، وعليك السلام . وإنما نفاهم .

وقال الأوزاعي^(٧) : سمعت القاسم بن مخيمرة يقول : كان الحجاج ينقض

(١) بعده فى ٢١ ، م ، ص : « فجاءت كل أمة بخبيثها » .

(٢) فى م : « إلى أن » .

(٣) بعده فى ٢١ ، م ، ص : « عمالي » .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٨٦ - ١٨٧ ، من طريق أبى بكر بن المقرئ به .

(٥) المعرفة والتاريخ ١/١١٨ .

(٦) فى م : « العمل » .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٨٧ ، من طريق الأوزاعي .

عزى الإسلام. وذكر حكاية. وقال أبو بكر بن عياش^(١)، عن عاصم: لم يَتَّقَ لله حرمة إلا ارتكبها الحجاج بن يوسف. وقال يحيى بن عيسى الرملئ^(٢)، عن الأعمش: اختلفوا في الحجاج، فسألوا مجاهدًا، فقال: تسألونى عن الشيخ الكافر؟

وروى ابن عساكر^(٣)، عن الشعبي أنه قال: الحجاج مؤمن بالجبّ والطاغوت، كافّر بالله العظيم. كذا قال والله أعلم. وقال الثوري^(٤)، عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، قال: عجبنا لإخواننا من أهل العراق؛ يُسمّون الحجاج مؤمنًا! وقال الثوري^(٥)، عن ابن عون^(٦): سمعتُ أبا وائل يُسأل عن الحجاج: أتشهدُ أنه من أهل النار؟ قال: أتأمروني أن أشهدَ على الله العظيم. وقال الثوري^(٨)، عن منصور، سألتُ إبراهيم عن لعن^(٩) الحجاج أو بعض الجبابرة، فقال: أليس الله يقول: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]؟ وبه^(١٠)؛ قال إبراهيم: وكفى بالرجل عمى أن يعمى عن أمر الحجاج. وقال سلام ابن أبي مطيع^(١١): لأننا للحجاج أرجى منى لعمر بن عبيد؛ لأنَّ الحجاج قتل

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٨٨، من طريق أبى بكر بن عياش به بنحوه.
(٢) سقط آخر السند من تاريخ دمشق ١٢/١٨٧، ومن المخطوط ٤/٢٥٠. وانظر مختصر ابن منظور ٢٢٨/٦.

(٣) تاريخ دمشق ١٢/١٨٧.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٨٨، من طريق الثورى به.

(٥ - ٥) فى تاريخ دمشق: «سفيان بن عون». وانظر تهذيب الكمال ١١/١٥٨.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٨٨، من طريق الثورى عن ابن عون به.

(٧) فى م: «عوف». وانظر تهذيب الكمال ١٥/٣٩٤.

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٨٨، من طريق سفيان به.

(٩) سقط من: م.

(١٠) تاريخ دمشق ١٢/١٨٩.

(١١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٨٩، ١٩٠.

الناس على الدنيا ، وعمرو بن عُبيد أحدث للناس بدعة^(١) ، فقتل الناس بعضهم بعضاً . وقال الزُّبَيْرَانُ^(٢) : سَبَيْتُ الْحِجَاجَ يَوْمًا عِنْدَ أَبِي وَائِلٍ ، فَقَالَ : لَا تَسْبِهْ لَعَلَّهُ قَالَ يَوْمًا : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي . فِرْحَمَهُ^(٣) ، إِيَّاكَ وَمَجَالِسَةً مَنْ يَقُولُ : أَرَأَيْتَ أَرَأَيْتَ . وَقَالَ عَوْفٌ^(٤) : ذَكَرَ الْحِجَاجُ عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ، فَقَالَ : مَسْكِينٌ أَبُو مُحَمَّدٍ ؛ إِنَّ يَعْذُوبُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَبَذَنِيهِ ، وَإِنْ يَغْفِرُ لَهُ فَهَنِيئًا لَهُ ، وَإِنْ يُلْقَى اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ، فَقَدْ^(٥) أَصَابَ الذَّنُوبَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ . فَقِيلَ لَهُ : مَا الْقَلْبُ السَّلِيمُ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْلَمَ^(٦) أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ ، وَأَنَّ السَّاعَةَ حَقٌّ قَائِمَةٌ ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ .

وقال أبو القاسم البغوي^(٧) : ثنا أبو سعيد ، ثنا أبو أسامة ، قال : قال رجلٌ لسفيانَ الثوري : اشْهَدْ^(٨) عَلَى الْحِجَاجِ وَعَلَى أَبِي مُسْلِمٍ^(٩) أَنَّهُمَا فِي النَّارِ . قَالَ : لَا ، إِذَا أَقْرَأَ بِالتَّوْحِيدِ . وَقَالَ الرِّيَاشِيُّ^(١٠) : حَدَّثَنَا عَبَّاسٌ^(١١) الْأَزْرَقُ ، عَنِ السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى ، قَالَ : مرَّ الْحِجَاجُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ فَسَمِعَ اسْتِغَاثَةً ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقِيلَ لَهُ : [١٤٣/٧] أَهْلُ السَّجُونِ يَقُولُونَ : قَتَلْنَا الْحُرَّ . فَقَالَ : قُولُوا لَهُمْ : اخْسِئُوا فِيهَا

(١) بعده في ٢١ ، م ، ص : « شنعاء » .

(٢) في م : « الزبير » . وقد أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢ / ١٩٠ .

(٣) في تاريخ دمشق : « فرحمه » .

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢ / ١٩٠ .

(٥) في ٢١ ، م ، ص : « فهو خير لنا فقد » ، وفي م : « فهو خير منا وقد » .

(٦) في م : « يعلم الله تعالى منه الحياء والإيمان وأن يعلم » .

(٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢ / ١٩٠ ، من طريق أبي القاسم البغوي به .

(٨) في م : « أتشهد » .

(٩) بعده في ٢١ ، م ، ص : « الخراساني » .

(١٠) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢ / ١٩٢ ، من طريق الرياشي به .

(١١) في الأصل ، تاريخ دمشق : « عباس » . وانظر بغية الطلب ٥ / ٣١ ، وتهذيب الكمال ١٠ / ٢٣٣ .

ولا تكلمون . قال : فما عاش بعد ذلك إلا أقل من جُمعة^(١) . وقال بعضهم : رأيته وهو يأتي الجمعة وقد كاد يهلك من العلة . وقال الأصمعي^(٢) : لما مرض الحجاج أرجف الناس بموته ، فقال في خطبته : إن طائفة من أهل الشقاق والنفاق نزع الشيطان بينهم ، فقالوا : مات الحجاج ، ومات الحجاج . فمة ، وهل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت ؟ والله ما يشروني أن لا أموت وأن لي الدنيا وما فيها ، وما رأيث الله رضى التخليد إلا لأهون خلقه عليه إبليس ، قال الله له : ﴿ إِنَّكَ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٥] . فأنظره إلى يوم الدين ، ولقد دعا الله العبد الصالح فقال : ﴿ وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَتَّبِعُنِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ [ص : ٣٥] . فأعطاه الله ذلك إلا البقاء^(٣) ، فما عسى أن يكون أيها الرجل ، وكلكم ذلك الرجل ، كآتي والله بكل حي منكم ميتا ، وبكل رطب يابس ، ثم ثياب أكفانه إلى^(٤) ثلاثة أذرع طولاً في ذراع عرضاً ، فأكلت الأرض لحمه ، ومضت صديده ، وانصرف الحبيب^(٥) من ولده يقسم الحبيب^(٥) من ماله ، إن الذين يعقلون يعقلون ما أقول . ثم نزل .

وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى^(٦) بن يحيى^(٧) الغساني^(٨) ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : ما حسدت الحجاج عدو الله على شيء

(١) بعده في ٢١ ، م ، ص : « حتى قصمه الله قاصم كل جبار » .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٩٣ .

(٣) بعده في ٢١ ، م ، ص : « ولقد طلب العبد الصالح الموت بعد أن تم له أمره فقال توفي مسلماً والحقني بالصالحين » .

(٤) سقط من : م .

(٥) في م : « الحبيب » .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص . وانظر الأنساب ٤/٢٩٦ .

(٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٩٤ ، من طريق إبراهيم به .

حسدى إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله^(١)، وقوله حين حضرته الوفاة: اللهم اغفر لى فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل. وقال أبو بكر بن أبي الدنيا^(٢): حدثنا علي بن^(٣) الجعد، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، عن محمد بن المنكدر، قال: كان عمر بن عبد العزيز يُغض الحجاج، فنفس عليه بكلمة قالها عند الموت: اللهم اغفر لى؛ فإنهم زعموا^(٤) أنك لا تفعل. قال: وحدثنى بعض أهل العلم^(٥)، قال: قيل للحسين: إن الحجاج قال عند الموت كذا وكذا. قال: أقالها؟ قالوا: نعم. قال^(٦): عسى. وقال أبو العباس المبرّد^(٧)، عن الرّياشي، عن الأصمعي، قال: لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول:

ياربّ قد حلف الأعداء واجتهدوا بأننى رجلٌ من ساكنى النار
أيحلفون على عمياء ويحهم ما علمهم بعظيم العفو غفار
قال: فأخير بذلك الحسن، فقال: ^(٨)تالله إن نجا فيهما. وزاد بعضهم فى ذلك:

[٤٣/٧ اظ] إن الموالى إذا شابت عيدهم فى رقهم عتقوهم عتق أبرار
وأنت يا خالقي أولى بذا كرماً قد شبت فى الرق فاعتقني من النار

(١) بعده فى ١ ٢، م، ص: «عليه».

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩٤/١٢، من طريق ابن أبي الدنيا به.

(٣) بعده فى ١ ٢، ص: «أبى»، وانظر سير أعلام النبلاء ٤٥٩/١٠.

(٤) فى ١ ٢، م، ص: «يزعمون».

(٥) تاريخ دمشق ١٩٤/١٢.

(٦) بعده فى م: «فما».

(٧) فى م: «المرمى». والأثر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩٤/١٢، ١٩٥.

(٨ - ٨) فى ١ ٢، م، ص: «تالله إن نجا لينجون بهما».

وقال ابن أبي الدنيا^(١) : ثنا أحمد بن عبد الله التيمي ، قال : لما مات الحجاج لم يُغَلَمَ^(٢) بموته حتى أُشْرِفَتْ جاريةٌ فبَكَتْ ، فقالت : أَلَا إِنَّ مُطْعِمَ الطَّعَامِ^(٣) ومُفْلِقَ الْهَامِ ، وسيدَ أهلِ الشامِ قد مات ، ثم أنشأت تقول :

اليومَ يرحمُنَا مَنْ كان يَغِيْطُنَا^(٤) واليومَ يَأْمُنُنَا مَنْ كان يَخْشَانَا
وروى عبد الرزاق^(٥) ، عن معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه أنه أخبر بموت الحجاج مرارًا ، فلما تحقق وفاته قال : ﴿ فَفَقَطَعَ دَائِرَ الْقَوَمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٤٥] . وروى غير واحد^(٦) أن الحسن لما بُشِّرَ بموت الحجاج سجد شكرًا لله تعالى ، وكان مختفيًا فظهر ، وقال : اللهم أمتّه فأذهب عنا سُنتّه .
وقال حماد بن أبي سليمان^(٧) : لما أُخْبِرْتُ إبراهيم النخعي بموت الحجاج بكى من الفرح . وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا سليمان بن أبي شيخ ، ثنا صالح بن سليمان ، قال : قال زياد بن الربيع الحارثي^(٨) لأهل السجن : يموت الحجاج في مرضه هذا في ليلة كذا وكذا . فلما كانت تلك الليلة لم ينم أهل السجن فرحًا ، جلسوا ينتظرون حتى سمِعوا الواعية^(٩) ، وذلك ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان ، وقيل : كان ذلك لخميس بقين من رمضان . وقيل : في شوال من هذه

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٩٥ ، من طريق ابن أبي الدنيا .

(٢) بعده في م : « أحد » .

(٣) بعده في ١ ٢ ، م ، ص : « وميتم الأيتام ومرمل النساء » .

(٤) في م ، ص : « يغيظنا » .

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٩٥ ، من طريق عبد الرزاق به .

(٦) انظر تاريخ دمشق ١٢/١٩٥ ، ١٩٦ .

(٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٩٧ .

(٨) في م : « بن الحارث » .

(٩) في م : « الناعية » ، والواعية : الصارخة . اللسان (وع ي) .

السنة . وكان عمره إذ ذاك خمسا وخمسين سنة ؛ لأن مولده كان عام الجماعة سنة أربعين ، وقيل : بعدها بسنة . وقيل : قبلها بسنة . فالله أعلم .

مات بواسطه وغفى قبره ، وأجرى عليه الماء لكيلا يُبشَّس ويُحرق ، والله أعلم .

وقال الأصمعي^(١) : ما كان أعجب الحجاج ، ما ترك إلا ثلاثمائة درهم . وقال الواقدي^(٢) : ثنا عبد الله بن محمد بن عبيد ، حدثني عبد الرحمن بن^(٣) عبد الله بن قريب^(٤) ، ثنا عمي قال : زعموا أن الحجاج مات ولم يترك إلا ثلاثمائة درهم ومُضحفاً وسيفاً وسرجاً ورحلاً ومائة درع موقوفة . وقال شهاب بن خراش : حدثني عمي يزيد بن حوشب قال : بعث إلى أبو جعفر المنصور فقال : حدثني بوصية الحجاج بن يوسف . فقلت^(٥) : اعفني يا أمير المؤمنين . فقال : حدثني بها . فقلت : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى [١٤٤/٧] به الحجاج بن يوسف ، أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك ، عليها يحيا ، وعليها يموت ، وعليها يُنعت ، وأوصى بتسعمائة درع حديد ؛ ستُمائة منها لمنافقي أهل العراق يغزون بها ، وثلاثمائة للترك . قال : فرفع أبو جعفر رأسه إلى أبي العباس الطوسي - وكان قائماً على رأسه - فقال : هذه والله الشيعة لا شيعتكم .

وقال الأصمعي عن أبيه قال^(٥) : رأيت الحجاج في المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : قتلني بكل قتل قتل بها إنساناً ، قال : ثم رأيت بعد الحول فقلت :

(١) تاريخ دمشق ١٢/١٩٢ .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٩٢ ، من طريق أحمد بن محمد بن عمر . وليس عن أبيه .

(٣ - ٣) في ١ ، ٢ ، م : « عبيد الله بن فرن » ، وفي ص : « عبيد بن مري » . وهو ابن أخي الأصمعي .

(٤) في م : « فقال » .

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/٢٠١ ، من طريق الأصمعي به .

يا أبا محمد ما صنع الله بك ؟ فقال : يا ماصّ بظُر أمّه أما سألت عن هذا عام
أول ؟ وقال القاضي أبو يوسف^(١) : كنت عند الرشيد فدخل عليه رجل فقال : يا
أمير المؤمنين رأيت الحجاج البارحة في النوم ، قال : في أيّ زى رأيت ؟ قال : في
زى قبيح . فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : ما أنت وذاك يا ماصّ بظُر أمّه ؟
فقال هارون : صدقت والله ، أنت رأيت الحجاج حقاً ، ما كان أبو محمد ليَدَع
صرامته حيّاً وميتاً .

وقال حنبل بن إسحاق^(٢) : ثنا هارون بن معروف ، ثنا ضمرة ، ثنا^(٣) ابن
شاذب ، عن أشعث الحُدائي^(٤) . قال : رأيت الحجاج في المنام في حالة سيئة
فقلت : يا أبا محمد ما صنع بك ربك ؟ قال : ما قتلت أحداً قتلة إلا قتلتى بها .
" فقلت : ثم مه " . قال : ثم أمر بى إلى النار . قلت : ثم مه . قال : ثم أرجو ما
يرجو أهل لا إله إلا الله . قال : وكان ابن سيرين يقول : إنى لأرجو له . فبلغ
ذلك الحسن فقال : أما والله ليخلفن الله رجاءه فيه .

وقال أحمد بن أبي الخوارى^(٥) : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : كان
الحسن البصري^(٦) لا يجلس مجلساً إلا ذكر فيه الحجاج فدعا عليه ، قال : فراه

-
- (١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٠١/١٢ ، من طريق أبي يوسف به .
(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٠١/١٢ ، من طريق حنبل به .
(٣) سقط من : م . وانظر تهذيب الكمال ٣١٦/١٣ ، ٣١٩ .
(٤) فى ص : «أبو» ، وبعده فى م : «أبى» . وانظر تهذيب الكمال ٣١٧/١٣ .
(٥) فى الأصل : «الخراب» ، وفى ٢١ ، م ، ص : «الحراز» . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر تهذيب
الكمال ٢٧٢/٣ .
(٦) - ٦ : سقط من : م .
(٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٠٢/١٢ ، من طريق أحمد بن أبي الخوارى به .
(٨) زيادة من : م .

فى منامه فقال له : أنتَ الحجاجُ ؟ قال : أنا الحجاجُ . قال : ما فعل الله بك ؟ قال : قُتِلْتُ بكلِّ قَتِيلٍ قَتَلْتُهُ ثُمَّ عُرِلْتُ مع الموحِّدين . قال : فأَمْسَكَ الحسَنُ بعد ذلك عن شتمه . والله أعلمُ ^(١) .

وَمَنْ تُوفِّيَ فى هذه السنة - أعنى سنة خمس وتسعين - : إبراهيمُ بنُ يزيدَ النَّخَعِيُّ ^(٢) : قال : كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا جِنَازَةً ، أَوْ سَمِعْنَا بِمَيِّتٍ عُرِفَ ذَلِكَ فِينَا أَيَّامًا ؛ لِأَنَّا قَدْ عَرَفْنَا أَنَّهُ نَزَلَ بِهِ أَمْرٌ صَيَّرَهُ إِلَى الْجَنَّةِ ، أَوْ إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّا فِي جَنَائِزِكُمْ تَحَدَّثُونَ بِأَحَادِيثِ دُنْيَاكُمْ . وَقَالَ : لَا يَسْتَقِيمُ رَأْيٌ إِلَّا بِرَوَايَةٍ ^(٣) ، وَلَا رَوَايَةٌ ^(٤) إِلَّا بِرَأْيٍ . وقال : إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَهَاوَنُ بِالتَّكْبِيرَةِ الْأُولَى فَاغْسِلْ يَدَيْكَ مِنْ فَلَاحِهِ . وقال : إِنِّى لَأَرَى الشَّيْءَ مِمَّا يُعَابُ فَمَا يَمْنَعُنِي مِنْ عَيْبِهِ إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ أُبْتَلَى بِهِ . وبَكَى عِنْدَ مَوْتِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا يُكِيكَ ؟ فَقَالَ : أُنْتَظَرُ مَلَكَ الْمَوْتِ ، مَا أَدْرِى يَشْرُنِي بِجَنَّةٍ ، أَوْ بِنَارٍ ^(٥) .

الحسَنُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ ^(٦) : كُنِيَّتُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ ، كَانَ الْمُقَدَّمُ عَلَى إِخْوَتِهِ فِي الْفَضْلِ ^(٧) ، وَكَانَ ^(٨) «أَعْلَمَ النَّاسِ» بِالْإِخْتِلَافِ وَالْفَقْهِ ^(٩) وَالتَّفْسِيرِ ، وَكَانَ مِنْ ^(١٠)

(١) بعده فى م ، ص زيادة ولعلها من زيادات الناسخ .

(٢) ترجمته فى طبقات ابن سعد ٢٧٠/٦ ، والحلية ٢١٩/٤ ، ووفيات الأعيان ٢٥/١ ، وتهذيب الكمال ٢٣٣/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٥٢٠/٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠) ص ٢٧٠ .

(٣ - ٣) زيادة من : م ، ص .

(٤) فى م : «بروية» .

(٥) فى م : «روية» .

(٦) ترجمته فى طبقات ابن سعد ٣٢٨/٥ ، وتاريخ دمشق ٣٧٣/١٣ ، وتهذيب الكمال ٣١٦/٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٣٠/٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠) ص ٣٣١ .

(٧ - ٧) سقط من : ٢١ ، م ، ص .

(٨ - ٨) فى ٢١ ، م ، ص : «عالمًا فقيها عارفا» .

^(١) ظرفاء بنى هاشم وعقلائهم ، ولم يكن له عقب^(١) . قال أيوب السخيتاني ،
وغيره^(٢) : كان أول من تكلم في الإرجاء . وكتب في ذلك [١٤٤/٧] رسالة ثم
ندم عليها .

وقال غيرهم^(٣) : كان يتوقف في عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، فلا
يتولاهم ، ولا يذمهم ، فلما بلغ ذلك أباه محمد ابن الحنفية ضربه فشجّه ، وقال :
ويحك ، ألا تتولّى أباك عليّاً ؟

وقال أبو عبيد^(٤) : توفى سنة خمس وتسعين .

وقال خليفة^(٥) : توفى في أيام عمر بن عبد العزيز . والله أعلم .

حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى^(٦) : وأمه أم كلثوم بنت عتبة بن
أبي معيط ، وهى أخت عثمان بن عفان لأمه ، وكان حميد فقيهاً نبيلاً عالماً ، له
روايات كثيرة^(٧) .

مطرف بن عبد الله بن الشخير : تقدّم ترجمته^(٨) .

وهؤلاء كلّهم لهم تراجم فى كتابنا « التكميل » .

(١ - ١) سقط من : ٢١ ، م ، ص .

(٢) تاريخ دمشق ١٣ / ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

(٣) تاريخ دمشق ١٣ / ٣٨٠ ، ٣٨١ مطولاً .

(٤) تاريخ دمشق ١٣ / ٣٨١ .

(٥) تاريخ خليفة ٢ / ٤٦٩ . وقال فى طبقاته ٢ / ٥٩٩ : توفى سنة مائة أو تسع وتسعين .

(٦) ترجمته فى طبقات ابن سعد ٥ / ١٥٣ ، وتهذيب الكمال ٧ / ٣٧٨ ، وأسد الغابة ٢ / ٦٠ ، وسير
أعلام النبلاء ٤ / ٢٩٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠) ص ٣٣٧ ، والوفى بالوفيات
١٩٥ / ١٣ .

(٧ - ٧) زيادة من : ٢١ ، م ، ص .

(٨) تقدم فى ٤١٢ .

وفيهما كان موث الحجاج بواسط كما تقدّم ذلك مبسوطاً مُستقصى ، ولله
الحمد .

وفيهما كان مقتل سعيد بن جبير^(١) ، فى قولِ على بن المدائنى ، وجماعة .
والمشهور أنّه كان فى سنة أربع وتسعين ، كما ذكره ابن جرير ، وغير واحد^(٢) .
والله أعلم .

(١) تاريخ خليفة ٤١٠/١ ، بدون عزو إلى المدائنى أو غيره .

(٢) تاريخ الطبرى ٤٨٧ - ٤٩١ .

ثم دخلت سنة ست وتسعين

وفيها^(١) فتح قتيبة بن مسلم، رحمه الله تعالى، كاشغَر من أرض الصين^(٢)، وبعث إلى ملك الصين رُسلًا يتهدّده ويتوعّده، ويُقسِم بالله لا يرجع حتى يطيأ بلاده، ويختِم ملوكهم وأشرفهم، ويأخذ الجزية منهم، أو يدخلوا في الإسلام، فدخل الرُّسل على الملك الأعظم^(٣) فيهم، وهو في مدينة عظيمة - يُقال: إنَّ عليها تسعين بابًا في شورها المحيط بها - يُقال لها: خان بالق. من أعظم المدن، وأكثرها رنقا، ومعاملات وأموالًا، حتى قيل: إنَّ بلاد الهند مع اتساعها كالشامة في ملك الصين. والصين لا يحتاجون إلى أن يسافروا في مُلك غيرهم؛ لكثرة أموالهم ومتاعهم، وغيرهم محتاج إليهم؛ لما عندهم من المتاع والدنيا المتسعة، وسائر ملوك تلك البلاد تُؤدّي إلى ملك الصين الخراج؛ لقهره، وكثرة جنده وعُدده.

والمقصود أنَّ الرُّسل لما دخلوا على ملك الصين وجدوا مملكة عظيمة^(٤) وجنودًا كثيرًا، ومدينة^(٥) حصينة ذات أنهار وأسواق وحسن وبهاء، فدخلوا عليه في قلعة عظيمة حصينة، بقدر مدينة كبيرة، فقال لهم ملك الصين: ما أنتم؟ وكانوا ثلاثمائة رسول عليهم هُبيرة - فقال الملك لترجمانه: قل لهم: ما أنتم وما تريدون؟ فقالوا: نحن رُسل قتيبة بن مسلم، وهو يدعوكم إلى الإسلام، فإن لم

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٥٠٠، والكامل ٥/ ٥ - ٨.

(٢) بعده في الأصل: «وغزا الصين».

(٣) من هنا إلى قوله: لا تقوم ولا يدرى أحد قدرها. في ص ٥٧٦، زيادة من: ٢١، م، ص.

(٤ - ٤) سقط من: م.

تَفَعَّلَ فَالْجَزِيَّةُ ، فَإِنْ لَمْ تَفَعَّلْ فَالْحَرْبُ . فَغَضِبَ الْمَلِكُ وَأَمَرَ بِهِمْ إِلَى دَارٍ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ دَعَاهُمْ فَقَالَ لَهُمْ : كَيْفَ تَكُونُونَ فِي عِبَادَةِ إِلَهِكُمْ ؟ فَصَلُّوا الصَّلَاةَ عَلَى عَادَتِهِمْ ، فَلَمَّا رَكَعُوا وَسَجَدُوا ضَحِكَ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَكُونُونَ فِي بَيْوتِكُمْ ؟ فَلَبَسُوا ثِيَابَ مِهْنِهِمْ ، فَأَمَرَهُمْ بِالْانْصِرَافِ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَدْخُلُونَ عَلَى مُلُوكِكُمْ ؟ فَلَبَسُوا الْوَشْيَ وَالْعِمَائِمَ وَالْمِطَافِرَ ، وَدَخَلُوا عَلَى الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُمْ : ارْجِعُوا . فَرَجَعُوا ، فَقَالَ الْمَلِكُ لِأَصْحَابِهِ : كَيْفَ رَأَيْتُمْ هَؤُلَاءِ ؟ فَقَالُوا : هَذِهِ أَشْبَهُ بِهَيْئَةِ الرِّجَالِ مِنْ تِلْكَ الْمَرْءَةِ الْأُولَى ، وَهُمْ أَوْلَئِكَ .

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ ، أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ : كَيْفَ تَلْقَوْنَ عَدُوَّكُمْ ؟ فَشَدُّوا عَلَيْهِمْ سِلَاحَهُمْ ، وَلَبَسُوا الْمَغَافِرَ وَالْبَيْضَ ، وَتَقَلَّدُوا السِّيُوفَ ، وَتَنَكَّبُوا الْقَيْسِيَّ ، وَأَخَذُوا الرِّمَاحَ ، وَرَكَبُوا خَيْولَهُمْ وَمَضُّوا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ مَلِكُ الصِّينِ فَرَأَى أَمْثَالَ الْجِبَالِ مُقْبِلَةً ، فَلَمَّا قَرَّبُوا مِنْهُ رَكَزُوا رِمَاحَهُمْ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا نَحْوَهُ مُشْمَرِينَ ، فَقِيلَ لَهُمْ : ارْجِعُوا - وَذَلِكَ لَمَّا دَخَلَ قُلُوبَ أَهْلِ الصِّينِ مِنَ الْخَوْفِ مِنْهُمْ - فَانْصَرَفُوا فَرَكَبُوا خَيْولَهُمْ ، وَاخْتَلَجُوا رِمَاحَهُمْ ، ثُمَّ سَاقُوا خَيْولَهُمْ ، كَأَنَّهُمْ يَتَطَارَدُونَ بِهَا ، فَقَالَ الْمَلِكُ لِأَصْحَابِهِ : كَيْفَ تَرَوْنَهُمْ ؟ فَقَالُوا : مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَؤُلَاءِ قَطُّ .

فَلَمَّا أَمْسَوْا بَعَثَ إِلَيْهِمُ الْمَلِكُ ؛ أَنْ ابْعَثُوا إِلَيَّ زَعِيمَكُمْ وَأَفْضَلَكُمْ . فَبَعَثُوا إِلَيْهِ هُبَيْرَةً ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ : قَدْ رَأَيْتُمْ عِظَمَ مُلْكِي ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَمْنَعُكُمْ مِنِّي ، وَأَنْتُمْ بِمَنْزِلَةِ الْبَيْضَةِ فِي كَفِّي ، وَأَنَا سَائِلُكَ^(١) عَنْ أَمْرِ فَإِنْ لَمْ تَصْدُقْنِي قَتَلْتُكَ . فَقَالَ : سَلْ . فَقَالَ الْمَلِكُ : لِمَ صَنَعْتُمْ مَا صَنَعْتُمْ مِنْ زِيٍّ أَوَّلَ يَوْمٍ وَالثَّانِي وَالثَّالِثَ ؟ فَقَالَ : أَمَّا زَيْنَا أَوَّلَ يَوْمٍ فَهُوَ لِيَأْسُنَا فِي أَهْلِنَا وَنِسَائِنَا ، وَطَيْبُنَا عِنْدَهُمْ ،

(١) فِي ٢١ ، ص : « سَائِلُكُمْ » . وَانْظُرْ تَارِيخَ الطَّبَرِيِّ ٥٠٢ / ٦ .

وأما ما فعلنا ثانی يوم فهو زینا إذا دخلنا على ملوکنا ، وأما زینا ثالث يوم فهو إذا لقینا عدونا . فقال الملک : ما أحسن ما دبّرتم دهرکم ! انصرفوا إلى صاحبکم - یعنی قتیبة - وقولوا له ينصرف راجعا عن بلادی ؛ فإنی قد عرفت حِرْصه وقلة أصحابه ، ولأبعث إليکم من یهلیکم عن آخرکم . فقال له هبيرة : تقول لقتیبة هذا ؟ فكيف یكون قليل الأصحاب من أول خيله فی بلادك وأخیرها فی مناب الزیتون ؟! وكيف یكون حریصا من خلف الدنيا قادرا علیها ، وغزاک فی بلادك ؟! وأما تخویفك إيانا بالقتل فإننا نعلم أن لنا أجلا إذا حضر فاکرمها عندنا القتل ، فلسنا نكرهه ولا نخافه . فقال الملک : فما الذى یرضی صاحبکم ؟ فقال : قد حلف أنه لا ينصرف حتى یطأ أرضك ، ویختیم ملوکك ویجیى الجزية من بلادك . فقال الملک : أنا أبر یمینه وأخرجه منها ؛ أرسل إلیه بتراب من أرضی ، وأربع غلمان من أبناء الملوك ، وأرسل إلیه ذهبًا كثيرا وحریرا وثيابا صینیة لا تقوم ، ولا یذرى أحد قدرها ، ثم جرت لهم معه مقاولات كثيرة ،^(١) ثم شرع یتهددهم فتهددوه ، ویتوعدهم فتوعده^(٢) ، ثم اتفق الحال على أنه بعث صحافا من ذهب متسعة فیها تراب من أرضه لیطأه قتیبة ، وبعث بجماعة من أولاده وأولاد الملوك لیختیم رقابهم ، وبعث بمال جزیل لیبر یمین قتیبة ، وقیل : إنه بعث أربعمائة من أولاده وأولاد الملوك .

فلما انتهى إلى قتیبة ما أرسله ملک الصین قبل ذلك منه ؛ وذلك لأنه كان قد انتهى إلیه خبر موت الولید بن عبد الملک أمير المؤمنين ، فانكسرت همته لذلك ، وقد عزم قتیبة بن مسلم الباهلی على عدم مبايعة سلیمان بن عبد الملک ، وأراد الدعوة إلى نفسه ؛ لما تحت یده من العساكر ، ولما فتح من البلاد والأقالیم ، فلم

(١ - ١) سقط من : ٢١ ، م ، ص .

يُمَكِّنُهُ ذَلِكَ ، ثُمَّ قُتِلَ فِي آخِرِ هَذِهِ السَّنَةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : إِنَّهُ مَا كَثُرَتْ لَهُ رَايَةٌ . وَكَانَ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَاجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ لغيره .

وفيهَا غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الصَّائِفَةَ ، وَغَزَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ الرُّومَ ، فَفَتَحَ طُولُسَ^(١) وَالْمَرْزَبَانِينَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ^(٢) .

وفيهَا تَكَامَلَ بِنَاءُ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بِدِمَشْقَ عَلَى يَدِ بَانِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، جَزَاهُ اللَّهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرَ الْجَزَاءِ ، وَكَانَ أَصْلُ مَوْضِعِ هَذَا الْجَامِعِ قَدِيمًا مَعْبَدًا بَنَتْهُ الْيُونَانُ الْكُلْدَانِيُّونَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمُرُونَ دِمَشْقَ ، وَهُمْ الَّذِينَ وَضَعُوهَا ، وَعَمَرُوهَا أَوَّلًا ؛ فَهَمَّ أَوَّلُ مَنْ بَنَاهَا ، وَقَدْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ السَّبْعَةَ الْمُتَحَيِّزَةَ^(٣) ؛ وَهِيَ الْقَمَرُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، وَعُطَارِدُ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ، وَالزُّهْرَةُ فِي السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ ، وَالشَّمْسُ فِي الرَّابِعَةِ ، وَالْمَرِيخُ فِي الْخَامِسَةِ ، وَالْمُشْتَرِي فِي السَّادِسَةِ ، وَزُحَلٌ فِي السَّابِعَةِ . وَكَانُوا قَدْ صَوَّرُوا عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ دِمَشْقَ هَيْكَلًا [١٤٥/٧] لِكَوْكَبٍ مِنْ هَذِهِ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ ، وَكَانَتْ أَبْوَابُ دِمَشْقَ سَبْعَةً وَضَعُوهَا قَصْدًا لِذَلِكَ ، فَنَضَبُوا هَيْكَلًا سَبْعَةً ؛ لِكُلِّ كَوْكَبٍ هَيْكَلٌ ، وَكَانَ لَهُمْ عِنْدَ كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ دِمَشْقَ عِيدٌ فِي السَّنَةِ ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ وَضَعُوا الْأَرْصَادَ ، وَتَكَلَّمُوا عَلَى حَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ ، وَأَتْصَالَاتِهَا وَمَقَارِنَتِهَا ، وَبَنَوْا دِمَشْقَ ، وَاخْتَارُوا لَهَا هَذِهِ الْبُقْعَةَ إِلَى جَانِبِ الْمَاءِ الْوَارِدِ مِنْ بَيْنِ هَذَيْنِ

(١) فِي ٢١ ص : « طُولُس » ، وَهِيَ كَذَلِكَ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَفَيَاتُ ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٢٦٤ ، وَفِي تَارِيخِ خَلِيفَةِ ١ / ٤٢١ : « طَبْرَس » ، وَالتَّبَيُّنُ مُوَافِقٌ لِمَا فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ٦ / ٤٩٢ .

(٢) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ : « وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : إِنْ قَتِيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ سَيرَ جَيْشًا إِلَى بَلَدٍ كَاشْغَرٍ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ ، ٢١ ص : « الْمُتَحَيِّزَةُ » ، وَفِي م : « الْمُتَمَيِّزَةُ » . وَالتَّبَيُّنُ كَمَا تَقْدُمُ فِي ١ / ٧٦ . وَانْظُرْ مَسَالِكَ الْأَبْصَارِ فِي مَمَالِكِ الْأَمْصَارِ ٢ / ٢٥٢ .

الجبليين ، وصرّفوه أنهارًا تجري إلى الأماكن المرتفعة والمنخفضة ، وسلكوا الماء في أفناء أبنية الدور بدمشق ، فكانت دمشق في أيامهم من أحسن المدن ، بل هي أحسنها ، لما فيها من التصاريف العجيبة .

وبنوا هذا المعبد وهو الجامع اليوم إلى جهة القطب ، وكانوا يصلّون إلى القطب الشمالي ، وكانت محاريبه تجمّ الشّمال ، وكان باب معبدهم يفتح إلى جهة القبلة ، خلف المحراب اليوم ، كما شاهدنا ذلك عيانًا ، ورأينا محاريبهم إلى جهة القطب ، ورأينا الباب ، وهو باب حسن مبنيّ بحجارة منقوشة ، وعليه كتاب بخطهم ، وعن يمينه ويساره بابان صغيران بالنسبة إليه ، وكان غربيّ المعبد قصرٌ مُنيّف جدًّا تحمله هذه الأعمدة التي بباب البريد ، وشرقيّ المعبد قصرٌ جيّزٌ الملك - الذي كان ملكهم - وكان هناك داران "عظيمتان مُعدّتان" لمن يتملّك دمشق قديمًا منهم .

ويقال : إنّه كان مع المعبد ثلاث دُور عظيمة للملوك ، ويحيط بهذه الدُور والمعبد سورٌ واحدٌ عالٍ مُنيّف ، بحجارة كبارٍ منحوتة ؛ وهنّ دارُ المطيّق ، ودارُ الخيل ، ودارُ كانت تكون مكانَ الخضراء التي بناها معاوية .

قال الحافظ ابن عساكر فيما حكاه عن كُتُب بعض الأوائل^(١) : إنهم^(٢) مكثوا يأخذون الطالع لبناء دمشق وهذه الأماكن ثمانى عشرة سنة ، وقد حفروا أساس الجدران حتى وافاهم الوقت الذى طلع فيه الكوكبان اللذان أرادوا أن المسجد^(٣)

(١ - ١) فى الأصل : « يكونان » .

(٢) تاريخ دمشق ٢٠٧/٢ .

(٣) فى ١ ، ٢ ، م ، ص : « إن اليونان » .

(٤) فى ١ ، ٢ ، م ، ص : « هذا المعبد » .

لا يخرَّبُ أبدًا ولا تخلو منه العبادة، وأنَّ هذه الدارَ إذا بُيِّت لا تخلو من أن تكونَ دارَ الملكِ والسلطنة. قلتُ: أمَّا المعبُدُ فلم يخلُ من العبادة. قال كعبُ الأحرارِ^(١): لا يخلو منها حتى تقومَ الساعةُ.

وأما دارُ الملكِ التي هي الخضراءُ فقد جددَ بناءَها معاويةً، ثم أحرقت في سنة إحدى وستين وأربعمئة - كما سنذكره - فبادت وصارت مساكنَ ضعفاءِ الناسِ وأراذلهم في الغالبِ إلى زماننا هذا، وبالله المستعان.

والمقصودُ أنَّ اليونانَ استمرَّوا على هذه الصِّفةِ التي ذكرناها بدمشقَ مُدَّةً طويلةً، تزيدُ على أربعةِ آلافِ سنةٍ، حتى إنَّه يُقالُ^(٢): إنَّ أوَّلَ مَنْ بنى جُدرانَ هذا المعبدِ الأربعةِ هوذ، عليه الصلاةُ والسلامُ، وقد كان هوذُ قبلَ إبراهيمَ الخليلِ بمُدَّةٍ طويلةٍ.

وقد وردَ إبراهيمُ الخليلُ، عليه السلامُ،^(٣) دِمَشقَ ونزلَ شمالَها^(٤) عندَ بَرْزَةَ، وقاتلَ [١٤٥/٧ظ] هنالك قومًا من أعدائِهِ فظفِرَ بهم، ونصره اللهُ عليهم، وكان مقامُهُ لمقاتلتِهِمْ عندَ بَرْزَةَ. فهذا المكانُ المنسوبُ إليه بها منصوبٌ عليه في الكُتُبِ المتقدمةِ يَأْتُرُونَهُ كابرًا عن كابرٍ، وإلى زماننا^(٥). والله أعلمُ.

وكانت دِمَشقُ إذ ذاكَ عامرةً أهلةً بَنَ فيها من اليونانِ وكانوا خَلَقًا لا يُحصِيهِمُ إلَّا اللهُ؛ وهمُ خُصماءُ الخليلِ، وقد ناظرَهم الخليلُ في عبادَتِهِم الأصنامَ والكواكبَ وغيرها في غيرِ موضعٍ، كما قرَّرنَا ذلكَ في التفسيرِ^(٥)، وفي قصةِ

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٣٨، بنحوه.

(٢) تاريخ دمشق ٢/ ٢٦٠، بنحوه.

(٣ - ٣) في الأصل: «شمالى دمشق».

(٤) انظر ما تقدم في ١/ ٣٥٣.

(٥) التفسير ٣/ ٢٨٢.

إبراهيم الخليل، عليه السلام، من كتابنا هذا «البداية والنهاية»^(١)، ولله الحمد،
وبالله المستعان.

والمقصود أن اليونان لم يزوالوا يعثرون دمشق، ويثنون فيها وفي معاملاتها -
من أرض حوران والبقاع وبلبك وغيرها - البنايات الهائلة الغريبة العجيبة، حتى
إذا كان بعد المسيح بمدة نحو من ثلاثمائة سنة تنصر أهل الشام على يد الملك
قُسطنطين^(٢) بن قُسطنطين^(٣)، الذى بنى المدينة المشهورة فى بلاد الروم^(٤) التى
تُنسب إليه^(٥) وهى القُسطنطينية، وهو الذى وضع لهم القوانين، وقد كان أولاً
هو وقومه وغالب أهل الأرض يوناناً، ووضعت له بطاركة^(٦) النصارى ديناً
مُختَرعاً مُركباً من أصل دين النصارى، مزوجاً بشيء من عبادة الأوثان، وصلوا
به إلى الشرق، وزادوا فى الصيام، وأحلوا الخنزير، وعلموا أولادهم الأمانة
الكبيرة، فيما يزعمون، وإنما هى فى الحقيقة خيانة كبيرة، وجناية كثيرة حقيرة،
وهى مع ذلك فى الحَجْم صغيرة^(٧) حقيرة نقيرة^(٨)، وقد تكلمنا على ذلك فيما
سلف وبيّناه^(٩). فبتى لهم هذا الملك، الذى تُنسب إليه الطائفة الملكية من
النصارى، كنائس كثيرة^(١٠) فى دمشق وفى غيرها، حتى يُقال: إنه بنى^(١١) فى
زمانه^(١٢) ثنتى عشرة ألف كنيسة، وأوقف عليها أوقافاً دائمة، من ذلك كنيسة

(١) تقدم فى ١/٣٢٤.

(٢ - ٣) فى الأصل: «قسطنطين».

(٣ - ٣) سقط من: ١، ٢، م، ص.

(٤) فى م: «بطاركة».

(٥) انظر ما تقدم فى ٢/٥٣٣.

(٦) فى م: «كبيرة».

(٧ - ٧) سقط من: م.

بيت لحم، وقمامة بالقدس، بنتها أمه هيلانة الفندقانية، وغير ذلك.

والمقصود أنهم - يعنى النصارى - حوّلوا بناء هذا المعبد الذى هو بدمشق معظماً عند اليونان، فجعلوه كنيسة^(١)، وبنّوا له المذابح فى شرقه، وسوّوه كنيسة مزوّجتاً. ومنهم من يقول: كنيسة^(٢) يوحنا. وبنّوا بدمشق كنائس كثيرة غيرها مستأنفة.

واستمرّ النصارى على دينهم هذا بدمشق وغيرها نحواً من ثلاثمائة سنة، حتى بعث الله محمداً ﷺ، فكان من شأنه، صلوات الله وسلامه عليه، ما ذكرنا^(٣) بعضه فى كتاب السيرة، من هذا الكتاب. وقد بعث صلوات الله وسلامه عليه إلى ملك الروم فى زمانه - وهو قيصر ذلك الوقت - واسمه هرقل يدعوهُ إلى الله عز وجل، وكان من مراجعته ومخاطبته إلى أبى سفيان صخر بن حرب [١٤٦/٧] ما تقدّم^(٤).

ثم بعث عليه السلام أمراءه الثلاثة^(٥)؛ زيد بن حارثة مولاه، وجعفر بن أبى طالب، وعبد الله بن رواحة، إلى البلقاء من تخوم الشام، فبعث الروم إليهم جيشاً كثيراً فقتلوا هؤلاء الأمراء وجماعة من معهم من الجيش، فعزم النبى ﷺ على قتال الروم ودخول الشام عام تبوك^(٦)، ثم رجع عليه السلام عامه ذلك لشدة الحر، وضعف الحال، وضيقه على الناس.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) فى ١، ٢، م، ص: «تقدم».

(٣) تقدم فى ٦/٤٧٤.

(٤) تقدم فى ٦/٤١٢.

(٥) تقدم فى ٧/١٥٤.

ثُمَّ لَمَّا تُوْفِيَ «رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»^(١) بَعَثَ الصَّدِيقُ الْجِيوشَ إِلَى الشَّامِ،^(٢) وَإِلَى
العِرَاقِ - كَمَا تَقَدَّمَ تَفْصِيلُ ذَلِكَ^(٣) فِي كِتَابِنَا هَذَا^(٤)، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ^(٥) - فَفَتَحَ اللَّهُ
عَلَى الْمُسْلِمِينَ الشَّامَ^(٦) بِكَمَالِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ مَدِينَةُ دِمَشْقَ بِأَعْمَالِهَا، وَقَدْ بَسَطْنَا
الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ عِنْدَ ذِكْرِ فَتْحِهَا^(٧). فَلَمَّا اسْتَقَرَّتِ الْيَدُ الْإِسْلَامِيَّةُ عَلَيْهَا، وَأَنْزَلَ
اللَّهُ رَحْمَتَهُ فِيهَا، وَسَاقَ بِرَّهَ إِلَيْهَا، وَكَتَبَ أَمِيرُ الْحَرْبِ إِذْ ذَاكَ؛ وَهُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ -
وَقِيلَ: خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ - لِأَهْلِ دِمَشْقَ كِتَابَ أَمَانٍ، وَأَقْرَأُوا أَيْدِيَ النَّصَارَى عَلَى
أَرْبَعِ عَشْرَةَ كَنِيسَةً، وَأَخَذُوا مِنْهُمْ نِصْفَ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ الَّتِي كَانُوا يَسْمُونَهَا
كَنِيسَةَ مَرْيُحَتْنَا، بِحُكْمِ أَنَّ الْبَلَدَ فَتَحَهُ خَالِدٌ مِنَ الْبَابِ الشَّرْقِيِّ بِالسَّيْفِ، وَأَخَذَتْ
النَّصَارَى الْأَمَانَ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَكَانَ عَلَى بَابِ الْجَابِيَةِ الصَّلْحُ، فَاخْتَلَفُوا ثُمَّ
اتَّفَقُوا عَلَى أَنْ جَعَلُوا نِصْفَ الْبَلَدِ صُلْحًا وَنِصْفَهُ غَنَوةً، فَأَخَذُوا نِصْفَ هَذِهِ
الْكَنِيسَةِ الشَّرْقِيَّةِ فَجَعَلَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ مَسْجِدًا -^(٨) وَكَانَ قَدْ صَارَتْ إِلَيْهِ إِمْرَةُ الشَّامِ؛
لِعَزْلِ عَمْرِ خَالِدًا وَتَوَلِيَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ^(٩) - وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى فِي هَذَا الْمَسْجِدِ أَبُو
عُبَيْدَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ الصَّحَابَةُ بَعْدَهُ فِي الْبُقْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْهُ؛ الَّتِي يُقَالُ لَهَا:
مِحْرَابُ الصَّحَابَةِ. وَلَكِنْ لَمْ يَكُنِ الْجِدَارُ مَفْتُوحًا بِمِحْرَابِ مَحْنِيٍّ، وَإِنَّمَا كَانُوا
يُصَلُّونَ عِنْدَ هَذِهِ الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْوَلِيدَ هُوَ الَّذِي فَتَحَ الْمَحَارِبَ فِي
الْجِدَارِ الْقِبْلِيِّ^(١٠). وَقَدْ كَرِهَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ^(١١) الصَّلَاةَ فِي^(١٢) مِثْلِ هَذِهِ الْمَحَارِبِ،

(١ - ١) سقط من: ٢١، م، ص.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣ - ٣) سقط من: ٢١، ص.

(٤) تقدم في ٩/٤٢٠.

(٥) تقدم في ٩/٥٧٧.

(٦ - ٦) في ٢١، م، ص: «يصلى فيه المسلمون».

(٧) بعده في م، ص زيادة وهي من زيادات الناسخ.

(٨ - ٨) سقط من: م، وفي الأصل: «في»، وفي م: «الصلاة على».

وجعلوه من البدع المحدثّة، وكان المسلمون والنصارى يدخلون هذا المعبد من باب واحد، وهو باب المعبد الأصلي^(١) الذي كان^(٢) من جهة القبلة، مكان المحراب الكبير الذى فى المقصورة اليوم، فينصرف النصارى إلى جهة الغرب إلى كنيستهم، ويأخذ المسلمون يَمَنَةً إلى مسجدهم، ولا يستطيع النصارى أن يجهروا بقراءة كتابهم، ولا يضربوا بناقوسهم؛ إجلالاً للصّحابة ومهابةً وخوفاً.

وقد بنى معاوية، رضى الله عنه، فى أيام ولايته على الشام دار الإمارة قبلى المسجد الذى كان للصّحابة، [١٤٦/٧ ط] وبنى فيها قبة خضراء، فغرقت الدار بكما إليها بها، فسكنها معاوية أربعين سنة كما قدّمنا^(٣).

ثم لم يزل الأمر على ما ذكرنا من أمر هذه الكنيسة شطرين بين المسلمين والنصارى، من سنة أربع عشرة إلى سنة ست وثمانين فى ذى القعدة منها، وقد صارت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك فى سؤال منها، فعزم الوليد على أخذ بقية هذه الكنيسة، وإضافتها إلى ما بأيدي المسلمين منها، وجعل الجميع مسجداً واحداً؛ وذلك^(٤) لأن بعض المسلمين كان يتأذى بسماع^(٥) قراءة النصارى الإنجيل، ورفع أصواتهم فى صلواتهم، فأحب أن يُعدهم عن المسلمين، وأن يُضيف ذلك المكان إلى هذا^(٦) فيكثُر به المسجد الجامع، فطلب^(٧) النصارى وسأل منهم أن يخرجوا له عن هذا المكان، ويعوّضهم إقطاعات كثيرة، وعرضها عليهم، وأن يُقرّ لهم أربع كنائس لم تدخل فى العهد؛ وهى كنيسة مريم،

(١) فى ١، ٢، م، ص: «الأعلى».

(٢ - ٢) سقط من: ١، ٢، م، ص.

(٣) تقدم فى ١١/١٤٧.

(٤ - ٤) فى الأصل: «لتأذى بعض المسلمين».

(٥ - ٥) فى ١، ٢، م، ص: «فيصير كله معبداً للمسلمين ويتسع المسجد لكثرة المسلمين، فعند ذلك طلب».

وكنيسة المصلبة داخل الباب الشرقي، وكنيسة تل الجُبْن، وكنيسة حميد بن درة التي بدرب الصقيل^(١)، فأبوا ذلك أشد الإباء، فقال: ^(٢) «اتنونا بعهدكم . فأتوا بعهدهم الذي بأيديهم من زمن الصحابة، فقرئ^(٣) بحضرة الوليد؛ فإذا كنيسة ثوما - التي كانت خارج باب ثوما عند^(٤) النهر - لم تدخل في العهد، وكانت - فيما يقال - أكبر من كنيسة مزيحنا، فقال الوليد: أنا أهدمها وأجعلها مسجداً . فقالوا: بل يتركها أمير المؤمنين وما ذكر من الكنائس، ونحن نرضى بأخذ بقية هذه الكنيسة، فأقرهم على تلك الكنائس، وأخذ منهم بقية هذه الكنيسة . هذا قول^(٥) .

ويقال^(٥): إن الوليد لما أهمه ذلك، وعرض ما عرض على التصاري فأبوا من قبوله، دخل عليه بعض الناس فأرشدوه إلى أن يقيس من باب الشرقي ومن باب الجابية، فوجد^(٦) منتصف ذلك عند سوق الريحان تقريباً؛ فإذا الكنيسة^(٧) المنازع فيها^(٧) قد دخلت في العنوة، فأخذها .

وحكى عن المغيرة مولى الوليد قال^(٨): دخلت على الوليد فوجدته مهموماً، فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين مهموماً؟ فقال: إنه قد كثر المسلمون وقد ضاق

(١) في ١ ٢: «الصقيل» . وفي م: «الصقل» .

(٢ - ٢) في ١ ٢، م، ص: «اتنوني بعهدكم التي بأيديكم من زمن الصحابة فأتوا بها فقرئت» .

(٣) في ١ ٢، م، ص: «على حافة» .

(٤) تاريخ دمشق ٢٥٣/٢ .

(٥) تاريخ دمشق ٢٥١/٢ بنحوه .

(٦) بعده في ١ ٢، ص: «أن الكنيسة المذكورة قد دخلت في العنوة وذلك أنهم قاسوا من باب شرقي ومن باب الجابية فوجدوا» . وفي م: «أن الكنيسة قد دخلت في العنوة وذلك أنهم قاسوا من باب شرقي ومن باب الجابية فوجدوا» .

(٧ - ٧) سقط من: م .

(٨) تاريخ دمشق ٢٥٥/٢، ٢٥٦ بنحوه .

بهم المسجد، فأحضرتُ النَّصارَى وبذلتُ لهم الأموال في بقيَّة هذه الكنيسة؛ لأضيفها إلى المسجد فيتسع على المسلمين فأبؤا. فقال المغيرة: يا أمير المؤمنين، عندي ما يُزِيلُ هَمَّكَ. قال: وما هو؟ قلتُ: إنَّ الصحابة لما أخذوا دمشق دخل خالدُ بن الوليد من باب الشرقي بالسيف، فلما سمع أهل البلد بذلك فرعوا إلى أبي عبيدة يطالبون منه الأمان فآمنهم، وفتحوا له باب الجابية، فدخل منه أبو عبيدة بالصُّلح، فنحنُ نُماسِخُهم إلى أيِّ موضع بلغ السيفُ أخذناه، وما كان بالصُّلح تركناه بأيديهم، وأرجو أن تدخلَ الكنيسةَ كُلُّها في العنوة، فتدخلَ في المسجد. فقال الوليدُ: فرجتَ عني، فتولَّ ذلك بنفسك. فتولاه المغيرة ومسح من الباب الشرقي إلى نحو باب الجابية إلى سوق الرِّيحان؛ فوجد السيفَ لم يزلَ عمالاً حتى جاوزَ القنطرةَ الكبيرة بأربعة أذرع وكثير، فدخلتِ الكنيسةُ في المسجد. فأرسل الوليدُ إلى النَّصارَى فأخبرهم، وقال: إنَّ هذه الكنيسةَ كُلُّها دخلت في العنوة فهي لنا دونكم. فقالوا: إنَّكَ أَوْلَا دَفَعْتَ إلينا الأموالَ، وأقطعتنا الإقطاعاتِ فأئتنا، فمن إحسانِ أمير المؤمنين أن يُصالحنا فيبقى لنا هذه الكنائس الأربعة بأيدينا، ونحنُ نتركُ له بقيَّة هذه الكنيسة. فصالحهم على إبقاء هذه الأربع كنائس بأيديهم. واللَّهُ أعلم.

وقيل^(١): إنَّه عوَّضهم منها كنيسةً عند حمام القاسم^(٢) عند باب الفردائس^(٣)، فسمَّوها مَرْيُحَنًا باسم^(٤) تلك الكنيسة التي أخذت منهم، وأخذوا شاهداً فوضَّعوه فوق التي أخذوها بدلها. فاللَّهُ أعلم.

(١) تاريخ دمشق ٢٥٢/٢ بنحوه.

(٢) في الأصل: «القسم»، وفي ٢١، ص: «السقيم».

(٣) بعده في ٢١، م، ص: «داخله».

(٤ - ٤) في الأصل: «التي هدمت لهم».

ثم أمر الوليد بإحضار آلات الهدم^(١)، واجتمع إليه الأمراء والكبراء^(٢) من رؤساء الناس^(٣)، وجاء إليه أساقفة النصارى وقساوستهم^(٤)، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنا نجد في كتبنا أن من يهدم هذه الكنيسة يُجَنُّ. فقال: أنا أحب أن أُجَنَّ في الله، عز وجل، والله لا يهدم فيها أحد شيئاً قبلي، ثم صعد المنارة الشرقية [١٤٧/٧] ذات الأضاليع المعروفة بالساعات، وكانت صومعة هائلة^(٥)، فيها راهب معظم عندهم، فأمره الوليد بالتزول منها، فأكبر الراهب ذلك، فأخذ الوليد بقفاه، فلم يزل يدفعه حتى أخدره^(٦) منها، ثم صعد الوليد على أعلى مكان في الكنيسة؛ فوق المذبح الأكبر منها الذي يُسمونه الشاهد؛ وهو تمثال في أعلى الكنيسة، فقال له الرهبان: احذر الشاهد. فقال: أنا أول ما أضغ فأسي في رأس الشاهد. ثم كبر وضربه فهدمه، وكان على الوليد قباء^(٧) لونه أصفر سَفَرَجَلِي، قد غرز أذياله في المنطقة، ثم أخذ فأساً في يده فضرب بها في أعلى حجر فآلقاه، فتبادر الأمراء إلى الهدم، وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات، وصرخت النصارى بالعويل على درج جيئون، وكانوا قد اجتمعوا هنالك، فأمر الوليد أمير الشرطة وهو^(٨) أبو نائل رياح^(٩) الغساني، أن يضربهم حتى يذهبوا من

(١) انظر هذا السياق في تاريخ دمشق ٢/ ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٦، بنحوه مع تقديم وتأخير.

(٢ - ٣) سقط من: ٢١، م، ص.

(٣) في الأصل، ٢١، ص: «قساقتهم». وهما بمعنى.

(٤) في الأصل، ٣١: «فإذا».

(٥) في ١، ٢، م، ص: «أنزله».

(٦ - ٦) في الأصل: «وأخذ أذيال قبائه وكان».

(٧ - ٧) في الأصل: «أبو نائل رياح». وفي م، وتهذيب تاريخ دمشق ١/ ٢٠٢: «أبو نائل رياح».

وفي ص، وتاريخ دمشق: «أبو نائل رياح». والمثبت موافق لما في تاريخ دمشق (ط). مجمع اللغة العربية

بدمشق) تحقيق صلاح الدين المنجد ٢/ ٢٣.

هُنَالِكَ ، ففَعَلَ ذَلِكَ ، فَهَدَمَ الْوَلِيدُ وَالْأَمْرَاءُ جَمِيعَ مَا جَدَّه النَّصَارَى فِي تَرْبِيعِ هَذَا الْمَكَانِ ^(١) ؛ مِنْ الْمَذَابِحِ وَالْأَبْنِيَةِ وَالْحَنَايَا ، حَتَّى بَقِيَ صَرْحَةٌ مُرَبَّعَةٌ ، ثُمَّ شَرَعَ فِي بَنَائِهِ بِفِكْرَةٍ جَيِّدَةٍ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ الْحَسَنَةِ الْأَنْيَقَةِ ، الَّتِي لَمْ يُشْتَهَرْ مِثْلُهَا قَبْلَهَا عَلَى مَا سَنَذْكُرُهُ ^(٢) وَنُشِيرُ إِلَيْهِ ^(٣) .

وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْوَلِيدُ فِي بِنَاءِ هَذَا الْمَسْجِدِ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الصَّنَاعِ وَالْمُهَنْدِسِينَ وَالْفَعَلَةِ ، وَكَانَ الْمُسْتَحْتِجُّ عَلَى عِمَارَتِهِ أَخُوهُ ، وَوَلِيُّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَيُقَالُ ^(٤) : إِنَّ الْوَلِيدَ بَعَثَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ يَطْلُبُ مِنْهُ صُنَاعًا فِي الرُّخَامِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ؛ لِيَسْتَعِينَ بِهِمْ عَلَى عِمَارَةِ هَذَا الْمَسْجِدِ عَلَى مَا يُرِيدُ ، وَأَرْسَلَ يَتَوَعَّدُهُ ؛ لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ لِيُغْزَوْنَ بِلَادَهُ بِالْجِيُوشِ ، وَلِيُخَرَّبَنَّ كُلُّ كَنِيسَةٍ فِي بِلَادِهِ ، حَتَّى كَنِيسَةَ الْقُدْسِ ^(٥) ، وَكَنِيسَةَ الرُّهَا ، وَسَائِرَ آثَارِ الرُّومِ ، فَبَعَثَ مَلِكُ الرُّومِ إِلَيْهِ صُنَاعًا كَثِيرَةً جَدًّا ؛ مَا تَنَى صَانِعٌ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ : إِنَّ كَانَ أَبُوكَ ^(٦) فَهُمْ هَذَا الَّذِي تَصْنَعُهُ وَتَرْكُهُ ، فَإِنَّهُ لَوْصَمَةٌ عَلَيْكَ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَهُمْ وَفَهْمَتَهُ ^(٧) أَنْتَ ، فَإِنَّهُ ^(٨) لَوْصَمَةٌ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا وَصَلَ ذَلِكَ الْكِتَابُ ^(٩) إِلَى الْوَلِيدِ أَرَادَ أَنْ يُجِيبَ عَنْ ذَلِكَ ، وَاجْتَمَعَ

(١) فِي ١ ، ٢ ، م ، ص : « الْمَعْبِد » .

(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ : ١ ، ٢ ، م ، ص .

(٣) تَارِيخُ دِمَشْقَ ٢٥٨/٢ بَنَحُوهُ .

(٤) بَعْدَهُ فِي ١ ، ٢ ، م ، ص : « وَهِيَ قِمَامَةٌ » .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « أَبُوهُ » .

(٦) فِي ١ : « فَهَمَّت » .

(٧) سَقَطَ مِنْ : م .

(٨) سَقَطَ مِنْ : ١ ، ٢ ، م ، ص .

الناسُ عندهُ لذلك ، وكان فيهم الفرزدقُ الشَّاعرُ ، فقال : أنا أجيئه يا أميرَ المؤمنين من كتابِ اللهِ تعالى . قال الوليدُ : وما هو ويحك ؟ فقال : قال اللهُ تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٩] . وسليمانُ هو ابنُ داودَ ، ففهمه اللهُ ما لم يفهمه أبوه . فأعجب ذلك الوليدَ ، فأرسل به جوابًا إلى ملكِ الروم . وقد قال الفرزدقُ في ذلك ^(١) :

فَوَقَّتَ بَيْنَ النَّصَارَى فِي كَنَائِسِهِمْ	وَالْعَابِدِينَ مَعَ ^(٢) الْأَسْحَارِ ^(٣) وَالْعَتَمِ ^(٤)
[٤٧/٧] اظ [وهم ^(٥) جميعًا إذا ضلُّوا ^(٦) وأوجهُهم	شَتَّى إِذَا سَجَدُوا لِلَّهِ وَالصَّنَمِ
وَكَيْفَ يَجْتَمِعُ النَّاقُوسُ يَضْرِبُهُ	أَهْلُ الصَّلِيبِ مَعَ ^(٧) الْقِرَاءِ لَمْ تَنَمِ
فُهِمَّتْ تَحْوِيلَهَا عَنْهُمْ ^(٨) كَمَا فَهِمَا ^(٩)	إِذْ يَحْكُمَانِ لَهُمْ ^(١٠) فِي الْحَزْثِ وَالْغَنَمِ
دَاوُدُ وَالْمَلِكُ الْمَهْدِيُّ إِذْ جَزَا ^(١١)	أَوْلَادَهَا وَاجْتَرَا الصُّوفِ بِالْجَلَمِ ^(١٢)
فَهَمَكَ اللَّهُ تَحْوِيلًا لِبَيْعَتِهِمْ	عَنْ مَسْجِدٍ فِيهِ يُثَلَّى طَيْبُ الْكَلِمِ
مَا مِنْ أَبٍ ^(١٣) حَمَلَتْهُ الْأَرْضُ نَعْلَمُهُ ^(١٤)	خَيْرٌ بَيْنَ وَلَا خَيْرٌ مِنْ الْحَكَمِ

(١) شرح ديوان الفرزدق ص ٧٦٨ .

(٢) في الأصل ، ٢ ا ، ص : « من » .

(٣ - ٣) في ٢ ا ، ص : « في الظلم » .

(٤ - ٤) في شرح الديوان : « معا في مصلاتهم » .

(٥) في الأصل ، ٢ ا ، ص : « له » .

(٦) في الأصل ، ٢ ا ، ص : « عنه » .

(٧) في الأصل : « فهمها » .

(٨) في الأصل : « جزوا » ، وفي ٢ ا ، ص : « زجروا » ، وفي مصدر التخريج « حكما » .

(٩) في ٢ ا ، ص : « بالحكم » .

والجلم : ما يُجَزُّ به . الوسيط (ج ل م) .

(١٠ - ١٠) في الأصل ، ٢ ا ، ص : « والد في الناس يعلمه » .

قال الحافظ "عبد الرحمن" بن إبراهيم دُحَيْمُ الدَّمَشْقِي^(١) : بنى الوليد ما كان داخل حيطان المسجد، وزاد في سمك الحيطان.

وقال الحسن بن يحيى الحُسَيْنِي^(٢) : إن هودا، عليه السلام، هو الذى بنى الحائط القبلى من مسجد دمشق.

وقال غيره^(٣) : لما أراد الوليد بناء القبّة التى وسط الرواقات - وهى^(٤) قبّة النّسر، وهو اسم حادث لها، "وكانهم شبهوها" بالنّسر فى شكله؛ لأنّ الرواقات عن يمينها وشمالها كالأجنحة لها - حفروا لأركانها، حتى وصلوا إلى الماء، وشربوا منه ماءً عذبا زلالا، ثم إنهم وضعوا فيه جرار^(٥) الكرم، وبنوا فوقها بالحجارة، فلما ارتفعت الأركان بنوا عليها القبّة فسقطت، فقال الوليد لبعض المهندسين: أريد أن تبنى لى أنت هذه القبّة. فقال: على أن تُعطينى عهد الله وميثاقه^(٦) أن لا يبينها أحد غيرى. ففعل، فبنى الأركان ثم غلفها بالبوارى^(٧)، وغاب عنها سنة كاملة لا يدري الوليد أين ذهب، فلما كان بعد السنة حضر، فهم به الوليد، فأخذه معه رءوس الناس، فكشف البوارى عن الأركان؛ فإذا هى قد هبطت بعد ارتفاعها حتى ساوت الأرض، فقال له: من هذا أتيت. ثم

(١ - ١) فى ص: «عبد الله». وانظر تهذيب الكمال ٤٩٥/١٦.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/٢٦٠، من طريق عبد الرحمن به.

(٣) فى الأصل: «الحسينى». وفى ١/٢، ص: «الحسنى». وانظر تهذيب الكمال ٦/٣٣٩.

والأثر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/٢٦٠، من طريق الحسن بن يحيى به.

(٤) تاريخ دمشق ٢/٢٦٠، ٢٦١ بنحوه، ومختصر تاريخ دمشق ١/٢٦٣، ٢٦٤ بنحوه.

(٥ - ٥) فى الأصل: «التي يقال لها».

(٦ - ٦) فى ص: «وكانوا سموها».

(٧) فى ١/٢: «زيارة». وفى م: «زيادة».

(٨) بعده فى ١/٢، م، ص: «على».

(٩) البوارى: مفردا البارى، وهو الحصير. الوسيط (ب و ر).

بناها فانهقدت .

وقال بعضهم ^(١) : أراد الوليد أن يجعل بيضة القبة من ذهب خالص ؛ ليعظم بذلك شأن المسجد ^(٢) ، فقال له العمار : إنك لا تقدر على ذلك . فضربه خمسين سوطاً ، وقال له : ويلك ، أنا ^(٣) لا أقدر على ذلك ، وتزعم أنني أعجز عنه ، وخارج الأرض وأموالها تُجبي إلي ^(٤) ؟ قال : نعم ، أنا أبيت لك ذلك . قال : فبيت ذلك . قال : اضرب لبنة واحدة من الذهب ، وقس عليها ما تريد هذه القبة من ذلك . فأمر الوليد ، فأحضر من الذهب ما ^(٥) شبك به ^(٦) لبنة ؛ فإذا هي قد دخلها ألوف من الذهب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إننا نريد [١٤٨/٧] ^(٧) من هذه ^(٨) كذا وكذا ألف لبنة ، فإن كان عندك ما يكفي من ذلك عملناه . فلما تحقق الوليد صحة قوله أطلق له خمسين ديناراً ^(٩) ، ثم عقدها على ما أشار به العمار .

ولما سقف الوليد الجامع جعلوا سقفه جملونات ، وباطنها مسطحة مقزناً بالذهب ، فقال له بعض أهله ^(١٠) : أتعبت الناس بعدك في ^(١١) تطيين أسطحه ^(١٢) هذا المسجد في كل عام ^(١٣) . فأمر الوليد أن يجمع ما في بلاده من الرصاص ؛ ليجعله

(١) تاريخ دمشق ٢٦١/٢ ، ٢٦٢ بنحوه ، ومختصر تاريخ دمشق ٢٦٤/١ بنحوه .

(٢) في ٢١ ، م ، ص : « هذا البناء » .

(٣ - ٤) في الأصل : « أعجز عن ذلك » .

(٤ - ٥) في ٢١ ، م ، ص : « ضرب منه » .

(٥ - ٦) في ٢١ ، م ، ص : « مثل هذه اللبنة » .

(٦) بعده في ٢١ ، م ، ص : « وقال : إنني لا أعجز كما قلت ، ولكن فيه إسراف وضياع مال في غير وجهه اللائق به ، ولأن يكون ما أردنا من ذلك نفقة في سبيل الله ، وردا على ضعفاء المسلمين خير من ذلك » .

(٧) تاريخ دمشق ٢٦٣/٢ بنحوه .

(٨ - ٩) في ٢١ ، م ، ص : « طين أسطحته لما يريد » .

(٩) بعده في ٢١ ، م ، ص : « من الطين الكثير يشير إلى أن التراب يغلو والفعلة تقل لأجل العمل في هذا المسجد في كل عام » .

عَوْضَ الطَّيْنِ، وَيَكُونُ أَخْفَ عَلَى السَّقُوفِ، فَجَمَعَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الشَّامِ، وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَقَالِيمِ، فَعَاذُوا، فَإِذَا عِنْدَ امْرَأَةٍ مِنْهُ قَنَاطِيرُ مَقْنَطَرَةٍ، فَسَاوَمُوهَا فِيهِ، ^(١) فَأَبَتْ أَنْ تَبِيعَهُ إِلَّا بوزنه فضةً، فكَتَبُوا إِلَى الْوَلِيدِ بِذَلِكَ ^(٢)، فَقَالَ: اشْتَرَوْهُ مِنْهَا، وَلَوْ بوزنه فضةً. فَلَمَّا بَذَلُوا لَهَا ذَلِكَ، قَالَتْ: أَمَا إِذَا فَعَلْتُمْ ^(٣) ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ لِلَّهِ يَكُونُ فِي سَقْفِ هَذَا الْمَسْجِدِ. فكَتَبُوا عَلَى أَلْوَحِهَا بِطَابَعِ: «لِلَّهِ». وَيُقَالُ: إِنَّهَا كَانَتْ إِسْرَائِيلِيَّةً، وَإِنَّهُ كَتَبَ عَلَى الْأَلْوَحِ الَّتِي أُخِذَتْ مِنْهَا: ^(٤) هَذَا مَا أَعْطَنِي ^(٥) الْإِسْرَائِيلِيُّ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَائِذٍ ^(٦): سَمِعْتُ الْمَشَايخَ يَقُولُونَ. مَا تَمَّ بِنَاءُ مَسْجِدِ دِمَشْقَ إِلَّا بِأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، لَقَدْ كَانَ يُفْضَلُ عِنْدَ الرَّجُلِ مِنَ الْقَوْمَةِ - يَعْنُونَ الْفَعْلَةَ - الْفَأْسُ وَرَأْسُ الْمَسْمَارِ، فَيَجِيءُ ^(٧) حَتَّى يَضَعَهُ فِي الْخِزَانَةِ.

وَقَالَ بَعْضُ مَشَايِخِ الدَّمَّاشِقَةِ ^(٨): لَيْسَ فِي الْجَامِعِ مِنَ الرُّخَامِ شَيْءٌ إِلَّا الرِّخَامَتَانِ اللَّتَانِ فِي الْمَقَامِ مِنْ عَرْشِ بَلْقَيْسَ، وَالْبَاقِي كُلُّهُ مَزْمَرٌ ^(٩). وَقَالَ بَعْضُهُمْ ^(١٠): اشْتَرَى الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْعَمُودَيْنِ الْأَخْضَرَيْنِ اللَّذَيْنِ تَحْتَ النَّسْرِ،

(١ - ١) فِي ٢١، م، ص: «فَقَالَتْ لَا أَبِيعُهُ».

(٢) سَقَطَ مِنْ: ٢١، م، ص.

(٣) فِي ٢١، م، ص: «قَلْتُمْ».

(٤ - ٤) فِي الْأَصْلِ: «الَّذِي أَعْطَنَهُمْ».

(٥) مَخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٦٥/١.

(٦) فِي ٢١، م، ص: «فَيَأْتِي بِهِ».

(٧) تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٦٦/٢، ٢٦٧، وَمَخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٦٦/١.

(٨) الْمَرمر: صَخْرٌ رَخَامِي جَبْرِي مَتَحَوَّلٌ يَتَرَكَّبُ مِنْ بُلُورَاتِ الْكَلْسِيْتِ، يَسْتَعْمَلُ لِلزَّيْنَةِ فِي الْبِنَاءِ، وَلِصَنْعِ التَّمَاثِيلِ وَنَحْوِهَا. الْوَسِيطُ (م ر م ر).

(٩) مَخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٦٧/١.

من حرب^(١) بن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار.

وقال دُحَيْم^(٢)، عن الوليد بن مسلم، ثنا مروان بن^(٣) جَنَاح، عن أبيه، قال: كان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مَرَحِم.

وقال أبو قُصَي^(٤)، عن دُحَيْم، عن الوليد بن مسلم، عن عمرو بن مُهاجر الأنصاري: إنهم حسبوا ما أنفق الوليد على الكَرَمَةِ التي في قِبلة^(٥) المسجد؛ فإذا هو سبعون ألف دينار.

وقال أبو قُصَي^(٦): أنفق في مسجد دمشق أربعمائة صندوق^(٧)، في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار. وفي رواية^(٨): في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار. قلت: فعلى الأول يكون ذلك خمسة آلاف دينار، وستمائة ألف دينار، وعلى الثاني يكون المصروف في عِمارة الجامع الأموي أحد عشر ألف دينار، ومائتي ألف دينار^(٩). والله أعلم.

قال أبو قُصَي^(١٠): وأتى الحرسي^(١١) إلى الوليد [١٤٨/٧] فقال: يا أمير

(١) في ص: «حرب». وانظر مصدر التخريج.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦٧/٢ من طريق دحيم به.

(٣) بعده في ص: «الحجاج». وانظر تهذيب الكمال ٣٨٦/٢٧.

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦٨/٢، من طريق أبي قصى به.

(٥) في م: «قبلى».

(٦) تاريخ دمشق ٢٦٨/٢ بنحوه.

(٧) بعده في ١، ٢، م، ص: «من الذهب».

(٨) مختصر تاريخ دمشق ٢٦٦/١.

(٩) بعده في ١، ٢، م، ص: «وقيل: إنه صرف أكثر من ذلك بكثير».

(١٠) تاريخ دمشق ٢٦٩/٢ بنحوه.

(١١) في ص: «خرشي».

المؤمنين، إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: أَنْفَقَ ^(١) الْوَلِيدُ أَمْوَالَ بَيْتِ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهَا. فَتَوَدَّى فِي النَّاسِ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً. فَاجْتَمَعَ النَّاسُ فَصَعِدَ الْوَلِيدُ الْمِنْبَرَ، وَقَالَ: إِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْكُمْ ^(٢) أَنَّكُمْ قُلْتُمْ: أَنْفَقَ الْوَلِيدُ بَيُوتَ الْأَمْوَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهَا ^(٣). ثُمَّ قَالَ: يَا عَمْرُو بْنُ مَهَاجِرٍ، قُمْ فَأَحْضِرْ أَمْوَالَ بَيْتِ الْمَالِ. فَحُمِلَتْ عَلَى الْبَغَالِ إِلَى الْجَامِعِ، ^(٤) وَبُسِطَتْ ^(٥) الْأَنْطَاعُ تَحْتَ الْقُبَّةِ ^(٦)، ثُمَّ أُفْرِغَ عَلَيْهَا الْمَالُ ذَهَبًا صَبِيئًا، وَفَضَّةً خَالِصَةً حَتَّى صَارَتْ كَوْمًا، حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ ^(٧) لَا يَرَى الرَّجُلَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، وَهَذَا شَيْءٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ جِئَ بِالْقَبَائِنِ ^(٨) فَوُزِنَتِ الْأَمْوَالُ؛ فَإِذَا هِيَ تَكْفِي النَّاسَ ثَلَاثَ سِنِينَ مُسْتَقْبَلَةً - وَفِي رَوَايَةٍ ^(٩): سِتُّ عَشْرَةَ سَنَةً مُسْتَقْبَلَةً لَوْ لَمْ يَدْخُلَ لِلنَّاسِ شَيْءٌ بِالْكُلِّيَّةِ ^(١٠) - فَفَرِحَ النَّاسُ وَكَبَّرُوا، وَحَمِدُوا اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى ذَلِكَ ^(١١)، ثُمَّ قَالَ الْوَلِيدُ: يَا أَهْلَ دِمَشْقَ، إِنَّكُمْ تَفَخَّرُونَ عَلَى النَّاسِ بِأَرْبَعٍ؛ بِهَوَائِكُمْ، وَمَائِكُمْ، وَفَاكِهِتِكُمْ، وَحَمَامَاتِكُمْ؛ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَزِيدَكُمْ خَامِسَةً، وَهِيَ هَذَا الْجَامِعُ فَاحْمَدُوا اللَّهَ تَعَالَى. وَانصَرَفُوا شَاكِرِينَ دَاعِينَ.

(١ - ١) فِي ١، ٢، م، ص: «أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَيُوتَ الْأَمْوَالِ».

(٢ - ٢) فِي الْأَصْلِ: «كَذَا وَكَذَا».

(٣ - ٣) فِي ١، ٢، م، ص: «ثُمَّ بَسَطَ لَهَا».

(٤) فِي ١، ٢، م، ص: «قُبَّةُ النَّسْرِ».

(٥) بَعْدَهُ فِي ١، ٢، م: «إِذَا قَامَ مِنَ الْجَانِبِ الْوَاحِدِ».

(٦) فِي ١، ٢: «بِالْقَبَائِنِ»، وَفِي ص: «بِالْقَبَائِنِ».

(٧) تَارِيخُ دِمَشْقَ ٢/٢٦٧، ٢٦٨.

(٨) بَعْدَهُ فِي ١، ٢، م، ص: «فَقَالَ لَهُمُ الْوَلِيدُ: وَاللَّهِ مَا أَنْفَقْتُ فِي عِمَارَةِ هَذَا الْمَسْجِدِ دَرَاهِمًا مِنْ بَيُوتِ الْمَالِ، وَإِنَّمَا هَذَا كُلُّهُ مِنْ مَالِي».

(٩) بَعْدَهُ فِي ١، ٢، م، ص: «وَدَعَا لِلْخَلِيفَةِ وَانصَرَفُوا شَاكِرِينَ دَاعِينَ، فَقَالَ لَهُمُ الْوَلِيدُ: يَا أَهْلَ دِمَشْقَ، وَاللَّهِ مَا أَنْفَقْتُ فِي بِنَاءِ هَذَا الْمَسْجِدِ شَيْئًا مِنْ بَيُوتِ الْمَالِ، وَإِنَّمَا هَذَا كُلُّهُ مِنْ مَالِي، لَمْ أَرْزَأْكُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئًا».

وقال بعضهم^(١) : كان في قبلة جامع دمشق ثلاث صفائح مذهبة بلازورد^(٢) ،
 في كل منها : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ
 سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ . لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا نعبد إلا إياه ، ربنا الله
 وحده ، وديننا الإسلام ، ونبينا محمد ﷺ . أمر بينان هذا المسجد ، وهدم
 الكنيسة التي كانت فيه ، عبد الله أمير المؤمنين الوليد ، في ذى القعدة سنة ست
 وثمانين . وفي صفيحة أخرى رابعة من تلك الصفائح : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴾ (١) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿ [الفاتحة : ٢ - ٤] إلى
 آخر السورة ، ثم النازعات ، ثم عبس ، ثم ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير : ١] .
 قالوا^(٣) : ثم محيث بعد^(٤) مجيء المأمون إلى دمشق . وذكروا أن أرضه
 كانت مفضضة^(٥) كلها ، وأن الرخام كان في جدرانها إلى قامات ، وفوق الرخام
 كزمة عظيمة من ذهب ، وفوق الكزمة الفصوص المذهبة والخضر والخمر والزرق
 والبيض ، قد صوّروا بها سائر البلدان المشهورة ؛ الكعبة فوق المحراب ، وسائر
 الأقاليم يمنية ويسرة ، وصوّروا ما في البلدان من الأشجار الحسنة المثمرة والمزهرة ،
 وغير ذلك ، وسقفه مقرنص بالذهب ، والسلاسل المعلقة فيه^(٥) جميعها من ذهب
 وفضة ، وأنوار الشموع في أماكنه مفرقة .

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٠ .

(٢) في ص : « بلا زورد » ، واللازورد : من الأحجار الكريمة لونها أزرق يستخدم فصوصاً للخواتم .

المعجم الذهبي ص ٥٢٠ .

(٣) تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٠ .

(٤) في مصدر التخريج : « قبل » . وانظر مروج الذهب ٣/ ١٥٨ .

(٥) في م : « فيها » .

قال^(١): وكان فى محراب الصحابة برنيّة؛ حجرٌ من بلّور - ويقال: بل كانت حجرًا من جوهر. وهى الدُّرّة، [١٤٩/٧] وكانت تُسمّى القليلة^(٢)، وكانت إذا طَفِئَت القناديل تُضِيءُ لِمَن هناك بنورها، فلمّا كان زمنُ الأمين بن الرشيد - وكان يحبُّ البلّور، وقيل: الجوهر - بعث إلى سليمان وإلى شرطة دمشق أن يبعثَ بها إليه، فسرَقها،^(٣) وسيرّها إلى الأمين^(٤)، فلمّا ولى المأمون رُدّها إلى دمشق؛ ليُسَنَّعَ بذلك على الأمين.

قال ابن عساكر^(٥): ثم ذهبت بعد ذلك فجعل مكانها برنيّة من زجاج. قال: وقد رأيتُ تلك البرنيّة ثم انكسرت بعد ذلك، فلم يُجعل مكانها شيء^(٦). قالوا: وكانت الأبوابُ الشارعة من داخل الصّحن ليس عليها أغلاق، وإنّما كان عليها الستورُ مُرخاة، وكذلك الستورُ على سائر مجدراته إلى حدِّ الكُزْمَةِ^(٧) التى فوقها الفصوصُ المذهبة، ورؤوسُ الأعمدة مطليّة بالذهب الخالص الكثير، وعملوا له شُرَفَاتٍ تحيطُ به، وبَنَى الوليدُ المنارةَ الشماليّة التى يقالُ لها: مِغْدَنَةُ العروس. فأما الشرقيّة والغربيّة فكانتا فيه قبل ذلك بدهورٍ متطاولة، وقد كان فى كلّ زاوية من هذا المعبّد صومعة شاهقة جدًا، بَنَتْها اليونانُ للرّصد، ثم بعد ذلك سقطت الشماليّتان وبقيت القبليّتان^(٨) إلى الآن، وقد أُحْرِقَ بعضُ الشرقيّة بعد

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٨، ٢٧٩ بنحوه.

(٢) فى الأصل: «القبيلة».

(٣ - ٣) فى ٢١، م، ص: «والى خوفا من الناس وأرسلها إليه».

(٤) تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٩ بنحوه.

(٥) بعده فى ص زيادة وهى من زيادات الناسخ.

(٦) فى م: «الكومة».

(٧) فى الأصل: «القليتان».

الأربعين وسبعمائة، فنقضت وجدد بناؤها من أموال النصارى، حيث اتهموا بحريقها، فقامت على أحسن الأشكال، بيضاء بذاتها وهى، واللّه أعلم،
«المنارة الشرقية»^(١) التى ينزل عليها عيسى ابن مريم فى آخر الزمان بعد خروج الدجال، كما ثبت ذلك فى «صحيح مسلم»، عن النّوّاس بن سميان^(٢).

قلت: ثم أحرق أعلى هذه المنارة وجددت، وكان أعلاها من خشب فبنيت بحجارة كلّها فى آخر السبعين وسبعمائة، فصارت كلّها مبنية بالحجارة^(٣).

والمقصود أن الجامع الأموى لما كمل بناؤه لم يكن على وجه الأرض بناءً أحسن منه، ولا أبهى ولا أجلّ منه، بحيث إنه إذا نظر الناظر إليه، أو إلى أى^(٤) جهة منه، أو إلى أى^(٤) بقعة، أو مكان منه، تحير فيما ينظر إليه؛ لحسنه جميعه، ولا يملّ ناظره، بل كلما أدمن النظر، بانث له أعجوبة ليست كالأخرى^(٥).

وكانت فيه طلّسمات من أيام اليونان، فلا يدخل هذه البقعة شىء من الحشرات بالكلية؛ لا من الحيات، ولا من العقارب، ولا الخنافس، ولا العناكب، ويقال: ولا العصافير أيضاً تعشش فيه، ولا الحمام، ولا شىء مما يتأذى به الناس.

(١ - ١) فى ٢١: «الشرقية»، وفى م: «الشرقة».

(٢) صحيح مسلم (٢٩٣٧/١١٠).

(٣ - ٣) سقط من: ٢١.

(٤) سقط من: م.

(٥ - ٥) زيادة من: ٢١، م، ص.

وأكثر هذه الطلّسمات أو كلّها كانت مودعة في سقف الجامع^(١)، ممّا يلي الشئع، فأحرقت لما^(٢) وقع فيه الحريق، وكان ذلك^(٣) ليلة النصف من شعبان بعد العصر، سنة إحدى وستين وأربعمائة، في دولة الفاطميين، كما سيأتي ذلك في موضعه.

وقد كانت بدمشق طلّسمات وضعتها اليونان، [١٤٩/٧ ظ] بعضها باقى إلى يومنا هذا. والله أعلم.

فمن ذلك العمود الذى فى رأسه مثل الكرة^(٣) بسوق الشعير^(٣) عند قنطرة أم حكيم، وهذا المكان يعرف اليوم بالعليين، ذكر مشايخ دمشق أنه من وضع اليونان لشمر بول الحيوان، فإذا داروا بالحيوان حول هذا العمود ثلاث دورات انطلق بوله^(٤)، وذلك مجرب عند^(٥) اليونان^(٦).

وما زال سليمان بن عبد الملك يعمل فى تكملة الجامع الأموى بعد موت أخيه مدة ولايته، وجددت له فيه المقصورة، فلما ولى عمر بن عبد العزيز، عزم

(١) فى ١ ٢، م: «هذا المعبد».

(٢ - ٢) فى ١ ٢، م، ص: «أحرق».

(٣ - ٣) فى الأصل: «سوق الشعر»، وفى م: «فى سوق الشعير». وانظر تاريخ دمشق ٢/ ٢٨١.

(٤) فى ١ ٢، م: «باطنه فيال».

(٥) فى ١ ٢، م، ص: «من عهد».

(٦) بعده فى م: «قال ابن تيمية عن هذا العمود: إن تحته مدفونا جبار عنيد، كافر يعذب، فإذا داروا بالحيوان حوله سمع العذاب، فرأى وبال من الخوف، قال: ولهذا يذهبون بالدواب إلى قبور النصارى واليهود والكفار، فإذا سمعت أصوات المعذنين انطلق بولها. والعمود المشار إليه ليس له سر، ومن اعتقد أن فيه منفعة أو مضرة، فقد أخطأ خطأ فاحشا. وقيل: إن تحته كنز وصاحبه عنده مدفون، وكان ممن يعتقد الرجعة إلى الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾ والله سبحانه وتعالى أعلم».

على أن يجرد ما^(١) فيه من الذهب، ويقلع السلاسل والرخام والفسيساء^(٢)، ويرد ذلك كله إلى بيت المال،^(٣) ويطيئه مكان ذلك كله^(٤)، فشق ذلك على أهل البلد، واجتمع أشرفهم إليه، وقال خالد بن عبد الله القسري^(٥): أنا أكلّمه لكم. «فلما اجتمعوا قال خالد^(٦): يا أمير المؤمنين، بلغنا أنك تريد أن تصنع^(٧) كذا وكذا. قال: نعم. فقال خالد: ليس ذلك لك يا أمير المؤمنين. فقال عمر: ولم يا ابن الكافرة؟ وكانت أمه نصرانية رومية أم ولد - فقال: يا أمير المؤمنين، إن كانت كافرة، فقد ولدت رجلاً مؤمناً. فقال: صدقت. واستحيا عمر، ثم قال له: فلم قلت ذلك؟ قال: يا أمير المؤمنين، لأن غالب ما فيه من الرخام إنما حمّله المسلمون من أموالهم من سائر الأقاليم، وليس هو لبيت المال. فأطرق عمر، رحمه الله.

قالوا^(٨): «واتفق في ذلك الزمان قدوم جماعة من بلاد الروم رسلاً من عند ملكهم، فلما دخلوا من باب البريد، وانتَهَوْا إلى الباب الكبير الذي تحت النسر، ورأوا ما بهر عقولهم من حسن ذلك الجامع الباهر، والزخرفة التي لم يُسمع بمثليها صبق كبيرهم، وخرّ مغشياً عليه، فحملوه إلى منزلهم، فبقى أياماً مدنيّاً، فلما تماثل، سألوه عما عرض له، فقال: ما كنت أظن أن بيني المسلمون مثل هذا البناء، وكنت أعتقد أن مدّتهم تكون أقصر من هذا. فلما بلغ ذلك عمر بن

(١) في م: «ما».

(٢) في الأصل، ١ ٢: «السقوف». وانظر تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٥.

(٣ - ٣) في ١ ٢، م، ص: «يجعل مكان ذلك كله طينا».

(٤) تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٥.

(٥ - ٥) سقط من: ١ ٢، م.

(٦ - ٦) في ١ ٢، م: «عنك».

(٧) تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٥، ٢٧٦ بنحوه.

عبد العزيز قال : أَوْ إِنَّ "هذا لَغِيْظُ" الكفار ؟ دعوه .

وسألت النصارى^(١) فى أيام عمر بن عبد العزيز أن يعقدَ لهم مجلسًا فى شأنٍ ما كان أخذه الوليدُ منهم - وكان عمرُ عادلاً ، فأراد أن يردَّ عليهم ما كان أخذه الوليدُ منه - فأدخله فى الجامع ، ثم حَقَّقَ عمرُ القضيةَ ، ثم نظرَ ؛ فإذا الكنائسُ التى هى خارجُ البلدِ لم تدخلْ فى الصلحِ الذى كتبه لهم الصحابةُ ؛ مثلَ كنيسةِ دَيْرِ مُرَّانَ^(٢) ، وكنيسةِ الرَّاهِبِ ، وكنيسةِ توما ، خارج بابِ توما ، [١٥٠/٧] وسائرِ الكنائسِ التى بقُرَى الحواضرِ^(٣) ، فخيَّرهم بينَ ردِّ ما سألوهُ ، وتخريبِ هذه الكنائسِ كُلِّها ، أو تبقى تلكَ الكنائسُ ، ويطيَّبوا نفسًا للمسلمين بهذه البقعةَ ، فاتَّفَقَتْ آراؤهم بعدَ ثلاثةِ أيامٍ على إبقاءِ تلكَ الكنائسِ ، ويكتبُ لهم كتابَ أمانٍ بها ، ويطيَّبوا نفسًا بهذه البقعةَ ، فكتبَ لهم كتابَ أمانٍ بها .

والمقصودُ أنَّ الجامعَ الأموى كان حينَ تكاملِ بناؤهِ ليس له فى الدنيا نظيرٌ^(٤) فى حسِنه وبهجته .

قال الفرزدقُ : أَهْلُ دِمَشْقَ ، فى بِلَدِهِمْ قَصْرٌ مِنْ قُصُورِ الْجَنَّةِ . يعنى به الجامعُ الأموى .

وقال أحمدُ بنُ أبى الحواريَّ^(٥) ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ ، عن ابنِ ثوبانَ : ما

(١ - ١) فى الأصل : « هذا لَغِيْظُ » ، وفى م : « الغيظُ أهلك » .

(٢) تاريخ دمشق ٢٧٣/٢ ، ٢٧٤ بنحوه .

(٣) بعده فى ١ ٢ : « بسفح قاسيون وهى بقرية المعظمية » ، وفى م : « بسفح قاسيون وهى التربة المعظمية » .

(٤) فى ١ ٢ : « الحواضر » ، وفى م : « الحواجز » .

(٥) فى ١ ٢ ، م : « مثيل » .

(٦) أخرجه ابنُ عساكر فى تاريخه ٢٤٦/٢ ، من طريق أحمد بن أبى الحواري به .

ينبغي^(١) أن يكونَ أحدٌ^(٢) أشدَّ شوقًا إلى الجنةِ مِن أهلِ دمشق؛ لِما يَرونَ مِن حَسَنِ
مسجديها .

قالوا^(٣) : ولَمَّا دَخَلَ المهدى^(٤) - أميرُ المؤمنين العباسي^(٥) - دمشقَ يريدُ زيارةَ
«بيت المقدس»^(٦) ، نَظَرَ إلى جامعِ دمشقَ ، فقال لكَاتبِهِ أبي عبيدِ اللَّهِ الأشعريّ :
سَبَقْنَا بنو أُمَيَّةَ بثلاثٍ ؛ بهذا المسجدِ ، لا أَعْلَمُ على وَجهِ الأرضِ مثلهُ ، وبُئيلِ^(٧)
الموالى ، وبعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، لا يَكونُ وَاللَّهِ فينا مثلهُ أَبَدًا . ثم لَمَّا أَتَى بَيْتَ
المقدسِ ، فنَظَرَ إلى الصخرةِ - وكانَ «عبدُ الملكِ بنُ مروانَ هو الذى» بناها -
قال لكَاتبِهِ : وهذه رابعةٌ .

ولَمَّا دَخَلَ المأمونُ دمشقَ ، فنَظَرَ إلى جامعِها ، وكانَ معه أخوه المعتصمُ ،
وقاضيه يحيى بنُ أَكْثَمَ ، قال^(٨) : ما أعجَبُ ما فيه ؟ فقال أخوه : هذه الأذهابُ
التي فيه . وقال يحيى بنُ أَكْثَمَ : هذا^(٩) الرخامُ ، وهذه العُقَدُ . فقال المأمونُ^(١٠) :
إنما أعجَبُ مِن «حَسَنِ بُنيانِهِ» على غيرِ مثالٍ متقدِّمٍ . ثم قال المأمونُ لقاسمٍ

(١) فى ١ ٢ : «لأحد على وجه الأرض» ، وبعده فى م : «لأحد من أهل الأرض» .

(٢) سقط من : ١ ٢ ، م .

(٣) تاريخ دمشق ٢/٢٤٦ ، ٢٤٧ بنحوه .

(٤ - ٥) فى ١ ٢ ، م : «زيارة القدس» .

(٥) فى ١ ٢ : «بئيل» .

(٦ - ٦) فى الأصل ، ١ ٢ : «الوليد بن عبد الملك» . وفى حاشية ١ ٢ : «عبد الملك بن مروان هو الذى بناها والله أعلم» .

(٧) تاريخ دمشق ٢/٢٤٧ .

(٨) بعده فى ١ ٢ ، م : «إنى» .

(٩ - ٩) فى الأصل : «بنائه» .

التَّعَارِ: أَخْبِرْنِي بِاسْمِ حَسَنِ أَسْمَى بِهِ جَارِيتِي هَذِهِ. فَقَالَ: سَمَّيْتُهَا مَسْجِدَ دِمَشْقَ؛ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ شَيْءٍ.

وقال عبدُ الرحمن، ^(١) «بْنُ عَبْدِ اللَّهِ» بن عبد الحكيم، عن الشافعي قال ^(٢): عجائبُ الدنيا خمسة؛ أحدها منارتُكم هذه - يعني منارةَ ذي القرنين التي بإسكندرية - والثانيةُ أصحابُ الرقيم؛ وهم بالروم اثنا عشر رجلاً، ^(٣) أو ثلاثة عشر رجلاً ^(٤)، والثالثةُ امرأةُ يباب ^(٥) الأندلس على باب مدينتِها، يجلسُ الرجلُ تحتها، فينظرُ فيها صاحبه من مسافةِ مائة فرسخ ^(٦)، والرابعةُ مسجدُ دمشق، وما يوصفُ من الإنفاقِ عليه، والخامسُ الرخامُ والفسيفساء؛ فإنه لا يُدرى لهما ^(٧) موضعٌ، ويقالُ: إن الرخامَ معجونٌ، والدليلُ على ذلك أنه يذوبُ على ^(٨) النار.

[١٥٠/٧] قال ابنُ عساکر ^(٩): وذكر إبراهيم بن أبي الليث الكاتب - وكان قديم دمشق سنة اثنتين وثلاثين وأربعمئة - في رسالة له قال: ثم أمرنا بالانتقال ^(١٠) إلى البلد ^(١١)، فانتقلنا منه إلى بليدٍ تمتَّ محاسنُه، ووافقَ ظاهره باطنُه، أرقُّه

(١ - ١) سقط من الأصل، وفي ١، ٢، م: «عن». والمثبت من مصدر التخريج الآتي. وانظر تهذيب الكمال ٢١٣/١٧.

(٢) أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٢٤٧/٢، ٢٤٨، من طريق عبد الرحمن به.

(٣ - ٣) سقط من: ١، ٢، م.

(٤) في الأصل: «بنات».

(٥) بعده في ١، ٢، م، ص: «وقيل: ينظر من بالقسطنطينية».

(٦) في الأصل: «له»، وفي ١، ٢، م: «لها». والمثبت من مصدر التخريج.

(٧) في الأصل: «في».

(٨) تاريخ دمشق ٢٤٨/٢.

أَرْجَةً، وشوارغُه فَرَجَةٌ، فحيثُ ما شئتُ ^(١) شَمَمْتُ طَيِّبًا، وأين سَعَيْتُ رَأَيْتُ
منظرًا عَجِيبًا، و ^(٢) أَفْضَيْتُ إِلَى جَامِعِهِ، فشاهدْتُ منه ما ليس في استطاعةِ
الواصلِ أَنْ يَصِفَه، ولا الرَّائِي أَنْ يَعْرِفَه، وجملتهُ أَنَّهُ بِكَرٍّ ^(٣) الدَّهْرِ، ونادِرُهُ
الوقتِ، وأعجوبةُ الزمانِ، وغريبةُ الأوقاتِ، ولقد أثبتَ اللَّهُ، عزَّ وجلَّ، به ذِكْرًا
يُدْرُسُ، وخلفَ به أمرًا لا يخفى ولا يدرُسُ.

قال ابنُ عساكر ^(٤): وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ لِبَعْضِ ^(٥) الْمُحَدِّثِينَ فِي جَامِعِ
دَمَشَقَ، عَمَّرَهُ اللَّهُ بِذِكْرِهِ ^(٦):

دمشقُ قد شاعَ حسنُ جامعِها	وماحوثُه رُبىَ مرابعِها
بديعةُ الحسنِ في الكمالِ لما	يُدرِكُه الطرفُ مِن بدائعِها
طَيِّبَةُ أرضِها مباركةُ	باليمنِ والسعدِ أَخَذُ طالِعِها
جامِعُها جامعُ المحاسنِ قد	فاقَتْ به المَدَنُ في جوامِعِها
بَنِيَّةٌ بالإتقانِ قد وضِعَتْ	لا ضيَعَ اللَّهُ سَعىَ واضِعِها
تذكرُ في فضلِه ورفِعتِه	أخبارٌ ^(٧) صدقِ راقَتْ لسامِعِها
قد كان قبلَ الحريقِ مدهشةُ	^(٨) فغَيَّرَتْه نارٌ ^(٩) بلافِعِها ^(١٠)

(١) في م: «مشيت».

(٢) بعده في ١، ٢، م: «إن».

(٣) في م: «كنز».

(٤) تاريخ دمشق (ط). مجمع اللغة العربية - المجلدة الثانية - القسم الأول (ص ٣٨، ٣٩).

(٥ - ٥) سقط من: ١، ٢، م.

(٦) بعده في ١، ٢، م: «وفي دمشق فقال».

(٧) في ١، ٢، م: «آثار».

(٨ - ٨) في م: «فغيرت ناره».

(٩) في الأصل، م، ص: «بلاعها»، وفي ٢١: «بدائعها». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر

عيون التواريخ أحداث سنة ٨٦.

فأَذْهَبَتْ بِالْحَرِيقِ بِهِجَّتَهُ
 إِذَا تَفَكَّرَتْ فِي الْفُصُوصِ وَمَا
 أَشْجَارُهَا لَا تَزَالُ مَثْمِرَةً
 كَأَنَّهَا مِنْ زَمْزُودٍ غَرِسَتْ
 فِيهَا ثِمَارٌ تَخَالُهَا يَنْعَثُ
 تُقَطَّفُ بِاللَّحْظِ لَا بِجَارِحَةٍ أَلْ
 وَتَحْتَهَا مِنْ رِخَامِهِ قِطْعٌ
 أَحْكَمُ تَرْخِيمِهَا الْمَرْخُمُ قَدْ
 [١٥١/٧] وَإِنْ تَفَكَّرْتَ فِي قَنَاطِرِهِ
 وَإِنْ تَبَيَّنَتْ حُسْنُ قُبَّتِهِ
 تَخْتَرِقُ الرِّيحُ فِي مَخَارِمِهَا^(٧)
^(٨) وَأَرْضُهُ بِالرِّخَامِ قَدْ فَرِشَتْ
 مَجَالِسُ الْعِلْمِ فِيهِ مُتَقَنَّةٌ^(٩)

فليس يُرَجَى إِيَابُ^(١) راجِعِهَا
 فِيهَا تَيَقَّنَتْ حِذْقَ رَاصِعِهَا^(٢)
 لَا تَذْهَبُ^(٣) الرِّيحُ مِنْ مَدَافِعِهَا
 فِي أَرْضٍ تَبِيرُ تَغْشَى بِفَاقِعِهَا^(٤)
 وَلَيْسَ يُخْشَى فُسَادُ يَانِعِهَا
 أَيْدَى وَلَا تُجْتَنَى^(٥) لِبَائِعِهَا
 لَا قَطْعَ اللَّهُ كَفَّ قَاطِعِهَا
 بَانَ عَلَيْهَا إِحْكَامُ صَانِعِهَا
 وَسَقَفُهُ بَانَ حِذْقُ رَافِعِهَا^(٦)
 تَحْيِرُ اللَّبِّ فِي أَضَالِعِهَا
 عَصْفًا فَتَقْوَى عَلَى زَعَاذِعِهَا
 يَنْفَسِخُ الطَّرْفُ فِي مَوَاضِعِهَا^(٨)
 يَنْشِرُحُ الصَّدْرُ فِي مَجَامِعِهَا

(١) فِي الْأَصْلِ: «آيَات».

(٢) فِي الْأَصْلِ، ١، ٢: «وَاضِعِهَا».

(٣) فِي ١، ٢، م: «تَرْهَب».

(٤) فِي ١، ٢: «نَفَافِعِهَا»، وَفِي م: «بِنَافِعِهَا».

(٥) فِي الْأَصْلِ: «تَخْشَى». وَانْظُرْ تَارِيخَ دِمَشْقَ ٣١٣/١ (مَخْطُوط).

(٦) فِي الْأَصْلِ: «صَانِعِهَا».

(٧) فِي ١، ٢، م، ص: «مَنَافِذُهَا».

(٨ - ٨) سَقَطَ مِنْ: الْأَصْلِ، ١، ٢، ص.

(٩) فِي النِّسْخِ: «مُؤَنِّقَةٌ». وَالْمُثَبِّتُ مِنْ تَارِيخِ دِمَشْقَ.

وكلُّ بابٍ عليه مَطْهَرَةٌ قد أَمِنَ النَّاسُ دَفْعَ مَانِعِهَا
يرتَفِقُ الخَلْقُ^(١) مِنْ مرَافِقِهَا ولا يُصَدُّونَ عَنْ مَنَافِعِهَا
ولا تَزَالُ المِياهُ جاريةً فيها لِمَا شَقَّ مِنْ مِشارِعِهَا
وسوقُها لا تَزَالُ أَهْلَةً يزدحمُ النَّاسُ فِي شِوارِعِهَا
لِمَا يَشَاءُونَ مِنْ فِواكِهَها وما يَريدُونَ مِنْ بَضائِعِها
كَأَنَّها جَنَّةٌ مَعجَلَةٌ فِي الأَرْضِ لولا سُرى^(٢) فَجائِعِها
دامَتْ بِرِغْمِ العِدى مُسلِّمَةً وحاطَها اللهُ مِنْ قِوارِعِها

فصل: فيما زوى في جامع دمشق من الآثار، وما ورد في فضله من الأخبار عن جماعة من السادة الأخيار

زوى عن قتادة أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْنِ﴾ قال^(٣): هو مسجد دمشق. ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ قال: هو مسجد بيت المقدس. ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ حيث كلم الله موسى ﴿وَهَذَا أَلْبَلَدُ الْأَمِينِ﴾ وهو مكة.

^(٤) ونقل عثمان بن أبي العاتكة، عن أهل العلم، أنهم قالوا في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْنِ﴾ هو مسجد دمشق. رواه ابن عساكر^(٣).

(١) في ١، ٢، م، ص: «الناس».

(٢) في الأصل، ١، ٢، م: «مسرى».

(٣) تاريخ دمشق ٢/٢٣٧.

(٤) ٤ - سقط من: م.

وقال صفوان بن صالح^(١) ، عن عبد الخالق بن زيد بن واقد ، عن أبيه ، عن عطية بن قيس الكلابي ، قال : قال كعب الأحرار : ليبتين في دمشق مسجد يبقى بعد خراب الدنيا أربعين عامًا .

وقال الوليد بن مسلم^(٢) ، عن عثمان بن أبي العاتكة ، عن علي بن يزيد^(٣) ، عن القاسم أبي^(٤) عبد الرحمن ، قال : أوحى الله تعالى إلى جبل قاسيون أن هب ظلك وبركتك إلى جبل بيت المقدس . قال : ففعل . فأوحى الله إليه : أما إذ فعلت فإنني سأبنى لى فى حضنك^(٥) بيتا أعبد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عامًا ، ولا تذهب الأيام والليالي حتى أزد عليك ظلك وبركتك . قال : فهو عند الله بمنزلة المؤمن الضعيف المتضرع .

وقال دحيتم^(٦) : حيطان المسجد الأربعة من بناء هود ، عليه السلام ، [١٥١/٧ ط] وما كان من الفسيفساء إلى فوق فهو من بناء الوليد بن عبد الملك - يعنى أنه رفع الجدار فعلاه من حد الرخام والكرمة إلى فوق . وقال غيره^(٧) : إنما بنى هود الجدار القبلي فقط .

وقال أبو بكر أحمد بن عبد الله بن الفرج ، المعروف بابن البرامى^(٨) ،

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٣٨ ، من طريق صفوان بن صالح به .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٣٩ من طريق الوليد بن مسلم به .

(٣) فى م : « زيد » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ١٧٨ .

(٤) فى مصدر التخرىج : « بن » . وهو القاسم بن عبد الرحمن الشامى أبو عبد الرحمن الدمشقى . انظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٣٨٣ .

(٥) فى ١ ، ص : « حظنك » . وفى م : « خطنك » .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٣٩ .

(٧) تاريخ دمشق ٢/ ٢٦٠ بنحوه .

(٨) فى تاريخ دمشق : « البرانى » . وانظر تكملة الإكمال ١/ ٤٩١ .

الدمشقي^(١) : ثنا إبراهيم بن مروان ، سمعتُ أحمدَ بنَ إبراهيم بن مَلايس يقول :
سمعتُ عبدَ الرحمن بن يحيى بن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ، قال :
كان خارج باب الساعاتِ صخرةً يوضعُ عليها القربانُ ، فما تُقبَلُ منه جاءت نازٌ
فأكَلته ، وما لم يُتقبَلُ منه بقي على حاله .

قلتُ : وهذه الصخرة نُقلتُ إلى داخلِ بابِ الساعاتِ ، وهى موجودةٌ إلى
الآن ، وبعضُ العامة يزعمُ أنها الصخرةُ التى وضعَ عليها ابنا آدمَ قربائهما ، فتقبَلُ
من أحدهما ، ولم يُتقبَلُ من الآخرِ . فاللهُ أعلم .

وقال هشامُ بنُ عمارٍ^(٢) : ثنا الحسنُ بنُ يحيى الحُسَينى^(٣) أن رسولَ الله ﷺ ،
ليلةً أُسرى به ، صلى فى موضعٍ مسجدِ دمشق . قال ابنُ عساكر : وهذا منقطعٌ .
قلتُ : ومنكّرٌ جدًّا ، ولا يثبتُ أيضًا لا من هذا الوجه ، ولا من غيره .

وقال أبو بكرٍ البرامى^(٤) : حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الملك بن المغيرة
المقرئ ، حدّثنى أبى ، عن أبيه ، أن الوليدَ بنَ عبد الملك تقدّم إلى القوامِ ليلةً من
الليالى فقال : إني أريدُ أن أصلى الليلةَ فى المسجدِ ، فلا تتركوا^(٥) فيه أحدًا حتى
أصلى الليلةَ^(٥) . ثم إنّه أتى بابَ الساعاتِ ، فاستفتح البابَ ففتح له ، فإذا رجلٌ

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، من طريق أبى بكر أحمد بن عبد الله بن الفرّج به .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٣٨ ، من طريق هشام بن عمار به .

(٣) فى ١ : ٢ : « الحسن » ، وفى م ، ص : « الحسنى » . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٣٩ .

(٤) الخبر فى تاريخ دمشق ١/ ٣٠٣ (مخطوط) ، ٢/ ٢٤٤ ، ٢٤٥ . وفى سندهما خلط كبير . والسند

كما أورده المصنف هو الصواب ، وانظر تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق - المجلد الثانية -
القسم الأول) ص ١٣ .

(٥ - ٥) فى ١ ، م ، ص : « أحدًا يصلى الليلة فى المسجد فقال له بعضهم : يا أمير المؤمنين هذا الخضر

يصلى فى المسجد كل ليلة . وفى رواية ؛ أنه قال لهم : لا تتركوا أحدًا يدخله » .

قائمتين بين باب الساعات ، وباب الخضراء الذى يلى المقصورة يُصلّى ، وهو أقرب إلى باب الخضراء منه إلى باب الساعات ، فقال ^(١) للقوام : ألم آمركم أن لا تتزكوا أحدًا الليلة يصلّى فى المسجد ؟ فقال له بعضهم : يا أمير المؤمنين ، هذا الخضر ، عليه السلام ، يصلّى كل ليلة فى المسجد . فى إسناده هذه الحكاية وصحتها نظر ، ولا يثبت بمثلها وجود الخضر بالكلية ، ولا صلاته فى هذا المكان المذكور . والله أعلم .

وقد اشتهر فى الأعصار المتأخرة أن الزاوية القبليّة عند باب المئذنة الغربية تُسمّى زاوية الخضر ، وما أدري ما سبب ذلك ، والذى ثبت بالتواتر صلاة الصحابة فيه ^(٢) ، وأول من صلى فيه إمامًا أبو عبيدة بن الجراح ، وهو أمير الأمراء بالشام ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأمين هذه الأمة ، وصلى فيه خلق من الصحابة ^(٣) ، لكن قبل أن يغيّره الوليد إلى هذه الصفة ، فأما بعد أن غيّر إلى هذا الشكل فلم يره أحد من الصحابة [١٥٢/٧] كذلك إلا أنس بن مالك ؛ فإنه ورد دمشق سنة ثنتين وتسعين ، وهو يبنى ^(٤) فى هذا الجامع ، فصلى فيه أنس وراء ^(٥) الوليد ، وأنكر أنس على الوليد تأخير الصلاة إلى آخر وقتها ، كما قدّمنا ذلك فى ترجمة أنس ، عند ذكر وفاته سنة ثلاث وتسعين ^(٦) .

وسيصلى فيه عيسى ابن مريم ^(٧) إذا نزل فى آخر الزمان ، إذا خرج الدجال

(١) بعده فى ٢١ ، م ، ص : « الوليد » .

(٢) بعده فى ٢١ ، م ، ص : « وكفى بذلك شرفا له ولغيره من المساجد التى صلوا فيها » .

(٣) بعده فى ٢١ ، م ، ص : « مثل معاذ بن جبل وغيره » .

(٤ - ٤) فى ٢١ ، م ، ص : « فيه الوليد » .

(٥) فى م : « ورأى » .

(٦) تقدم فى ص ٤٤٦ .

(٧) تقدم فى ٣٠٤/٩ ، من حديث النواس بن سمعان عند مسلم . وأخرجه أحمد ٤/١٨١ ، ١٨٢ ، وأبو داود (٤٣٢١) ، والترمذى (٢٢٤٠) ، وابن ماجه (٤٠٧٥) ، كلهم من حديث النواس أيضا .

وَعَمَّتِ الْبَلْوَى بِهِ ، وَاِنْحَصَرَ النَّاسُ مِنْهُ بِدَمَشَقَ ، فَيَنْزِلُ مَسِيحُ الْهُدَى فَيَقْتُلُ مَسِيحَ الضَّلَالَةِ ، وَيَكُونُ نَزْوُلُهُ عَلَى الْمَنَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ بِدَمَشَقَ وَقَتَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ^(١) ، فَيَأْتِي وَقَدْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ ، فَيَقُولُ لَهُ إِمَامُ النَّاسِ : تَقَدَّمْ يَا رُوحَ اللَّهِ . فَيَقُولُ : إِنَّمَا أُقِيمَتْ لَكَ ، فَيَصَلِّي عِيسَى تِلْكَ الصَّلَاةَ خَلْفَ رَجُلٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ . يَقَالُ : إِنَّهُ الْمَهْدِيُّ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ثُمَّ يَخْرُجُ عِيسَى بِالنَّاسِ فَيَدْرِكُ الدَّجَالَ عِنْدَ عَقْبَةِ أَفَيْقَ ، وَقِيلَ : بِيَابِ لُدَ . فَيَقْتُلُهُ بِيَدِهِ هُنَالِكَ . وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ مَبْسُوطًا عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ [النساء : ١٥٩] . وَفِي الصَّحِيحِ ^(٣) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَنْزِلَنَّ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا ، وَإِمَامًا عَادِلًا ، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الْخَنَزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجُزْيَةَ ، وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا الْإِسْلَامَ » .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ عِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يَنْزِلُ ، وَالْبَلَدُ ^(٤) مُحَصَّنٌ مِنَ الدَّجَالِ ، وَيَكُونُ نَزْوُلُهُ عَلَى الْمَنَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ بِدَمَشَقَ - وَهِيَ هَذِهِ الْمَنَارَةُ الْمَبْنِيَّةُ فِي زَمَانِنَا مِنْ أَمْوَالِ النَّصَارَى ؛ ^(٥) حَيْثُ أَحْرَقُوهَا فَجَدَّدَتْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ^(٥) - ثُمَّ يَكُونُ نَزْوُلُ عِيسَى حَقًّا لَهُمْ ، وَهَلَاكًا وَدَمَارًا عَلَيْهِمْ ، يَنْزِلُ بَيْنَ مَلَكَينَ وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى

(١) بعض حديث طويل أخرجه أحمد ٢١٦/٤ ، ٢١٧ ، والطبراني في الكبير ٥١/٩ ، ٥٢ (٨٣٩٢) ، والحاكم ٤٧٨/٤ ، كلهم من حديث عثمان بن أبي العاص ، بنحوه .
قال الهيثمي في المجمع ٣٤٢/٧ : رواه أحمد والطبراني وفيه على بن زيد وفيه ضعف وقد وثق ، وبقية رجالهما رجال الصحيح .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٠٦/٢ - ٤١٨ .

(٣) رواه مسلم من طرق عن أبي هريرة (٢٤٢ ، ٢٤٣ / ١٥٥) بدون ذكر : « ولا يقبل إلا الإسلام » .

(٤) بعده في ٢١ ، م ، ص : « محصور » .

(٥ - ٥) سقط من : ٢١ ، م ، ص .

مناكبيهما ، وعليه مَهْرُودَتَان^(١) - وفي رواية^(٢) : مَمْصَرَتَان^(٣) - يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً ،
كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسٍ^(٤) ، وَذَلِكَ وَقْتُ الْفَجْرِ ، فَيَنْزِلُ مِنَ الْمَنَارَةِ وَقَدْ أَقِيَمَتِ
الصَّلَاةُ ، وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ بِدَمَشَقَ ، وَهُوَ هَذَا الْجَامِعُ .

وَمَا وَقَعَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ رَوَايَةِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ^(٥) :
«فَيَنْزِلُ عَلَى الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقَى دَمَشَقَ» . كَأَنَّهُ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - مَرُوتِي بِالْمَعْنَى
بِحَسَبِ مَا فَهِمَهُ الرَّاوِي ، وَإِنَّمَا هُوَ يَنْزِلُ عَلَى الْمَنَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ بِدَمَشَقَ ، وَقَدْ
أَخْبَرْتُ ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ إِلَى الْآنَ أَنَّهُ كَذَلِكَ ، فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ هَذَا الْحَدِيثِ ، فِي
بَعْضِ الْمُصَنِّفَاتِ ، وَاللَّهِ الْمَسْئُولُ الْمَأْمُولُ أَنْ يَوْفَّقَنِي ، فَيُوقِّفَنِي عَلَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ .

وَلَيْسَ فِي الْبَلَدِ مَنَارَةٌ تَعْرِفُ بِالشَّرْقِيَّةِ سِوَى هَذِهِ ، وَهِيَ بَيْضَاءُ بِنَفْسِهَا ، وَلَا
يَعْرِفُ فِي بِلَادِ الشَّامِ مَنَارَةٌ أَحْسَنُ مِنْهَا ، وَلَا أَبْهَى وَلَا أَعْلَى مِنْهَا ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ
وَالْمُنَّةُ^(٦) .

(١) المهرودتان ، روى بالبدال المهملة والذال المعجمة ، والمهملة أكثر ، والوجهان مشهوران ، وأكثر ما يقع
في النسخ بالمهملة ، كما هو المشهور ، ومعناه : لابس مهرودتين أى ثوبين مصبوغين بورد ثم بزعفران .
وقيل : هما شقتان . والشقة : نصف الملاعة . مسلم بشرح النووي ٦٧/١٨ .

(٢) رواه أبو داود (٤٣٢٤) ، وأحمد ٤٠٦/٢ ، ٤٣٧ .

(٣) الممصرة من الثياب : التي فيها شيء من صفرة ليست بالكثيرة . تاج العروس (م ص ر) .

(٤) الديماس : الحُثَامُ . الوسيط (د م س) .

(٥) تقدم في ٣٠٤/٩ .

(٦) بعده في ص زيادة من زيادات الناسخ .

يحيى بن زكريا ، عليهما السلام

وروى ابن عساكر ، عن زيد بن واقد ، قال ^(١) : وكُنِّي الوليدُ على العمالي في بناء جامع دمشق ، فوجدنا فيه مغارة ، فعرفنا الوليدَ ذلك ، فلما كان الليلُ وافانا وبينَ يديه الشمعُ ، فنزل فإذا هي كنيسةٌ لطيفةٌ ، ثلاثة أذرعٍ في ثلاثة أذرعٍ ، وإذا فيها صندوقٌ ، ففتح الصندوقَ فإذا فيه سَقَطٌ ، وفي السَقَطِ رأسُ يحيى بن زكريا ، عليهما السلام ، مكتوبٌ عليه : هذا رأسُ يحيى بن زكريا . فأمر به الوليدُ فودَّ إلى المكانِ ^(٢) ، وقال : اجعلوا العمودَ الذي فوقه مُعَيَّرًا مِن بين الأعمدة . فجعل عليه عمودٌ مُسَقَطُ الرأسِ .

وفي رواية ، عن زيد بن واقد ^(٣) : أن ذلك الموضع كان تحت زُكْنٍ من أركان القبة - يعنى قبل أن تُبنى - قال : وكان على الرأسِ شعْرٌ وبَشَرٌ .

وقال الوليدُ بن مسلم ، عن زيد بن واقد قال ^(٤) : حضرتُ رأسَ يحيى بن زكريا ، وقد أُخرج من اللَّيْطَةِ ^(٥) القبلية الشرقية التي عند مجلس بُجَيْلَةٍ ، فوضع تحت عمود السَّبْطِ ^(٦) السَّكاسِكِ ^(٧) .

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢/ ٢٤٠ ، ٢٤١ ، من طريق زيد بن واقد به .

(٢) في ٢١ ، م ، ص : « مكانه » .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢/ ٢٤١ ، من طريق زيد بن واقد به بنحوه .

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢/ ٢٤٢ ، من طريق زيد بن واقد به .

(٥) في ص : « الميطة » ، والليطة : هي كل شيء له صلابة ومتانة . الوسيط (ل ي ط) .

(٦) سقط من النسخ ، والمثبت من مصدر التخريج .

(٧) في ٢١ ، ص : « السكاسكة » ، وفي م : « الكاسة » ، وانظر معجم البلدان ٣/ ١٠٥ ، والقاموس المحيط (س ك ك) .

قال الأوزاعي ، والوليد بن مسلم^(١) : هو العمود الرابع المُسْفُط .

وروى أبو بكر بن البرامي ، عن أحمد بن أنس بن مالك ، عن حبيب المؤذن ، عن أبي زياد^(٢) ، وأبي أمية الشَّعْبَانِيَّين ، عن سفيان الثوري ، أنه قال^(٣) : صلاة في مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة . وهذا غريب جدًا .

وروى ابن عساكر^(٤) ، من طريق أبي مُشْهِر ، عن المنذر بن نافع - مولى أم عمرو بنت مروان - عن أبيه - وفي رواية : عن رجلٍ قد سمَّاه - أن واثلة بن الأسقع خرج من باب المسجد الذي يلي باب جَيْرُون ، فلقَّيه كعبُ الأحمار ، فقال : أين تريد؟ قال واثلة : أريد بيت المقدس . فقال : تعالَ حتى^(٥) أريك موضِعًا في هذا^(٦) المسجد من صُلِّي فيه فكأنما صُلِّي في بيت المقدس . فذهب به فأراه ما بين الباب الأصفر الذي يخرج منه الوالي^(٧) إلى الحنيفة - يعني القنطرة الغربية - فقال : من صُلِّي فيما بين هذين فكأنما^(٨) صُلِّي في بيت المقدس . فقال واثلة : إنه لمَجْلِسِي ومجلس قومي . قال كعب : هو ذاك . وهذا أيضًا غريب جدًا ، ومنكّر ، ولا يعمدُ على مثله .

وعن الوليد بن مسلم قال^(٩) : لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٢) في الأصل : « زكريا » .

(٣) أخرجه بنحوه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢/ ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، من طريق أبي بكر بن البرامي به .

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢/ ٢٤٥ ، من طريق أبي مسهر به .

(٥) سقط من : م .

(٦) بعده في ١ ، ٢ ، م ، ص : « يعني الخليفة » .

(٧) سقط من : ١ ، ٢ ، ص . وفي الأصل : « فقد » .

(٨) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق - المجلد الثانية - القسم الأول) ص ٨ ، ٩ .

وَجَدُوا فِي حَائِطِ الْمَسْجِدِ الْقِبْلِيِّ لَوْحًا مِنْ حَجَرٍ فِيهِ كِتَابٌ نَقَشَ، فَأَتَوْا^(١) بِهِ^(٢) الْوَلِيدَ، فَبَعَثَ إِلَى الرُّومِ فَلَمْ يَسْتَخْرِجُوهُ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى^(٣) الْعِبْرَانِيِّينَ، فَلَمْ يَسْتَخْرِجُوهُ^(٤)، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى^(٥) «مَنْ كَانَ» بِدِمَشْقَ مِنْ بَقِيَّةِ الْأَشْيَانِ^(٦)، فَلَمْ يَسْتَخْرِجُوهُ، فَذُلَّ عَلَى وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ [١٥٣/٧] فَبَعَثَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ أَخْبَرَهُ بِمَوْضِعِ ذَلِكَ اللَّوْحِ، فَوَجَدُوهُ فِي ذَلِكَ الْحَائِطِ - وَيُقَالُ: إِنْ ذَلِكَ الْحَائِطُ بَنَاهُ هُوَذَا، عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ وَهَبٌ حَرَّكَ رَأْسَهُ وَقَرَأَهُ فَإِذَا هُوَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ابْنَ آدَمَ، لَوْ رَأَيْتَ يَسِيرَ مَا بَقِيَ مِنْ أَجْلِكَ، لَزَهَدْتُ فِي طَوْلِ مَا تَرْجُو مِنْ أَمَلِكِ، وَإِنَّمَا تَلْقَى نَدَمَكَ لَوْ قَدْ زَلَّتْ بِكَ قَدَمُكَ، وَأَسْلَمَكَ أَهْلُكَ وَحَشَمُكَ، وَانصَرَفَ عَنْكَ الْحَبِيبُ،^(٧) «وَوَدَّعَكَ»^(٨) الْقَرِيبُ، ثُمَّ صَرْتَ تُدْعَى فَلَا تُجِيبُ، فَلَا أَنْتَ إِلَى أَهْلِكَ عَائِدٌ، وَلَا فِي^(٩) «عَمَلِكَ زَائِدٌ»، فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَبْلَ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ، قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ بِكَ أَجْلُكَ، وَتُنَزَّعَ مِنْكَ رَوْحُكَ، فَلَا يَنْفَعُكَ مَالٌ جَمَعْتَهُ، وَلَا وَلَدٌ وَلَدْتَهُ، وَلَا أَخٌ تَرَكَتَهُ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى بَرْزَخِ الثَّرَى، وَمَجَاوِرَةِ الْمَوْتِ^(١٠)، فَاعْتَنِمِ الْحَيَاةَ قَبْلَ الْمَوْتِ، وَالْقُوَّةَ قَبْلَ الضَّعْفِ، وَالصَّحَّةَ قَبْلَ الشَّقَمِ، قَبْلَ أَنْ تَوْخَذَ بِالْكَظَمِ، وَيُحَالَ يَبْنِكَ وَيَبْنَ

(١) فِي م: «فَبَعَثُوا».

(٢) بَعْدَهُ فِي م: «إِلَى».

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ: ٢، م، ص.

(٤ - ٤) سَقَطَ مِنَ النِّسْخِ، وَالْمُثَبِّتُ مِنْ مَصْدَرِ التَّخْرِيجِ.

(٥ - ٥) فِي الْأَصْلِ: «مَكَان».

(٦) فِي م: «الْأَشْيَانِ». وَانْظُرْ مَصْدَرِ التَّخْرِيجِ.

(٧ - ٧) فِي ٢، م، ص: «أَسْلَمَكَ الصَّاحِبُ وَ».

(٨) فِي الْأَصْلِ، م، ص: «إِلَى».

(٩) فِي مَصْدَرِ التَّخْرِيجِ: «الْمَوْلَى».

العمل. وكتب في زمانٍ «سليمان بن داود»، عليهما السلام.

وقال ابن عساكر^(٢): قرأت على أبي محمد السلمي، عن عبد العزيز التميمي، أنبأنا تمام الرازي، أنبأنا ابن البرامي، سمعت أبا مروان عبد الرحيم^(٣) ابن عمر المازني، يقول: لما كان في أيام الوليد بن عبد الملك وبنائه المسجد احتفروا فيه موضعًا، فوجدوا بابًا من حجارة مغلقة، فلم يفتحوه، وأعلموا به الوليد، فخرج^(٤) من داره حتى وقف عليه، وفتح بين يديه، فإذا داخله مغارة فيها تمثال إنسان من حجارة على فرس من حجارة، في يد التمثال الواحدة الدرة التي كانت في المحراب، ويده الأخرى مقبوضة، فأمر بها فكسرت، فإذا فيها حبتان؛ حبة قمح وحبة شعير، فسأل عن ذلك فقيل له: لو تركت الكف لم تكسرها، لم يسوس في هذا البلد قمح ولا شعير.

وقال الحافظ أحمد^(٥) الوراق^(٦)، وكان قد عُمر مائة سنة: سمعت بعض الشيوخ يقول: لما دخل المسلمون دمشق، وجدوا على العمود الذي على المقيسلاط - على الشقود الحديد الذي في أعلاه - صنمًا ماذًا يده بكف مطبقة، فكسروه، فإذا في يده حبة قمح، فسألوا عن ذلك، فقيل لهم: هذه الحبة القمح جعلها حكماء اليونان في كف هذا الصنم طلسمًا، حتى لا يسوس القمح^(٧)،

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) تاريخ دمشق ٢/٢٧٩.

(٣) في م: «الرحمن».

(٤ - ٤) سقط من: ١، ٢، م، ص.

(٥) في الأصل، ٢١: «أبو أحمد»، وفي م، ص: «أبو حمدان»، والمثبت من تاريخ دمشق ٢/٢٧٩.

(٦) تاريخ دمشق ٢/٢٧٩.

(٧) بعده في م: «في هذه البلاد».

ولو أقام سنين كثيرة .

قال ابن عساكر^(١) : وقد رأيت أنا^(٢) هذا السَّقُودَ على قناطر كنيسة المَقْسِلَاتِ ،^(٣) فلما هُدِمَتِ القناطرُ ذهب . قلت : كنيسة المَقْسِلَاتِ^(٤) كانت مبنية فوق القناطر التي [١٥٣/٧ ط] في السوق الكبير ، عند الصابونيين والعطارين اليوم ، وعندها اجتمعت جيوش الإسلام يوم فتح دمشق ، دخل أبو عبيدة من باب الجابية ، وخالد من الباب الشرقي ، ويزيد بن أبي سفيان من باب الجابية الصغير ،^(٥) كما قدّمنا^(٦) ، ولله الحمد والمنّة .

وقال عبد العزيز التميمي^(٧) ، عن أبي نصر عبد الوهاب بن عبد الله المزني^(٨) : سمعت جماعة من شيوخ أهل دمشق يقولون : إن في سقف مسجد الجامع طلاسمة عملها الحكماء في السقف مما يلي الحائط القبلي ، فيها طلاسمة للصنونيّات ، لا تدخله ولا تعشش فيه من جهة الأوساخ التي تكون منها ، ولا يدخله غراب ، وطلّسّم للفأر والحيّات والعقارب - ^(٩) ما أبصر^(١٠) الناس من هذا شيئاً إلا الفأر ، ويوشك^(١١) أن يكون قد غُدم طلّسّمها - وطلّسّم للعنكبوت^(١٢)

(١) تاريخ دمشق ٢٨٠/٢ بنحوه .

(٢) بعده في م : « في » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) سقط من : ١ ، ٢ ، م ، ص .

(٥) تقدم في ٥٧٨/٩ .

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨١/٢ ، من طريق عبد العزيز التميمي به .

(٧) في ١ ، ٢ ، م : « المرى » ، وفي ص : « المزى » ، وانظر تاريخ دمشق ٢٨١/٢ .

(٨) سقط من : ١ ، ٢ ، م ، ص .

(٩ - ٩) في ١ ، ٢ ، م ، ص : « فما رأى » .

(١٠) في م ، ص : « يشك » .

(١١) بعده في ١ ، ٢ ، م ، ص : « حتى » .

لا ينسج^(١) في زواياه ، فيركبه الغبار والوسخ .

قال الحافظ ابن عساكر^(٢) : سمعت جدي أبا الفضل ، يحيى بن علي القاضي^(٣) ، يذكر أنه أدرك في الجامع قبل حريقه طلّسمات لسائر الحشرات ، معلقة في السقف فوق البطائن مما يلي الشّبع ، وأنه لم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق ، فلما احترقت الطلّسمات^(٤) وجدت . وكان حريق الجامع ليلة النصف من شعبان بعد العصر سنة إحدى وستين وأربعمائة .

وقد كانت بدمشق طلّسمات كثيرة ، ولم يبق منها سوى العمود الذي بسوق العلبين اليوم^(٥) الذي في أعلاه مثل الكرة العظيمة ، وهو لشعر بول الدواب ، إذا داروا بالدّابة حوله ثلاث مرات انطلق^(٦) .

وقد كان شيخنا العلامة أبو العباس^(٧) ابن تيمية ، رحمه الله ، يقول : إنما هذا قبر^(٨) مشرك متمرّد^(٩) مدفون هنالك يعذب ، فإذا سمعت الدابة صياحه فرعت فانطلق^(١٠) طبعها . قال : ولهذا يذهبون بالدواب إلى مقابر اليهود والنصارى إذا مغلت^(١١) فينطلق طباغها وتروث ، وما ذاك إلا لأنها تسمع أصواتهم وهم يعذبون . والله أعلم .

(١) بعده في ١ ، ٢ ، م ، ص : « فيه و » .

(٢) تاريخ دمشق ٢ / ٢٨١ .

(٣) سقط من : ١ ، ٢ ، م ، ص .

(٤) بعده في ١ ، ٢ ، م ، ص : « حين أحرق » .

(٥) بعده في ١ ، ٢ ، م ، ص : « باطنها » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) في الأصل ، ١ ، ٢ ، ص : « من كير » .

(٨) في م : « مفرد » ، وفي ص : « مترد » .

(٩) بعده في ١ ، ٢ ، م ، ص : « باطنها و » .

(١٠) المغل : المغص يأخذ الدواب .

ذكر الساعات التي على بابيه

قال القاضي عبد الله بن أحمد بن زهير^(١) : إنما سُمِّيَ بابُ الجامعِ القبليِّ بابَ الساعاتِ ؛ لأنَّه عُمِلَ هناك بِزَكَارٍ^(٢) الساعاتِ ؛ يُعَلَّمُ^(٣) بها كُلُّ ساعةٍ تَمْضِي مِنَ النَّهَارِ ، عليها عَصَافِيرُ مِنْ نُحَاسٍ ، وَحِيَّةٌ مِنْ نُحَاسٍ ، وَغَرَابٌ ، فَإِذَا تَمَّتِ السَّاعَةُ خَرَجَتِ الْحَيَّةُ فَصَفَّرَتِ الْعَصَافِيرُ ، وَصَاحَ الْغَرَابُ ، وَسَقَطَتِ حَصَاةٌ فِي الطُّسْتِ ؛ فَيَعَلَّمُ النَّاسُ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ مِنَ النَّهَارِ سَاعَةٌ ، وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِهَا .

قُلْتُ : هَذَا يَحْتَمِلُ أَحَدَ [١٥٤/٧] شَيْئَيْنِ ؛ إِمَّا أَنَّ^(٤) السَّاعَاتِ كَانَتْ فِي الْبَابِ الْقِبْلِيِّ مِنَ الْجَامِعِ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى^(٥) بِابِ الزِّيَادَةِ ، وَلَكِنْ قَدْ قِيلَ : إِنَّهُ مَحْدَثٌ بَعْدَ بِنَاءِ الْجَامِعِ ، وَلَا يَنْفِي ذَلِكَ أَنَّ السَّاعَاتِ كَانَتْ عِنْدَهُ فِي زَمَنِ الْقَاضِي ابْنِ زَهْرٍ . وَإِمَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْجَامِعِ ، فِي حَائِطِهِ الْقِبْلِيِّ بِابِ آخَرٍ فِي مُحَاذَاةِ^(٦) بابِ الزِّيَادَةِ ، وَعِنْدَهُ السَّاعَاتُ ، ثُمَّ نُقِلَتْ بَعْدَ هَذَا كُلُّهُ إِلَى بابِ الْوَرَّاقِينَ الْيَوْمَ ؛ وَهُوَ بابُ الْجَامِعِ مِنَ الشَّرْقِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٧) .

قُلْتُ : فَأَمَّا الْقُبَّةُ الَّتِي فِي وَسْطِ صَخْنِ الْجَامِعِ الَّتِي فِيهَا الْمَاءُ الْجَارِي ، وَتَقُولُ

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٠ .

(٢) فِي النِّسْخِ : « بِلَكَارٍ » . وَالمُثَبَّتُ مِنْ تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢/ ٢٨٠ .
وَبِرَكَارٍ : آلَةٌ مَرْكَبَةٌ مِنْ سَاقَيْنِ مُتَصِلَتَيْنِ ، تُثَبَّتُ لِاحْدَاهُمَا وَتَدُورُ حَوْلَهَا الْآخَرَى .

(٣) فِي ١ ٢ ، م ، ص : « كَانَ يَعْلَمُ » .

(٤) بَعْدَهُ فِي ١ ٢ ، م ، ص : « تَكُونُ » .

(٥) بَعْدَهُ فِي ١ ٢ ، ص : « الْيَوْمَ » .

(٦) فِي ١ ٢ ، م ، ص : « مُحَاكَاةٌ » .

(٧) بَعْدَهُ فِي م ، ص : « قُلْتُ : بابُ الْوَرَّاقِينَ قِبْلِي أَيْضًا ، فَيُضَافُ إِلَى الْجَامِعِ نِسْبَةٌ إِلَى مَنْ يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَى الْجَامِعِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، أَوْ لِجَوَارِثِهِ لِلْجَامِعِ وَلِبَابِهِ » .

العامّة لها : قبة أبي نواس . فكان بناؤها في سنة تسع وستين وثلاثمائة ، أرخ ذلك ابنُ عساکر عن خطِّ بعض الدّماشقة . وأمّا القبة الغربيّة العالیة التي في صحن الجامع ، التي يقال لها : قبة عائشة . فسمعتُ شيخنا الذهبي يقول : إنّها إنّما بُنيت في حدود سنة ستين^(١) ومائة ، في أيام المهديّ بن المنصور العباسيّ ، وجعلوها لحواصل الجامع وكُتِبَ أوقافه . وأمّا القبة الشرقيّة التي على باب مشهد^(٢) على فيقال : إنّها بُنيت في زمن الحاكم^(٣) العبّيدیّ في حدود سنة أربعمائة^(٤) .

وأمّا الفوّارة التي تحت دُرُج جيرون ، فعملها الشّريف فخر الدولة أبو يغلی^(٥) حمزة بن الحسن بن العباس الحُسَينیّ^(٦) ، وكأنّه كان ناظر الجامع ، وجرّ إليها قطعة من حجر كبير من قصر حجاج ، وأجرى فيها^(٧) الماء ليلة الجمعة لسبع ليالٍ خلّون من ربيع الأوّل سنة سبع عشرة وأربعمئة ، وعملت حولها قناطر ، وعقّد عليها قبة ، ثم سقطت القبة بسبب جمالٍ تحاكّت عندها وازدحمت ، وذلك في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمئة ، فأعيدت ، ثم سقطت أعمدتها وما عليها من حريق اللّبادين^(٨) ودار^(٩) الحجارة في شوال سنة اثنتين وستين وخمسمئة . ذكر ذلك كلّ الحافظ ابنُ عساکر .

قلت : وأمّا القصعة التي كانت في الفوّارة ، فما زالت وسطها ، وقد أدركتها

(١) في الأصل : « ست » ، وفي ص : « ست سنين » .

(٢) في ١ ، ٢ ، م ، ص : « مسجد » .

(٣) في ١ ، ٢ : « الحكم » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٥ / ١٧٣ .

(٤) في ١ ، ٢ ، م ، ص : « أربع ومائة » .

(٥) في ١ ، ٢ ، م ، ص : « على » . وانظر الوافي بالوفيات ١٣ / ١٨٤ .

(٦) في ١ ، ٢ ، م ، ص : « الحسنی » . وانظر المصدر السابق .

(٧) في م : « منها » .

(٨ - ٩) سقط من : ١ ، ٢ ، م ، ص .

كذلك ، ثم رُفِعَتْ بعد ذلك .

وكان بطَّهارة جَيِّرُونَ قَصْعَةٌ أُخْرَى مِثْلُهَا ، فلم تَزَلْ بها ، ^(١) ثم لما ^(٢) انهْدَمَتِ اللَّبَّادِين بِسَبَبِ حَرِيقِ النَّصَارَى فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، اسْتَوْنَفَ بِنَاءُ الطَّهَّارَةِ عَلَى وَجْهِ آخَرَ أَحْسَنَ مِمَّا كَانَتْ ، وَذَهَبَتْ تِلْكَ الْقَصْعَةُ فَلَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ ، ثُمَّ عَمِلَ الشَّاذِرَوَانُ الَّذِي هُوَ ^(٣) شَرْقِيٌّ فَوَارَةُ جَيِّرُونَ ، بَعْدَ الْخَمِيسِمِائَةِ ، أَظْنَهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ عَشْرَةَ وَخَمِيسِمِائَةٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ذِكْرُ ابْتِدَاءِ أَمْرِ السُّنْعِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ

قال أبو بكر بن أبي داود ^(٣) : ثنا أبو عامر ^(٤) موسى بن عامر المزني ، ثنا الوليد - هو ابن مسلم - [١٥٤/٧ ط] قال : قال أبو عمرو الأوزاعي ، عن حسان ابن عطية ، قال : الدَّرَاسَةُ مُحَدَّثَةٌ أَحَدُثُهَا هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْخَزُومِيُّ ، فِي قَدَمَتِهِ ^(٥) عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَحَجَّجَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ فَجَلَسَ بَعْدَ الصَّبْحِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ ، فَسَمِعَ قِرَاءَةً ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَأَخْبِرَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ يَقْرَأُ فِي الْخَضِرَاءِ ، فَقَرَأَ هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ فَجَعَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَقْرَأُ بِقِرَاءَةِ هِشَامٍ ، فَقَرَأَ بِقِرَاءَتِهِ مَوْلَى لَهُ ، فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ مَنْ يَلِيهِ مِنْ أَهْلِ الْمَسْجِدِ ، فَقَرَأُوا بِقِرَاءَتِهِ .

وقال هشام بن عمار خطيب دمشق ^(٦) : ثنا أيوب بن حسان ، ثنا الأوزاعي ،

(١ - ١) في ٢١ ، م ، ص : «إلى أن» .

(٢) سقط من : ٢١ ، م ، ص .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٢ ، من طريق أبي بكر بن أبي داود به .

(٤) في الأصل ، ٢١ ، ص : «عياش» ، وفي م : «عباس» . وانظر تهذيب الكمال ٨٧/ ٢٩ .

(٥) بعده في ٢١ ، م ، ص : «قدمها» .

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٣ ، من طريق هشام بن عمار به .

ثنا خالد بن دِهْقَان، قال: أول من أحدث القراءة في مسجد دمشق هشام بن إسماعيل بن هشام بن المغيرة الخزومي، وأول من أحدث القراءة بفلسطين الوليد ابن عبد الرحمن الجُرَشِي.

قلت: هشام بن إسماعيل هذا كان نائباً على المدينة النبوية، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب لما امتنع من البيعة للوليد بن عبد الملك، قبل أن يموت أبوه، ثم عزله عنها الوليد، وولّى عليها^(١) عمر بن عبد العزيز، كما ذكرنا.

وقد حضر هذا الشعب جماعات من سادات السلف من التابعين بدمشق^(٢)؛ منهم هشام بن إسماعيل الخزومي، ومولاه رافع، وإسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر - وكان مكيّاً لأولاد عبد الملك بن مروان، وقد ولي إمرة إفريقية لهشام ابن عبد الملك - وابناه عبد الرحمن ومروان.

وحضره من القضاة أبو إدريس^(٣) عائذ الله بن عبد الله^(٤) الحولاني، وتميم بن أوس الأشعرى، ويزيد بن أبي مالك الهمداني، وسالم بن عبد الله المحاربي^(٥)، ومحمد بن عبد الله بن لييد الأسدئ.

ومن الفقهاء والمحدثين والحفاظ المقرئين، أبو عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى آل^(٦) معاوية، ومكحول، وسليمان بن موسى الأشدق، وعبد الله بن العلاء بن زبير، وأبو إدريس الأصغر عبد الرحمن بن عزالك^(٧)،

(١) في الأصل: «بعده».

(٢) تاريخ دمشق ٢/٢٨٣.

(٣ - ٣) سقط من: ٢١، م، ص، وانظر تهذيب الكمال ٣٣/٢٠.

(٤) في الأصل: «البخاري»، وانظر تاريخ دمشق ٢/٢٨٣.

(٥) سقط من: م.

(٦) في مصدر التخريج: «عوال». وانظر تاريخ دمشق ١٠/٥٢ (مخطوط)، وتاريخ دمشق

(ط. مجمع اللغة العربية - المجلد الثانية - القسم الأول) ص ٤٩.

وعبد الرحمن بن عامر اليخضبي - أخو عبد الله بن عامر - ويحيى بن الحارث الدماري^(١)، وعبد الملك بن الثعمان المزني^(٢)، وأنس بن أنيس^(٣) الغدري، وسليمان بن يزيد القاري، وسليمان بن داود الحشني، ونمران^(٤) - أو هزان - بن حكيم القرشي، ومحمد بن خالد بن أبي ظبيان الأزدي، ويزيد بن عبيدة بن أبي المهاجر، وعياش^(٥) بن دينار، وغيرهم. هكذا أوردتهم ابن عساكر^(٦). قال: وقد روى عن بعضهم أنه كره اجتماعهم وأنكره، ولا وجه لإنكاره.

ثم ساق من طريق أبي بكر بن أبي داود^(٧)، ثنا عمرو بن عثمان، ثنا الوليد - هو ابن مسلم - عن عبد الله بن العلاء، قال: [١٥٥/٧] سمعت الضحاك بن عبد الرحمن بن عازب^(٨) يُنكر الدراسة ويقول: ما رأيت ولا سمعت، وقد أدركت أصحاب النبي ﷺ.

قال ابن عساكر^(٩): وكان الضحاك بن عبد الرحمن أميراً على دمشق^(١٠)، في خلافة عمر بن عبد العزيز.

(١) في النسخ: «الدماري». والمثبت من تاريخ دمشق ٢/٢٨٤، وانظر تهذيب الكمال ٣١/٢٥٦.

(٢) في ١، ٢، م: «المري»، وفي ص: «المزي». وانظر تاريخ دمشق ٢/٢٨٤.

(٣) في م: «أنس».

(٤) في النسخ: «عران». والمثبت من تاريخ دمشق ٢/٢٨٤، وانظر تاريخ دمشق ١٧/٦٤١ (مخطوط).

(٥) في م: «عباس».

(٦) تاريخ دمشق ٢/٢٨٣، ٢٨٤.

(٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢/٢٨٤، من طريق أبي بكر بن أبي داود به.

(٨) في م: «عروب». وانظر تاريخ دمشق ٢/٢٨٤.

(٩) تاريخ دمشق ٢/٢٨٥.

(١٠) بعده في م: «في أواخر سنة ست وثمانين».

فصل

كان ابتداءُ عِمارةِ جامعِ دمشقَ في أواخرِ سنةٍ ستٍّ وثمانين؛ هُدمَتِ الكنيسةُ التي كانت موضِعُهُ في ذى القَعْدَةِ منها، فلمَّا فرغوا مِنَ الهَدْمِ، شرَعُوا في البناءِ، وتكاملَ في عشرِ سنين، فكان الفراغُ منه في هذه السنة - أعنى سنةٍ ستٍّ وتسعين.

وفيهما تُوفِّي بانيه الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ، وقد بقيت فيه بقايا، فكمَّلها أخوه سليمانُ، كما ذكرنا.

فأما قولُ يعقوبَ بنِ سُفيانٍ^(١): سألتُ هشامَ بنَ عَمَّارٍ عن قصَّةِ مسجدِ دمشقَ وهدمِ الكنيسةِ، قال: كان الوليدُ قال للنُّصارى^(٢) «مِن أَهْلِ دِمَشْقَ»: ما شِئْتُمْ، إِنَّا أَخَذْنَا كَنيسةَ ثُوما عَنوَّةَ وَكنيسةَ الداخِلَةِ صُلَحًا، فَأَنا أَهَدِمُ كَنيسةَ ثُوما؟ قال هشامُ: وتلكَ أَكْبَرُ مِنَ هَذِهِ الداخِلَةِ، قال: فَرَضُوا أَن أَهْدِمَ كَنيسةَ الداخِلَةِ، وَأَدْخِلَها في المَسْجِدِ. قال: وَكانَ بابُها قِبْلَةَ المَسْجِدِ اليَوْمَ، وَهُوَ المَحْرابُ الَّذي يُصَلَّى فيه. قال: وَهدِمُ الكَنيسةَ في أَوَّلِ خِلافةِ الوليدِ سنةً ستٍّ وَثمانين، وَمَكَّثُوا في بَنائِهِ^(٣) سَبْعَ^(٤) سَنين، حَتى ماتَ الوليدُ، وَلَمْ يُتِمَّ بَناؤُهُ، فَأَتَمَّهُ هِشامُ مِنْ بَعْدِهِ. فَفيهِ فَوائِدُ وَفيهِ غَلَطٌ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ: إِنَّهُمْ مَكَّثُوا في بَنائِهِ سَبْعَ سَنين. وَالصَّوابُ عَشْرُ سَنين، فَإِنَّهُ لا خِلافَ أَنَّ الوليدَ بنَ عبدِ الملكِ تُوفِّي في

(١) المعرفة والتاريخ ٤٣٤/٣، ٤٣٥.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) في ١، ٢، م: «بنائها».

(٤) في المعرفة والتاريخ ٤٣٥/٣: «تسع».

هذه السنة - أعنى سنة ست وتسعين - وقد حكى أبو جعفر بن جرير^(١) : على ذلك إجماع أهل السير^(٢) . وقوله : لم يتم بناؤه في زمن الوليد . بل قد تم ، ولكن بقيت بقيات من الزخرفة ، فأكملها أخوه سليمان لا هشام^(٣) ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وهذه ترجمة الوليد بن عبد الملك بنى جامع دمشق ، وذكر وفاته في هذا العام

هو الوليد بن عبد الملك بن مَرْوَانَ بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، أبو العباس الأموي^(٤) ، بُوع له بالخلافة بعد أبيه بعهد منه في شوال سنة ست وثمانين ، وكان أكبر ولده ، والولي من بعده ، وأمه ولادة بنت العباس بن جزي^(٥) بن الحارث بن زهير العبسي . وكان مولده سنة خمسين ، وكان أبواه يُعرفانه ، فشَبَّ بلا أدب ، وكان لا يحسن العربية ، وكان طويلًا أسمر ، به أثر جُدري ، أفطس الأنف سائله ، وكان إذا مشى يتوكف في المشية - أى يتبختر - وكان جميلًا ، وقيل : بل كان [١٥٥/٧ ط] دميماً ، قد شاب في مُقدِّم لحيته ، وقد رأى سهل بن سعيد ، وسمع أنس بن مالك ؛ لما قدِم

(١) تاريخ الطبرى ٤٩٥/٦ .

(٢ - ٢) فى ٢١ ، م ، ص : «والذى أتم ما بقى من بناءه أخوه سليمان لا هشام» .

(٣) ترجمته فى : المعارف ٣٥٩ ، وتاريخ دمشق ٨٣٨/١٧ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ٣٤٧/٤ ، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٤٩٦ ، وفوات الوفيات ٢٥٤/٤ ، وتاريخ الخلفاء ٢٢٣ ، وشذرات الذهب ١١١/١ .

(٤) فى الأصل : «حرب» . وفى ٢١ ، م ، ص : «حزن» . والمثبت من تاريخ دمشق ٨٣٨/١٧ (مخطوط) . وانظر مختصر تاريخ دمشق ٣١٧/٢٦ .

عليه سأل: ماذا سيع في أشرط الساعة؟ كما تقدّم في ترجمة أنس^(١)، وسيع سعيد بن المسيّب، وحكى عنه الزهرى وغيره.

وقد روى^(٢) أن عبد الملك أراد أن يعهد إليه، ثم توقّف؛ لأنّه لا يحسن العربية، فجمع الوليد جماعة من أهل النحر عنده فأقاموا عنده سنة، وقيل: ستة أشهر^(٣). فخرج يوم خرج أجهل مما كان، فقال عبد الملك: قد أجهد وأعذر. وقيل^(٤): إنّ أباه عبد الملك أوصاه عند موته، فقال له: لا ألفيتك إذا ميت، تجلس تعصر عينيك وتحنّ حنين الأمة، ولكن شمر واترّز ودلّنى فى حفرتى وخلّنى وشأنى، وادع الناس إلى البيعة؛ فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا.

وقال الليث^(٥): وفى سنة ثمان وسبعين^(٦) غزا الوليد بلاد الروم، وفيها حج بالناس أيضًا. وقال غيره^(٧): غزا فى التى قبلها، وفى التى بعدها بلاد مَلَطِيَّةَ وغيرها. وكان نقش خاتمّه: أُمِرُ بِاللّهِ مَخْلَصًا. وقيل: كان نقشه: يا وليد إنك ميت. ويقال: إنّ آخر ما تكلم به: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله.

وقال إبراهيم بن أبى عبلة^(٨): قال لى الوليد بن عبد الملك يومًا: فى كم تختم القرآن؟ قلت: فى كذا وكذا. فقال: أمير المؤمنين على شغلّه يختمه فى

(١) تقدم فى ص ٤٤٦.

(٢) تاريخ دمشق ٨٤٠/١٧ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٩٧، فوات الوفيات ٢٥٤/٤، وتاريخ الخلفاء ٢٢٣.

(٣) بعده فى الأصل، ٢، ص: «يشتغل فيها».

(٤) تاريخ دمشق ٨٤٢/١٧ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٩٧.

(٥) تاريخ دمشق ٨٤١/١٧ (مخطوط).

(٦) فى ٢، م، ص: «تسعين». وانظر تاريخ دمشق ٨٤١/١٧ (مخطوط).

(٧) تاريخ خليفة ٣٥٥/١، ٣٥٩.

(٨) تاريخ دمشق ٨٤٥/١٧ (مخطوط).

كُلُّ ثَلَاثٍ . وَقِيلَ : فِي كُلِّ سَبْعٍ . قَالَ : وَكَانَ يَقْرَأُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَبْعَ عَشْرَةَ خِتْمَةً . قَالَ إِبْرَاهِيمُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ : الْوَلِيدُ ! وَأَيْنَ مِثْلُهُ ؟ بَنَى مَسْجِدَ دِمَشْقَ ، وَكَانَ يُعْطِينِي قِصَاعًا^(١) الْفَضَّةَ ، فَأَقْسَمْتُهَا عَلَى قِرَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ .

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكَرٍ بِإِسْنَادٍ رَجَالُهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ^(٢) : خَرَجَ الْوَلِيدُ يَوْمًا مِنَ الْبَابِ الْأَصْغَرِ ، فَرَأَى رَجُلًا عِنْدَ الْحِثْنَةِ الشَّرْقِيَّةِ يَأْكُلُ شَيْئًا ، فَأَتَاهُ فَوَقَّفَ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ يَأْكُلُ خُبْزًا وَتَرَابًا ، فَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ : الْقَنُوعُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَذَهَبَ إِلَى مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ اسْتَدْعَى بِهِ ، فَقَالَ : إِنْ لَكَ لَشَاءَانَا^(٣) ، فَأُخْبِرْنِي بِهِ وَإِلَّا ضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ . فَقَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كُنْتُ رَجُلًا جَمَالًا ، فَبَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ مِنْ مَرَجِ الصُّفْرِ^(٤) قَاصِدًا إِلَى الْكُسُوءَةِ^(٥) ، إِذْ زَرَّتْنِي^(٦) الْبُولُ فَعَدَلْتُ إِلَى خَرِبَةٍ لِأَبُولَ ، فَإِذَا سَرَبَتْ فَحَفَرْتُهُ فَإِذَا مَالٌ صَبِيْبٌ ، فَمَلَأْتُ مِنْهُ غَرَائِرِي ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَقُوذُ بِرَوَاحِلِي ، وَإِذَا بِمِخْلَافَةٍ مَعِيَ فِيهَا طَعَامٌ فَأَلْقَيْتُهُ مِنْهَا ، وَقُلْتُ : إِنِّي سَأَتِي الْكُسُوءَةَ ، وَرَجَعْتُ إِلَى الْخَرِبَةِ ، لِأَمْلَأَ تِلْكَ الْمِخْلَافَةَ مِنْ ذَلِكَ الْمَالِ ، فَلَمْ أَهْتَدِ إِلَى الْمَكَانِ بَعْدَ الْجَهْدِ فِي الطَّلَبِ ، فَلَمَّا أَيْسَرْتُ رَجَعْتُ إِلَى الرَوَاحِلِ فَلَمْ أَجِدْهَا وَلَمْ أَجِدِ الطَّعَامَ ، فَالَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنِّي لَا آكُلُ إِلَّا خُبْزًا وَتَرَابًا . [١٥٦/٧] قَالَ : فَهَلْ لَكَ عِيَالٌ ؟ قَالَ :

(١) فِي م : « قَطْع » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ١٧ / ٨٤٥ ، ٨٤٦ (مَخْطُوط) ، مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بِهِ .

(*) مِنْ هُنَا تَبْدَأُ نَسْخَةُ مَكْتَبَةِ بَرْنَسْتُونِ بِأَمْرِيكََا ، وَالَّتِي يَرْمِزُ لَهَا بِالرَّمْزِ (ب) .

(٣) مَرَجِ الصُّفْرِ : مَوْضِعٌ بِدِمَشْقَ . مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ٤ / ٤٨٨ .

(٤) الْكُسُوءَةُ : قَرْيَةٌ هِيَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ تَنْزِلُهُ الْقَوَافِلُ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى مِصْرَ . مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ٤ / ٢٧٥ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « أَرْزَمَنِي » ، وَفِي بَاقِي النُّسخِ : « زَرَمَنِي » . وَالمُثَبِّتُ مِنْ تَارِيخِ دِمَشْقَ ١٧ / ٨٤٦ .

(٦) وَزَرَّتْ : خَنَقَ . تَاجُ الْعُرُوسِ (زَرَّتْ) .

نعم . ففرض له ^(١) في بيت المال .

قال ابن جابر ^(٢) : وبلغنا أن تلك الرواحل سارت حتى أتت بيت المال فتسلمها خازنؤه فوضعها في بيت المال ^(٣) .

وقال نعيم بن عبد الله الشَّعْنَانِي ^(٤) ، عن أبيه ، قال ^(٥) : قال الوليد بن عبد الملك : لولا أن الله ذكر قوم لوط في القرآن ما ظننت أن أحدًا يفعل هذا ^(٦) .

قالوا ^(٧) : وكان الوليد لحائنًا ، كما جاء من غير وجه أن الوليد خطب يومًا ، فقرأ في خطبته : ﴿ يَلْتَمِتْهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴾ [الحاقة : ٢٧] فضمَّ التاء من ﴿ لَيْتَهَا ﴾ ، فقال عمر بن عبد العزيز : يا ليتها كانت عليك وأراحنا الله منك . وكان يقول : يا أهل المدينة .

وقال عبد الملك يومًا لرجل من قريش ^(٨) : إنك لرجل لولا أنك تلحن . فقال : وهذا ابنك الوليد يلحن . فقال : لكن ابني سليمان لا يلحن . فقال الرجل : وأخي أبو فلان لا يلحن .

(١) في الأصل : « لهم » .

(٢) في ١ ، ٢ ، ب ، م ، ص : « جرير » . وانظر تاريخ دمشق ٨٤٦/١٧ (مخطوط) .

(٣) بعده في ١ ، ٢ ، ب ، م ، ص : « وقيل : إن الوليد قال له : ذلك المال وصل إلينا ، واذهب إلى إبلتك فخذها . وقيل : إنه دفع إليه شيئًا من ذلك المال يقيته وعياله » .

(٤) في الأصل ، ١ ، ٢ ، ب ، ص : « الشعناني » . وفي م : « الشَّعْنَانِي » . والمثبت من تاريخ دمشق ٨٤٦/١٧ (مخطوط) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٨٤٦/١٧ من طريق نعيم بن عبد الله عن أبيه .

(٦) بعده في م زيادة من الناسخ .

(٧) تاريخ دمشق ٨٤٦/١٧ (مخطوط) ، وتاريخ الخلفاء ٢٢٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٩٩ بنحوه .

(٨) تاريخ دمشق ٨٤٦/١٧ (مخطوط) .

قال ابن جرير^(١) : حَدَّثَنِي عُمَرُ، ثَنَا عَلِيُّ - يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيُّ - قَالَ :
 كَانَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عِنْدَ أَهْلِ الشَّامِ أَفْضَلَ خَلَائِفِهِمْ ، بَنَى الْمَسَاجِدَ بِدِمَشْقَ ،
 وَوَضَعَ الْمَنَارَ ، وَأَعْطَى النَّاسَ ، وَأَعْطَى الْمُجْدُومِينَ ، وَقَالَ لَهُمْ : لَا تَسْأَلُوا النَّاسَ ،
 وَأَعْطَى كُلَّ مُتَقَعِدٍ خَادِمًا ، وَكُلَّ ضَرِيرٍ قَائِدًا ، وَفَتَحَ فِي وَلايَتِهِ فُتُوحَاتٍ كَثِيرَةً
 عَظِيمًا^(٢) ، فَفَتَحَ الْهِنْدَ وَالسِّنْدَ وَالْأَنْدَلُسَ^(٣) ، وَغَيْرَ ذَلِكَ . قَالَ : وَكَانَ مَعَ هَذَا يُؤَرِّقُ
 بِالْبَقَالِ فَيَأْخُذُ حُزْمَةَ الْبَقْلِ بِيَدِهِ ، وَيَقُولُ : بَكُمْ تَبِيعُ هَذِهِ ؟ فَيَقُولُ : بَقْلَسِ .
 فَيَقُولُ : زِدْ فِيهَا فَإِنَّكَ تَرَبِّخُ .

وَذَكَرُوا^(٤) أَنَّهُ كَانَ يَبْرُ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ وَيُكْرِثُهُمْ وَيَقْضِي عَنْهُمْ دِيُونَهُمْ .

قالوا^(٥) : وَكَانَتْ هِمَّةُ الْوَلِيدِ فِي الْبِنَاءِ وَكَانَ النَّاسُ كَذَلِكَ ؛ يَلْقَى الرَّجُلُ
 الرَّجُلَ ، فَيَقُولُ : مَاذَا بَنَيْتَ ؟ مَاذَا عَمَرْتَ ؟ وَكَانَتْ هِمَّةُ أَخِيهِ سُلَيْمَانَ فِي
 النِّسَاءِ ، فَكَانَ النَّاسُ كَذَلِكَ ؛ يَلْقَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ ، فَيَقُولُ : كَمْ تَزَوَّجْتَ ؟ مَاذَا
 عِنْدَكَ مِنَ السَّرَارِيِّ ؟ وَكَانَتْ هِمَّةُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، وَالصَّلَاةِ
 وَالْعِبَادَةِ ، فَكَانَ النَّاسُ كَذَلِكَ ؛ يَلْقَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ ، فَيَقُولُ : كَمْ وَرَدُّكَ ؟ كَمْ
 تَقْرَأُ كُلَّ يَوْمٍ ؟ مَاذَا صَلَّيْتَ^(٦) الْبَارِحَةَ ؟ .

وقال الواقدي^(٧) : كَانَ الْوَلِيدُ سَجَارًا ذَا سَطْوَةٍ شَدِيدَةٍ لَا يَتَوَقَّفُ إِذَا غَضِبَ ،

(١) تاريخ الطبري ٤٩٦/٦ .

(٢) بعده في ٢١ ، ب ، م ، ص : « وَكَانَ يُرْسِلُ بَنِيهِ فِي كُلِّ غَزْوَةٍ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ » .

(٣) بعده في ٢١ ، ب ، م ، ص : « وَأَقَالِيمَ بِلَادِ الْعَجَمِ حَتَّى دَخَلَتْ جَبُوشَهُ إِلَى الصِّينِ » .

(٤) انظر في ذلك تاريخ الطبري ٤٩٦/٦ ، وتاريخ دمشق ٨٤٥/١٧ (مخطوط) بنحوها .

(٥) تاريخ الطبري ٤٩٧/٦ بنحوه .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « قَرَأْتَ » .

(٧) انظر في ذلك تاريخ الطبري ٤٩٩/٦ ، وفوات الوفيات ٢٥٥/٤ .

لجوجًا ، كثير الأكل والجِماع ، مطلقًا ، يقال : إنه تزوّج ثلاثًا وستين امرأة غير الإمام .

قلتُ : وقد يراؤ بهذا الوليدُ بنُ يزيدَ الفاسقُ لا الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ باني الجامع ، والله أعلم .

قلتُ : بنى الوليدُ الجامعَ على الوجه الذى ذكرنا ، فلم يكنْ له فى الدنيا نظيرٌ ، وبنى صخرة بيت المقدس ، عقَدَ عليها القُبَّةُ ، وبنى مسجدَ النبي ﷺ ، ووسَّعه حتى دخلتِ الحجرةُ^(١) التى فيها القبرُ^(٢) فيه ، وله آثارٌ حسانٌ كثيرةٌ جدًّا ، ثم كانت وفاته فى يومِ السبتِ للنصفِ من جُمادى الآخرة من هذه السنة . قال ابنُ جرير^(٣) : وهذا قولُ جميعِ أهلِ السيرِ . وقال عمرُو بنُ عليّ الفلاسُ وجماعة^(٤) : كانت وفاته يومَ السبتِ للنصفِ من [١٥٦/٧ ظ] ربيعِ الأولِ من هذه السنة عن ستٍّ ، وقيل : ثلاثٍ ، وقيل : تسعٍ ، وقيل : أربعٍ وأربعين سنةً .

وكانت وفاته بدَيْرِ مُرَّانَ ، فحُمِلَ على أعناقِ الرجالِ حتى دُفِنَ بمقابرِ بابِ الصغيرِ ، وقيل : بمقابرِ بابِ الفراديسِ . حكاها ابنُ عساكر^(٥) .

وكان الذى صلَّى عليه عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ؛ لأنَّ أخاه سليمانَ كان بالقدسِ الشريفِ ، وقيل : صلَّى عليه ابنُه عبدُ العزيزِ . وقيل : بل صلَّى عليه أخوه سليمانُ . والصحيحُ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، والله أعلم .

(١ - ١) فى الأصل : « النبوية » .

(٢) تاريخ الطبرى ٤٩٥/٦ .

(٣) تاريخ خليفة ٤١٣ ، وتاريخ دمشق ٨٤٩/١٧ (مخطوط) .

(٤) تاريخ دمشق ٨٤٨/١٧ (مخطوط) .

وهو الذى أنزله إلى قبره ، وقال حين أنزله ^(١) : لتنزله غير موسى ولا مهيدي ، قد خلقت الأسباب ^(٢) ، وفارقت الأحباب ، وسكنت التراب ، وواجهت الحساب ، فقيرا إلى ما ^(٣) تقدم عليه ^(٤) ، غنيا عما تخلف ^(٥) .

وجاء من غير وجه ^(٥) ، عن عمر بن عبد العزيز ، أنه أخبر أنه لما وضع الوليد فى لحده ارتكض فى أكفائه ، وجمعت رجلاه إلى عنقه .

وكانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر على المشهور ، والله أعلم .

قال المدائني ^(٦) : وكان له من الولد تسعة ^(٧) عشر ولدا ذكرا ؛ وهم عبد العزيز ، ومحمد ، والعباس ، وإبراهيم ، وتمام ، وخالد ، وعبد الرحمن ، ومبشر ، ومسروز ، وأبو عبيدة ، وصدقة ، ومنصور ، ومروان ، وعنبسة ، وعمر ^(٨) ، ورؤخ ، وبشر ، ويزيد ، ويحيى ، فأُم عبد العزيز ومحمد ؛ أُم البنين ^(٩) بنت عمه عبد العزيز بن مروان ، وأُم أبى عبيدة فزارية ، وسائرهم من أمهات أولاد شتى .

قال المدائني ^(١٠) : وقد رثاه جرير ، فقال :

-
- (١) تاريخ دمشق ٨٤٧/١٧ (مخطوط) .
(٢) فى ١ ٢ ، ب ، م ، ص : « الأسلاب » . وانظر تاريخ دمشق ٨٤٧/١٧ (مخطوط) .
(٣ - ٣) فى ١ ٢ ، ب ، م ، ص : « قدمت » .
(٤) فى ١ ٢ ، ب ، م ، ص : « آخرت » .
(٥) تاريخ دمشق ٨٤٧/١٧ (مخطوط) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٥٠٠ ، وتاريخ الخلفاء ٢٢٥ .
(٦) تاريخ الطبرى ٤٩٦/٦ بنحوه .
(٧) فى الأصل : « سبعة » .
(٨) فى تاريخ الطبرى : « عمرو » .
(٩) فى الأصل : « المؤمنين » .
(١٠) تاريخ الطبرى ٤٩٧/٦ . والأبيات فى ديوان جرير ٢٤٢/١ (ط . دار المعارف ، تحقيق الدكتور : نعمان محمد أمين طه) . وفيها اختلاف يسير .

يا عينُ جودى بدمعِ حاجة الذَّكْرُ فما لدمعِكَ بعدَ اليومِ مدَّخَرُ
 إنَّ الخليفةَ قد وازت شمائله غبراء مُلَحَّدَةً^(١) في "جولها زور"^(٢)
 أضحى بثوه وقد جلَّت مصيبتهم مثل النجومِ هوى من بينها القمرُ
 كانوا جميعًا فلم يدفع منيته عبدُ العزيزِ ولا زوخ ولا عمرُ
 ومُنْ هلك أيامَ الوليدِ بن عبد الملك :

زيادُ بنُ جاريةِ التميميِّ الدمشقي^(٣) ، كانت داره غربي قصرِ الثَّقَفِيِّينَ .
 روى عن حبيب بن مسلمة الفهري في النهي عن المسألة لمن له ما يغديه ويعشيه ،
 وفي النفل . ومنهم من زعم أنَّ له صحبةً ، والصحيح أنه تابعي . روى عنه عطيةُ
 ابنُ قيسٍ ومكحولٌ ويونسُ بنُ ميسرةَ بنِ حُلَيسٍ ، ومع هذا قال فيه أبو حاتم :
 شيخٌ مجهولٌ . ووثقه النسائي ، وابنُ حبانَ .

روى الحافظُ ابنُ عساكرَ^(٤) أنه دخل يومَ الجمعةِ إلى [١٥٧/٧] مسجدِ
 دمشقَ وقد أخرت الصلاة ، فقال : واللَّهِ ما بعثَ اللَّهُ نبيًّا بعدَ محمدٍ ﷺ أمرَكم
 بهذه الصلاةِ هذا الوقتَ . قال : فأخذ فأدخل الخضرَاءَ ففُطِعَ رأسُه ، وذلك في
 زمنِ الوليدِ بن عبد الملك .

(١) في الأصل : «مخلدة» . وفي ١ ٢ ، ب ، ص : «موحشة» . وهي في الديوان : «ملحودة» .
 (٢ - ٢) في الأصل ، ١ ٢ : «جوفها زور» . وفي ب ، ص : «جوفها زور» . والجول : الناحية والجانب .
 والزور : الاعوجاج .
 (٣) ترجمته في : التاريخ الكبير ٣/٣٤٨ ، والثقات ٤/٢٥٢ ، وتاريخ دمشق ١٩/١٣٤ وفيه حارثة ،
 وأسَدُ الغابة ٢/٢٦٨ ، وتهذيب الكمال ٩/٤٣٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ)
 ص ٣٥٩ ، والإصابة ٢/٦٥٥ .
 (٤) تاريخ دمشق ١٩/١٣٦ .

١) عبدُ الله بن عمرو^(٣) بن عثمان أبو محمد ، كان قاضى المدينة ، وكان شريفاً كثيرَ المعروفِ جواداً مُمدّحاً ، والله أعلم^(٤) .

٣) خلافة سليمان بن عبد الملك

ببيع له بالخلافة بعد موت أخيه الوليد يوم مات ، وكان يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وكان سليمان بالرملة ، وكان ولي العهد من بعد أخيه عن وصية أبيهما عبد الملك .

وقد كان الوليد قد عزم قبل موته على خلع أخيه سليمان ، وأن يجعل ولاية العهد من بعده لولده عبد العزيز بن الوليد ، وقد كان الحجاج طاوَّعه على ذلك ، وكذلك قتيبة بن مسلم وجماعة من أهل الشام - وقد أنشد في ذلك جرير^(٤) وغيره من الشعراء قصائد - فلم ينتظم ذلك له حتى مات ، وانعقدت البيعة لسليمان ، فخافه قتيبة بن مسلم وعزم على أن لا يُبايعه ، فعزله سليمان وولّى على إمرة العراق ثم خراسان يزيد بن المهلب ؛ فأعاده إلى إمرتها بعد عشر سنين ، وأمره بمعاوية آل الحجاج بن يوسف ، وكان الحجاج هو الذى عزل يزيد عن خراسان .

(١ - ١) زيادة من : ٢١ ، ب ، م ، ص .

(٢) فى النسخ : « عمر » . وانظر ترجمته فى : التاريخ الكبير ١٥٣/٥ ، وسمط الالكى ٤٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٤٠٣ ، والوفى بالوفيات ٣٨٤/١٧ ، وتهذيب التهذيب ٣٣٨/٥ والنجوم الزاهرة ٢٣٣/١ .

(٣) انظر ترجمته فى : المعرفة والتاريخ ٢٢٣/١ ، وسير أعلام النبلاء ١١١/٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٣٧٧ ، وفوات الوفيات ٤٠٠/١٥ ، وتاريخ الخلفاء ٢٢٥ .

(٤) ديوان جرير ٦٦٧/٢ - ٦٦٨ ، ٧١٥ . وانظر تاريخ الطبرى ٥٠٦/٦ .

١١) "ولسبح بقين من رمضان من هذه السنة عزل سليمان عن إمرة المدينة عثمان ابن حيان، وولى عليها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وكان أحد العلماء".

وقد كان قتيبة بن مسلم حين بلغه ولاية سليمان الخلافة كتب إليه كتابا يعزّيه في أخيه، ويهتته بولايته، ويذكر فيه بلائه وعناؤه وقاتله وهيبته في صدور الأعداء، وما فتح الله من البلاد والمدن والأقاليم الكبار على يديه، وأنه له على مثل ما كان للوليد من قبله من الطاعة والنصيحة، إن لم يعزله عن خراسان، ونال في هذا الكتاب من يزيد بن المهلب، ثم كتب كتابا ثانيا يذكر فيه ما فعل من القتال والفتوح وهيبته في صدور الملوك والأعاجم، ويذكر يزيد بن المهلب أيضا، ويُقسّم فيه لئلا يعزله وولى يزيد ليخلع سليمان عن الخلافة، وكتب كتابا ثالثا فيه خلع سليمان بالكلية، وبعث بها مع البريد، وقال له: ادفع إليه الكتاب الأول، فإن قرأه ودفعه إلى يزيد بن المهلب فادفع إليه الثاني، فإن قرأه ودفعه إلى يزيد، فادفع إليه الثالث، فلما قرأ سليمان الكتاب الأول - وافق حضور يزيد عند سليمان - دفعه إلى يزيد، فقرأه، فناوله البريد الثاني، فقرأه ودفعه إلى يزيد، فناوله البريد الثالث فقرأه فإذا فيه التصريح بعزله وخلعه، فتغيّر وجهه، ثم ختمه وأمسكه بيده ولم يدفعه إلى يزيد، وأمر بإنزال البريد في دار الضيافة، فلما كان من الليل بعث إلى البريد فأحضره ودفع إليه ذهبًا وكتابا فيه ولاية قتيبة على خراسان، وأرسل مع ذلك البريد بريدا آخر من جهته ليقرّره عليها، فلما [١٥٧/٧ ظ] وصل بلاد خراسان بلغهما أن قتيبة قد خلع الخليفة،

(١ - ١) سقط من: الأصل. وانظر تاريخ الطبري ٥٠٥/٦.

(٢ - ٢) سقط من الأصل.

فدفع بريد سليمان الكتاب الذي معه إلى بريد قتيبة، ثم بلغهما مقتل قتيبة قبل أن يرجع بريد سليمان.

ذكر سبب مقتل قتيبة بن مسلم^(١)

وذلك أنه جمع الجند والجيوش، وعزم على خلع سليمان وترك طاعته، وذكر لهم همته وفتوحه وعدله فيهم، ودفعه الأموال الجزيلة إليهم، فلما فرغ من مقالته، لم يُجِبْه أحدٌ منهم إلى مقالته، فشرع في تأنيبهم وذمهم، قبيلة قبيلة، وطائفة طائفة، فغضبوا عند ذلك ونفروا عنه وتفرقوا، وعملوا على مخالفته، وسعوا في قتله، وكان القائم بأعباء ذلك رجلٌ يقال له: وكيع بن أبي سود، فجمع جموعاً كثيرة، ثم ناهضه فلم يزل به حتى قتله في ذى الحجة^(٢) من هذه السنة، وقتل معه أحد عشر رجلاً من إخوانه وأبناء إخوانه، ولم يبق منهم سوى ضرار بن مسلم - وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن سعد بن زُرارة، فحمته أخواله - وعمرو بن مسلم، وكان عامل الجوزجان. وقتل قتيبة وعبد الرحمن وعبد الله وعبيد الله وصالح وبشار^(٣)، وهؤلاء أبناء مسلم، وأربعة من أبنائهم فقتلهم كلهم وكيع بن سود.

وقد كان قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة أبو حفص الباهلي، من سادات الأمراء وخيارهم، وكان من القادة النجباء الكبراء، والشجعان وذوى

(١) انظر ترجمته في: المعارف ٤٠٦، ووفيات الأعيان ٨٦/٤، ونهاية الأرب ٣٣٨/٢١، وتاريخ

الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٥٤، وسير أعلام النبلاء ٤١٠/٤.

(٢) في ب: «القعدة».

(٣) في ٢١: «سيار»، وفي ب، م، ص: «يسار». وانظر المعارف ٤٠٦، وتاريخ الطبري ٥١٦/٦.

الحروب والفتوحات السعيدة، والآراء^(١) الحميدة، وقد هدى الله على يديه خلقاً لا يُحصىهم إلا الله، فأسلموا ودانوا لله، عز وجل^(٢)، وفتح من البلاد والأقاليم الكبار والمدن العظام شيئاً كثيراً، كما تقدم ذلك مفصلاً مبيناً، والله سبحانه لا يضيّع سعيه ولا يخيّب تعبته وجهاده.

ولكن زلّ زلةً كان فيها حتفه، "وفعل فعلة" رغم فيها أنفه، وخلع الطاعة فبادرث إليه المنية، وفارق الجماعة، فمات ميتة جاهلية، لكن سبق له من الأعمال الصالحة ما قد يكفر الله بها عنه من سيئاته،^(٣) ويمحو بها عنه من خطيئاته^(٤)، والله يسامحه ويعفو عنه، ويتقبل منه ما كان يكابده من مُناجزة الأعداء. وكانت وفاته بفَرَغانة من أقصى بلاد خراسان، في ذى الحجة من هذه السنة، وله من العمر ثمان وأربعون سنة، وكان أبوه أبو صالح ممن قُتل مع مصعب بن الزبير، وكانت ولايته على خراسان عشر سنين، واستفاد وأفاد فيها خيراً كثيراً، وقد رثاه عبد الرحمن بن جُمَانَة الباهلي فقال^(٥):

كأنّ أبا حفص قتيبة لم يسر	بجيش إلى جيش ولم يغل منبرا
ولم تخفِ الرايات والقوم حوله	وقوف ولم يشهد له الناس عسكرا
دعته المنايا فاستجاب لربه	وراح إلى الجنّات عفا مُطهّرا
[١٥٨/٧] فما رزى الإسلام بعد محمد	بمثل أبي حفص ^(٦) فبكيه عبّها ^(٧)

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢ - ٢) في الأصل: «ضل ضلة».

(٣ - ٣) في ١، ٢، ب، م، ص: «ويضاعف به حسناته».

(٤) تاريخ الطبري ٥٢١/٦، والكامل ١٩/٥، ونهاية الأرب ٣٤٢/٢١.

(٥ - ٥) في ١، ٢: «قتيبة هل ترى».

(٦ - ٦) في ١، ٢: «فبكيه عبّها».

ولقد بالغ هذا الشاعرُ في بيته الأخير، وعبَّهزُمُ^(١) ولد له . وقال الطُّرماحُ^(٢)
في هذه الوقعة التي قُتِلَ فيها قتيبةُ^(٣) على يَدَيِ وكيعِ بنِ أبي^(٤) سُودٍ :

لولا فوارسُ مَذْجِجِ ابنةِ مَذْجِجِ والأزْدُ زُعَزَعُ واستُبيحَ العسْكَرُ
وتقطَّعتْ بهمُ البلادُ ولم يُؤْب منهم إلى أهلِ العراقِ مخبِرُ
واستُضِلَّتْ^(٥) عُقْدُ الجماعةِ وازدري أمرُ الخليفةِ واستُحِلَّ المنكَرُ
قومُ همو قتلوا قتيبةَ غنوةً والحيلُ جانحةٌ^(٦) عليها العِثِرُ^(٧)
بالمرجِ مرجِ الصَّينِ حيثُ تبيثُ مُضَرُّ العراقِ مِنَ الأعزِّ الأكبرُ
إذ حالفَتْ جزعًا ربيعةُ كلُّها وتفرَّقتْ مضَرٌّ وَمَنْ يَتَمَضَّرُ
وتقدَّمتْ أزدُ العراقِ ومَذْجِجُ للموتِ يجمَعُها أبوها الأكبرُ
قحطانُ تضربُ رأسَ كلِّ مُدْجِجِ تحمى بصائرهنَّ إذ لا تبصِرُ
والأزدُ تعلمُ أنَّ تحتَ لوائِها مُلكًا قُرَاسِيَّةً^(٨) وموتُ أحمرُ
فبعزُّنا نُصِرَ النبيُّ محمدٌ وبنا تثبتُ في دمشق المنبرُ
وقد بسطَ ابنُ جريرٍ هذه القصةَ^(٩) بسطًا كثيرًا وذكرَ أشعارًا كثيرةً جدًا .

(١) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر التخريج .

(٢) تاريخ الطبري ٥٢٠ / ٦ ، ٥٢١ .

(٣) سقط من : م .

(٤) سقط من : ٢ ، ب ، م ، ص .

(٥) في الأصل ، ب ، ص : « استطلقت » ، وفي ٢ : « استطلعت » .

(٦) في ٢ ، ب ، م ، ص : « جامحة » .

(٧) في الأصل : « العنبر » ، وفي ٢ ، ص : « العيثر » ، وفي ب : « العيثر » . والعنبر : الغبار .

(٨) في الأصل ، ٢ ، ب ، ص : « فراسته » .

والقُرَاسِيَّة : القوي من الإبل ، وقال الزمخشري : ومن المجاز ملك قُرَاسِيَّة ، وأورد بيت الطرماح هذا .
أساس البلاغة (ق ر س) .

(٩) في م : « القصيدة » . تاريخ الطبري ٥٠٦ - ٥٢٢ .

وقال القاضي ابنُ خَلْكان^(١) : وقال^(٢) جريرٌ في قتيبةَ بنِ مسلمٍ - رحمه الله وسامحه :

نَدِمْتُ على قَتْلِ الأغرِّ^(٣) ابنِ مسلمٍ وأنتم إذا لاقَيْتُم اللهَ أنَدَمُ
لَقَدْ كُنْتُ من غزوه في غَنِيمةٍ وأنتم لَمَنْ لاقَيْتُم اليومَ مَغْنَمُ
على أَنَّهُ أَفْضَى إلى حُورِ جَنَّةٍ وتُطَبِّقُ بالبلوى عليكم جهنَّمُ
قال : وقد ولي من أولاده وذريته جماعةُ الإمرةِ في البلدان ، فمنهم عمرو^(٤)
ابنُ سعيدٍ^(٥) بنِ سلمٍ^(٦) بنِ قتيبةَ بنِ مسلمٍ وكان جَوَادًا ممدَّحًا ، رثاه حين مات أبو
عمرو أشجعُ بنُ عمرو السَّلَمي الرُّقِّي^(٧) نزيلُ البصرة بقوله^(٨) :

مَضَى ابنُ سعيدٍ حين^(٩) لم يبقَ مَشْرِقٌ ولا مَغْرِبٌ إلا له فيه مَادِحُ
وما كُنْتُ أدري ما فَوَاضِلُ كَفِّهِ على الناسِ حتى غَيَّبَتْهُ الصَّفَائِحُ
وأَصْبَحَ في لَحْدٍ مِنَ الأَرْضِ ضَيِّقٍ وكانت به حَيًّا تَضَيِّقُ الصَّحَاصِحُ^(١٠)
[١٥٨/٧ ط] سَابِكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَفَضَّ فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا تُجِرُ^(١١) الْجَوَانِحُ

(١) وفيات الأعيان ٨٨/٤ .

(٢) بعده في ٢١ ، ب ، ص : « ابن » .

(٣) في ٢١ ، ب ، م ، ص : « الأمير » .

(٤) في ٢١ ، ب ، م : « عمر » .

(٥ - ٥) سقط من : ٢١ ، ب ، م ، ص . وفي الأصل : « بن مسلم » . والمثبت من وفيات الأعيان ٨٨/٤ . وانظر المعارف ص ٤٠٧ .

(٦) في ٢١ ، ب ، م ، ص : « المرى » .

(٧) الحماسة لأبي تمام ٤١٣/١ ، ٤١٤ ، وزهر الآداب ٧٩٤/٢ ، وفيات الأعيان ٨٩/٤ .

(٨) في النسخ : « حيث » . وانظر مصادر التخريج .

(٩) الصحاح : جمع صحصح وهي الأرض المستوية الواسعة . اللسان (صحصح) .

(١٠) في م : « تجر » .

فما أنا مِنْ رُزْءٍ^(١) وإنَّ جَلَّ جازِعٌ ولا بسرورٍ بعدَ موتِكَ فارحٌ
 كأنَّ لم يُمُتْ حتَّى سواكَ ولم يَقُمْ على أحدٍ إلا عليكِ النوائحُ
 لكنَّ حُسْنَتْ فيكَ المراثي وذكُرُها لقد حُسْنَتْ مِنْ قَبْلُ فيكَ المدائحُ
 قال ابنُ خَلِّكانَ^(٢) : وهى مِنْ أحسنِ المراثي ، وهى فى الحماسَةِ . ثم تكَلَّم
 على باهَلَة ، وأنها قبيلةٌ مَرْدُولَةٌ عندَ العربِ ، قال : وقد رأيتُ فى بعضِ المجاميعِ أنَّ
 الأشعثَ بنَ قيسٍ قال : يا رسولَ اللَّهِ ، أَتَتَكافأُ دماؤُنا ؟ قال : « نعم ، ولو قَتَلْتَ
 رجلاً مِنْ باهَلَة لَقَتَلْتُكَ به »^(٣) . وقيل لبعضِ العربِ : أيسُرُكَ أنْ تدخلَ الجنةَ وأنتَ
 باهلي ؟ قال : بشرطٍ أنْ لا يعلمَ أهلُ الجنةِ بذلكِ . وسأل بعضُ الأعرابِ رجلاً : مِمَّنْ
 أنت ؟ فقال : مِنْ باهَلَة . فجعلَ يرثى له ، فقال : وأزِيدُكَ أنَّى لستَ مِنَ الصَّميمِ
 وإنما أنا مِنْ مواليهم . فجعلَ يَقْبُلُ يَدَيْهِ ورجليهِ ، فقال : وَلِمَ تَفْعَلُ هذا ؟ فقال : لِأَنَّ
 اللَّهَ تعالى ما ابتلاك بهذه الرزِيَّةِ فى الدنيا إلا ليعوْضَكَ الجنةَ فى الآخرةِ .

ثم قال ابنُ جريرٍ^(٤) : وفى هذه السنةِ توفى قُرَّةُ بنُ شريكِ القيسِيّ^(٥) أميرُ
 مصرَ^(٦) مِنْ جهةِ الوليدِ^(٧) . وفيها حجَّ بالناسِ أبو بكرٍ بنُ^(٨) محمدٍ بنِ عمرو بنِ
 حزمٍ ، وكان هو الأميرُ على المدينةِ ، وعلى مكةَ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ خالدٍ

(١) فى م : « رزئى » .

(٢) وفيات الأعيان ٨٩/٤ - ٩١ .

(٣) سقط من : م .

(٤) تاريخ الطبرى ٥٢٢/٦ .

(٥) فى م : « العيسى » .

وانظر ترجمته فى : تاريخ دمشق ٤١٤/١٤ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ٤٠٩/٤ ، وتاريخ

الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٥٦ . وفيه « العيسى » .

(٦) بعده فى ٢١ ، ب ، م ، ص : « وحاكمها . قلت : هو قرة بن شريك أمير مصر » .

(٧) بعده فى ٢١ ، ب ، م ، ص : « وهو الذى بنى جامع الفيوم » .

(٨) سقط من : م .

ابن أسيد، وعلى حزب العراق وصلاتها يزيد بن المهلب، وعلى خراجها صالح
ابن عبد الرحمن، وعلى نيابة البصرة ليزيد بن المهلب سفيان بن عبد الله
الكندي، وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن
أبي موسى، وعلى حرب خراسان وكيع بن أبي^(١) شويد.

(١) سقط من : م .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين

وفيها جهز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القُسطنطينية . وفيها أمر ابنه داود على الصائفة ، ففتح حصن المرأة .

قال الواقدي^(١) : وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الوضاحية فافتتح الحصن الذي فتحه^(٢) الوضاح صاحب الوضاحية .

^(٣) وفيها غزا مسلمة أيضا بَرْجَمَةَ ، ففتح حصونًا ، وبَرْجَمَةَ ، وحصن الحديد وسَرْذَوْسَل^(٤) ، وشَتَّى بأرض الروم^(٥) .

وفيها غزا عمر بن هُبيرة الفزارى فى البحر أرض الروم وشَتَّى بها . وفيها قتل عبد العزيز بن موسى بن نُصير ، وقدم برأسه على سليمان بن عبد الملك^(٥) حبيب ابن أبى عبيد الفهرى .

وفيها [١٥٩/٧] ولَّى سليمان نيابة خراسان ليزيد بن المهلب ، مُضافًا إلى ما بيده من إمرة العراق ، وكان سبب ذلك أنَّ وكيع بن أوى سود لما قتل قتيبة بن مسلم وذريته ، بعث برأس قتيبة إلى سليمان فحطى عنده ، وكتب له بإمرة خراسان ، فبعث يزيد بن المهلب عبد الرحمن بن الأهمم إلى سليمان بن عبد الملك ؛ ليحسن عنده أمر يزيد بن المهلب فى إمرة خراسان ، ويتقصر عنده

(١) تاريخ الطبرى ٥٢٣/٦ .

(٢) فى م : « بناء » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل . وانظر تاريخ خليفة ١ / ٤٢٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ -

١٠٠هـ) ص ٢٦٦ .

(٤) فى ١ ٢ ، ب ، ص : « سردا » ، وفى م : « دسرا » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٥) بعده فى ١ ٢ ، ب ، م ، ص : « أمير المؤمنين مع » .

وكيع بن أبي^(١) شؤد، فسار ابن الأهم - وكان ذا ذهاب ومكر - إلى سليمان بن عبد الملك، فلم يزل به حتى عزل وكيعاً عن خراسان، وولّى عليها يزيد مع إمرة العراق، وبعث بعهد مع ابن الأهم، فسار في سبع حتى جاء يزيد، فأعطاه عهد خراسان مع العراق، وكان يزيد وعده بمائة ألف فلم يف له بها، وبعث يزيد ابنه مخلدًا بين يديه إلى خراسان، ومعه كتاب أمير المؤمنين؛ مضمونه أن قيسًا زعموا أن قتيبة بن مسلم لم يكن خلع الطاعة، فإن كان وكيع قد تعرض له، وثار عليه بسبب أنه خلع ولم يكن خلع فقيده، وابعث به إلى. فتقدم مخلد فأخذ وكيعاً فعاقبه، وحسبه قبل أن يجيء أبوه، فكانت إمرة وكيع بن أبي شؤد^(٢) على خراسان^(٣) تسعة أشهر أو عشرة أشهر، ثم قدم يزيد بن المهلب فتسلم خراسان وأقام بها، واستتاب في البلاد نوابًا، ذكرهم ابن جرير^(٤).

قال^(٥): وفيها حج بالناس سليمان بن عبد الملك. ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها، غير أن خراسان عزل عنها وكيع بن أبي شؤد^(٥)، ووليها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة مع العراق.

ومن توفي فيها من الأعيان:

(١) سقط من: ٢١، ب، م، ص.

(٢ - ٢) في ٢١، ب، م، ص: «الذي قتل قتيبة».

(٣) انظر تاريخ الطبري ٥٢٦/٦.

وبعده في ٢١، ب، م، ص: «قال: ثم سار يزيد بن المهلب فغزا جرجان ولم تكن يومئذ مدينة بأبواب وصور وإنما هي جبال وأودية، وكان ملكها يقال له: صول. فتحول عنها إلى قلعة هناك وقيل إلى جزيرة في بحيرة هناك، ثم أخذوه من البحيرة وقتلوا من أهلها خلقا كثيرا وأسرُوا وغنموا».

(٤) تاريخ الطبري ٥٢٩/٦.

(٥) سقط من: م.

الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد القرشي الهاشمي^(١). روى عن أبيه، عن جدّه مرفوعاً^(٢): «مَنْ عَالَ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَهُمْ وَلَيْلَتُهُمْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ». وعن عبد الله بن جعفر، عن عليّ في دعاء الكرب^(٣)، وعن زوجته فاطمة بنت الحسين. وعنه ابنه عبد الله وجماعة. وقد وفد على عبد الملك بن مروان فأكرمه ونصره على الحجاج، وأقرّه وحده على ولاية صدقة عليّ. وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر^(٤) فأحسن، وذكر عنه آثاراً تدلّ على سيادته^(٥) وعلمه وتسنيته، رحمه الله^(٦). وقيل^(٧): إنّ الوليد ابن عبد الملك كتب إلى عامله بالمدينة: إنّ الحسن بن الحسين كاتب أهل العراق، فإذا جاءك كتابي هذا فاجلده مائة ضربة، وقفه للناس، ولا أراني إلا قاتله. فأرسل خلفه فعلمه عليّ بن الحسين كلمات الكرب، فقالها حين دخل عليه فنجاه الله منهم، وهى: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض رب العرش العظيم. توفي بالمدينة، وكانت أمّه حوّلة بنت منظور الفزارى^(٨).

(١) انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٣١٩/٥، وتاريخ دمشق ٦١/١٣، وتهذيب الكمال ٩٠/٦، وسير أعلام النبلاء ٤٨٣/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٢٨، والوفى بالوفيات ٤١٦/١١.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦١/١٣ بسنده، من طريق الحسن به.
(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٤٧٨، ١٠٤٧٩، ١٠٤٨٠)، من ثلاث طرق عن علي بن الحسن به، وفيه قصة.

(٤) انظر تاريخ دمشق ٦١/١٣.

(٥ - ٥) سقط من: ٢١، م، ص.

(٦ - ٦) زيادة من: ٢١، ب، م، ص.

(٧) تاريخ دمشق ٦٥/١٣، ٦٦، وبغية الطلب ٣٥١/٥، ٣٥٢.

وقال يوماً لرجلٍ من [١٥٩ظ] الراضية: واللّه إن قَتَلْتَ لَقَرَبَةً إِلَى اللّهِ، عَزَّ وَجَلَّ. فقال له الرجل: إنك تَمَزُّح. فقال: واللّه ما هذا منى بمزح ولكنه الجِدُّ^(١). وقال له رجلٌ^(٢) منهم^(٣): أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ»؟ فقال: بلى، ولو أَرَادَ الْخِلَافَةَ لَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، اعْلَمُوا أَنَّ هَذَا وَلِيُّ أَمْرِكُمْ وَالْقَائِمُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا، واللّه لئن كَانَ اللّهُ وَرَسُولُهُ اخْتَارَ عَلِيًّا لِهَذَا الْأَمْرِ ثُمَّ تَرَكَهُ عَلِيٌّ لَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَرَكَ أَمْرَ اللّهِ وَرَسُولِهِ.

وقال لهم أيضاً^(٤): واللّه لئن وُلِّينَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا لَنَقُطَّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَا نَقْبَلُ لَكُمْ تَوْبَةً، وَيَلْكُمْ غَزَرْتُمُونَا مِنْ أَنْفُسِنَا، وَيَلْكُمْ لَوْ كَانَتِ الْقَرَابَةُ تَنْفَعُ بِلَا عَمَلٍ لَنَفَعْتُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ. فلو كَانَ مَا تَقُولُونَ فِينَا حَقًّا لَكَانَ آبَاؤُنَا^(٥) إِذْ لَمْ يُعْلَمُوا بِذَلِكَ قَدْ ظَلَمُونَا وَكْتَمُوا عَنَّا أَفْضَلَ الْأُمُورِ^(٦)، واللّه إِنِّي لِأَخْشَى أَنْ يَضَاعَفَ لِلْعَاصِي مِمَّا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ، كَمَا إِنِّي لِأَرْجُو لِلْمُحْسِنِ مِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ، وَيَلْكُمْ أَجَبُونَا إِنْ أَطَعْنَا اللّهُ^(٧)، وَأَبْغَضُونَا إِنْ عَصَيْنَا اللّهُ^(٨).

موسى بن نُصَيْرٍ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ اللَّخْمِيُّ^(٩)، مولاهم، كَانَ مَوْلَى لَامْرَأَةٍ

(١) تاريخ دمشق ٦٧/١٣، وبغية الطلب ٣٥٤/٥، ٣٥٥.

(٢) فى ٢١، ب، م، ص: «آخر».

(٣) تاريخ دمشق ٦٩/١٣، وبغية الطلب ٣٥٥/٥.

(٤) تاريخ دمشق ٦٩/٥.

(٥ - ٥) فى الأصل: «قد غشنا إذ لم يعلمونا بذلك».

(٦) بعده فى ٢١، ب، م، ص: «على طاعته».

(٧) بعده فى ٢١، ب، م، ص: «على معصيته». وانظر الأثر فى تاريخ دمشق ٧٠/٩.

(٨) انظر ترجمته فى: تاريخ علماء الأندلس ١٤٦/٢، وجذوة المقتبس ٣٣٨، وبغية الملتبس ٩٩،

والحلة السيرة ٣٣٢/٢، ووفيات الأعيان ٣١٨/٥، وسير أعلام النبلاء ٤٩٦/٤، وتاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٨٥، ونفع الطيب ٢٨٣/١.

منهم، وقيل: كان مولى لبنى أمية. افتتح بلاد المغرب، ^(١) وغنم منها أموالاً لا تُعد ولا توصف، وله بها مقامات مشهورة هائلة ^(٢)، ويقال ^(٣): إنه كان أعرج. ويقال ^(٤): إنه وُلد سنة تسع عشرة. وأصله من عين التمر، وقيل ^(٥): إنه من إراشة ^(٦) من بلي. شبي أبوه من جبل الخليل من الشام في أيام الصديق، وكان اسم أبيه نصرًا فصغر.

روى عن تميم الداري. وروى عنه ابنه عبد العزيز، ويزيد بن مسروق اليخصبي. وولى غزو البحر لمعاوية، فغزا قبرص، وبني هنالك حصوناً كالماغوصية وحصن يانس ^(٧) وغير ذلك من الحصون التي بناها بقبرص، وكان نائب معاوية عليها بعد أن فتحها معاوية في سنة سبع وعشرين. وشهد مرج راهط مع الضحاك بن قيس، فلما قُتل الضحاك لجأ موسى بن نصير إلى عبد العزيز بن مروان، ثم لما دخل مروان بلاد مصر كان معه فتركه عند ابنه عبد العزيز، ثم لما أخذ عبد الملك بلاد العراق جعله وزيراً عند أخيه بشر بن مروان.

وكان موسى بن نصير هذا ذا رأي وتدبير وحزم وخبرة بالحرب. قال الفسوي ^(٨): ولى موسى بن نصير إمرة بلاد إفريقية سنة تسع وسبعين، فافتتح

(١ - ١) زيادة من: ٢، ب، م، ص.

(٢) تاريخ دمشق ٤٠٧/١٧ (مخطوط).

(٣) إراشة: أبو قبيلة من بلي، وهو إراشة بن عامر بن عبيلة بن قسيميل بن قزان بن عمرو بن بلي. تاج العروس (أ ر ش).

(٤) في الأصل، ٢، م، ص: «يانس».

(٥) المعرفة والتاريخ ٤٣٢/٣.

بلادًا كثيرة^(١). وقد ذكرنا أنه افتتح بلاد الأندلس^(٢)، وهى بلاد ذات مدین وقرى وريف^(٣)، فسبى منها ومن غيرها خلقًا كثيرًا، وغنم أموالًا جزیلة، [١٦٠/٧] من الذهب^(٤) والجواهر النفيسة شيئًا لا يحصى ولا يُعد، وأما الآلات والمتاع والدواب فشيء لا يُدرى ما هو، وسبى من الغلمان الحسان والنساء الحسان شيئًا كثيرًا، حتى قيل: إنه لم يسب^(٥) أحد مثله من الأعداء، وأسلم أهل المغرب على يديه، وبث فيهم الدين والقرآن، وكان إذا سار إلى مكان، تحمل الأموال معه على العجل لكثرتها وعجز الدواب عنها.

وقد كان موسى بن نصير هذا يفتح فى بلاد المغرب، وفتية يفتح فى بلاد المشرق، فجزاهما الله خيرًا، فكلاهما فتح من الأقاليم والبلدان شيئًا كثيرًا، ولكن موسى بن نصير حظى بأشياء لم يحظ بها فتية، حتى قيل^(٦): إنه لما فتح الأندلس جاءه رجل فقال: ابعث معى رجالًا حتى أدلك على كنز عظيم، فبعث معه رجالًا فأتى بهم إلى مكان، فقال: احفروا. فحفروا فأفضى بهم الحفر إلى قاعة عظيمة ذات لواوين حسنة، فوجدوا هناك من اليواقيت والجواهر والزرجد ما أبهتتهم، وأما الذهب فشيء لا يعبر عنه، ووجدوا فى ذلك الموضع الطنافس، الطنفسة منها منسوجة بقضبان الذهب، منظومة باللؤلؤ الغالى المفتخر، والطنفسة منظومة بالجواهر الثمن، واليواقيت التى ليس لها نظير فى شكلها^(٧)

(١) بعده فى ٢١، ب، م، ص: «جدا مدنا وأقاليم».

(٢) انظر ما تقدم فى ٨٣/٩، ٨٦.

(٣ - ٣) فى الأصل: «وأخذ بلدانا كثيرة».

(٤ - ٤) فى الأصل: «واللآلى التى قيل: إنه لم يسب أحد مثله من الأعداء».

(٥) فى م: «يسلب».

(٦) تاريخ دمشق ١٧/٤٠٩، ٤١٠ (مخطوط).

^(١) وحسنها وصفاتها . ولقد سمع يومئذ مناد ينادى لا يرون شخصه : أيها الناس ، إنه قد فُتح عليكم باب من أبواب جهنم فخذوا جذركم . وقيل ^(٢) : إنهم وجدوا في هذا الكنز مائدة سليمان بن داود التي كان يأكل عليها ^(٣) . وقد جمع أخباره وما جرى له في حروبه وغزواته رجل من ذريته يقال له : أبو معاوية معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير النُصيري .

وروى الحافظ ابن عساكر ^(٤) أن عمر بن عبد العزيز سأل موسى بن نصير حين قديم دمشق أيام الوليد عن أعجب شيء رآه ^(٥) في البحر ، فقال : انتهينا مرة إلى جزيرة فيها ست عشرة جرة ^(٦) خضراء ^(٧) مختومة عليها بخاتم سليمان بن داود ، عليهما السلام ، فأمرت بأربعة منها فأخرجت ، وأمرت بواحدة منها فتقيت فإذا ^(٨) شيطان ينفض رأسه ، وهو ^(٩) يقول : والذي أكرمك بالنبوة لا أعود بعدها أفسد في الأرض . قال : ثم ^(١٠) نظر فقال : واللّه ^(١١) لا أرى بها ^(١٢) سليمان وملكه . فانساح في الأرض ^(١٣) فذهب ، قال : فأمرت بالثلاث البواقي فودت إلى مكانها ^(١٤) .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) تاريخ دمشق ٤١١/١٧ (مخطوط) .

(٣) تاريخ دمشق ٤١١/١٧ ، ٤١٢ (مخطوط) .

(٤) في ١ ، ٢ ، ب ، م ، ص : « رأيت » .

(٥) في ص : « جزيرة » .

(٦) سقط من : م .

(٧) بعده في ١ ، ٢ ، ب ، م ، ص : « قد خرج منها » .

(٨) بعده في ١ ، ٢ ، ب ، م ، ص : « إن ذلك الشيطان » .

(٩) في م : « إني » .

(١٠) في م : « بهاء » .

(١١) انساح في الأرض ، يعنى : غاص فيها .

(١٢) بعده في ١ ، ٢ ، ب ، م ، ص : « وقد ذكر السمعاني وغيره عنه أنه سار إلى مدينة النحاس التي =

وقد استسقى موسى بن نصير بالناس في سنة ثلاث وتسعين حين أقحطوا بإفريقية، فأمرهم بصيام ثلاثة أيام قبل الاستسقاء، ثم خرج بين الناس، وميز أهل الذمة عن المسلمين، وفرق بين البهائم وأولادها، ثم أمر برفع^(١) الضجيج والبكاء، وهو يدعو الله تعالى حتى انتصف النهار، ثم نزل ف قيل له : ألا دعوت لأمر المؤمنين ؟ فقال : هذا موطن لا يُذكر فيه إلا الله . فسقاهم الله ، عز وجل ،^(٢) لما قال ذلك . وقد وفد موسى بن نصير على الوليد بن عبد الملك في آخر أيامه ، فدخل دمشق في يوم جمعة والوليد على المنبر ، وقد لبس موسى ثياباً حسنة وهيئة حسنة ، ومعه ثلاثون^(٣) من أبناء الملوك^(٤) والأشبان ، وقد ألبسهم تيجان الملوك مع ما معهم من الخدم والحشم والأئمة العظيمة ، فلما نظر إليهم الوليد وهو يخطب الناس على منبر جامع دمشق بُهت إليهم ، لما رأى عليهم من

= بقرب البحر المحيط الأخضر، في أقصى بلاد المغرب، وأنهم لما أشرفوا عليها رأوا بریق شرفاتها وحيطانها من مسافة بعيدة، وأنهم لما أتوها نزلوا عندها، ثم أرسل رجلاً من أصحابه ومعه مائة فارس من الأبطال، وأمره أن يدور حول سورها لينظر هل لها باب أو منفذ إلى داخلها، ف قيل : إنه سار يوماً وليلة حول سورها، ثم رجع إليه فأخبره أنه لم يجد باباً ولا منفذاً إلى داخلها، فأمرهم فجمعوا ما معهم من المتاع بعضه على بعض، فلم يلبغوا أعلى سورها، فأمر فعمل سلالم فصعدوا عليها، وقيل إنه أمر رجلاً فصعد على سورها، فلما رأى ما في داخلها لم يملك نفسه أن ألقاها في داخلها فكان آخر العهد به، ثم آخر فكذلك، ثم امتنع الناس من الصعود إليها، فلم يُحط أحد منهم بما في داخلها علماً، ثم ساروا عنها فقطعوها إلى بحيرة قريبة منها، ف قيل : إن تلك الجراز المذكورة وجدها فيها، ووجد عليها رجلاً قائماً، فقال له : ما أنت ؟ قال : رجل من الجن وأبي محبوب في هذه البحيرة حبسه سليمان، فأنا أجيء إليه في كل سنة مرة أزوره . فقال له : هل رأيت أحداً خارجاً من هذه المدينة أو داخلها إليها ؟ قال : لا ، إلا أن رجلاً يأتي في كل سنة إلى هذه البحيرة يتعمد عليها أياماً ثم يذهب فلا يعود إلى مثليها، والله أعلم ما هو . ثم رجع إلى إفريقية، والله أعلم بصحة ذلك، والعهد على من ذكر ذلك أولاً .

(١) في ١ ، ب ، م ، ص : « بارتفاع » .

(٢ - ٢) زيادة من : ١ ، ب ، م ، ص .

(٣) بعده في ١ ، ب ، م ، ص : « غلاما » .

(٤) بعده في ١ ، ب ، م ، ص : « الذين أسره » .

الحرير والجواهر والزينة البالغة، وجاء موسى بن نصير فسلم على الوليد وهو على المنبر، وأمر أولئك فوقفوا عن يمين المنبر وشماله، فحمد الله الوليد، وشكره على ما أيده به ووسع ملكه، وأطال الدعاء والتحميد والشكر حتى خرج وقت الجمعة، ثم نزل فصلى بالناس، ثم استدعى بموسى بن نصير فأحسن جائزته وأعطاه شيئاً كثيراً، وكان^(١) موسى قد قديم معه^(٢) بمائدة سليمان بن داود، عليهما السلام، التي كان يأكل عليها وكانت من خليطين؛ ذهب وفضة، وعليها ثلاثة أطواق لؤلؤ وجوهر لم يُر مثلاً^(٣)، وجدها في مدينة طليطلة من بلاد الأندلس مع أموال كثيرة. وقيل^(٤): إنه بعث ابنه مروان على جيش، فأصاب من السبي مائة ألف رأس، وبعث ابن أخيه في جيش، فأصاب مائة ألف رأس أيضاً من البربر، فلما جاء كتابه إلى الوليد وذكر فيه أن خمسين الغنائم أربعون ألف رأس. قال الناس: إن هذا أحق، من أين له أربعون ألف رأس خمسين الغنائم؟ فبلغه ذلك فأرسل أربعين ألف رأس وهي خمسون ما غنم، ولم يُسمع في الإسلام بمثل سبايا موسى بن نصير أمير المغرب.

^(٥) وقد جرت له عجائب في فتحه بلاد الأندلس وقال: لو انقاد الناس لي لقدنهم حتى أفتح بهم مدينة رومية - وهي المدينة العظمى في بلاد الفرنج - ثم ليفتحها الله على يدي إن شاء الله تعالى. ولما قديم على الوليد^(٥) قديم معه بثلاثين ألفاً من السبي غير ما ذكرنا، وذلك خمسون ما كان غنمه في آخر غزاه ببلاد

(١) في ٢١، ب، م، ص: «كذلك».

(٢) بعده في ٢١، ب، م، ص: «بشيء كثير من ذلك».

(٣) في ٢١، ب، م، ص: «مثله».

(٤) أخرج نحوه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٧ / ٤٠٩، ٤١٠ (مخطوط).

(٥ - ٥) سقط من: الأصل.

المغرب ، وقديم معه من الأموال والتحف والآلئ والجواهر ما لا يحُد ولا يوصف .
ولم يزل مقيمًا بدمشق حتى مات الوليد وتولى سليمان ، وكان عاتبا على
موسى فحبسه عنده ، وطالبه [١٦٠/٧ ظ] بأموال عظيمة . ولم يزل في يده حتى
حجَّ سليمان في هذه السنة وأخذه معه فمات بالمدينة^(١) . وقيل^(٢) : بوادي
القرى . وقد قارب^(٣) الثمانين ، وقيل^(٤) : توفي سنة تسع وتسعين . فالله أعلم .

(١) تاريخ دمشق ٤١٢/١٧ ، ٤١٣ (مخطوط) .

(٢) تاريخ دمشق ٤١٣/١٧ (مخطوط) .

(٣) في الأصل : « جاوز » .

(٤) وفيات الأعيان ٣٢٩/٥ .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَمَانٍ وَتَسْعِينَ

ففى هذه السَنَةِ جَهَّزَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ - أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - أَخَاهُ مُسْلِمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَغْزْوِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَرَاءَ الْجَيْشِ الَّذِينَ هُمُ بِهَا ، فَسَارَ إِلَيْهَا وَمَعَهُ جَيْشٌ عَظِيمٌ ، ثُمَّ التَفَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْجَيْشُ الَّذِينَ هُمُ هُنَاكَ ، وَقَدْ أَمَرَ كُلُّ رَجُلٍ^(١) مِنَ الْجَيْشِ أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ مِئْدِينَ مِنْ طَعَامٍ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا جَمَعُوا ذَلِكَ ، فَإِذَا هُوَ أَمْثَالُ الْجِبَالِ ، فَقَالَ لَهُمْ مُسْلِمَةُ^(٢) : أَتَزْكُوا هَذَا الطَّعَامَ وَكُلُّوهُ مِمَّا تَجِدُونَهُ فِي بِلَادِهِمْ ، وَازْرَعُوا فِي أَمَاكِنِ الزَّرْعِ وَاسْتَغْلَوْهُ ، وَابْتُوا لَكُمْ بِيُوتًا مِنْ خَشَبٍ ، فَإِنَّا لَا نَرْجِعُ عَنْ هَذِهِ الْبَلَدَةِ حَتَّى نَفْتَحَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .^(٣) وَقَدْ دَاخَلَ مُسْلِمَةَ رَجُلٌ^(٤) مِنَ النَّصَارَى يَقَالُ لَهُ : إِلْيُونُ . وَوِطَأَهُ فِي الْبَاطِنِ لِيَأْخُذَ لَهُ بِلَادَ الرُّومِ ، فَظَهَرَ مِنْهُ نُبُحْ فِي بَادِي الْأَمْرِ ، ثُمَّ إِنَّهُ تَوَفَّى مَلِكَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَدَخَلَ إِلْيُونُ فِي رِسَالَةٍ مِنْ مُسْلِمَةَ وَقَدْ خَافَتْهُ الرُّومُ خَوْفًا شَدِيدًا ، فَلَمَّا دَخَلَ إِلَيْهِمْ إِلْيُونُ قَالُوا لَهُ : زِدْهُ عَنَا وَنَحْنُ نَمْلِكُكَ عَلَيْنَا . فَخَرَجَ فَأَعْمَلَ الْحِيلَةَ فِي الْغَدْرِ وَالْمَكْرِ ، وَلَمْ يَزَلْ - قَبْحَهُ اللَّهُ - حَتَّى أَحْرَقَ ذَلِكَ الطَّعَامَ الَّذِي لِلْمُسْلِمِينَ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ لِمُسْلِمَةَ : إِنَّهُمْ مَا دَامُوا يَرَوْنَ هَذَا الطَّعَامَ عِنْدَكَ^(٥) يَظُنُّونَ أَنَّكَ^(٦) تُطَاوِلُهُمْ فِي الْقِتَالِ ، فَلَوْ أَحْرَقْتَهُ لَتَحَقَّقُوا مِنْكَ الْعِزَّمَ ، وَسَلَّمُوا لَكَ الْبَلَدَ سَرِيعًا ، فَأَمَرَ مُسْلِمَةُ

(١ - ١) فى الأصل: «منهم» .

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٣٠ ، الكامل ٢٧/ ٥ .

(٣ - ٣) فى ١ ، ب ، م ، ص : «ثم إن مسلمة داخل رجل» .

(٤) فى م : «رجلا» .

(٥) سقط من : ١ ، ب ، م ، ص .

(٦) فى الأصل: «أنهم» .

بالطعام فأحرق ، ثم انشمر إليوث في الشفن وأخذ ما أمكنه من أمتعة الجيش في الليل ، وأصبح وهو بالبلد محارباً للمسلمين ، وأظهر العداوة الأكيدة ، وتحصن بالبلد^(١) ، واجتمعت عليه الروم ، وضاق الحال على المسلمين ، حتى أكلوا كل شيء إلا التراب ، فلم يزل ذلك دأبهم حتى جاءتهم وفاة سليمان بن عبد الملك وتولية عمر بن عبد العزيز ، على ما سيأتي ، فكثروا راجعين إلى الشام ، وقد جهدوا جهداً شديداً ، لكن لم يرجع مسلمة حتى بنى مسجداً بالقسطنطينية^(٢) شديداً البناءً مُحْكَمًا ، رَحِبَ الفناء ، شاهقاً في السماء .

وقال الواقدي^(٣) : لما ولي سليمان بن عبد الملك أراد الإقامة ببيت المقدس ، ثم أرسل العساكر إلى القسطنطينية ، فأشار عليه موسى بن نصير بأن يفتح ما دونها من المدن والرساتيق والحصون ، حتى يبلغ المدينة ، فلا يأتيها إلا وقد هُدمت حصونُها ووهنت قوتُها ، فإذا فعلت ذلك لم يبق بينك وبينها مانع ، فيعطوا بأيديهم ويُسلموا لك البلد ، ثم استشار أخاه مسلمة فأشار عليه بأن يدع ما دونها من البلاد ويفتحها عنوة ، فمتى ما فتحت فإن باقى ما دونها من البلاد والحصون بيدك . فقال سليمان : هذا هو الرأي . ثم أخذ في تجهيز الجيوش من الشام والجزيرة فجهز في البر مائة وعشرين ألفاً ، وفي البحر مائة وعشرين ألفاً من المقاتلة ، وأخرج لهم الأعطية ، وأنفق فيهم الأموال الكثيرة ، وأعلمهم بغزو القسطنطينية والإقامة عليها إلى أن يفتحوها ، ثم سار سليمان من بيت المقدس فدخل دمشق ، وقد اجتمعت له العساكر فأمر عليهم أخاه مسلمة ، ثم قال :

(١) سقط من : ٢١ ، ب ، م ، ص .

(٢) في الأصل : « المدينة » .

(٣) أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥٠١ / ٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٢٦٩ ، عن سعيد بن عبد العزيز وليس الواقدي .

سيروا على بركة الله ، وعليكم بتقوى الله والصبر والتناصح والتناصف . ثم سار سليمان حتى نزل مَرْج دابق ، فاجتمع إليه الناس أيضا من المطوعة المحتسبين أجورهم على الله ، فاجتمع له جند عظيم لم يُر مثله ، ثم أمر مسلمة أن يرحل بالجيش وأخذ معه إليون الرومي المزعشي ، ثم ساروا حتى نزلوا على القسطنطينية فحاصرها إلى أن برح بهم^(١) ، وعرض أهلها الجزية على مسلمة ، فأبى إلا أن يفتحها عنوة ، قالوا^(٢) : فابعث إلينا إليون نشاوزه . فأرسله إليهم ، فقالوا له : زد هذه العساكر عنا ونحن نعطيك ونملكك علينا . فرجع إلى مسلمة ، فقال له^(٣) : قد أجابوا إلى فتحها غير أنهم لا يفتحونها ما لم تتخ عنهم . فقال مسلمة : إني أخشى غدرك ، فحلف له أن يدفع إليه مفاتيحها وما فيها ، فلما تنحى عنهم أخذوا في ترميم ما تهدم من أسوارها واستعدوا للحصار . وغدر إليون بالمسلمين ، فبَحَه الله .

قال ابن جرير^(٤) : وفي هذه السنة أخذ سليمان بن عبد الملك العهد لولده أيوب أن يكون الخليفة من بعده ، وذلك بعد موت أخيه مزوان بن عبد الملك^(٥) ابن مزوان ، فعدل عن ولاية أخيه يزيد إلى ولاية ولده أيوب ، وتربص بأخيه الدوائر ، فمات أيوب في حياة أبيه ، فبايع سليمان لابن عمه عمر بن عبد العزيز أن يكون الخليفة من بعده ، ولنعم ما فعل . وفيها فتحت مدينة الصقالية^(٦) . قال

(١) برح به وأبرح به : إذا ألح عليه في الأذى .

(٢) انظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٧١ .

(٣) في ب : « لهم » .

(٤) تاريخ الطبري ٥٣١ / ٦ ، ٥٣٢ .

(٥ - ٥) زيادة من : الأصل .

(٦) بلاد الصقالية : بلاد بين بلغار وقسطنطينية . معجم البلدان ٤٠٥ / ٣ .

الواقدي^(١) : وقد أغارت البرجان على جيش مسلمة وهو في قلة من الناس ، في هذه السنة ، فبعث إليه سليمان جيشا فقاتلوا البرجان حتى هزمهم الله عز وجل .

وفي هذه السنة غزا يزيد بن [١٦١/٧] المهلب دِهستان^(٢) من أرض الصين^(٣) فحاصرها وقاتل عندها قتالا شديدا ، ولم يزل حتى تسلمها ، وقتل من الترك الذين بها أربعة آلاف صبرا ، وأخذ منها من الأموال والأثاث والأمتعة ما لا يحصى ولا يوصف كثرة وقيمة وحسنا ، ثم سار منها إلى جرجان فاستجاش صاحبها بالديلم ، فقدموا لنجدته فقاتلهم يزيد بن المهلب وقتلوه ، فحمل محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي - وكان فارسا شجاعا باهرا - على ملك الديلم فقتله وهزمهم الله عز وجل ، ولقد بارز ابن أبي سبرة هذا يوما بعض فرسان الترك ، فضربه التركي بالسيف على البيضة فنشِب فيها ، وضربه ابن أبي سبرة فقتله ، ثم أقبل إلى المسلمين وسيفه يقطر دما^(٤) وسيف التركي ناشب^(٥) في خوذته ، فنظر إليه يزيد بن المهلب ، فقال : ما رأيت منظرا أحسن من هذا ، من هذا الرجل ؟ قالوا : ابن أبي سبرة . فقال : نعم الرجل لولا انهماكه في الشراب . ثم صمم يزيد بن المهلب على محاصرة جرجان ، وما زال يضيق على صاحبها حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف دينار ، ومائتي ألف ثوب ، وأربعمائة حمار موقرة زعفرانا ، وأربعمائة رجل ، على رأس كل رجل ثومن ،

(١) تاريخ الطبري ٥٣٢/٦ .

(٢) في الأصل ، ب ، م ، ص : « قهستان » . وهي كذلك في الكامل ٢٩/٥ ، وفي ٢١ : « قستان » .

والمثبت من تاريخ الطبري ٥٣٢/٦ ، والمتنظم ٢٧/٧ ، وانظر معجم البلدان ٢/٦٣٣ .

(٣ - ٣) زيادة من : ٢١ ، ب ، م ، ص .

(٤ - ٤) في الأصل : « وذلك السيف معلق » .

على التُّرْسِ طَيْلَسَانُ وَجَامٌ مِنْ فُضْيَةٍ وَسَرَقَةٌ^(١) مِنْ حَرِيرٍ .

وهذه المدينة كان سعيدُ بنُ العاصِ قد افْتَحَهَا صُلْحًا على أن يُؤَدُّوا الخراجَ في كُلِّ سَنَةٍ ،^(٢) فكانوا يَحْمِلُونَ في كُلِّ سَنَةٍ^(٣) مائةَ أَلْفٍ ، وفي سَنَةٍ مائَتَيْ أَلْفٍ ، وفي بعضِ السنين ثلاثمائةَ أَلْفٍ ، وَيَمْنَعُونَ ذلكَ في بعضِ السنين ، ثم امْتَنَعُوا جَمَلَةً وكَفَرُوا ، فغَزاهم يَزِيدُ بنُ المهلبِ ورَدَّهَا صُلْحًا على ما كانت عليه في زَمَنِ سعيدِ بنِ العاصِ . قالوا^(٤) : وأصاب يَزِيدُ بنُ المهلبِ مِنْ مُجْرَجَانِ^(٥) أموالًا كَثِيرَةً جَدًّا ، فكان مِنْ جَمَلَتِهَا تاجٌ فيه جواهرُ نَفِيسَةٌ ، فقال : أَتَرَوْنَ أَحَدًا يَزْهَدُ في هذا ؟ قالوا : لا^(٦) . فدعا بِمُحَمَّدِ بنِ واسِعٍ - وكان في الجيْشِ مِغَازِيًا - فَعَرَضَ عليه أَخَذَ التاجَ ، فقال : لا حَاجَةَ لِي فيه . فقال : أَقَسَمْتُ عَلَيْكَ لِتَأْخُذَهُ . فَأَخَذَهُ وخرَجَ به مِنْ عِنْدِهِ ، فَأَمَرَ يَزِيدُ رَجُلًا أن يَتَّبِعَهُ فيَنْظُرَ ماذا يَصْنَعُ بالتاجِ ؟ فمرَّ بِسائِلٍ ، فَطَلَبَ مِنْهُ شَيْئًا ، فَأَعْطَاهُ التاجَ بِكَمالِهِ وانصَرَفَ ، فبعَثَ يَزِيدُ إلى ذلكِ السائِلِ ، فَأَخَذَ مِنْهُ التاجَ وعَوَّضَهُ عَنْهُ مالًا كَثِيرًا .

وقال عليُّ بنُ مُحَمَّدٍ المدائنيُّ^(٧) : قال أبو بكرٍ الهذليُّ : كان شهرٌ بنُ حَوْشِبٍ على خِزائِنِ يَزِيدَ بنِ المهلبِ فَرَفَعُوا إليه أَنَّهُ أَخَذَ^(٨) خَريطَةً فيها مائةُ دِينَارٍ ، فَسأَلَهُ عَنْهَا فقال : نَعَمْ . وَأَحْضَرَهَا ، فقال له يَزِيدُ : هِيَ لَكَ . ثم اسْتَدْعَى

(١) السرقة : واحدة السرق ، وهو شَقَّقَ الحرير أو أجوده . الوسيط (س ر ق) .

(٢ - ٣) سقط من : م .

(٣) تاريخ الطبري ٥٣٩/٦ .

(٤) في م : « غيرها » .

(٥) بعده في ٢١ ، ب ، م ، ص : « نعلمه ، فقال : واللَّهِ إِنِّي لأعلم رجلاً لو عرض عليه هذا وأمثاله لزهَّدَ

فيه » . وانظر تاريخ الطبري ٥٣٩/٦ .

(٦) تاريخ الطبري ٥٣٨/٦ ، ٥٣٩ .

(٧) في ٢١ : « أخرج » .

الذى [١٦١/٧] وشى به فشمه ، فقال فى ذلك القطامى الكلبي - ويقال : إنها
لسنان بن مكمل الثميري :

لقد باع شهز دينه بخريطة فمن يأمر القراء بعدك يا شهز
أخذت به^(١) شيئاً طفيفاً^(٢) وبعته من ابن^(٣) جَوْنُودَ أَنْ^(٤) هذا هو الغدر
وقال مروة النخعي^(٥) :

يا ابن المهلب ما أردت إلى امرئ لولاك كان كصالح القراء
قال ابن جرير^(٦) : ويقال : إن يزيد بن المهلب كان فى غزوة جُزْجَانَ فى مائة
ألف وعشرين ألفاً ، منهم ستون ألفاً من جيش الشام أثابهم الله ، وقد تمهدت
تلك البلاد بفتح جُزْجَانَ وسلك الطريق ، وكانت قبل ذلك مخوفة جداً ، ثم
عزم يزيد على المسير إلى طبرستان^(٧) ، وقدم بين يديه سرية هى أربعة آلاف من
شُراة الناس ، فلما التقوا اقتتلوا قتالاً شديداً ، وقُتل من المسلمين فى المعركة أربعة
آلاف فإننا لله وإنا إليه راجعون . ثم عزم يزيد على فتح البلاد لا محالة ، وما زال
حتى صالحه صاحبها - وهو الإصْهبَندُ - بمال كثير ؛ سبعمائة ألف فى كل عام ،
وغير ذلك من المتاع والرقيق .

(١) فى الأصل ، ٢١ ، ب ، ص : « بها » .

(٢) فى ص : « لطيفاً » .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ٢١ ، ص : « حرنوكان » . كذا ، وفى ب : « حرنوكات » . وفى سير أعلام
النبلاء ٣٧٥ / ٤ : « جرير إن » ، وفى تاريخ دمشق ١٤٤ / ٨ : « جرير وان » . والمثبت موافق لما فى
الطبرى .

(٤) فى الأصل ، ٢١ ، ب ، ص : « الحنفى » . وفى م : « بن النخعي » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٥) تاريخ الطبرى ٥٣٩ / ٦ .

(٦) فى م : « خورستان » .

وَمَنْ تُوْفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

عبيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُثْبَةَ^(١) ، كان إمامًا مُحجَّجًا ، وكان مُؤدَّبَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وله رواياتٌ كثيرةٌ عن جماعةٍ مِنَ الصحابةِ .

أبو الحَفْصِ النَّخَعِيُّ^(٢) .

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ابنِ الحَنْفِيَّةِ^(٣) . وقد ذَكَرْنَا تَراجِمَهُمْ في « التَّكْمِيلِ » .
واللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

(١) انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٢٥٠/٥ ، والجرح والتعديل ٣١٩/٥ ، وطبقات الفقهاء ٦٠ ، وتهذيب الكمال ٧٣/١٩ ، وسير أعلام النبلاء ٤٧٥/٤ . وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٢١ .

(٢) طبقات ابن سعد ٢٨٩/٦ ، طبقات خليفة ٣٦٢/١ ، وتهذيب الكمال ٥٣٠/١٦ ، وسير أعلام النبلاء ١١/٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤١٢ .

(٣) انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٣٢٧/٥ ، والتاريخ الكبير ١٨٧/٥ ، والجرح والتعديل ١٥٥/٥ ، وتهذيب الكمال ٨٥/١٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٢٩/٤ . وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٠٥ .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين

فيها كانت وفاة سليمان بن عبد الملك، أمير المؤمنين، يوم الجمعة لعشر مَضَيْنَ - وقيل: بَقَيْنَ - مِنْ صَفَرٍ مِنْهَا^(١)، عن خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. وقيل: عن ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ^(٢). وقيل: إِنَّهُ لَمْ يَجَاوِزِ الْأَرْبَعِينَ^(٣). وكانت خِلاَفَتُهُ سِتِّينَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، وَزَعَمَ أَبُو أَحْمَدَ الْحَاكِمُ أَنَّهُ تَوَفَّى يَوْمَ الْجُمُعَةِ لثَلَاثَ عَشْرَةَ بَقِيَّةً مِنْ رَمَضَانَ مِنْهَا، وَأَنَّهُ اسْتَكْمَلَ فِي خِلاَفَتِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ تِسْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً^(٤). والصحيح قول الجمهور، وهو القول الأول. واللَّهُ أَعْلَمُ.

وهو سليمان بن عبد الملك بن مَرْوَانَ بن الْحَكَمِ بن أَبِي الْعَاصِ بنِ أُمَيَّةَ بن عبد شمس، الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ، أَبُو أَيُّوبَ^(٥).

كَانَ مَوْلَدُهُ بِالْمَدِينَةِ فِي بَنِي جَزِيلَةَ، وَنَشَأَ بِالشَّامِ عِنْدَ أَبِيهِ، وَرَوَى الْحَدِيثَ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فِي قِصَّةِ الْإِفْكِ، رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ^(٥)، مِنْ طَرِيقِ ابْنِهِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بنِ سُلَيْمَانَ عَنْهُ. وَرَوَى عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ هُنَيْدَةَ أَنَّهُ

(١) تاريخ الطبري ٥٤٦/٦.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٨١/١٠.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٧١/١٠، بنحوه.

(٤) انظر ترجمته في: الإنباء في تاريخ الخلفاء ٥٠، ووفيات الأعيان ٤٢٠/٢، ومختصر تاريخ دمشق ١٧٠/١٠، وسير أعلام النبلاء ١١١/٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص

٣٧٧، وتاريخ الخلفاء ٢٢٥ - ٢٢٨.

(٥) سقطت ترجمة سليمان بن عبد الملك من تاريخ ابن عساكر (مخطوط الظاهرية)، وأورد ترجمته

ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق ١٧٠/١٠.

صحب عبد الله بن عمر إلى الغاية، قال^(١): فسكت، فقال لي ابن عمر: ما لك؟ فقلت: كنت أتمنى، فهل^(٢) تتمنى يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: لو أن لي أخذًا هذا ذهبًا أعلم عدده وأخرج زكاته ما كرهت ذلك، أو قال: ما خشيته أن يضروني. رواه محمد بن يحيى الذهلي، عن أبي صالح، عن الليث، عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر، عن الزهري عنه.

قال الحافظ ابن عساكر^(٣): [١٦٢/٧] وكانت داره بدمشق موضع ميضأة يجيرون الآن في تلك الساحة جميعها، وبني دارًا كبيرة مما يلي باب الصغير - موضع الدرب المعروف بدرب مُحَرِّزٍ - وجعلها دار الإمارة، وعمل فيها قبة صفراء تشبها بالقبة الخضراء. قال: وكان فصيحًا مؤثرًا للعدل مُحِبًّا للغزو، وقد أنفذ الجيش لحصار القسطنطينية حتى صالحوهم على بناء الجامع بها.

وقد روى أبو بكر الصولي^(٤)، أن عبد الملك جمع بينه الوليد وسليمان ومسلمة بين يديه، فاستقرأهم القرآن فأجادوا القراءة، ثم استشهدهم الشعر فأجادوا، غير أنهم لم يكملوا أو يحكموا شعر الأعشى، فلامهم على ذلك، ثم قال: لينشدني كل رجل منكم أرق بيت قالته العرب ولا يفحش، هات يا وليد. فقال الوليد:

ما مركب وركوب الخيل يُعجِبُنِي كمركبٍ بين دُمْلُوجٍ وَخَلْخَالٍ
فقال عبد الملك: وهل يكون من الشعر أرق^(٥) من هذا؟ هات

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٧٠/١٠.

(٢) في م: «فقال ابن عمر: فما».

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٧٠/١٠.

(٤) مختصر تاريخ دمشق ١٧١/١٠، ١٧٢.

(٥) في ١، ٢، ب، م، ص: «أرق»، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٧١/١٠.

ياسليمان . فقال :

حَبَّذَا رَجَعُهَا يَدِيهَا إِلَيْهَا فِي يَدَي دِرْعُهَا تَحُلُّ الْإِزَارَا
فقال : لم تُصِيب ، هَاتِ يَا مُسَلِمَةُ ، فَأَنْشِدْهُ قَوْلَ امْرِئِ الْقَيْسِ ^(١) :

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبَنِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلٍ
فقال : كَذَبَ امْرَأُ الْقَيْسِ وَلَمْ يُصِيبْ ، إِذَا ذَرَفَتْ عَيْنَاهَا بِالْوَجْدِ فَمَا بَقِيَ إِلَّا
الَلْقَاءُ ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِلْعَاشِقِ ^(٢) أَنْ يَفْتَضِي ^(٣) مِنْهَا الْجَفَاءَ وَيَكْشُوهَا الْمَوَدَّةَ . ثم قال :
أَنَا مُؤْجِّلُكُمْ فِي هَذَا الْبَيْتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَمَنْ أَتَانِي بِهِ فَلَهُ حُكْمُهُ - أَيْ مَهْمَا طَلَبَ
أَعْطَيْتُهُ - فَهَيَّضُوا مِنْ عِنْدِهِ ، فَبَيْنَمَا سَلِيمَانُ فِي مَوْكِبٍ إِذَا هُوَ بِأَعْرَابِيٍّ يَسُوقُ إِبِلَهُ
وَهُوَ يَقُولُ :

لَوْ حُزَّ ^(٤) بِالسَّيْفِ رَأْسِي فِي مَوَدَّتِهَا لِمَالَ يَهْوِي سَرِيعًا نَحْوَهَا رَأْسِي
فَأَمَرَ سَلِيمَانُ بِالْأَعْرَابِيِّ فَاعْتَقِلَ ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى أَبِيهِ فَقَالَ : قَدْ جِئْتُكَ بِمَا سَأَلْتَ .
فقال : هَاتِ . فَأَنْشَدَهُ الْبَيْتَ ، فَقَالَ : أَحْسَنْتَ ، وَأَنْتَى لَكَ هَذَا ؟ فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ
الْأَعْرَابِيِّ ، فَقَالَ : سَلْ حَاجَتَكَ وَلَا تَنْسَ صَاحِبَكَ . فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّكَ
قَدْ عَاهَدْتَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِكَ لِلْوَلِيدِ ، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ وَلِيَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ .
فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَبَعَثَهُ عَلَى الْحَجِّ فِي سَنَةِ ^(٥) إِحْدَى وَثَمَانِينَ ، وَأَطْلَقَ لَهُ مَائَةَ
أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَأَعْطَاهَا سَلِيمَانُ لِذَلِكَ الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي قَالَ ذَلِكَ الْبَيْتَ مِنَ الشُّعْرِ ،
فَلَمَّا مَاتَ أَبُوهُ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ ، وَصَارَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى أَخِيهِ الْوَلِيدِ ، كَانَ بَيْنَ

(١) ديوانه ص ١٣ مع اختلاف يسير .

(٢) في الأصل ، ص : « للفاسق » .

(٣) في ب : « يقصى » ، وفي م : « يغتضي » ، وفي ص : « يقضي » . وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١٧٢ .

(٤) في م : « ضربوا » .

(٥) سقط من : م .

يَدِيهِ كَالْوَزِيرِ وَالْمُشِيرِ ، وَكَانَ هُوَ الْمُسْتَحِثُّ عَلَى عِمَارَةِ جَامِعِ دِمَشْقَ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَخُوهُ الْوَلِيدُ [١٦٢/٧ ط] يَوْمَ السَّبْتِ لِلنَّصَفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةً سِتٍّ وَتِسْعِينَ ، وَكَانَ سَلِيمَانُ بِالرَّمْلَةِ ، فَلَمَّا أَقْبَلَ تَلَقَّاهُ الْأُمَرَاءُ وَوَجَّهُوا النَّاسَ ، وَقِيلَ : إِنَّهُمْ سَارُوا إِلَيْهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَبَايَعُوهُ هُنَاكَ . وَعَزَمَ عَلَى الْإِقَامَةِ بِالْقُدْسِ ، وَأَتَتْهُ الْوَفُودُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَلَمْ يَرَوْا وَفَادَةً^(١) ، فَكَانَ يَجْلِسُ فِي قُبَّةٍ فِي صَخْرٍ الْمَسْجِدِ مِمَّا يَلِي الصَّخْرَةَ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ ، وَتَجْلِسُ أَكَابِرُ النَّاسِ عَلَى الْكَرَاسِيِّ ، وَتُقَسَّمُ فِيهِمُ الْأُمُورُ ، ثُمَّ عَزَمَ عَلَى الْحِجْيَةِ إِلَى دِمَشْقَ ، فَدَخَلَهَا وَكَمَّلَ عِمَارَةَ الْجَامِعِ .

وَفِي أَيَّامِهِ مَجْدَدَتِ الْمَقْصُورَةُ ، وَاتَّخَذَ ابْنُ عَمِّهِ عَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ مُسْتَشَارًا وَوَزِيرًا ، وَقَالَ لَهُ^(٢) : إِنَّا قَدْ وُلِّينَا مَا تَرَى ، وَلَيْسَ لَنَا عِلْمٌ بِتَدْيِيرِهِ ، فَمَا رَأَيْتَ مِنْ مَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ فَمُرْ بِهِ فَلْيُكْتَبْ . وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ غَزْلُ نَوَابِ الْحِجَابِ ، وَإِخْرَاجُ أَهْلِ الشَّجُونِ مِنْهَا ، وَإِطْلَاقُ الْأَسْرَاءِ ، وَبَذْلُ الْأَعْطِيَةِ بِالْعِرَاقِ ، وَرَدُّ الصَّلَاةِ إِلَى مِيقَاتِهَا الْأَوَّلِ ، بَعْدَ^(٣) مَا كَانَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ^(٤) يُؤَخِّرُونَهَا إِلَى آخِرِ وَقْتِهَا ، مَعَ أُمُورٍ حَسَنَةٍ كَانَ يَسْمَعُهَا مِنْ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ .

وَأَمْرُ بَغْزِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ وَالْمَوْصِلِ فِي الْبَرِّ نَحْوًا مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ، وَبَعَثَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَإِفْرِيقِيَّةَ أَلْفَ مَرْكَبٍ فِي الْبَحْرِ ، عَلَيْهِمْ عَمْرُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، وَعَلَى جَمَاعَةِ النَّاسِ كُلُّهُمْ أَخُوهُ مُسْلِمَةُ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَمَعَهُ ابْنُهُ دَاوُدُ بْنُ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ،

(١) بعده في م : « هناك » .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٧٢/١٠ ، ١٧٣ .

(٣ - ٣) في ١ ، ٢ ، ص : « أن كانت » ، وفي م : « أن كانوا » .

وذلك كله عن مشورة موسى بن نُصَيْر، حينَ قَدِمَ عليه مِن بلادِ المغربِ .
والصحيحُ أَنَّهُ قَدِمَ فِي أَيَّامِ أَخِيهِ الْوَلِيدِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قال ابنُ أبي الدنيا^(١) : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْكُوفِيُّ ، عَنْ
جَابِرِ بْنِ عَوْنِ الْأَسَدِيِّ ، قَالَ : أَوَّلُ كَلَامٍ تَكَلَّمُ بِهِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ^(٢) حِينَ
وَلِيَ الْخِلَافَةَ^(٣) أَنْ قَالَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَا شَاءَ صَنَعَ ، وَمَا شَاءَ رَفَعَ ، وَمَا شَاءَ وَضَعَ ، وَمَنْ شَاءَ
أَعْطَى ، وَمَنْ شَاءَ مَنَعَ ، إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ غُرُورٍ ، وَمَنْزِلُ بَاطِلٍ ، وَزِينَةُ تَقْلِبٍ ، تُضْحِكُ
بَاكِيًا ، وَتُبْكِي ضَاحِكًا ، وَتُخِفُ آمَنًا ، وَتُؤَمِّنُ خَائِفًا ، تُفْقِرُ مُثْرِيَهَا ، وَتُثْرِي
فَقِيرَهَا ، مِثَالَةُ لَاعِبَةٍ بِأَهْلِهَا . يَا عِبَادَ اللَّهِ ، اتَّخَذُوا كِتَابَ اللَّهِ إِمَامًا ، وَارْضَوْا بِهِ
حُكْمًا ، وَاجْعَلُوهُ لَكُمْ قَائِدًا ، فَإِنَّهُ نَاسَخٌ لِمَا قَبْلَهُ ، وَلَنْ يَنْسَخَهُ كِتَابٌ بَعْدَهُ . اَعْلَمُوا
عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَجْلُو كَيْدَ الشَّيْطَانِ وَضَغَائِنَهُ^(٤) كَمَا يَجْلُو ضَوْءُ الصَّبْحِ إِذَا
تَنَفَّسَ إِدْبَارَ اللَّيْلِ إِذَا عَشَّعَسَ .

وقال يحيى بنُ معينٍ ، عَنْ حُجَّاجِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ
ابنِ قَيْسٍ قَالَ : سَمِعْتُ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ : فَضَّلُ الْقُرْآنَ عَلَى
سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ .

وقال حمادُ بنُ زَيْدٍ^(٤) ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَازِمٍ ، قَالَ : كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ يَخْطُبُنَا كُلَّ جُمُعَةٍ [١٦٣/٧] لَا يَدْعُ أَنْ يَقُولَ فِي خُطْبَتِهِ : وَإِنَّمَا أَهْلُ الدُّنْيَا

(١) ذم الدنيا (٦٧) .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ب .

(٣) في الأصل ، ١ ، ٢ ، ص : « صفاصفه » ، وانظر مصدر التخريج .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (٢٧١) ، من طريق حماد بن زيد به .

على رحيل^(١)، لم تمضِ بهم نيةٌ، ولم تطمئن^(٢) لهم دارٌ^(٣) حتى يأتي أمرٌ وعِد اللهِ
وهم على ذلك، كذلك لا يدومُ نعيمُها، ولا تؤمنُ فجائعُها، ولا يُتقى^(٤) من
شرِّ أهلِها، ثم يقول: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا
يُوعَدُونَ ﴿٢٦﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٥ - ٢٧].

وروى الأصمعي^(٥)، أَنَّ نَقْشَ خَاتَمِهِ: آمَنْتُ بِاللَّهِ مَخْلِصًا.

وقال أبو مُشَهِرٍ^(٦)، عن أبي مسلمٍ سلمةَ بنِ العِيَّارِ الفَزَارِيِّ قال^(٧): قال
محمدُ بنُ سيرينَ: يرحمُ اللهَ سليمانَ بنَ عبدِ الملكِ، افتتحَ خلافتَه بخيرٍ،
وختَمَها بخيرٍ؛ افتتحَها بإحْيائِهِ^(٨) الصلاةَ لمواقِيتِها، وختَمَها باستِخلاصِهِ عمرَ بنِ
عبدِ العزيزِ.

وقد أجمعَ علماءُ السِّيرِ^(٩) والتَّوَارِيخِ^(١٠) أَنَّهُ حجَّ بالنَّاسِ في سنةٍ سبعٍ وتسعينَ
وهو خليفةٌ.

قال الهيثمُ بنُ عديٍّ: قال الشعبيُّ^(١١): حجَّ سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ، فلمَّا

(١) في ذم الدنيا: «وجل». وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٤.

(٢ - ٢) في ٢١، م، ص: «بهم». وانظر المصدر السابق.

(٣) في م: «تبقى».

(٤) نهاية الأرب ٢١/ ٣٥٤، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١١١، بنحوه دون عزو.

(٥) أوردته الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥/ ١١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ)
ص ٣٧٩، عن ابن سيرين.

(٦) سقط من: ٢١، م، ص.

(٧) في النسخ: «بإجابة». والمثبت من مصدرى التخريج.

(٨) في م: «الناس».

(٩) انظر تاريخ خليفة ١/ ٤٢٣، وتاريخ الطبري ٦/ ٥٢٩، والمنظوم ٧/ ٢٥، والكمال ٥/ ٢٦، وتاريخ
الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٦٦.

(١٠) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٤.

رَأَى النَّاسَ بِالْمَوْسِمِ ، قَالَ لِعَمْرٍ بِنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : أَلَا تَرَى هَذَا الْخَلْقَ الَّذِي لَا يَحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَسَعُ رِزْقُهُمْ غَيْرُهُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَؤُلَاءِ رَعِيَّتُكَ الْيَوْمَ ، وَهُمْ غَدًا خَصْمَاؤُكَ^(١) . فَبَكَى سَلِيمَانُ بَكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ : بِاللَّهِ أَسْتَعِينُ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا^(٢) : ثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، ثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، قَالَ : كَانَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(٣) فِي سَفَرٍ مَعَ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَصَابَتْهُمْ السَّمَاءُ بِرَعْدٍ وَبَرْقٍ وَظُلْمَةٍ وَرِيحٍ شَدِيدَةٍ ، حَتَّى فَزِعُوا لِذَلِكَ ، وَجَعَلَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(٣) يَضْحَكُ ، فَقَالَ لَهُ سَلِيمَانُ : مَا أَضْحَكَكَ يَا عَمْرُ ؟ أَمَّا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذِهِ آثَارُ رَحْمَتِهِ ، فِيهِ^(٤) شِدَائِدُ مَا تَرَى ، فَكَيْفَ بِآثَارِ سَخَطِهِ وَغَضَبِهِ !؟

وَمِنْ كَلَامِهِ الْحَسَنِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، قَوْلُهُ : الصَّمْتُ مَنَامُ الْعَقْلِ وَالنُّطْقُ يَقْظَتُهُ ، وَلَا يَتِمُّ هَذَا إِلَّا بِهَذَا .

وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ ، فَأَعْجَبَهُ مَنْطِقُهُ ، ثُمَّ فَتَّشَهُ فَلَمْ يَحْمَدْ عَقْلَهُ ، فَقَالَ^(٥) : فَضْلُ مَنْطِقِ الرَّجُلِ عَلَى عَقْلِهِ خُذْعَةٌ ، وَفَضْلُ عَقْلِهِ عَلَى مَنْطِقِهِ هُجْنَةٌ ، وَخَيْرُ ذَلِكَ مَا أَشَبَّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا . وَقَالَ^(٦) : الْعَاقِلُ أَحْرَصُ عَلَى إِقَامَةِ

(١) بعده في ٢١ ، م ، ص : «عند الله» ، وانظر المصدر السابق .

(٢) أورده الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٣٧٩ ، عن الشعبي ، وهو في مختصر تاريخ دمشق ١٠/١٧٤ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) في م : «فيها» .

(٥) أنساب الأشراف ٨/١٠٥ ، بنحوه .

(٦) بعده في الأصل : «على» ، والقول في مختصر تاريخ دمشق ١٠/١٧٥ .

لسانِه منه على طلبِ معاشِه . وقال أيضًا^(١) : إِنْ مَنْ تَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَسْكُتَ فِيحْسِنَ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ سَكَتَ فَأَحْسَنَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ فِيحْسِنَ .

وَمِنْ شَعْرِهِ يَتَسَلَّى عَنْ صَدِيقٍ لَهُ مَاتَ^(٢) :

وَهَوْنٌ وَجَدَى فِي شَرَاخِيلِ أَتْنَى مَتَى شَتُّ لَأَقِيْتُ امْرَأًا مَاتَ صَاحِبُهُ
وَمِنْ شَعْرِهِ أَيْضًا^(٣) :

وَمِنْ شَيْمَتِي^(٤) أَنْ لَا أَفَارِقَ صَاحِبِي وَإِنْ مَلَّنِي إِلَّا سَأَلْتُ لَهُ رُشْدًا
وَإِنْ دَامَ لِي بِالْوُدِّ دَمْتُ وَلَمْ أَكُنْ كَأَخَرٍ لَا يَرَعَى ذِمَامًا وَلَا عَهْدًا
وَسَمِعَ سَلِيمَانُ لَيْلَةً صَوْتَ غِنَاءٍ فِي مَعْسَكَرِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَفْحَصُ حَتَّى أَتَى
بِهِمْ ، فَقَالَ سَلِيمَانُ^(٥) : [١٦٣/٧ ط] إِنْ الْفَرَسَ لِيَصْهَلُ فَتَسْتَوِدُّ لَهُ الرَّمَكَةُ^(٦) ،
وَإِنْ الْجَمَلَ لِيَخْطُرَ^(٧) فَتَضْبِغُ^(٨) لَهُ النَّاقَةُ ، وَإِنْ الثَّيْسَ لِيَنْبُ ، فَكَشَرْتُ^(٩) لَهُ الْعَقْرَ ،
وَإِنْ الرَّجَلَ لِيَتَغَنَّى فَتَشْتَاقُ لَهُ الْمَرْأَةُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ لِيُخْصَوْهُمْ . فَيَقَالُ : إِنْ عَمَرَ بَنَ

(١) أنساب الأشراف ١١١/٨ ، بنحوه ، ومختصر تاريخ دمشق ١٧٥/١٠ .

(٢) بعده في ٢١، م، ص : « فقال » ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٧٥/١٠ ، والوافي بالوفيات ٤٠٢/١٥ .

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٧٦/١٠ ، باختلاف يسير .

(٤) ف م : « شيمي » .

(٥) مختصر تاريخ دمشق ١٧٦/١٠ ، بنحوه .

(٦) تستودق له الرمكة يعني تدنو له الأنثى .

(٧) في م : « ليهدر » ، وخطر الجمل : حرك ذنبه يمينا وشمالا .

(٨) في الأصل ، ٢١ ، ص : « فتصنع » . وضبعت الدابة إذا أرادت الفعل .

(٩) في الأصل : « فتستخدم » كذا ، وفي ٢١ : « فتستخدم » ، وفي م : « فتستخذي » ، وفي ص :

« فتستخدم » . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ١٧٦/١٠ ، والكشر : ضرب من النكاح كالكاشر ، ولا

فعل منهما . القاموس (ك ش ر) .

عبد العزيز قال : يا أمير المؤمنين ، إنها مثله^(١) . فتركهم .

وفى رواية^(٢) : أنه خصى أحدهم ، ثم سأل عن أصل الغناء فقليل : إنه بالمدينة . فكتب إلى عامله بها وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم يأمره أن يخصى^(٣) من عنده من المغنين المختئين .

وقال الشافعي^(٤) : دخل أعرابي على سليمان ، فدعاه إلى أكل الفالودج ، وقال له : إن أكلها يزيد في الدماغ . فقال الأعرابي : لو كان هذا صحيحا ، لكان ينبغي أن يكون رأس أمير المؤمنين مثل رأس البغل .

وذكروا^(٥) أن سليمان كان نهما في الأكل ، وقد نقلوا عنه أشياء في ذلك غريبة ؛ فمن ذلك أنه اصطبج في بعض الأيام بأربعين دجاجة مشوية ، وأربع وثمانين كلوة بشحمها ، وثمانين جزدة^(٦) ، ثم أكل مع الناس على العادة في السميط^(٧) العام .

(١) بعده في ١ ٢ : « ولكن انفهم فنفاهم ويقال إنه ترك خصيهم » ، وفي م ، ص : « ولكن انفهم فنفاهم » .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٧٦/١٠ ، ١٧٧ .

(٣) وقيل : إنما كتب له « أن يخصى » بالخاء المهملة ، من الإحصاء ، فقرأها بالخاء .

(٤) أنساب الأشراف ١٠٥/٨ بنحوه ، ومختصر تاريخ دمشق ١٧٧/١٠ ، غير معزو للشافعي .

(٥) أنساب الأشراف ١٠٩/٨ ، ومروج الذهب ١٧٥/٣ ، ومختصر تاريخ دمشق ١٧٧/١٠ ، وتاريخ

الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٧٩ .

(٦) الجزدة بالفتح : الرغيف المدور ، وهي لفظة فارسية (معرب كرده) بالكاف العجمية . التاج

(ج ر د ق) .

(٧) السميط : ما يمد عليه الطعام .

ودخل ذات يوم بستانًا له قد أمر قِيَمَهُ أن يحبس^(١) ثماره،^(٢) وقطفت له^(٣) ومعه أصحابه، فأكل القوم، واستمر هو يأكل أكلًا ذريعًا من تلك الفواكه، ثم استدعى بشاة مشوية، فأكلها، ثم أقبل على الفاكهة، ثم أتى بدجاجتين فأكلهما، ثم عاد إلى الفاكهة، ثم أتى بقعب يقعد فيه الرجل مملوءًا بسويق وسمين وسكر، فأكله، ثم عاد إلى دار الخلافة، وأتى بالسماط، فما فقد^(٤) من أكله شيئًا^(٥).

وقد روى^(٦)، أنه عرضت له حُمى^(٧) أذنته إلى الموت. وقد قيل: إن سبب مرضه كان من أكل أربعمائة بيضة، وسلتين من تين. فالله أعلم.

وذكر الفضل بن^(٨) المهلب^(٩) وغيره^(١٠)، أنه ليس في يوم الجمعة حلة صفراء، ثم نزعها وليس بدلها حلة خضراء، واعتَمَّ بعمامة خضراء، وجلس على فراش أخضر، وقد بُسِط ما حوله بالخضرة، ثم نظر في المرأة فأعجبه حسنه، وشمر عن ذراعيه وقال: أنا الخليفة الشاب.

(١) في الأصل، ٢: «يحبس»، وفي م، ص: «يجنى». والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ١٧٧/١٠.

(٢ - ٢) في ٢، م، ص: «فدخله».

(٣) في ٢١، م، ص: «فقدوا».

(٤) في حاشية م: «هذا وأمثاله من مبالغات الأعاجم التي كانوا يتقربون بها إلى بني العباس، وسيأتي أن سليمان رحمه الله أنه كان نحيفًا جميلًا وهي صفة لا تتفق مع ما نسبوه إليه، والذي اخترع هذه الأكاذيب نسي أن المعدة لا تقبل زيادة على حجمها وقد قيل إذا كنت كذوبًا فكُنْ ذكورا».

(٥) مختصر تاريخ دمشق ١٧٨/١٠.

(٦) بعده في الأصل: «عقب أكل هذا»، وفي ٢، م: «عقب هذا الأكل»، وفي ص: «عقب هذا حمة». وانظر المصدر السابق.

(٧) بعده في م: «أنى».

(٨) أخرجه الطبري في تاريخ دمشق ٥٤٦/٦، من طريق الفضل بن المهلب به.

(٩ - ٩) سقط من: م.

^(١) وقيل ^(٢): إِنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ فِي الْمَرْأَةِ مِنْ فَرْقِهِ إِلَى قَدَمِهِ وَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ الشَّابُّ ^(٣).

وفى رواية ^(٤) أَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ فِيهَا وَيَقُولُ: كَانَ مُحَمَّدٌ نَبِيًّا ﷺ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ صَدِيقًا، وَكَانَ عُمَرُ فَارُوقًا، وَكَانَ عُثْمَانُ حَيِّيًا، وَكَانَ عَلِيٌّ شَجَاعًا، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ حَلِيمًا ^(٥)، وَكَانَ يَزِيدُ صَبُورًا، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ سَائِسًا، وَكَانَ الْوَلِيدُ جَبَّارًا، وَأَنَا الْمَلِكُ الشَّابُّ.

قالوا ^(٦): فَمَا دَارَ عَلَيْهِ شَهْرٌ - وَفِي رِوَايَةٍ ^(٧): جُمُعَةٌ - حَتَّى مَاتَ [١٦٤/٧].

قالوا ^(٨): وَلَمَّا حُكِّمَ شَرَعَ يَتَوَضَّأُ، فَدَعَا ^(٩) بِجَارِيَةٍ، فَصَبَّتْ عَلَيْهِ مَاءَ الْوَضُوءِ، ثُمَّ أَنْشَدَتْهُ ^(١٠):

أَنْتَ نَعَمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
لَيْسَ فِيمَا عَلِمْتُهُ فَيْكَ عَيْبٌ ^(١١) ^(١٢) كَانَ فِي النَّاسِ غَيْرَ أَنَّكَ فَاِنْ
قالوا: فَصَاحَ بِهَا وَقَالَ: عَزَّيْنِي فِي نَفْسِي. وَصَرَفَهَا، ثُمَّ أَمَرَ خَالَهُ الْوَلِيدَ

(١ - ١) زيادة من: ٢١، م، ص.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٠/١٧٨.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٠/١٧٩.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) في ص: «حكيما».

(٦) تاريخ الطبري ٦/٥٤٧، ومختصر تاريخ دمشق ١٠/١٧٩، ونهاية الأرب ٢١/٣٥٤.

(٧) تاريخ الطبري ٦/٥٤٧، وانظر أيضا تاريخ الطبري ٦/٥٤٩، ونهاية الأرب ٢١/٣٥٤.

(٨) تاريخ الطبري ٦/٥٤٧، بنحوه.

(٩) سقط من: الأصل.

(١٠) البيتان في تاريخ الطبري ٦/٥٤٧، ومختصر تاريخ دمشق ١٠/١٧٥، ونهاية الأرب ٢١/٣٥٤،

مع اختلاف في هذه المصادر جميعا.

(١١ - ١١) في النسخ: «أنت خلو من العيوب ومما»، وفي مختصر تاريخ دمشق، ونهاية الأرب:

«ليس فيما بدا لنا منك عيب»، والمثبت من تاريخ الطبري.

(١٢ - ١٢) في النسخ: «يكره الناس»، وفي نهاية الأرب: «عابه الناس».

ابن^(١) القَعْقَاعِ العَنَسِيُّ أَنْ يَصُوبَ عَلَيْهِ وَقَالَ^(٢) :

قَرَّبْتُ وَضُوءَكَ يَا وَلِيدُ فَإِنَّمَا^(٣) هَذِي الْحَيَاةُ تَعِلَّةٌ وَمَتَاعٌ^(٤)
فَقَالَ الْوَلِيدُ :

فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ فِي حَيَاتِكَ صَالِحًا فَالدهرُ فِيهِ فُرْقَةٌ^(٥) وَجَمَاعٌ
وَيُرَوَّى^(٦) أَنَّ الْجَارِيَةَ لَمَّا جَاءَتْهُ بِالطُّسْتِ ، جَعَلَتْ تَضْطَرِبُ مِنَ الْحُمَى ،
فَقَالَ : أَيْنَ فُلَانَةٌ ؟ فَقَالَتْ : مَحْمُومَةٌ . قَالَ : ففُلَانَةٌ ؟ قَالَتْ : مَحْمُومَةٌ . وَكَانَ
بِمَرْجٍ دَابِيقٍ مِنْ أَرْضِ قِنْدِسَرِينَ ، فَأَمَرَ خَالَه^(٧) فَوْضَاهُ ، ثُمَّ خَرَجَ يَصِلُى بِالنَّاسِ ،
فَأَخَذَتْهُ بُحَّةٌ فِي الْخُطْبَةِ ، ثُمَّ نَزَلَ وَقَدْ أَصَابَتْهُ حُمَى ، فَاسْتَمَرَ فِيهَا حَتَّى مَاتَ فِي
الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ .

وَيَقَالُ : إِنَّهُ أَصَابَتْهُ ذَاثُ الْجَنْبِ ، فَمَاتَ بِهَا ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

^(٨) وَكَانَ قَدْ أَقْسَمَ أَنَّهُ لَا يَبْرُحُ^(٩) دَابِيقًا حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ الْخَبْرُ بِفَتْحِ
الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، أَوْ يَمُوتَ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَمَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ^(١٠) ، رَحِمَهُ اللَّهُ^(١١) ، وَأَكْرَمَ
مَتَوَاه .

(١) بعده فى م : « العباس » . وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٧٩ / ١٠ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٧٩ / ١٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٣٨٠ .

(٣ - ٣) فى النسخ : « دنيا هذى بلغة ومتاع » . وانظر مصدرى الحاشية السابقة .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من مصدرى التخرىج .

(٥) فى الأصل : « تفرق » .

(٦) مختصر تاريخ دمشق ١٧٨ / ١٠ .

(٧) فى ١ : « خالد » ، وفى ص : « خالد » .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل .

(٩) بعده فى ٢١ ، م ، ص : « بمرج » .

(١٠) مختصر تاريخ دمشق ١٧٣ / ١٠ .

قالوا^(١) : وجعل يلهج في مرضه ويقول :

إِنَّ بَنِي صَبِيَّةَ^(٢) صِغَارُ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ كِبَارُ
فيقول له عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : قد أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . ثم يقول :
إِنَّ بَنِي صَبِيَّةَ صَيْفِيُّونَ^(٣) أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ شِثْوِيُّونَ^(٤)
ويروى أن هذا آخرُ ما تكلم به ، والصحيح أن آخرَ ما تكلم به أن قال^(٥) :
أَسْأَلُكَ مُنْقَلَبًا كَرِيمًا . ثم قضى .

وروى ابنُ جرير^(٦) ، عن رجاءِ بنِ حيوة - وكان وزيرَ صِدْقٍ لَبَنِي أُمِيَّة -
قال : استشارني سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ وهو مريضٌ أن يولِّي ابنًا له صغيرًا لم يبلغِ
الحُلُمَ ، فقلتُ : إنَّ مِمَّا يَحْفَظُ^(٧) الخليفةَ في قبره أن يولِّي على المسلمين^(٨) من
بعده^(٩) الرجلَ الصالحَ ، ثم شاورني في ولايةِ ابنه داودَ ، فقلتُ له : إنَّه غائبٌ
عنك بالقسطنطينية ، ولا تدري أحيى هو أم ميتٌ ؟ فقال : فَمَنْ تَرَى ؟ فقلتُ :
رَأَيْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قال : كيف تَرَى في عمرِ بنِ عبدِ العزيزِ ؟ فقلتُ : أَعْلَمُهُ
وَاللَّهِ خَيْرًا فَاضِلًا مُسْلِمًا^(٩) . فقال : هو واللَّهِ على ذلك ، ولكنْ أَتَخَوَّفُ إِخْوَتِي لَا
يَرْضَوْنَ بِذَلِكَ . فَأشار رجاءٌ أن يجعلَ يزيدَ بنَ عبدِ الملكِ وليَّ العهدِ مِن بعدِ عمرَ

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١٨١ ، بنحوه .

(٢) سقط من : م .

(٣) بعده في الأصل ، م : « قد » .

(٤) في الأصل ، ١ ، ٢ ، م : « ربيعون » ، وفي ص : « ربيعون » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٥) مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١٨١ .

(٦) تاريخ الطبري ٦ / ٥٥٠ مختصرًا بنحوه ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١٨٠ .

(٧) في الأصل : « يحيط » ، وفي ١ ، ٢ ، ص : « يحفظ به » . وانظر تاريخ الطبري ٦ / ٥٥٠ .

(٨ - ٨) سقط من : م .

(٩) بعده في م : « يحب الخير وأهله » .

ابن العزيز؛ ليَرْضَى بذلك بنى مروان، فكتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين
لعمرو بن عبد العزيز، إني قد وليتُك الخلافة من بعدى، [١٦٤/٧ ظ] ومن بعده^(١)
يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع
فيكم^(٢).

وختَم الكتاب وأرسل إلى كعب بن حامد^(٣) العبسي صاحب الشرطة، فقال
له : اجمع أهل بيتي،^(٤) فمزمهم فليبايعوا على ما فى هذا الكتاب مختوماً، فمن
أتى منهم فاضرب عنقه^(٥). فاجتمعوا ودخل رجال منهم، فسلموا على أمير
المؤمنين، فقال لهم : هذا الكتاب عهدى إليكم، فاسمعوا له وأطيعوا وبايعوا من
وليت فيه. فبايعوا^(٦) رجلاً رجلاً.

قال رجاء : فلما تفرقوا جاءنى عمرو بن عبد العزيز فقال : أنشدك الله وحزمتى
ومودتى إلا أعلمتنى إن كان^(٧) كتب لى ذلك حتى أستغفبه الآن قبل أن يأتى
حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة ! فقلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً .
قال : ولقينى هشام بن عبد الملك فقال : يا رجاء، إن لى بك حرمة ومودة قديمة،
فأخبرنى هذا الأمر، فإن كان إلى علمت، وإن كان إلى^(٨) غيرى تكلمت^(٩)،

(١) فى الأصل : « بعدك ». وانظر تاريخ الطبرى ٥٥١ / ٦.

(٢) بعده فى ٢١، م، ص : « عدوكم ».

(٣) فى الأصل : « خالد ». وانظر المصدر السابق.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل.

(٥) بعده فى النسخ : « لذلك ». وانظر المصدر السابق.

(٦ - ٦) زيادة من : ٢١، م، ص.

(٧) سقط من : م.

(٨) سقط من النسخ. والمثبت من تاريخ الطبرى ٥٥١ / ٦.

فما مثلى قُصِّرَ به^(١). فقلتُ: واللَّهِ لا أُخِيرُكَ حرِّفاً واحداً ممَّا أُسِرَ إليَّ.

قال رجاءٌ: ودخلتُ على سليمانَ، فإذا هو يموتُ، فجعلتُ إذا أخذته السَّكْرَةُ من سَكَراتِ الموتِ أحرِّقُه إلى القبلةِ، فإذا أفاق يقولُ: لم يَأْنِ لذلك بعدُ يا رجاءٌ. "ففعَلْتُ ذلك مرَّتين"^(٢)، فلمَّا كانتِ الثالثةُ قال: مِن الآنَ يا رجاءُ إن كنتَ تريدُ شيئاً، أشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسوله. قال: فحرَّقته إلى القبلةِ ومات، فغطَّيته بقطيفةٍ خضراءَ، وأغلقتُ البابَ عليه، وأرسلتُ إلى كعبِ بنِ حامِدٍ، فجَمَعَ الناسَ في مسجدِ دابقٍ، فقلتُ: بايعوا لمن في هذا الكتابِ. فقالوا: قد بايعنا. فقلتُ: بايعوا ثانيةً. ففعلوا، ثم قلتُ: قوموا إلى صاحبِكم فقد مات. وقرأتُ الكتابَ عليهم، فلمَّا انتهيتُ إلى ذكرِ عمرِ بنِ عبدِ العزيزِ، تغيَّرتِ وجوهُ بنى مروانَ، فلمَّا قرأتُ: وإن يزيد^(٣) بنَ عبدِ الملكِ مِن بعده، تراجعوا بعضُ الشَّيءِ، ونادى هشامٌ: لا نبايعه أبداً. فقلتُ: أضربُ واللهِ عنقَكَ، قم فبايع. ونهَضَ الناسُ إلى عمرِ بنِ عبدِ العزيزِ وهو في مؤخرِ المسجدِ، فلمَّا تحقَّقَ ذلك قال: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون. ولم تحمِلْهُ رجلاه حتى أخذوا بضَبْعَيْهِ، فأصعدوه على المنبرِ، فسَكَتَ حيناً، فقال رجاءُ بنُ حيوةَ: أَلَا تقومون إلى أميرِ المؤمنين فتبايعوه! فنَهَضَ القومُ فبايعوه، ثم قام إليه هشامٌ^(٤) فصعد المنبرَ ليبايع^(٥) وهو يقولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون. فقال عمرُ: نعم! إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون، الذي صرْتُ أنا وأنتَ نتنازَعُ هذا الأمرَ. ثم قام فخطبَ الناسَ خطبةً

(١) بعده في ٢١، م، ص: «عن هذا».

(٢ - ٢) سقط من النسخ، والمثبت من تاريخ الطبرى ٥٥٢/٦.

(٣) في ٢١، ب، م، ص: «هشام»، وانظر تاريخ الطبرى ٥٥١/٦.

(٤ - ٤) زيادة من: ٢١، ب، م، ص.

بليغةً وبأيعوه، ^(١) فكان مما قال في خطبته : أيُّها الناسُ لستُ بمبتدِعٍ ولكنِّي مُتَّبِعٌ ، وإنَّ مَنْ حولكم مِنَ الأمصارِ والمدنِ إنَّهم أطاعوا كما أطعتم فأنا وإليكم ، وإنَّهم أتوا فلستُ لكم بوالٍ ^(٢) .

ثم [١٦٥/٧] نَزَلَ ، فشرعوا ^(٣) في جهازِ سليمانَ .

قال الأوزاعي ^(٤) : فلم يفرغوا منه حتى دَخَلَ وقتُ المغربِ ، فصلَّى عمرٌ بالناسِ صلاةَ المغربِ ، ثم صلَّى على سليمانَ ، ودَفِنَ بعدَ المغربِ ، فلَمَّا انصرفَ عمرٌ أتى بمراكبِ الخلافةِ فلم يركبها ، وركبَ دابتهُ ، ثم سارَ مع الناسِ ^(٥) حتى أتوا دمشقَ ، فمألوها به نحوَ دارِ الخلافةِ فقال : لا أنزِلُ إلَّا في منزلي ^(٦) حتى تفرَّغَ دارُ أبي أيوبَ ، فاستُحسنَ ذلكَ منه ، ثم استدعى بالكتابِ ^(٧) ، فجعلَ يُملئُ عليه نسخةَ الكتابِ الذي يبايعُ عليه الأمصارَ ، قال رجاءٌ : فما رأيُك أفصحَ منه .

قال محمدُ بنُ إسحاقٍ ^(٨) : وكانت وفاةُ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ بدابقٍ مِن أرضِ قنشرينَ يومَ الجمعةِ لعشرِ ليالٍ خَلَّتْ مِن صفرٍ سنةَ تسعٍ وتسعينَ ، على رأسِ سنتينَ وتسعةٍ ^(٩) أشهرٍ وعشرينَ يومًا مِن متوفَّى الوليدِ . وكذا قال الجمهورُ

(١ - ١) زيادة من : ٢١ ، ب ، م ، ص .

(٢) في ٢١ ، ب ، م ، ص : « فأخذوا » .

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١٨١ ، وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٣٨٢ .

(٤ - ٤) زيادة من : ٢١ ، ب ، م ، ص .

(٥) في حاشية م : « كان منزله في موضع مدرسة السمساطية الآن مما يلي باب مسجد بني أمية الشمالي ، أما قصر الخلافة الذي يسمى الدار الخضراء ، فكان وراء الجدار القبلي من مسجد بني أمية ويسمى موضعه الآن المصبغة الخضراء » .

(٦) في الأصل ، ٢١ ، ب ، ص : « بالكتاب » .

(٧) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٣٨٢ .

(٨) في ٢١ : « سبعة » . وانظر المصدر السابق .

فى تاريخ وفاته ، ومنهم من يقول : لعشر بقين من صفر . وقالوا : كانت ولايته سنتين وثمانية أشهر ، زاد بعضهم إلا خمسة أيام . والله أعلم .

وقول الحاكم أبى أحمد : إنه توفى يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من رمضان سنة تسع وتسعين ،^(١) وكانت خلافته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام ، وتوفى وهو ابن تسع وثلاثين سنة . فقد^(٢) حكاه ابن عساكر^(٣) ، وهو غريب جدًا ، وقد خالفه الجمهور فى كل ما قاله ، وعندهم أنه جاوز الأربعين ، فقل^(٤) : بثلاث . وقيل^(٥) : بخمس . والله أعلم .

قالوا^(٦) : وكان طويلًا جميلًا أبيض نحيفًا ، حسن الوجه ، مقرون الحاجبين ، وكان فصيحًا^(٧) بليغًا يحسن العربية ، ويرجع إلى دين وخير ومحبية للحق وأهله ، واتباع القرآن والسنة ، وإظهار الشرائع الإسلامية ، رحمه الله .

وقد كان ، رحمه الله ، آلى على نفسه حين خرج من دمشق إلى مرج دابق - "ودابق" قرية من بلاد حلب - "وقد جهزت" الجيوش إلى مدينة الروم العظمى المسماة بالقسطنطينية ، أن لا يرجع إلى دمشق حتى تفتح أو يموت ، فمات هنالك كما ذكرنا^(٨) ، "فحصل له" بهذه النية أجر الرباط

(١ - ١) سقط من : ٢١ ، ب ، م ، ص .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١٨١ .

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١٨١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٣٨٢ .

(٤) مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١٧١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٣٧٨ ،

سير أعلام النبلاء ٥ / ١١٢ .

(٥) مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١٧٠ .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧ - ٧) فى ٢١ ، ب ، م ، ص : «لما جهز» .

(٨) تقدم فى ٩ / ١٨١ .

^(١) «فى سبيلِ الله، فهو، إن شاء الله، ممن يجرى له ثوابه إلى يومِ القيامة»،
رجمه الله.

وقد ذكرَ الحافظُ ابنُ عساكرَ ^(٢) فى ترجمةِ شَراحيلَ بنِ عبيدةَ بنِ قيسِ
العُقيليِّ ما ^(٣) مضمونه؛ أنَّ مسلمةَ بنَ عبدِ الملكِ لما ضَيَّقَ بِمُحاصِرتهِ على أهلِ
القُسطنطينيةِ، وتتبَّعَ المسالكَ، واستَحُوذَ على أَكثَرِ ^(٤) ما هنالكِ مِنَ الممالكِ،
كَتَبَ إِليْهِ ^(٥) ملكُ الرومِ إلى ملكِ البُرجانِ ^(٦) يَسْتَنْصِرُهُ على مسلمةَ، ويقولُ
له: «إِنَّ هَؤُلاءِ القومَ» ^(٧) ليسَ لَهُمُ هِمَّةٌ إِلا فى الدَّعوةِ إلى [١٦٥/٧] دينهم،
الأقربُ منهم ^(٨) فالأقربُ، وإنَّهم متى فرغوا مِنِّي خَلَصُوا ^(٩) إِلَيْكَ، فمهما كُنْتَ
صانعًا حينئذٍ فاصنعه الآنَ. فعندَ ذلكَ شرعَ، لعنه الله، فى المَكْرِ والخديعةِ،
فكَتَبَ إلى مسلمةَ يقولُ له: «إِنَّ إِليْهِ كَتَبَ إِلَيَّ يَسْتَنْصِرُنِي عَلَيْكَ، وَأَنَا مَعَكَ
فَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ مسلمةُ: «إِنِّي لَا أريدُ مِنْكَ رجالًا وَلَا عُدَدًا، وَلَكِنْ
أُرْسِلُ إِلَيَّ» ^(١٠) بالميرةِ، فَقَدْ قُلَّ ما عِنْدَنَا مِنَ الأَزْوادِ.

فكَتَبَ إِلَيْهِ: «إِنِّي قَدْ أُرْسَلْتُ إِلَيْكَ بِسَوقٍ عَظِيمَةٍ إِلَى مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا،

(١ - ١) فى الأصل: «رجمه الله ويل بالرحمة ثراه».

(٢) تاريخ دمشق ٤٤٢/٢٢.

(٣) سقط من: ١، ٢، ب، ص.

(٤) سقط من: م.

(٥) فى الأصل: «ليون»، وانظر تاريخ دمشق ٤٤٢/٢٢.

(٦) البرجان: بلد من نواحي الحزر. معجم البلدان ١/٥٤٨.

(٧ - ٧) سقط من: م.

(٨) فى الأصل: «إليهم».

(٩) فى ب: «خاضوا».

(١٠) فى م: «إلينا».

فَأَرْسَلَ مَنْ يَتَسَلَّمُهَا وَيَشْتَرِي مِنْهَا .

فَإِذِنْ مُسْلِمَةٌ لَمَنْ شَاءَ مِنَ الْجَيْشِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى هُنَالِكَ فَيَشْتَرِيَ لَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، فَذَهَبَ خَلْقٌ كَثِيرٌ فَوَجَدُوا هُنَالِكَ سَوْقًا هَائِلَةً ، فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَضَائِعِ وَالْأَمْتَةِ وَالْأَطْعَمَةِ ، فَأَقْبَلُوا يَشْتَرُونَ ، وَاشْتَغَلُوا بِذَلِكَ ، وَلَا يَشْعُرُونَ بِمَا أَرْصَدَ لَهُمُ الْخَبِيثُ مِنَ الْكَمَائِنِ بَيْنَ^(١) تِلْكَ الْجِبَالِ الَّتِي هُنَالِكَ ، فَخَرَجُوا عَلَيْهِمْ بَغْتَةً^(٢) ، فَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَسْرَوْا آخَرِينَ ، وَمَا رَجَعَ إِلَى مُسْلِمَةٍ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْهُمْ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

فَكَتَبَ مُسْلِمَةٌ^(١) بِذَلِكَ إِلَى أَخِيهِ سُلَيْمَانَ يَخْبِرُهُ بِمَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَرْسَلَ جَيْشًا كَثِيفًا صَحْبَةً شَرَّاحِيلَ بْنِ عُبَيْدَةَ هَذَا ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَعْبُرُوا خَلِيجَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ أَوَّلًا فَيَقَاتِلُوا مَلِكَ الْبُزْجَانِ ، ثُمَّ يَعُودُوا إِلَى مُسْلِمَةٍ ، فَذَهَبُوا إِلَى بِلَادِ الْبُزْجَانِ ، وَقَطَعُوا إِلَيْهِمْ تِلْكَ الْخُلُجَانَ ، فَاقْتَتَلُوا مَعَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَهَزَمَهُمُ الْمُسْلِمُونَ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَسَبَوْا وَأَسْرَوْا خَلْقًا كَثِيرًا ،^(٣) وَخَلَّصُوا أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ^(٣) ، ثُمَّ تَحَيَّرُوا إِلَى مُسْلِمَةٍ ، فَكَانُوا عِنْدَهُ حَتَّى اسْتَقْدَمَ الْجَمِيعَ عَمْرُؤُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ خَوْفًا عَلَيْهِمْ مِنْ غَائِلَةِ الرُّومِ وَبِلَادِهِمْ ،^(٣) وَمِنْ ضَيْقِ الْعَيْشِ^(٣) ، وَقَدْ كَانَ لَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ هُنَالِكَ^(٤) مَدَّةٌ طَوِيلَةٌ . أَثَابَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) سقط من : الأصل .

(٢) بعده في م : « واحدة » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

خِلافةَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

قد تقدّم^(١) أنه بُويع له بالخِلافةِ يومَ الجمعةِ لعشرِ مَضِينٍ - وقيل : بَقِينٍ - مِن صَفَرٍ مِن هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنَى سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ - يَوْمَ مَاتَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، عَنْ عَهْدٍ مِنْهُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ مِنْ عُمَرَ - كَمَا قَدَّمْنَا - وَقَدْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ مَخَايِلُ الْوَرَعِ وَالذِّينِ وَالتَّقْشُّفِ وَالصِّيَانَةِ وَالتَّزَاهَةِ - مِنْ أَوَّلِ حَرَكَةٍ بَدَتْ مِنْهُ ؛ حَيْثُ أَعْرَضَ عَنْ^(٢) رُكُوبِ مَرَاكِبِ^(٣) الْخِلافةِ ، وَهِيَ الْخِيُولُ الْحِسَانُ الْجَيَادُ الْمُعَدَّةُ لَهَا - وَالاجْتِرَاءُ بِمَرْكُوبِهِ الَّذِي كَانَ يَرْكَبُهُ ، وَشَكَنِي مَنْزِلَهُ رَغْبَةً عَنْ مَنْزِلِ الْخِلافةِ . وَيَقَالُ^(٤) : إِنَّهُ خَطَبَ النَّاسَ [١٦٦/٧] فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ لِي نَفْسًا تَوَاقَّةً لَا تُعْطَى شَيْئًا إِلَّا تَأَقَّتْ إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهُ ، وَإِنِّي لَمَّا أُعْطِيتُ الْخِلافةَ تَأَقْتُ نَفْسِي إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهَا ، وَهُوَ الْجَنَّةُ ؛ فَأَعِينُونِي عَلَيْهَا يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ . وَسَتَأْتِي تَرْجَمَتُهُ عِنْدَ وَفَاتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَكَانَ مِمَّا بَادَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَنْ يَبْعَثَ إِلَى مُسْلِمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَهُمْ بِأَرْضِ الرُّومِ مُحَاصِرُوا الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَقَدْ اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحَالُ وَضَاقَ عَلَيْهِمُ الْمَجَالُ ؛^(٥) لِأَنَّهُمْ عَسَكُرٌ كَثِيرٌ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ بِأَمْرِهِمُ بِالرُّجُوعِ إِلَى الشَّامِ^(٦) إِلَى مَنَازِلِهِمْ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ بِطَعَامٍ كَثِيرٍ وَخِيُولٍ كَثِيرَةٍ عِتَاقٍ ، يَقَالُ : خَمْسُمِائَةِ فَرَسٍ . فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ .

(١) تقدم في ١٨٢/٩ .

(٢ - ٣) في الأصل : « ركوبه خيول » .

(٣) شذرات الذهب ١/ ١٢٠ ، بنحوه .

(٤ - ٥) في الأصل : « فأمرهم بالقول » .

وفى هذه السنة أغارت الترك على أذربيجان فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين ، فوجه إليهم عمرُ بنُ عبد العزيز حاتمُ بنُ النعمان الباهلي فقتل أولئك الأتراك ، ولم يُفلت منهم إلا اليسير ، وبعث منهم أسارى إلى عمر وهو بخناصرة . وقد كان المؤذنون يُذكرونه بعد أذانهم باقتراب الوقت وضيقه لئلا يؤخرها ، كما كان يؤخرها من كان قبله لكثرة الأشغال ، وكان ذلك عن أمره لهم بذلك . فالله أعلم .

فروى ابنُ عساكر^(١) فى ترجمة حريز^(٢) بن عثمان الرحبي الحِمصى ، قال : رأيتُ مؤذنى عمر بن عبد العزيز يسلمون عليه فى الصلاة : السَّلام عليك أمير المؤمنين ورحمةُ اللهِ وبركاته ، حى على الصلاة حى على الفلاح ، الصلاة قد قاربت .

وفى هذه السنة عزل عمرُ يزيد بن المهلب عن إمرة العراق وبعث عدي بن أرطاة الفزارى على إمرة البصرة ، فاستقضى عليها الحسن البصرى ، فاستعفاه ، فأعفاه واستقضى مكانه إياس بن معاوية الذكى المشهور ، وبعث على إمرة الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وضم إليه أبا الزناد^(٣) كاتباً بين يديه ، واستقضى عليها عامراً الشعبى . قال الواقدي^(٤) : فلم يزل قاضياً عليها مدة خلافة عمر بن عبد العزيز .

وجعل على إمرة خراسان الجراح بن عبد الله الحكمى ، وكان نائب مكة

(١) تاريخ دمشق ٣٣٨/١٢ .

(٢) فى م ، ص : « جريز » . وانظر مصدر التخريج ، وسير أعلام النبلاء ٧٩/٧ .

(٣) فى الأصل : « الزباد » .

(٤) تاريخ الطبرى ٥٥٤/٦ ، والمنتظم ٤٦/٧ ، والكامل ٤٤/٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات

٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٧٣ ، بنحوه .

عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى إمرة المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ،^(١) وهو الذى حج بالناس فى هذه السنة . وعزل عن إمرة مصر عبد الملك بن رفاعه^(٢) وولى عليها أيوب بن شرحبيل ، وجعل الفتيا إلى جعفر بن ربيعة ، ويزيد بن أبى حبيب ، وعبيد الله بن أبى جعفر ، فهؤلاء هم الذين كانوا يفتون الناس ، واستعمل على إفريقية وبلاد المغرب إسماعيل بن عبد الله المخزومي ، وكان حسن السيرة ، وأسلم فى ولايته على بلاد المغرب خلق كثير من البربر . والله سبحانه وتعالى أعلم^(٣) .

ومن توفى فيها من الأعيان :

الحسن^(٤) بن محمد ابن الحنفية ، تابعى جليل ، يقال : إنه أول من تكلم فى الإرجاء ، وقد تقدم أن أبا عبيد قال : توفى فى سنة خمس وتسعين . وذكر خليفة^(٥) أنه توفى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، وذكر شيخنا الذهبي^(٦) فى الأعلام أنه توفى فى هذا العام .

وفىها توفى سليمان بن عبد الملك بن مروان كما تقدم^(٧) .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى ٢ ، ب ، ص : « بن وداعة » ، وفى م « بن أبى وداعة » . والمثبت من النجوم الزاهرة ١ / ٢٣٨ ، وانظر حسن المحاضرة ١ / ٥٨٨ .

(٣) فى ٢ ، ب « الحسين » . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥ / ٣٢٨ ، وطبقات خليفة ٢ / ٥٩٨ ، والتاريخ الكبير ٢ / ٣٠٥ ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٦٣ ، وتاريخ دمشق ١٣ / ٣٧٣ ، وتهذيب الكمال ٦ / ٣١٦ ، وسير أعلام النبلاء ٤ / ١٣٠ ، والوفى بالوفيات ١٢ / ٢١٣ .

(٤) طبقات خليفة ٢ / ٥٩٩ ، وتاريخ خليفة ٤٣٣ .

(٥) الذى عليه الذهبي فى سير أعلام النبلاء ٤ / ١٣٠ ، أنه توفى سنة مائة أو فى التى قبلها ، نقلًا عن خليفة بن خياط فى طبقاته ٢ / ٥٩٩ .

(٦) تقدم فى ص ٦٥٥ .

عبدُ الله بنُ مُحيرِيزِ بنِ جُنادةَ بنِ وَهَبٍ^(١) القرشِيُّ [١٦٦/٧] الجَمَحِيُّ
المَكِّيُّ، نَزِيلُ بَيْتِ المقدِسِ، تابعيٌّ جليلٌ، رَوَى عن زوجِ أمِّه^(٢) أبي محذورةَ
المؤدِّنِ، وعُبادَةَ بنِ الصَّامِتِ، وأبي سعيدٍ، ومعاويةَ، وغيرِهِم. وعنه خالدُ بنُ
معدانَ، ومكحولٌ، وحسانُ بنُ عطيةَ، والزُّهريُّ، وآخرون. وقد وثِّقه غيرُ
واحدٍ، وأثنى عليه جماعةٌ من الأئمَّةِ، حتى قال رجاءُ بنُ حيوةَ: إن يفخرَ علينا أهلُ
المدينةِ بعابِدِهِم ابنِ عمرَ، فإننا نفخرُ عليهم بعابِدِنا عبدِ الله بنِ مُحيرِيزِ. وقال بعضُ
ولديه: كان يخيِّمُ القرآنَ كُلَّ^(٣) جمعةٍ، وكان يُقرِّشُ له الفراشَ فلا ينامُ عليه. قالوا:
وكان صموتًا معتزلاً للفتنِ. وكان لا يتركُ الأمرَ بالمعروفِ^(٤) والنَّهيَ عن المنكرِ^(٥)، ولا
يذكرُ شيئًا من خِصاله المحمودةِ، ورأى على بعضِ الأمراءِ حُلَّةً من حريرٍ فأنكرَ عليه،
فقال: إنما ألبسُها من أجلِ هؤلاء - وأشار إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ أميرِ المؤمنين - فقال
له ابنُ مُحيرِيزِ: لا تعدِّلْ بخوفِكَ من الله خوفَ أحدٍ من الناسِ.

وقال الأوزاعيُّ^(٥): مَنْ كان مُقتدِيًا فليقتدِ بِمِثْلِهِ، فإنَّ اللهَ لا يُضِلُّ أُمَّةً فيها
مثلهُ. وقال بعضهم^(٦): تُوفِّي أيامَ الوليدِ. وقال خليفةُ بنُ خياطٍ^(٧): تُوفِّي أيامَ

(١) في ١، ٢، ب: «وعيد»، وفي م: «عبيد». وانظر ترجمته في: الاستيعاب ٩٨٣/٣، وأسد الغابة ٣٧٨/٣، والإصابة ٢٠٨/٥، وتهذيب الكمال ١٠٦/١٦، وسير أعلام النبلاء ٤٩٤/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٤٠٧، والوافي بالوفيات ٥٩٩/١٧.

(٢) في ١، ٢، ب، م، ص: «أم».

(٣) بعده في الأصل: «ليلة».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٤٠٨، وسير أعلام النبلاء ٤٩٦/٤، ومختصر تاريخ دمشق ٣٣/١٤.

(٦) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٤٠٩، وسير أعلام النبلاء ٤٩٦/٤، ومختصر تاريخ دمشق ٣٥/١٤.

(٧) طبقات خليفة ٧٥٥/٢.

عمر بن عبد العزيز . وذكر الذهبي^(١) في «الأعلام» أنه توفي في هذا العام . والله سبحانه أعلم^(٢) .

محمود بن لبید بن عتبة أبو نعيم الأنصاري الأشعري المدني^(٣) ، ولد في حياة النبي ﷺ ، وروى عنه أحاديث ، لكن حكمها الإرسال .

وقال البخاري^(٤) : له صحبة . وقال ابن عبد البر^(٥) : هو أسن^(٦) من محمود ابن الزبيح . قيل^(٧) : إنه توفي في سنة ست - وقيل^(٨) : سبع - وتسعين .

وذكر الذهبي^(٩) في «الأعلام» أنه توفي في هذا العام ،^(١٠) أعنى سنة تسع وتسعين^(١١) . والله أعلم باليقين .

نافع بن جبير بن مطعم بن عدی بن نوفل القرشي التوفلي المدني^(١٢) ،

(١) الذي عليه الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤/٤٩٦ أنه توفي في أيام دولة الوليد .
(٢) بعده في ٢١ ، م ، ص : «دخل ابن محيريز مرة حانوت يراز ليشتري منه ثوباً فرفع في السوم فقال له جاره ويحك هذا ابن محيريز ضع له فأخذ ابن محيريز بيد غلامه وقال اذهب بنا إنما جئنا لنشتري بأموالنا لا بأدياننا فذهب وتركه» .

(٣) الاستيعاب ٣/١٣٧٨ ، وأسد الغابة ٥/١١٧ ، والإصابة ٦/٤٢ .
(٤) التاريخ الكبير ٧/٤٠٢ ، ولم يصرح بأن له صحبة ، ولكنه أسند إلى النبي ﷺ . وقال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٨/٢٨٩ : قال البخاري : له صحبة . فخط أبي عليه ، وقال : لا يعرف له صحبة . ورجع ابن عبد البر قول البخاري .

(٥) الاستيعاب ٣/١٣٧٩ .
(٦) في ٢١ ، ب ، م ، ص : «أحسن» . وانظر المصدر السابق .

(٧) طبقات ابن سعد ٥/٧٧ .
(٨) سير أعلام النبلاء ٣/٤٨٦ .

(٩) سير أعلام النبلاء ٣/٤٨٦ ، لكنه ذكر أنه توفي سنة سبع وتسعين ، أو ست وسبعين .
(١٠ - ١١) سقط من : ٢١ ، ب ، م ، ص .

(١٢) انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٥/٢٠٥ ، وطبقات خليفة ٢/٦٠٣ ، والتاريخ الكبير ٨/٨٢ ، وتهذيب الكمال ٢٩/٢٧٢ ، وسير أعلام النبلاء ٤/٥٤١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٩١ ، وشذرات الذهب ١/١١٦ .

روى عن أبيه، وعثمان^(١)، وعليّ، والعباس، وأبي هريرة، وعائشة، وغيرهم، وروى عنه جماعة من التابعين وغيرهم، وكان ثقةً عابداً يحجّ ماشياً، ومركوبه يقادّ معه، قال غير واحد^(٢): توفّي سنة تسع وتسعين بالمدينة. والله أعلم.

كُزَيْبُ بْنُ مُسْلِمٍ^(٣) مولى ابن عباس، روى عن جماعة من الصحابة وغيرهم، وكان عنده حِملُ كتب، وكان من الثقات المشهورين بالخير والديانة.

مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ^(٤) كان من علماء قريش وأشرافها، وله روايات كثيرة، توفّي في المدينة، ودُفِن في البقيع.

مُحَمَّدُ بْنُ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيُّ، أَبُو مُحَمَّدٍ^(٥)، له روايات كثيرة^(٦)، وكان يعقلُ مَجَّةً مَجَّهَا^(٧) النَّبِيُّ ﷺ في وجهه، وعمره أربع سنين^(٨)، توفّي وعمره ثلاث وتسعون سنةً بالمدينة.

مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيُّ^(٩)، الفقيه الزاهد، له روايات،

(١) يعنى عثمان بن أبى العاص. انظر تهذيب الكمال ٢٩/٢٧٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/٢٠٧.

(٣) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/٢٩٣، وطبقات خليفة ٢/٧٠٣، والتاريخ الكبير ٧/٢٣١، وتهذيب الكمال ٢٤/١٧٢، وسير أعلام النبلاء ٤/٤٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١-١٠٠هـ) ص ٤٦٢، وشذرات الذهب ١/١١٤.

(٤) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/٢٠٥، وطبقات خليفة ٢/٦٠٢، والتاريخ الكبير ١/٥٢، وتهذيب الكمال ٢٤/٥٧٣، وسير أعلام النبلاء ٤/٥٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١-١٠٠هـ) ص ٤٦٦، وشذرات الذهب ١/١١٦.

(٥ - ٥) سقط من : م.

(٦) انظر ترجمته فى : الاستيعاب ٣/١٣٧٨، وأسد الغابة ٥/١١٦، والإصابة ٦/٣٩.

(٧) أى : صبيها من فمه. تاج العروس (م ج ج).

(٨) البخارى (٧٧) من طريق محمود بن الربيع، بلفظ : «وأنا ابن خمس سنين من دلو».

(٩) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/١٨٦، وطبقات خليفة ١/٤٩١، والتاريخ الكبير =

كان لا يُفْضَلُ عليه أحدٌ في زمانه، وكان عابداً ورعاً زاهداً كثيرَ الصلاة، كثيرَ الخشوع. وقيل: إنَّه وَقَعَ في داره حريقٌ فأطفأه، وهو في الصلاة لم يَشْعُرْ به، وله مناقبٌ كثيرة، رَحِمَهُ اللهُ. قلتُ: وانهدمتُ مرَّةً ناحيةً من المسجدِ ففزعَ أهلُ السوقِ لِهَدَّتِها، وإنَّه لَفِي المسجدِ في صلاتِهِ فما التَفَّتْ.

وقال ابْنُه: رأيتهُ ساجداً، وهو يقولُ: متى أَلْقَاكَ وَأنتَ عَنِّي راضٍ؟ ثم يذهَبُ في الدعاءِ، ثم يقولُ: متى أَلْقَاكَ وَأنتَ عَنِّي راضٍ؟ وكان إذا كان في غيرِ صلاةٍ كأنَّه في الصَّلَاةِ، وقد تقدَّمتُ ترجمته.

حَنَشُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو الصَّنَعَانِيِّ^(٢)

كان واليَ إفريقيةَ، وبلادِ المغربِ، وبإفريقيةَ تُوفِّيَ غازياً، وله رواياتٌ كثيرةٌ عن جماعةٍ من الصحابةِ.

خارجةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ الصُّحَّاكِ الْأَنْصَارِيِّ الْمَدَنِيِّ الْفَقِيهِ^(٣)، كان يُفْتَى بالمدينةِ، وكان من فقهاءِ المعدودينَ، كان عالماً بالفرائضِ وتقسيمِ الموارِيثِ، وهو أحدُ الفقهاءِ السَّبعةِ الذين مدارُ الفتوى على قولهم.

= ٢٧٥/٧، وحلية الأولياء ٢/٢٩٠، وطبقات الشيرازي ص ٨٨، وتهذيب الكمال ٢٧/٥٥١، وسير أعلام النبلاء ٤/٥١٠، وشذرات الذهب ١/١١٩.

(١ - ١) سقط من النسخ، والمثبت من مصادر الترجمة الآتية.

(٢) انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٥/٥٣٦، والتاريخ الكبير ٣/٩٩، وتاريخ دمشق ١٥/٣٠٧، وتهذيب الكمال ٧/٤٢٩، وطبقات فقهاء اليمن ٥٧، وسير أعلام النبلاء ٤/٤٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٣٩، وشذرات الذهب ١/١١٩.

(٣) انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٥/٢٦٢، وطبقات خليفة ٢/٦٢٧، والتاريخ الكبير ٣/٢٠٤، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦٠، وتهذيب الكمال ٨/٨، وسير أعلام النبلاء ٤/٤٣٧، والوفيات ١٣/٢٤١.

سنة مائة من الهجرة النبوية

^(١) قال الإمام أحمد^(٢) : حدثنا علي بن حفص ، أنبأ ورقاء ، عن منصور ، عن الجنهال بن عمرو ، عن نعيم بن دجاجة ، قال : دخل أبو مسعود على علي ، فقال : أنت القائل : قال رسول الله ﷺ : « لا يأتي على الناس مائة عام وعلى الأرض نفس منفوسة ؟ » إنما قال رسول الله ﷺ : « لا يأتي على الناس مائة عام وعلى الأرض نفس منفوسة ممن هو حي » . وإن رخاء هذه الأمة بعد المائة . تفرد به أحمد .

وفى رواية^(٤) لابنه عبد الله أن عليًا قال له : يا فتوح ، أنت القائل : لا يأتي على الناس^(٥) مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف ؟ أخطأت استك الحفرة ، إنما قال رسول الله ﷺ : « لا يأتي على الناس مائة سنة ، وعلى الأرض عين تطرف ممن هو اليوم حي » . وإنما رخاء هذه الأمة وفرجها بعد المائة . تفرد به .

وهكذا جاء في « الصحيحين »^(٦) عن ابن عمر : فوهل الناس في مقالة رسول الله ﷺ تلك ، وإنما أراد انخرام قزنيه^(٨) .

وفيها خرجت خارجة من الحرورية بالعراق ، فبعث أمير المؤمنين عمر بن

(١ - ١) زيادة من : ٢١ ، ب ، م ، ص .

(٢) المسند ٩٣ / ١ . إسناده صحيح .

(٣) في ٢١ ، م : « ابن » ، وانظر المصدر السابق .

(٤) المسند ١٤٠ / ١ . إسناده صحيح . وفي النسخ تقديم وتأخير مُخِلٌ بالمعنى وصارف له إلى غير وجهه .

والثبت من مصدر التخريج . وانظر مسند أبي يعلى (٥٨٤) .

(٥) في ب : « السنة » .

(٦) البخاري (١١٦) ، مسلم (٢٥٣٧) .

(٧) وهل الناس : غلطوا وذهب همهم إلى غير الصواب . وانظر الموضعين السابقين .

(٨) الانخرام : الانقضاء والانقطاع . أراد أن هذه المدة تخترم الجيل الذي هم فيه فوعظهم بقصر أعمارهم . وانظر الفتح ٢١٢ / ١ .

عبد العزيز إلى عبد الحميد نائب الكوفة ، يأمره بأن يدعُوهم إلى الحق ، ويتلطّف بهم ، ولا يقاتلهم حتى يُفْسِدُوا في الأرض ، فلمّا فعلوا ذلك بعث إليهم جيشًا فكسّرهم الحروريّة ، فبعث عمرُ إليه يلومُه على جيشه ، وأرسل عمرُ ابنَ عمّه مَسْلَمَةَ بنَ عبد الملك من الجزيرة إلى حربهم ، فأظفره الله بهم ، وقد أرسل عمرُ إلى كبير الخوارج - وكان يقال له : بسطام - يقول له : ما أخرجك عليّ ؟ فإن كنتَ خرجتَ غضبًا [١٦٧/٧] لله ، فأنا أحقُّ بذلك منك ، ولستَ أولى بذلك منّي ، وهلمّ أناظرك ؛ فإن رأيتَ حقًا اتبعتّه ، وإن أبديتَ حقًا نظرنا فيه .

فبعث طائفةً من أصحابه إليه ، فاختارَ منهم عمرُ رجلين فسألهما : ماذا تنقِمون ؟ فقالا : جعلك يزيد بن عبد الملك من بعدك . فقال : إنني لم أجعله أبدًا ، وإنما جعله غيري . قالا : فكيف ترضى به أمينًا للأمة من بعدك ؟ فقال : أنظرني ثلاثة . فيقال : إنّ بني أمية دسّث إليه سمًا ، فقتلوه ؛ خشية أن يخرج الأمر من أيديهم ، ويمنعهم الأموال . والله أعلم .

وفي هذه السنة غزا عمرُ بن الوليد بن هشام المعيطي ، وعمرُو بن قيس الكندي - من أهل حمص - الصائفة .

وفيها ولّى عمرُ بن عبد العزيز عمرَ بن هبيرة نيابة الجزيرة ، فسار إليها . وفيها ^(١) حُمِلَ يزيد بن المهلب إلى عمرَ بن عبد العزيز من العراق ؛ أرسله عدى بن أرطاة نائب البصرة - ^(٢) وقد كان أظهر الامتناع ^(٣) - مع موسى بن وجيه ، وكان عمرُ يُنْعِضُ يزيد بن المهلب وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء جبابرة ولا

(١) تاريخ الطبري ٥٥٦/٦ .

(٢ - ٣) سقط من : ٢١ ، ب ، م .

أُحِبُّ مِثْلَهُمْ .

فلَمَّا دَخَلَ عَلَى عَمْرٍو طَالَبَهُ بِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي كَانَ قَدْ كَتَبَ إِلَى سُلَيْمَانَ أَنَّهَا حَاصِلَةٌ عِنْدَهُ ، فَقَالَ : إِنَّمَا كَتَبْتُ بِذَلِكَ لِأُرْهِبَ الْأَعْدَاءَ بِذَلِكَ ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ سُلَيْمَانَ شَيْءٌ ، وَقَدْ عَرَفْتَ مَكَانَتِي عِنْدَهُ . فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو : لَا أَسْمَعُ مِنْكَ هَذَا ، وَلَسْتُ أُطْلِقُكَ حَتَّى تُؤَدِّيَ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ . وَأَمَرَ بِسَجْنِهِ .

وَكَانَ عَمْرٌو قَدْ بَعَثَ عَلَى إِمْرَةِ خُرَاسَانَ الْجُرَّاحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَكَمِيِّ عِوَضَهُ ، وَقَدِيمٌ ^(١) وَلَدُ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ^(٢) - مَخْلَدُ بْنُ يَزِيدَ - فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ مَنَّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِوِلَايَتِكَ عَلَيْهَا ، فَلَا نَكُونَنَّ ^(٣) أَشَقَى النَّاسِ بِكَ ، فَعَلَامَ تَحْبِسُ هَذَا الشَّيْخَ وَأَنَا أَقُومُ ^(٤) بِمَا تَصَالِحُنِي عنه ؟ فَقَالَ عَمْرٌو : لَا أَصَالِحُكَ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَقُومَ بِجَمِيعِ مَا يُطْلَبُ مِنْهُ ^(٥) . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ كَانَتْ لَكَ يَبْنَةُ عَلَيْهِ بِمَا تَقُولُ ، وَلَا فَاقْبَلْ يَمِينَهُ أَوْ فَصَالِحُنِي عَنْهُ . فَقَالَ : لَا آخُذُ مِنْهُ إِلَّا جَمِيعَ مَا عِنْدَهُ . فَخَرَجَ مَخْلَدُ بْنُ يَزِيدَ مِنْ عِنْدِ عَمْرٍو ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ مَخْلَدٌ ، فَكَانَ عَمْرٌو يَقُولُ : هُوَ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ .

ثُمَّ إِنَّ عَمْرٌو أَمَرَ بِأَنْ يَلْبَسَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ جُبَّةً مِنْ صُوفٍ ، وَيُرَكَّبَ عَلَى بَعِيرٍ ، وَيَذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَزِيرَةِ ذَهْلَكَ ^(٦) الَّتِي كَانَ يُنْفَى إِلَيْهَا الْفَسَاقُ ، فَشَقَّعُوا فِيهِ ، فَرَدَّهُ إِلَى السَّجَنِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى مَرِضَ عَمْرٌو ^(٧) مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، فَهَرَبَ ^(٨)

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ : «ابنه» .

(٢) بَعْدَهُ فِي ١ ، ٢ ، ب ، م ، ص : «نَحْنُ» .

(٣ - ٣) فِي م : «لَهُ أَتَصَالِحُنِي» .

(٤) بَعْدَهُ فِي ١ ، ٢ ، ب ، م ، ص : «وَلَا آخُذُ مِنْهُ إِلَّا جَمِيعَ مَا عِنْدَهُ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ» .

(٥) ذَهْلَكَ : جَزِيرَةٌ فِي بَحْرِ الْيَمَنِ ، وَهِيَ مَرَسَى بَيْنَ بِلَادِ الْيَمَنِ وَالْحَبَشَةِ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٢١ / ٣٣٤ .

(٦ - ٦) زِيَادَةٌ مِنْ ١ ، ٢ ، ب ، م ، ص .

^(١) من السجن، وهو مريض، وعلم أنه يموت في مرضه ذلك، وبذلك كتب إليه، كما سيأتي، وأظنه كان عالماً أن عمر قد سقى سماً^(١).

وفي هذه السنة، في رمضان منها، عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله الحكمي عن إمرة خراسان، بعد سنة وخمسة أشهر؛ وإنما عزله لأنه كان يأخذ الجزية من [١٦٧/٧] أسلم من الكفار، ويقول: أنتم إنما تسلمون فراراً منها. فامتنعوا من الإسلام، وثبتوا على دينهم، وأدوا الجزية.

فكتب إليه عمر: إن الله إنما بعث محمداً ﷺ داعياً، ولم يبعثه جانياً. وعزله وولى بدله عبد الرحمن بن نعيم القشيري على الحرب، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج.

وفيها كتب عمر إلى عماله يأمرهم بالخير، وينهاهم عن الشر، ويبين لهم الحق، ويوضحه لهم، ويعظهم فيما بينه وبينهم، ويخوفهم بأس الله وانتقامه، فكان فيما كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم القشيري:

أما بعد، فكن عبداً لله، ناصحاً لله في عباده، ولا تأخذك في الله لومة لائم، فإن الله أولى بك من الناس، وحقه عليك أعظم، ولا تولين شيئاً من أمور المسلمين إلا المعروف بالتصحيح لهم، والتوفير عليهم، وأداء الأمانة فيما استرعى، وإياك أن يكون منك مئلاً إلى غير الحق؛ فإن الله لا تخفى عليه خافية، ولا تذهبن عن الله مذهباً؛ فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه.^(١) وكتب مثل ذلك مواظب كثيرة إلى العمال^(١).

(١ - ١) زيادة من: ٢١، ب، م، ص.

^(١) وقال البخاري في « صحيحه » ^(٢) : وكتب عمرُ إلى عدي بن عدي :

إن للإيمان فرائضَ وشرائعَ وحدودًا وشئنا ، من استكملها استكمل الإيمان ،
ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، فإن أعش فسأئتها لكم حتى تعملوا
بها ، وإن أمث فما أنا على ضحيتكم بحريص ^(٣) .

وفي هذه السنة كان بدءُ دعوة بني العباس

وذلك أن محمد بن علي ^(٤) بن عبد الله بن عباس - وكان مقيمًا بأرض
الشَّراء ^(٥) - بعث من جهته رجلًا يقال له : ميسرة . إلى العراق ، وأرسل طائفةً
أخرى وهم : محمد بن خنيس ^(٦) ، وأبو عكرمة السَّراج - وهو أبو محمد
الصادق - وحيَّان العطار - خال إبراهيم بن سلمة ^(٧) - إلى خراسان ، وعليها
يومئذ الجراح بن عبد الله الحكمي قبل أن يُعزل في رمضان ، وأمرهم بالدعاء إليه ،
وإلى أهل بيته ، فلقوا من لقوا ثم انصرفوا بكتب ^(٨) من استجاب لهم ^(٩) إلى
ميسرة ، الذي بالعراق ، فبعث بها إلى محمد بن علي ففرح بها ، واستبشر به ،
وسره ، وكان مبادئ أمرٍ قد كتب الله إتمامه ، وأول رأيٍ قد أحكم الله إبرامه ،

(١ - ١) زيادة من : ٢١ ، ب ، م ، ص ، ولعله من زيادات أحد النساخ ، ثم تنقلت .

(٢) فتح الباري ١/ ٤٥ ، باب قول النبي ﷺ : « بنى الإسلام على خمس » ، من كتاب الإيمان ، وانظر
تغليق التعليق ١٩/ ٢ .

(٣) بعده في ص : « بن عبد الملك » .

(٤) في ب ، ص : « السَّراء » . وانظر معجم البلدان ٣/ ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٥) في الأصل : « حسين » . وفي ٢١ ، ب : « حبس » . وانظر تاريخ الطبري ٦/ ٥٦٢ .

(٦) في ب ، ص : « مسلمة » . وانظر المصدر السابق .

(٧) في الأصل ، ٢١ ، ب : « فكتب » . وفي ص : « فكتبوا » .

(٨) في ٢١ ، ب ، م ، ص : « منهم » . وانظر تاريخ الطبري ٦/ ٥٦٢ .

وذلك^(١) أَنَّ دولةَ بنى أُمَيَّةَ كان قد بان عليها مخايلُ الوهنِ والضعفِ ، ولا سيما بعدَ موتِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، كما سيأتى بيانه . وقد اختارَ أبو محمدُ الصادقُ لمحمدِ بنِ عليٍّ اثنيَ عشرَ نقييًّا ، وهم ؛ سليمانُ بنُ كثيرِ الخزاعيِّ ، ولاهزُ بنُ قُريظِ التميميِّ ، وقُحطبةُ بنُ شبيبِ الطائيِّ ، وموسى بنُ كعبِ التميميِّ ، وخالدُ بنُ إبراهيمِ أبو داودَ^(٢) مِن بنى^(٣) عمرو بنِ شيبانَ بنِ ذُهَلِ ، والقاسمُ بنُ مجاشعِ التميميِّ ، وعمرانُ بنُ إسماعيلَ أبو النجمِ - مولى لآلِ أبي مُعَيطٍ - ومالكُ بنُ الهيثمِ الخزاعيِّ ، وطلحةُ بنُ زُرَيْقِ الخزاعيِّ ، وعمرُو^(٤) بنُ أَغْيَنَ^(٥) أبو حمزة - مولى لخزاعة - وشبَلُ بنُ طَهْمَانَ أبو عليٍّ الهَرَوِيُّ - مولى لبنى حنيفة - وعيسى^(٦) بنُ أَغْيَنَ مولى خزاعة أيضًا . واختار منهم سبعينَ رجلًا أيضًا . وكتب إليهم محمدُ بنُ عليٍّ كتابًا يكونُ لهم مثلاً وسيرةً يقتَدُونَ بها ويسيروْنَ بها .

وقد حجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أبو بكرِ بنُ محمدِ بنِ عمرو بنِ حزمٍ ، نائبُ المدينة . والثَّوَابُ على الأُمصارِ هم المذكورون فى التى [١٦٨/٧] قبلها ، سوى مَنْ ذَكَرْنَا مِّنْ غَزَلٍ وتولَّى غيره . واللَّهُ أعلم .

ولم يَحْجِ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ فى أيامِ خلافتِهِ لشغلهِ بالأُمورِ ، ولكنه كان يُريدُ البريدَ إلى المدينة ، فيقولُ له : سلِّم على رسولِ اللَّهِ ﷺ عَنِّي . وسيأتى بإسناده إن شاء اللَّهُ .

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

- (١) سقط من : م .
 (٢ - ٢) فى ٢ ا : « من » . وفى ب ، ص : « بن » . وانظر تاريخ الطبرى ٥٦٢ / ٦ .
 (٣ - ٣) فى الأصل ، ٢ ا ، ب ، ص : « ابن أبى أعين » . وانظر تاريخ الطبرى ٥٦٢ / ٦ ، والكامل ٥٤ / ٥ .
 (٤) فى الأصل ، ٢ ا ، ب ، ص : « موسى » . وانظر المصدر السابق .

سالم بن أبي الجعد الأشجعي^(١)، مولاهم الكوفى، أخو زياد، وعبد الله، وعبيد الله، وعمران ومسلم، وهو تابعى جليل، روى عن ثوبان^(٢)، وجابر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، والنعمان بن بشير، وغيرهم، وعنه قتادة، والأعمش، وآخرون، وكان ثقة نبيلًا جليلًا^(٣)،^(٤) توفي في هذه السنة على المشهور^(٥).

أبو أمانة بن سهل بن حنيف، الأنصارى الأوسى المدني، وُلِدَ في حياة النبي ﷺ ورآه، وحَدَّثَ عن أبيه، وعمر، وعثمان، وزيد بن ثابت، ومعاوية، وابن عباس. وعنه الزهرى، وأبو حازم، وجماعة، قال الزهرى^(٦): كان من عليّة الأنصار وعلمائهم، ومن أبناء الذين شهدوا بدرًا. وقال يوسف بن الماجشون، عن عُتْبَةَ بن مسلم، قال^(٧): آخرُ خُرْجَةٍ خَرَجَهَا عثمانُ بنُ عفانَ، رَضِيَ اللَّهُ عنه، إلى الجُمُعَةِ، حَصَبَهُ النَّاسُ وحالوا بينه وبين الصلاة، فصلّى بالناس يومئذ أبو أمانة بن سهل بن حنيف. قالوا^(٨): توفي سنة مائة. والله أعلم.

(١) انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦/ ٢٩١، وطبقات خليفة ١/ ٣٥٩، وتهذيب الكمال ١٠/ ١٣٠، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٦١، والوفى بالوفيات ١٥/ ٩٥.

(٢) قال محمد بن يحيى الذهلى: سمعت أحمد بن حنبل يقول: لم يسمع سالم من ثوبان ولم يلقه، وبينهما معدان بن أبى طلحة، وليست هذه الأحاديث بصحاح. تهذيب الكمال ١٠/ ١٣٢.

(٣) قال الذهبى فى ميزان الاعتدال ٢/ ١٠٩: من ثقات التابعين، لكنه يدلّس ويرسل.

(٤ - ٤) سقط من: ٢، ب، م، ص.

(٥) سقط من: م، ص، وانظر ترجمته فى: الاستيعاب ٤/ ١٦٠٢، وأسد الغابة ٦/ ١٨، والإصابة ١/ ١٨١.

(٦) تاريخ دمشق ٨/ ٣٣٣، ٣٣٤.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٨/ ٣٤٤ عنه به.

(٨) تاريخ دمشق ٨/ ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٣٦، وتهذيب الكمال ٢/ ٥٢٦.

أبو الزاهرية خديز بن كريب الحمصي^(١)، تابعي جليل، سجع أبا أمانة؛
 صدق بن عجلان، وعبد الله بن بسر، ويقال^(٢) : إنه أدرك أبا الدرداء.
 والصحيح أن روايته عنه، وعن حذيفة مرسلة^(٣)، وقد حدث عنه جماعة من أهل
 بلده، وقد وثقه ابن معين، وغيره. ومن أغرب ما روى عنه قول قتبية^(٤) : ثنا
 شهاب بن خراش عن حميد بن^(٥) أبي الزاهرية، قال : أغفيت في صخرة بيت
 المقدس، فجاءت السدنة، فأغلقوا على الباب، فما انتبهت إلا بتسييح الملائكة،
 فوثبت مذعورا، فإذا الملائكة صفوف؛ فدخلت معهم في الصف. قال أبو
 عبيد^(٦)، وغيره^(٧) : مات سنة مائة.

أبو الطفيل عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو الليثي الكنانى^(٨)،
 صحابي، وهو آخر من رأى النبي ﷺ وفاة بالإجماع،^(٩) روى عن النبي
 ﷺ،^(١٠) أنه رآه^(١١) يستلم الركن بحجته^(١٢)، وذكر صفة النبي ﷺ، وروى
 عن أبي بكر، وعمر، وعلي، ومعاذ، وابن مسعود، وحدث عنه الزهري،
 وقتادة، وعمر بن دينار، وأبو الزبير، وجماعة من التابعين. وكان من أنصار

(١) طبقات ابن سعد ٧/٤٥٠، وطبقات خليفة ٢/٧٩٦، وتاريخ دمشق ١٢/٢٤٣، وتهذيب الكمال

٥/٤٩١، وسير أعلام النبلاء ٥/١٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٥١٧.

(٢) تاريخ دمشق ١٢/٢٤٦، وسير أعلام النبلاء ٥/١٩٣.

(٣) المراسيل لابن أبي حاتم ص ٤٩.

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/٢٤٧، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٥/١٩٣. كلاهما
 من طريق قتبية به.

(٥) في ب، م، ص : «عن».

(٦) في النسخ : «أبو عبيدة». والمثبت من مصادر الترجمة.

(٧) تاريخ دمشق ١٢/٢٤٩، ٢٥٠.

(٨) الاستيعاب ٢/٧٩٨، وأسد الغابة ٣/١٤٥، والإصابة ٧/٢٣٠.

(٩ - ٩) في ١، ب، م، ص : «قال رأيت».

(١٠ - ١٠) سقط من : ١، ب، م، ص.

(١١) تقدم تخريجه في ٧/٥٤٦، ٥٤٧.

عليّ بن أبي طالب ، شهد معه حروبه كلها ، لكنّ نَقَم بعضهم عليه كونه كان مع المختار بن أبي عبيد ، ويقال : [١٦٨/٧] إنه كان حامل رايته . وقد روى أنّه دخل على معاوية ، فقال له ^(١) : ما أبقي لك الدهر من نُكُلك عليّاً ؟ فقال : تُكَل العجوز المقلات ^(٢) والشيخ الرقوب . قال : كيف حبّك له ؟ قال : حبّ أمّ موسى لموسى ، وإلى الله أشكو التقصير . قيل : إنه أدرك من حياة النبي ﷺ ثمان سنين ، ومات سنة مائة . وقيل : سنة سبع ومائة ^(٣) . وقيل : سنة عشر ومائة ^(٤) . فالله أعلم . قال مسلم ^(٥) بن الحجاج : وهو آخر من مات من الصحابة مطلقاً ، ومات سنة مائة . أبو عثمان التَّهْدِيُّ ^(٦) ، واسمه عبد الرحمن بن مل ^(٧) البصري ، أدرك الجاهلية وحجّ في زمن الجاهلية مرتين ، وأسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره ، وأدّى في زمانه الزكاة ثلاث سنين إلى عمال النبي ﷺ ؛ ومثل هذا يسمّيه أئمة الحديث مُحَضَّرَماً ، وهاجر إلى المدينة في زمان عمر بن الخطاب ، فسمع منه ، ومن عليّ وابن مسعود ، وخلق من الصحابة ، وصحب سلمان ^(٨) الفارسي ثنتي عشرة سنة حتى دفنّه ، وروى عنه جماعة من التابعين وغيرهم ، منهم أيوب ، وحميد الطويل ، وسليمان بن طرخان التيمي . وقال عاصم الأحول ^(٩) : سمعته يقول : أدركت في الجاهلية يَغُوث ؛ صنماً من رصاص يحمل على جمل أجرد ،

(١) تاريخ دمشق ١١٦/٢٦ ، ١١٧ ، وسير أعلام النبلاء ٤٦٩/٣ .

(٢) المقلات : هي التي لم يبق لها ولد ، وكذلك الشيخ الرقوب .

(٣ - ٣) سقط من : ٢ ، ب ، م ، ص . وانظر تاريخ دمشق ١٧٤/٢٦ .

(٤) في م : « مسلمة » . وانظر تهذيب الكمال ٨١/١٤ بنحوه .

(٥) الاستيعاب ٨٥٣/٢ ، وأسد الغابة ٤٩٧/٣ ، والإصابة ١٠٨/٥ .

(٦) بيم مثله ولام ثقيلة . وانظر مصادر الترجمة ، وتهذيب الكمال ٤٢٤/١٧ .

(٧) في ص : « سليمان » .

(٨) تاريخ دمشق ٢١٨/١٠ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ١٧٦/٤ .

فإذا بلغ وادياً برك فيه ، فيقولون : قد رضى ربكم لكم هذا الوادى ، فينزّلون فيه . قال ^(١) : وسمِعته وقد قيل له : أدركت النبى ﷺ ؟ فقال : نعم ، أسلمت على عهده ، وأدّيت إليه الزكاة ثلاث مرات ، ولم ألقه ، وشهدت اليرموك ، والقادسية ، وجلولاء ، ونهاوند ، ^(٢) وتُستَر ، وأذريجان ، ورُستَم . وقال غيره ^(٣) : كان البشير إلى عمر فى فتح نهاوند . قالوا ^(٤) : و ^(٥) كان أبو عثمان ^(٦) صواماً قواماً ؛ يسرّد الصوم ، ويقوم الليل ^(٧) لا يتركه ، وكان يُصلى حتى يُغشى عليه . وحجّ ستين مرة ما بين حجة وعمره . قال سليمان التيمي ^(٨) : إني لأحسبه لا يصيب ذنبا ؛ لأنه كان ليله قائماً ونهاره صائماً . وقال بعضهم ^(٩) : سمعت أبا عثمان النهدي يقول : أتت على ثلاثون ومائة سنة ، وما منى شىء إلا وقد أنكرته خلا أملى فإني أجده كما هو . وقال ثابت البناني ، عن أبي عثمان ، قال ^(١٠) : إني لأعلم حين يذكرني الله عز وجل . قال : فنقول له : من أين تعلم ذلك ؟ فيقول : قال الله تعالى : ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] . فإذا ذكرت الله ذكرني . قال : وكنا إذا دعونا الله قال : والله لقد استجاب الله لنا ، قال الله تعالى :

-
- (١) تاريخ بغداد ٢٠٣/١٠ ، ٢٠٤ ، وتاريخ دمشق ٢١٦/١٠ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ١٧٦/٤ ، ١٧٧ .
(٢ - ٣) سقط من : ٢١ ، ب ، م ، ص .
(٣) سير أعلام النبلاء ١٧٧/٤ .
(٤) سير أعلام النبلاء ١٧٧/٤ بنحوه .
(٥ - ٥) فى الأصل : « صواما بالنهار يسرده قواما بالليل » .
(٦) تاريخ دمشق ٢٢١/١٠ (مخطوط) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٥٣٦ .
(٧) تاريخ بغداد ٢٠٤/١٠ ، وتاريخ دمشق ٢٢٠/١٠ ، ٢٢٣ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ١٧/٤٢٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٧٧/٤ .
(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/٢٢١ ، ٢٢٢ (مخطوط) ، والمزى فى تهذيب الكمال ٤٢٨/١٧ .

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. قالوا^(١): وعاش مائة وثلاثين سنة^(٢). وقيل: وأربعين سنة^(٣). قاله هشيم وغيره. قال المدائني وغيره^(٤): تُوفِّي سنة مائة. وقال الفلاس^(٥): تُوفِّي سنة خمس وتسعين. والصحيح سنة مائة. والله أعلم.

وفيها تُوفِّي عبدُ الملكِ بنُ عمر بن عبد العزيز، وكان يُفْضَلُ على والدِه في العبادة والانقطاع عن الناس، وله كلمات حسان مع أبيه ووَعظُه إِيَّاه.

(١) تاريخ بغداد ٢٠٥/١٠، وتاريخ دمشق ٢٢٤/١٠ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٤٢٩/١٧.
(٢ - ٢) سقط من: م. وانظر تاريخ بغداد ٢٠٥/١٠، وتهذيب الكمال ٤٢٩/١٧.
(٣) تاريخ بغداد ٢٠٥/١٠، وتاريخ دمشق ٢٢٤/١٠ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٥٣٦.
(٤) المصادر السابقة.

[١٦٩/٧] ثم دخلت سنة إحدى ومائة

فيها كان هربُ يزيد بن المهلب من السجن حين بلغه مرضُ عمر بن عبد العزيز، فوعد غلمانه يلقونه بالخيْل^(١) في بعض الأماكن، وقيل^(٢): بإبل له. ثم نزل من محبسه، ومعه جماعة وامرأته عاتكة بنتُ الفرات العامرية، فلما جاءه غلمانه ركب رواجه وسار، وكتب إلى عمر بن عبد العزيز: إني والله ما خرجت من سجنك إلا حين بلغتُ مرضك، ولو رجوت حياتك ما خرجت، ولكني خشيْتُ من يزيد بن عبد الملك؛ فإنه يتوعدني بالقتل. وكان يزيد بن عبد الملك يقول: لئن وليتُ لأقطعن من يزيد بن المهلب طائفة. وذلك أنه لما ولي العراق^(٣) عاقب أصحابه، آل أبي عقيل، وهم بيتُ الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان يزيد بن عبد الملك مزوجاً بِنْتِ^(٤) محمد بن يوسف أخى الحجاج، وله منها ابنه الوليد بن يزيد الفاسقُ المقتول، كما سيأتي. ولما بلغ عمر بن عبد العزيز أن يزيد بن المهلب هرب من السجن، قال: اللهم إن كان يريدُ بهذه الأمة سوءاً فأكفهم شره، وارددْ كيده في نحره.

ثم لم يزل المرضُ يتزايدُ بعمر بن عبد العزيز حتى مات، وهو بخناصرة، من دير سمعان بين حماة، وحلب، في يوم الجمعة. وقيل: في يوم الأربعاء لخمس بقين^(٤) من رجب من هذه السنة - أعني سنة إحدى ومائة - عن تسع وثلاثين

(١) سقط من: الأصل. وانظر تاريخ الطبري، ٥٦٤/٦.

(٢) يعني: يزيد بن المهلب.

(٣) في الأصل: «بأم الحجاج بنت».

(٤) بعده في الأصل: «وقيل: لعشر بقين».

سنة وأشهر. وقيل: إنه جاوز الأربعين بأشهر. فالله أعلم.

وكانت خلافته، فيما ذكر غير واحد^(١) سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، وكان حكمًا مُقسطًا، وإمامًا عادلاً^(٢) ورعًا دينًا، لا تأخذه في الله لومة لائم، رحمه الله تعالى^(٣).

وهذه ترجمة عمر بن عبد العزيز الأموي^(٤) الإمام المشهور، رحمه الله وأكرم مثواه^(٥)

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو حفص القرشي الأموي^(٦) أمير المؤمنين، وأمه أم عاصم ليلي بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ويقال له: أشج بن مروان. وكان يُقال: الأشج والناقص أعدلا بنى مروان. فهذا هو الأشج، وسيأتي ذكره الناقص.

كان عمر تابعيًا جليلاً، روى عن أنس بن مالك، والسائب بن يزيد، ويوسف بن عبد الله بن سلام، ويوسف صحابي صغير. وروى عن خلي من

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٥٦٥، وتاريخ دمشق ١٣/ ٣٢٥، ٣٢٨، (مخطوط)، وسيرة عمر لابن الجوزي ص ٣٢٧، ٣٢٨. وانظر ترجمة عمر بن عبد العزيز فيما هو آت.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ب.

(٣) انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٥/ ٣٣٠، وطبقات الشيرازي ٦٤، وتاريخ دمشق ١٣/ ٢٥٧ (مخطوط)، وسيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي، وتهذيب الأسماء واللغات ١٧/ ٢/ ١، وتهذيب الكمال ٢١/ ٤٣٢، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠ هـ) ص ١٨٧.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) بعده في م: «المعروف».

التابعين . وعنه جماعة من التابعين ، وغيرهم . قال الإمام أحمد بن حنبل^(١) : لا أرى^(٢) قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز .

بُويع له بالخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك ، عن عهد منه له بذلك ، كما تقدّم ، ويقال : [١٦٩/٧ ظ] كان مولده في سنة إحدى وستين - وهي السنة التي قُتل فيها الحسين بن علي ، رضي الله عنهما - بمصر . قاله غير واحد^(٣) . وقال محمد بن سعد^(٤) : وُلد سنة ثلاث وستين . وقيل : سنة تسع وخمسين . فالله أعلم .

وكان له جماعة من الإخوة ، ولكن الذين هم من أبويه ؛ أبو بكر ، وعاصم ، ومحمد ، وقال أبو بكر بن أبي خيثمة^(٥) عن يحيى بن معين ، عن يحيى بن بكير ، عن الليث ، قال : بلغني أنَّ عمران بن عبد الرحمن بن شُرْحِبِيل بن حسنة كان يحدث أنَّ رجلاً رأى في المنام ليلة وُلد عمر بن عبد العزيز - أو ليلة وُلد الخلافة ، شكَّ^(٦) أبو بكر^(٧) - أنَّ منادياً بين السماء والأرض ينادي : أتاكم اللّين ، والدّين ، وإظهار العمل الصالح في المصلين . فقلت : ومن هو ؟ فنزل فكتب في الأرض عمر . وقال آدم بن أبي إياس^(٨) : « ثنا ضمرة^(٩) ، ثنا أبو علي ثروان مولى

(١) انظر سيرة عمر لابن الجوزي ص ٧٣ .

(٢) في م : « أدري » .

(٣) انظر تاريخ خليفة ٢٨٦/١ ، وتهذيب الكمال ٤٣٦/٢١ .

(٤) طبقات ابن سعد ٣٣٠/٥ .

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦٠/١٣ (مخطوط) ، من طريق أبي بكر بن أبي خيثمة به .

(٦ - ٦) في مصدر التخريج : « ابن بكير » .

(٧ - ٧) في م : « إياس » . وأخرجه ابن عساكر في المصدر السابق ، من طريق آدم بن أبي إياس به .

(٨ - ٨) سقط من : م .

عمر بن عبد العزيز، قال: دخل عمر بن عبد العزيز إلى إصطبل أبيه^(١) وهو غلام^(٢) فضربه فرس، فشجّه، فجعل أبوه يمسح عنه الدّم، ويقول: إن كنت أشجّ بنى أميّة إنك إذا لسعيد. رواه الحافظ ابن عساكر من طريق هارون بن معروف، عن ضمرة^(٣). وقال نعيم بن حماد^(٤): ثنا ضمام بن إسماعيل، عن أبي قبيل أن عمر ابن عبد العزيز بكى، وهو غلام صغير، فبلغ ذلك^(٥) أمّه فأرسلت إليه، فقالت: ما يُكيك؟ قال: ذكرت الموت. فبكّت أمّه. وكان قد جمع القرآن وهو غلام^(٦) صغير، وقال الضحّاك بن عثمان الحزامي^(٧): كان أبوه قد جعله عند صالح بن كيسان يؤدّبه، فلمّا حجّ أبوه اجتاز به في المدينة، فسأله عنه، فقال: ما خبرت أحدًا الله أعظم في صدره من هذا الغلام.

وروى يعقوب بن سفيان^(٨) أن عمر بن عبد العزيز تأخّر عن الصّلاة مع الجماعة يومًا، فقال صالح بن كيسان: ما شغلك؟ فقال: كانت مُرجّلتى تُسكّن شغرى. فقال له: أقدمت ذلك على الصّلاة؟ وكتب إلى أبيه، وهو على مصر يُعلّمه بذلك، فبعث أبوه رسولاً فلم يُكلّمه حتى حلق رأسه. وكان عمر بن عبد العزيز يختلِف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمّع منه، فبلغ عبيد الله أن عمر ينتقص

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) لم نجد هذا الطريق في تاريخ دمشق (مخطوط)، إنما هو فيه من طريق آدم السابق، وأما من طريق هارون فقد أخرجه الأصفهاني في الأغاني ٢٥٤/٩، وانظر سير أعلام النبلاء ١١٦/٥.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦١/١٣ (مخطوط)، من طريق نعيم بن حماد به.

(٤) سقط من: ٢١، ب، م، ص.

(٥) في الأصل: «الحزامي». وفي م: «الحزامي». وانظر تهذيب الكمال ٢٧٢/١٣. والخبر أخرجه

ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦١/١٣ (مخطوط)، بسنده عن الضحّاك به.

(٦) المعرفة والتاريخ ٥٦٨/١، ٥٦٩.

عليًا ، فلما أتاه عمرُ أعرَضَ عبيدُ اللَّهِ عنه ، وقام يصلي ، فجلس عمرُ ينتظره ، فلما سلم أقبل على عمرٍ مُغَضَّبًا ، وقال له : متى بَلَغْتَ أَنَّ اللَّهَ سَخِطَ على أهلِ بدرٍ بعدَ أَنْ رَضِيَ عنهم ؟ قال : ففهِمها عمرُ ، وقال : معذرةٌ إلى اللَّهِ ثم إليك ، وَاللَّهِ لَا أَعُودُ . قال : فما سَمِعَ بعدَ ذلك يذكُرُ عليًا إِلَّا بخيرٍ .

وقال أبو بكرٍ بنُ أبي خيثمة^(١) : ثنا [١٧٠/٧] أبي ، ثنا المفضلُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن داودَ بنِ أبي هنيدٍ ، قال : دَخَلَ علينا عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ مِنْ هذا البابِ - ^(٢) يعني بابًا من أبواب مسجدِ النَّبِيِّ ﷺ - فقال رجلٌ مِنَ القومِ : بعثَ إلينا الفاسقُ بابينِ هذا يتعلَّمُ الفرائضَ والسننَ ، ويزعمُ أَنَّهُ لن يموتَ حتى يكونَ خليفةً ، ويسيرُ بسيرةِ عمرَ بنِ الخطَّابِ . قال داودُ : فواللَّهِ ما ماتَ حتى رأينا ذلك فيه .

وقال الزبيرُ بنُ بكارٍ^(٣) : حدَّثني العتبى ، قال : إِنَّ أَوَّلَ ما اسْتُشِينَ مِنْ ^(٤) عمرَ ابنِ عبدِ العزيزِ حرصُه على العلمِ ، ورغبتهُ في الأدبِ . قال : إِنَّ أباهُ وَلِيَ مَصْرَ وهو حديثُ السنِّ يُشكُّ في بلوغه ، فأراد إخراجه معه ، فقال : يا أبة ، أَوْ غَيْرُ ذلك لعلَّه يكونُ أَنْفَعَ لى ولك^(٥) ؟ تُرَحِّلُنِي إلى المدينةِ فَأَقْعَدَ إلى ^(٦) فقهاءِ أهلِها ، وَأَتَأَدَّبَ بِأَدَابِهِمْ . فوجهه إلى المدينةِ^(٧) ، فقعدَ مع مشايخِ قريشٍ ، وتجنَّبَ شبابَهُمْ ، وما زالَ ذلك دأبه حتى اشتهرَ ذكرُه ، فلما ماتَ أبوه أَخَذَهُ عُمُه

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٣/٢٦١ - ٢٦٢ (مخطوط) ، من طريق أبي بكر بن أبي خيثمة به .

(٢) - ٢) في ٢١ ، ب ، م ، ص : « وأشار إلى باب » .

(٣) الأخبار الموقفيات ص ٢٠٨ .

(٤) بعده في ٢١ ، م : « رشد » .

(٥) بعده في ٢١ ، ب ، م ، ص : « قال : وما هو ؟ قال : » .

(٦) - ٦) في ٢١ ، ب ، م ، ص : « فقهاؤها » .

(٧) بعده في ٢١ ، ب ، م ، ص : « وأرسل معه الخدام » .

أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فخلطه بولده ، وقدمه على كثير منهم ، وزوجه بابتة فاطمة ، وهي التي يقول فيها الشاعر :

بنت الخليفة والخليفة جدّها أخت الخلائف والخليفة زوجها
قال : ولا نعرف امرأة بهذه الصفة إلى يومنا هذا سواها .

قال العتبي^(١) : ولم يكن حاسد عمر بن عبد العزيز ينقم عليه شيئاً سوى متابعتة في النعمة ، والاختيال في المشية . وقد قال الأحنف بن قيس^(٢) : الكامل من غدت هفواته ، ولا تعد إلا من قلة^(٣) .

ودخل يوماً على عمه عبد الملك ، وهو يتجأنف في مشيته ، فقال له : يا عمر ما لك تمشي غير مشيتك ؟ قال : إن في جرحاً ، فقال : وأين هو من جسدك ، قال : بين الرانفة^(٤) والصفي - يعني بين طرف الألية وجلدة الحصى - فقال عبد الملك لزوج بن زباج : بالله لو رجل من قومك سئل عن هذا ما أجاب هذا الجواب . قالوا^(٥) : ولما مات عمه عبد الملك حزن عليه ، وليس المشوخ تحت ثيابه سبعين يوماً . ولما ولي الوليد عامله بما كان أبوه يعامله به ، وولاه المدينة ، ومكة ، والطائف من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين ، وأقام للناس الحج سنة تسع وثمانين ، وسنة تسعين ، وحج بالناس الوليد سنة إحدى وتسعين ، ثم حج بالناس عمر سنة ثنتين وثلاث وتسعين .

(١) تاريخ دمشق ٢٦٢/١٣ (مخطوط) . وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٠١/١٩ .

(٢) بعده في ٢١ ، ب ، م ، ص : « وقد ورث عمر من أبيه من الأموال والمتاع والدواب هو وإخوته ما لم يرثه غيره فيما نعلم كما تقدم ذلك » .

(٣) في الأصل ، ٢١ ، ص ، وتاريخ دمشق (مخطوط) : « الرانقة » ، وفي م : « الرانقة » . والرانفة : ما سال من الألية على الفخذين . تاج العروس (ر ن ف) .

(٤) تاريخ دمشق ٢٦٢/١٣ ، ٢٦٣ (مخطوط) .

وَبَنَى فِي مَدَّةٍ وَلَايَتِهِ هَذِهِ مَسْجِدَ النَّبِيِّ ﷺ [١٧٠/٧]، وَوَسَّعَهُ عَنْ أَمْرِ
الْوَلِيدِ لَهُ بِذَلِكَ، فَدَخَلَ فِيهِ ^(١) «قَبْرُ النَّبِيِّ ﷺ»، وَقَدْ كَانَ فِي هَذِهِ الْمَدَّةِ مِنْ أَحْسَنِ
النَّاسِ مَعَاشِرَةً، وَأَعَدْلِهِمْ سِيرَةً؛ كَانَ إِذَا وَقَعَ لَهُ أَمْرٌ مُشْكِلٌ جَمَعَ فُقَهَاءَ الْمَدِينَةِ
عَلَيْهِ، وَقَدْ عَيَّنَ عَشْرَةً مِنْهُمْ، وَكَانَ لَا يَقْطَعُ أَمْرًا بِدُونِهِمْ أَوْ مَنْ حَضَرَ مِنْهُمْ،
وَهُمْ: عُرْوَةُ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ ^(٢) «أَبَى حُثْمَةَ»، وَسُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ،
وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ ^(٣)، وَسَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ بْنِ رِبِيعَةَ،
وِخَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ بْنِ ثَابِتٍ ^(٤).

وَكَانَ لَا يَخْرُجُ عَنْ قَوْلِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَقَدْ كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ لَا
يَأْتِي أَحَدًا مِنَ الْخُلَفَاءِ، وَكَانَ يَأْتِي إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ. ^(٥) قَالَ
ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْأَيْلِيِّ، عَنْ ^(٦) «إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عُبَلَةَ»: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ
وَبِهَا ابْنُ الْمُسَيَّبِ، وَغَيْرُهُ، وَقَدْ نَذَبَهُمْ عُمَرُ ^(٧) «يَوْمَئِذٍ رَأْيًا».

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ ^(٨): حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، حَدَّثَنِي قَادِمُ الْبَرْبَرِيِّ أَنَّهُ ذَاكَ رِبِيعَةَ بْنِ أَبِي
عَبْدِ الرَّحْمَنِ شَيْقًا مِنْ قَضَايَا عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِذْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رِبِيعَةُ ^(٩):
كَأَنَّكَ تَقُولُ: أَخْطَأُ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَخْطَأَ قَطُّ. وَثَبِتَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنْ أَنَسٍ

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ: «الْحَجَرَةُ النَّبَوِيَّةُ».

(٢ - ٢) فِي الْأَصْلِ، ٢١، ص: «أَبَى حَزْمٍ»، وَفِي م: «خَيْشَمَةَ». وَانْظُرْ تَهْذِيبَ الْكَمَالِ ٩٣/٣٣.

(٣) بَعْدَهُ فِي م: «بَنِ حَزْمٍ».

(٤ - ٤) فِي ٢١، م، ص: «قَالَ».

(٥) سَقَطَ مِنْ م. وَانْظُرْ سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٣٢٣/٦.

(٦ - ٦) فِي ٢١، م، ص: «يَوْمًا إِلَى رَأْيٍ».

(٧) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٦٤/١٣ (مَخْطُوطٌ)، مِنْ طَرِيقِ ابْنِ وَهْبٍ بِهِ.

(٨) فِي م: «الرَّبِيعُ».

ابن مالك^(١)، قال: ما صليت وراء إمام أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى - يعنى عمر بن عبد العزيز حين كان على المدينة.

قالوا: وكان يتم الركوع والسجود، ويخفف القيام والقعود،^(٢) وفي رواية صحيحة^(٣): أنه كان يُسبِّح في الركوع والسجود عشراً عشراً^(٤). وقال ابن وهب^(٥): حدَّثني الليث، عن أبي النضر المديني، قال: لقيت^(٦) سليمان بن يسار خارجاً من عند عمر بن عبد العزيز، فقلت له: من عند عمر خرجت؟ قال: نعم. قلت: تُعلمونه؟ قال: نعم، فقلت: هو والله أعلمكم. وقال مجاهد^(٧): أتينا نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه. وقال ميمون بن مهران^(٨): كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة. وفي رواية^(٩): قال ميمون: كان عمر بن عبد العزيز معلّم العلماء. وقال الليث^(١٠): حدَّثني رجل كان قد صحب ابن عمر وابن عباس، وكان عمر بن عبد العزيز يستعمله على الجزيرة، قال: ما التمسنا علم شيء إلا وجدنا عمر بن عبد العزيز أعلم الناس بأصله وفرعه، وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة.

وقال عبد الله بن طاوس^(١١): رأيت أبا تواقف هو وعمر بن عبد العزيز من

(١) أخرجه النسائي (٩٨٠). والإمام أحمد في المسند ٣/١٤٤، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٥٤، ٢٥٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦٥/١٣ (مخطوط). صحيح (صحيح سنن النسائي ٩٣٨).

(٢ - ٢) زيادة من: ٢١، ب، م، ص.

(٣) أخرجه أبو داود (٨٨٨)، والنسائي (١١٣٤)، والإمام أحمد في المسند ٣/١٦٢. ضعيف (ضعيف سنن أبي داود ١٨٩).

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦٧/١٣ (مخطوط)، من طريق ابن وهب به.

(٥) في م: «رأيت».

(٦) أخرجه ابن عساكر في المصدر السابق، من طريق مجاهد به.

(٧) أخرجه ابن عساكر في المصدر السابق، من طريق ميمون به، وانظر سيرة عمر لابن الجوزي ص ٣٥.

(٨) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦٧/١٣ (مخطوط)، من طريق الليث به.

(٩) أخرجه ابن عساكر في المصدر السابق ٢٦٨/١٣ (مخطوط)، من طريق عبد الله بن طاوس به.

بعد صلاة العشاء حتى أصبحنا، فلما افترقا، قلت: يا أبة، من هذا الرجل؟
قال: هذا عمر بن عبد العزيز، وهو من صالحى هذا البيت، يعنى بنى أمية. وقال
عبد الله بن [١٧١/٧] كثير^(١): قلت لعمر بن عبد العزيز: ما كان بدء إنايتك؟
قال: أردت ضرب غلام لى، فقال لى: اذكرو ليلاً صبيحتها يوم القيامة.

وقال الإمام مالك^(٢): لما عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة - يعنى فى سنة
ثلاث وتسعين - وخرج منها التفت إليها وبكى، وقال لمولاه: يا مزاحم، نخشى
أن نكون ممن نقت المدينة^(٣). يعنى أن المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكبر خبث
الحديد، وتنصع^(٤) طيتها^(٥).

قلت: خرج من المدينة، فنزل بمكان قريب منها يقال له: السويداء^(٦).
حينئذ، ثم قديم دمشق على بنى عمه.

قال محمد بن إسحاق^(٧)، عن إسماعيل بن أبى حكيم، قال: سمعت عمر
ابن عبد العزيز، يقول: خرجت من المدينة وما من رجل أعلم منى، فلما قدمت
الشام نسيث.

وقال الإمام أحمد^(٨): حدثنا عفان، ثنا حماد بن زيد، عن معمر، عن
الزهرى، قال: سهرت مع عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فحدثته، فقال: كل ما

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٨/١٣ (مخطوط)، من طريق عبد الله بن كثير به، وفيه:
(قيل). بدل: (قلت).

(٢) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق، بسنده عن مالك بنحوه.

(٣ - ٣) زيادة من: ٢١، ب، م، ص.

(٤) تنصع: من النصوع وهو الصفاء والجلاء والوضوح. انظر تاج العروس (ن ص ع).

(٥) السويداء: تصغير سوداء، موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام. معجم البلدان ١٩٧/٣.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٨/١٣، ٢٦٩ (مخطوط)، من طريق محمد بن إسحاق به.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٩/١٣ (مخطوط)، من طريق الإمام أحمد به.

حَدَّثَتْ فَقَدْ سَمِعْتُهُ ، وَلَكِنْ حَفِظْتُ وَنَسِيتُ .

وقال ابنُ وهبٍ^(١) ، عن الليثِ ، عن عقيلٍ ، عن الزهرى ، قال : قال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : بَعَثَ إِلَى الْوَلِيدِ ذَاتَ سَاعَةٍ مِنَ الظَّهِيرَةِ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ عَابِسٌ ، فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أَجْلِسَ ، فَجَلَسْتُ^(٢) بَيْنَ يَدَيْهِ^(٣) ، فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِيمَنْ يَسُبُّ الْخُلَفَاءَ ، أَيْقَتُلُ ؟ فَسَكَتُ ، ثُمَّ عَادَ ، فَسَكَتُ ، ثُمَّ عَادَ ، فَقُلْتُ : أَقْتُلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ سَبَّ . فَقُلْتُ : يَنْكُلُ بِهِ ، فَغَضِبَ وَانصَرَفَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَقَالَ لِي ابْنُ الرِّيَّانِ السِّيَافُ : اذْهَبْ . قَالَ : فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ ، وَمَا تَهَبُّ رِيحُ إِلَّا وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّهُ رَسُولٌ يَرُدُّنِي إِلَيْهِ .

وقال عثمانُ بنُ زُفَرٍ^(٤) : أَقْبَلَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَعَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى مَعْسَكِرِ سُلَيْمَانَ ، وَفِيهِ تِلْكَ الْخَيُْولُ وَالْجُمَالُ وَالْبَغَالُ وَالْأَنْثَقَالُ وَالرِّجَالُ ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ : مَا تَقُولُ يَا عُمَرُ فِي هَذَا ؟ فَقَالَ : أَرَى دُنْيَا يَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَأَنْتَ الْمُسْتَوَلُ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ . فَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنَ الْمَعْسَكِرِ ، إِذَا غَرَابٌ قَدْ أَخَذَ لَقْمَةً فِي فِيهِ مِنْ فُسْطَاطِ سُلَيْمَانَ وَهُوَ طَائِرٌ بِهَا ، وَنَعَبٌ^(٥) نَعْبَةٌ ، فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ :^(٦) مَا تَقُولُ فِي هَذَا يَا عُمَرُ ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرِي . فَقَالَ : مَا ظَنُّكَ أَنَّهُ يَقُولُ ؟ قَالَ^(٧) : كَأَنَّهُ يَقُولُ : مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ ؟ وَأَيْنَ يُذْهَبُ بِهَا ؟ فَقَالَ لَهُ

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦٩/١٣ (مخطوط) ، من طريق ابن وهب به .

(٢ - ٣) سقط من : م .

(٣) في النسخ : « زير » . والمثبت من المصنر السابق ، والأثر أخرجه ابن عساكر من طريق عثمان بن زفر به بنحوه . وانظر تهذيب الكمال ٣٧٣/١٩ .

(٤) نعب الغراب : صوت أو مد عنقه وحرك رأسه في صياحه . القاموس المحيط (ن ع ب) .

(٥ - ٥) في م : « ما هذا يا عمر » .

(٦) في م : « قلت » .

سليمانُ : ما أعجبك ؟ فقال عمرُ : أعجبُ ^(١) من ^(٢) عرف الله فعصاه ، ومن عرف الشيطانَ فأطاعه ^(٣) .

وتقدم ^(٤) أنه لما وقف سليمانُ وعمرُ بعرفة ، وجعل سليمانُ يعجبُ من كثرة الناس ، فقال له عمرُ : هؤلاء رعيَّتُك اليومَ ، وأنت مسئولٌ عنهم غداً . وفي رواية : وهم خصماؤك يومَ القيامة . فبكى سليمانُ ، وقال : بالله أستعين . وتقدم ^(٥) أنهم لما أصابهم ^(٦) في بعض الأسفار رعدٌ [١٧١/٧ ط] شديدٌ وبرقٌ وظلمةٌ شديدة ، فجعل عمرُ يضحكُ من ذلك ^(٧) ، فقال له سليمانُ : أتضحكُ ^(٨) ونحن فيما ترى ^(٩) ؟ فقال : نعم ، هذه آثارُ رحمته ، ونحن في هذه الحال ، فكيف بآثارِ غضبه وعقابه ^(١٠) ؟

وذكر الإمام مالكٌ ^(١١) أن سليمانَ وعمرَ تقاولا مرةً ، فقال له سليمانُ في جملة الكلام : كذبتُ . فقال : تقولُ لى : كذبتُ ؟ والله ما كذبتُ منذُ عرفتُ أن الكذبَ يضُرُّ أهله ، ثم هجره عمرُ وعزم على الرحيلِ إلى مصرَ ، فلم يمكِّنه سليمانُ ، ثم بعث إليه فصالحه ، وقال له : ما عرض لى أمرٌ يهْمُننى إلا خطرت على بالى .

وقد ذكرنا أنه لما حضرت سليمانَ بن عبد الملك الوفاة ، أوصى بالأمرِ من بعده إلى عمرَ بن عبد العزيز ، فانتظم الأمرُ على ذلك ، ولله الحمد .

(١ - ١) فى م : « من » .

(٢) بعده فى ١ ٢ ، ب ، م ، ص : « ومن عرف الدنيا فركن إليها » .

(٣) تقدم فى ١٧٩/٩ .

(٤ - ٤) فى ١ ٢ ، ب ، م ، ص : « ذلك المطر والرعد فزع سليمان وضحك عمر » .

(٥ - ٥) سقط من : ١ ٢ ، ب ، م ، ص .

(٦) بعده فى ١ ٢ ، ب ، م ، ص : « ونحن فى تلك الحال » .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٧٠/١٣ (مخطوط) ، من طريق مالك به بنحوه مطولاً .

فصل^(١)

قال أبو داود الطيالسي^(٢) : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجَشُونُ ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ ، قال : قال ابنُ عمرَ : يا عَجَبًا ! يزعمُ الناسُ أنَّ الدنيا لا تنقضي حتى يلى رجلٌ من آلِ عمرَ يعملُ بمثلِ عملِ عمرَ . قال : فكانوا يرونه بلالَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ . قال : وكان بوجهه أثرٌ ، فلم يكنْ هو ، وإذا هو عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، وأُمُّه ابنةُ عاصمٍ^(٣) بنِ عمرَ بنِ الخطابِ .

وقال البيهقي^(٤) : أنبأ الحاكمُ ، أنا أبو حامدٍ أحمدُ^(٥) بنُ عليٍّ المقرئُ ، ثنا أبو عيسى الترمذِيُّ ، ثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا عَفَّانُ بنُ مسلمٍ ، ثنا عثمانُ بنُ عبدِ الحميدِ بنِ لاحقٍ ، عن جويريةَ بنِ أسماءَ ، عن نافعٍ ، قال : بلغنا أن عمرَ بنَ الخطابِ ، قال : إن من ولدى رجلًا بوجهه شَيْئٌ^(٦) يلى ، فيملأُ الأرضَ عدلاً . قال نافعٌ من قبَلِه : ولا أحسبُه إلَّا عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ .

ورواه مباركُ بنُ فضالةٍ^(٧) ، عن عبيدِ اللَّهِ ، عن نافعٍ ، قال : كان ابنُ عمرَ يقولُ : ليت شعري ، مَنْ هذا الذى من ولدِ عمرَ فى وجهه علامةٌ يملأُ الأرضَ عدلاً ؟ وقال وهيبُ بنُ الوردِ : بيئنا أنا نائمٌ ، رأيتُ كأنَّ رجلاً دخلَ من بابِ بنى

(١) بعده فى ٢١ ، ب ، م ، ص : « وقد كان منتظرا فيما يؤثر من الأخبار » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٧٠/١٣ (مخطوط) ، من طريق أبى داود الطيالسى به .

(٣) بعده فى ٢١ ، ب ، م ، ص : « بن عبد الله » .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٧٠/١٣ (مخطوط) ، من طريق البيهقى به .

(٥) سقط من : ٢١ ، ب ، م ، ص .

(٦) فى ٢١ ، ص : « شجين » . وفى م : « شجان » .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٧١/١٣ (مخطوط) ، من طريق مبارك بن فضالة به .

شبية، وهو يقول: يا أيها الناس، ولّى عليكم كتاب الله. فقلت: من؟ فأشار إلى ظهره^(١)، فإذا مكتوب عليه: ع م ر. قال: فجاءت بيعة عمر بن عبد العزيز. وقال بقية^(٢)، عن عيسى بن أبي رزين، حدثني الخزاعي، عن عمر بن عبد العزيز أنه رأى رسول الله ﷺ في روضة خضراء، فقال له: «إِنَّكَ سَتَلِي أَمْرَ أُمَّتِي فَرَعُ عَنْ الدِّمِ»^(٣)، فَإِنَّ اسْمَكَ فِي النَّاسِ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، واسمك عند الله جابر». .

وقال أبو بكر بن المقرئ^(٤): ثنا أبو عروبة الحسين بن محمد بن مودود الخزازي، ثنا أيوب بن محمد الوزان [١٧٢/٧]، ثنا ضمرة بن ربيعة، ثنا السري بن يحيى، عن رباح بن عبيدة، قال: خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة، وشيخ متوكئ على يده، فقلت في نفسي: إن هذا الشيخ جاف، فلما صلى ودخل لحقته، فقلت: أصلح الله الأمير، من الشيخ الذي^(٥) كان متكئا على^(٥) يدك؟ فقال: يا رباح رأيته؟ قلت: نعم. قال: ما أحسبك يا رباح إلا رجلاً صالحاً، ذاك أخى الخضر، أتاني فأعلمني أنني سألى أمر هذه الأمة، وأنى سأعدل فيها.

وقال يعقوب بن سفيان^(٦): حدثنا أبو عمير، ثنا ضمرة، عن علي بن أبي حملة^(٧)، عن أبي الأعيس^(٨)، قال: كنت جالساً مع خالد بن يزيد بن معاوية،

(١) في ٢١، ب، م، ص: «ظفره».

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٧١/١٣ (مخطوط)، من طريق بقية به.

(٣) بعده في الأصل، ب، م، ص: «فرع عن الدم». و زع عن الدم: كُف عنه.

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٧٠/١٣ (مخطوط)، من طريق أبي بكر بن المقرئ به. وانظر سيرة عمر لابن الجوزي ص ٥٤، ٥٥.

(٥ - ٥) في ٢١، ب، م، ص: «اتكأته».

(٦) المعرفة والتاريخ ٥٧٨/١، وأخرجه ابن عساكر، في تاريخ دمشق ٢٧١/١٣ (مخطوط)، من طريق يعقوب بن سفيان به. وانظر سيرة عمر لابن الجوزي ص ٧٥.

(٧ - ٧) في م: «خولة»، وهو خطأ. وانظر تهذيب الكمال ٣١٧/١٣.

(٨) في م: «عنيس»، وفي مصدر التخريج: «الأخنس». وانظر تهذيب الكمال ١٧/١٥٠.

فجاء شاب عليه مُقَطَّعات^(١) ، فأخذ بيد خالد ، فقال : هل علينا من عين ؟ فقال أبو الأعين : فقلت : عليكما من الله عين : بصيرة وأذن سمعية ، قال : فترقرقت عينا الفتى . فأرسل يده من يد خالد وولّى ، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا عمر بن عبد العزيز ، ابن أخي أمير المؤمنين ، ولئن طالت بك حياة لترينه إمام هدى . قلت : قد كان عند خالد بن يزيد بن معاوية شيء جيّد من أخبار الأوائل وأقوالهم^(٢) .

وقد ذكرنا في ترجمة سليمان بن عبد الملك^(٣) أنّه لما حضرته الوفاة^(٤) عزم أن يكتب العهد باسم أحد أولاده ، فما زال به وزيره الصادق رجاء بن حيوة حتى صرفه عن ذلك ، وأشار عليه أن يجعل الأمر من بعده لأصلح الناس لهم ، فألهم الله الخليفة رشده ، فعين لها ابن عمه عمر بن عبد العزيز فجوّد رأيّه رجاء بن حيوة وصوّبه^(٥) ، فكتب سليمان العهد في صحيفة ، وختمها ، ولم يشغُر بذلك عمر ، ولا أحد من بني مروان سوى سليمان ورجاء ، ثم أمر صاحب الشرطة بإحضار الأمراء ، ورعوس الناس من بني مروان وغيرهم ، فبايعوا سليمان على ما في الصحيفة المختومة ، ثم انصرفوا ، ثم مات الخليفة استدعاهم رجاء بن حيوة ، فبايعوا ثانية ، قبل أن يعلموا موت الخليفة ، ثم فتحها فقرأها عليهم ، فإذا فيها البيعة لعمر بن عبد العزيز ، فأخذوه فأجلسوه على المنبر وبايعوه ، فانعقدت له البيعة .

وقد اختلف العلماء في مثل هذا الصنيع في الرجل يوصي الوصية في كتاب ويشهد على ما فيه من غير أن يقرأ على الشهود ، ثم يشهدون على ما فيه فينفذ ،

(١) مقطعات : أى ثياب قصار ، لأنها قطعت عن بلوغ التمام . تاج العروس (ق ط ع) .

(٢) بعده فى ٢١ ، ب ، م ، ص : « وكان ينظر فى النجوم والطب » .

(٣) تقدم فى ١٢ / ٦٥٠ .

(٤ - ٤) فى ٢١ ، ب ، م ، ص : « أراد أن يعهد إلى بعض أولاده فصرفه وزيره الصالح رجاء بن حيوة عن ذلك ، وما زال به حتى عهد إلى عمر بن عبد العزيز من بعده وصوب ذلك رجاء » .

فسوّغ ذلك جماعاتٌ من أهل العلم ؛ قال القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري^(١) : أجاز ذلك وأمضاه وأنفذ الحكم به جمهور أهل الحجاز .

وروى ذلك عن سالم بن عبد الله ، وهو مذهب مالك ، ومحمد بن مسلمة الخزومي ، ومكحول ، وثمير بن [١٧٢/٧ ظ] أوس ، وزرعة بن إبراهيم ، والأوزاعي ، وسعيد بن عبد العزيز ، ومن وافقهم من فقهاء الشام .

وحكى نحو ذلك خالد بن يزيد بن أبي مالك ، عن أبيه وقضاة جنده ، وهو قول الليث بن سعد في من وافقه من فقهاء أهل مصر والمغرب ، وهو قول فقهاء أهل البصرة وقضايتهم .

وروى عن قتادة ، وعن سوار بن عبد الله ، وعبيد الله بن الحسين^(٢) ، ومعاذ ابن معاذ العنبري في من سلك سبيلهم ، وأخذ بهذا عدد كثير من أصحاب الحديث ، منهم ؛ أبو عبيد ، وإسحاق بن راهويه .

قلت : وقد اعتنى به البخاري في « صحيحه » .

قال المعافى^(٣) : وأبى ذلك جماعة من فقهاء العراق ، منهم ؛ إبراهيم ، وحماد ، والحسن ، وهو مذهب الشافعي ، وأبي ثور . قال : وهو قول شيخنا أبي جعفر ، وكان بعض أصحاب الشافعي بالعراق يذهب إلى القول الأول . قال الجريري : وإلى القول الأول نذهب .

(١) تاريخ دمشق ٢٧٤/١٣ (مخطوط) .

(٢) في ب ، م ، ص : « الحسن » . والمثبت موافق لما في تاريخ دمشق .

(٣) المصدر السابق . وانظر تفصيل هذه المسألة في كتاب الشرح الكبير مع المقنع والإنصاف ٢٠٥/١٧ ،

٢٠٦ ، بتحقيقنا .

وتقدّم^(١) أن عمرَ بن عبد العزيز لما رجع من جنازة سليمان أتى بمراكب الخلافة ليركبها، فامتنع من ذلك، وأنشأ يقول:

فلولا التقي ثم التهي خشية الردى لعاصيت في حب الصبا كل زاجر
قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى له صبوة أخرى الليالي الغواير
ثم قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، قدّموا إلي بغلتي. ثم أمر ببيع تلك المراكب الخليفة^(٢) في من يريد، وكانت من الخيول الجياد المثمنة، فباعها، وجعل أثمانها في بيت المال.

قالوا^(٣): فلما رجع من الجنازة، وقد بايعه الناس، واستقرت الخلافة باسمه، انقلب وهو مغتّم مهموم، فقال له موله: ما لك هكذا مغتّمًا مهمومًا، وليس هذا بوقت هذا؟ فقال: ويحك! وما لي لا أعتم، وليس أحد من أهل المشارق والمغرب من هذه الأمة إلا وهو يطالبني بحقه؛ أن أؤديه إليه، كتب إلي في ذلك أو لم يكتب، طلبه مني أو لم يطلب. قالوا^(٤): ثم إنه خير امرأته فاطمة بين أن تقيم معه على أنه لا فراغ له إليها، وبين أن تلحق بأهلها، فبكت وبكى جوارها لبكائها، فسمعت ضجة في داره، ثم اختارت مقامها معه على كل حال، رحمها الله. وقال له رجل^(٤): تفرغ لنا يا أمير المؤمنين. فأنشأ يقول:

قد جاء شغل شاغل وعدلت عن طرق السلامة
ذهب الفراغ فلا فراغ لنا إلى يوم القيامة

(١) تقدم ذلك في ص ٦٧٤ مختصرًا، ولم يرد فيه الشعر، وانظر الخبر بتمامه في تاريخ دمشق ٢٧٦/١٣ (مخطوط).

(٢) في الأصل، ب، ص: «الخليفة».

(٣) تاريخ دمشق ٢٧٧/١٣ (مخطوط).

(٤) المصدر السابق.

وقال الزبير بن بكار^(١) : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ ، عَنْ سَلَامِ بْنِ سُلَيْمٍ ، قَالَ :
لَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ [١٧٣/٧] صَعِدَ الْمَنْبَرَ ، وَكَانَ أَوَّلَ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا حَمْدُ
اللَّهِ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ صَحَبَنَا فَلْيَصْحَبْنَا بِخَمْسٍ ، وَإِلَّا
فَلْيُفَارِقْنَا ؛ يَرْفَعُ إِلَيْنَا حَاجَةً مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ رَفْعَهَا ، وَيُعِينُنَا عَلَى الْخَيْرِ بِجَهْدِهِ ،
وَيَدُلُّنَا مِنَ الْخَيْرِ عَلَى مَا لَا نَهْتَدِي إِلَيْهِ ، وَلَا يَغْتَابُنَّ عِنْدَنَا الرِّعْيَةَ ، وَلَا يَعْرِضُنَّ فِيمَا
لَا يَعْنِيهِ . فَانْقَشَعَ عَنْهُ الشُّعْرَاءُ وَالْخُطَبَاءُ ، وَثَبَّتَ مَعَهُ الْفُقَهَاءُ وَالزُّهَادُ ، وَقَالُوا : مَا
يَسْعُنَا أَنْ نَفَارِقَ هَذَا الرَّجُلَ حَتَّى يَخَالَفَ فَعَلَهُ قَوْلُهُ .

وقال سفيان بن عيينة^(٢) : لَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعَثَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ
كَعْبٍ وَرَجَاءِ بْنِ حَيَوَةَ وَسَلَمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ تَرَوْنَ مَا ابْتُلِيتُ بِهِ وَمَا
قَدْ نَزَلَ بِي ، فَمَا عِنْدَكُمْ ؟ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ : اجْعَلِ الشَّيْخَ أَبَا ، وَالشَّابَّ^(٣)
أَخَا ، وَالصَّغِيرَ^(٤) وَلَدًا ، فَبَرَّ أَبَاكَ ، وَصِلْ أَخَاكَ ، وَتَعَطَّفْ عَلَى وَلَدِكَ . وَقَالَ
رَجَاءٌ : ارْضَ لِلنَّاسِ مَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ ، وَمَا كَرِهْتَ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْكَ فَلَا تَأْتِهِ إِلَيْهِمْ ،
وَاعْلَمْ أَنَّكَ أَوَّلُ خَلِيفَةِ تَمُوتُ . وَقَالَ سَالِمٌ : اجْعَلْ الْأَمْرَ يَوْمًا^(٥) وَاحِدًا صُمِّمَ فِيهِ^(٦)
عَنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا ، وَاجْعَلْ آخِرَ فِطْرِكَ^(٧) فِيهِ الْمَوْتُ ، فَكَأَنَّ قَدْ . فَقَالَ عُمَرُ : لَا
حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

(١) تاريخ دمشق ١٣/٢٧٧ ، ٢٧٨ (مخطوط) .

(٢) المصدر السابق ١٣/٢٧٨ (مخطوط) .

(٣) في الأصل : « الضعيف » ، وفي مصدر التخريج : « النَّصْفُ » . والنصف : الكهل .

(٤) في الأصل ، ومصدر التخريج : « الشاب » .

(٥) سقط من : م .

(٦) في مصدر التخريج : « صرفته » .

(٧) في مصدر التخريج : « نظرك » .

وقال غيره^(١): خطب عمرُ بنُ عبد العزيز يوماً الناسَ فقال، وقد خنقته العبرة: أيها الناس، أصلحوا آخرتكم تصلح لكم دنياكم، وأصلحوا سرائركم^(٢) تصلح لكم علانيتكم، والله إن عبداً ليس بينه وبين آدم أب، إلا قد مات، إنه لمُفرَّق^(٣) له في الموت. وقال في بعض خطبه^(٤): كم من عامرٍ مؤثّق^(٥) عمّا قليل يخرب، وكم من مقيمٍ مغتبطٍ عمّا قليل يظعن، فأحسنوا، رحمكم الله،^(٦) من الدنيا^(٧) الرحلة بأحسن ما بحضرتكم^(٨) من النقلة، بينما ابنُ آدم في الدنيا ينافس فيها قرير العين قانعاً^(٩)، إذ دعاه الله بقدره، ورماه بيوم^(١٠) حتفه، فسلبه آثاره ودينه، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه، إن الدنيا لا تشتر بقدر ما تضّر، تشر قليلاً، وتخرن طويلاً.

وقال إسماعيل بن عياش^(١١)، عن عمرو بن مهاجر، قال: لما استخلف عمرُ ابنُ عبد العزيز قام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنه لا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد، عليه السلام، وإنني لست بقاضٍ ولكني منفذٌ، وإنني لست بمبتدعٍ ولكني متبعٌ، إن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم، ألا إن الإمام الظالم هو العاصي، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

(١) تاريخ دمشق ٢٧٩/١٣ (مخطوط).

(٢) في م: «أسراركم».

(٣) أي: إن له فيه عزقاً، وإنه أصيل في الموت. اللسان (ع ر ق).

(٤) تاريخ دمشق ٢٧٩/١٣ (مخطوط).

(٥) في ١ ٢، م: «مؤثّق». والمؤثّق: كل ما زين وزخرف حتى أعجب. الوسيط (أ. ن. ق).

(٦ - ٦) في الأصل: «بها»، وفي تاريخ دمشق: «منها».

(٧) في ب، ص: «يحضرنكم». وفي م: «يحضر بكم».

(٨) في ١ ٢، ب، م: «يانع». وفي ص: «يافع».

(٩) في ١ ٢، ب، م، ص: «بسهم».

(١٠) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٧٩/١٣ (مخطوط)، من طريق إسماعيل بن عياش به.

عز وجل . وفي رواية^(١) أنه قال فيها : وإني لست بخير من أحد منكم ولكني أثقلكم حملاً ، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الله ، ألا هل أسمعتم ؟

وقال أحمد بن مروان^(٢) : ثنا أحمد بن يحيى الحلواني ، ثنا محمد بن عبيد ، ثنا إسحاق بن سليمان ، عن شعيب بن صفوان ، حدثني ابن لسعيد بن [١٧٣/٧ ط] العاص ، قال : كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فإنكم لم تُخلَقوا عبثاً ، ولن تُتركوا سدى ، وإن لكم معاذاً ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله ، وحرم جنة عرضها السموات والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذر اليوم الآخِر وخافه ، وباع نافذاً بياق ، وقليلًا بكثير ، وخوفاً بأمان ؟ ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وستكون من بعدكم للباقيين ، كذلك حتى تُردُّ إلى خير الوارثين ؟ ثم إنكم في كل يوم تُشيِّعون غادياً ورائحاً إلى الله^(٣) ، قد قضى نَحْبَه حتى تُغيَّبوه في صدع من الأرض ، في بطن صدع غير مُوسَّد ولا مُمَهَّد ، قد فارق الأحباب ، وباشر التراب ، وواجه الحساب ، فهو مُرتَهَنٌ بعمله ، غنيَّ عما ترك ، فقيرٌ إلى ما قدَّم ، فاتَّقوا الله ، قبل^(٤) انقضاء مراقبته و^(٥) نزول الموت بكم ، أما إنني أقول هذا . ثم وضع طرف ردايه على وجهه فبكى وأبكى من حوله . وفي رواية^(٥) : وإيم الله ، إنني لأقول قولي هذا ، وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسي ، ولكنها سنن من الله عادلة ؛ أمر

(١) تاريخ دمشق ٢٧٩/١٣ (مخطوط) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في المصدر السابق ٢٧٩/١٣ ، ٢٨٠ ، من طريق أحمد بن مروان .

(٣) بعده في ٢١ ، ب ، م ، ص : « لا يرجع » .

(٤ - ٥) في ٢١ : « انقضاء مراقبه قبل » . وفي م : « القضاء راقبوه قبل » . وفي ص : « القضاء مراقبه قبل » .

(٥) تاريخ دمشق ٢٨٠/١٣ (مخطوط) .

فيها بطاعته، ونهى فيها عن معصيته. واستغفر الله، ووضع كفه على وجهه فبكى حتى بل لحيته، فما عاد لمجلسه حتى مات رحمه الله.

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا^(١)، عن عمر بن عبد العزيز أنه رأى رسول الله ﷺ في النوم، وهو يقول: «ادنُ ياعمُر». قال: فدنوت حتى خشيته أن أصيبه، فقال: «إذا وُلِّيت فاعملْ نحوًا من عملِ هذين». وإذا كهلان قد اكتنفاه، فقلت: ومن هذان؟ قال: «هذا أبو بكر، وهذا عمر». ورؤينا^(٢) أنه قال لسالم بن عبد الله بن عمر: اكتب لي سيرة عمر حتى أعملَ بها، فقال له سالم: إنك لا تستطيع ذلك. قال: ولم؟ قال: إنك إن عملتَ بها كنتَ أفضلَ من عمر؛ لأنه كان يجِدُّ على الخيرِ أعوانًا، وأنت لا تجدُ من يعينك على الخير.

وقد روى^(٣) أنه كان نقشُ خاتمِه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وفي رواية^(٤): آمنتُ بالله. وفي رواية^(٥): الوفاء عزيز. وقد جمع يومًا رؤوس الناس فخطبهم، فقال: إنَّ فذلك كانت بيد رسول الله ﷺ يضعها حيث أراه الله، ثم وليها أبو بكر، وعمر كذلك. قال الأصمعي^(٦): وما أدري ما قال في عثمان. قال: ثم إنَّ مروانَ أقطعها فحصل لي منها نصيب، ووهبتني الوليدُ وسليمانُ نصيبهما، ولم يكن من مالي شيءٌ^(٧) «أردَّ [١٧٤/٧] عليَّ» منها، وقد رددتها في بيت المال على ما كانت عليه في زمان رسول الله ﷺ. قال: فيئس الناس عند

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨١/١٣ (مخطوط)، من طريق ابن أبي الدنيا به.

(٢) أخرجه ابن عساكر في المصدر السابق بنحوه.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق ٢٨٢/١٣.

(٥) أخرجه ابن عساكر في المصدر السابق، من طريق الأصمعي بنحوه.

(٦ - ٦) في م: «أرده أغلى».

ذلك من المظالم ، ثم أخذ^(١) أموال جماعة من بنى أمية فردّها إلى بيت المال ، وسماها أموال المظالم ، فاستشفعوا إليه بالناس ، وتوسّلوا إليه بعنّيته فاطمة بنت مروان فلم ينجّع فيه^(٢) ولم يرُدّه عن الحقّ شيء^(٣) ، وقال لهم : واللّه لتدعُنّى ، وإلا ذهبتُ إلى مكة فنزلتُ عن هذا الأمر لأحقّ الناس به . وقال : واللّه لو أقمْتُ فيكم خمسين عامًا ما أقمْتُ فيكم^(٤) ما أريدُ من العدل ، وإنّى لأريدُ الأمر فما أنفذه إلا مع طمّع من الدنيا حتى تسكُن قلوبهم .

وقال الإمام أحمد^(٥) ، عن عبد الرزاق ، عن أبيه ، عن وهب بن مُنبّه ، أنّه قال : إنّ كان فى هذه الأُمّة مهديّ فهو عمرُ بن عبد العزيز . ونحو هذا قال قتادة ، وسعيد بن المسيّب ، وغير واحد^(٦) . وقال طاووس^(٧) : هو مهديّ وليس به ، إنّ لم يستكمل العدل كلّهُ ، إذا كان المهديّ تيّب^(٨) على المسىء من إساءته ، وزيد المحسن فى إحسانه ، سمّح بالمال ، شديد على العمال ، رحيم بالمساكين . وقال مالك^(٩) ، عن عبد الرحمن بن حرملة ، عن سعيد بن المسيّب أنّه قال : الخلفاء ، أبو بكرٍ والعمران . فقليل له : أبو بكرٍ وعمرُ قد عرفناهما ، فمن عمرُ الآخرُ ؟ قال : يوشكُ إن عشت أن تعرفه . يريدُ عمرَ بن عبد العزيز . وفى رواية أخرى عنه أنه قال : هو أشج بن مروان . وقال عبادُ السّمّاك^(١٠) - وكان يجالسُ

(١) سقط من : ٢١ ، ص . وفى م : « أمر به » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى م : « إلا » .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨٧/١٣ (مخطوط) ، من طريق الإمام أحمد به .

(٥) انظر المصدر السابق ٢٨٧/١٣ ، ٢٨٨ .

(٦) المصدر السابق ٢٨٨/١٣ .

(٧) فى م ، ص : « ثبت » .

(٨) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ٢٨٨/١٣ ، ٢٨٩ ، من طريق الإمام مالك به .

(٩) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ٢٨٩/١٣ من طريق عباد السّمّاك بنحوه .

سفيان الثوري - : سمعتُ الثوري يقول : الخلفاء خمسة ؛ أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز . وهكذا روى عن أبي بكر بن عياش، والشافعي، وغير واحد^(١) . وأجمع العلماء قاطبةً على أنه من أئمة العدل، وأحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين . وذكره غير واحد في الأئمة الاثني عشر، الذين جاء فيهم الحديث الصحيح^(٢) : « لا يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى يكون فيهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش » .

وقد اجتهد رحمه الله في مدّة ولايته - مع قصرها - حتى ردّ المظالم، وصرف إلى كل ذي حقّ حقه، وكان مناديه في كل يوم ينادي : أين الغارمون ؟ أين الناكحون ؟ أين المساكين ؟ أين اليتامى ؟ حتى أغنى كلّاً من هؤلاء . وقد اختلف العلماء أيّهما^(٣) أفضل هو أو معاوية بن أبي سفيان ؟ ففضل بعضهم عمر لسيرته ومعدّلاته وزهده وعبادته، وفضل آخرون معاوية لسابقته وصحبته، حتى قال بعضهم : ليوم شهده معاوية من رسول الله ﷺ خير من [١٧٤/٧ ط] عمر بن عبد العزيز، وأيامه، وأهل بيته .

وذكر الحافظ ابن عساكر في « تاريخه »^(٤) أن عمر بن عبد العزيز كان يعجبه جارية من جوارى زوجته فاطمة بنت عبد الملك، فكان يسألها إياها ؛ إمّا بيعاً أو هبةً، فكانت تأتي عليه ذلك، فلما ولي الخلافة ألبسها وطيبها وأهدتها إليه

(١) تاريخ دمشق ٢٨٩/١٣ ، ٢٩٠ (مخطوط) .

(٢) تقدم في ١٤٣/٩ ، ٢٨٤ فما بعدها .

(٣) في الأصل : « أي الرجل » . وفي م : « أيهم » .

(٤) تاريخ دمشق ٢٩١/١٣ (مخطوط) ، بنحوه، وفيه : « عبد الملك » ، بدلاً من : « الوليد » . ومعروف أن موسى بن نصير كانت له فتوحات في بلاد المغرب أيام عبد الملك وأخرى أيام الوليد، ولكن الوليد هو الذي ولاه إمرة المغرب جميعه والله أعلم .

ووهبتها له^(١)، فلما أخلتها به أعرض عنها، فتعرضت له فصدف عنها، فقالت له: ياسيدى، فأين ما كان يظهر لى من محبتك إياى؟ فقال: والله إن محبتك لباقية كما هى، ولكن لا حاجة لى فى النساء، فقد جاءنى أمر شغلنى عنك، وعن غيرك. ثم سألها عن أصلها، ومن أين جلبوها، فقالت: يا أمير المؤمنين إن أبى أصاب جنابة ببلاد المغرب، فصادره موسى بن نصير فأخذت فى الجنابة، وبعث بى إلى الوليد فوهبنى الوليد لأخته فاطمة زوجتك، فأهدتنى إليك. فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون، كذنا والله نفتضح ونهلك، ثم أمر بردها مكرمة إلى بلادها وأهلها.

وقالت زوجته فاطمة^(٢): دخلت يوماً عليه وهو جالس فى مصلاه واضعاً خذه على يده، ودموعه تسيل على خديه، فقلت: ما لك؟ فقال: ويحك يا فاطمة، إني قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت، فتفكرت فى الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعارى المجهود، واليتيم المكسور، والأرملة الوحيدة، والمظلوم المهور، والغريب، والأسير، والشيخ الكبير، وذى العيال الكثير والمال القليل، وأشباههم فى أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أن ربى عز وجل سيسألنى عنهم يوم القيامة، وأن خصمى دونهم محمد ﷺ، فخشيت أن لا يثبت لى حجة عند خصومته، فرجمت نفسى فبكت. وقال ميمون بن مهران^(٣): ولأنى عمر بن عبد العزيز عمالة، ثم قال لى: إذا جاءك كتاب منى

(١) فى النسخ: «منه». وما أثبتناه هو المقتضى. وانظر مصدر التخريج.

(٢) تاريخ دمشق ٢٩١/١٣ (مخطوط).

(٣) المصدر السابق ٢٩٣/١٣.

على غير الحق فاضرب به الأرض . وكتب إلى بعض عماله^(١) : إذا دعتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم ، فاذكر قدرة الله عليك ، ونفاد ما تأتي إليهم ، وبقاء ما يأتون إليك . وقال عبد الرحمن بن مهدي ، عن جرير بن حازم ، عن عيسى بن عاصم ، قال^(٢) : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي : إن للإسلام شئنا وشرائع وفرائض ، فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، فإن أعش أيئنها لكم لتعملوا بها ، وإن أمث فوالله ما أنا على صحبتكم بحريص . وذكره البخاري في « صحيحه » تعليقاً مجزوماً به^(٣) .

وذكر الصولي^(٤) أن عمر كتب إلى بعض عماله : عليك بتقوى الله ، فإنها هي التي لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يثاب إلا عليها ، وإن الواعظين بها [١٧٥/٧] كثير ، والعاملين بها قليل . وقال أيضاً : من علم أن كلامه من عمله أقل منه^(٥) إلا فيما^(٦) ينفعه ، ومن أكثر ذكر الموت اجتزأ من الدنيا باليسير . وقال أيضاً : من لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياه ، ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه . وكلمه رجل يوماً حتى أغضبه فهم به عمر ثم أمسك نفسه ، ثم قال للرجل : أردت أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان فأنال منك ما تناله مني غدا ! قم عافاك الله ، لا حاجة لنا في مقاولتك . وكان يقول : إن أحب الأمور إلى الله القصص في الجيد ، والعفو في المقدرة ، والرفق في الولاية ،

(١) تاريخ دمشق ٢٩٤/١٣ (مخطوط) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في المصدر السابق ٢٩٥/١٣ (مخطوط) ، من طريق ابن مهدي به .

(٣) فتح الباري ٤٥/١ ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : « بني الإسلام على خمس » .

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٩٥/١٣ (مخطوط) ، من طريق الصولي به .

(٥) في ٢١ ، ب ، م ، ص : « كلامه » .

(٦) بعده في ٢١ ، ب ، م ، ص : « يعنيه و » .

وما رَفَقَ عَبْدٌ بِعَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا رَفَقَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وخرج ابنٌ له وهو صغيرٌ يلعبُ مع الغلمانِ فشجَّه صبيٌّ منهم ، فاحتملوا الصبيَّ الذي شجَّ ابنه وجاءوا به إلى عمرَ ، فسمع الجلبةَ فخرج إليهم ، فإذا مُرَبَّعةٌ^(١) تقولُ : إنه ابني ، وإنه يتيمٌ . فقال لها عمرُ^(٢) : أله عطاءٌ في الديوانِ ؟ قالت : لا ، قال : فاكتبوه في الذُّرِّيَّةِ . فقالت زوجته فاطمةُ^(٣) : فعلَ اللَّهُ به وفعلَ ، إن لم يشجَّ ابنك ثانيةً . فقال : ويحك ، إنكم^(٤) أفرعتموه .

وقال مالكُ بنُ دينارٍ^(٥) : يقولون : مالكٌ زاهدٌ . أيُّ زهيدٍ عندي ! إنما الزاهدُ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، أته الدنيا فاغرةٌ فاها فتركها^(٦) . قالوا^(٧) : ولم يكنْ له سوى قميصٍ واحدٍ فكان إذا غسلوه جلسَ في المنزلِ حتى يبسَ . وقد وقَفَ مرَّةً على راهبٍ ، فقال له^(٨) : ويحك عِظْني . فقال له : عليكَ بقولِ الشاعرِ :

تَجُرُّدٌ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ إِنَّمَا خَرَجْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُجْرَدٌ
قالوا^(٩) : فكان يُعجِبُهُ ويكرِّزُهُ وعَمِلَ بِهِ حَقُّ الْعَمَلِ .

قالوا^(١٠) : ودخلَ على امرأته يوماً فسألها أن تُقرِضَه درهماً أو فلوساً يشتري

(١) مريفة : تصغير امرأة . تاج العروس (م ر أ) .

(٢) بعده في ٢١ ، ب ، م ، ص : « هوني عليك ، ثم قال لها عمر » . وانظر تاريخ دمشق ٢٩٧/١٣ (مخطوط) .

(٣) بعده في ٢١ ، ب ، م ، ص : « أتفعل هذا به وقد شجَّ ابنك » .

(٤) في ٢١ ، ب ، م ، ص : « إنه يتيم وقد » .

(٥) تاريخ دمشق ٢٩٧/١٣ (مخطوط) .

(٦) بعده في ٢١ ، ب ، م ، ص : « جملة » .

(٧) انظر المصدر السابق ٢٩٨/١٣ .

(٨) المصدر السابق .

(٩) في ٢١ ، ب ، م ، ص : « قال » .

(١٠) المصدر السابق ٣٠٠/١٣ .

له بها عنبًا ، فلم يجِدْ عِنْدَهَا شَيْئًا ، فقالت له : أنت أمير المؤمنين وليس فى خزانتيك ما تشتري به عنبًا ؟! فقال : هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال غداً فى نار جهنم .

قالوا^(١) : وكان سراج بيته على ثلاث قصبات فى رأسهن طين . قالوا : وبعت يوماً غلامه ليشوى له لحمه فجاءه بها سريعاً مشويةً ، فقال : أين شويتها ؟ قال : فى المطبخ . فقال : فى مطبخ المسلمين ؟ قال : نعم . فقال : كُلْها فإننى لم أرزقها ، هى رزقك . وسخنوا له ماءً فى المطبخ العام فرُدْ بدل ذلك بدرهم حطباً . وقالت زوجته^(٢) : ما جامع ولا احتلم وهو خليفة .

قالوا^(٣) : وبلغ عمر بن عبد العزيز عن أبى سلام الأسود أنه يحدث عن ثوبان فى^(٤) الحوض ، فبعث إليه فأحضره على البريد ، وقال له كالمتوجع : ما أردنا المشقة عليك يا أبا سلام ، ولكن أردت أن تُشافهنى بالحديث مشافهةً . فقال : سمعتُ [١٧٥/٧ ط] ثوبان ، يقول : قال رسول الله ﷺ : « حوضى ما بين عدن إلى عمانَ البلقاء ، ماؤه أشدُّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، أكوابه^(٥) عددُ نجوم السماء ، من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبداً ، وأوّل الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين ، الشعث رؤسا ، الدُّنس ثياباً ، الذين لا ينكحون المتنعمات ، ولا

(١) تاريخ دمشق ٣٠٠/١٣ (مخطوط) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ٣٠١/١٣ ، وبهذا السياق أيضاً أخرجه الترمذى (٢٤٤٤) ، وابن ماجه (٤٣٠٣) والإمام أحمد ٢٧٥/٥ ، ٢٧٦ . صحيح المرفوع منه (صحيح سنن الترمذى ١٩٨٩) .

(٤) فى ١ ، ٢ ، ب ، م : « بحديث » .

(٥) فى م : « وأكوابه » .

تُفْتَحْ لَهُمُ السُّدَدُ». فقال عمر: لَكُنِّي نَكَحْتُ الْمُتَنَعِمَاتِ، فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ، «وَفُتِحَتْ لِي السُّدَدُ» فلا جرم لا أُغْسِلُ رَأْسِي حَتَّى يَشَعَثَ، وَلَا أَلْقَى ثَوْبِي حَتَّى يَتَسَخَّ.

قالوا^(١): وَكَانَ لَهُ سَرَاجٌ يَكْتُبُ عَلَيْهِ حَوَائِجُهُ، وَسَرَاجٌ لِبَيْتِ الْمَالِ يَكْتُبُ عَلَيْهِ مَصَالِحُ الْمُسْلِمِينَ، لَا يَكْتُبُ عَلَى ضَوْئِهِ لِنَفْسِهِ حَرْفًا. وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الْمَصْحَفِ كُلَّ يَوْمٍ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَلَا يُطِيلُ الْقِرَاءَةَ، وَكَانَ لَهُ ثَلَاثُمِائَةِ شَرْطِيٍّ، وَثَلَاثُمِائَةِ حَرْسِيٍّ، وَأَهْدَى لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ تَفَاحًا فَاشْتَمَّهُ ثُمَّ رَدَّهُ مَعَ الرَّسُولِ، وَقَالَ لَهُ: قُلْ لَهُ: قَدْ بَلَغَتْ مُحَلُّهَا. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ، وَهَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ. فَقَالَ: إِنَّ الْهَدِيَّةَ كَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَدِيَّةً، فَأَمَّا نَحْنُ فَهِيَ لَنَا رِشْوَةٌ.

قالوا: وَكَانَ يُوسِّعُ عَلَى عَمَّالِهِ فِي النِّفْقَةِ؛ يُعْطِي الرَّجُلَ مِنْهُمْ فِي الشَّهْرِ مِائَةَ دِينَارٍ، وَمِائَتِي دِينَارٍ، وَكَانَ يَتَأَوَّلُ أَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا فِي كِفَايَةٍ تَفَرَّغُوا لِأَشْغَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا لَهُ: لَوْ أَنْفَقْتَ عَلَى عِيَالِكَ كَمَا تَنْفِقُ عَلَى عَمَّالِكَ؟^(٢) فَقَالَ: لَا أَمْنَعُهُمْ حَقًّا لَهُمْ، وَلَا أُعْطِيهِمْ حَقَّ غَيْرِهِمْ^(٣). وَكَانَ أَهْلُهُ قَدْ بَقُوا فِي جَهْدٍ عَظِيمٍ فَاعْتَذَرَ بِأَنَّهُمْ سَلَفًا كَثِيرًا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ، وَقَالَ يَوْمًا لِرَجُلٍ مِنْ وَلَدِ عَلِيٍّ: إِنِّي لَأَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ أَنْ تَقَفَ بِيَابِي وَلَا يُؤْذَنَ لَكَ^(٤). وَقَالَ لَأَخَرٍ مِنْهُمْ: إِنِّي لَأَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ وَأَرْغَبُ بِكَ أَنْ أَدْنُسَكَ بِالدُّنْيَا لِمَا أَكْرَمَكُمُ اللَّهُ بِهِ^(٥). وَقَالَ أَيْضًا: كُنَّا نَحْنُ وَبَنُو عَمِّنَا بَنُو هَاشِمٍ، مَرَّةً لَنَا وَمَرَّةً عَلَيْنَا، نَلْجَأُ إِلَيْهِمْ وَيَلْجَأُونَ إِلَيْنَا، حَتَّى

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) تاريخ دمشق ٣٠١/١٣ (مخطوط).

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

طَلَعَتْ شَمْسُ الرِّسَالَةِ فَأَكْسَدَتْ كُلَّ نَافِقٍ، وَأَخْرَسَتْ كُلَّ مَنَافِقٍ، وَأَسَكَّتْ كُلَّ نَاطِقٍ .

وقال أحمد بن مروان^(١) : ثنا أبو بكر أخو^(٢) خطاب ، ثنا خالد بن خديش ، ثنا حماد بن زيد ، عن موسى بن أعين^(٣) الراعي - وكان يرعى الغنم لمحمد بن أبي^(٤) غنينة - قال : كانت الغنم والأسد والوحش ترعى فى خلافة عمر بن عبد العزيز فى موضع واحد ، فعرض^(٥) لشاة منها ذئب ، فقلت : إنا لله ، ما أرى الرجل الصالح إلا قد هلك . قال : فحسبناه فوجدناه قد هلك فى تلك الليلة . ورواه غيره عن حماد ، فقال : كان يرعى الشاة بكرمان ، فذكر نحوه . وله شاهد من وجه آخر^(٦) .

ومن دعائه : اللهم ، إن رجلاً أطاعوك فيما أمرتهم ، وانتهوا عما نهيتهم ، اللهم ، وإن توفيقك إليهم كان قبل طاعتهم إياك ، فوفقنى . ومنه : اللهم ، إن عمر [١٧٦/٧] ليس بأهل أن تناله رحمك ، ولكن رحمك أهل أن تنال عمر . وقال له رجل : أبقاك الله ما كان البقاء خيراً لك . فقال : هذا شيء قد فرغ منه ، ولكن قل : أحيأك الله حياة طيبة ، وتوفأك مع الأبرار . وقال له رجل^(٦) : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أصبحت بطيئاً بطيئاً ، متلوئاً بالخطايا ، أتمنى على الله ، عز وجل .

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠٤/١٣ (مخطوط) ، من طريق أحمد بن مروان به .

(٢) فى ١ ، ٢ ، ب ، م : « ابن أخى » .

(٣) فى ١ ، ٢ ، ب ، م : « أمين » .

(٤) سقط من : ١ ، ٢ ، ب ، م .

(٥) بعده فى ١ ، ٢ ، ب ، م : « ذات يوم » .

(٦) المصدر السابق .

ودخل عليه رجلٌ، فقال^(١) : يا أمير المؤمنين، إنَّ من كان قبلك كانت الخلافةُ لهم زَيْنٌ، وأنت زَيْنُ الخلافةِ، وإنما مثلك يا أمير المؤمنين، كما قال الشاعر^(٢) :

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وَجْهِهِ
كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زَيْنًا
قال : فأعرض عنه عمرُ . وقال رجاءُ بْنُ حَيَّوَةَ^(٣) : سَمَرْتُ عِنْدَ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ
الْعَزِيزِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَعَشَيْتُ السَّرَاجَ فَقُلْتُ : أَلَا أَنْبُئُهُ هَذَا الْغَلَامَ يَصِلُحُهُ ؟ فقال : لا ،
دَعُهُ يَنَامُ^(٤) . فَقُلْتُ : أَفَلَا أَقُومُ أَصْلِحُهُ ؟ فقال : لا ، ليس من^(٥) مَرُوءَةِ الرَّجُلِ
اسْتِخْدَامُ ضَيْفِهِ^(٦) . ثُمَّ قَامَ بِنَفْسِهِ فَأَصْلَحَهُ ، وَصَبَّ فِيهِ زَيْتًا ، ثُمَّ جَاءَ وَقَالَ : قَمْتُ
وَأَنَا عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَجِئْتُ^(٧) وَأَنَا عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ . وَقَالَ : أَكْثَرُوا ذَكَرَ
النَّعَمِ فَإِنْ ذَكَرَهَا شَكَرُهَا . وَقَالَ : إِنَّهُ لِيَمْنَعُنِي مِنْ كَثَرَةِ الْكَلَامِ مَخَافَةُ الْمَبَاهَاةِ .
وَبَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ تُوفِّيَ ، فَجَاءَ إِلَى أَهْلِهِ لِيَعَزِّيَهُمْ فِيهِ ، فَصَرَخُوا فِي وَجْهِهِ
بِالْبَكَاءِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَهْ ، إِنْ صَاحَبَكُمْ لَمْ يَكُنْ يَرْزُقُكُمْ ، وَإِنْ الَّذِي يَرْزُقُكُمْ حَتَّى
لَا يَمُوتَ ، وَإِنْ صَاحَبَكُمْ هَذَا ، لَمْ يَسُدَّ شَيْئًا مِنْ حُفَرِكُمْ ، وَإِنَّمَا سُدَّ حَفْرَةَ
نَفْسِهِ^(٨) ، وَإِنْ لَكُلِّ امْرَأٍ مِنْكُمْ حَفْرَةٌ لَا بَدَّ وَاللَّهِ أَنْ يَسُدَّهَا ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا
خَلَقَ الدُّنْيَا حَكَّمَ عَلَيْهَا بِالْخَرَابِ ، وَعَلَى أَهْلِهَا بِالْفَنَاءِ ، وَمَا امْتَلَأَتْ دَارٌ حَبْرَةً إِلَّا
امْتَلَأَتْ غَبْرَةً ، وَلَا اجْتَمَعُوا إِلَّا تَفَرَّقُوا ، حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَرِثُ الْأَرْضَ
وَمَنْ عَلَيْهَا ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ بَاكِيًا فَلْيَبْكِ عَلَى نَفْسِهِ ، فَإِنَّ الَّذِي صَارَ إِلَيْهِ

(١) تاريخ دمشق ٣٠٥/١٣ (مخطوط) .

(٢) البيت في العقد الفريد ١٣٤/٢ ، والتمثيل والمحاضرة ص ٢٨٦ .

(٣) بعده في ٢١ ، ب ، م : «أحب أن أجمع عليه عملين» .

(٤ - ٥) في ٢١ ، ب ، م : «المروءة استخدام الضيف» .

(٥) في م : «جلست» . وفي ابن عساكر : «رجعت» .

(٦) بعده في م : «ألا» .

صاحبكم ، كلكم يصيرُ إليه غداً .

وقال ميمونُ بنُ مهران^(١) : خَرَجْتُ مَعَ عَمْرٍ إِلَى الْقُبُورِ ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا أَيُّوبَ ، هَذِهِ قُبُورُ آبَائِي بَنِي أُمِيَّةَ ، كَانَتْهُمْ لَمْ يَشَارِكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهِمْ وَعَيْشِهِمْ ، أَمَا تَرَاهُمْ صَرَعَى قَدْ خَلَّتْ فِيهِمْ^(٢) الْمَثَلَاتُ ، وَاسْتَحْكَمَ فِيهِمُ الْبَلَاءُ ؟ ثُمَّ بَكَى حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ ، فَقَالَ : انْطَلِقُوا بَنَا فَوَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَنْعَمَ مِمَّنْ صَارَ إِلَى هَذِهِ الْقُبُورِ ، وَقَدْ آمِنَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ^(٣) .

وقال غيره^(٤) : خَرَجَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي جَنَازَةٍ ، فَلَمَّا دُفِنَتْ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : قِفُوا حَتَّى آتِيَ قُبُورَ الْأَحِبَّةِ . فَأَتَاهُمْ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَدْعُو ، إِذْ هَتَفَ بِهِ الثَّرَابُ ، فَقَالَ : يَا عَمْرُ أَلَا تَسْأَلُنِي مَا فَعَلْتُ فِي الْأَحِبَّةِ ؟ قَالَ قُلْتُ : وَمَا فَعَلْتَ بِهِمْ ؟ قَالَ : مَزَقْتُ الْأَكْفَانَ ، وَأَكَلْتُ اللَّحْمَ ، وَشَدَخْتُ [١٧٦/٧ ط] الْمُقْلَتَيْنِ ، وَأَكَلْتُ الْحَدَقَتَيْنِ ، وَنَزَعْتُ الْكَفَيْنِ مِنَ السَّاعِدَيْنِ ، وَالسَّاعِدَيْنِ مِنَ الْعَضُدَيْنِ ، وَالْعَضُدَيْنِ مِنَ الْمَنْكِبَيْنِ ، وَالْمَنْكِبَيْنِ مِنَ الصُّلْبِ ، وَالْقَدَمَيْنِ مِنَ السَّاقَيْنِ ، وَالسَّاقَيْنِ مِنَ الْفَخْذَيْنِ ، وَالْفَخْذَيْنِ مِنَ الْوَرِكِ ، وَالْوَرِكِ مِنَ الصُّلْبِ^(٥) وَعَمْرُ يَبْكِي . فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ قَالَ لَهُ : يَا عَمْرُ ، أَلَا أَذْلُكَ عَلَى أَكْفَانٍ لَا تَبْلَى ؟ قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : تَقْوَى اللَّهِ ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ .

وقال مرَّةً لرجلٍ من جلسائه : لَقَدْ أَرَقْتُ اللَّيْلَةَ مَفْكَرًا . قَالَ : وَفِيمَ يَا أَمِيرَ

(١) تاريخ دمشق ٣٠٨/١٣ ، ٣٠٩ (مخطوط) .

(٢) في ٢١ ، ب ، م ، ص : « بهم » .

(٣) بعده في ٢١ ، ب ، م ، ص : « ينتظر ثواب الله » .

(٤) المصدر السابق ٣٠٩/١٣ (مخطوط) .

(٥ - ٥) سقط من : م .

المؤمنين؟ قال: في القبر وساكنه، إنك لو رأيت الميت بعد الثالثة^(١) في قبره^(٢)، لاستوحشت من قبره بعد طول الأنس منك بناحيته، ولرأيت بيتًا تجول فيه الهوام، ويجرى فيه الصديد، وتخرقه الديدان، مع تغير الريح، وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة، وطيب الريح، ونقاء الثوب. قال: ثم شهق شهقة خرم مغشيًا عليه.

وقال مقاتل بن حيان^(٣): صليت وراء عمر بن عبد العزيز فقراً: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصفات: ٢٤]. فجعل يكررها وما يستطيع أن يجاوزها. وقالت امرأته فاطمة^(٤): ما رأيت أحداً أكثر صلاة وصياماً منه، ولا أحداً أشد فرقا من ربه منه، كان يصلي العشاء ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عينه^(٥)، ثم يتبها فلا يزال يبكي حتى تغلبه عينه. قالت: ولقد كان يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة؛ فينتفض كما ينتفض العصفور في الماء، ويجلس يبكي، فأطرح عليه اللحاف رحمة له، وأنا أقول: يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين، فوالله ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها.

وقال علي بن زيد^(٦): ما رأيت رجلين كأن النار لم تخلق إلا لهما مثل الحسين، وعمر بن عبد العزيز. وقال بعضهم^(٧): رأيت يبكي حتى بكى دماً. قالوا^(٨): وكان إذا أوى إلى فراشه قرأ: ﴿إِنَّكَ رَبُّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

(١) في ٢١، ص: «ثلاثة» وفي م: «ثلاث».

(٢) بعده في ٢١، ب، م، ص: «وما صار إليه».

(٣) تاريخ دمشق ٣١٠/١٣ (مخطوط).

(٤) في ٢١، ب، م، ص: «عينه».

(٥) المصدر السابق ٣١١/١٣ (مخطوط).

(٦) المصدر السابق ٣١٢/١٣ (مخطوط).

وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴿ الآية [الأعراف: ٥٤] . وبقراء: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٧] . ونحو هذه الآيات ، وكان يجتمع كل ليلة إليه أصحابه من الفقهاء فلا يذكرون إلا الموت والآخرة ، ثم يكون حتى كأن بينهم جنازة^(١) .

وقال أبو بكر الصولي ، ^(٢) «عن المبرد^(٣) : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بقول الشاعر :

فما تزود مما كان يجمعه سوى حنوط غداة البين في خرق
وغير نفحة أعواد تُشب له وقل ذلك من زاد لمنطلق
بأيا بلد كانت منيته إن لا يسر طائعا في قصدها يسقي

[١٧٧/٧] ونظر عمر بن عبد العزيز ، وهو في جنازة ، إلى قوم قد تلثموا من الغبار والشمس ، وانحازوا إلى الظل ، فبكى وأنشد :

من كان حين تصيب الشمس جبهته أو الغبار يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كي تبقى بشاشته فسوف يسكن يوما راغما جدثا
في قعر مظلمة غبراء موحشة يطيل في قعرها تحت الثرى لبثا
تجهزي بجهاز تبلغين به يا نفس قبل الردى لم تخلقى عبثا^(٤)

وقال ^(٥) المفضل بن غسان الغلابي : كان عمر بن عبد العزيز لا يجف فوه

(١) تاريخ دمشق ٣١٢/١٣ (مخطوط) .

(٢ - ٣) سقط من : م . وقد أخرجه ابن عساكر في المصدر السابق (مخطوط) ٣١٣/١٣ ، من طريق المبرد به .

(٣) بعده في ٢١ ، م ، ص زيادة تقع في ورقتين من المطبوع .

(٤ - ٥) في ٢١ ، ب ، ص : «الفضل بن عساف العلا» ، وفي م : «الفضل بن عباس الجلبى» . والمثبت موافق لما في تاريخ دمشق ٣١٤/١٣ (مخطوط) . وانظر الأنساب ٣٢١/٤ .

مِنْ هَذَا الْبَيْتِ :

وَلَا خَيْرَ فِي عَيْشٍ أَمَرْتُ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ اللَّهِ فِي دَارِ الْقَرَارِ نَصِيبُ
وَزَادَ غَيْرُهُ مَعَهُ بَيْتًا حَسَنًا، وَهُوَ قَوْلُهُ :

فَإِنْ تُعْجِبِ الدُّنْيَا أَنَا مَا فَإِنَّهَا مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَالزَّوَالُ قَرِيبٌ^(١)
وَمِنْ شِعْرِهِ الَّذِي أَنشَدَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ^(٢) :

أَنَا مَيِّتٌ وَعِزٌّ مَنْ لَا يَمُوتُ قَدْ تَيَقَّنْتُ أَنَّنِي سَامُوتُ
لَيْسَ مُلْكُكَ يُزِيلُهُ الْمَوْتُ مُلْكًا إِنَّمَا الْمُلْكُ مُلْكُكَ مَنْ لَا يَمُوتُ
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ^(٣) : كَانَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ :

تَسَرُّ بِمَا يَبْلَى^(٤) وَتَفَرِّحُ بِالْمُنَى كَمَا اغْتَرَّ بِاللَّذَاتِ فِي النَّوْمِ حَالُمٌ
نَهَارُكَ يَا مَغْرُورٌ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّوْدَى لَكَ لَا زَمٌ
وَسَعْيُكَ فِيمَا سَوْفَ تَكْرَهُ غِيبَةٌ كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ^(٥) : قَالَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَلُومُ نَفْسَهُ وَيَعَاتِبُهَا :

أَيْقِظَانِ أَنْتَ الْيَوْمَ أَمْ أَنْتَ نَائِمٌ وَكَيْفَ يُطِيقُ النَّوْمَ حَيْرَانُ هَائِمٌ
فَلَوْ كُنْتَ يَقِظَانِ الْغَدَاةَ لَحَوَّقْتُ مَدَامَ^(٦) عَيْنِكَ الدَّمُوعُ السَّوَاغِمُ
نَهَارُكَ يَا مَغْرُورٌ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّوْدَى لَكَ لَا زَمٌ^(٧)

(١) فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ نَسَبَهَا لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ قَوْلِهِ .

(٢) سِيرَةُ عَمْرِ ٢٧٠ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ٣١٤/١٣ (مَخْطُوطٌ) ، مِنْ طَرِيقِ ابْنِ الْمُبَارَكِ بِهِ .

(٤) فِي ٢١ ، ب ، م ، ص : « يَفْنَى » .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ٣١٤/١٣ (مَخْطُوطٌ) ، مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ كَثِيرٍ بِهِ .

(٦) فِي ٢١ ، ب ، م ، ص : « مُحَاجِرٌ » .

(٧ - ٧) سَقَطَ مِنْ : ٢١ ، ب ، م ، ص .

(١) بل (٢) أصبحت في النوم الطويل وقد دنت إليك أمورٌ مُفْطِعات عظامٍ (٣) وشغلُك (٤) فيما سوف تكررُه غيبُه كذلك في الدنيا تعيش البهائم (٥)

وروى ابن أبي الدنيا (٥) بسنده عن فاطمة بنت عبد الملك، قالت: انتبه عمر [١٧٧/٧] ذات ليلة، وهو يقول: لقد رأيتُ (٦) رؤيا معجبة (٧). فقلت: أخبرني بها. فقال: حتى تُصبح. فلما صلى الصبح (٨) بالمسلمين دخل فسأله عنها، فقال: رأيتُ كأنني دُفِعتُ إلى أرض خضراء واسعة كأنها بساط أخضر، وإذا فيها قصر كأنه الفضة، فخرج منه خارج فنادى: أين محمد بن عبد الله؟ أين رسول الله ﷺ؟ إذ أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل ذلك القصر، ثم خرج آخر فنادى: أين أبو بكر الصديق؟ فأقبل فدخل، ثم خرج آخر فنادى: أين عمر بن الخطاب؟ فأقبل فدخل، ثم خرج آخر فنادى: أين علي بن أبي طالب؟ فأقبل فدخل، ثم خرج آخر فنادى: أين عمر بن عبد العزيز؟ فقمْتُ فدخلتُ فجلستُ إلى جانب أبي عمر بن الخطاب، وهو عن يسار رسول الله ﷺ، وأبو بكر عن يمينه، وبينه وبين رسول الله ﷺ رجل، فقلتُ لأبي: من هذا؟ قال: هذا عيسى ابن مريم. ثم سمعتُ هاتفاً يهتف، بيني وبينه نورٌ لا أراه، وهو يقول:

(١ - ١) زيادة من ٢، ب، م، ص. وانظر صفة الصفوة ١٢٥/٢.

(٢) سقط من: م.

(٣) في ٢، ب، م، ص: «تكدح».

(٤) بعده في ٢، ب، م، ص: «فلا أنت في النوم يوماً بسالم ولا أنت في الأيقاظ يقظان حازم».

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣١٦/١٣، ٣١٧ (مخطوط)، من طريق ابن أبي الدنيا به.

(٦) بعده في ٢، ب، م، ص: «الليلة».

(٧) في ٢، ب، م، ص: «عجبية».

(٨) سقط من: ٢، ب، م، ص.

يا عمرُ بنَ عبدِ العزيزِ ، تَمَسَّكَ بِمَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، وَاثْبَثْ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ . قَالَ ^(١) :
 ثُمَّ كَانَهُ أُذِنَ لِي فِي الْخُزُوجِ فَخَرَجْتُ ، فَالْتَقَيْتُ إِذَا عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَهُوَ خَارِجٌ
 مِنَ الْقَصْرِ ، وَهُوَ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَصَرَنِي . رَبِّي ، وَإِذَا عَلِيٌّ فِي إِثْرِهِ ، وَهُوَ
 يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي غَفَرَ لِي رَبِّي .

فصل

وقد ذكرنا ^(٢) في « دلائل النبوة » الحديث الذي رواه أبو داود في سننه أن
 رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ
 يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا » . فقال جماعة من أهل العلم منهم أحمدُ بنُ حنبلٍ - فيما
 ذكره ابنُ الجوزي ^(٣) وغيره - : إِنَّ عَمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ
 الْأُولَى . ^(٤) وقال آخرون : هو من جملة من جدّد الله به أمر الدين على رأس المائة
 الأولى ^(٥) ، وإن كان هو أولى من دخل في ذلك وأحق ؛ لإمامته ، وعموم ولايته ،
 واجتهاده وقيامه في تنفيذ الحق ، فقد كانت سيرته شبيهة بسيرة عمر بن
 الخطاب ، وكان كثيراً ما يتشبه به . وقد جمع الشيخ أبو الفرج ابنُ الجوزي سيرة
 الثميرين ^(٥) ؛ عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز ، وقد أفرزنا سيرة عمر بن
 الخطاب في مجلدٍ على حدة ، ومسنده في مجلدٍ ضخيم ، وأما سيرة عمر بن

(١) سقط من : ٢١ ، ب ، م ، ص .

(٢) تقدم في ٣٠٣/٩ .

(٣) صفة الصفوة ١١٣/٢ .

(٤ - ٥) سقط من : ٢١ ، ب ، م ، ص .

(٥) سقط من : ٢١ ، م .

عبد العزيز فقد ذكرنا منها طرفاً صالحاً هنا، يُستدلُّ به على ما لم نذكره.

وقد كان عمرُ رَحِمَهُ اللهُ يُعْطَى مَنْ انْقَطَعَ إِلَى المسجدِ الجامعِ، مِنْ بَلَدِهِ
وغيرِها، للفقهِ [١٧٨/٧]، ونشرِ العلمِ، وتلاوةِ القرآنِ، في كُلِّ عامٍ من بيتِ
المالِ مائةَ دينارٍ، وكان يَكْتُبُ إلى عمالِهِ أن يأخذوا الناسَ ^(١) بالسُّنَّةِ، ويقولُ: إن
لم تُصْلِحْهُمْ السُّنَّةُ فلا أَصْلَحْهُمْ اللهُ. وكتبَ إلى سائرِ البلادِ أن لا يركَبَ ذمِّيٌّ
مِن اليهودِ والنصارى وغيرِهِم على سَرْجٍ، ولا يلبَسَ قَبَاءً ولا طيلساناً ^(٢) ولا
السراويلَ ^(٣) ولا يَمِشِينَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إلا بِزُنَّارٍ من جلدٍ، وهو مقروءُ الناصيةِ، ومن
وُجِدَ مِنْهُمْ في منزله سلاحٌ أُخِذَ مِنْهُ. وكتبَ أيضاً أن لا يُسْتَعْمَلَ على الأعمالِ
إلا أهلُ القرآنِ، فإن لم يكنْ عندهم خيرٌ فغيرُهُم أولى أن لا يكونَ عنده خيرٌ.
وكان يَكْتُبُ إلى عمالِهِ: اجتنبوا الأشغالَ عند حضورِ الصلواتِ، فإنَّ مَنْ
أضاعها فهو لِمَا سواها مِن شرائعِ الإسلامِ أشدُّ تضييعاً. وقد كان يَكْتُبُ الموعظةَ
إلى العاملِ مِنْ عمالِهِ فينخلعُ ^(٤) بها قلبه ^(٥)، وربما عَزَلَ بعضُهم نفسه عن العمالةِ ^(٥)
مِن شِدَّةِ ما تقعُ موعظتهُ مِنْهُ، وذلك أنَّ الموعظةَ إذا خَرَجَتْ مِنْ قلبِ الواعِظِ
دَخَلَتْ قلبَ الموعوظِ. وقد صرَّحَ كثيرٌ مِنَ الأئمةِ بأنَّ كُلَّ مَنْ استعمله عمرُ بنُ
عبد العزيز ثَقَّةً، وقد كَتَبَ إليه الحسنُ البصريُّ بمواعظِ حسانٍ ولو تقصَّينا ذلك
لطال هذا الفصلُ، ولكن قد ذكرنا ما فيه إشارةً إلى ذلك. وكتبَ إلى بعضِ

(١) سقط من: م.

(٢) الطيلسان: ضرب من الأوشجة يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن خال عن الحياطة. أو هو ما يعرف في العامية المصرية بالشال. الوسيط (ط ل س).

(٣) بعده في الأصل: «ذات حذبه».

(٤ - ٤) في ٢، ب، م، ص: «منها».

(٥) بعده في ٢، ب، م، ص: «وطوى البلاد».

عماله^(١) : «أما بعد، فإنني^(٢) أذكرك ليلة تمخض بالساعة فصباحها القيامة، فيا لها من ليلة ويا له من صباح، وكان يوماً على الكافرين عسيراً. وكتب إلى آخر^(٣) : أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد بك، وانقطاع الرجاء منك. قالوا : فخلع هذا العامل نفسه من العمالة، وقدم على عمر، فقال له : ما لك ؟ فقال : خلعت قلبي بكتابتك يا أمير المؤمنين، والله لا أعود إلى ولاية أبداً.

فصل

وقد رد جميع المظالم كما قدمنا، حتى إنه رد قص خاتم كان في يده ؛ قال : أعطانيه الوليد من غير حقه . وخرج من جميع ما كان فيه من التعميم في الملبس والمأكلي والمتاع، حتى إنه ترك التمتع بزوجه الحسناء، فاطمة بنت عبد الملك، يقال : كانت من أحسن النساء^(٤) . ويقال : إنه رد جهازها وما كان من أموالها إلى بيت المال . والله أعلم . وقد كان دخله في كل سنة قبل أن يلي الخلافة أربعين ألف دينار، فترك ذلك كله حتى لم يبق له دخل سوى أربعمائة دينار في كل سنة، وكان حاصله في خلافته ثلاثمائة درهم، وكان له من الأولاد جماعة، وكان ابنه عبد الملك أجملهم، فمات في حياته في زمن خلافته، [١٧٨/٧ ط] حتى يقال^(٥) : إنه كان خيراً من أبيه . فلما مات لم يظهر عليه حزن،

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٢٣ .

(٢ - ٣) سقط من : ٢١ ، ب ، م ، ص .

(٣) المصدر السابق ص ١٢٠ .

(٤) في الأصل : « الناس وبنت عم أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان » .

(٥) المصدر السابق ص ٢٩٩ .

وقال ^(١): «أمر رضى الله فلا أكرهه». وكان قبل الخلافة يؤتى بالقميص الرفيع اللين جدًا، فيقول: ما أحسنه لولا خشونة فيه. فلما ولي الخلافة ^(٢) كان بعد ذلك يلبس القميص الغليظ المرقوع ولا يغسله حتى يتسخ جدًا، ^(٣) ويقول: ما أحسنه لولا لينه ^(٤). وكان يلبس الفروة الغليظة، وكان سراجُه على ثلاث قصبات في رأسهن طين، ولم يبن شيئًا في أيام خلافته. وكان يخدم نفسه بنفسه، وقال: ما تركت شيئًا من الدنيا إلا عوضني الله ما هو خير منه. وكان يأكل الغليظ ^(٥) من الطعام أيضًا ^(٦)، ولا يُبالي بشيء من التعميم، ولا يُتبعه نفسه ولا يودّه، حتى قال أبو سليمان الداراني ^(٧): كان عمر بن عبد العزيز أزهّد من أويس القرني؛ لأن عمر ملك الدنيا بحذافيرها وزهد فيها، ولا ندرى حال أويس لو ملك ما ملكه عمر كيف يكون؟ ليس من جرب كمن لم يجرب. وتقدم قول مالك بن دينار: ^(٨) «الناس يقولون: مالك زاهد». إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز؛ ^(٩) «أنته الدنيا فاغرة فاها فردّها». وقال عبد الله بن دينار: لم يكن عمر يرتق من بيت المال شيئًا. وذكروا أنه أمر جارية تروّحه حتى ينأى فروحه، فنامت هي، فأخذ المروحة من يدها وجعل يروّحها، ويقول: أصابك من الحر ما أصابني. وقال له رجل: جزاك الله عن الإسلام خيرًا. فقال: بل جزى الله الإسلام عني خيرًا. ويقال: إنه كان يلبس تحت ثيابه مسحًا غليظًا من شعر، ويضع في رقبته غلًا إذا قام يصلي من الليل، ^(١٠) ثم إذا أصبح وضعه في مكانٍ وختَم عليه فلا يشعُر به أحد، وكانوا يظنونونه مالًا أو جوهراً من حرصه عليه، فلما مات فتحوا ذلك المكان فإذا فيه غلٌ ومِسْحٌ ^(١١).

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٣٠٤ بنحوه.

(٢ - ٢) زيادة من: ٢١، ب، م، ص، وانظر سيرة ومناقب عمر لابن الجوزي ص ١٧٦.

(٣ - ٣) سقط من: ٢١، ب، م، ص.

(٤) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٨٤.

(٥ - ٥) زيادة من: ٢١، ب، م، ص.

وكان يبكى حتى بكى الدم مع^(١) الدموع ، ويقال : إنه بكى فوق سطح حتى سال دمعته من الميزاب . وكان يأكل من العدس ليرق قلبه وتغزّر دمعته ، وكان إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله ، وقرا رجل عنده : ﴿ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ ﴾ الآية [الفرقان : ١٣] . فبكى بكاء شديدا ثم قام فدخل منزله وتفرق الناس عنه ، وكان يكثر أن يقول : اللهم سلّم سلّم . وكان يقول : اللهم أصليح من كان في صلاحه صلاح لأمة محمد ﷺ ، وأهلك من كان في هلاكه صلاح أمة محمد ﷺ . وقال^(٢) : أفضل العبادة أداء الفرائض ، واجتناب المحارم . وقال : لو أن المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى يُحكّم أمر نفسه^(٣) لذهب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولقلّ الواعظون والساعون لله بالنصيحة . وقال : الدنيا عدوة أولياء الله ، و^(٤) أعداء الله ، أما الأولياء فغمّتهم^(٥) ، وأما الأعداء فغرّتهم^(٦) . وقال^(٧) : قد أفلح من عصم من المراء والغضب والطمع . وقال لرجل : من سيّد قومك ؟ قال : أنا . قال : لو كنت كذلك [١٧٩/٧] لم تقله . وقال : أزهّد الناس في الدنيا عليّ بن أبي طالب . وقال : لقد بُورك لعبد في حاجة أكثر فيها من الدعاء ، أعطى أو مُنِع . وقال : قيّدوا العلم بالكتاب . وقال لرجل : علّم ولدك الفقه الأكبر : القناعة وكفّ الأذى . وتكلّم رجل عنده فأحسن ، فقال : هذا هو السحر الحلال . وقصّته مع

(١) في م : « من » .

(٢) حلية الأولياء ٢٩٦/٥ .

(٣) بعده في ٢ ، ب ، م ، ص : « لتواكل الناس الخيرو » .

(٤) بعده في م : « ولية » .

(٥) بعده في ٢ ، ب ، م ، ص : « وأحزنتهم » .

(٦) بعده في ٢ ، ب ، م ، ص : « وشتهم وأبعدتهم عن الله » . وانظر جمهرة رسائل العرب ٣١٨/٢ .

(٧) حلية الأولياء ٢٩٠/٥ ، وسيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٢٧٣ .

أبى حازم مطوثة^(١) حين رآه خليفة^(٢) وقد شحِب وجهه من التقشُّف، وتغيَّر حاله، فقال له: ألم يكن ثوبك نقيًا؟ ووجهك وضئًا؟ وطعامك شهئًا؟ ومركبك وطئًا؟ فقال له: ألم تُخبرني عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ من ورائكم عقبة كئودًا لا يجوزُها إلا كلُّ ضامرٍ مهزولٍ»؟ ثم بكى حتى غشي عليه، ثم أفاق فذكر أنه رأى فى غشيته تلك أن القيامة قد قامت، وقد استدعى بكلُّ من الخلفاء الأربعة، فأمر بهم إلى الجنة، ثم ذكر من بينه وبينهم فلم يدر ما صنع بهم، ثم دُعِيَ هو فأمر به إلى الجنة، فلما انفصل لقيه سائل فسأله عما كان من أمره فأخبره، ثم قال للسائل: فمن أنت؟ قال: أنا الحجاجُ ابنُ يوسف، قتلنى ربي بكلِّ قتلةٍ قتلةً، ثم ها أنا أنتظر ما ينتظره الموحدون. وفضائله ومآثره كثيرةٌ جدًّا، وفيما ذكرنا كفايةً، ولله الحمدُ والمِنَّةُ وهو حسبنا ونعم الوكيلُ.

ذكر سبب وفاته رحمه الله

كان سببها السل^(٣)، وقيل^(٤): سببها أن مولى له سمَّه فى طعام، أو شراب، وأعطى على ذلك ألف دينار. فحصل له بسبب ذلك مرض، فأخبر أنه مسموم، فقال: لقد علِمْتُ يومَ سقيتُ السَّم. ثم استدعى مولاه الذى سقاه، فقال له:

(١) حلية الأولياء ٢٩٩/٥. وسيرة ومناقب عمر ص ٢٧٩.

(٢) فى الأصل: «فى زمن الخلافة».

(٣) تاريخ دمشق ٣٣٠/١٣ (مخطوط).

(٤) تاريخ دمشق ٣١٨/١٣ (مخطوط).

وَيَحْكُ ، مَا ^(١) حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ فَقَالَ : أَلْفُ دِينَارٍ أُعْطِيْتُهَا . فَقَالَ : هَاتِيهَا . فَأَحْضَرَهَا فَوَضَعَهَا فِي بَيْتِ الْمَالِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : اذْهَبْ حَيْثُ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ فَتَهْلِكَ .

ثُمَّ قِيلَ لِعَمَرَ ^(٢) : تَدَارَكَ نَفْسَكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ شِفَائِي أَنْ أَمْسَحَ ^(٣) شَحْمَةً أُذُنِي ، أَوْ أُوتَى بِطَبِيبٍ فَأَشْفُمَهُ مَا فَعَلْتُ . فَقِيلَ لَهُ ^(٤) : هَؤُلَاءِ بَنُوكَ - وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ - أَلَا تُوصِي لَهُمْ بِشَيْءٍ ؟ فَإِنَّهُمْ فَقَرَاءُ ؟ فَقَالَ : ﴿ إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٦] . وَاللَّهِ لَا أُعْطِيهِمْ حَقَّ أَحَدٍ ، وَهُمْ بَيْنَ رَجُلَيْنِ ؛ إِمَّا صَالِحٌ فَاللَّهُ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ، وَإِمَّا غَيْرُ صَالِحٍ فَمَا كُنْتُ لِأَعِينَهُ عَلَى فَسَقِهِ - وَفِي رَوَايَةٍ ^(٥) : فَلَا أُبَالِي فِي أَيِّ وَاِدٍ هَلَكَ . وَفِي رَوَايَةٍ ^(٦) : فَأَدْعُهُ لَهُ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، فَأَكُونَ شَرِيكَهُ فِيمَا يَعْمَلُ بَعْدَ الْمَوْتِ ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ - ثُمَّ اسْتَدْعَى بِأَوْلَادِهِ فَوَدَّعَهُمْ وَعَزَاهُمْ بِهَذَا ، وَأَوْصَاهُمْ بِهَذَا الْكَلَامِ ، ثُمَّ قَالَ : انصَرِفُوا عَصَمَكُمُ اللَّهُ ، وَأَحْسِنِ الْخُلَافَةَ عَلَيْكُمْ . قَالَ ^(٧) : فَلَقَدْ رَأَيْنَا بَعْضَ أَوْلَادِ عَمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَحْمِلُ عَلَى ثَمَانِينَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَكَانَ بَعْضُ أَوْلَادِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ - مَعَ كَثْرَةِ مَا تَرَكَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ - يَتَعَاطَى وَيَسْأَلُ مِنْ أَوْلَادِ عَمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ لِأَنَّ عَمَرَ وَكُلَّ وَلَدِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَسُلَيْمَانُ وَغَيْرُهُ إِذَا يَكْلُونِ أَوْلَادَهُمْ إِلَى مَا يَدْعُونَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ الْفَانِيَةِ ، فَيُضَيِّعُونَ وَتَذْهَبُ أَمْوَالُهُمْ فِي شَهْوَاتِ أَوْلَادِهِمْ .

(١) بعده في ٢١ ، ب ، ص : «الذي» .

(٢) تاريخ دمشق ٣١٧/١٣ ، ٣١٨ (مخطوط) .

(٣) في م : «أمس» .

(٤) حلية الأولياء ٣٣٣/٥ ، ٣٣٤ ، وتاريخ دمشق ٣١٨/١٣ ، ٣١٩ (مخطوط) .

(٥) تاريخ دمشق ٣١٨/١٣ (مخطوط) بنحوه .

(٦) تاريخ دمشق ٣١٩/١٣ (مخطوط) بنحوه .

(٧) سيرة عمر لابن الجوزي ص ٣٣٨ وفيه : «ولا من ولد هشام بدلاً من بعض أولاد سليمان» .

وقال يعقوب بن سفيان^(١) : ثنا أبو النعمان ، ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ، لو أتيت المدينة ، [١٧٩/٧] فإن قضى الله موتاً دفنت في القبر الرابع مع رسول الله ﷺ ، وأبي بكر ، وعمر . فقال : والله لأن يُعَذِّبني الله بكل عذاب ، إلّا النار - فإنه لا صبر لي عليها - أحب إلي من أن يعلم الله من قلبي أنّي لذلك الموضع أهل .

قالوا^(٢) : وكان مرضه بدير سمعان من قرى حمص ، وكانت مدة مرضه عشرين يوماً .

ولما احتضر قال^(٣) : أجلسوني . فأجلسوه ، فقال : إلهي ، أنا الذي أمرتني فقصرت ، ونهيتني فعصيت - ثلاثاً - ولكن لا إله إلّا الله . ثم رفع رأسه فأخذ النظر ، فقالوا : إنك لتنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين . فقال : إني لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جان . ثم قبض من ساعته . وفي رواية أنه قال لأهله : اخرجوا عني . فخرجوا وجلس على الباب مسلمة بن عبد الملك ، وأخته فاطمة ، فسمعه يقول : مرحباً بهذه الوجوه التي ليست بوجوه إنس ولا جان ، ثم قرأ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصر : ٨٣] . ثم هدأ الصوت ، فدخلوا عليه فوجدوه قد غمض ، وسوى إلى القبلة ، وقبض .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة^(٤) : ثنا عبد الملك بن عبد العزيز ، عن الدراوردي ،

(١) المعرفة والتاريخ ٦ : ٨ / ١ .

(٢) طبقات ابن سعد ٤٠٨ / ٥ بنحوه .

(٣) حلية الأولياء ٣٣٥ / ٥ .

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٢٢ / ١٣ (مخطوط) ، من طريق أبي بكر بن أبي شيبة به .

عن عبد العزيز بن أبي سلمة ، أن عمر بن عبد العزيز لما وضع عند قبره هبَّت ريح شديدة ، فسقطت صحيفة بأحسن كتاب فقرءوها فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، براءة من الله لعمر بن عبد العزيز من النار . فأدخلوها بين أكفانه ، ودفنوها معه . وروى نحو هذا من وجه آخر ^(١) .

وروى ابن عساكر في ترجمة عبد الصمد بن إسماعيل بسنده ^(٢) ، عن عمير ابن الحُباب ^(٣) السلمي ، قال : أسرتُ أنا وثمانية في زمان بني أمية ، فأمر ملك الروم بضرب رقابنا ، فقتل أصحابي ، وشفع في بطريق من بطارقة الملك ، فأطلقني له ، فأخذني إلى منزله ، وإذا له ابنة مثل الشمس ، فعرضها علي ، وعلى أن يُقاسمني نعمته ، وأدخلَ معه في دينه ، فأيتت ، وخلت بي ابنته فعرضت نفسها علي فامتعت ، فقالت : ما يمتلك من ذلك ؟ فقلت : يمتلئ ديني ، فلا أترك ديني لامرأة ولا لشيء . فقالت : تريد الذهاب إلى بلادك ؟ قلت : نعم . فقالت : سِرْ علي هذا النجم بالليل ، واكُمْن بالنهار ؛ فإنه يُلقيك إلى بلادك . قال : فسرتُ كذلك . قال : فبينما أنا في اليوم الرابع مُكِمٌّ ، وإذا بخيل مُقبلة فخشيتُ أن تكونَ في طَلبي ؛ فإذا أنا بأصحابي الذين قتلوا ، ومعهم آخرون على دوابٍ شُهَب ، فقالوا : عُميْر ؟ فقلت : [١٨٠/٧] عُميْر ، فقلت : أو ليس قد قتلتم ؟ قالوا : بلى ، ولكن الله ، عز وجل ، نشر الشهداء ، وأذن لهم أن يشهدوا جنازة عمر بن عبد العزيز . قال : ثم قال لي بعضهم : ناولني يدك يا عُميْر ، فأردفني ، فسيرنا يسيرا ، ثم قذف بي قذفة وقعت قرب منزلي بالجزيرة ، من غير

(١) طبقات ابن سعد ٤٠٧/٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٤٣/٥ .

(٢) تاريخ دمشق ٣٢٩/١٠ (مخطوط) عنه به .

(٣) في النسخ : « حبيب » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر معجم الشعراء ص ٧٤ ، والإكمال ١٤٥/٢ .

أَنْ يَكُونَ لِحَقْنِي شَرٌّ.

وقال رجاء بن حيوة^(١) : كان عمرُ بن عبد العزيز قد أوصى إليَّ أن أغسله وأكفّته ، ^(٢) وأدقّته ^(٣) فإذا حللتُ عُقدة الكفن ، أن أنظرَ في وجهه ، قال : فلما فعلتُ ذلك إذا وجهه كالقراطيس بياضاً ، وكان قد أخبرني أنه ^(٤) دُفِن ثلاثة ^(٥) من الخلفاء فيحلُّ عن وجوههم فإذا هي مسودّة .

وروى ابن عساكر في ترجمة يوسف بن ماهك قال ^(٦) : بينما نحن نسوي التراب على قبر عمر بن عبد العزيز ، إذ سقط علينا من السماء كتاب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، أمانٌ من الله لعمر بن عبد العزيز من النار . ساقه من طريق إبراهيم بن بشار ، عن عباد بن عمرو ، عن محمد بن يزيد البصري ، عن يوسف ابن ماهك فذكره ، وفيه غرابة شديدة . والله أعلم . وقد رُئيَتْ له مناماتٌ صالحة ، وتأسّف عليه الخاصة والعامة ، لاسيما العلماء والزهاد والعباد . ورثاه الشعراء ؛ فمن ذلك ما أنشده أبو عمرو الشيباني لكثير عزة يرثي عمر بن عبد العزيز ^(٧) :

عَمَّتْ صَنَائِعُهُ فَعَمَّ هَلَاكُهُ	فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورُ
وَالنَّاسُ مَأْتَمُهُ عَلَيْهِ وَاحِدٌ	فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّةٌ وَزَفِيرُ
يُثْنِي عَلَيْكَ لِسَانٌ مَنْ لَمْ تُؤْلِهِ	خَيْرًا لَأَنَّكَ بِالثَّنَاءِ جَدِيرُ
رَدَّتْ صَنَائِعُهُ عَلَيْهِ حَيَاتِهِ	فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

(١) طبقات ابن سعد ٤٠٧/٥ .

(٢ - ٣) سقط من : م .

(٣ - ٣) في ٢١ ، ب ، م ، ص : « كل من وقته قبله » .

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٩٢/٢٨ .

(٥) شرح ديوان كثير عزة ص ٥٢٩ ، مع تقديم وتأخير في الأبيات واختلاف في بعض ألفاظها .

وقال جريز يري عمر بن عبد العزيز، رحمه الله تعالى^(١) :

ينعى النعاة أمير المؤمنين لنا يا خير من حج بيت الله واعتما
حملت أمرا عظيما^(٢) فاضطلعت به^(٣) وقمت فيه بأمر الله يا عمرا
الشمس كاسفة^(٤) ليست بطالعة^(٥) تبكى عليك نجوم الليل والقمر
وقال محارب بن دثار^(٦) رحمه الله يري عمر بن عبد العزيز، رحمه الله

تعالى :

لو أعظم الموت خلقا أن يواقعهم
كم من شريعة عدل قد نعشت لهم
يا لهف نفسي ولهف الواجدين معي
ثلاثة ما رأيت عيني لهم شبيها
وأنت تتبعهم لم^(٧) تأل مجتهدا
لو كنت أملك والأقدار غالبه
صرفت عن عمر الخيرات مصرعه
قالوا^(٨) : وكانت وفاته بدير سمعان من أرض حمص ، يوم الخميس ، وقيل :

(١) شرح ديوان جريز ص ٣٠٤ .

(٢ - ٣) في الديوان : « فاضطربت له » .

(٣) في الأصل : « طالعة » .

(٤) في الأصل : « كاسفة » .

(٥) تاريخ دمشق ٣٢٥/١٣ (مخطوط) ، وسيرة ومناقب عمر ص ٥٣٥ .

(٦) في الأصل ، ٢١ ، ب ، ص : « لا » ، والمثبت موافق لسيرة ومناقب عمر .

(٧) في سيرة عمر : « سعيا » .

(٨) تاريخ الطبري ٥٦٥/٦ ، وتاريخ دمشق ٣٢٦/١٣ - ٣٢٨ (مخطوط) ، وتاريخ الخلفاء ٢٤٦ .

الجمعة لخمس مَضِين . وقيل : بَقِين مِن رَجَب . وقيل : لعشرِ بَقِين مِن رَجَبِ سَنَةٍ
إحدى . وقيل : ثنتين ومائة^(١) . واللَّهُ أعلم .

وقال الهيثم بن عدي^(٢) : توفّي في جمادى سنة ثنتين ومائة^(١) . وصلى عليه
ابن عمّه مسلمة بن عبد الملك . وقيل : صلى عليه يزيد بن عبد الملك . وقيل : ابنه
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز . وكان عمره يوم مات تسعًا وثلاثين سنةً
وأشهرًا ، وقيل : إنه جاوز الأربعين بأشهر . وقيل : بسنة . وقيل : بأكثر . وقيل :
إنه عاش ثلاثًا وثلاثين^(٢) سنة . وقيل : ستًا وثلاثين . وقيل : سبعا وثلاثين . وقيل :
ثمانٍ وثلاثين سنة . وقيل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين ولم يبلغها .

وقال أحمد بن عبد الرزاق عن معمر^(٤) : مات عمر^(٣) على رأس خمسٍ
وأربعين سنة . قال ابن عساکر : وهذا وهم ، والصحيح الأول ، يعني^(٣) تسعًا
وثلاثين سنةً وأشهرًا . وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام . وقيل :
وأربعة عشر يومًا . وقيل : سنتان ونصف .

وكان رحمه الله أسمرَ دقيقِ الوجهِ حسنَه ، نحيفَ الجسمِ حسنَ اللحية ،
غائرَ العينين ، بجمهته أثرُ شَجَةٍ ، وكان قد شاب وخضب ، رحمه الله ، والله
سبحانه أعلم^(٧) .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) تهذيب الكمال ٤٤٦/٢١ .

(٢) في م : « وستين » .

(٣) سقط من : م .

(٤) تاريخ دمشق ٣٣٠/١٣ (مخطوط) .

(٧) بعده في : م ، ص زيادة وهي من زيادات الناسخ .

خلافة يزيد بن عبد الملك^(١)

ببيع له بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك ، أن يكون ولي العهد من بعد عمر بن عبد العزيز ، فلما توفي عمر في رجب من هذه السنة - أعنى سنة إحدى ومائة - بايعه الناس البيعة العامة ، وعمره إذ ذاك تسع وعشرون سنة ، فعزل في رمضان منها عن إمرة المدينة أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وولى عليها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس ، فجرت بينه وبين أبي بكر بن حزم ، منافسات وضغائن ، حتى آل الأمر إلى أن استدرك عليه حكومة فحده حدين فيها .

وفيهما كانت وقعة بين الخوارج ، وهم أصحاب بسطام الخارجي ، وبين جند الكوفة ، وكانت الخوارج جماعة قليلة ، وكان جيش الكوفة نحوًا من عشرة آلاف فارس ، فكادت الخوارج أن تكسبرهم ، فتذا مروا فيما بينهم ، فطحنوا الخوارج طحنًا عظيمًا ، وقتلوه عن آخرهم ، فلم يُبقوا منهم نائرا^(٢) .

وفيهما خرج يزيد بن المهلب ، فخلع يزيد بن عبد الملك ، واستحوذ على البصرة ، وذلك بعد محاصرة طويلة و قتال طويل ، فلما ظهر عليها بسط [١٨١/٧] العدل^(٣) في أهلها^(٣) ، وبذل الأموال ، وحبس عاملها عدى بن أرطاة ؛ لأنه كان قد حبس آل المهلب الذين كانوا بالبصرة ، حين هرب يزيد بن المهلب من

(١) انظر ترجمته في تاريخ دمشق ٣٣٧/١٨ (مخطوط) ، والإنباء في تاريخ الخلفاء ٥١ ، وسير أعلام النبلاء ١٥٠/٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠ هـ) ص ٢٧٩ ، وفوات الوفيات ٣٢٢/٤ ، وتاريخ الخلفاء ٢٤٦ .

(٢) في ٢١ ، ب ، م ، ص : «ثائرة» .

(٣ - ٣) زيادة من : ٢١ ، ب ، م ، ص .

محبس عمر بن عبد العزيز، كما ذكرنا، وكان لما ظهر على قصر الإمارة^(١) أتى بعدى بن أرتاة، فدخل عليه وهو يضحك، فقال له يزيد بن المهلب: إني لأتعجب من ضحكك؛ لأنك هربت من القتال كما تهرب النساء، وإنك جئتني وأنت تثل^(٢) كما يثل العبد. فقال عدى: إني لأضحك؛ لأن بقائي بقاء لك، وإن من ورائي طالباً لا يتركني. قال: ومن هو؟ قال: جنود بني أمية بالشام لا يتركونك، فتدارك نفسك قبل أن يرمى إليك البحر بأموأجه فتطلب الإقالة فلا تقال. فرد عليه يزيد جواب ما قال، ثم سجنه كما سجن أهله.

واستقر أمر يزيد بن المهلب بالبصرة، وبعث نوابه في النواحي والجهات، واستتاب في الأهواز، وأرسل أخاه مدرك بن المهلب على نيابة خراسان، ومعه جماعة من المقاتلة، فلما بلغ خبره الخليفة يزيد بن عبد الملك جهز ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في أربعة آلاف، مقدمة بين يدي عه مسلمة بن عبد الملك، وهو في جنود الشام، قاصدين البصرة لقتاله، ولما بلغ يزيد بن المهلب مخبر الجيوش قاصدة إليه، خرج من البصرة، واستتاب عليها أخاه مروان بن المهلب، وجاء حتى نزل واسطاً، واستشار من معه من الأمراء في ماذا يعتمد؟ فاختلفوا عليه في الرأي، فأشار عليه بعضهم بأن يسير إلى الأهواز ليتحصن في رءوس الجبال، فقال: إنما تريدون أن تجعلوني طائراً في رأس جبل؟ وأشار عليه رجال أهل العراق أن يسير إلى الجزيرة فينزّلها،^(٣) ويتحصن بأجود^(٤)

(١) تاريخ الطبرى ٥٨٢/٦.

(٢) ثلّه يثلّه: إذا قاده.

(٣ - ٣) فى ٢١، ب، م، ص: «باحصن».

حصن فيها، ^(١) ويَعْصُ عليه رجال أهل العراق ^(٢)، ويجتمع عليه أهل الجزيرة، فيقاتل بهم أهل الشام ^(٣).

وانسلخت هذه السنة وهو نازل بواسط، وجيش الشام قاصده.

وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس أمير المدينة .
وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى الكوفة عبد الحميد
ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وعلى قضائها عامر الشعبي، وعلى البصرة
يزيد بن المهلب، قد استحوذ عليها وخلع أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك .

وفيهما توفي مع ^(٣) عمر بن عبد العزيز، ربيع بن حراش ^(٤)، ^(٥) ومسلم بن
يسار ^(٦).

وأبو صالح السمان ^(٧)، ^(٨) وكان عابداً صادقاً ثباتاً، وقد ترجمناه [١٨١/٧] ط
في كتابنا «التكميل». والله سبحانه أعلم.

(١ - ١) سقط من: ٢١، ب، م، ص.

(٢) بعده في الأصل: «في شعر دقيق رخيص».

(٣) سقط من: م.

(٤) في ٢١، ب، م، ص، أسد الغابة، وحلية الأولياء «خراش».

وانظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ١٢٧/٦، وحلية الأولياء ٣٦٧/٤، وأسد الغابة ٢٠٤/٢،

وتهذيب الكمال ٥٤/٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠ هـ) ص ٧٩.

(٥ - ٥) سقط من: ٢١، ب، م، ص. وقد تبع ابن كثير شيخه الذهبي، حيث أورده الذهبي ضمن

وفيات الطبقة العاشرة، في تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٤٧٥، ثم عاد فأورده

في وفيات الطبقة الحادية عشرة، في تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠ هـ) ص ٢٥٨.

وقد تقدمت ترجمته في ١٨٦/٩.

(٦) بعده في ص زيادة وهي من زيادات الناسخ.

(٧) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٣٠١/٥، والتاريخ الكبير ٢٦٠/٣، وتهذيب الكمال ٥١٣/٨،

وسير أعلام النبلاء ٣٦/٥، والبر ١٢١/١.

(٨ - ٨) سقط من: الأصل.

ثم دخلت سنة ثنتين ومائة

ففيها كان اجتماع مسلمة بن عبد الملك مع يزيد بن المهلب ، وذلك أن يزيد ابن المهلب ركب من واسط ، واستخلف عليها ابنه معاوية ، وسار هو في جيش ، وبين يديه أخوه عبد الملك بن المهلب ، حتى بلغ مكاناً يقال له : العقر^(١) . وانتهى إليه مسلمة بن عبد الملك في جنود لا قبل ليزيد بها ، وقد التقى المقدمتان أولاً ، فاقتلوا قتالاً شديداً ، فهزم أهل البصرة أهل الشام ، ثم تذامر أهل الشام ، فحملوا على أهل البصرة فكشفوهم^(٢) ، فهزموهم ، وقتلوا منهم جماعة من الشجعان ، منهم المنتوف ، وكان شجاعاً مشهوراً ، وكان من موالى بكر بن وائل : فقال في ذلك الفرزدق^(٣) :

تُبْكِي على المنتوفِ بكرُ بنِ وائلٍ وتنهى عن ابْنِ مِشْعَمٍ مَنْ بَكَاهُما
فأجابه الجعدُ بنُ درهمٍ مولى الثورَيْنِ مِنْ هَمْدَانَ ، وهذا الرجلُ هو أوَّلُ
الجهمية ، وهو الذى ذبحه خالدُ بنُ عبدِ الله القسرى يومَ عيدِ الأضحى ، فقال
الجعدُ^(٤) :

تُبْكِي على المنتوفِ فى نصرِ قومِهِ ولَسْنَا^(٥) تُبْكِي الشائدَيْنِ^(٦) أباهما

(١) وهو عقر بابل قرب كربلاء قتل عنده يزيد بن المهلب بن أبى صفرة معجم البلدان ٤٩٥/٣ .

(٢) سقط من : ٢١ ، ب ، م ، ص .

(٣) البيت فى شرح ديوان الفرزدق : ٧٦٢ ، الكامل للمبرد ٢١٩/١ ، وتاريخ الطبرى ٥٩١/٦ .

(٤) تاريخ الطبرى ٥٩١/٦ .

(٥) فى م : « ليتنا » .

(٦) فى الأصل ، ٢١ ، ص : « السائين » ، وفى ب : « الشامتين » .

أَرَادَ فِنَاءَ الْحَيِّ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فِعْزٌ^(١) تَمِيمٌ لَوْ أُصِيبَ^(٢) فِنَاهُمَا^(٣)
فَلَا لَقِيَا رَوْحًا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً وَلَا رَقَاتٍ عَيْنَا شَجِيٍّ^(٤) بَكَاهُمَا
«أَفَى الْغِشِّ»^(٥) نَبَكَى إِنْ بَكَيْنَا عَلَيْهِمَا^(٦) وَقَدْ لَقِيَا بِالْغِشِّ^(٧) فِينَا رَدَاهُمَا

وَلَمَّا اقْتَرَبَ مُسْلِمَةٌ، وَابْنُ أَخِيهِ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْ جَيْشِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ،
خَطَبَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ النَّاسَ، وَحَرَّضَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ - يَعْنِي عَلَى قِتَالِ أَهْلِ
الشَّامِ - وَكَانَ مَعَ يَزِيدَ نَحْوُ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا قَدْ بَايَعُوهُ عَلَى السَّمْعِ
وَالطَّاعَةِ، وَعَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَعَلَى أَنْ لَا تَطْأَ الْجَنُودُ بِلَادَهُمْ،
وَعَلَى أَنْ لَا تَعَادَ عَلَيْهِمْ سِيرَةُ الْفَاسِقِ الْحَجَّاجِ، وَمَنْ بَايَعَنَا عَلَى ذَلِكَ قَبِلْنَا مِنْهُ،
وَمَنْ خَالَفَنَا قَاتَلْنَاهُ.

وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ يَحْرِضُ النَّاسَ عَلَى الْكُفِّ، وَتَرَكَ
الدَّخُولَ فِي الْفِتْنَةِ، وَبَنَاهُمْ أَشَدَّ النَّهْيِ، وَذَلِكَ لِمَا وَقَعَ مِنَ الشَّرِّ^(٨) الطَّوِيلِ
الْعَرِيضِ فِي أَيَّامِ ابْنِ الْأَشْعَثِ، وَمَا قُتِلَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنَ النُّفُوسِ الْعَدِيدَةِ، وَجَعَلَ
الْحَسَنُ يَخْطُبُ النَّاسَ، وَيَعْظُمُهُمْ فِي ذَلِكَ،^(٩) وَيَحْرِضُهُمْ عَلَى الْكُفِّ، فَبَلَغَ

(١) فِي ١ ٢، ب، ص: «لعر».

(٢) فِي الْأَصْلِ: «قَدْ أُصِيبَ»، وَفِي ١ ٢، ب، ص: «أُصِيبَ».

(٣) فِي الْأَصْلِ ١ ٢، ب، ص: «مَنَاهُمَا».

(٤) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ، ١ ٢، ب، ص: «مَنْ».

(٥ - ٥) فِي الْأَصْلِ: «إِنْ الْعَيْنِ». وَفِي ١ ٢، ص: «إِلَى الْعَيْنِ». وَفِي ب «أَفَى الْعَيْنِ».

(٦) فِي الْأَصْلِ، ١ ٢، ب، ص: «عَلَيْهِمْ».

(٧) فِي الْأَصْلِ، ب، ص: «بِالْعِشِّ». وَفِي ١ ٢: «بِالْعَيْنِ».

(٨) فِي م: «الْقِتَالِ».

(٩ - ٩) فِي م: «وَيَأْمُرُهُمْ».

ذلك نائب البصرة مروان^(١) بن المهلب، فقام في الناس خطيباً فأمرهم بالجدِّ والجهاد والنفير^(٢) إلى القتال، ثم قال: ولقد بلغني أن هذا الشيخ الضالُّ المرائي - ولم يسمه - يثبُط الناس عتاً^(٣)، أما والله ليكفرنَّ عن ذلك، أو لأفعلنَّ ولأفعلنَّ، وتوعد [١٨٢/٧] الحسن، فلما بلغ الحسن قوله، قال: أما والله ما أكرهه أن يُكرمني الله بهوانه. فسلمه الله منه حتى زالت دولتهم، وذلك أنَّ الجيوش لما تواجَهَتْ تبارز الناس قليلاً، ولم تنشب الحرب شديداً،^(٤) فلم يثبت أهل العراق حتى فتروا^(٥) سريعاً، وبلغهم أنَّ الجسر الذي جاءوا عليه قد حرق فانهزموا، فقال يزيد بن المهلب: ما بال الناس؟ ولم يكن من الأمر ما يُفرُّ من مثله، فقليل له: إنه بلغهم أن الجسر^(٥) قد حرق. فقال: قبحهم الله.

ثم رام أن يرُدَّ المنهزمين فلم يُمكنه ذلك، فثبت في عصاية من أصحابه، وجعل بعضهم يتسلَّلون منه حتى بقى في شِرْذمةٍ منهم قليلة، وهو مع ذلك يسيرُ قدماً لا يُمِرُّ بخيلٍ إلَّا هزَمهم، وأهل الشام ينحازون^(٦) عنه يميناً وشمالاً، وقد قُتل قبله أخوه حبيب بن المهلب، فازداد حنقاً وغبناً^(٧)، وهو على فرسٍ له أشهب، ثم قصد نحوَ مسلمة بن عبد الملك لا يريدُ غيره، فلما واجهه حملت عليه خيولُ الشام فقتلوه، وقتلوا معه أخاه محمد بن المهلب، وقتلوا

(١) في النسخ: «عبد الملك». والمثبت من تاريخ الطبري ٥٩٤/٦، وانظر الكامل ٨٠/٥.

(٢) في م: «النفير».

(٣) سقط من: م.

(٤ - ٤) في ١، ٢، ب، م، ص: «حتى فر أهل العراق».

(٥) بعده في م: «الذي جاءوا عليه».

(٦) في م: «يتجاورون».

(٧) في م: «غيظاً».

السَّمِيدَع، وكان من الشُّجعان، وكان الذى قتل يزيد بن المهلب رجل يقال له: القَحْلُ^(١) بَنُ عِيَّاشٍ. فقتل إلى جانب يزيد بن المهلب، وجاءوا برأس يزيد ابن المهلب إلى مسلمة بن عبد الملك، فأرسله مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيْطٍ إلى أخيه أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك، واستحوذ مسلمة على ما فى معسكر يزيد بن المهلب، وأسر منهم نحوًا من ثلاثمائة، فبعث بهم إلى الكوفة، وبعث إلى أخيه فيهم، فجاء^(٢) كتاب يزيد أمير المؤمنين^(٣) بقتلهم، وسار مسلمة فنزل الحيرة.

ولما انتهت هزيمة يزيد بن المهلب إلى ابنه معاوية، وهو بواسط، عمّد إلى نحو من ثلاثين أسيرًا فى يده فقتلهم؛ منهم^(٤) عدى بن أرتاة، رحمه الله، وابنه^(٥)، ومالك، وعبد الملك ابنا مسمع،^(٦) وجماعة من الأشراف، ثم أقبل حتى أتى البصرة، ومعه الخزائن من الأموال، وجاء^(٧) عمّه^(٨) المفضل بن المهلب^(٩)، فاجتمع آل المهلب بالبصرة، فأعدوا السفن، وتجهّزوا أتمّ الجهاز، واستعدوا للهرب، فساروا بعيالهم وأثقالهم،^(١٠) فلم يزالوا سائرين^(١١)، حتى أتوا جبال كَرْمان فنزلوها، واجتمع عليهم جماعة ممن فلّ ممن^(١٢) كان مع يزيد بن

(١) فى ١ ٢، ب، ص: «النجل». وانظر الطبرى ٥٩٧/٦ والإكمال ٥٤/٧، والكمال ٨٣/٥.

(٢ - ٢) فى ١ ٢، ب، م، ص: «كتابه».

(٣) بعده فى ١ ٢، م، ص: «نائب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز».

(٤) سقط من: الأصل، ١ ٢، ب، ص وانظر تاريخ الطبرى ٦٠٠/٦.

(٥ - ٥) فى ١ ٢: «جماعه».

(٦) بعده فى م: «معه».

(٧) بعده فى الأصل، ١ ٢، ب، م: «إليه».

(٨ - ٨) سقط من: ١ ٢، ب، م، ص.

(٩) فى ١ ٢، ب، م، ص: «من الجيش الذى».

المهلب، وقد أمروا عليهم^(١) المفضل بن المهلب، فأرسل مسلمة بن عبد الملك جيشاً عليهم هلال بن أحوز^(٢) المازني^(٣) في طلب آل المهلب، ويقال: إنهم أمروا^(٤) عليهم رجلاً يقال له: مدرك بن ضب الكلي^(٥). فلحقهم بجبال كزومان فاقتلوا هنالك قتالاً شديداً، فقتل جماعة من أصحاب المفضل، وأسير [١٨٢/٧ ط] جماعة من أشرافهم، وانهزم بقيتهم، ثم لحقوا المفضل فقتلوه، وحمل رأسه إلى مسلمة بن عبد الملك، وأقبل جماعة من أصحاب يزيد بن المهلب، فأخذوا لهم أماناً من أمير الشام؛ منهم مالك بن إبراهيم بن الأشتر النخعي، ثم أرسلوا بالأنثقال والأموال والنساء والدرة فوردت على مسلمة بن عبد الملك، ومعهم رأس المفضل، ورأس عبد الملك ابني المهلب، فبعث مسلمة بالرهوس، وتسعة من^(٦) الصبيان الأحداث الحسان^(٧) إلى أخيه يزيد، فأمر بضرب أعناق أولئك، ونصبت رءوسهم بدمشق ثم أرسلها إلى حلب فنصبت بها، وحلف مسلمة بن عبد الملك لبيع ذراري آل المهلب، فاشتراهم بعض الأمراء إبرازاً لقسمه بمائة ألف، فأعتقهم وخلق سيالهم، ولم يأخذ مسلمة من ذلك الأمير شيئاً.

وقد رثا الشعراء يزيد بن المهلب بقصائد ذكرها ابن جرير^(٨).

(١ - ١) في الأصل: «رجلا يقال له: مدرك بن ضب الكلي، فأرسل مسلمة جيشاً عليهم هلال بن الماخور المازني في طلب آل المهلب».

(٢) في ١: «الماجور». وفي ب، ص: «الماجور». والمثبت من تاريخ الطبري ٦/٦٠٢. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢١١، والإكمال ١/٣٢، وتبصير المنتبه ١/٩.

(٣) في ١، ب، م، ص: «المحاري». وانظر جمهرة أنساب العرب الموضع السابق.

(٤) يعني جيش مسلمة.

(٥ - ٥) في الأصل: «الأحداث».

(٦) تاريخ الطبري ٦/٦٠٣، ٦٠٤.

ولاية مسلمة على بلاد العراق وخراسان

وذلك أنه لما فرغ من حرب آل المهلب كتب إليه أخوه يزيد بن عبد الملك بولاية الكوفة والبصرة وخراسان في هذه السنة، فاستتاب على الكوفة وعلى البصرة، وبعث على خراسان ختته - زوج ابنته - سعيد بن عبد العزيز بن الحارث ابن الحكم بن أبي العاص، الملقب بخذينة، فسار إليها فحرّض أهلها على الصبر والشجاعة، وعاقب عمالاً ممن كان ينوب "ليزيد بن" المهلب، وأخذ منهم أموالاً جزيلاً، ومات بعضهم تحت العقوبة.

ذكر وقعة جرت بين الترك والمسلمين

وذلك أن خاقان الملك الأعظم ملك الترك، بعث جيشاً إلى الصغد لقتال المسلمين، عليهم رجل منهم يقال له: كورصول^(١). فأقبل حتى نزل على قصر الباهلي فحصره وفيه خلق من المسلمين، فصالحهم نائب سمرقند - وهو عثمان ابن عبد الله بن مطرف - على أربعين ألفاً، ودفع إليهم سبعة عشر دهباً رهائن عندهم، ثم ندب عثمان الناس فانتدب رجل يقال له: المسيب بن بشر الرياحي في أربعة آلاف. فساروا نحو الترك، فلما كان ببعض الطريق خطب الناس، فحثهم على القتال، وأخبرهم أنه ذاهب إلى الأعداء لطلب الشهادة، فرجع عنه أكثر من ألف، ثم لم يزل في كل منزل يخطبهم، ويرجع عنه بعضهم، حتى

(١ - ١) في م: «لال».

(٢) في ١، ص: «كورصول». وانظر تاريخ الطبري ٦/٦٠٨.

بقي في سبعمائة مقاتل، فسار بهم حتى غالق جيش الأتراك، وهم محاصرو ذلك القصر، وقد عزم المسلمون الذين هم فيه على قتل [١٨٣/٧] نسائهم وذبح أولادهم أمامهم، ثم ينزلون فيقاتلون حتى يُقتلوا عن آخرهم، فبعث إليهم المسيب يثبثهم يومهم ذلك، فثبتوا ومكث^(١) المسيب حتى إذا كان وقت السحر كبر، وكبر أصحابه، وقد جعلوا شعارهم يا محمد، ثم حملوا على الترك حملة صادقة، فقتلوا منهم^(٢) خلقا كثيرا، وعقرُوا دواب كثيرة، ونهض إليهم الترك، فقاتلوهم قتالا شديدا، حتى فر أكثر المسلمين، وضربت دابة المسيب في عجزها فترجل عنها^(٣)، وترجل معه الشجعان، فقاتلوا، وهم كذلك قتالا عظيما، والتفت^(٤) الجماعة بالمسيب، وصبروا حتى فتح الله عليهم، وفرّ المشركون بين أيديهم هارين لا يلؤون على شيء، وقد كان الأتراك في غاية الكثرة، فنادى منادى المسيب: أن لا تتبعوا أحدا منهم^(٥)، وعليكم بالقصر وأهله. فاحتملوهم وحازوا ما في معسكر أولئك الأتراك من الأموال والأشياء النفيسة، وانصرفوا راجعين سالمين بمن معهم من المسلمين الذين كانوا محصورين، وجاءت الترك من الغد^(٦) إلى القصر فلم يجدوا به داعيا ولا مجيئا، فقالوا^(٧) فيما بينهم: هؤلاء الذين لقونا بالأمس لم يكونوا إنسا، إنما كانوا جنّا. ثم غزا سعيد الملقب بخذينة أمير خراسان بلاد الصغد، وذلك لأنهم أعانوا الكفار على المسلمين في هذه^(٨)

(١) في الأصل: «تلبث».

(٢) في ٢: «منها».

(٣) سقط من: م.

(٤) في ٢: «التقوا».

(٥ - ٥) سقط من: م.

(٦ - ٦) في ٢، ب، م، ص: «في أنفسهم».

^(١) الغزوة التي ذكرناها، فسار إليهم فقاتلهم قتالاً شديداً حتى نصره الله عليهم، وولّوا مدبرين، وأخذ منهم أموالاً جزيلةً، وقبض ما وجد لهم من الأموال والحواصل.

وفيها عزل أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة عن إمرة العراق وخراسان، وذلك لأنه كان يصرف أموال الغنيمه فيما يريد ولم يصرف إلى أخيه يزيد شيئاً في هذه المدّة، وطمع في أخيه فعزله عنها، وولّى عليها بدله عمر بن هبيرة على العراق وخراسان.

وحجّ بالناس فيها أمير المدينة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس ^(١).

^(٢) وفيها توفي عدى بن أرطاة الفزاري ^(٣)، نائب عمر بن عبد العزيز على البصرة، وهو الذي قبض على يزيد بن المهلب، وبعث به مقيداً إلى عمر بن عبد العزيز، فلما قدم عليه أمر بسجنه، فلما مرض عمر هرب من السجن، فلما توفي عمر ظهر يزيد بن المهلب، ونصب رايات سوداً، وطلب البصرة وملكها، وجرت له فصول قد ذكرها ابن جرير ^(٤)، ثم إن معاوية بن يزيد بن المهلب لما بلغه قتل أبيه أخرج عدى بن أرطاة هذا من الحبس وقتله، وقتل معه جماعة نحو ثلاثين إنساناً.

يزيد بن المهلب ^(٥)، كان من الشجعان المشهورين، وله فتوحات كثيرة ^(٦).

(١ - ١) سقط من: م.

(٢ - ٢) زيادة من: ب، ص.

(٣) انظر ترجمته في: طبقات خليفة ٧٩٨/٢، وتاريخ دمشق ٤٦٢/١١ (مخطوط)؛ وتهذيب الكمال ٥٢٠/١٩، وسير أعلام النبلاء ٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠ هـ) ص ١٦٢.

(٤) تاريخ الطبري ٥٧٨/٦ - ٦٠٤.

(٥) انظر ترجمته في: المعارف ٤٠٠، ووفيات الأعيان ٢٧٨/٦، وسير أعلام النبلاء ٥٠٣/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٢٨٢، وشذرات الذهب ١٢٤/١.

^(١) وكان جوادًا مُمدِّحًا، له أخبارٌ في الكرمِ والشجاعة، وآخرُ أمره أنه قُتِل، وقُتِل من إخوته وأولاده جماعةً، وأخذت أمواله ونساؤه وأولادُه، وزال ما كان فيه، وقد كانوا نحوَ ثمانين نفسًا آل المهلبِ بنِ أبي صفرة، وقد جمَعوا شيئًا كثيرًا من الأموال والجواهر، فما أفادَهم ذلك شيئًا بل سلبوا ذلك جميعه.

قال ^(١٢): «ومن توفى فيها من الأعيان والسادة:

الضُّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ الْهَلَالِيُّ ^(٣) أَبُو الْقَاسِمِ - ويقال: أَبُو مُحَمَّدٍ - الخراساني، كان يكون يَبْلُغُ وسمرقندَ ونيسابورَ، وهو تابعيٌّ جليلٌ، رَوَى عن أنسٍ، ^(٤) وابنِ عباسٍ، وابنِ عمرَ، وأبي هريرةَ، وجماعةٍ من التابعين، وقيل: إنَّه لم يصحَّ له سماعٌ من الصحابةِ حتى ولا من ابنِ عباسٍ ^(٥)، وإن كان قد روى عنه أنَّه جاوره سبعَ سنين.

وكان الضحَّاكُ إمامًا في التفسير، قال الثوري ^(٦): «خُذُوا التفسيرَ عن أربعة؛ مجاهدٍ، وعكرمةَ، وسعيد بنِ جبْرِ، والضحَّاكِ». وقال الإمامُ أحمدُ ^(٧): «هو ثقةٌ [١٨٣/٧] مأموونٌ». وقال ابنُ معينٍ، وأبو زُرْعَةَ ^(٨): «هو ثقةٌ». وأنكرَ شعبَةُ

(١ - ١) زيادة من: ب، ص.

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠ هـ) ص ٨.

(٣) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦/ ٣٠٠، وطبقات خليفة ١٢/ ٧٩٧، ٨٣٢، وتهذيب الكمال ١٣/ ٢٩١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢١ هـ) ص ١١٢، وطبقات المفسرين ١/ ٢١٦.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) بعده في ١، ٢، ب، ص: «رواية» وبعده في م «سماع».

(٦) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٤١٥.

(٧) العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد ١/ ٣٦٢.

(٨ - ٨) سقط من: ٢١، ب، م، ص.

(٩) المرح والتعديل ٤/ ٤٥٨، ٤٥٩.

سَمَاعَهُ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ^(١): إِنَّمَا أَخَذَ عَنْ سَعِيدٍ عَنْهُ. وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ
الْقَطَّانُ^(٢): كَانَ ضَعِيفًا.

وَذَكَرَهُ ابْنُ حَبَّانَ فِي «الثَّقَاتِ»^(٣)، وَقَالَ: لَمْ يَشَافِهِ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ،
وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ لَقِيَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَدْ وَهِمَ.

وَحَمَلَتْ بِهِ أُمُّهُ سَنَتَيْنِ، وَوَضَعَتْهُ وَلَهُ أَسْنَانٌ، وَكَانَ يَعْلَمُ الصَّبِيَّانَ حِسْبَةً،
(٤) وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ فِي مَكْتَبِهِ ثَلَاثَةُ آلَافٍ صَبِيٍّ، وَكَانَ يَرْكُبُ حِمَارًا، وَيَدُورُ
مِنَ الْعُلَيَاءِ عَلَيْهِمْ. وَقِيلَ: إِنَّهُ مَاتَ سَنَةً خَمْسٍ. وَقِيلَ: سَنَةً سِتٍّ وَمِائَةٍ^(٦).
(٧) وَقَدْ بَلَغَ الثَّمَانِينَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

أَبُو الْمُتَوَكِّلِ^(٨) عَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ التَّاجِيُّ^(٩)، تَابَعَنِي جَلِيلٌ، ثَقَّةٌ، رَفِيعُ الْقَدْرِ^(٩).

(١) الكامل في الضعفاء ٤/١٤١٤.

(٢) المصدر السابق ٤/١٤١٥.

(٣) الثقات ٦/٤٨٠.

(٤ - ٤) سقط من: ١، ٢، ب، م، ص.

(٥) تهذيب الكمال ١٣/٢٩٥.

(٦) بعده في ب، ص: «كان الضحاك إذا أمسى بكى، فيقال له: ما يبكيك؟ فيقول: لا أدرى ما
صعد إلى الله اليوم من عملي».

(٧ - ٧) سقط من: ١، ٢، ب، م، ص. وانظر سير أعلام النبلاء ٤/٦٠٠.

(٨ - ٨) في ١، ٢، ب، م، ص: «الناجر اسمه على بن البصري».

وانظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/٢٢٥، وطبقات خليفة ١/٤٩١، وتهذيب الكمال ٢٠/
٤٢٥، وسير أعلام النبلاء ٨/٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠هـ) ص ٢٩٨. وفيه
«التاجي».

(٩) بعده في ١، ٢، ب، م، ص: «مات وقد بلغ الثمانين رحمه الله تعالى».

فهرس

الجزء الثانى عشر من « البداية والنهاية »

الموضوع	الصفحة
ثم دخلت سنة ست وستين	٥
فصل فى تتبع المختار لقتلة الحسين	١٥
ذكر مقتل شمر بن ذى الجوشن أمير السرية التى قتلت حسينا	١٩
مقتل خولئ بن يزيد الأصبحى الذى احتز رأس الحسين	٢٤
مقتل عمر بن سعد بن أبى وقاص	٢٥
فصل فى مصانعة المختار ابن الزبير ... يريد خداعه	٣٢
فصل فى شخوص إبراهيم بن الأشر إلى عبيد الله بن زياد	٣٧
بدء عبد الملك بن مروان فى بناء القبة على صخرة بيت المقدس	٤١
ثم دخلت سنة سبع وستين	٤٥
مقتل عبيد الله بن زياد	٤٥
مقتل المختار بن أبى عبيد الثقفى الكذاب	٥٨
فصل : ولما استقر مصعب بن الزبير بالكوفة	٧٢
وممن توفى فيها من الأعيان	٧٣
ثم دخلت سنة ثمان وستين	٧٤
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان	٧٧
ذكر وفاة عبد الله بن عباس ترجمان القرآن	٧٨
فصل فى تولى ابن عباس إمامة الحج سنة خمس وثلاثين بأمر عثمان	١٠٥
صفة ابن عباس ، رضى الله عنه	١١٠
ثم دخلت سنة تسع وستين	١١٤

- مقتل عمرو بن سعيد الأشدق ١١٤
- وممن توفى فيها من الأعيان ١٢٨
- ثم دخلت سنة سبعين من الهجرة ١٣٠
- وممن توفى فيها من الأعيان ١٣٠
- ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ١٣٥
- مقتل مصعب بن الزبير ١٣٥
- وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ١٥٨
- ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين ١٦٣
- ترجمة ابن خازم ١٦٧
- وممن توفى فيها من الأعيان ١٦٩
- ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ١٧٧
- مقتل عبد الله بن الزبير على يدى الحجاج (المبير) ١٧٧
- ترجمة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير ، رضى الله عنه ١٨٦
- وممن قتل مع ابن الزبير فى هذه السنة من الأعيان ٢٢٠
- وممن توفى فيها غير من تقدم ذكره مع ابن الزبير ٢٢٥
- ثم دخلت سنة أربع وسبعين ٢٢٨
- ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان ٢٣١
- ثم دخلت سنة خمس وسبعين ٢٤٣
- وممن توفى فى هذه السنة ٢٥٣
- ثم دخلت سنة ست وسبعين ٢٥٧
- دخول شبيب الكوفة ومعه زوجته غزاة ٢٥٩
- وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٢٦٥
- ثم دخلت سنة سبع وسبعين ٢٦٩

- ٢٧٤ ذكر مقتل شبيب فى هذه السنة عند ابن الكلبي
 ٢٧٨ وفيها توفى من الأعيان
 ٢٨٠ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين
 ٢٨١ ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان
 ٢٨٥ ثم دخلت سنة تسع وسبعين
 ٢٨٥ مقتل الحارث بن سعيد المتنبئ الكذاب على يدى عبد الملك بن مروان
 ٢٩٣ مقتل قطرى بن الفجاءة أبو نعامه الخارجى
 ٢٩٦ ثم دخلت سنة ثمانين من الهجرة النبوية
 ٢٩٦ تجهيز الحجاج الجيوش من البصرة والكوفة لقتال رتبيل ملك الترك
 ٢٩٩ ومن توفى فى هذه السنة من الأعيان
 ٣٠٥ ثم دخلت سنة إحدى وثمانين
 ٣٠٥ فتنة ابن الأشعث
 ٣١١ ومن توفى فيها من الأعيان
 ٣١٦ ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين
 ٣١٦ وقعة الزاوية بين ابن الأشعث والحجاج
 ٣١٨ وقعة دير الجماجم
 ٣٢٢ وفاة المهلب بن أبى صفرة
 ٣٢٤ وفيها توفى من الأعيان
 ٣٣٧ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين
 ٣٤٥ بناء واسط
 ٣٤٥ ومن توفى فيها من الأعيان
 ٣٤٨ من أعيان من قتل الحجاج
 ٣٥٠ ثم دخلت سنة أربع وثمانين

- وَمِنْ تَوَفَّى فِيهَا ٣٥١
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ ٣٥٩
- عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ٣٦٣
- ذَكَرَ بَيْعَةَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَوْلَدِهِ الْوَلِيدِ ثُمَّ لِأَخِيهِ سُلَيْمَانَ ٣٧٠
- ذَكَرَ مِنْ تَوَفَّى فِي هَذِهِ السَّنَةِ ٣٧١
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ ٣٧٥
- وَفِيهَا تَوَفَّى أَبُو أَمَامَةَ الْبَاهِلِي ٣٧٦
- وَفَاةُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَالِدِ الْخُلَفَاءِ الْأُمَوِيِّينَ ٣٧٧
- وَمِنْ تَوَفَّى فِي هَذِهِ السَّنَةِ تَقْرِيبًا ٣٩٧
- خِلَافَةُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بَانِي جَامِعِ دِمَشْقَ ٤٠٢
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ ٤٠٥
- وَمِنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٤٠٩
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ ٤١٣
- وَمِنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٤١٦
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ ٤١٨
- وَفِيهَا تَوَفَّى مِنَ الْأَعْيَانِ ٤٢٠
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةَ تِسْعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ ٤٢٢
- وَفِيهَا تَوَفَّى مِنَ الْأَعْيَانِ ٤٢٧
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ ٤٣١
- وَفِيهَا تَوَفَّى ٤٣٤
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَتِسْعِينَ ٤٣٦
- وَفِيهَا تَوَفَّى مِنَ الْأَعْيَانِ ٤٣٧
- ثُمَّ دَخَلَتْ ثَلَاثَ وَتِسْعِينَ ٤٣٩

- فتح سمرقند ٤٤٠
- فيها توفي من الأعيان ٤٤٦
- ثم دخلت سنة أربع وتسعين ٤٦٠
- مقتل سعيد بن جبير ، رحمه الله ٤٦٢
- ذكر من توفي فيها من المشاهير والأعيان ٤٦٨
- ثم دخلت سنة خمس وتسعين ٥٠٥
- ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي وذكر وفاته ٥٠٧
- فصل في كيفية دخول الحجاج الكوفة سنة خمس وسبعين ٥١٨
- فصل فيما روى عنه من الكلمات الناقصة والجرأة البالغة ٥٣٢
- ومن توفي سنة خمس وتسعين ٥٥٤
- ثم دخلت سنة ست وتسعين ٥٥٧
- ✓ فصل فيما روى في جامع دمشق من الآثار ٥٨٧
- الكلام على ما يتعلق برأس يحيى بن زكريا ٥٩٣
- ذكر الساعات التي على بابه ٥٩٩
- ذكر ابتداء أمر الشيع بالجامع الأموي ٦٠١
- فصل في ابتداء عمارة جامع دمشق ٦٠٤
- ✓ ترجمة الوليد بن عبد الملك وذكر وفاته ٦٠٥
- ومن هلك أيام الوليد بن عبد الملك ٦١٢
- خلافة سليمان بن عبد الملك ٦١٣
- ذكر سبب مقتل قتيبة بن مسلم ٦١٥
- ثم دخلت سنة سبع وتسعين ٦٢١
- ومن توفي فيها من الأعيان ٦٢٢
- ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ٦٣١

٦٣٧	وَمَنْ توفى فيها من الأعيان
٦٣٨	ثم دخلت سنة تسع وتسعين
٦٥٧	خلافة عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه
٦٥٩	وَمَنْ توفى فيها من الأعيان
٦٦٤	سنة مائة من الهجرة النبوية
٦٦٨	بدؤ دعوة بنى العباس
٦٦٩	وَمَنْ توفى فيها من الأعيان
٦٧٥	ثم دخلت سنة إحدى ومائة
٦٧٦	ترجمة عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله
٦٨٦	فصل فى مناقبه ، رضى الله عنه
٧١١	فصل فى ردّه المظالم
٧١٤	ذكر سبب وفاته ، رحمه الله
٧٢١	خلافة يزيد بن عبد الملك
٧٢٣	وفيه توفى مع عمر بن عبد العزيز
٧٢٤	ثم دخلت سنة ثنتين ومائة
٧٢٩	ولاية مسلمة على بلاد العراق وخراسان
٧٢٩	ذكر وقعة جرت بين الترك والمسلمين
٧٣٢ ، ٧٣١	وَمَنْ توفى فيها من الأعيان

تم بحمد الله وتوفيقه الجزء
الثنانى عشر ويليّه الجزء الثالث عشر
وأوله : ثم دخلت سنة ثلاث ومائة

رقم الإيداع ١٩٩٨/٥٣٩٠

I . S . B . N : 977 - 256 - 176 - x

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة

۳۲۵۱۷۵۶ فاکس - ۳۲۵۲۵۷۹

المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل

أرض اللواء - ٣٢٥٢٩٦٣

ص. ب. ٦٣ إمبابة